أطروحة دكتوراة دولة



الأنوار

في آيات النبي المختار ﷺ

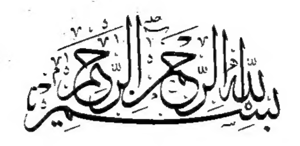
للشيخ عبد الرحمن الثعالبي
(ت ٨٧٥هـ - ١٤٧٠م)

دراسة وتحقيق
الدكتور محمد الشريف قاهر
أستاذ علوم القرآن والحديث
جامعة الجزائر
وأستاذ تاريخ التشريع الإسلامي وأصول الفقه
بالمعهد الوطني للقضاء - ابن عكنون - الجزائر

الجزء الأول

دار التراث ناشرون
الجزائر

دار ابن حزم



الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ISBN 9953-81-031-1

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها



دار التراث ناشرون

حي الهواء الجميل باش جراح - الجزائر

هاتف: 0021361551203/0021361514764/0021361510573

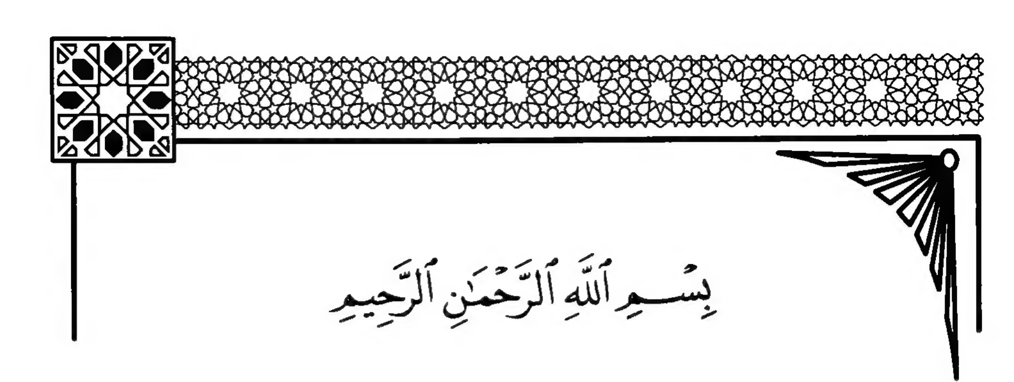
فاكس: 0021321544254 البريد الإلكتروني: Maouichi_A@yahoo.fr

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾.

[الأحزاب: ٤٥، ٤٦]



هذا الكتاب «**الأنوار في آيات النبيّ المختار**» صلوات الله وسلامُه عليه، بأجزائه الثلاثة، ينفرد عن كتب السيرة النبوية العطرة التي ألفت قبلهُ، أنّه جمع فأوعى، واستفاد ممّن تقدّمه في الميدان، وأفاد مَن أتى بعده في الزّمان، ونبّه إلى فوائد جمّة غفل عن ذكرها السابقون، فهو عقد فريد في نوعه، وكنزٌ ثمين في بابه.

وقيمة كتاب «**الأنوار**» تكمن في محتواه، وفي جمعه ـ باختصار غير مخل ـ بين السيرة، والدلائل، والشمائل، وفيه نصوصٌ مهمّة رواها عن كتب مفقودة، أو في حكم المفقودة، مثل كتب: سلاح المؤمن، ومقامع الصلبان، وروضة الإيمان، وأعذب الموارد، وغيرها من النفائس في الباب، كما ذكر نقولاً ثمينة من صحف مطهرة، فيها كتبٌ قيّمة، من الزبور، والتوراة، والإنجيل، يغلب على الظن أنّها مَما سلم من التّحريف والتّبديل والتغيير. وذلك لما فيها من التّبشير برسالة خاتم النبيّين سيّدنا محمد بن عبدالله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

فالسيرة النبوية العطرة مرتبطة ارتباطاً عُضوياً بالحديث النبوي الشريف ومصطلحاته، وبالقرآن الكريم وعلومه، والكتاب والسُّنّة هما المصدران الأساسيان للتشريع الإسلامي في جميع أطواره.

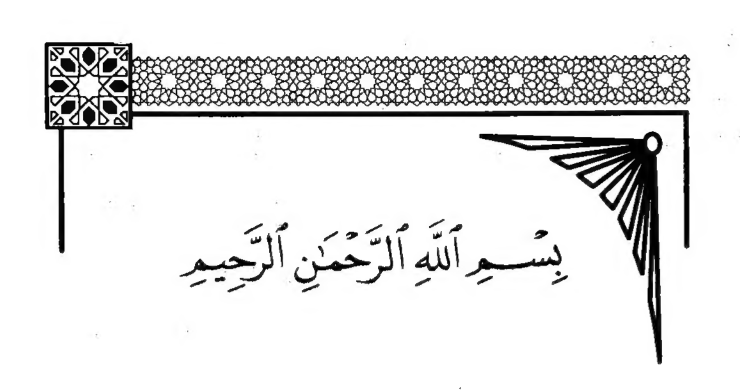
والسيرة النّبوية هي التّطبيق العملي للشريعة الإسلامية المتمثلة في أفعال الرّسول ﷺ وأقواله وتقريراته، وفي أخلاقه ومعاملاته.

والسيرة النبوية هي السراج المنير الذي يضيء الطريق أمام المجتهدين والباحثين، ويُزيل الحيرة والشكوك والضباب عن سُبُلِ السّالكين الراغبين في الوصول إلى درجة الذين أنعم الله عليهم من النّبيّين والصديقين والشهداء والصّالحين.

قدمت **«للأنوار»** دراسة مفيدة ليست بالطويلة المملة ولا بالقصيرة المخلّة، تُعين القارىء الكريم على فهم **«الأنوار»** وتجعله يعيش مع المؤلف ومحيطه السياسي والاجتماعي والثقافي، وبدأت الدراسة بالحديث عن المؤلفين في السيرة النبوية العطرة من القرن الأوّل الهجري إلى القرن التاسع منه - عصر الإمام الثعالبي - وتتبعتُ حركة التأليف، والشرح، والتعليق، والنظم، وذكرت اثنين وأربعين منهم، وأسماء مؤلفاتهم، وطريقتهم، من جمع للمادة، وتبويب للأبواب والفصول، واختيار للعناوين، واستعراض للأحداث حسب التّسلسل التّاريخي، إلى استنباط للأحكام الشرعية، وبيان للعبر والعظات.

وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب.

الدكتور: محمّد الشريف قاهر



المقدّمة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[1]. والصلاة والسلام على نبيّ الهدى، ورسول السّلام، ومرشد الخلق بأقواله، وأفعاله، وتقريراته، إلى ما فيه الخير والسّعادة والوئام، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين. وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وعلى أصحابه الهادين المهتدين. وعلى التابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدّين. وعلى العلماء العاملين، الذين أناروا الطريق للسّالكين، وأزالوا الأشواك عن سبل المفكرين الباحثين.

وبعد: فمنذ منتصف الستينيات من القرن الرابع عشر الهجري، وأواخر الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي، أيام فتحت عيني لطلب العلم والمعرفة بمسقط رأسي، بمعهد العدلي بتمقرة[2]، كان لي

---

(١) الأعراف: ٤٣.

(٢) تقع تمقرة بشرق مدينة أقبو، وتبعد عنها بما يقارب ثلاثين كلمتراً، وكانت في القرن التاسع الهجري مركزاً من مراكز السلفية السنية الراشدة، وهي تابعة لولاية بجاية.

حبّ كبير في السيرة النبوية الشريفة وتتبع لأحداثها، ورغبة شديدة في تسجيل كل ما له علاقة بها، فما عثرت على كتاب في السيرة إلاّ قرأته بشغف ونهَم وتلهُف، فكان أول كتاب قرأته فيها هو كتاب «لباب الخيار في سيرة المختار» للشيخ مصطفى العلاييني [ت: ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م].

وفي بداية الخمسينيات من هذا القرن العشرين رحلت إلى تونس طلباً للعلم، والتحقت بجامع الزّيتونة، ووجدت هناك المجال واسعاً، والمكتبات متوفّرة، عامرة بالكتب العامّة والمتخصّصة، والقديمة والحديثة، فكان من أوائل ما قرأت كتاب «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين» للشيخ محمد الخضري [١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٧م] ثم كتاب «الرسول ﷺ، صور مقتبسة من القرآن الكريم، وتحليلات ودراسات قرآنية»، للشيخ محمد عزّت دروزة.

وبقيت طيلة أيام الطلب، بتونس، والعراق، والتي استغرقت أزيد من عشر سنوات سمان، فما وقعت يداي على كتاب في السيرة إلاّ سعيت في كسبه واقتنائه، وقراءته، والاستفادة منه، فلما منّ الله علينا بالحرية والاستقلال، والعودة إلى الجزائر في أوائل الستينيات، واشتغلت في التعليم الثانوي، ثم التأليف المدرسي، وفي بداية السبعينيات انتقلت إلى التعليم العالي بكلية الآداب، جامعة الجزائر، بقيت رغبتي في السيرة شديدة، فصرت أبحث عن كل ما له علاقة بتاريخ الإسلام، باعتبار أنّ السيرة تدخل ضمن التاريخ العام. فكان اهتمامي منصباً على قراءة الفتوحات الإسلامية للمغرب والأندلس، فقرأت كتاب «تاريخ المغرب الكبير» للأستاذ محمد علي دبوز [ت: ١٩٨١م] و«تاريخ الجزائر العام» للشيخ عبدالرحمٰن الجيلالي. و«تاريخ الجزائر في القديم والحديث» للشيخ مبارك الميلي [ت: ١٩٤٥م] و«تاريخ الجزائر»، للأستاذ توفيق المدني [ت: ١٩٨٣م] وغيرها من الكتب القديمة والحديثة التي تتحدث عن الفتوحات وخاصّة ما يتعلق بتاريخ المغرب الأوسط المظلوم. وكنت أسعى جهدي لعلي أعثر على كتاب في السيرة، من تأليف عالم جزائري على مرّ العصور سواء كان مخطوطاً أو مطبوعاً، قديماً أو حديثاً، وأثناء بحثي وتردّدي على المكتبات الخاصة والعامة، أعلمني الشيخ الفاضل الأستاذ عمرو بوعناني أنه يملك مخطوطة

في السيرة، للشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي فأطلعني عليها، واستعرتها منه، وكان هذا في نهاية الثمانينيات، ومن حينها قررت تحقيق المخطوطة وإخراجها إلى عالم النور، واتصلت بالأستاذ الدكتور محمد حسين الأعرجي الأستاذ بكلية الآداب ـ جامعة الجزائر ـ وعرضت عليه الفكرة، فكرة الإشراف على تحقيق «كتاب الأنوار في آيات النبي المختار» فرحّب وشجّع، وبارك العمل، ووقف بجانبي، وبدأت في تحقيق أمنيتي في أن أقضي بقية عمري، في خدمة علوم القرآن والحديث، والسّيرة النبوية العطرة، والتي هي شرح عمليّ للكتاب والسنة، وبيان فعلي لأحكام الشريعة وخاصة ما يتعلق بحياة النبي ﷺ بعد البعثة إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى. وكنت قبل أن أسجل الأطروحة، قد تحصلت على نسختين اثنتين من الأنوار إحداهما من الخزانة العامة بالرباط، والأخرى يملكها أحد الخواص بأدرار، وشرعت في العمل، وبدأت في المقابلة بين المخطوطات الثلاث، وتصليح الأخطاء، وملء الفراغات، وسدّ الثغرات الناتجة عن الخروم الموجودة في بعض النسخ نتيجة الرطوبة، وأكل الأرضة، وتقادم الزمن، وقلة العناية من المالكين بالوراثة الذين ليس لهم دراية بما تحت أيديهم من كنوز ثمينة.

ويعلم الله كم عانيت من مشاكل، وقاسيت من عراقيل. نقص في المصادر بالجزائر، وصعوبة في التنقل، ومعاناة في الخروج، فكانت الرحلات إلى المشرق والمغرب بعد جهد جهيد، فذهبت إلى الديار المقدسة، أكثر من خمس رحلات، وتنقلت بين المكتبات العامة والخاصة بمكة، والمدينة، وتحصلت على كثير من الرغبات، ورجعت إلى الأمهات التي أخذ منها الثعالبي نصوص أنواره، وأحال إليها في نقوله وأخباره، فوجدت الرجل صادقاً في كل ما قال وأشار إليه. وعلمت عظمة الرجل وسعة اطلاعه، وكثرة محفوظاته ورواياته، فهو يروي بالسّند المتّصل كل كتب الصحاح، من شيوخه بالمشرق والمغرب، وينقل نصوصاً تعد اليوم ـ فيما وصل إليه علمي المتواضع المحدود ـ في حكم المفقود. وهذا مما يعطي أهمية كبيرة لكتاب «الأنوار» يضاف إلى أنه الكتاب الوحيد في السيرة الذي ألفه مؤلف جزائري إلى عصر الثعالبي، والذي أصبح موجوداً

ومعلوماً، وهذا لا يمنع أن يكون هناك مؤلفون آخرون لا تزال كتبهم في السيرة تعيش في زوايا الإهمال والنسيان، ولعل السنوات المقبلة تكشف لنا عن معلومات جديدة في الموضوع، كما أن كتاب «الأنوار» فريد من نوعه، حيث جمع فيه مؤلفه غالب ما تحتويه كتب الدلائل، والشمائل، والسيرة، وخاصة السيرة النبوية لمحمد بن إسحاق، المتمثلة في السّيرة النّبوية لعبدالملك بن هشام، من حديث مفصّل عن نسب الرسول ﷺ، وتاريخ ميلاده، وما صحب ذلك من إرهاصات ومبشرات بظهور نوره، وبزوغ شمسه، ومن كلام عن نشأته وطفولته، ومشاركة قومه في التجارة وحرب الفجار، وإعادة بناء الكعبة، إلى زواجه بخديجة، إلى بعثته، ودعوته الناس إلى الله سراً ثم جهراً، وما لقيه هو وأصحابه من اضطهاد وتعذيب، وإشارته على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة. ثم ينتقل إلى الحديث على الهجرة وما صحب ذلك من معجزات وخوارق للعادات، وعند الوصول إلى المدينة المنورة بدأ ﷺ يشيد الدولة الإسلامية الفتية، المبنية على الحق والعدالة والمساواة. وبعد استكمال بناء أسس الدولة، وإزالة ما كان بين الأوس والخزرج من إحن وبغضاء، وعداوة وتنافر لعشرات السنين، وربط علاقات متينة بين المهاجرين والأنصار، وكتابة معاهدة حسن الجوار بين المسلمين واليهود الذين كانوا يعيشون بالمدينة المنورة. ثم شرع في إشعار قريش بأنها ليست وحدها في الميدان، وأن الطغيان والظلم والعدوان آن أوان نهايته، ووقوفه عند حده، فكانت السرايا ثم الغزوات ثم صلح الحديبية الذي كان السبب المباشر لفتح مكة، وما تبع ذلك من دخول الناس في دين الله أفواجاً، ومراسلات الملوك والأمراء، ودعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان عام الوفود، وما تلا ذلك من فتوحات وغزوات إلى أن جاءت غزوة تبوك، وحجة الوداع، وانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، بعد أن أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فجازاه الله خير ما يجزي نبياً على أمته.

ونلاحظ أن الشيخ الثعالبي لم يكتف باستعراض ما أشرت إليه من الأحداث باختصار شديد، وإنما جمع بين حوادث السيرة العطرة وبين ذكر

معجزاته ﷺ، ودلائل نبوته، وحسن قيادته، ورأفته على كل ما يعيش فوق أرض الله من حيوان، وشجر، ونبات، وإنسان، من حيث هو الإنسان. بلا تفريق في لون أو دين، أو عرق، أو نسب، فهو الرحمة المهداة، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[1]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[2].

فكتاب الأنوار من هذا المنظور كتاب شمائل، ودلائل، وسيرة عطرة.

هذا وإني قدمت لكتاب الأنوار بدراسة، ليست بطويلة ولا بقصيرة، تعين القارىء على فهم الكتاب، وتجعله على بصيرة من مؤلف الكتاب، وعصره، والمحيط الذي عاش فيه.

بدأت الدراسة بالحديث عن أول من ألف في السيرة في القرن الأول الهجري وتتبعت حركة التأليف، والشرح، والتعليق والنظم، للسيرة إلى القرن التاسع الهجري الذي عاش فيه الثعالبي، فذكرت اثنين وأربعين من الأسماء الذين استطعت الحصول على تراجمهم، وأسماء مؤلفاتهم في السيرة وتتبع الخطوات الأولى التي مشى عليها التأليف في السيرة العطرة، من جمع للمادة، وتبويب للأبواب، واختيار للعناوين، واستعراض للحوادث حسب التسلسل التاريخي إلى استخراج للأحكام، وبيان للعبرة والعظاة. فلما وصلت إلى القرن التاسع الهجري، العصر الذي عاش فيه الإمام الثعالبي توقفت عن الحديث عن مسيرة التأليف في السيرة، وشرعت في الكلام عن هذا العصر في الغرب الإسلامي موطن المؤلف، وبينت أن الإنسان ابن بيئته، ونتاج مجتمعه ومحيطه، يتأثر ويؤثر، يستفيد منه ويفيد غيره. وذكرت بأن هذا العصر كان عصر فتن وحروب، واضطراب، وتفكك وانقسام، كما كان عصر جمود وخمود، وتأخر وركود. فانتشرت الخرافات، وتكاثرت المزارات، فانقسم المغرب الإسلامي إلى ثلاث دول، بعد سقوط الإمبراطورية الموحدية العظيمة واشتد النزاع بين الحكام والأمراء، واستفحل

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) الأحزاب: ٤٥، ٤٦.

الشقاق بين الإخوة الأشقاء، فكان الضعف بعد القوة، والإحن والبغضاء بعد الأخوة والصفاء. وكانت حروب، وكانت نزاعات على الأراضي والحدود، كل طرف يدعي أنه على الحق والصواب، وغيره على الضلال والفساد. ففر بعض العلماء وأهل الفكر والمعرفة من العواصم وأماكن النزاع والقتال، فمنهم من اعتصم بالبوادي والرباطات لتعليم الأمة أمر دينها، ومنهم من غادر البلاد، والتحق بالمشرق العربي. واتخذه موطناً وموئلاً تاركاً شعبه يعيش في ويلات الجهل والنزاع والخلاف. ومنهم من فضل البقاء وسط الأمة يقتسم معها الحلو والمر، ويحاول جهده إصلاح المجتمع، وإبعاده عن الأمراض الاجتماعية الفتاكة من شقاق وافتراق. ومن جهل بأحكام الإسلام، واتباع للشهوات، وتعلق بالخرافات، فكان الإمام الثعالبي من هذا الصنف الأخير، فاستقر في الجزائر قلب المغرب الإسلامي، يوجه الأمة وينصحها، ويحذرها من الأعداء المحيطين بها من كل جهة، يدعو إلى الوحدة وجمع الكلمة والاعتصام بحبل الله جميعاً في مجالسه وخطبه، ودروس ووعظه وإرشاده، ويبعث إلى من كان بعيداً عنه برسائله وتوجيهاته، فكان سحابة رحمة على المغرب الإسلامي عامة، وعلى الأوسط خاصة.

وبما أن بجاية من المدن الهامة التي لعبت دوراً حاسماً في الحياة السياسية، والعلمية، والاقتصادية، لعهود كثيرة، كما كانت مقصد كثير من العلماء والأدباء والباحثين، وموطن عدد من المؤلفين والكتاب، والدعاة، والصالحين، ولذلك خصصت لها عنواناً خاصاً. تحدثت فيه عن دورها التاريخي الهام، منذ القديم، وخاصة أيام الدول: الحمادية، والمرابطية، والموحدية.

واستمر علو كعبها، وارتفاع مجدها العلمي إلى عصر الثعالبي، حيث قصدها للتعلم والطلب، فبقي فيها زمناً طويلاً، فاستفاد منها، وتكوّن على يد فطاحل علمائها، فكانت بجاية من أبرز العواصم العلمية المغاربية في ذلك العهد لا تقل أهمية عن جامع الزيتونة، بتونس، وجامع القرويين بفاس.

وبعد بجاية انتقلت إلى الحديث عن حياة الثعالبي، بشيء من التفصيل، من النشأة والتكوين بمسقط رأسه «وادي يسّر» ورحالته العلمية: إلى تلمسان، وبجاية، وتونس، ومصر، وتركيا، والحجاز. ثم العودة إلى الوطن. واستقراره نهائياً بمدينة الجزائر، التي تحمل اسمه إلى الآن فهي مدينة سيدي عبدالرحمٰن.

ثم تحدثت عن بعض شيوخه الذين أخذ عنهم، وتأثر بهم، بتلمسان، وبجاية، والزيتونة، والقاهرة، فترجمت لاثنين وعشرين منهم بترجمة موجزة، تسعة ببجاية، وسبعة بتونس، وستة بالقاهرة.

ثم انتقلت إلى الحديث عن بعض تلاميذه المشهورين، وترجمت لتسعة منهم: كأبي عبدالله محمد بن يوسف السنوسي، وأبي العباس أحمد زروق البرنسي، وأبي عبدالله محمد بن عبدالكريم المغيلي.

وختمت الحديث عن الثعالبي باستعراض بعض آراء تلاميذه وأصحابه فيه وكلهم أشاد بغزارة علمه، وحسن خلقه، وقوة يقينه، وزهده وورعه.

ثم ذكرت بعض أقوال العلماء المعاصرين له، والذين أتوا بعده إلى اليوم، في مكانته العلمية، فأوردت آراء تسعة منهم، كابن سلامة عيسى البسكري، وأبي عبدالله محمد العجيسي التلمساني الشهير بابن مرزوق الكفيف، والإمام العلامة ابن مرزوق الحفيد، وأبي زرعة ولي الدين العراقي أحمد بن عبدالرحيم. وهذان الأخيران من أساتذته، وأبديا إعجابهما به في الإجازات التي نالها منهما.

وبعد ذكر مكانة الثعالبي العلمية، استعرضت أسماء مؤلفاته ومصنفاته وأشرت إلى أن معظمها لا يزال مخطوطاً موزعاً في المكتبات العامة والخاصة في الجزائر، والمغرب، وتونس، والسودان، وغيرها من المكتبات في المشرق، وتركيا، وأوروبا. فذكرت خمسة من مؤلفاته المطبوعة «كالجواهر الحسان في تفسير القرآن»، و«المختار من الجوامع في محاذات الدرر اللوامع في قراءة نافع». وثلاثة وعشرين من مصنفاته المخطوطة، وأشرت إلى أرقام بعضها وأماكن وجودها، ووقفت قليلاً عند كتاب «الأنوار

في آيات النبي المختار» محل الدراسة والتحقيق، وحققت نسبة الكتاب إلى الثعالبي، وإلى اسمه، واختلاف بعض المترجمين له في بعض كلمات اسم «كتاب الأنوار»، الذي يشتمل على ثمانية عناوين باسم كتاب، واثنين وتسعين عنواناً باسم باب، وسبعة وثمانين باسم فصل، وختمت الحديث عنه بذكر الأسباب الداعية لتأليف الكتاب فذكرت ثلاثة وهي: حبه للرسول ﷺ، ورجاؤه أن يحشر في زمرته، ورغبته في الإكثار من الصلاة عليه رسماً ونطقاً. ثم أشرت إلى أن أهمية «كتاب الأنوار» تكمن في محتواه، وجمعه بين السيرة، والدلائل، والشمائل، وأنه أورد بعض النصوص المنقولة عن كتب مفقودة أو في حكم المفقود. ككتاب سلاح المؤمن، ومقامع الصلبان، وروضة الأيمان، وأعذب الموارد، لأبي العباس العزفي، وكتاب البستان، لعلي القيرواني وغيرها.

وختمت الدراسة بوصف المخطوطات الثلاث التي اعتمدتها في التحقيق، وبينت نوعية خطوطها، وحجم صفحاتها، وما تمتاز به كل مخطوطة، وإلى رمز كل واحدة منها. وسبب اختياري لمخطوطة الضريح أن تكون هي الأصل والأم.

وفي الأخير تحدثت عن المنهج الذي سرت عليه في التحقيق، والرموز التي استعملها في توضيح الطريق، والإشارات التي توخيتها في التعريف بالإعلام، ورفع الالتباس عن المشكل والغامض من المفردات والكلام.

وذكرت بعض الصعوبات التي اعترضت طريقي أثناء التحقيق والدراسة. وما كابدته من مشاق وصعاب، ولكن كل ذلك يهون في سبيل خدمة العلم والتراث، عامة، والسيرة النبوية العطرة خاصة، التي أحببتها منذ الصغر، ألم يقل الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[1].

(١) آل عمران: ٣١.

ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره، وتفانى في خدمته وكسب رضاه، والمرء مع من أحب يوم القيامة، وليقيني بأن مداد العلماء يعلو عند الله، ويتساوى مع دماء الشهداء، إن لم يتعال عليها في يوم الجزاء.

فالله إذا أراد بعبده خيراً جعل شغله وهمه كله فيما يحمد غداً، وإذا أحب الله عبداً وفّقه لعمل صالح يستزيده، وعلم نافع يفيده أو يستفيده.

وأود أخيراً أن أشكر كل من أعان وأفاد، وأرشد، وشجع، وسدد. وأخص بالذكر أستاذي المشرف على هذه الأطروحة الأستاذ الدكتور محمد حسين الأعرجي الذي وقف بجانبي مع طول الطريق، وكان لي نعم الأستاذ والأخ، والصديق، فلم يبخل عليّ بوقته، ولم يقصر في توجيهاته، ورافقني في البحث في كل خطواته، فله شكري الجزيل، وثنائي الجميل، وجازاه الله الجزاء الأوفى، كما أشكر أستاذي الفاضل، وشيخي الكامل الذي لازمته منذ الصغر، فكان لي الساعد الأيمن، والموجه الأمثل، والمرشد الأفضل في كل ما انبهم عليّ من الأمور إنه القدوة، والخادم للعلم، والنافع للأمة، الشيخ الإمام محمد الطاهر بن مقرن آيت علجت، فكنت أتصل به في كل وقت أحتاجه، وأذهب إليه في أي مكان أريده، فأجد عنده الصدر الرحب، والتشجيع، والعلم، والمدد.

كما أقدم شكري الجزيل لفضيلة الشيخ عمر بوعناني الذي فتح لي مكتبته العامرة وأعارني كل كتاب أريده، وهو الذي تفضل فمكّنني من النسخة التي اعتمدتها أصلاً وأُمّاً من كتاب الأنوار، فجازاه الله عني خير الجزاء.

ولا أنسى الابن الروحي اللطيف الودود الدكتور محمود خياري الذي سهر الليالي الطوال في قراءة الرسالة، وتصحيح ما ورد فيها من أخطاء، فله شكري وامتناني، ودعائي له بالسّداد والتوفيق. كما أشكر الشكر الجزيل، والثناء الجميل الأستاذ الباحث محمّد الأمين بلغيث الذي كان لي خير معين في بداية الطريق، والأستاذ الفاضل خضر حدّاد الذي تولّى رقن الرسالة، فإلى الجميع أوجّه شكري وامتناني.

وبعد: فهذا عملي أقدمه بكل تواضع وفخر واعتزاز، بذلت فيه جهدي، وسعيت في نجاحه قدر طاقتي، وعشت معه قرابة عشرة أعوام. فما فيه من الحق والصواب فبتوفيق من الله العزيز الوهاب، وما فيه من نقص، أو خطأ، أو سهو أو نسيان، فمن نفسي ومن الشيطان. وتلك هي عادة الإنسان في كثير من الأحيان.

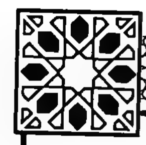
جبر الله صدع قلوبنا. وغفر عظيم ذنوبنا، وجعل جميع استعدادنا لمعادنا، ورزقنا الثّبات على الحق والدفاع عنه، حتى نلقاه وهو عنا راض، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، ونعم المولى ونعم النصير ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وصلّ اللّهم وسلّم على سيدنا محمد عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرش، ومداد كلماتك، كلما ذكرك وذكره الذاكرون، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

السيّدة الإفريقية ١٤ جمادى الأولى ١٤١٩هـ الموافق لـ ٥ سبتمبر ١٩٩٨م.

محمد الشريف قاهر



(١) الحشر: ١٠.

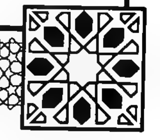


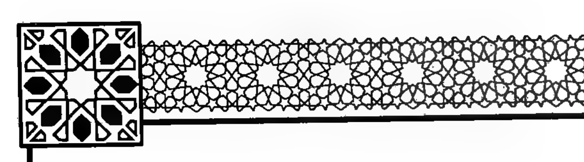
قسم الدراسة

- تمهيد في السيرة النبوية من القرن الأول الهجري إلى التّاسع منه.
- عصر الشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي.

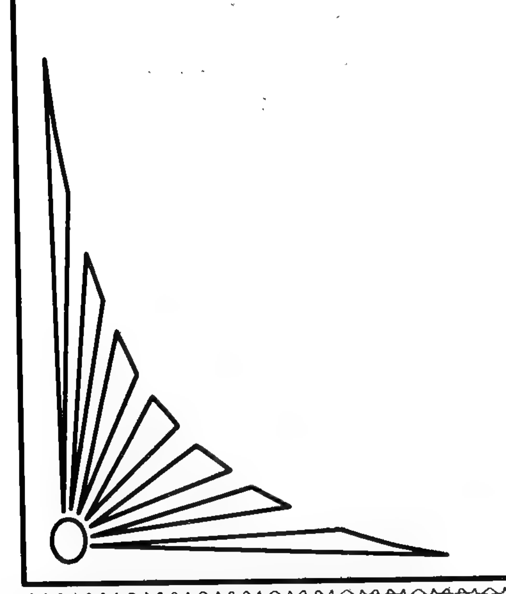
ـ بجاية عبر العصور.
ـ حياة الشيخ عبدالرحمن الثعالبي.
ـ نسبه ـ ومولده ونشأته.
رحلاته في طلب العلم:
أ ـ تلمسان. ب ـ بجاية. ـ جـ ـ تونس. ـ د ـ القاهرة. ـ والمشرق.
ـ العودة إلى الوطن ـ الجزائر.
ـ أستاتذته وشيوخه: بتلمسان، بجاية، تونس، والقاهرة.
ـ طلابه وأصحابه.
ـ مكانته العلمية.
ـ مؤلفاته وإنتاجه.
ـ كتاب الأنوار.

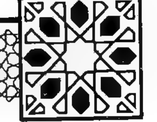
- وصف مخطوطات الأنوار.
- المنهج في التحقيق.
- صور من مخطوطات الأنوار.

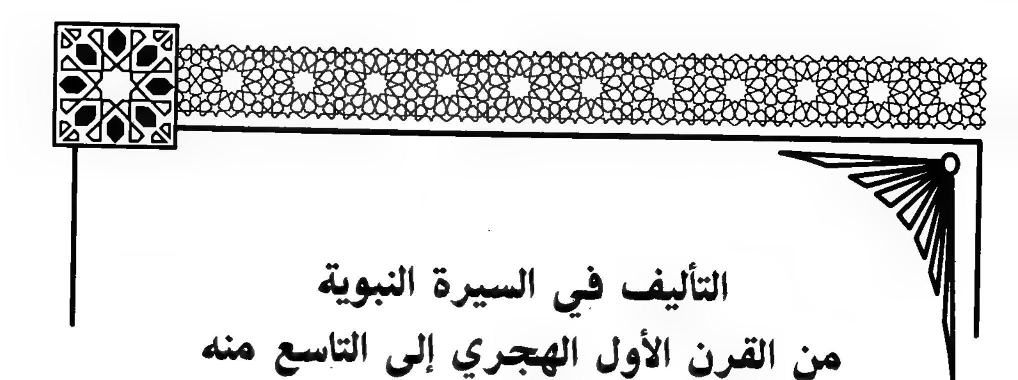




تمهيد في السيرة النبوية
من القرن الأول الهجري إلى التاسع منه







التأليف في السيرة النبوية
من القرن الأول الهجري إلى التاسع منه

السِّيرة في اللغة تعني السّنة، والطريقة، والحالة والهيئة، وإذا وردت مفردة معرّفة بالألف واللاّم أصبحت علماً بالغلبة يراد بها حياة الرسول الأعظم ﷺ منذ إرهاصات مولده الشّريف حتّى انتقاله إلى الرّفيق الأعلى، فتشمل ذكر آبائه وأجداده، وأهل بيته وأصحابه، فضلاً عن ذكر صفاته وأخلاقه، وبداية بعثته، ودعوته إلى الإسلام سرّاً، ثم جهراً وعلانية، وما لاقاه هو ومن آمن به من السّابقين الأولين من تعذيب وتغريب، وهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنوّرة، وتكوين الدولة الإسلامية على أساس حرية العقيدة، والعدالة الاجتماعية وحسن الجوار، وبعث السرايا، والشروع في الغزوات والفتوحات، وعقد المعاهدات، وإرسال الوفود، ومراسلة رؤساء القبائل والدوّل ومكاتبة الملوك من القياصرة والأكاسرة، ودعوتهم إلى الإسلام.

كل ذلك من صميم السيرة النّبوية العطرة، فالمؤمنون بهذا الدين عن طواعية واقتناع مكلّفون بالاقتداء برسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]. وغير ذلك من الآيات الكريمة، ولن يتمكّن المسلمون من الاقتداء به

(١) الأحزاب: ١٢١.

والتأسي ما لم يدرسوا السيرة النّبوية ويتفقّهوها ويستخرجوا ما فيها من أحكام، وأخلاق كريمة. ودروس وعبر.

وإذا كانت السُنّة هي كلّ ما ورد عن رسول الله ﷺ من قول، وفعل، وتقرير، وصفة، فإنّ أفعاله ﷺ تبرز أكثر ما يكون في السيرة. وإذا كانت الأقوال تحتمل الحقيقة والمجاز، وإذا كانت التقريرات تحتمل الخصوصية والمعاملة الخاصّة، فإنّ الأفعال لا تحتمل أي شيء من ذلك ـ ما لم يرد نصّ صريح ـ إذ لا مجاز في الأفعال.

هذا عن معنى كلمة السّيرة في اللغة والاصطلاح. وأمّا لفظة «المغازي» فإنها كانت تعني من حيث وضعها اللغوي: الحروب والغزوات، ثم تخصّص معناها فصارت تعني الحروب التي شارك فيها النبي ﷺ وصحابتُه بالقتال، ولكن هذا الاسم تدرّج في الزمن فاتّسع معناه حتّى شمل تاريخ حياة النبي ﷺ جميعها. ومن هنا نعلم أنّ الكلمتين السيرة والمغازي مستعملتان بمعنى واحد لا يفرّق بينهما.

«والحقيقة أنّ التنوّع الواسع في المواضيع ظاهرة مهمّة في أدب السيرة والمغازي، ويمكن أن نلمس فيها النّشأة الأولى في تقدّم وتطوّر علوم الحديث والتفسير والتّاريخ»[1].

ومن القواعد الأصولية العامة المقررة: «أنّ ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب». ولذلك نرى أسلافنا الأوائل من الصحابة والتّابعين، ومن أتى بعدهم، كانوا شديدي الاهتمام بالسيرة النبوية، دراسة وتدريساً، وتفقهاً وتعليماً. فقد روى الواقدي محمد بن عمر عن عبدالله بن عمر بن علي بن الحسين عن أبيه قال: سمعت علي بن الحسين يقول: كنّا نعلّم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السور من القرآن.

وقال الواقدي: سمعت محمد بن علي يقول: سمعت عمّي الزّهري يقول: في علم المغازي علم الآخرة والدنيا.

---

(١) كتاب المغازي للواقدي، مقدمة التحقيق: ١٩، ط٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، عالم الكتب بيروت.

وقال الحافظ ابن كثير ـ بعد أن ذكر النّصين السّابقين ـ: وهذا الفن ممّا ينبغي الاعتناء به، والاعتبار بأمره، والتهيّؤ له[1].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الأخبار والروايات الواردة في السيرة فيها الصّحيح والسّقيم، والقويّ والضّعيف، والحديث المرسل والمنقطع، والحديث المعضل، والمنكر. ومن ثمّ قال الزيّن العراقي في منظومته [من الرجز]:

وَلْيَعْلَمِ الطَّالِبُ أنّ السِّيَرَا   تجمَعُ مَا صَحَّ وَمَا قَد أُنْكِرا

وقال الإمام أحمد بن حنبل وغيره من الأئمّة: إذا روينا في الحلال والحرام تشدّدنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا. والذي ذهب إليه أكثر أهل العلم الترخيص في الرقائق وما لا حُكم فيه من أخبار المغازي وما يجري مجرى ذلك وأنّه يُقبل منها ما لا يقبل في الحلال والحرام لعدم تعلّق الأحكام بها[2]. والسيرة النبوية العطرة تدخل ضمن المعنى العام للتاريخ، والعرب لم يكن لهم قبل الإسلام من مادة تذكر للتّاريخ إلاّ ما توارثوه بالرواية مشافهة مما كان شائعاً بينهم من أخبار آبائهم وأجدادهم وما في حياة هؤلاء من قصص وروايات فيها البطولة والكرم، وفيها الوفاء وحماية الجار، والعِفّة وحسن الجوار، ثم أحاديثهم عن بئر زمزم والبيت الحرام، والبيوتات التي تولّت الرئاسة، وما جرى لسدّ مأرب من تصدّع وانفجار، وما نتج عن ذلك من تفرّق القبائل في الجزيرة العربية طلباً للكلأ، والرّاحة، وبحثاً عن المعاش والهدوء والسكينة إلى أمثال هذا مما قامت به الذاكرة مقام الكتابة، واللسان مقام القلم. وبظهور الإسلام برز مورد جديد على السّاحة العربية هذا المورد الجديد هو أحاديث الصّحابة الكرام عن ولادة محمد بن عبدالله ﷺ وما سبق ذلك من إرهاصات، كحادثة الفيل، وما شوهد عند ولادته من خوارق للعادات، وما اشتملت عليه حياته ﷺ من صبر وثبات،

(١) البداية والنهاية: ٣/٢٤٢.

(٢) السيرة الحلبية: ١/٣ ـ ٤.

وجهاد واصطدامات، وما نتج عن ذلك من أثر للأسنّة والسيوف، كل هذا كان مادة خصبة للتّاريخ عامة، وللسيرة النبوية خاصة، ونلاحظ أنه لم يدوّن شيء يذكر إلاّ بعد الخلافة الراشدة، ولم يسجل في حياة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين غير القرآن الكريم، وبعض المبادىء في النّحو في عهد عمر أو علي رضي الله عنهما.

لقد كان الصحابة الكرام يحرصون الحرص كلّه على حفظ القرآن في الصدور، وكتابته في الصّحف في حياة النّبي ﷺ وبعده، كما كانوا كثيري الحرص على سلامة اللغة العربية ـ لغة القرآن ـ وذلك لما اختلط العرب بغيرهم ممّن دخل الإسلام في العراق، والشام، ومصر والمغرب. فسارعوا إلى تدوين النّحو ليحفظ العربية ـ نتيجة تفشّي العجمة على الألسنة. واستمرت العناية التّامة بحفظ القرآن وكتابته مدّة حياة الرّسول ﷺ والخلافة الراشدة إلى أن استتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان سنة أربعين للهجرة، فاستأنف مسيرة الفتوحات الإسلامية التي توقّفت بسبب الفتنة، ورأى بفكره الثّاقب، ودهائه السّياسي الصّائب، أن يدون في التاريخ كتاباً، فاستقدم من صنعاء باليمن عبيد بن شرية، وكان له علم بالتّاريخ وأيام العرب والعجم، فكتب له كتاب الملوك وأخبار الماضين، بعد هذا العمل رأينا أكثر من واحد من العلماء يتجهون إلى علم التاريخ من ناحيته الخّاصة لا العامة، وهي سيرة الرسول ﷺ، ولعلهم وجدوا في تدوين ما يتعلق به شيئاً يحقق ما في أنفسهم من تعلّق به، وحبّ لتخليد آثاره، بعد أن منعوا من تدوين أحاديثه إلى أيام الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز مخافة أن يختلط الحديث بالقرآن»[1].

فبرز في الميدان عدد من العلماء والمحدّثين الثّقات فكتبوا في السّيرة النّبوية العطرة كتباً كانت هي النّواة الأولى، بدأوا بجمع شذرات الأخبار والتقاطها من روّاتها، ممّن كانوا على صلة وثيقة من النبي ﷺ من الصّحابة الذين عايشوا الأحداث، وشاركوا في المشاهد والغزوات، وكانت الأحاديث

---

(١) مقدمة المحققين للسيرة النبوية لابن هشام: هـ.

والآثار تثار حول مغازي رسول الله ﷺ. فيسأل بعض الحكّام أو الولاّة، أو القادة، أو الأعيان في الأمصار الإسلامية الكبرى، كالمدينة المنوّرة، والبصرة، والكوفة، ودمشق، ومصر، وغيرها، يسأل بعض هؤلاء عالماً من التّابعين، ممّن اشتهر بالحفظ والروّاية، كيف كانت غزوة بدر الكبرى؟ ومن الذين شهدوا هذه الغزوة؟ وكم عددهم من المهاجرين والأنصار؟ ومن كان على رأس قريش؟.... كما كانت ترد تلك الأسئلة شرحاً لآية من الآيات التي تضمّنت إشارة إلى تلك الوقائع والأحداث كغزوة بدر، وغزوة أحد، وصلح الحديبية، وفتح مكة ويوم حنين، وغزوة تبوك، وحجّة الوداع، إلى غير ذلك من الأسئلة التي تثار حول حياة الرسول ﷺ من ميلاده إلى بعثته، إلى هجرته، إلى فتوحاته، وانتشار دعوته في الجزيرة العربية، ووصول رسالته إلى بلاد فارس، والرّوم، ثم تقدّم أولئك الحفاظ الثقات، والعلماء الأثبات من التّابعين خطوة إلى الأمام فبدأوا في الجمع والتّدوين، لكل ما ورثوه رواية عن أسلافهم من الصّحابة الذين امتدت بهم الحياة، وعاشوا عمراً طويلاً.

١ ـ أبان ابن عثمان

إن كتب التّراجم والسير التي حدّثتنا عن هؤلاء الأعلام السّابقين الأوائل من كتّاب السيرة والمغازي تشير إلى أنّ أوّل من اهتمّ بذلك ووصلت إلينا بعض آثاره في الموضوع هو أبو سعيد /أبان بن عثمان بن عفان الخليفة الراشدي الثالث، المولود في سنة عشرين في خلافة عمر بن الخطاب، والمشهور بالعلم والتقوى، والمتفوّق في المغازي وأحكام القضاء، بين عيْنيه وعلى جبهته أثر السجود، روى عن أبيه عثمان، وأخرج له البخاري في كتابه «الأدب المفرد» ومسلم في صحيحه، وأبو داود، والنّسائي، والتّرمذي، وابن ماجة، وذلك دلالة على بلوغه درجة عالية من الثقة والعلم، فقد ولاّه الخليفة عبدالملك بن مروان على المدينة سبع سنين، وحجّ بالنّاس سنتين، وله معرفة دقيقة بالمغازي والسّيرة، فقد دوّن ما سمع من أخبار السيرة والمغازي في كتاب، ودفعه إلى الخليفة سليمان بن عبدالملك عندما جاء حاجّاً سنة اثنتين وثمانين، فأتلفه سليمان، وتوفّي أبان في خلافة يزيد بن عبدالملك

سنة ١٠٥هـ[١]، ولم يبق لنا من آثاره إلاّ ما سمعه منه ورواه عنه أبو هشام المغيرة بن عبدالرحمٰن بن الحارث المخزومي. فقد ذكر ابن سعد في طبقاته أن المغيرة كان ثقة قليل الحديث إلاّ مغازي رسول الله ﷺ أخذها من أبان بن عثمان وكان كثيراً ما تقرأ عليه ويأمرنا بتعليمها[٢].

ويترجم الواقدي للمغيرة بن عبدالرحمٰن، ويصفه بأنه من جلّة القرشيين وسادات التّابعين، ومن الذين نالوا القسط الأكبر من الجهاد، ففقد إحدى عينيه بأرض الروم، وتوفى بالمدينة في خلافة يزيد بن عبدالملك[٣].

٢ ـ عروة ابن الزبير

ويأتي بعد أبان بن عثمان، الفقيهُ المحدّث أبو عبدالله المدني عروة بن الزّبير بن العوام القرشي وأمّه أسماء بنت أبي بكر الصديق، شقيقة عائشة أمّ المؤمنين، ولد بالمدينة أواخر خلافة عمر سنة اثنتين وعشرين.

وكان عروة من فقهاء المدينة، وأفاضل التّابعين، وعبّاد قريش، روى عن عدد من الصحّابة منهم أبوه الزبير، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد بن حارثة، وعبدالله بن عمرو، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزّبير، وعائشة خالته أم المؤمنين، وغيرهم. وقد مكّنه نسبه، وإقامته بالمدينة المنوّرة أن يروي الكثير من الأخبار والآثار التي لها علاقة بحياة رسول الله ﷺ وغزواته، وفتوحاته، وحياة صدر الإسلام. ويكفينا أن نعلم أنّ محمد بن إسحاق، ومحمد بن عمر الواقدي، وابن جرير الطبري، أكثروا من الأخذ عنه، وخاصة فيما يتعلّق بالهجرة إلى الحبشة، والمدينة، وغزوة بدر الكبرى.

ذكر حاجي خليفة عند حديثه عن المغازي بأن مغازي رسول الله ﷺ

---

(١) تقريب التهذيب لابن حجر: ٥١/١، تر: ١٤١.
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٥٦/٥.
(٣) مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ١٠٩، ترجمة: ٦١٤.

جمعها محمد بن إسحاق أولاً. ويقال: أول من صنّف فيها عروة بن الزّبير[1].

أمّا ابن جرير الطبري فيذكر أن عروة بن الزبير كتب إلى عبدالملك بن مروان أخباراً عن فجر الإسلام، فقال: «أمّا بعد، فإنّه ـ يعني النبي ﷺ ـ لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى، والنّور الذي أنزل عليه، لم يبعدوا أول ما دعاهم وكادوا يستمعون له، حتى ذكر طواغيتهم، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال، أنكروا ذلك عليه، واشتدوا عليه، وكرهوا ما قال، وأغروا به من أطاعهم، فانصفق عنه عامّة النّاس إلاّ من حفظه الله منهم وهم قليل»[2].

ولم يقتصر عروة على تلقين طلابه الأخبار التي تلقاها عن الصّحابة الذين أخذ عنهم، بل دوّن معلوماته عن حوادث الصّدر الأوّل من الإسلام، وقد وصلت إلينا بعض رسائله المدوّنة في كتب ابن إسحاق، والواقدي، والطبري، ويخبرنا هشام بن عروة أنّ والده كان يتحرّى الصّدق والأمانة في كل ما يقول أو يكتب، وأنه لم يقل شيئاً قط برأيه، وممّا يدل على اعتماده على الإسناد وتوثّقه من الأخبار والأحاديث أنّ الكتب القديمة كانت تعتمد كثيراً في مادتها على ما دوّنه عروة في رسائله، ومروياته، لثقتهم في أخباره، وصدقه في نقوله وروايته. ونشير أخيراً إلى أنّ وفاته قد اختلف في تاريخها ما بين سنة ٩٢، ٩٤، ٩٩، ويرجح الكثير ممّن أرخوا له أنّه توفي في عام أربعة وتسعين[3].

٣ ـ وهب ابن منبه

ويأتي بعد أبان وعروة أبو عبدالله /وهب بن منبه بن كامل اليمني الفارسي. ولد بصنعاء عام أربعة وثلاثين [٣٤/٦٥٤م]، ويقال: «إنّه من أصل

---

(١) كشف الظنون: ٢/٦٠٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٢/٤٨١.

(٣) أ ـ تقريب التّهذيب لابن حجر: ١/٦٧١، تر: ٤٥٧٧.
ب ـ الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥/١٣٢ ـ ١٣٥.
جـ ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ٨٢، تر: ٤٢٨.

يهودي، وإليه ترجع أكثر الإسرائيليات المنتشرة في المؤلفات العربية القديمة، وكان يتقن اللّغات: اليونانية، والسّريانية، والحميرية أخبر أنّه قرأ اثنين وتسعين كتاباً كلّها أنزلت من السّماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس، وفي أيدي النّاس عشرون لا يعلمها إلاّ القليل»[1].

ويُعرف وهب بن منبّه في المصادر الإسلامية بأنّه ثقة، مواظب على العلم، ملازم للعبادة، لبث عشرين سنة يصلّي صلاة الصّبح بوضوء العشاء الأخيرة، وهو من التّابعين، روى عن كثير من الصّحابة منهم عبدالله بن عباس، وجابر بن عبدالله، وأبو هريرة عبدالرحمٰن بن صخر، وغيرهم. وذكر حاجي خليفة بأنّ وهبا جمع المغازي[2]. ولكن الروّاة لم يُقبلوا على الأخذ عنه إلاّ نادراً بخلاف غيره من التّابعين بالمدينة المنورة. ولذلك لم يصل إلينا من أخبار السيرة عن وهب إلا القليل. ولعلّ قلّة الإقبال على مغازيه يعود إلى كثرة رواياته الإسرائيلية وعنايته الخاصّة بأحاديث أهل الكتاب. ونشير أخيراً إلى أنه توفي بصنعاء سنة عشر ومائة [١١٠هـ] في خلافة هشام بن عبدالملك، وذكر أبو حاتم محمد بن حبان بأنه توفي سنة ثلاث عشرة ومائة[3] [١١٣هـ].

٤ ـ شرحبيل ابن سعد

وبعد وهب يأتي أبو سعد /شرحبيل بن سعد الخطمي، مولى الأنصار، روى عن زيد بن ثابت، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وغيرهم، وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري، ومحمد بن إسحاق، وأبو الزناد، وابن أبي ذئب، ومالك، وكنّى عنه، وغيرهم كثير.

وقد اختلف في صدقه، وثقته، والأكثرون على أنّه صدوق، ثقة غير أنه اختلط في آخر عمره. قال بشر بن عمر سألت مالكاً عنه، أي عن شرحبيل بن سعد ـ فقال: ليس بثقة. وقال علي بن المديني: قلت لسفيان ابن عيينة: أكان شرحبيل بن سعد يفتي؟

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥/٣٩٥ ـ ٣٩٦.

(٢) كشف الظنون: ٢/٦٠٤.

(٣) أ ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ١٥٠ ـ ١٥١، تر: ٩٥٦.

ب ـ تقريب التهذيب لابن حجر: ٢/٢٩٣، تر: ٧٥١٢.

قال: نعم، ولم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريّين منه فاحتاج فكأنّهم اتّهموه، وذكر في موضع آخر عن سفيان أنّه قال: لم يكن أحد أعلم بالبدريين منه، وأصابته حاجة ـ فاقة ـ فكأنهم يخافون إذا جاء الرجل فلم يعطه أن يقول لم يشهد أبوك بدراً. وقال محمد بن سعد: كان شرحبيل بن سعد شيخاً قديماً، روى عن زيد بن ثابت وعامة الصحابة، وبقي حتّى اختلط واحتاج، وله أحاديث، وليس يحتج به بسبب اختلاطه في آخر حياته، ونرى ابن حبان، وابن خزيمة، قد خرّجا حديثه في صحيحيهما. وذكره ابن حبان في الثقات من الرّواة. وقال: إنّه مات سنة ثلاث وعشرين ومائة وقد قارب المائة، وقال ابن المديني: أتى شرحبيل أكثر من مائة سنة[1].

٥ ـ عاصم ابن عمر ابن قتادة

ثم تأتي بعد هذه الطبقة طبقة ثانية على رأسها: أبو عمر المدني /عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري، أحد سادات الأنصار وعبّادهم، كان راوية للعلم، ثقة، كثير الحديث، عالماً بالمغازي والسّير، روى عن أبيه، وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، والحسن بن محمد بن الحنفية، وعلي بن الحسين بن علي، وغيرهم.

وروى عنه ابنه الفضل، وزيد بن أسلم، ومحمد بن إسحاق، ومحمد بن عجلان، والواقدي بطريق محمد بن صالح، ويونس بن محمد الظفري، وغيرهم.

وثّقه كلّ من سفيان بن معين، وأبي زُرعة، والنّسائي، والبزّار. وقال فيه: هو ثقة مشهور. وقال عبدالحق في الأحكام: هو ثقة عند أبي زرعة، وابن معين، وضعّفه غيرهما، وردّ عليه ابن القطان قائلاً: بل هو ثقة عندهما وعند غيرهما، ولا أعرف أحداً ضعّفه، ولا ذكره في الضّعفاء[2].

---

(١) أ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر: ٣/٦١٠ ـ ٦١٢، تر: ٢٨٤١.
ب ـ الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥/٢٢٨.
ج ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ١٠١، تر: ٥٥٥.

(٢) تهذيب التّهذيب لابن حجر: ٤/١٤٥، تر: ٣١٥٤.

وكان أبو عمر عاصم موالياً للأمويين، مشمولاً برعايتهم، فقضوا عليه الديون التي تراكمت عليه، وفسحوا له المجال لنشر معارفه، وقد طلب منه الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز تعليم الناس المغازي ومناقب الصّحابة، في مجالس يعقدها في المسجد الجامع بعاصمة الخلافة الأموية بدمشق، فعظمت حلقة دروسه، وكثر طلابه، حتى أصبح أستاذاً رائداً لمن أتى بعده من كتّاب السيرة كابن إسحاق، والواقدي، وغيرهما، وبقي كذلك إلى أن وافته منيته في سنة اختلف فيها المؤرخون وكتّاب السّير، والمشهور أنها سنة عشرين ومائة [١٢٠هـ ـ ٧٣٨م][(١)].

٦ ـ ابن شهاب الزهري

وبعد عاصم يأتي أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب القرشي الزّهري الفقيه الحافظ، أحد الأعلام، وعالم الحجاز والشّام، ولد بمكّة المكرّمة عام ٥٨هـ ـ ٦٧٨م، وقيل قبل هذا التاريخ.

ومعلوم أن المرحلة الأولى لنشأة علم السّيرة كان مركزها المدينة المنورة، ولا ينفي هذا الاعتبار مولد /ابن شهاب الزهري في مكة المكرّمة، لأنه انتقل إلى المدينة وعاش فيها، ودرس على علمائها، ورأى عشرة من الصحابة وعدداً كثيراً من كبار التابعين، وروى عنهم، نذكر منهم عبدالله بن عمر، وعبدالله بن جعفر، وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد، وعروة بن الزّبير، وعطاء بن أبي رباح، وغيرهم.

ولم تكن إقامة ابن شهاب بالمدينة للطلب والسّماع والتّكوين فقط، بل استمرت إقامته بها للتّدريس والعطاء، فقد أصبح له فيها تلاميذ وأصحاب، يحضرون حلقاته، ويأخذون عنه الفقه والحديث، والمغازي، فمن هؤلاء الإمام مالك بن أنس، وعمر بن عبدالعزيز، والليث بن سعد، وعبدالعزيز بن أبي سلمة الماجشون، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وعبدالرحمٰن الأوزاعي، وهشام بن عروة، وموسى بن عقبة، وابن جريج، ومعمر، وغيرهم كثيرون.

---

(١) أ ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ٩٢، تر: ٤٧٩.
ب ـ العبر في خبر من غبر للذهبي: ١/١١٦، تر: ١٢٠.

روى الإمام البخاري عن شيخه علي بن المديني أنّ لابن شهاب الزهري نحو ألفي حديث، ويذكر غير واحد من أصحابه وطلاّبه أنه كان يحفظ ألفين ومائتي حديث النّصف مسند، وقدر مائتين رواها عن غير الثقات، وأما ما اختلفوا فيه فلا يكون خمسين حديثاً.

وقال أبو الزّناد: كنّا نكتب الحلال الحرام، وكان ابن شهاب يكتب كلّ ما سمع فلما احتيج إليه علمت أنّه أعلم النّاس.

وقال معمر عن صالح بن كيسان: كنت أطلب العلم أنا والزّهري فقال: تعال نكتب السّنن، قال: فكتبنا ما جاء عن النّبي ﷺ، ثم قال: تعال نكتب ما جاء عن الصّحابة، قال: فكتب ولم نكتب، فنجح وضيّعت.

وقال الليث بن سعد: ما رأيت عالماً أجمع من ابن شهاب، ولا أكثر علماً منه لو سمعته يحدّث في التّرغيب لقلت إنه لا يحسن غير هذا، وإن حدّث عن الأنساب لقلت: لا يعرف إلا هذا، وإنّ حدّث عن القرآن والسنة كان حديثه نوعاً جامعاً. وقال مكحول: ما بقي على ظهر الأرض أعلم بسنة ماضية من الزّهري. وقال إبراهيم بن سعد قلت لأبي: بم فاقكم ابن شهاب؟ قال: كان يأتي المجالس من صدورها ولا يلقى في المجلس كهلاً إلاّ سائله، ولا شاباً إلاّ سائله، ثم يأتي الدار من دور الأنصار، فلا يلقى شاباً إلاّ سائله، ولا كهلاً ولا عجوزاً ولا كهلة إلا سائله حتّى يحاول ربات الحجال[1].

ولعلّ هذا الانصراف الكلي لابن شهاب إلى العلم وتحصيله، ونشره، هو الذي جعل زوجته تقول فيه: «والله لهذه الكتب أشدّ عليّ من ثلاث ضرائر[2]. ولا تشير المصادر التي بين أيدينا عن الدوافع التي دفعت ابن شهاب الزّهري إلى أن يغادر المدينة المنورة ويلتحق بدمشق، عاصمة

(١) تهذيب التّهذيب لابن حجر: ٤٢٠/٧ ـ ٤٢٣، تر: ٦٥٤٨.
(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان: ١٧٧/٤، تر: ٥٦٣.

الخلافة، سنة إحدى وثمانين أو اثنتين وثمانين، حيث يجد هناك ترحيباً كبيراً من الخلفاء الأمويين وينال إعجابهم، لما له من علم غزير، في الحديث، والفقه، والسّير، والمغازي. فهذا عمر بن عبدالعزيز يكتب إلى عمّاله وولاّته ـ بعد تولّيه الخلافة على رأس المائة ـ يوصيهم بأخذ السّنة عن ابن شهاب والسّماع منه. يقول في منشوره: «عليكم بابن شهاب، فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسّنة الماضية منه»[1]، والخليفة العادل لم يقل هذا الكلام إلاّ عن علم ودراية، فقد كان من تلامذة ابن شهاب، ومن الآخذين عنه بالمدينة المنورة. عرف فيه الصّدق والأمانة، وكثرة الحديث، والعلم، والرّواية، والفقه، يضاف إلى هذه الصّفات الحميدة أنّه كان كريماً سخياً، وصفه بذلك تلميذه الإمام مالك بن أنس، فهو سخيّ بما له، وبعلمه طول حياته. فقد ذكر الليث بن سعد أنّ الزهري قال: ما نشر أحد من النّاس هذا العلم نشري، ولا بذله بذلي، فهو أوّل من دوّن الحديث، ورتب الأخبار على شكل السيرة النّبوية عند ابن إسحاق، وموسى بن عقبة، والواقدي[2] وواضح من كثرة الأخبار التي رويت عنه في ابن إسحاق، والواقدي أنّه من أَجَلِّ علماء السّيرة، إذ هما العالمان المتفرّدان في السيرة والمغازي بالمعنى الخاص.

وقد اختلف في سنة وفاة ابن شهاب كما اختلف في سنة ميلاده، والمشهور أنه توفي سنة أربع وعشرين ومائة في شهر رمضان المعظم وهو ابن اثنتين وسبعين سنة[3].

٧ ـ عبدالله ابن أبي بكر ابن حزم

ومن طبقة ابن شهاب الزّهري أبو محمد /عبدالله بن أبي بكر محمد بن عمر بن حزم الأنصاري المدني من سادات الناس وفقهائهم متّفق على توثيقه، وصدقه، وأمانته، روى عن أبيه، وخالة أبيه عمرة بنت

---

(١) المصدر السابق: ١٧٧/٤، تر: ٥٦٣.

(٢) المغازي للواقدي، مقدمة التحقيق: ٣٣.

(٣) أ ـ تقريب التهذيب لابن حجر: ١٣٣/٢، تر: ٦٣١٥.

ب ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ٨٧، تر: ٤٤٤.

بدالرحمٰن، وأنس بن مالك، وعروة بن الزبير، وأبي الزناد، وابن شهاب، هما من أقرانه، وآخرين وروى عنه مالك بن أنس، ومحمد بن إسحاق، الواقدي بطريق عبدالرحمٰن بن عبدالعزيز، ويحيى بن عبدالله بن أبي قتادة، هشام بن عروة، وحماد بن سلمة، وابن جريج، والسفيانيان، وغيرهم.

وقد أثنى عليه كثير من الحفّاظ والمحدّثين والفقهاء من المعاصرين ه، ومن الذين أتوا بعده قال الإمام مالك: كان عبدالله بن أبي بكر من أهل لعلم والبصيرة. ونقل عبدالرحمٰن بن القاسم عن شيخه مالك. أن أبا بكر بن حزم كان كثير العلم. ورجل صدق.

ووصفه ابن معين، وأبو حاتم الرازي، والنّسائي بأنّه ثقة، وزاد الأخير بأنه ثبت. وقال أبو عمر يوسف بن عبدالبر: كان أبو بكر بن حزم، من أهل العلم، ثقة، فقيهاً، محدّثاً، مأموناً، حافظاً، وهو حجّة فيما نقل وحمل. قال ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث، عالماً، توفي سنة خمس وثلاثين ومائة، وقيل: سنة ثلاثين ومائة، وهو ابن سبعين سنة، وليس له عقب[1].

ويخبرنا ابن شهاب الزهري، بأن عبدالله بن أبي بكر ليس له مثيل في المدينة ولكنه يمنعه أن يرتفع ذكره مكان أبيه أنّه حيّ.

وممّا يدل على مكانة الرجل العلمية أنّ الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز ولاّه القضاء بالمدينة وطلب منه أن يدوّن الحديث والأخبار، فكتب إليه: أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ، أو سنّة ماضية، أو حديث عمرة بنت عبدالرحمٰن. فاكتبه فإنّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء[2].

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر: ٤/٢٥٠ ـ ٢٥١، تر: ٣٣٢٦.

(٢) أ ـ تقريب التهذيب لابن حجر: ٤٨١/١، تر: ٣٢٥٠.
ب ـ حدائق الأنوار، لابن الديبع ـ المقدمة: ٢٣.
جـ ـ كتاب المغازي للواقدي، المقدمة: ٢٨.
د ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ٩٠، تر: ٤٦٨.

ونستطيع أن ندرك عمل عبدالله بن أبي بكر بين رواة الحديث وأصحاب السيرة والمغازي ما كان يقتبسه منه ابن إسحاق، والواقدي وابن سعد، وابن جرير الطبري، من طريقته في الجمع والتأليف، واقتفاء أثره في العمل والتنظيم. فنرى ابن إسحاق يرتب كتابه «المغازي» ترتيب أستاذه الذي ابتكر الترتيب السنوي للحوادث. فجمع قائمة بغزوات النبي ﷺ ترتيباً سنوياً.

وبعد عاصم، والزهري، وأبي محمد بن حزم تأتي بعدهم طبقة ثالثة تواصل العمل، وتستفيد من الطبقتين السّابقتين، ومن هذه الطبقة نخبة من تلامذة ابن شهاب، نخص منهم بالذكر ثلاثة من الموالي: موسى بن عقبة ومعمر بن راشد، ومحمد بن إسحاق. أمّا موسى بن عقبة بن أبي عيّاش الآسدي مولى آل الزبير بن العوام فولد بالمدينة المنورة في حدود سنة **٥٥**هـ/ **٦٧٤**م وكان متبحّراً في علم المغازي والسيرة، ومن ثقات رجال الحديث، معروفاً بالفقه والفتيا في المدينة. روى عن عدد كبير من كبار التّابعين أمثال، عروة بن الزّبير، وابن شهاب الزّهري، وعبدالله بن دينار، ونافع مولى عبدالله بن عمر، وأبي سلمة بن عبدالرحمٰن، والأعرج. وأم خالد الصّحابية، وطائفة أخرى.

٨ ـ موسى ابن عقبة

وروى عنه الإمام مالك بن أنس، والسّفيانان، وعبدالله بن المبارك، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وابن أخيه إسماعيل بن إبراهيم، وابن جريج، وآخرون كثيرون.

وقد أثنى عليه شيوخه، وأقرانه، وطلابه، ومن أتى بعدهم من المحدّثين والفقهاء وعلماء المغازي والسيرة. فجميعهم يصفونه بالصلاّح، والثقة، والثبت.

قال محمد بن سعد الواقدي فيه: كان ثقة، ثبتاً، كثير الحديث.

وكان الإمام مالك يوصي طلاّبه بالأخذ عنه، والسّماع به، فيقول لهم: عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنّه ثقة. وفي رواية أخرى: عليكم بمغازي الرجل الصّالح موسى بن عقبة. فإنها أصح المغازي.. وأنه رجل ثقة،

طلبها على كبر السّن، ولم يكثر كما كثّر غيره، ومن كان في كتابه قد شهد بدراً فقد شهدها ومن لم يكن فيه فلم يشهدها.

والإمام مالك يشير بهذه الفقرة الأخيرة إلى ما كان رائجاً في النّاس ممّن شهد بدراً من الصّحابة، ومن لم يشهدها. فقد ذكر إبراهيم بن المنذر عن محمد بن طلحة بن الطويل أنه قال: لم يكن بالمدينة أعلم بالمغازي من موسى بن عقبة. قال: كان شرحبيل بن سعد عالماً بالمغازي، فاتّهموه أنّه يدخل في الصّحابة من لم يشهد بدراً، وفيمن قتل يوم أحد، من لم يكن منهم، وقد احتاج فسقط عند النّاس. فسمع بذلك موسى بن عقبة فقال: إنّ النّاس قد اجترأوا على هذا الأمر، فدبّ على كبر السن وقيّد من شهد بدراً، وأُحُداً، ومن هاجر إلى الحبشة، والمدينة، وكتب ذلك في كتاب. وقال أبو بكر بن خيثمة: كان ابن معين يقول: ـ وهو يتحدّث عن كتاب المغازي والسيرة ـ كتاب موسى بن عقبة عن الزّهري من أصح هذه الكتب. ونرى هذا الرأي يكرّره حاجي خليفة فيقول: ومغازي موسى بن عقبة أصح المغازي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن موسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، والواقدي هؤلاء الثلاثة هم الذين وضعوا الأسس التي بنى عليها المتأخرون كتبهم في السيرة والمغازي، أمثال: ابن جرير الطبري، وابن سيد الناس اليعمري، والحافظ ابن كثير الدمشقي وقد اختلف في تاريخ وفاة موسى بن عقبة، والأكثرون أنّه توفي بالمدينة عام **١٤١هـ /٧٥٨م**(١).

٩ ـ معمر ابن راشد

وأمّا معمر بن راشد الأزدي الحدّاني أبو عزة المولود بالبصرة حوالي **٩٥/٧١٣م**، فكان من الفقهاء والحفّاظ، أدرك الحسن البصري، وحضر

---

(١) أ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر ٨/٤١٥ ـ ٤١٧، تر: ٧٢٧٣.
ب ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ١٠٥، تر: ٥٨٤.
جـ ـ المغازي للواقدي ـ مقدمة التحقيق: ٢٤ ـ ٢٥.
د ـ كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/٦٠٤.
هـ ـ حدائق الأنوار لابن الديبع، المقدمة: ٢٣ ـ ٢٤.

جنازته، وبدأ طلب العلم في السنة التي توفي فيها الحسن عام ١١٠، روى عن ثابت البناني، وابن شهاب الزّهري، وهشام بن عروة، ومحمد بن المنكدر، وعمرو بن دينار، وصالح بن كيسان، وقتادة، وغيرهم كثير.

وروى عنه يحيى بن كثير، وأبو إسحاق السبيعي، وعمرو بن دينار، وأيوب، وهؤلاء من شيوخه، وابن جريج، وشعبة بن الحجّاج، وسفيان الثوري، وهؤلاء من أقرانه وأصحابه، وعبدالله بن المبارك، ومحمد بن جعفر غندر، وعبدالرّزاق، وابن علية، وآخرون.

وقد أثنى عليه كلّ من عرفه، قال ابن سعد: كان معمر رجلاً له حلم ومروءة ونبل[1]. وقال عبدالرزاق بن همام الصّنعاني نقلاً عن أستاذه معمر: طلبت العلم سنة مات الحسن، وجلست إلى قتادة وأنا ابن أربع عشرة سنة فما سمعت منه حديثاً إلاّ كأنّه ينتقش في صدري.

وقال الميموني عبدالملك بن عبدالحميد نقلاً عن أحمد: ما انضم أحد إلى معمر إلا وجدت معمراً يتقدّمه في الطلب، كان من أطلب أهل زمانه للعلم.

وقال العجلي أحمد بن عبدالله: معمّر بصريّ الأصل، سكن اليمن، ثقة، رجل صالح، ولما دخل صنعاء كرهوا أن يخرج من بين أظهرهم فقال لهم رجل: قيّدوه، فزوّجوه[2]. وقال ابن النّديم: إنّه من أهل الكوفة، صنّف كتاب المغازي[3] الذي لم يصل إلينا منه غير فقرات عند الواقدي، وابن سعد، والطبري، والبلاذري، ويرجع معظم أخباره عن أستاذه الزّهري.

وتوفيّ معمر باليمن في شهر رمضان المعظم سنة ١٥٣هـ/٧٧٠م[4].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٥/٣٩٧.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر: ٨/٢٨٢ ـ ٢٨٤، تر: ٧٠٨٧.

(٣) الفهرست لابن نديم: ١٤٤.

(٤) أ ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ٢٢٥، تر: ١٥٤٣.
ب ـ حدائق الأنوار ـ المقدمة: ٢٤ ـ ٢٥.

وبعد موسى بن عقبة، ومعمر بن راشد من هذه الطبقة الثالثة يأتي شيخ علماء السيرة والمغازي /أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطّلبي ولاء، المدني ولادة، ونشأة وتكويناً. أقدم مؤرخي العرب، غطّت شهرة كتابه في المغازي، والسيرة، جميع من سبقه، وعاصره، وهو أول كتاب وصل إلينا كاملاً، وقد هذّبه ابن هشام ونشره باسم السيرة النّبوية، ثم عزاها النّاس إليه.

١٠ ـ محمد ابن إسحاق

ولد /محمد بن إسحاق بالمدينة حوالي ٨٥هـ /٧٠٤م، وكان مولى لقيس بن مخرمة بن المطلب بن عبدمناف، وانصرف من صغره إلى الحديث وروايته، فكان يختلف إلى مجالس العلماء للسماع والرواية. والتفقّه والدراية، فسمع من عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، وعبدالله ابن أبي بكر بن حزم، ومحمد بن مسلم الزّهري، فنراه كثيراً ما يرجع إلى هؤلاء الثلاثة في كتابه «المغازي» كما نراه يجمع الأخبار من كلّ مكان، فيذكر قرابة مائة راوٍ بالمدينة وحدها. وعندما بلغه أن بالإسكندرية علماء متضلعين في الحديث، شد الرحال إليهم في سنة ١١٥هـ /٧٣٣م. فاجتمع بيزيد بن أبي حبيب وأخذ عنه الحديث. . .

ويعد ابن أبي حبيب [ت: ١٢٨/ ٧٤٥م] أول من نشر الحديث وروايته في البلاد المصرية. كما أخذ عن عبدالله بن المغيرة، وثمامة بن شفين، وعبيدالله بن أبي جعفر، والقاسم بن قزمان، والسكن بن أبي كريمة، وانفرد برواية الحديث عن هؤلاء، ولم يروها لهم غيره. وعند استيفائه ما عندهم أو كاد، عاد ابن إسحاق إلى المدينة فأبرزه أستاذه ابن شهاب الزّهري للحاضرين في عام ١٢٣هـ /٧٤١م. فأقام بها يأخذ ويعطي، ويستفيد ويفيد، ثم غادرها من جديد، مولياً وجهته إلى العراق، فزار الكوفة، وبغداد، والجزيرة، والرّي.

ويذكر ابن سيد الناس اليعمري أنّ من أهم أسباب ترك ابن إسحاق للمدينة هو عداوة هشام بن عروة، ومالك بن أنس له. أما هشام فإنه استنكر على ابن إسحاق أن يروي عن زوجته فاطمة بنت المنذر بن

الزبير بن العوام، لما قيل له: إن ابن إسحاق يحدّث بكذا وكذا عن زوجتك فاطمة، فقال: كذب الخبيث، العدوّ لله الكذّاب، يروي عن امرأتي؟ من أين رآها؟

وليست الرّواية عن النّساء من غير نظر إليهن ممّا يجرّح به الإنسان! فإنّ أهل المدينة يرون الكتابة جائزة في الرّواية، فيكون ابن إسحاق قد روى عن فاطمة مراسلة، أو أنّه سمع منها، وبينهما حجاب[1] وأمّا الإمام مالك بن أنس فقد كره من ابن إسحاق تتبّعه غزوات النبي ﷺ من أبناء اليهود الذين أسلموا، وحفظوا قصة خيبر، وبني قريظة، وبني النضير، وما أشبه ذلك من غرائب أسلافهم، وكان مالك لا يرى الرّواية إلاّ عن متقن صدوق، غير متّهم. كما كان ابن إسحاق يزعم أن مالك بن أنس من موالي ذي أصبح أحد ملوك اليمن، بينما مالك يرى نفسه من أنفس اليمن صليبة، لا من مواليها، والرجل أعلم بنسبه من غيره، وتأبى له عدالته وإمامته أن يخالف قولُه علمه فوقع بين الرجلين ما وقع! وكان بينهما ما يكون بين النّاس، والمعاصرة حرمان، ولما صنف الإمام مالك كتابه «الموطأ» وأخرجه للناس، بعد بحثٍ وجهدٍ استمر زمناً طويلاً، قال ابن إسحاق: ائتوني به فأنا بيطاره. فنقل ذلك إلى مالك فقال: هذا دجّال من الدجاجلة يروي عن اليهود[2].

ونرى ابن النديم يتأثر بقول مالك، وهشام بن عروة، ويصف ابن إسحاق بأنّه مطعون فيه، غير مرضي الطريقة، ويقال كان يعمل له الأشعار ويؤتى بها، ويسأل أن يدخلها في كتابه في السيرة، ففعل، فضمّن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر، وأخطأ في النسب الذي أورده في كتابه، وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم أهل العلم الأول. وأصحاب الحديث يضعفونه ويتهمونه[3].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، المقدمة: م.
(٢) عيون الأثر لابن سيد الناس اليعمري: ٦٦/١ ـ ٦٧.
(٣) الفهرست لابن النديم: ١٤٢.

والحقيقة أن هذه الحملة على ابن إسحاق كان فيها كثير من التحمّل، فالرجل يكاد يُجمع على عدالته وثقته وصدقه أغلب المؤرخين والمحدّثين وعلماء الجرح والتعديل، فمكانته من الحديث والمغازي والسيرة عظيمة.

قال علي بن المديني: مدار حديث رسول الله ﷺ على ستة، فذكرهم، ثم قال: فصار علم الستّة عند اثني عشر فذكر فيهم محمد بن إسحاق.

وقال سمعت سفيان بن عيينة يقول: إن ابن شهاب الزّهري لما سئل عن مغازيه قال ـ مشيراً إلى ابن إسحاق ـ هذا أعلم النّاس بها، وكان يتلقّف المغازي منه فيما يحدّثه عن عاصم بن عمر بن قتادة.

وقال ابن عيينة: رأيت الزّهري قال لمحمد بن إسحاق: أين كنت؟ فقال: هل يصل إليك أحد؟ قال: فدعا حاجبه، وقال: لا تحجبه إذا جاء. وقال: جالست ابن إسحاق منذ بضع وسبعين سنة وما يتّهمه أحد من أهل المدينة، ولا يقول فيه شيئاً.

وقال عاصم بن عمر: لا يزال في الناس علم ما بقي ابن إسحاق.

وقال الإمام البخاري: رأيت علي بن عبدالله يحتجّ بحديث ابن إسحاق، ويقول: ما رأيت أحداً يتّهمه.

وقال البخاري: قال لي إبراهيم بن حمزة: كان عند إبراهيم بن سعد ـ من الأحاديث التي رواها ـ عن ابن إسحاق نحو من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام، سوى المغازي، وكان إبراهيم بن سعد من أكثر أهل المدينة حديثاً في زمانه.

وابن إسحاق غزير العلم، متعدّد المعارف، واسع الاطلاع، كثير الرّواية.

روى النفيلي محمد بن عبدالله بن نمير عن عبدالله بن فائد قال: كنّا إذا جلسنا إلى ابن إسحاق، فأخذ في فنّ من العلم قضى مجلسه في ذلك الفن.

وقال سفيان بن عيينة سمعت شعبة بن الحجاج يقول: محمد بن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث. فقيل له: لم؟ قال: لحفظه، ولو سوّد أحد في الحديث سوّد محمد بن إسحاق.

وقال أبو زرعة عبدالرحمٰن بن عمرو الدمشقي: ابن إسحاق رجل قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه. وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقاً، وخيراً، مع مدح ابن شهاب له.

وقد ذاكرت دحيماً بقول مالك فيه، فرأى أنّ ذلك ليس للحديث، وإنّما اتّهمه بالقدر.

وقال أبو سليمان الجوزجاني: الناس يشتهون حديثه، وكان يرمى بغير نوع من البدع.

وقال موسى بن هارون: سمعت النّفيلي يقول: كان محمد بن إسحاق يرمى بالقدر وكان أبعد النّاس منه. وقال يعقوب بن سفيان: سألت ابن المديني: كيف حديث ابن إسحاق عندك؟ قال: يحتج به. قلت له: فكلام مالك فيه؟ قال: مالك لم يجالسه ولم يعرفه...

قلت له: وهشام بن عروة قد تحدّث فيه؟ قال: على الذي قال هشام ليس بحجّة، لعله دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها[1].

سيرة ابن إسحاق:

لقد وصلت إلينا سيرة ابن إسحاق من عدة طرق، أشهرها رواية عبدالملك بن هشام، عن زياد بن عبدالله البكائي [ت: ١٨٣]، ومن أهمها رواية ابن بكير، ولكن هذه الرواية لم تصل إلينا كاملة، وإنما وجدنا قطعاً كثيرة منها مبثوثة عند ابن سعد، وابن الأثير، وابن كثير.

وقد عثر على قطعة منها، مخطوطة في خزانة جامعة القرويين بفاس،

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر: ٣٥/٧ ـ ٤١، تر: ٥٩٢٩.

قام بتحقيقها الأستاذ محمد حميد الله[1] وهي تشتمل على الجزء الأول من الكتاب، تحت عنوان: سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ، والمبعث، والمغازي.

وقبل تحقيق هذه القطعة، ونشرها، قام الدكتور سهيل زكار بتحقيق قطعتين مهمتين تعودان إلى القسم الثالث من سيرة محمد بن إسحاق. ويكاد هذا القسم يغطي الفترتين: المكيّة، والمدينة، من حياة الرسول ﷺ، إلى نهاية غزوة أحد.

فالقطعة الأولى فيها نسختان مخطوطتان بالمغرب الأقصى: نسخة بمكتبة القرويين بفاس، وتحتوي على مائة واثنتين وخمسين لوحة [١٥٢]، ونسخة ثانية بالخزانة العامّة بالرباط، وتحتوي على مائة وست وستين لوحة [١٦٦]، وتشتمل هذه القطعة على خمسة أجزاء صغيرة كل جزء منها يحمل عنوان: الجزء الأول من كتاب المغازي، رواية يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق، والجزء الثاني... والثالث... والرابع... والخامس... وأمّا القطعة الثانية فهي عبارة عن لوحات تشتمل على جزء صغير يحمل عنوان: الجزء الثالث من كتاب المغازي، يحتوي على حوالي ثلاثين لوحة وهذه القطعة عثر عليها في المكتبة الظاهرية بدمشق[2].

ونجد محمد بن جرير الطبري قد اعتمد في تاريخه على رواية سلمة ابن الفضل بن الأبرش الأنصاري، كما نجد ابن سعد في طبقاته قد اعتمد على رواية هارون بن سعد، زيادة على رواية ابن بكير. ولكن رواية ابن هشام عن البكائي، تبقى هي الأقرب، والأمثل، من غيرها، مع أنها لا تمثّل النّص الكامل لسيرة ابن إسحاق، لأنهما ـ أي ابن هشام والبكائي ـ قد غيّرا في النص، وطرحا من السيرة النبوية تلك الموضوعات التي اعترض

(١) طبعته طبعة رديئة دار الخاني للنشر والتوزيع بالرياض، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) كتاب السير والمغازي لمحمد بن إسحاق، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، الطبعة الأولى: ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

عليها النقاد، كبدء الخليقة. وقصص الأنبياء، والشعر المنحول[1].

كما اعترف بذلك ابن هشام في المقدمة التي كتبها «للسيرة النبوية».

أمّا تاريخ كتابة ابن إسحاق لكتابه، والسّبب الذي دعاه إلى تأليفه. فإنّ بعض كتب التاريخ والسير تذكر: أن محمد بن إسحاق لما التحق بالعراق، ودخل على الخليفة العباسي المنصور، ببغداد، أو الحيرة، وبين يديه ابنه المهدي، فقال له المنصور: أتعرف هذا يا ابن إسحاق؟ قال: نعم. هذا ابن أمير المؤمنين، فقال: اذهب فصنّف له كتاباً منذ خلق الله آدم إلى يومك هذا.

فذهب ابن إسحاق فصنّف هذا الكتاب المشتمل على المبتدأ، والمبعث، والمغازي، فقدّمه إلى المنصور، فقال له: لقد طوّلته يا ابن إسحاق! اذهب، فاختصره، وألقى الكتاب الكبير في خزانة المنصور. ولكن هذا الرأي ليس مجمعاً عليه من الباحثين، بل يرى بعض الدارسين أن ابن إسحاق لم يؤلف كتابه للمنصور، ولا في بغداد، أو الحيرة.

وإنّما ألّفه في المدينة المنورة، ويستدل على ذلك بأنّ جميع من روى عنهم ابن إسحاق في كتابه إنّما هم مدنيون، أو مصريون، وليس فيهم أحد من أهل العراق. وأنّ تلميذه إبراهيم بن سعد المدني قد رواه عنه بالمدينة قبل أن يغادرها إلى العراق. يضاف إلى ذلك أنّ في الكتاب ذكراً لحوادث ما كان العباسيون ليرضوا عنها، مثل مشاركة العباس مع كفار قريش، في غزوة بدر الكبرى، وأسر المسلمين إياه، وأنّه لم يفك أسره إلاّ بعد دفع الفدية للمسلمين، ذلك الخبر الذي نرى ابن هشام يحذفه من كتابه، خوفاً من العباسيين.

ويمكن الجمع بين الرأيين بأن نقول: إنّ الأصول الأولى للكتاب كانت مهيأة عند ابن إسحاق، ولما طلب منه الخليفة تأليف الكتاب في التاريخ العام، والسيرة النّبوية العطرة، أخرج ما كان عنده من النصوص والمادة الأولية. وهذّبها، وصنّفها، وقسمّها إلى ثلاثة أقسام:

(١) كتاب المغازي للواقدي، المقدمة: ٢٦ ـ ٢٧.

القسم الأول: «المبتدأ» تناول في فصوله الأربعة تاريخ الرّسالات السّماوية السابقة، وتاريخ اليمن قبل الإسلام، وتاريخ القبائل العربية، وما كانت تعبد، وتاريخ مكّة وأجداد الرسول ﷺ، ولا يهتم ابن إسحاق في هذا القسم بالأسانيد إلاّ نادراً، ويستقي أخباره من الأساطير، والإسرائيليات، أهل العلم الأول.

والقسم الثاني: يشتمل على حياة الرسول ﷺ في مكة، والمدينة، ويعتني هنا بذكر الأسانيد، ويدوّن في قوائم، أسماء من أسلم بدعوة أبي بكر الصديق، وأسماء من هاجر إلى الحبشة ومن عاد منهم إلى مكة، لما بلغهم إسلام أهلها، ويهتم بالترتيب الزّمني للحوادث.

وأما القسم الثالث: والأخير فتناول فيه حياة النبي ﷺ في المدينة المنورة، وسراياه، وغزواته، إلى حين وفاته، وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، ونراه يفعل في هذا القسم ما فعله في الذي قبله، من العناية بالمصادر، والأسانيد، والترتيب الزمني، مع ذكر القوائم، لأسماء المشاركين في تلكم البعوث والغزوات، والذين استشهدوا في تلك المعارك والفتوحات من المؤمنين.

ونختم الحديث عن ابن إسحاق، وسيرته بالكلمة التي قالها فيه ابن عدي أبو أحمد عبدالله الجرجاني وهي خير ما نختم به الحديث عنه حيث يقول: ولمحمد بن إسحاق حديث كثير، وقد روى عنه أئمة الناس.

ولو لم يكن له من الفضل إلاّ أنّه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب من لا يحصل منها شيء إلى الاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ، ومبعثه، ومبدأ الخلق لكانت هذه فضيلة سبق إليها، وقد صنّفها بعده قوم فلم يبلغوا مبلغه، وقد فتّشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد فيها ما يتهيّأ أن يقطع عليه بالضعف، وربّما أخطأ، أو يهم في الشيء بعد الشيء كما يخطىء غيره، وهو لا بأس به[1].

وتوفي ابن إسحاق ببغداد، ودفن بمقبرة الخيزران أم هارون الرشيد،

---

(١) تهذيب التّهذيب لابن حجر: ٣٩/٧ ـ ٤٠.

وقد اختلف في سنة وفاته ما بين ١٥٠ ـ ١٥٣، والمشهور أنّه توفي سنة ١٥١هـ ـ ٧٦٨م[1].

١١ ـ أبو معشر المدني

ومن الذين لهم رواية وعناية في السيرة والمغازي، من الموالي /أبو معشر المدني نجيح بن عبدالرحمٰن السّندي مولى بني هاشم، مشهور بكنيته، كان اسمه عبدالرحمٰن بن هلال، فسُرِق وبيع بالمدينة، وسمّي نجيحاً، ثم اشتُري لأم موسى بن المهدي فأعتقته، فصار ميراثه لبني هاشم.

قال عنه ابن حجر: أصله من اليمن، وسبي في وقعة يزيد بن المهلب، باليمامة، والبحرين، وكان أبيض، أزرق سميناً. ولما قدم ـ الخليفة المهدي إلى المدينة، سنة ستين ومائة، استصحبه معه إلى العراق. وأبو معشر يعدّ من التّابعين، فقد رأى أمامة بن سهل بن حنيف، وروى عن سعيد بن المسيّب، وهشام بن عروة، ومحمد بن كعب القرظي، وسعيد بن أبي سعيد المقبري، وغيرهم من كبار التابعين، من الفقهاء والمحدّثين. وروى عنه سفيان الثوري، والليث بن سعد، ووكيع، والواقدي، وآخرون.

وقد اختلف المحدّثون، وأهل العدل والتّجريح في صدقه، وحفظه، وعدالته وصحة روايته. فمنهم من قبل روايته، واحتجّ بها، واعتمدها، ومنهم من ردّها، وضعّفها، وأنكرها.

قال هشيم بن بشير السلمي: ما رأيت مدنياً يشبهه ولا أكيس منه.

وقال أبو حاتم الرّازي: كان أحمد يرضاه، ويقول عنه: إنّه كان بصيراً بالمغازي. وقال أبو زرعة الدمشقي: صدوق في الحديث وليس بالقويّ. وقال ابن سعد: كان كثير الحديث ضعيفاً.

وقال التّرمذي: تكلّم بعض أهل العلم فيه من قبل حفظه.

---

(١) أ ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ١٦٩، تر: ١١٠٥.
ب ـ طبقات فحول الشعراء لابن سلام: ٨ ـ ٩.
جـ ـ حدائق الأنوار، المقدمة: ٢٥ ـ ٣١.

وقال ابن عدي أبو أحمد عبدالله الجرجاني، ويعرف أيضاً بابن القطّان: حدّث عنه الثقات، ومع ضعفه يكتب حديثه.

وقال الخليلي أبو يعلى الخليل بن عبدالله: أبو معشر له مكان في العلم والتاريخ، وتاريخه احتجّ به الأئمة وضعّفوه في الحديث، وكان ينفرد بأحاديث. وأمسك الشّافعي عن الرّواية عنه. وقد تغيّر أبو معشر قبل وفاته بسنتين تغيّراً شديداً. لضعف جسمه وعقله.

ويتضّح من كثرة تجريحه، أنّه كان ضعيفاً من وجهة نظر المحدّثين، لضعف إسناده ولكنّه يعتبر ثقة، صدوقاً في المغازي، والتّاريخ، كما يتبين ذلك من الفقرات التي أوردها له ابن جرير الطبري في تاريخه في المغازي، فقد اشتملت على الأخبار من حياة النّبي ﷺ قبل الهجرة إلى المدينة المنورة. وتوفي أبو معشر المدني ببغداد سنة سبعين ومائة[1].

١٢ ـ محمد ابن عمر الواقدي

ويأتي بعد أبي معشر المدني /الواقدي أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي المدني القاضي، ولد بالمدينة المنّورة عام ثلاثين ومائة [١٣٠هـ] في آخر خلافة مروان بن محمد الأموي، وتتلمذ على شيوخ المدينة، وسمع الأئمة: مالك بن أنس، وعبدالرحمٰن بن عمر الأوزاعي، وسفيان الثوري، وأبا معشر المدني، وابن جريج، وابن أبي ذئب، ومعمر بن راشد، وخلائق كثيرة. ولم يرو عن ابن شهاب الزّهري مباشرة، وإنّما روى عن الرواة الذين رووا عنه، كما لم يرو عن محمد بن إسحاق لخروجه من المدينة قديماً، ولعدم توثيق أهل المدينة له.

وأخذ عنه الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وأبو عبيد القاسم بن

(١) أ ـ تاريخ الطبري: ٤٨٧/١.
ب ـ تقريب التهذيب لابن حجر: ٢٤١/٢، تر: ٧١٢٦.
ج ـ تهذيب التهذيب لابن حجر: ٤٨٢/٨ ـ ٤٨٤، تر: ٧٣٨٠.
د ـ الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣٠٩/٥.
هـ ـ الفهرست لابن النديم: ١٤٢.
و ـ كتاب المغازي للواقدي، المقدمة: ٢٨ ـ ٢٩.

سلام، وكاتبه محمد بن سعد، وأبو حسّان الزّيادي، وأبو بكر بن أبي شيبة، وغيرهم كثير، خرج من المدينة قاصداً بغداد عام ثمانين ومائة [١٨٠هـ] بسبب دين لحقه، ثم التحق بالشام والرقة، ثم عاد إلى بغداد، من جديد، فلم يزل بها، إلى أن قدم إليه المأمون من خراسان، فولاّه القضاء، فلم يزل قاضياً إلى أن وفته منيته، ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة سنة سبع ومائتين [٢٠٧هـ]، ودفن بمقابر الخيزران، وهو ابن ثمان وسبعين سنة. بعد عمر أفناه في طلب العلم ونشره.

وقد ذكره أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد، واصفاً إياه بقوله: هو ممّن طبّق شرق الأرض وغرْبها ذكره، ولم يخف على أحد، عرف أخيار النّاس أمره، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم، من المغازي، والسّير، والطّبقات، وأخبار النبي ﷺ والأحداث التي كانت في وقته، وبعد وفاته ﷺ، وكُتُب الفقه، واختلاف الناس في الحديث، وغير ذلك، وكان جواداً كريماً، مشهوراً بالسّخاء[١].

من هذا النص ندرك مكانة الواقدي العلمية. وكتابه في المغازي يمثّل الصّورة الأخيرة من مراحل تطوّر التأليف، في السيرة النبوية، في القرنين الأول والثاني للهجرة.

ونلاحظ أن أكثر النّقاد من المحدّثين الأوائل، كانوا يضعّفون الواقدي في الحديث، فقد قال فيه البخاري، والنّسائي، والدّارقطني، وأبو حاتم الرّازي. إنّه متروك الحديث مع سعة علمه. ولكنّ آراء المحدثين لم تكن ضدّ الواقدي بالإجماع، فقد وصفه عدد كبير منهم بالصدق، والثقة والأمانة.

قال إبراهيم الحربي: كان الواقدي أعلم الناس بأمر الإسلام، وأمّا الجاهلية فلم يعلم عنها شيئاً، وكان آمن الناس على أهل الإسلام، ومن قال: إنّ مسائل مالك بن أنس، وابن أبي ذئب تؤخذ عمّن هو أوثق منه فلا

---

(١) عيون الأثر لابن سيد الناس اليعمري: ١/٦٧ ـ ٦٨.

يصدّق، لأنّه يقول: سألت مالكاً، وسألت ابن أبي ذئب، وقد سئل الإمام مالك عن المرأة اليهودية التي سمّت النبي ﷺ بخيبر، ماذا فعل بها؟ فقال: ليس عندي بها علم. وسأسأل أهل العلم، فجاء إلى الواقدي فسأله عنها، فقال: الذي عندنا أنّه قتلها، فقال مالك للسائل: قد سألت أهل العلم فأخبروني أنّه قتلها.

وقال يعقوب بن شيبة: وممّا ذكر لنا أنّ مالكاً سئل عن قتل السّاحرة فقال: انظروا هل عند الواقدي في هذا شيء؟ فذاكروه ذلك. فأخبرهم بقتلها، فاقتنع مالك بالخبر لثقته بالواقدي.

وقال الدّراوردي: الواقدي أمير المؤمنين في الحديث. ولمّا سئل أبو عامر العقدي عنه، فقال: نحن نسأل عن الواقدي؟ إنّما يسأل هو عنا، ما كان يفيدنا الأحاديث والشيوخ بالمدينة إلاّ هو. كما وثّقه مصعب الزّبيري، وأبو يحيى الزّهري فقالا: هو ثقة مأمون، وقال أبو بكر الصاغاني: لولا أن الواقدي عندي ثقة ما حدّثت عنه، فقد حدّث عنه أربعة أئمة منهم: أبو بكر ابن أبي شيبة، وأبو عبيدة.

ونرى الحافظ أبا الفتح ابن سيد الناس اليعمري بعد أن استعرض آراء المحدثين وعلماء الجرح والتعديل واختلافهم في صدق الواقدي وتوثيقه، يعلق على تلك الأقوال بقوله: «سعة العلم مظنة لكثرة الإغراب، وكثرة الإغراب مظنة للتهمة. والواقدي غير مدفوع عن سعة العلم، فكثرت بذلك غرائبه. فقد روينا عن علي بن المديني أنه قال: للواقدي عشرون ألف حديث لم نسمع بها. وعن يحيى بن معين أنه قال: أغرب الواقدي على رسول الله ﷺ في عشرين ألف حديث، وقد روينا عنه من تتبع آثار الوقائع وسؤاله من أبناء الصّحابة، والشّهداء، ومواليهم، عن أحوال سلفهم ما يقتضي انفراداً برواة وأخبار لا تدخل الحصر، وكثيراً ما يطعن الراوي برواية وقعت له. من أنكر تلك الرواية عليه، واستغربها منه، ثم يظهر له أو لغيره بمتابعة متابع، أو سبب من الأسباب براءته من مقتضى الطعن فيخلص بذلك من العهدة[1].

---

(١) عيون الأثر: ٧١/١.

ومهما يكن من أمر فإنّ أمامة الواقدي في المغازي والسير لا تنكر، كما أن غزارة علمه، وكثرة كتبه، وتفوّقه على علماء عصره بالحفظ لا تخفى على أحد، من أهل العلم، والاختصاص، فهذا ابن النّديم يشهد له بقوله: كان الواقدي عالماً بالمغازي، والسير، والفتوح، واختلاف في الحديث، والفقه، والأحكام، والأخبار.

وقد خلّف بعد وفاته ستمائة قمطر كتباً، كل قمطر منها حمل رجلين، وكان له غلامان مملوكان يكتبان له الليل والنهار، وقبل ذلك بيع له كتب بألفي دينار(١).

وذكر يعقوب بن شيبة: أنّ الواقدي لما انتقل من مسكنه من الجانب الغربي، يقال: إنّه حمل كتبه على عشرين ومائة وقر، وقيل كانت كتبه ستمائة وقر. وقال ابن سعد كان الواقدي يقول: «ما من أحد إلاّ وكتبه أكثر من حفظه وحفظي أكثر من كتبي(٢).

١٣ ـ زياد ابن عبدالله البكائي

ومن العلماء بالسير والمغازي أبو محمد /زياد بن عبدالله بن الطفيل العامري البكائي الكوفي، روى سيرة رسول الله ﷺ عن محمد بن إسحاق، ورواها عنه عبدالملك بن هشام الذي رتّبها ونسبت إليه، وكان زياد صدوقاً، ثقة، خرّج له الإمام البخاري في الجهاد، ومسلم في عدّة مواضع من كتبه، وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل، وقال: ليس به بأس، حديثه حديث أهل الصدق، كما روى عنه عبدالله بن سعيد بن أبان الأموي، وهو من أقرانه، وأحمد بن عبدة الضبي، وغيرهم كثير.

وقال فيه وكيع بن الجرّاح: هو أشرف من أن يكذب.

وروى أبو داود عن ابن معين قوله: زياد البكائي في ابن إسحاق ثقة،

(١) الفهرست: ١٥٠.

(٢) أ ـ التهذيب: ٣٤٢/٧ ـ ٣٤٦، تر: ٦٤٢٧.
ب ـ تقريب التهذيب: ١١٧/٢، تر: ٦١٩٥.
جـ ـ عيون الأثر: ٦٧/١ ـ ٧٢.
د ـ كتاب المغازي، المقدمة: ٢٩ ـ ٣٥.

كأنه يضعّفه في غيره. ويؤيد هذا الرأي عبدالله بن إدريس حيث يقول فيه: ما أحد أثبت في ابن إسحاق منه. لأنّه أملى عليه إملاء مرتين، وذلك أنّه باع داره وخرج يدور مع ابن إسحاق حتّى سمع منه الكتاب. يقصد السيرة. وقال عثمان الدارمي: سألت ابن معين: عمّن اكتب المغازي، ممّن يروي عن يونس بن بكير، أو غيره؟ فقال: اكتب عن أصحاب البكائي، فهو لا بأس به في المغازي، وأمّا في غيرها فلا.

وقال محمد بن سعد: كان زياد عندهم ضعيفاً، وقد رووا عنه.

وقال ابن عدي: ولزياد أحاديث صالحة، وقد روى عنه الثقات من الناس وما أرى بروايته بأساً، ويؤيد هذا الرأي أبو زرعة، ويقول عنه: إنّه صدوق، أمّا أبو حاتم الرازي فيرى أن حديثه يكتب ولكن لا يحتج به، كأنّه يرى الاستئناس بروايته إذا عضّدت بغيرها، وقال النسائي: هو ضعيف ليس بالقوي.

وقال صالح جزرة: هو في نفسه ضعيف، لكن مِنْ أثبتهم في المغازي. ومن كلّ ما تقدّم من الآراء من النّقاد والمحدثين نعلم أنّ البكائي، أُجمِع عليه في المغازي والسير، وأنه صدوق، ثبت فيها، ومختلف فيه، في غيرها، فمنهم من يصفه بالصّدق والثقة في كل شيء ومنهم من يضعّفه، ويرى أنّه ليس بالقوي في غير المغازي، وتوفي البكائي بالكوفة عام ثلاثة وثمانين ومائة [١٨٣هـ](١).

١٤ ـ محمد ابن سعد

ومن الباحثين الثقات، والحفاظ الكبار الذين لهم عناية واهتمام بالسيرة، وأخبار الصحابة والتابعين أبو عبدالله /محمد بن سعد بن منيع الهاشمي مولاهم البصري، كاتب الواقدي، ونزيل بغداد، وصاحب الطبقات الكبرى.

---

(١) أ ـ التهذيب: ٣/١٩٥ ـ ١٩٧، تر: ٢١٥٤.
ب ـ تقريب التهذيب: ١/٣٢١، تر: ٢٠٩١.
جـ ـ ميزان الاعتدال: ٢/٩١ ـ ٩٢، تر: ٢٩٤٩.
د ـ وفيات الأعيان: ٢/٣٣٨ ـ ٣٣٩، تر: ٢٤٨.

كان ثقة، مستوراً، من أهل العلم، والفضل، والفهم، والعدالة. روى عن هشيم، والوليد بن مسلم، وابن عيينة، وابن علية، وخلق كثير يطول ذكرهم، وروى عنه أحمد بن عبيد، وابن أبي الدنيا، وآخرون، له من الكتب: كتاب «أخبار النبي ﷺ» وكتاب «الطبقات الكبرى» تحدّث فيه عن الصحابة والتابعين إلى عصره فأجاد فيه وأحسن.

وصفه كلٌ من كتب عنه بالصّدق، والفضل، والتّحرّي، وكثرة العلم، والرواية، قال الخطيب البغدادي: هو عندنا من أهل العدالة، وحديثه يدل على صدقه فإنّه يتحرّى في كثير من رواياته.

وقال الحسين بن فهم: توفي محمد بن سعد ببغداد في جمادى الأخيرة، سنة ثلاثين ومائتين [٢٣٠هـ] وهو ابن اثنتين وستين سنة، وكان كثير العلم، كثير الحديث، والرواية، كتب الحديثَ وغيره، من كتب الغريب والفقه[١].

١٥ ـ عبدالملك ابن هشام

ثم يأتي بعد محمد بن سعد أبو محمد /عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري العلاّمة النحوي، الأخباري، نشأ بالبصرة ثم نزخ إلى مصر، له كتاب التيجان لمعرفة ملوك الزمان، وشرح ما وقع في أشعار السير من الغريب، والقصائد الحميرية، ولكن شهرته اكتسبها بعنايته بالسّيرة النبوية التي سمعها من زياد البكائي، صاحب ابن إسحاق. فهذّبها وخفّف من أشعارها، وروى مواضع فيها عن عبدالوارث بن سعيد، وأبي عبيدة. ويكفيه شرفاً وفضلاً أنّ السيرة النبوية لابن إسحاق وصلتنا على يديه، سالمة كاملة، إلاّ ما اختصره منها أو حذفه لمصلحة رآها. فنراه يتعقب بالتحرير والاختصار، والنقد، كثيراً ممّا أورده ابن إسحاق، وفي بعض الأحيان يورد رواية أخرى

(١) أ ـ تقريب التهذيب: ٧٩/٢، تر: ٥٩٢٢.
ب ـ التهذيب: ١٧٠/٧، تر: ٦١٣٠.
جـ ـ الفهرست: ١٥١.
د ـ الأعلام للزركلي: ٦/٧.

في الموضع، فات ابن إسحاق ذكرُها، ولولاه لضاع هذا التّراث الإسلامي الضخم.

ونرى ابن هشام يقدّم كتابه بما يكشف لنا عن دستوره في التأليف، ونهجه في التّدوين، والمعالجة والبحث فيقول: «وأنا إن شاء الله مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما الصلاة والسلام ـ ومن وَلَدَ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من ولده، وأولادهم لأصلابهم، الأول فالأوّل، من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وما يعرض من حديثهم، وتاركٌ ذِكرَ غيرهم من ولد إسماعيل، على هذه الجهة للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، وتاركٌ بعضَ ما ذكره ابنُ إسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذِكرٌ، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقرّ لنا البكائي بروايته، ومستقص إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له، والعلم به»[(١)].

فابن هشام في هذا النّص يصرّح بأنه قد حذف من السيرة النبوية لابن إسحاق تاريخ الأنبياء، من آدم إلى إبراهيم الخليل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التّسليم، كما حذف من أولاد إسماعيل بن إبراهيم ممّن ليس لهم اتّصال بالشجرة النبوية الشريفة، كما أسقط من الأخبار ما يسوء ذكره، ومن الشعر ما لم تثبت نسبته، ونلاحظ أنّه لم يحذف كلّ شعر مشكوك فيه من كتابه، رغم إشارته والتزامه.

ويحدثنا الحافظ شمس الدّين الذهبي في «سيره» أنّ الإمام الشافعي لما قدم على مصر، وكان بها عبدالملك بن هشام، وكان علاّمة أهل مصر

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١ ـ ٤.

بالعربية، والشعر، فقيل له في المصير إلى الشافعي فتثاقل، ثم ذهب إليه، فقال: ما ظننت أنّ الله يخلق مثل الشافعي[1].

ومن هذا النص ندرك مكانة الإمامين: الشافعي، وابن هشام العلمية، واطّلاعهما الواسع، على الشعر وروايته، فقد تناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة، وأبدى كلّ منهما إعجابه بالآخر، ولكن الذي نريد الإشارة إليه أن ابن هشام حين ينقل عن ابن إسحاق أشعاراً في السيرة، وهي ظاهرة الوضع، فاسدة الطبع، واهية الرواية، لا يكاد يقول فيها رأيه، ولا يفنّد ذلك على ما له من خبرة ودراية، واطلاع ورواية، ونراه يكتفي بالتعليق عليها بقوله: هكذا حدّثنا أهل العلم بالشعر ناقلاً عنهم، غير محكّم ذوقه المكتسب، وفي بعض الأحيان، يعلّق بأن الشعر الذي حذفه مصنوع، ولذلك لم يثبته. ونشير أخيراً إلى أن ابن هشام توفي بمصر عام **٢١٣**هـ وقيل **٢١٨**هـ بعد عمر أفناه في خدمة العلم ورجاله. وأصبحت السيرة النبوية منسوبة إليه، حتّى ليكاد الناس ينسبون معه ابن إسحاق المؤلف الأساسي والواضع الأصلي لهذه السيرة النبوية العطرة[2].

١٦ - عبدالرحمن السهيلي الأندلسي

ومن العلماء الباحثين الذين لهم عناية خاصّة بالسيرة النّبوية العطرة /السّهيلي أبو القاسم عبدالرحمٰن بن أحمد بن أصبغ الخثعمي، المالقي الأندلسي، العلاّمة، الحافظ المولود عام ثمان وخمسمائة [٥٠٨هـ /١١١٤م] بقرية من قرى كورة مالقة يقال لها «سهيل» وسميت باسم هذا الكوكب الذي قيل عنه: إنّه لا يرى في جميع الأندلس إلاّ من جبل مطل على هذه القرية.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٤٢٨/١٠ ـ ٤٢٩، تر: ١٣١.

(٢) انظر: أ ـ البداية والنهاية: ٢٦٧/١٠.
ب ـ بغية الوعاة: ١١٥/٢، تر: ١٥٨٠.
جـ ـ الروض الأنف: ٢٤/١.
د ـ العبر في خبر من غبر: ٢٩٥/١.
هـ ـ وفيات الأعيان: ١٧٧/٣، تر: ٣٨٠.

نشأ السهيلي في قريته، وأخذ العلم عن شيوخها الكبار، ثم أخذ ينتقل من مدينة إلى أخرى، من مدن الأندلس، فسمع علماء عصره، ممّن كانت تزخر بهم الأندلس، في جميع التخصصات من عقيدة، وفقه، وأصول، وتاريخ، وعربية، وأدب، حتّى أصبح عَلَماً من الأعلام، الذين يشار إليهم بالبنان، وقد أصيب بالعمى، وعمره سبعة عشر ربيعاً، فزاده ذلك طلباً للعلم، وشغفاً بالبحث، وتفرّغاً لعلوم القرآن والحديث، فنبغ وفاق أقرانه، فانشرت شهرته، وطارت أخباره، وسعى إليه طلاب العلم والمعرفة يبتغون سماعه، والأخذ عنه، ووصلت أخباره إلى عاصمة الموحّدين مراكش، فطلبه أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن الموحدي واستقدمه، فأكرم مثواه، وأحسن إليه، وقرّبه إلى بلاطه، وولاّه قضاء الجماعة في عاصمته، فانتفع الطلاب بعلمه، كما استفادت الأمة من عدله واستقامته وحسن سيرته ـ ولم يعش بمراكش، إلاّ ثلاثة أعوام، حيث وافته منيته يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان عام واحد وثمانين وخمسمائة [٥٨١هـ /١١٨٥م] ودفن بمقبرة أصبحت تحمل اسمه إلى اليوم بمراكش[(١)] بعد عمر دام اثنين وسبعين عاماً، قضاه في طلب العلم ونشره تدريساً وتوجيهاً وتأليفاً. وقد ترك السهيلي عدة مؤلفات، أشهرها «الروض الأنف» في شرح السيرة النبوية لابن هشام، وهو كتاب نفيس مفيد، قال فيه الصفدي إنّه كتاب جليل، جوّد فيه ما شاء، وذكر في مقدمته أنه استخرجه من نيف وعشرين ومائة ديوان[(٢)].

وقد اعتمد عليه الشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي في أنواره، واتخذه دليله في مشواره، لما رآه فيه من علم غزير، واطلاع واسع، وفكر نيّر ثاقب، واتّفاق معه في التحاليل والاستنتاج، وبُعْدٍ عن كل تعصّب مقيت، وتجاف عن كل تعنّت مميت.

ومن مؤلفات أبي القاسم السهيلي «كتاب التعريف والإعلام بما في

(١) زرت قبره يوم الأحد بعد صلاة الظهر، التاسع عشر من رمضان ١٤١٨هـ ـ الواحد والعشرين جانفي ١٩٩٨.
(٢) نكت الهميان: ١٨٧.

القرآن من الأسماء والأعلام» و«كتاب نتائج النظر» و«شرح آية الوصية في الفرائض» و«مسألة رؤية الله عزَّ وجلَّ» و«رؤية النبي ﷺ في المنام»، وغير ذلك من تآليفه المفيدة، التي تدل على غزارة علمه، وقوّة ذاكرته، وحدّة ذكائه، وتنوّع معارفه. وقد ذكر الصفدي أنّ السهيلي ناظر علي بن الحسين بن الطراوة في كتاب سيبويه. وسمع منه كثيراً من مسائل اللغة والأدب، وذكر أنه قد جمع بين الرواية والدراية(١). ولم يطبع من كتبه إلاّ «الروض الأنف» الذي يشتمل على ألوان كثيرة من العلوم والمعارف، فكان فيه المؤرخ البصير، والأديب الأريب، واللغوي القدير، والإخباري الدقيق، والعالم بالقراءات، وكان مع كل ذلك شاعراً، وناظماً، وقد أورد له الصفدي في نكته، والمقري في نفحه عدداً من قصائده ومقطوعاته(٢).

ومن شعره مقطوعتُه المشهورة في الفرج، والتي قيل فيها، ما سأل الله بها أحَد في حاجة إلاّ أعطاه أياها. [من الكامل]:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعدّ لكل ما يتوقّع
يا من يُرجّى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن ... امنن فإن الخير عندك أجمع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... فإذا رُدِدتُ فأي باب أقرع
ما لي سوى فقري إليك وسيلة ... وبالافتقار إليك فقري أدفع
من ذا الذي أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لمجدك أن تُقنط عاصياً ... الفضل أجزل والمواهب أوسع

ونختم الحديث عن الإمام السهيلي بوصف أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزّبير الغرناطي له حيث يقول: كان واسع العرفة، غزير العلم، نحويّاً متقدّماً، أديباً لغوياً، عالماً بالتفسير، وصناعة الحديث، حافظاً للرجال والأنساب عارفاً بعلم الكلام وأصول الفقه، حافظاً للتاريخ القديم والحديث

---

(١) المصدر السابق: ١٨٧.

(٢) نفح الطيب: ١٠٢/٢.

نبيهاً ذكياً، صاحب اختراعات واستنباطات مستغربة، واهتداءات نبيهة، وتوالف جليلة[1].

١٧ ـ الخشني أبو ذر مصعب الجياني

ومن العلماء الأندلسيين الذين شاركوا السهيلي في العناية والدراسة والشرح للسيرة النبوية لابن إسحاق /مصعب بن أبي بكر محمد بن عبدالله بن مسعود الجياني الخشني أبو ذر، والمعروف أيضاً بابن أبي الركب.

ولد أبو ذر مصعب سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة [**٥٣٣هـ**] بمدينة جيان، التي تقع شرقي قرطبة وتبعد عنها بسبعة عشر فرسخاً، والخشني نسبة إلى خشين قرية بالأندلس، تسكنه قبيلة قضاعة. نشأ أبو ذر في جيان، وبها تعلّم، وعن شيوخها أخذ، وتكوّن، وعلى رأسهم أبوه، وعند بلوغه العاشرة من عمره انتقل إلى غرناطة مع أبيه الذي توفي بها وعمر أبي ذر أحد عشر عاماً، ثم رحل إلى فاس، ليأخذ العلم عن علمائها، ويسمع أبا عبيدالله النّمري، وأبا الحسن بن الحسين وغيرهما، ثم ينتقل إلى تلمسان ويجلس إلى حلقات أبي القاسم عبدالرحمٰن بن يحيى بن الحسن القرشي، وأبي مروان عبيدالله بن هشام الحضرمي، ثم يواصل رحلته العلمية، ويحلّ بمدينة بجاية ليسمع أبا بكر بن رزق، وأبا العباس الخروبي، وأبا إسحاق بن ملكون، وأبا محمد عبدالحق بن عبدالرحمٰن الإشبيلي، وجماعة سواهم، ثم يعود إلى الأندلس ليستقرّ بإشبيلية، لا مستمعاً طالباً بل إماماً خطيباً لمسجدها الجامع، ومدرّساً لطلاّبها علوم العربية التي أصبح متمكّناً منها، وبعد مدّة لا تحدّثنا كتب التّراجم والسير على زمانها، يعود أبو ذر الخشني إلى مسقط رأسه جيّان، فيتولّى فيها القضاء، والتدريس، ولكن حنينه إلى

---

(١) صلة الصلة: القسم الثالث، ص١٩٣ ـ ١٩٤، تر: **٣٣٧**، تحقيق الدكتور عبدالسلام الهراس، والشيخ سعيد أعراب. المغرب: **١٤١٣ ـ ١٩٩٣**.
وانظر ترجمته في:
أ ـ بغية الملتمس: **٣٦٧**، تر: **١٠٢٥**.
ب ـ تذكرة الحفاظ: **١٣٨٤/٢**، تر: **١٠٩٩**.
جـ ـ المغرب في حلى المغرب: **٤٤٨/١**.
هـ ـ وفيات الأعيان: **١٤٣/٣ ـ ١٤٤**.

فاس دعاه ليحط رحاله فيها وليصبح أستاذ العربية، والحديث بجامع القرويين، وكانت مهنة التّدريس محبوبة إلى نفسه، فقد جلس للعطاء ببلده جيّان، وبمدينة بجاية، وبإشبيلية، وسبتة، وأخيراً بفاس التي وافته منيته بها في ضحى يوم الاثنين الحادي عشر من شوال عام أربعة وستمائة (٦٠٤)، ودفن بعدوة القرويين بعد عمر أفناه في الترحال لطلب العلم ونشره، وكان وقور المجلس، حسن السمت، والهدي، على سنن السلف الصالح، ملتزماً لبيته، لا يخرج إلاّ لإقرائه، وللصلاة، وقد وصفه طلاّبه، وأقرانه بأنه كان نقّاداً للشعر، مطلق العنان في معرفة أنساب العرب وأشعارها، ولغاتها، متقدّماً في ذلك كله، ومتخصّصاً في إقراء كتاب سيبويه، ومعرفة غوامضه، وأغراضه، وله إملاء مستحسن على السيرة النبوية لابن إسحاق، وشرح ما ورد فيها من الغريب(١).

وإذا كان السّهيلي، والخشني قد تناولا السيرة النبوية لابن هشام بالشرح لما ورد فيها من الإجمال، والإبهام والغريب، فإنّ هناك جماعة من العلماء قد تناولوها بالاختصار، وحذف بعض ما يرونه زائداً فيها، وغير مفيد، نذكر من هؤلاء /برهان الدين إبراهيم بن محمد المرحّل الشافعي، وسمّى كتابه «الذخيرة في مختصر السيرة» وكان الفراغ منه عام أحد عشر وستمائة [٦١١هـ /١٢١٤م] ورتّبه على ثمانية عشر مجلساً(٢).

١٨ ـ برهان الدين المرحل

ويأتي بعده أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبدالرحمٰن، /عماد الدين الواسطي المولود في سنة سبع وخمسين وستمائة [٦٥٧هـ /١٢٥٨م]، وصفه الحافظ الذهبي بالإمام العارف الزاهد، القدوة، ومن السّادة السالكين الذين لهم أتباع ومريدون، كان يرتزق من النسخ، له نظم حسن، وعبارة عذبة،

١٩ ـ عماد الدين الواسطي

---

(١) انظر: أ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي: ٢٨٣/٢، تر: ١٩٩٨.
ب ـ التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار: ٧٠٠/٢ ـ ٧٠٢، تر: ١٧٨٥.
جـ ـ السيرة النبوية لابن هشام، المقدمة: ٢١/١.
د ـ صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير: ٧٦/٣ ـ ٧٧، تر: ٩٩.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام، المقدمة: ١٣.

وخط جميل جداً، ومشاركة في العلوم، اختصر السيرة النبوية لابن هشام، كما اختصر دلائل النبوة، ذكر ذلك ابن حجر، ولكنّ لم يبيّن أية دلائل اختصر؟

توفي في ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبعمائة[1] [٧١١هـ/١٣١١م].

وإذا كان بعض المؤلفين في السيرة النّبوية قد التزموا سيرة ابن إسحاق، وابن هشام من بعده، فاختصروا، وشرحوا، وعلّقوا، فإنّ هناك طائفة أخرى من المؤلفين لم يربطوا أنفسهم بمن سبقهم ولم ينهجوا طريقهم، بل اتخذوا لأنفسهم منهجاً مستقلاً، وسلكوا في البحث والتأليف، والاستنتاج مسلكاً آخر، فخرجوا بعناوين جديدة، فمنهم من اهتمّ بالمعجزات ودلائل النبوة، ومنهم من جعل عنايته تتبع الحوادث التاريخية، وتسلسل الغزوات وما فيها من العبر والدروس، ومنهم من جمع بين ذا وذاك. ونحن سنحاول ما استطعنا، وما وصل إليه جهدنا المتواضع، أن نتتبع حركة التأليف والإنتاج نثراً، وشعراً في السّيرة العطرة إلى أن نصل إلى القرن التاسع الهجري، وهو العصر الذي عاش فيه الإمام عبدالرحمٰن الثعالبي، وألف فيه كتاب الأنوار.

٢٠ ـ أبو سعد عبدالملك النيسابوري

ومن هؤلاء المؤلفين في السّيرة النبوية السالكين نهجاً جديداً فيها /أبو سعد عبدالملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي نسبة إلى خركوش ـ قرية تقع قرب نيسابور ـ التي ولد بها ونشأ، ثم رحل إلى العراق، والشام، ومصر، والحجاز، فسمع علماء هذه البلدان وأخذ عنهم، ونال إجازاتهم، وجاور بمكة عدة أعوام، ثم عاد إلى نيسابور حيث وافاه أجله بها سنة سبع وأربعمائة [٤٠٧هـ/١٠١٦م] بعد أن ترك عدّة مؤلفات نذكر منها «البشارة والنّذارة» في تفسير الأحلام، و«تهذيب الأسرار في طبقات الأخيار» وتفسيراً كبيراً، و«دلائل النّبوة»، و«شرف المصطفى»

---

(١) أ ـ الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي: ٢٩٩.
ب ـ ذيول العبر للذهبي: ٢٩/٤.
جـ ـ الدرر الكامنة لابن حجر: ٩٦/١، تر: ٢٤٠.

والكتابان الأخيران كان الثّعالبي يعتمد عليهما كثيراً وينقل منهما في كتابه «الأنوار» وكان أبو سعد النّيسابوري لا يأكل إلاّ من كسب يده، كان يعمل القلانس ويأمر ببيعها بحيث لا يدري أحد أنّها من صنع يده. وبنى في قريته «خركوش» داراً للمرضى، ومدرسة للتّعليم، وأوقف عليهما أوقافاً، كما وضع خزانة للكتب في المدرسة أوقفها على طلبة العلم والمعرفة. نقل ابن العماد في شذراته عن الحاكم النيسابوري قوله في أبي سعد: «لم أر أجمع منه علماً، وزهداً، وتواضعاً، وإرشاداً لله زاده الله توفيقاً، وأسعدنا بأيامه»(١).

٢١ - أبو نعيم أحمد الأصبهاني

ويأتي بعد أبي سعد النيسابوري /أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، تاج المحدثين. وأحد أعلام الدين، وأكابر الحفاظ المفيدين، ولد بأصبهان سنة ستٍّ وثلاثين وثلاثمائة، [٣٣٦هـ] واعتنى به أبوه من صغره، واستجاز له طائفة من شيوخ العصر ومحدّثيه، فأجاز له مشائخ الدنيا وله من العمر ستّ سنين، فأجاز له من واسط المعمر ابن عبدالله بن عمر بن شوذب، ومن نيسابور شيخها الكبير أبو العباس الأصم، ومن بغداد جعفر الخلوي، ومن الشام شيخها خيثمة بن سليمان.

وكان أول سماعه سنة أربع وأربعين وثلاث مائة [٣٤٤هـ] من عبدالله بن جعفر بن أحمد بن فارس، وأحمد بن بندار، وعبدالله بن الحسن بن بندار، والإمام الطبراني، وغيرهم كثير.

وتفرّد في الدنيا بعلوّ الإسناد مع الحفظ والاستجاز من الحديث.

بدأ رحلته العلمية سنة ست وخمسين وثلاث مائة [٣٥٦هـ] وعمره عشرون سنة، فتجوّل في خراسان، والعراق، والحجاز، فسمع بنيسابور أبا أحمد الحاكم، وحسينك التميمي، وغيرهما، وسمع ببغداد أبا علي بن

(١) أ ـ شذرات الذهب لابن العماد: ٣/١٨٤ ـ ١٨٥.
ب ـ الأعلام، للزركلي: ٤/٣١٠.
جـ ـ معجم المؤلفين، لرضا كحالة: ٢/٣٢١، تر: ٨٥٤٠.

الصّواف، وأبا بكر بن الهيثم الأنباري، وابن خلاّد النّصيبي، وطائفة. وبالكوفة أبا بكر عبدالله بن يحيى الطلحيّ، وجماعة، وبالبصرة فاروق بن عبدالكريم الخطابي، ومحمد بن علي بن مسلم العامري، وسواهما، وسمع بمكّة أبا بكر الآجري، وأحمد بن إبراهيم الكندي، وخلقاً كثيراً.

فلما عاد إلى بلده، وقد امتلأ علماً، واشتهر ذكره، وعلا صيته، وذاع أمره، رحل إليه الحفّاظ من الأقطار، للأخذ عنه، والسّماع منه، فروى عنه الحافظ أبو صالح المؤذن، وهبة الله بن محمد الشّيرازي، وسليمان بن إبراهيم الحافظ، وأبو بكر محمد بن إبراهيم العطّار، وخلق سواهم ممّن يطول ذكرهم.

قال أحمد بن محمد بن مردويه: كان أبو نعيم في وقته مرحولاً إليه، ولم يكن في أفق من الآفاق أسند ولا أحفظ منه، كان حفّاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده، فكان كل يوم نوبة واحد منهم يقرأ ما يريده إلى قرب الظهر، فإذا قام إلى داره ربّما كان يُقرأ عليه في الطريق جزء، وكان لا يضجر، لم يكن له غداء سوى التّصنيف، أو التسميع.

وقال حمزة بن العباس العلوي: كان أصحاب الحديث يقولون: «بقي أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير، لا يوجد شرقاً ولا غرباً أعلى إسناداً منه، ولا أحفظ».

وقال أبو محمد بن السّمرقندي: سمعت أبا بكر الخطيب يقول: لم أر أحداً أصدق عليه اسم الحفظ غير رجلين: أبو نعيم الأصبهاني، وأبو حازم العبدري الأعرج.

ولأبي نعيم مؤلفات كثيرة في السّير والتّاريخ، والحديث، منها: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ومعرفة الصحابة، وفضائل الصّحابة، وتاريخ أصبهان، ودلائل النّبوة، وهذا الأخير كثيراً ما يعود إليه الشيخ الثعالبي في أنواره.

ونذكر أخيراً أن أبا نعيم قد عمّر طويلاً، عاش أربعاً وتسعين سنة قضاها كلها في خدمة العلم ورجاله، وخاصّة علم الحديث والسّيرة النّبوية

العطرة، توفي بأصبهان في العشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة [٤٣٠هـ][(١)].

٢٢ ـ أبو الحسن علي ابن محمد الماوردي

وبعد أبي نعيم يأتي /أبو الحسن الماوردي علي بن محمد بن حبيب المولود بالبصرة سنة أربع وستين وثلاث مائة [٣٦٤هـ]، وبها نشأ وتكوّن ثم انتقل إلى بغداد التي كانت تزخر بالعلماء الكبار في كلّ التّخصصات العلمية، فتكوّن على أيديهم واستفاد منهم، حتّى أصبح علماً من الأعلام ونال مكانة عالية عند ملوك بني بويه، القابضين على الحكم في زمانه وتولّى لهم القضاء في بلدان كثيرة، وارتقى في أيام القائم بأمر الله العباسي إلى منصب «قاضي القضاة».

وللماوردي تصانيف مفيدة، في السياسة الشرعية، والسيرة النبوية تشهد له على اطلاعه الواسع، وعلمه الغزير، وتفكيره السليم، نذكر منها: «أعلام النّبوة»، و«الأحكام السّلطانية» و«أدب الدنيا والدّين» و«سياسة الملوك» و«الحاوي الكبير» في فروع فقه الإمام الشافعي، وغيرها.

توفي أبو الحسن الماوردي في ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة [٤٥٠هـ] عن ستّ وثمانين سنة[(٢)].

٢٣ ـ ابن حزم علي ابن أحمد الظاهري

وبعد الماوردي يأتي /ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام في زمانه،

---

(١) أ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي: ١٠٩٢/٢ ـ ١٠٩٧، تر: ٩٩٣.
ب ـ شذرات الذّهب لابن العماد: ٢٤٥/٣.
ج ـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ١٨/٤ ـ ٢٥، تر: ٢٥٣.
د ـ مرآة الجنان لليافعي: ٤١/٣.
هـ ـ الأعلام للزركلي: ١٥٠/١.
و ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة: ١٧٦/١، تر: ١٣١٨.

(٢) أ ـ شذرات الذهب لابن العماد: ٢٨٥/٣ ـ ٢٨٧.
ب ـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٢٦٧/٥ ـ ٢٨٥، تر: ٥٠٩.
ج ـ الأعلام للزركلي: ١٤٦/٥ ـ ١٤٧.
د ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة: ٤٩٩/٢، تر: ٩٩٣١.

ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة [٣٨٤هـ]، وكانت له ولأبيه قبله رئاسة الوزارة، وتدبير شؤون المملكة بقرطبة. ونراه في الأخير يزهد في السّلطة والحكم، وينصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين، ومن كبار المجتهدين، فانتقد كثيراً من المحدثين والفقهاء، فتمالؤوا عليه، وأجمعوا على تضليله، وحذّروا الحكام من فتنته، ونصحوا العوام من عدم السّماع له، والدّنو منه، حتّى لا يقعوا في شراكه، ويفتتنوا بآرائه ومذهبه الظّاهري. فأقصته الملوك وطاردته، ففرّ إلى البادية، ومعه مكتبته ومصنّفاته، واستقرّ في لبلة ـ كورة كبيرة تقع غرب قرطبة ـ من بلاد الأندلس، وبها توفي سنة ستّ وخمسين وأربع مائة [٤٥٦هـ] وقد ترك تراثاً ضخماً، ومؤلفات كثيرة في عدّة فنون من العلم، في الأدب، والشعر، والفقه، والسّيرة، والأصول، والأنساب، والملل والنحل...

قال ابنه الفضل: إنّه اجتمع عنده بخط أبيه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قرابة من ثمانين ألف ورقة. وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان.

أشهر مؤلفاته كتاب «المحلّى» في الفقه الظّاهري، ويقع في عدة أجزاء. و«الإحكام لأصول الأحكام» عدة مجلدات، و«الفصل في الملل والأهواء والنّحل» و«جمهرة أنساب العرب» وطوق الحمامة، في فلسفة الحب، وجوامع السيرة النبوية[١]. وهو كتاب صغير الحجم، مركّز، قسمه ابن حزم إلى ثلاثة أقسام: باب، وفصلين، ابتدأه بنسب رسول الله ﷺ وذكر مولده، ومبعثه، وسنه، وغزواته، وبعوثه، وختمه بحجّة الوداع[٢].

(١) طبع الكتاب في ٢١٦ صفحة من الحجم المتوسط، بلا تحقيق، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، بلا تاريخ.

(٢) أ ـ جذوة المقتبس للحميدي: ٣٠٨ ـ ٣١١، تر: ٧٠٨.
ب ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسّام: ١/ ١٦٧. تحقيق: الدكتور إحسان عباس.
جـ ـ شذرات الذهب لابن العماد: ٣/٢٩٩ ـ ٣٠٠.

٢٤ ـ أبو بكر أحمد البيهقي

ويأتي بعد ابن حزم الظاهري الحافظ النيسابوري /أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المولود في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة [٣٨٤هـ] في قرية من قرى بيهق بنيسابور يقال لها: خسْرَوْجِرد، ونشأ وتكوّن ببيهق وعلى يد علماء خراسان، ثم رحل إلى بغداد، والكوفة، والحجاز، فأخذ العلم من شيوخ هذه البلدان حتّى أصبح جبلاً من جبال العلم، وبلغ عدد شيوخه أكثر من مائة، أخذ علم التّوحيد والكلام على مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري، وسمع الكثير من أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي ـ وهو أكبر شيخ له ـ ومن أبي طاهر الزّيادي، وأبي عبدالله الحاكم، وأبي بكر بن فورك، وخلق من أصحاب الأصم بخراسان.

وسمع ببغداد من هلال الحفّار، وأبي الحسين بن شران، وجماعة، وبمكّة من أبي عبدالله بن نظيف، وغيره، ثم طُلِبَ من نيسابور فعاد إليها، وجلس للتّدريس والعطاء. فروى عنه الجمّ الغفير على رأسهم ولده إسماعيل وحفيده أبو الحسن عبيدالله بن محمد، وأبو عبدالله الفراوي، وآخرون.

ثم اشتغل بالتّصنيف والتأليف، بعد أن أصبح أوحد زمانه، وفارس ميدانه، وأحذق المحدّثين، وأحدّهم ذهناً، وأسرعهم فهماً، وبلغت مصنّفاته ألف جزء، ولم يتهيأ لأحد مثلها، نذكر منها: «السّنن الكبير» عدة مجلدات. فما صُنّف في علم الحديث مثله، تهذيباً وترتيباً، وجودة، و«السّنن والآثار»، فلا يستغني عنه مجتهد أو فقيه، و«الأسماء والصفّات»، وكتاب «الاعتقاد»، وكتاب «شعب الإيمان»، وكتاب «دلائل النبوة» ويقع في عدة أجزاء، وكان الشيخ الإمام الثعالبي كثيراً ما يعود إليه، ويستمد منه، وينقل عنه في أنواره.

قال تاج الدين السبكي، في طبقاته ـ بعد أن استعرض عدداً من مؤلفات البيهقي ـ فأقسم ما لواحد من هذه الكتب نظير، وأمّا كتاب «الخلافيات»، فلم يسبق إلى نوعه، ولم يصنّف مثله، وهو طريقة مستقلة حديثية، لا يقدر عليها إلاّ مبرّز في الفقه والحديث، قيّم بالنصوص.

والحقّ أنّ مصنفات البيهقي محكمة الترتيب، جيدة التهذيب، كثيرة الفوائد، يشهد من يراها من العارفين بأنها لم تتهيأ لأحد من السابقين له.

ونقل الحافظ الذهبي في تذكرته: أن أبا الحسن عبدالغافر ذكر في ناريخه: أن البيهقي كان واحد زمانه، وفرد أقرانه، وحافظ أوانه... قانعاً باليسير، متجملاً في زهده وورعه، معروفاً بالإتقان والضبط، من كبار أصحاب الحاكم، ويزيد عليه بأنواع من العلوم، كتب الحديث وحفظه من صباه، وتفقّه وبرع... جمع بين علم الحديث والفقه، وبيان علل الحديث، ووجه الجمع بين الأحاديث.

توفي البيهقي في نيسابور ونقل جثمانه إلى بلده وكان ذلك في العاشر من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة [٤٥٨][١].

٢٥ ـ أبو عمر يوسف ابن عبدالبر القرطبي

وبعد أبي بكر أحمد البيهقي يأتي الحافظ /أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي المالكي، من كبار حفّاظ الحديث ورجاله، ولد بقرطبة سنة ثمان وستين وثلاث مائة [٣٦٨هـ]، تلقّى معارفه في مسقط رأسه، علا رجال عظام، في الفقه، والحديث، والتاريخ، حتّى إذا اكتمل نضجه، وظهر نبوغه، واستوى عوده. بدأ تجواله في غرب الأندلس، وبقي هناك مدّة يستفيد ويفيد، ثم تحوّل إلى شرق الأندلس فسكن في كبار مدنه، دانية، وبلنسية، وشاطبة، وتولّى قضاء لشبونة، وشنترين، واستقر أخيراً بشاطبة التي توفي بها سنة ثلاث وستين وأربعمائة [٤٦٣هـ] بعد أن ترك عدة مؤلفات كلّها تنبىء عن غزارة علمه، وقوّة ذاكرته، نذكر منها «الدّرر في اختصار المغازي والسّير»[٢]، وكتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» أربعة أقسام، وهو كتاب مفيد[٣]، وكتاب «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد». وهو كتاب ضخم رتبه على

---

(١) أ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي: ١١٣/٣ ـ ١١٣٥، تر: ١٠١٤.
ب ـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٨/٤ ـ ١٦، تر: ٢٥٠.
ج ـ شذرات الذهب لابن العماد: ٣٠٤/٣.
د ـ الأعلام للزركلي: ١١٣/١.
هـ ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة: ١٢٩/١، تر: ١٢٤١٨.
(٢) طبعته دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلا تحقيق، ولا تاريخ.
(٣) طبعته مطبعة نهضة مصر ـ الفجالة ـ القاهرة ـ بتحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي.

أسماء شيوخ الإمام مالك على حروف المعجم، لم يتقدمه أحد لمثله، ويقِ
في أربعة وعشرين جزءاً[1].

قال أبو محمد علي بن حزم الظاهري منوّهاً بمكانة «التّمهيد» لا أعل
في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه.

ومن مصنفاته كتاب «الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء» ترجم فيـ
للأئمة: مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وكتاب «الإنصاف فيما بين العلما
من الاختلاف»، وغيرها من المؤلفات المفيدة، في الفقه، والقراءات.
والأدب، والأنساب[2].

٢٦ ـ ابن الدلائي الأندلسي

ومن المؤلفين في «دلائل النبوة» أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس بن
دلهاث الزغبي الغذري /الأندلسي المعروف بابن الدلائي نسبة إلى دلايـ
(Dalias) من أعمال المرية. جاور بمكة ثمانية أعوام مع والديه، وأخذ عن
علمائها. له زيادة عن دلائل النبوة كتاب «المسالك والممالك»، قيل إنه لم
يُصنّف مثله في بابه، حققه الأستاذ عبدالعزيز الأهواني. توفي بالمرية عام
٤٧٨هـ ـ ١٠٨٥[3].

٢٧ ـ القاضي عياض

وبعد ابن الدلائي الأندلسي يأتي /القاضي اليحصبي، عياض بن
موسى بن عياض أبو الفضل، الأندلسي الأصل، السبتيّ المولد والمنشأ،
استقرّ أجداده بجهة بسطة جيان ثم تحوّل جدّه إلى فاس، ثم سكن مدينة
سبتة التي ولد بها في منتصف شعبان سنة ستّ وسبعين وأربعمائة [٤٧٦هـ]
وسمع من مشيختها وتفقه على أيديهم، ثم رحل إلى الأندلس طلباً للعلم

---

(١) طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية الشقيقة، تولّى تحقيقه نخبة من كبار علماء المغرب، ١٤٠٢هـ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٨٢م ـ ١٩٩١م.

(٢) أ ـ بغية الملتمس، للضبي: ٤٨٩ ـ ٤٩١، تر: ١٤٤٣.
ب ـ المغرب في حلى المغرب، لستة من المؤلفين آخرهم لابن سعيد: ٤٠٧/٢ ـ ٤٠٨، تر: ٦٠٧.
جـ ـ الديباج المذهب لابن فرحون: ٣٥٧ ـ ٣٥٩.

(٣) أ ـ الأعلام: ١٧٩/١.
ب ـ جذوة المقتبس للحميدي: ١٣٦، تر: ٢٣٦.
جـ ـ كتاب الصلة لابن بشكوال: ٦٦/١، تر: ١٤١.

والسّماع، فأخذ بقرطبة على أبي الحسين سراج بن عبدالملك، وأبي محمد عتاب، وأبي عبدالله محمد بن علي بن حمدين، وأبي القاسم بن النّحاس، وابن رشد، وأبي القاسم بن بقي.. وغيرهم، ثم رحل منها إلى مرسية فسمع من أبي علي الغسّاني صحيحي البخاري، ومسلم، وأجاز له جميع مروياته كما أجاز له أبو عبدالله الخولاني، وأبو الوليد بن طريف، وأبو الأصبع بن عيسى بن أبي البحر الشنتريني، وغيرهم كثير، وشيوخه يقاربون المائة، ولقي من أعلامهم بسبتة: أبا عمران بن تليد، وأبا بكر بن عطية، وأبا بكر بن العربي، وكتب إليه من المشرق أبو نصر التّهاوندي، وأبو بكر الطرطوشي، وأبو طاهر السِّلفي، وأبو عبدالله المازري من المهدية.

وكان أبو الفضل عياض لا يدرك شأوه، ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث، وتقييد الآثار، وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه، والتّصرف الكامل في فهم معانيه، إلى اضطلاعه بالآداب، وتحقّقه في النظم والنّثر، ومهارته في الفقه، ومشاركته في العربية[1].

فهو جمال عصره، ومفخر أفقه، وينبوع المعرفة ومعدن الإفادة في الغرب الإسلامي.

قال أبو القاسم خلف بن عبدالملك المعروف بابن بشكوال: مبدياً إعجابه بأبي الفضل عياض، ومدى اهتمامه بالعلم ورجاله، وما كان يمتاز به من الذكاء والفهم: «وعُني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم، وجَمع من الحديث كثيراً، وله عناية كثيرة به، فاهتم بجمعه وتقييده..» وهو من أهل التفنّن في العلم والذكاء واليقظة والفهم واستقضي ببلده مدّة طويلة حمدت سيرته فيها، ثم نقل إلى غرناطة فلم يطل أمده بها.

قال: وقدم علينا قرطبة، في ربيع الآخر سنة ٥٣١هـ فأخذنا عنه بعض ما عنده وسمعته يقول: ما لكم تأخذون العلم عنّا وتستفيدونه منّا، ثم لا تترحّمون علينا[2]؟!.

---

(١) المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، لابن الأبار: ٣٠٦ـ٣٠٧، تر: ٢٧٩.

(٢) الصلة لابن بشكوال: ٤٥٣/٢ ـ ٤٥٤، تر: ٩٧٤.

وعاد عياض إلى سبتة ثانية، ومنها أُشخص إلى مراكش، وبها توفي يوم الجمعة السّابع من جمادى الثانية سنة أربع وأربعين وخمسمائة [٥٤٤هـ] ودفن بباب إيلاّن، داخل المدينة.

وللقاضي عياض مصنّفات مفيدة تناولها النّاس في حياته، وانتفعوا بها بعد وفاته، منها: «الشّفا بتعريف حقوق المصطفى» الذي كان الشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي يعتمد عليه كثيراً، وينقل عنه في أنواره، و«مشارق الأنوار على صحيح الآثار» في تفسير غريب حديث الموطأ، والبخاري، ومسلم، وإلى هذا الكتاب يشير أبو عمرو المعروف بابن الصلاح بقوله [من الطويل]:

مشارق أنوارٍ تسنّت بسبتة وذا عجب كون المشارق بالغرب

و«الإلماع في أصول الرواية والسّماع» و«العيون الستّة في أخبار سبتة» و«التّنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدوّنة» و«الإعلام بحدود قواعد الإسلام» و«مختصر مشارق الأنوار النّبويّة من صحاح الأخبار المصطفوية»، و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك»، وغيرها من الكتب المفيدة التي لا تزال تنتظر من يكشف عنها ويخرجها إلى عالم النّور والنّشر والتّحقيق، وعسى أن يكون ذلك قريباً حتّى تعمّ الفائدة، ويعلم غيرنا أنّ في غربنا الإسلامي كنوزاً وذخائر، وعقولاً ومفاخر[1].

٢٨ ـ أبو الربيع سليمان الكلاعي

ويأتي بعد القاضي عياض /أبو الربيع الكلاعي سليمان بن موسى بن سالم بن حسّان الحميري البلنسي الأندلسي، ولد ليلة الثلاثاء مستهل رمضان سنة خمس وتسعين وخمسمائة [٥٩٥هـ]. أخذ العلم على علماء بلنسية، ثم تجوّل في بلاد الأندلس والمغرب طلباً للعلم والمعرفة، فأخذ عن أبي

(١) أ ـ أزهار الرّياض في أخبار عياض، للمقري: ٢٣/١ وما بعدها.
ب ـ بغية الملتمس للضبي: ٤٢٥، تر: ١٢٦٩.
ج ـ تهذيب الأسماء واللغات للنووي: ٤٣/٢ ـ ٤٤، تر: ٤٥.
د ـ شذرات الذهب لابن العماد: ١٣٨/٤.
هـ ـ فهرس الفهارس للكتاني: ٧٩٧/٢، تر: ٤٤٦.
و ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة: ٥٨٨/٢ ـ ٥٨٩، تر: ١٠٥٧٥.

القاسم بن حَبيش، وأكثر عنه، وعن أبي عبدالله بن زرقون، وأبي عبدالله بن حميد، وأبي القاسم بن سرحون، وغيرهم، وأخذ عنه أبو عبدالله ابن حزب الله، وابن الأبّار، وأبو جعفر الطنّجالي، وغيرهم ممّن يطول ذكرهم. كان حافظاً للحديث، مبرّزاً في نقده، تام المعرفة بطرقه، ضابطاً لأحكام أسانيده، ذاكراً لرجاله، ريّاناً من الأدب، كاتباً خطيباً، بليغاً، تولّى القضاء ببلنسية بلده، فسار في أحكامه أحسن سيرة، وأحمد طريقة، عدلاً، وتثبّتاً وفضلاً. حسن الهيئة، والمركب، والملبس والصّورة، كريم النّفس، يطعم فقراء الطلبة، ويشجّعهم، ويتحمل مؤونتهم. وإليه كانت الرّحلة في عصره، للأخذ عنه والسّماع منه. ومؤلّفاته في الحديث، والسّير، والأدب تدلّ على رسوخ قدمه في المعارف، وبراعته في التأليف والانتقاد، وقدرته على الكتابة ومنزلته في البلاغة والإنشاء. نذكر منها: «مصباح الظلم» من حديث رسول الله ﷺ، و«الأربعون حديثاً عن أربعين شيخاً لأربعين من الصّحابة في أربعين معنى» و«حلية الأمالي في الموافقات العوالي» و«تحفة الرواد في العوالي البدلية الإسناد»، والاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء في أربعة مجلدات، وهذا الكتاب كان الشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي ينقل عنه، ويعتمد عليه كثيراً في كتابه «الأنوار» إلى غير ذلك من مصنّفاته المفيدة المشهورة.

وكان أبو الربيع الكلاعي من أولى العزم والبسالة والإقدام، يحضر الغزوات ويباشر بنفسه القتال، ويبلى البلاء الحسن، آخرها الغزوة التي استشهد فيها، والواقعة بأنيشة على ثلاثة فراسخ من بلنسية، والراية بيده، مقبلاً غير مدبر، وهو ينادي المنهزمين «أعن الجنّة تفرّون»؟ وكان ذلك ضحى يوم الخميس عشرين من ذي الحجّة سنة أربع وثلاثين وستمائة[1] [٦٣٤هـ].

---

(١) أ ـ الديباج المذهب لابن فرحون: ٣٨٥/١ ـ ٣٨٨، تر: ٨.
ب ـ الذيل والتكملة، للمراكشي: ٨٣/٤ ـ ٩٥، تر: ٢٠٣.
ج ـ المرقبة العليا للنبهاني: ١١٩ ـ ١٢٢.
د ـ الأعلام للزركلي: ١٩٩/٣.

٢٩ ـ ابن سيد الناس اليعمري

وبعد أبي الربيع الكلاعي يأتي /ابن سيد الناس اليعمري أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الربعي الإشبيلي الأصل القاهري المولد والمنشأ والوفاة، من بيت علم ورئاسة، قرأ وسمع وارتحل وكتب، وحدّث وأجاز، أخذ الحديث على والده، وعلى ابن دقيق العيد الذي لازمه سنين كثيرة، وكان هذا الأخير يحبّه ويؤثره، ويسمع كلامه ويثني عليه، ثم رحل إلى دمشق، فسمع ابن عساكر، والصّوري، وابن المجاور، وغيرهم، وأجاز له جمّ غفير من العراق، وإفريقية، ومشيخته تقارب الألف.

وكانِ طيّب الأخلاق، بسّاماً، صاحب دعابة، صدوقاً في الحديث، حجّة فيما ينقله، له بصر نافذ في الفنّ، وخبرة بالرّجال، ومعرفة بالاختلاف، ويد طولى في علم اللسان.

وقال البرزالي القاسم بن محمد الإشبيلي الدّمشقي: كان أبو الفتح اليعمري أحد الأعيان معرفة وإتقاناً وحفظاً للحديث وتفهّماً في علله وأسانيده، عالماً بصحيحه وسقيمه، مستحضر السّيرة، جميل الهيئة، كثير التّواضع، طيّب المجالسة، خفيف الرّوح، ظريفاً، عالماً بالأدب، له شعر رائق، ونثر فائق، محبّاً لطلبة الحديث، من تصانيفه: «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» ثم اختصره وسمّاه «نور العيون في سيرة الأمين المأمون» و«بشرى اللبيب في ذكرى الحبيب»، و«تحصيل الإصابة في تفضيل الصّحابة» و«الدرّ النّثير على أجوبة الشيخ أبي الحسن الصّغير»، في الفقه، وغيرها.

وكانت وفاته حادي عشر شعبان عام أربعة وثلاثين وسبعمائة [٧٣٤هـ] ومولده رابع ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وستمائة [٦٧١هـ][1].

---

(١) أ ـ الدرر الكامنة لابن حجر: ٣٣٠/٤ ـ ٣٣٥، تر: ٤٤٣٧.
ب ـ فوات الوفيات لابن شاكر: ٣٤٤/٢ ـ ٣٤٩، تر: ٣٨٢.
جـ ـ الأعلام للزركلي: ٢٦٣/٧.
د ـ معجم المؤلفين، لرضا كحالة: ٦٧٣/٣ ـ ٣٧٤، تر: ١٥٧٦٨.

٣٠ ـ أبو عبدالله شمس الدين الذهبي

ويأتي بعد ابن سيد الناس اليعمري /أبو عبدالله شمس الدّين الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، التّركماني الأصل الدّمشقي المولد والمنشأ والوفاة، العلاّمة المؤرخ النّاقد، طاف على كثير من البلدان طلباً للعلم، ورغبة في السّماع، ومجالسة العلماء من المحدّثين والفقهاء، طلب الحديث وهو ابن ثمان عشرة سنة، فسمع بدمشق من عمر بن القواس، وأحمد بن هبة الله بن عساكر، ويوسف بن أحمد الغسولي، وغيرهم. وبمصر على الشيخ الإمام ابن دقيق العيد، والحافظين أبي محمد الدّمياطي، وأبي العبّاس بن الظاهري، وسواهم، وبالإسكندرية من أبي الحسن علي بن أحمد العراقي، وأبي الحسين يحيى بن أحمد بن الصواف، وغيرهما، وببعلك من عبدالخالق بن علوان، وزينب بنت عمر بن كندي وغيرهما، وبحلب من سنقر الزّيني، وبنابلس من العماد بن بدران، وبمكة المكرمة من التّوزري، ومن شيوخ كثيرين يزيد عددهم عن الألف والمائتين. وسمع منه الجمّ الغفير، وما زال يخدم العلم ورجاله حتّى رسخت فيه قدمه، وتعب الليل والنّهار، وما تعب قلمُه ولسانُه، وضُربت باسمه الأمثال، وسار اسمه مسير لقبه الشّمس إلاّ أنّه لا يتقلّص إذا نزل الغيث، وحجبت السّماء بالسّحاب، ولا يدبر إذا أقبل الليل، فشمسه دائماً ساطعة لا تغيب. أقام بدمشق يرحل إليه من سائر البلدان، وتصل إليه الخطابات والأسئلة العلمية من كل ناد، وتناديه الألسنة والأقلام من قريب ومن بعيد، وبقي كذلك إلى حين وفاته ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة [٧٤٨هـ] وترك تصانيف كثيرة تقارب المائة ما بين كتاب كبير تتجاوز أجزاؤه العشرين إلى كتاب صغير. كما اختصر كتباً عدّة له ولغيره من المؤلفين. نذكر من مؤلفاته «التاريخ الكبير» في أزيد من عشرين مجلداً، و«سير أعلام النبلاء» في بضعة وعشرين جزءاً، و«العبر في خبر من غبر»، في عدّة أجزاء، و«ميزان الاعتدال في نقد الرجال» في عدّة أجزاء، و«تذكرة الحفّاظ»، و«الإعلام بوفيات الأعلام»، و«السيرة النبوية» جزآن، و«سيرة الخلفاء الراشدين»، والكتابان الأخيران وضعهما ضمن «سير أعلام النبلاء»، إلى غير ذلك ممّا يطول ذكره، فقد كان علاّمة زمانه في الرّجال،

وأحوالهم، دقيق النظر ثاقب الذّهب، قوي الذاكرة، وشهرته تغني عن الإطناب في حياته[1].

٣١ ـ ابن قيم الجوزية

ثم يأتي في التّرتيب الزمني الشيخ الإمام والحافظ الهمام أبو عبدالله /بن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزّرعي الدّمشقي، الملّقب بشمس الدين، المولود في السّابع من صفر عام واحد وتسعين وستمائة [٦٩١هـ] بدمشق وبها نشأ، وعلى علمائها تكوّن. فأخذ الغربية على المجد التّونسي وابن أبي الفتح، والفقه على المجد الحرّاني، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والأصول على الصّفي الهندي، والفرائض على والده، وغيرهم من علماء العصر في جميع التّخصّصات، ولكن الذي لازمه وتأثّر به أكثر من غيره هو الشيخ تقي الدين ابن تيمية الذي أحبّه، وجعله قدوته حتّى لا يكاد يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما ذهب إليه، وهو الذي هذّب كتبه ونشر علمه بعد وفاته. وكانت مدة ملازمته له ـ منذ عودته من مصر ـ اثني عشر عاماً وبسبب حبّه لشيخه، وانتصاره لمذهبه، وتفانيه في نشر آرائه سُجن معه في قلعة دمشق، وأُهين وعُذّب، وطيف به على جمل مضروباً بالعصى، ولم يخرج من سجنه إلاّ بعد وفاة شيخه. وكان ابن القيم جريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السّلف، أكبّ على الطلب منذ الصّغر، فاجتهد، وناظر، وجلس، وصبر، حتّى أصبح من أركان الإصلاح الإسلامي، ومن الأئمة الكبار في علم التفسير، والحديث، والأصول.

قال ابن كثير: كان ـ ابن القيم ـ ملازماً للاشتغال ليلاً ونهاراً، كثير الصّلاة والتلاوة، حسن الخلق، كثير التّودّد، لا يحسد ولا يحقد... لا

---

(١) أ ـ الدرر الكامنة لابن حجر: ٣/٢٢٦ ـ ٢٢٨، تر: ٣٤١٣.
ب ـ شذرات الذهب لابن العماد: ٦/١٥٣ ـ ١٥٧.
ج ـ فوات الوفيات لابن شاكر: ٢/١٨٣.
د ـ نكت الهميان للصفدي: ٢٤١.
هـ ـ الأعلام للزركلي: ٦/٢٢٢ ـ ٢٢٣.

أعرف في زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه، وكان يطيل الصّلاة جدّاً ويمدّ ركوعها وسجودها... وكان إذا صلّى الصّبح جلس مكانه يذكر الله حتّى يتعالى النّهار، ويقول: هذه غدوتي إن لم أقعدها سقطت قواي.... وبالصّبر والفقر تنال الإمامة في الدّين... ولا بدّ للسّالك من همّة تسيّره وترقيه، وعلم يبصره ويهديه[1].

وقال القاضي برهان الدين الزّرعي: ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه. وكان شديد المحبّة للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه واقتناء كتبه، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره، حتّى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً، سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم.

وصنّف وألف كثيراً من الكتب في شتى أنواع المعارف والعلوم، وكتب بخطه، ما لا يقدر عليه إلاّ القلائل من أهل الصّبر والعزم والثّبات. ومن تصانيفه المفيدة: «أعلام الموقعين عن ربّ العالمين»، في أصول الفقه، عدّة أجزاء، و«زاد المعاد في هدي خير العباد» في السيرة النبوية العطرة، عدّة أجزاء، و«حواش وزوائد على سنن أبي داود»، في إيضاح مشكلاته، والكلام على ما فيه من الأحاديث المعلولة، و«التّقريب إلى كتاب التّرغيب والتّرهيب» و«هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى» و«إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان»، و«الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» و«روضة المحبّين ونزه المشتاقين»[2] و«الوابل الطّيّب من الكلم الطيّب» وغيرها كثير، ويعلّق شيخ الإسلام شهاب الدين بن حجر بعد أن استعرض عدداً من مؤلفات ابن القيم بقوله: وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف، وهو طويل النّفس، فيها يتعانى الإيضاح جهده، فيسهب جدّاً، ومعظمها من كلام شيخه، يتصرّف في ذلك، وله في ذلك ملكة قوية، ولا يزال يدندن حول مفرداته وينصرها، ويحتج لها.

---

(١) الدرر الكامنة، لابن حجر: ٢١/٤، تر: ٣٥٨٦.

(٢) حققه عصام فارس الحرستاني، ومحمد يونس شعيب دار الجيل بيروت ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

وتوفي ابن القيم في ثالث عشر رجب، وقت العشاء الأخيرة سنة إحدى وخمسين وسبعمائة [٧٥١هـ][1].

٣٢ ـ ابن كثير إسماعيل بن عمر

ويأتي بعد ابن القيم الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ابن كثير بن ضوء البصروي الدّمشقي، المولود بقرية جندل من أعمال بصرى الشّام، التي تقع شرق دمشق، سنة سبعمائة أو إحدى وسبعمائة، [٧٠٠هـ/٧٠١هـ]، وفقد أباه الذي كان خطيباً لقريته، في السّنة الرّابعة من عمره، فرباه أخوه الشيخ عبدالوهاب الذي انتقل به إلى دمشق سنة ست وسبعمائة [٧٠٦هـ]، فنشأ بها، وتكوّن على علمائها، درس الفقه والحديث، وعلوم القرآن على الفحول من الرّجال، تفقّه على برهان الدين إبراهيم بن عبدالرحمٰن الفزاري، والكمال بن قاضي شهبة، وسمع من عيسى بن المعظم، ومن أحمد بن أبي طالب المعمّر، ومن إسحاق الآمدي، والقاسم بن عساكر، ولازم الشيخ جمال الدين الذهبي، وطائفة أخرى، وأجاز له من مصر أبو موسى القرافي وأبو الفتح الدّبوسي، وعلي بن عمر الواني، وغيرهم كثير. وأقبل على علم الأصول، والحديث، وحفظ المتون، والتّاريخ. حتّى أصبح علماً من الأعلام، في التّفسير والحديث، والفقه، والتّاريخ، وكان كثير الاستحضار، حسن الفكاهة، قليل النسيان، جيد الفهم، ثم تفرّغ للكتابة والتّدريس، فكثر طلاّبه، وتعدّدت مصنّفاته، وانتفع النّاس بها في حياته وبعد وفاته.

قال ابن حبيب فيه: إمام روى التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع، وجمع، وصنّف وأطرب الأسماع بالفتوى، وشنّف، وحدّث، وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضّبط والتحرير،

---

(1) أ ـ بغية الوعاة للسيوطي: ٦٢/١ ـ ٦٣، تر: ١١١.
ب ـ الدرر الكامنة لابن حجر: ٢١/٤ ـ ٢٣، تر: ٣٥٨٦.
جـ ـ شذرات الذهب لابن العماد: ١٦٨/٦ ـ ١٧٠.
د ـ الأعلام للزّركلي: ٢٨٠/٦ ـ ٢٨١.
هـ ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة: ١٦٤/٣، تر: ١٢٤١٨.

وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث، والتّفسير، وأصبح له تلاميذ وأصحاب منهم ابن حجي الذي شهد له بقوله: أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وما أعرف أنّي اجتمعت به على كثرة تردّدي عليه إلاّ واستفدت منه[١].

وتحدّث الحافظ ابن حجر عن مؤلفات ابن كثير، ومكانته العلمية فقال: سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها النّاس بعد وفاته، ولم يكن على طريق المحدّثين في تحصيل العوالي، وتمييز العالي من النّازل، ونحو ذلك من فنونهم، وإنّما هو من محدّثي الفقهاء[٢].

ونرى الإمام جلال الدّين السّيوطي يعلّق على القول بأنّ ابن كثير لم يكن من المحدّثين في تحصيل العوالي... قائلاً: «العمدة في علم الحديث معرفة صحيح الحديث وسقيمه، وعلله، واختلاف طرقه ورجاله، جرحاً وتعديلاً، وأمّا العوالي والنازل ونحو ذلك فهو من الفضلات لا من الأصول المهمّة...». ويعرّف ابن كثير بأنّه الإمام المحدّث، الحافظ، ذو الفضائل...، له التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله[٣].

ويقول عنه الحافظ الذّهبي: الإمام المفتي المحدّث البارع، فقيه متفنّن، ومفسّر نقّال، وله تصانيف مفيدة[٤].

ولابن كثير مؤلفات كثيرة تمتاز بطول النّفس، وأكثرها في الحديث وعلومه منها: تفسير القرآن الكريم، اعتمد فيه على التّفسير بالرّواية، فيفسر القرآن بالقرآن، ثم بالأحاديث يسوقها بأسانيدها، ثم ينقد تلك الأسانيد ويحكم عليها، ثم يذكر الآثار المروية عن الصّحابة والتّابعين، وينفر من

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد: ٢٣١/٦ ـ ٢٣٢.
(٢) الدرر الكامنة لابن حجر: ٤٠٠/١، تر: ٩٤٤.
(٣) ذيل تذكرة الحفّاظ للسيوطي: ٣٦١ ـ ٣٦٢.
(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي: ١٥٠٨/٢.

الإسرائليات والأخبار الضّعيفة، وإقحام الرأي والتّفلسف. وكتاب «التكميل في معرفة الثقات والضّعفاء والمجاهيل» جمع فيه بين كتابي تهذيب الكمال للمزي، وميزان الاعتدال للذّهبي، وزاد عليهما زيادات مفيدة دقيقة.

وكتاب «الهدي والسّنن في أحاديث المسانيد والسّنن» جمع فيه بين مسانيد الأئمة: أحمد، والبزّار، وأبي يعلى، وابن أبي شيبة، مع الكتب السّتة: ويعرف هذا الكتاب «بجامع المسانيد».

وكتاب «اختصار علوم الحديث لابن الصلاح» مع إضافات مفيدة، وتعليقات دقيقة[1] وكتاب «البداية والنهاية» وهو كتاب ضخم، وموسوعة تاريخية عامة، جرى فيه على نسق الكامل لابن الأثير ابتدأه بذكر قصص الأنبياء وأخبار الأمم السالفة وفقاً لما ورد في القرآن الكريم، والحديث النّبوي الشريف، ثم بذكر أحداث العرب وأخبارهم في الجاهلية، ثم بذكر سيرة الرسول ﷺ، من نسبه، وميلاد، ومبعثه، وهجرته، وغزواته، إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ثم يتابع الأحداث التّاريخية الإسلامية إلى سنة [٧٦٧هـ].

وقد عمد الأستاذ المحقق مصطفى عبدالواحد إلى كتاب «البداية والنهاية» ففصل عنه «السيرة النّبوية» وحقّقها وأخرجها مستقلّة في ثوب جديد، وعمل جادّ مفيد، تحت عِنوان «السيرة النّبوية لابن كثير». ونشير أخيراً إلى أنّ ابن كثير كان يقول الشعر وينظم نظماً وسطاً مثل قوله [من الطويل]:

تمرّ بنا الأيام تترى وإنّما ... نساق إلى الآجال والعين تنظر
فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى ... ولا زائل هذا المشيب المكدّر

وتوفي ابن كثير بعد أن فقد بصره في أواخر حياته، وذلك في يوم

(١) حقق الكتاب وعلق عليه الأستاذ الشيخ أحمد شاكر تحت عنوان: «الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث».

الخميس السادس والعشرين من شعبان عام أربعة وسبعين وسبعمائة [٧٧٤هـ] ودفن في مقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية(١).

٣٣ ـ قطب الدين عبدالكريم الحلبي

ومن المهتمين بالسّيرة النّبوية شرحاً وتعليقاً /قطب الدين عبدالكريم بن عبدالنّور بن منير الحلبي الأصل، المصري الإقامة والوفاة، حيث تناول بالشرح والتّعليق كتاب «الدرر المضيئة في السيرة النبوية» وسمّى شرحه الذي يقع في مجلدين «المورد العذب الهني في الكلام على سيرة عبدالغني»، وتوفي قطب الدين الحلبي عام خمسة وثلاثين وسبعمائة [٧٣٥هـ](٢).

٣٤ ـ الجماعيلي

وعبدالغني المشار إليه في آخر عنوان «المورد العذب» هو أبو محمد عبدالغني بن عبدالواحد بن علي المقدسي /الجماعيلي الدمشقي.

والجماعيلي نسبة إلى بلدة تسمى بهذا الاسم، وتقع قرب نابلس بفلسطين، والتي ولد فيها عام واحد وأربعين وخمسمائة [٥٤١هـ]، وانتقل به أبوه صغيراً إلى دمشق، فتعلّم بها، وأخذ عن علمائها، ثم ارتحل إلى أصبهان والإسكندرية، وتوفي بمصر عام ستمائة [٦٠٠هـ] وترك وراءه عدة مؤلفات منها «الكمال في أسماء الرجال» ذكر فيه أسماء الرجال الذين اشتملت عليهم كتب «الصّحاح السّتة» وكتاب «الدّرّة المضيئة في السيرة النبوية» التي شرحها وعلق عليها قطب الدين الحلبي(٣).

---

(١) أ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي: ١٥٠٨/٢.
ب ـ الدرر الكامنة لابن حجر: ٣٩٩/١ ـ ٤٠٠، تر: ٩٤٤.
جـ ـ ذيل تذكرة الحفّاظ للسيوطي: ٣٦١ ـ ٣٦٢.
د ـ ذيل تذكرة الحفّاظ للحسيني الدمشقي: ٥٧ ـ ٥٩.
هـ ـ شذرات الذهب لابن العماد: ٢٣١/٦ ـ ٢٣٢.
و ـ الأعلام للزركلي: ٣١٧/١ ـ ٣١٨.
ز ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة: ٣٧٣/١، تر: ٢٧٧٨.

(٢) أ ـ البداية والنهاية لابن كثير: ١٧١/١٤ ـ ١٧٢.
ب ـ ذيل تذكرة الحفّاظ للحسيني: ١٥١٣.

(٣) أ ـ تذكرة الحفاظ، للذهبي: ١٣٧٢/٢ ـ ١٣٨٧، تر: ١١١٢.
ب ـ شذرات الذهب لابن العماد: ٣٤٥/٤ ـ ٣٤٦.

ونرى كاتباً آخر يقوم بالتّلخيص والتّعليق لكتاب في السّيرة النّبوية هذا الكاتب هو قاسم بن قطلوبغا بن عبدالله الجمال المصري، زين الدين أبو العدل السّودوني ـ نسبة لمعتق أبيه ـ والكتاب الذي تولّى تلخيصه والتّعليق عليه هو «الإشارة إلى سيرة المصطفى وآثار من بعده من الخلفاء». وتوفي ابن قطلوبغا بالقاهرة سنة تسع وسبعين وثمانمائة [٨٧٩][١].

٣٥ ـ قطلوبغا

ومؤلف كتاب «الإشارة إلى سيرة المصطفى وآثار من بعده من الخلفاء» هو: علاء الدين أبو عبدالله /مغلطاي بن قليج بن عبدالله البكجري، المصري المولد والمنشأ والوفاة، التّركي الأصل، مؤرخ، عارف بالأنساب، من حفّاظ الحديث، نقّادة، له مآخذ على المحدّثين وأهل اللغة، مصنّفاته تزيد عن المائة، منها «الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم» وكتاب «الإشارة إلى سيرة المصطفى...» الذي اختصر به الزّهر الباسم، وانتهى به إلى نهاية الدّولة العباسية عام ستة وخمسين وستمائة [٦٥٦هـ] وكتاب «شرح البخاري» وهو كتاب ضخم، و«شرح سنن ابن ماجه» لم يكمله، سماه «الإعلام بسنّته عليه السلام» و«الواضح المبين فيمن استشهد من المحبين» وتوفي مغلطاي بالقاهرة سنة اثنتين وستين وسبعمائة [٧٦٢هـ][٢].

٣٦ ـ مغلطاي

وبعد الجمع والتأليف والشّرح، والتّعليق، والاختصار، يأتي دور النّظم والقافية فيبرز النّظامون، ويصوغون السّيرة النبوية لابن هشام في قالب الوزن والإيقاع تسهيلاً لحفظها، والتّغني بها، والتّرنّم بموسيقاها، فكان منهم أبو النّصر فتح بن موسى بن حماد الأموي الجزري القصري، نجم الدّين الخضراوي المغربي، الفقيه، العالم بالأدب، والحكمة، والمنطق. ولد في شهر رجب عام ثمانية وثمانين وخمسمائة [٥٨٨هـ]، تنقّل بين بغداد،

٣٧ ـ نجم الدين الخضراوي

---

(١) أ ـ شذرات الذهب لابن العماد: ٣٢٦/٧.
ب ـ الضوء اللامع للسخاوي: ١٨٤/٦ ـ ١٩٠، تر: ٦٣٥.
(٢) أ ـ الدرر الكامنة لابن حجر: ١٢٢/٥، تر: ٤٨٢٤.
ب ـ شذرات الذهب لابن العماد: ١٩٧/٦.
جـ ـ الأعلام للزركلي: ١٩٦/٨ ـ ١٩٧.

ودمشق، وحماة، ثم رحل إلى مصر بعد أن اكتمل نضجه، واستوى عوده، وظهرت نجابته، وذاعت شهرته في الفقه، والأصول، والنّحو، والعروض، فتولّى قضاء أسيوط. وأنجز عدّة مؤلّفات، نظماً، ونثراً، منها: «نظم كتاب المفصّل للزّمخشري» و«الوصول إلى السّول» في عدّة مجلدات، المجلد الأول منه في نظم السيرة النبوية لابن هشام، عدد أبياته ثلاثة وثمانون ومائة وثمانية آلاف [٨١٨٣]، كما نظم «إشارات ابن سيناء». وله كذلك «نظم في العروض».

توفي أبو النّصر يوم الأحد رابع جمادى الأولى من عام ثلاثة وستين وستمائة [٦٦٣هـ][(١)].

٣٨ ـ أبو إسحاق إبراهيم التلمساني

وبعده يأتي /أبو إسحاق الأنصاري التلمساني إبراهيم بن أبي بكر بن عبدالله، قرشي الأصل، تلمساني المولد والنّشأة، انتقل به أبوه إلى الأندلس، وهو ابن تسع سنوات، فاستوطن به غرناطة ثلاثة أعوام، ثم رحل إلى مالقة، فسكنها مدّة، وبها درس وتعلّم معظم قراءاته، ثم انتقل إلى سبتة فتزوّج بها، وبقي فيها إلى وفاته عام تسعين وستمائة [٦٩٠هـ].

ترجم له ابن الخطيب في إحاطته، ترجمة وافية مفيدة، ذكر فيها بأنه: كان فقيهاً، أديباً، شاعراً، محسناً، مبرّزاً في العدد والفرائض، وأن له عدة مصنّفات، منها: أرجوزة مشهورة في الفرائض، لم ينظم في فنّها أحسن منها، ثم قال: ومنظوماته في السّير، وأمداح النّبي ﷺ معروفة، وهو صاحب مطولات مجيدة، وأمداح مبدية في الإحسان مفيدة[(٢)].

---

(١) أ ـ بغية الوعاة للسيوطي: ٢٤٢/٢، تر: ١٨٩٣.
ب ـ السيرة النبوية لابن هشام، المقدمة: ك. ل.
جـ ـ الأعلام للزركلي: ٣٣٢/٥ ـ ٣٣٣.

(٢) أ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب، لسان الدين: ٣٢٦/١ ـ ٣٢٩، تحقيق: محمد عبدالله عنان، الطبعة الثانية، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
ب ـ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، لابن مريم: ٥٥ ـ ٥٦.
جـ ـ السيرة النبوية لابن هشام، المقدمة: ل.
د ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة: ١٦/١، تر: ٨٤.

٣٩ ـ عبدالعزيز ابن أحمد الديريني

ويأتي بعد أبي إسحاق التلمساني أبو محمد /عبدالعزيز بن أحمد بن سعيد الدّميري المعروف بالدّيريني، نسبة إلى ديرني، بلدة في غربية مصر، ولد بها عام اثني عشر وستمائة [٦١٢هـ]، اشتهر بالتفسير، وعلم الكلام، والتّاريخ، والفقه، والأدب، له عدّة مصنّفات، منها: «المصباح المنير في علم التّفسير» و«طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب» و«التّيسير في علوم التفسير» منظومة تزيد على ثلاثة آلاف بيت، و«الشجرة في سيرة النّبي ﷺ وأصحابه العشرة»، نظماً، توفي أبو محمد الدّيريني عام أربعة وتسعين وستمائة [٦٩٤هـ].

وفي المقدمة التي كتبها المحقّقون للسيرة النبوية لابن هشام أنه توفي في حدود سنة [٦٠٧هـ]، وذلك منهم وهم وخطأ[١].

٤٠ ـ محمد الزعيني

ويأتي بعده /محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الأندلسي الأصل، الفاسي المولد والمنشأ والوفاة، المعروف بالرّعيني، وبالسّراج، أبو عبدالله، الفقيه المحدّث الجامع بين العلم والعمل، قام بعدّة رحلات في المغرب والمشرق، واتّصل بعدد من الشخصيات العلمية، وأخذ عن نحو ستّين شيخاً من المغاربة والمشارقة منهم: أبو الحسن الصّغير، وعبدالرحمٰن الجزولي، وأبو سالم اليزناسي، وناصر الدين المشدّالي، وابن سيد النّاس اليعمري، وأبو حيان التوحيدي، وغيرهم. وأخذ عنه أبو زكرياء السّراج، وابن الأحمر وغيرهما. وله عدّة مصنّفات منها: «تحفة النّاظر ونزهة الخاطر» في غريب الحديث، و«الرّوضة البهية في البسملة والتّصلية»، و«مراسم الطريقة في فهم الحقيقة»، و«المغرب في جملة من صلحاء المشرق والمغرب»، و«تنبيه الغافل وتعليم الجاهل»، و«اختصار المقدمات لابن رشد»، و«اختصار حدود الشيرازي»، و«نظم مراحل الحجاز» يضاف إلى هذه المؤلفات ما له من نظم

---

(١) أ ـ السيرة النبوية لابن هشام، المقدمة: ك.
ب ـ شذرات الذهب لابن العماد: ٤٥٠/٥.
ج ـ الأعلام للزركلي: ١٣٧/٤.
د ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة: ١٥٧/٢، تر: ٧٣٠٤.

جيّد، وشعر رائق، ومدائح نبويّة، وكانت ولادته في الثامن من صفر سنة خمس وثمانين وستمائة [٦٨٥هـ] ووفاته سنة تسع وسبعين وسبعمائة [٧٧٩هـ][1].

٤١ ـ ابن جابر الأندلسي

ويأتي بعد أبي عبدالله الرُّعيني /ابن جابر الأندلسي محمد بن أحمد بن علي، أبو عبدالله الهواري المسدي النّحوي الضرير شمس الدين، ولد سنة ثمان وتسعين وستمائة [٦٩٨هـ] قرأ القرآن والنّحو على أبي الحسن علي بن محمد بن أبي العيش، ودرس الفقه على أبي عبدالله محمد بن سعيد الرّندي، وسمع الحديث على أبي عبدالله محمد الزّواوي، ثم رحل إلى المشرق صحبة أبي جعفر أحمد بن يوسف الغرناطي الرّعيني، واشتهرا بالأعمى والبصير، فنزلا في الديار المصرية، ثم حجّا، ورجعا إلى الشّام فأقاما بدمشق قليلاً ثم تحوّلا إلى حلب، سكنا البيرة. واستمرا بها نحواً من خمسين سنة، وفي الأخير تزوّج ابن جابر فتهاجرا، وكان ابن جابر يؤلف وينظم وأبو جعفر الرعيني يكتب ويسجل، ولم يزالا هكذا طول عمرهما، وقد سمعا بمصر من أبي حيان، وبدمشق من المزي، والجزري، وابن كميار، وحدّثا بحلب عن المزّي بصحيح البخاري.

ولابن جابر مصنّفات كثيرة، في النحو، والعربية والشرح، والشّعر. منها: شرح ألفية ابن مالك، وهو شرح مفيد يعتني بالإعراب للأبيات، نافع للمبتدئين، وشرح ألفية ابن معطي في عدة أجزاء، نظم فصيح ثعلب، وكفاية المتحفّظ للقاضي شهاب الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن الخوي المتوفّى سنة ثلاث وتسعين وستمائة [٦٩٣هـ] نظمها للملك المظفر يوسف بن عمر.

---

(١) أ ـ درة الرجال في أسماء الرجال لابن القاضي: ٢/٢٧٠، تر: ٧٧٦.
ب ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف: ٢٣٦، تر: ٨٤٨.
ج ـ فهرس الفهارس للكتاني: ١/٤٣٦، تر: ٢٢٠.
د ـ الأعلام للزركلي: ٧/١١ ـ ١٢.
هـ ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة: ٣/٣٢٣، تر: ١٣٢٨٣.

وذكره المقري في النّفح، في العلماء الأدباء المرتحلين من الأندلس إلى المشرق، وقال: إنّ له ديوان شعر، وأمداحاً نبوية في غاية الجودة، وهو صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان(١)، سلك فيها طريقة صفي الدين الحلّي، وسمّاها: «الحلّة السيرا في مدح خير الورى»، على قافية الميم، وشرحها صاحبه أبو جعفر أحمد الغرناطي.

وكان ابن جابر كثير النظم، عالماً بالعربية، انتفع به أهل الشّام، وتوفيّ في جمادى الثانية سنة ثمانين وسبعمائة [٧٨٠هـ] بالبيرة(٢).

٤٢ ـ ابن الشهيد محمد بن إبراهيم

وبعد ابن جابر الأندلسي يأتي أبو الفتح /محمد بن إبراهيم بن محمد، فتح الدين، المعروف بابن الشهيد، أصله من نابلس، ومولده بالرّملة، بفلسطين، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة [٧٢٨هـ] واشتهر بدمشق، وفاق أقرانه في النظم والنّثر، وتولّى كتابة السّير، ومشيخة الشيوخ، والتدريس بمدرستي النّاصرية، والظاهرية. وجرت له محنة اختفى بسببها مدّة، نظم أثناءها السّيرة النبوية لابن سيد الناس اليعمري، في خمسة وعشرين ألف بيت وسمّى هذه الأرجوزة «الفتح القريب في سيرة الحبيب» دلّت على سعة علمه، وطول باعه، حدّث بها بدمشق، والقاهرة، فنالت الإعجاب والرّضا من الخاصّة والعامّة لما فيها من الفوائد والنّكت.

توفي ابن الشهيد قتيلاً بظاهر القاهرة في شعبان عام ثلاثة وتسعين وسبعمائة [٧٩٣هـ / ١٣٩٠م](٣).

---

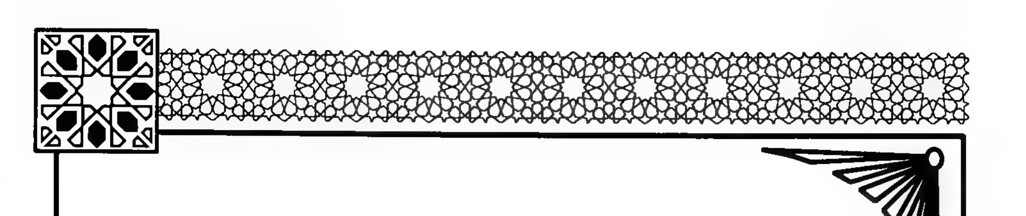
(١) نفح الطيب، للمقري: ٦٦٤/٢، تر: ٣٠١.

(٢) أ ـ بغية الوعاة للسيوطي: ٣٤/١ ـ ٣٥، تر: ٥٥.
ب ـ الدرر الكامنة، لابن حجر: ٤٢٩/٣ ـ ٤٣٠، تر: ٣٤١٩.
جـ ـ الأعلام للزركلي: ٢٢٥/٦.
د ـ نكت الهميان للصفدي: ٢٤٤.

(٣) أ ـ الدرر الكامنة لابن حجر: ٣٨٣/٣، تر: ٣٣٢٠.
ب ـ شذرات الذهب لابن العماد: ٣٢٩/٦ ـ ٣٣٠.
جـ ـ الأعلام للزركلي: ١٩٠/٦.
د ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة: ٤٠/٣، تر: ١١٥٣٩.



ترجمة الشيخ
عبدالرحمن الثعالبي



عصر الشيخ عبدالرحمن الثعالبي

إن الإنسان ابن بيئته، ونتاج عصره، فالبذرة الصالحة لا تنمو إلاّ برعاية وعناية، من أجل هذا كان للعصر الذي يعيش فيه المرء أثر ظاهر في حياته، فإذا كان صالحاً صلح، وإذا كان فاسداً فسد، وقد يكون التأثير عكسياً، بحيث تحمل كثرة الفساد على التفكير الجدي في الإصلاح كما أنّ كثرة الشر تشحذ العزائم لعمل الخير وزرع الفضيلة، وغرس الأخلاق الحميدة[1].

وبهذا الاعتبار ينبغي تقديم نبذة عن العصر الذي عاش فيه الشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي، سياسياً، واجتماعياً، وثقافياً حتى نضعه في عصره، وندرسه في بيئته، ولا نحمّله ما لا يمكن أن يتحمله، من التّبعات، وأن لا نطلب منه أن يكون خارجاً عن تفكير عصره.

لقد كان القرن الثامن الهجري الذي رأى ربعه الأخير ميلاد الثعالبي عصراً كثرت فيه الفتن، واشتعلت فيه الحروب بين الإخوة الأشقاء، بعد انهيار الإمبراطورية الموحّدية، حيث انقسمت الإمبراطورية إلى ثلاث دول: الحفصية بتونس، والزيانية بتلمسان، والمرينية بفاس، وبدأت هذه الدول تحارب بعضها بعضاً، وتدّعي لنفسها الحق في الاستيلاء على تركة الموحدين.

وكانت الجزائر على عهد الثعالبي مقسمة بين بني حفص في الشرق

(١) ابن تيمية: ص١٢٤، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي بالقاهرة.

حيث كان نفوذهم يمتد من تونس إلى عنابة، وقسطنطينية، وبجاية، وبني زيان في المغرب حيث كان نفوذهم يشمل تلمسان ووهران ومليانة.

وكانت مدينة الجزائر وما جاورها من مناطق الوسط ميدان نزاع بين الدولتين: الحفصية، والزيانية، وكانت الإمارات المحلية في هذه المناطق توالي القويّ من الدولتين، ومن بين هذه الإمارات إمارة الثعالبة التي انحصر نفوذها في سهل متيجة وما جاورها إلى وادي يسر حيث ولد الثعالبي.

وقد زاد من الاضطرابات المذكورة تهديد الإسبان، والبرتغاليين والإيطاليين لسواحل المغرب الإسلامي، واستغلالهم لنقاط الضعف في الدويلات المغاربية المتناحرة وانقضاضهم عليها، ومن بين النقط التي كانت مهددة في هذا العصر بجاية، والجزائر، وجيجل، ووهران، وعنابة، وغيرها من المدن الساحلية[1].

وكان الثعالبة مستضعفين عاجزين عن التّرحال، فاستقروا بالتل، وتغلّبت عليهم «توجين»، أيام كانوا بتيطري، مليكش، وولاة الجزائر، ولمّا انتقلوا إلى متيجة أواخر القرن السابع الهجري، وأدوا المغارم لدول الحفصيين والمرينيين الذين تداولوا ملك متيجة والجزائر[2].

وتوالى ضعف الثعالبة، واشتد النزاع على المغرب الأوسط بين الحفصيين، والمرينيين، والزّيانيين، فانكمش نفوذ المرينيين، وانحسر ملكهم في المغرب الأقصى، وبقي النّزاع شديداً بين الحفصيين والزّيانيين على وسط الجزائر، واستطاع الزيانيون أن يوسعوا دائرة نفوذهم ويقضوا على إمارة الثعالبة، وذلك في عام ٧٨٠هـ ـ ١٣٧٨م، على يد أبي حَمُّو الثاني الزياني الذي تم له الاستيلاء على متيجة وما جاورها، فقتل زعيم الثعالبة «سالماً» وتتبع إخوانه وقبيلته بالقتل والسبي والنّهب حتى كاد يفنيهم عن آخرهم، ثم قتل الأتراكُ لأول استيلائهم على الجزائر عدداً كبيراً منهم مما زاد في

---

(١) أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ق١، ص٢٠٢، أبو القاسم سعد الله، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) تاريخ الجزائر الحديث في القديم والحديث، لمبارك الميلي، ج٢، ص٢٩٦.

ضعفهم. ولم يظهر من الثعالبة بعد هذا التاريخ أمراء، وإنما ظهر منهم عالمان: الشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي في القرن التاسع الهجري، وأبو مهدي عيسى الجعفري الثعالبي في القرن الحادي عشر الهجري[1].

وهكذا شهد القرنان السابع والثامن الهجريان انقسام العالم الإسلامي إلى دويلات، وإلى ممالك وإمارات. ينظر بعضهم إلى بعض نظرة العدوّ إلى عدوه، كما كان الملوك والحكام ينظرون إلى رعايهم ومن كان تحت حكمهم نظرة المستبدّين المسيطرين، يسومونهم سوء المذلّة والهوان.

وابتلي المسلمون بمصائب تعددت مصادرها، وتكاثرت كوارثها، وتمثلت في التّتار القادمين من الشرق، وفي الصليبيين القادمين من الغرب، بالإضافة إلى العداوة المستحكمة بين الحكام والأمراء، وبين الفرق الإسلامية وأهل المذاهب المختلفة، فكان التخلّف، وكان التّشتت، والافتراق، فحلّ الضعف بعد القوة، والذلّ بعد العزّ، والانحطاط بعد التقدّم، والجهل بعد العلم، وتلك سنة الله في خلقه، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۝٦٢﴾[2].

وكان المغرب العربي في هذا العهد يعيش فترة ضعف وانقسامات خطيرة، إذ بسقوط الدولة الموحدية [٦٣٣هـ ـ ١٢٣٥م] أخذ كل جزء من المغرب العربي الإسلامي يدّعى لنفسه حق الوراثة والزّعامة، فالحفصيون بتونس يرون أنهم أحق بالخلافة والسيطرة على كل تركة الموحدين، والمرينيون بالمغرب الأقصى يرون الادعاء نفسه لكون العاصمة الموحدية تقع في بلادهم وأنّ الزعيم ابن تومرت منهم. أما بنو عبد الوادي الزيانيون بالمغرب الأوسط فيرون أنهم القلب النابض للدولة الموحدية، وأنهم الورثة الحقيقيون لها، لأنهم أحفاد عبدالمؤمن بن علي الذي قامت الدولة الموحدية

---

(١) المراجع السابق، ج٢، ص٢٩٧.
(٢) الأحزاب: ٦٢.

على عهده، وعلا شأنُها بحسن تفكيره، وسداد رأيه، وقوة عزيمته وبأسه، واستمرت الدولة في أولاده ونسله، إلى حين سقوطها.

وهكذا انقسم المغرب العربي على نفسه إلى ثلاث دول: المرينيون بالمغرب الأقصى، والزيانيون بالمغرب الأوسط، والحفصيون بالمغرب الأدنى.

وكانت الأندلس تحتضر وتستغيث، فلم تجد أحداً يجيب الدّعاء، ويدفع عنها البلاء، وينقذ ثمانية قرون من الجهاد والبناء والعطاء، وقد كان المغرب الإسلامي على مرّ العصور هو الذي يمدّها بالعون عند اشتداد الأزمات ويلبّي نداءها عند تكالب الأعداء. وهذا أمر طبيعي، فالأندلس فتحت على يد القائد المغربي طارق بن زياد، وبجيش أغلبيته الساحقة من المغاربة الأشاوس، وصقر قريش عبدالرحمٰن الداخل، دانت له الأندلس وجعلها تحت راية الأمويين، الذين سقطت دولتهم بالمشرق، وذلك بفضل الجنود المغاربة الذين هم أخواله.

وبعد سقوط الدولة الأموية بالأندلس، وانقسامها إلى طرائق قدداً، وادّعى كلّ رئيس قبيلة أنّه الملك الحاكم، والسّلطان القائد، فكان عهد ملوك الطّوائف، عهدَ تشتّتٍ وانقسام، عهد ضعف وهوان وخصام، فطمع الإسبان في الاسترداد، وإخراج العربَ والمسلمين من الأندلس، ولم يقبلوا من ملوك الطوائف أخذ الأموال والضّرائب جزاء إبقائهم على عروشهم الخاوية، بل اشترطوا من كل ملك منهم يرغب في البقاء على نفسه، تسليم عدة قرى وحصون كلّ سنة وإلاّ فالفناء ينتظره، والقتل والتشريد نصيبه، ولعلّ أصدق قول يصف ما وصلت إليه الأندلس آنذاك من انشقاق وتخاذل وغرور وادّعاء كلّ واحد من هؤلاء الملوك الأقزام أنه الملك الهمام، ويلقّب نفسه بألقاب الخلفاء العظام، هو قول أبي علي الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني الشاعر المغاربي الفحل [ت: **٤٦٣**] حيث يقول [من البسيط]:

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد[1]

ولولا الجيش المغربي بقيادة يوسف بن تاشفين [ت: ٥٠٠هـ ـ ١١٠٦م] الذي استجاب للنداء الموجه إليه من المعتمد بن عباد، ملك إشبيلية، ومن غيره من عقلاء ملوك الطوائف الذين أدركوا أخيراً أنهم مطرودون من الأندلس لا محالة، إذا استمروا في الخذلان والتشتت، والاستعانة بالعدو المشترك، ودفع ما يطلبه منهم من أموال وعقار تحت راية الخزي والعار.

لولا المرابطون الأحرار، وجنودهم الأبطال الذين عبروا المضيق ـ مضيق جبل طارق ـ وفي نفوسهم الإيمان العميق، فخاضوا معركة زلاقة [٤٧٩هـ ـ ١٠٨٦م] وأعطوا درساً قاسياً للإسبان أسكتهم ثلاثة قرون كاملة، لهول الواقعة، وعمق الجرح، وشدّة بأس الجيش المغاربي الذي لا يعرف الانهزام، ولا يبغي من وراء ذلك إلاّ إحدى الحسنيين، الظفر والانتصار، أو الموت والاستشهاد، وكلا الأمرين فوز وفلاح، وربح ونجاح، لولا هذه المعركة الحاسمة، معركة زلاقة، لضاعت الأندلس في نهاية القرن الخامس الهجري.

وفي القرن السابع الهجري، وعند اشتداد الأمر على الأندلس، نرى هذه الأخيرة تستنجد من جديد بالمغرب العربي، وتطلب منه العون والنجدة، فتبعث برسولها إلى أبي زكرياء رئيس الدولة الحفصية بتونس ويتولى تحرير كتاب النجدة، وحمل رسالة الاستغاثة شاعر الأندلس في

---

(١) وردت هذه الأبيات في وفيات الأعيان منسوبة لابن عمار، ج٤، ص٤٢٨، رقم ٦٦٩، وهما في ديوان ابن رشيق ص٥٩.
يقول ابن خلكان: «وهي من جملة ذنوبه [ابن عمار الأندلسي] عند المعتمد بن عباد ما بلغه عنه من هجائه وهجاء أبيه المعتضد». ج٤، ص٤٢٨، رقم ٦٦٩.
مما يقبح عندي ذكرُ أندلس سماعُ معتضد فيها ومعتمد
أسماء مملكة في غير موضعها كالهرّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد

وقته، وكاتبُها في زمانه أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار [ت: ٦٥٨هـ]، ويلقي قصيدة سينية رائعة أمام أبي زكرياء الحفصي، والتي مطلعها:

أدرك بخيلك خيل اللّه أندلسا ... إنّ السبيل إلى منتجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست ... فلم يزل منك عزّ النصر ملتمسا[1]

واستجاب أبو زكرياء للنداء، وبعث بنجدة فيها السّلاح، والخيل، والتموين، على ظهر سفن من الأسطول الحفصي، ولكن النجدة وصلت بعد فوات الأوان، وسقطت بلنسية[2] وعدّة مدن في يد الإسبان، وبدأ الوجود العربي الإسلامي ينحسر في مملكة صغيرة ضيقة، هي مملكة بني الأحمر في غرناطة، وما جاورها من المدن كمالقة والجزيرة الخضراء، ولوشة، وغيرها من المدن الصغيرة. وعاشت هذه الدولة الصغيرة، دولة بني الأحمر، تراوغ، وتدافع عن نفسها حيناً، وتطلب النجدة من أشقائها المغاربة الحلفاء الطبيعيين، فتجد منهم أذناً صاغية فينجدونها بالرجال والسّلاح والعدة مرة، ويسكتون عن ندائها مرات، وذلك بحكم ما يحدث بالمغرب العربي من حروب، وتنازع على السّلطة، بين المرينيين، والزيانيين، والحفصيين في هذا العهد.

---

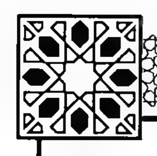
(١) المقري: نفح الطيب: ٤٥٧/٤، تح: الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت: ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

(٢) سقطت مدينة بلنسية Valencia عام ٦٣٦هـ ـ ١٢٣٨م على يد خايمي الثاني، وإشبيلية عام ٦٤٦هـ ـ ١٢٤٨م على يد فرديناند الثالث، والمرية عام ٨٩٥هـ ـ ١٤٩٠م على يد فرديناند وزوجته إيزابيلا، وبابة عام ٥٥٦هـ ـ ١١٦١م على يد الفونسو هنريكيز، وجبل طارق عام ٧٠٩هـ ـ ١٣١٢م على يد فرديناند الرابع، وجيان عام ٦٤٤هـ ـ ١٢٤٦م، على يد فرديناند الثالث، وسرقسطة عام ٥١٢هـ ـ ١١١٨م، على يد الفونس المحارب، وطليطلة عام ٨٩٧هـ ـ ١٤٩٢م، على يد فرديناند وزوجته إيزابيلا، وقرطبة عام ٦٣٣هـ ـ ١٢٣٦م، على يد فرديناند الثالث، ومالقة عام ٨٩٢هـ على يد فرديناند وزوجته إيزابيلا، ووادي الحجارة عام ٤٧٤هـ ـ ١٣٤٢م على يد الفونس السادس، والجزيرة الخضراء عام ٧٤٢هـ /١٣٤٢م على يد الفونس الحادي عشر وشاطبة عام ٦٤١هـ/ ١٢٤٢م على يد خايمي الثاني.

في هذا الجو المضطرب، وفي هذا التطاحن على الحكم والسيطرة بين الإخوة الأشقاء عاش الإمام الثعالبي متنقلاً بين وادي يسّر، مسقط رأسه، وبين تلمسان، وبجاية، وتونس، ومصر، وتركيا، والحجاز، والعودة أخيراً إلى الجزائر، جزائر بني مزغنة، فيتخذها مسكناً ومكاناً يتفرغ فيه للعبادة، والتأليف، والتدريس، ويحاول الاتجاه إلى العلم وحده، ولكن الظروف السياسية والحياة الاجتماعية، تفرض نفسها على المرء أن ينفعل معها، ويحيا حلوها ومرها.

فالإنسان ابن بيئته ومجتمعه، ومحيطه، مهما حاول الانزواء والفرار، والبعد عن الساسة وأهل القرار، ونجد أهل العلم والفكر في هذا العصر ينقسمون إلى ثلاث فرق، فرقة تعتزل الأحداث وتلتجىء إلى البوادي والجبال والصحاري، وتعتكف على الخلوة والعبادة، وفرقة تشدّ الرّحال إلى المشرق العربي وتتخذه مسكناً وملجأ آمناً مطمئناً، وفرقة ثالثة تفضل البقاء في العواصم والحواضر وتقتسم مع الأهالي الحلو والمرّ، وتشارك الأمّة في الكفاح والجهاد، وتسعى جاهدة إلى إصلاح المجتمع وإنقاذه من الخطر الداهم، من العدو الخارجي، ومن النزاع الداخلي على السلطة بين الإخوة الأشقاء، وكان الشيخ الثعالبي من هذه الفرقة الأخيرة، فضّل أن يعود إلى بلده ويستقرّ في وسطه، ويجمع حوله الأمّة، ويبني العقول، ويعلّم الأجيال، ويدعو إلى الجهاد، ويرشد الشعب إلى سبل النجاة والفلاح، ولا يكون ذلك إلا بوحدة الصّف، وجمع الكلمة، فكان له ما أراد، فصمد الشعب أمام هجمات الإسبان والبرتغال على الموانىء والثغور، فصبروا وصابروا، ورابطوا وثابروا حتّى جاءهم المدد وتحقق لهم النصر، فأصبحت ثغور المغرب الأوسط مبتسمة محمية بل مغيرة مخيفة للأعداء بعدما كانت غرضاً للحاقدين من الجبناء. ومن هذه الثغور المهّمة ثغر بجاية.





بجاية عبر العصور

بجاية مدينة قديمة كانت على عهد القرطاجنيين تسمّى «صلدة» وفي عهد الرومان تدعى «صلداي»، ثم خُربت واندثرت بدون أن يعرف تاريخ اندثارها وسببه، وإن كان من الثّابت أنها كانت من أهمّ مدن دولة «نميديا» التي كانت عاصمتها «سيرتا»(١) ـ قسنطينة حالياً ـ.

أمّا سبب تسميتها بجاية، فقد ذكر ابن خلدون أن قبيلة بربرية أمازيغية تدعى بهذا الاسم كانت تسكن في هذا المكان، فتسمى باسم تلك القبيلة(٢)، التي لم يكن لها شأن يذكر إلاّ في عهد الدّولة الحمادية [٤٠٥ ـ ٥٤٧هـ /١٠١٤ ـ ١١٥٣م] حيث نزل على شواطئها النّاصر بن علناس الصّنهاجي رابع سلاطين الحماديين قادماً من تونس، فأعجبه موقعها، وكان يفكّر من قبل في تشييد مدينة حصينة باسمه، فوجد بغيته في بجاية التي تجمع بين الجبل والبحر، وتقع في مكان منيع، يقيه غارات الأعراب الهلاليين الذين نزحوا من مصر ونزلوا بالمغرب الأدنى، وعاثوا فيه فساداً. ثم نزحوا إلى المغرب الأوسط، واستولوا على كثير من مدنه الحضارية كقسنطينة، وطبنة، والمسيلة، والقلعة، فأكثروا في البلاد الفساد، وعاثوا في الثرى بالنّهب والسّلب، ورأى أنّ دولته مهدّدة بالخراب والزوال، إن لم يتخذ لها موقعاً حصيناً يحفظها من الاعتداء عليها، ويجعلها في مأمن من

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية: ٣/٣٥٠.

(٢) ابن خلدون، العبر: ٣٥٧/٦، منشورات، دار الكتاب اللبناني، ١٩٥٩م.

هذا الزّحف الهلالي الجارف، كما يفتح لها أبواب التجارة والاتصال بالعالم على طريق البحر، وكما أن سوادها خصب واسع ينتج الحبوب والخضر، وأنواع الفواكه. وبجاية تقع في نهاية وادي الصومام الذي يمدها بمياهه العذبة المتدفقة، وخيراته الكثيرة. فلما صمّم الناصر على تنفيذ الفكرة، وكان ذلك في عام ستين وأربعمائة [٤٦٠هـ]، دعا إليه المهندسين المعماريين والصنّاع، وطلب منهم بناء هذه المدينة، ووفّر لهم كلّ الوسائل المساعدة على الإنجاز والإسراع، وشجّع التجار والحرفيين على الاستقرار فيها، ووزع عليهم الأراضي للبناء، وأسقط عليهم الضرائب، ولم يمض على هذا الأمر إلاّ زمن يسير حتى شيدت المدينة على أحسن طراز، وعمرت بالسكان، وقصدها القاصي والداني.

وغدت بجاية تحفة فنية رائعة، لجمال موقعها، وحسن بناءاتها، وتنسيق تقسيم أحيائها، فقد ابتنى الناصر لنفسه قصراً عظيماً سمّاه «قصر اللؤلؤ»، كما ابتنى رصيفاً ممتداً على شاطىء البحر، وداراً لصناعة السّفن التجارية والحربية، وقناطر معلقة لجلب المياه العذبة من جبل توجة، وأحاط المدينة بسور به أبراج المراقبة، وسمّى المدينة «الناصرية»، نسبة إلى اسمه، ولكن غلب عليها اسمها القديم «بجاية» وانتقل إليها من القلعة عام واحد وستين وأربعمائة [٤٦١هـ]. وهكذا غدت بجاية بذلك عروسة المغرب الأوسط، ومن أهم مدن المغرب الإسلامي، وموانئه.

فكانت تضم واحداً وعشرين حيًا سكنيّاً، واثنين وسبعين مسجداً[(١)]، وعدداً كبيراً من المدارس ودور العلم، وإن كانت المساجد آنذاك تعدّ مراكز للعبادة وللدراسة، فهي جوامع وجامعات، ومساجد ومعاهد وثانويات.

وقد أشاد الرحالة، وعلماء التاريخ والجغرافية الذين زاروا هذه

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية: ٣/٣٥٠ ـ ٣٥٤، مادة بجاية، كتب المقال، ليفي بروفنسال، نقلها إلى العربية، ثابت أفندي، أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد، وعبدالحميد يونس [١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م].

المدينة، فاعترفوا بغناها وعظمتها، وبنشاطها التجاري، وجمالها الطبيعي، وموقعها الاستراتيجي المنيع.

قال صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار: ليس لبجاية طريق سهلة إلاّ من ناحية الغرب، وباقي طرقها شرقاً وجنوباً على أوعار، فلم يكن للعرب ـ يقصد الهلاليين ـ إليها سبيل، وكان لا يدخلها منهم إلا من يبعث إليه الملك الحمادي... ويواصل صاحب الاستبصار في ذكر ما وصلت إليه بجاية من القوة، والعظمة والصناعة والتجارة فيقول: «ولها داران لصناعة المراكب، ومنها تغزى بلاد الروم، ومرساها عظيمة ترسو بها سفن الروم من الشام وغيرها وسفن المسلمين من الإسكندرية، وذلك طريق مصر، واليمن، والهند، وغيرها.

وبجاية مدينة عظيمة تقع على ضفة البحر، والبحر يضرب في سورها، وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة أصحاب قلعة أبي طويل، وتعرف بقلعة بني حمّاد اليوم.

وكان سبب بنائها، أن العرب لما دخلوا إفريقيا وأفسدوا القيروان، وأكثر مدن إفريقية، هرب منهم صاحب القيروان الصنهاجي، وتحصّن بمدينة المهدية.

وكان ابن عمه ـ صاحب ـ القلعة المنصور بن حماد أشدَّ شوكة من صاحب القيروان وأكثر جيشاً، فخرج لنصرة ابن عمه، وجيّش جيشاً كبيراً فلقيته العرب بجملتها بفحص «سبيبة» على مقربة من القيروان، فكان بينهم يوم عظيم، هزم المنصور وقتل أخوه وأكثر صنهاجة، وذلك أن أخاه كان أسنّ منه فنهاه عن مقاتلة العرب ـ يقصد الهلاليين ـ وقال له: أقم أنت ببلادك، وابعث إليهم وصانعهم يأتوك خاضعين، وفي جبائك طامعين، فهذا من خلق العرب قديماً، فلا تلقهم.

فلما كان ذلك اليوم، وهزم، قال له أخوه: ألم أنهك أن تلقاهم بنفسك؟ ولكن أعطني تاجك والراية أقم على الجيش، وانج بنفسك، فإن كانت السّلامة فمن الله، وإلاّ بقيت أنت للناس، فليس منك الخلف...

فلما نجا المنصور إلى القلعة، نزلت عليه جيوش العرب، وضيقوا عليه ببلاده فكان يصانعهم حتى ضاق ذرعاً بهم، وكان لا يقدر على التصرف في بلاده، فطلب موضعاً يبنى فيه مدينة ولا يلحق فيها العرب، فدل على موضع بجاية، وكان مرسى، ويقال إنه كان فيه آثار قديمة، وإنها كانت مدينة فيما سلف، فبناها المنصور، وسماها المنصورية، وانتقل ملكهم من القلعة إلى بجاية، واتخذها دار مملكتهم، وبينها وبين قلعة بني حماد مسيرة أربعة أيام.

وهي مدينة عظيمة، ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها، والبحر فيها في ثلاث جهات، في الشرق والغرب والجنوب، ولها طريق إلى جهة المغرب يسمى بالمضيق، على ضفة النهر المسمى بالوادي الكبير، وطريق القبلة إلى قلعة حماد على أعقاب وأوعار، وكذلك طريقها إلى الشرق، وليس لها طريق سهلة إلاّ من جهة الغرب فلم يكن للعرب إليها سبيل، ولا كان يدخل من العرب إلاّ من يبعث إليه الملك لمصانعة على بلاد القلعة وغيرها، فيدخلها أفراد وفرسان دون عسكر، فبقي صاحب بجاية في ملك شامخ، وعز باذخ، يضاهي في ملكه صاحب مصر.

وبجاية معلقة من جبل وقد دخل في البحر يسمى مسيون[1]، وعليها سور عظيم، والبحر يضرب فيه، ولها داران لصناعة المراكب، وإنشاء السفن ومنها تغزو بلاد الروم، فإنها ليس بينها وبين صقلية غير ثلاث مجار، وهي مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر، وبلاد اليمن، والهند، والصين وغيرها.

ومدينة بجاية كثيرة الفواكه والأثمار، وجميع الخيرات، وهي مشرفة، نزيهة، ومطلة على البحر، وعلى فحص قد أحاطت به جبال، دوره نحو

(١) في الروض المعطار أمسيول، ص٨٠، مادة: بجاية.
الروض المعطار في خبر الأقطار، تأليف محمد بن عبدالمنعم الحميري حققه إحسان عباس مكتبة لبنان الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

عشرة أميال، وتسقيه أنهار وعيون، وفيه أكثر بساتينهم، ولها نهر كبير يقرب منها بنحو الميلين أو دونهما، وعليه كثير من جناتهم، وقد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر ولها منتزه عظيم.

وفي بجاية موضع يعرف باللؤلؤة، وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر، متصل بالمدينة، فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة، لم ير الراؤون أحسن منها بناء ولا أنزه موضعاً، فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد، والأبواب المخرمة المحنية، والمجالس المقرصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها، قد نقشت أحسن نقش، وأنزلت بالذهب واللاّزورد، وقد كتبت فيها الكتابات المحسنة، وصورت فيها الصور الحسنة، فجاءت من أحسن القصو وأتمّها منتزهاً وجمالاً.

وهذا الجبل مسيون الذي فيه بجاية جبل عظيم عال قد ذهب في الجو وقد خرج في البر، وفيه مياه سائحة، وعيون كثيرة وبساتين، وهو كثير القردة، ويكون فيه الحيوان المشوك المسمى بالذّرب [الذربان][1].

ونرى أبا عبدالله الشريف الإدريسي [ت: ٥٤٨هـ ـ ١١٦٥م] يشيد بمدينة بجاية، ويبدي إعجابه الكبير بما تمتاز به من موقع جغرافي بديع، ومن وضع اقتصادي مزدهر، فيها الرخاء والأمن، وفيها الاستقرار السياسي، والأمن الاجتماعي حيث يقول: ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط، وعين بلاد بني حماد، والسفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة، والأمتعة إليها براً وبحراً، والسلع إليها مجلوبة، والبضائع بها نافقة، وأهلها مياسير تجار، وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلدان، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء، وتجار المشرق، وبها تحل الشدود، وتباع البضائع بالأموال المقنطرة، ولها بواد ومزارع، والحنطة والشعير بها موجودان كثيراً، والتين وكثير من سائر الفواكه بها ما يكفي لكثير من البلاد.

---

(١) كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول: ١٢٨ ـ ١٣٠، نشر وتعليق: سعد زغلول عبدالحميد، دار النشر المغربية ـ الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل، والمراكب، والسفن، والحرابي لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير موجود، ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران. وبها معادن الحديد الطيب موجود وممكنة، وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة، وعلى بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب من نحو جبال جرجرة، وهو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالمراكب، وكلّما بعُد عن البحر كان ماؤه قليلاً، ويجوزه من شاء في كل موضع.

ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد[1].

ويتحدث كاتب مقال دائرة المعارف الإسلامية عن بجاية كثيراً ويستعرض تاريخها، وما تمتاز به من جمال طبيعي، وما ينعم به سكانها من مهارة في فنون عديدة، ومن رخاء وأمن ورقي وحضارة، ويختم حديثه عنها بقوله: «وعلى الجملة فالمدينة مركز صناعي هام، كما أنها ملتقى للمواصلات، ولم تكن العلوم في تلك المدينة بأقل شأناً من التجارة والصناعة، فقد ذكر الغبريني المؤرخ وهو من أهل بجاية تراجم ١٠٤ شخصاً اشتهروا إما بالعلم أو بالتقوى عاشوا في بجاية خلال القرن السابع الهجري، من المؤرخين، والأطباء، والمهندسين، والفقهاء، والأدباء.

وظلت بجاية رافلة في حلل السعادة في عهد دولة بني حماد، واستمرت في رخائها في عهد المرابطين، والموحدين، والحفصيين، وبني عبد الوادي الزيانيين[2].

وبجاية من المدن المعتبرة، وأن الإسكندرية كانت تابعة لها، ومن عمالتها وكذا المغرب الأقصى، وأن عساكرها قد أحرقوا باب فاس وإلى

---

(١) المغرب العربي من نزهة المشتاق للإدريسي: ١١٦، حققه، ونقله إلى الفرنسية، محمد حاج صادق، المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣م.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، م٣، مادة بجاية، ٣٥٠ ـ ٣٥٤، مادة بجاية، كتب المقال: ليفي بروفنسال، نقلها إلى العربية: ثابت أفندي، أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد، وعبدالحميد يونس [١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م].

الآن يسمى «باب المحروق»، وبه قبر ذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة، وغيرها من المصنفات المفيدة المهمّة.

وقد أفرد بجاية بالتأليف والترجمة لأعلامها كثير من العلماء والباحثين من جميع الاختصاصات، ومن أراد أن يعلم عنها العجب العجاب ويشفي غليله من أخبارها فليطالع كتاب «النبذة المحتاجة في ملوك صنهاجة»[1].

ولم تزل بجاية في اتساع عمارة، ورقي حضارة أيام بني حماد الصنهاجيين، ثم المرابطين، ثم الموحدين، ثم الحفصيين، ثم الزيانيين، حتى سقطت في يد الإسبان المعتدين عام ٩١٥هـ، فاستنجد أهلها بإخوانهم في الدين والعقيدة الأتراك الأشاوس، فاستجاب للنداء خيرُ وبابا عرّوج وغيرهُما من الأبطال فأخرجوا المعتدين من بجاية ومن غيرها من المدن الساحلية، وعادت بجاية إلى عزّها، ومجدها التّليد، تنعم بالاستقرار، والأمن والرّخاء، إلى أن جاء الاستعمار الفرنسي فقاومته بكل ما أوتيت من قوة وبقيت تناضل حتى أذن الله ببزوغ ثورة السادس من ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ، أول نوفمبر ١٩٥٤م، فكانت من أوائل من جاهد، وكافح، وناضل وقاتل، مع كلّ بقعة من أرض الجزائر حتى جاء النّصر والفتح العظيم في ١٩ مارس ١٩٦٢م، يوم وقف النار، ويوم ٥ جويلية ١٩٦٢م، يوم النصر واستعادة الحرية والاستقلال للجزائر المجاهدة.

ذكر أبو علي المسيلي الذي كان يسمى أبا حامد الصغير أنه دخل بجاية فوجد فيها تسعين مفتياً في الجامع الأعظم، وكان كلّ واحد منهم لا يعرف أبا علي المسيلي من أي ناحية كان، مع أنه كان حجّة في زمانه، وولّى القضاء والتدريس ببجاية[2].

وأثنى أبو عبدالله محمد بن عمر الهواري [ت: ٨٤٣] على أهل

---

(١) الرحلة الورتيلانية «نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» الشيخ الحسين الورتيلاني، ٢٨.

(٢) الرحلة الورتيلانية: ٢٥ ـ ٢٦.

بجاية، لكونهم يحبون الغريب، ويكرمون الفقير، ويقفون عند حدود الشريعة في حياتهم اليومية. حيث قال: إنهم يحبون الغرباء والفقراء، وأنهم يحافظون في معاملاتهم على الحلال[1]، وألسنة الخلق أقلام الحق، وكان أبو عبدالله الهواري كثير الأسفار والسياحة شرقاً وغرباً، براً وبحراً، أخذ العلم ببجاية على الشيخين الجليلين أحمد بن إدريس [ت: ٧٦٠هـ] وعبدالرحمٰن الوغليسي [ت: ٧٨٦هـ]، فشهادته شهادة حقّ وصدق، لأنه عاش ببجاية، وعاشر أهلها، وعرف ميزتها عن غيرها من المدن والعواصم التي زارها في الشرق والغرب.

وذكر أبو عبدالله محمد بن أحمد بن علي الشهير بالشريف التلمساني [ت: ٧٧١هـ] صاحب كتاب «المفتاح في أصول الفقه»، وأحد العلماء الراسخين، وآخر الأئمة المجتهدين، إمام المغرب الإسلامي في عهده، وعلاّمة تلمسان في عصره، وأعلم أهل زمانه بالإجماع، فقال: «دخلت بجاية في القرن الثامن فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها»[2].

وقال الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورتيلاني [ت: ١١٩٣م] وكان كثير التّرداد على بجاية: «قد سمعنا أن بجاية فيها خمسمائة صبية [٥٠٠] يحفظن المدونة، وأما اللائي يحفظن ابن الحاجب فلا يُحصي عددهن إلا الله تعالى»[3].

وكتاب المدونة الذي أشار إليه الشيخ الورتيلاني يشتمل على ست وثلاثين ألف مسألة من المسائل الفقهية التي دونها الإمام عبدالرحمٰن بن القاسم العتقي المصري [ت: ١٩١هـ] عن شيخه الإمام مالك بن أنس [ت: ١٧٩هـ] بالمدينة المنورة، وأملى بعضها على أسد بن الفرات [ت: ٢١٣هـ] وصحّحها عنه الإمام سحنون عبدالسلام بن سعيد بن حبيب [ت: ٢٤٠هـ].

---

(١) المصدر السابق: ٢٨.

(٢) المصدر السابق: ٢٨.

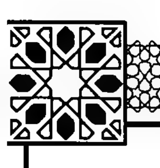
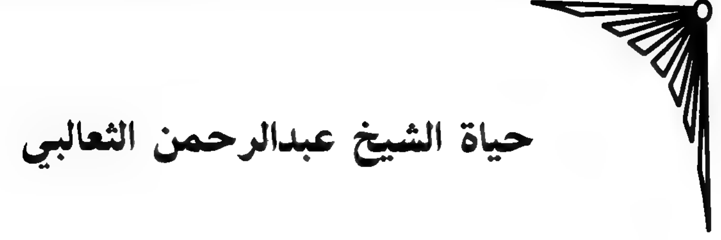
(٣) المصدر السابق: ٢٨.

وكانت بجاية في أيام عظمتها كعبة طلاب العلم والمعرفة من جميع البلدان، وكانت تدرس بها العلوم العقلية، والنّقلية، والعلمية العملية، على اختلاف أنواعها، وتعدّد فنونها.

ونظرة سريعة لكتاب أبي العباس أحمد بن عبدالله الغبريني [٦٤٤ - ٧١٤]. «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» تبيّن لنا مكانة هذه المدينة العلمية العريقة، وما كانت تزخر بها من فنون العلم، وأنواع المعرفة، فقد ترجم أبو العباس الغبريني لأكثر من مائة وأربعين [١٤٠] من علماء القرن السابع الهجري الذين عاشوا وأنتجوا وأفادوا واستفادوا في مدينة بجاية، وأكثر هؤلاء العلماء عاصر العهدين الموحدي والحفصي، فقد دام حكم الدولة الموحدية قرابة قرن من الزمن [٥٣٩ - ٦٣٣هـ]، ويُعد دخول المغرب الأوسط تحت راية الإمبراطورية الموحدية بعد سقوط الدولة الحمادية عام سبعة وأربعين وخمسمائة [٥٤٧هـ] حدثاً هامّاً بالنّسبة لبجاية، فقد فتحت صفحة جديدة من صفحاتها المجيدة، ثقافياً وسياسياً، وعلمياً. ففي هذا العهد أصبحت معقلاً مُهمّاً من معاقل الحركة العلمية الواسعة التي عرفها المغرب الإسلامي، قصدها طلاب العلم والمعرفة، وعشاق الأدب واللغة، من مختلف البلدان، جاءها الطلاب والعلماء من الأندلس غرباً إلى أصفهان شرقاً، واستهوت قلوب كثير من العلماء لما تمتاز به من موقع طبيعي جميل جذاب، ومن حسن ضيافة، وكرم استقبال، ومن حب أهلها للغرباء، وتكريم العلماء، والإحسان إلى الفقراء وأهل الحاجة.

إنّ كثيراً من مشاهير العلماء قصدوها للزيارة فقط فلما حلوا بها سحرتهم بالإحسان، والمعاملة الطيبة الكريمة فاستقروا فيها، واتخذوها موطناً لهم، وبعثوا إلى أهاليهم من بلدانهم فأصبحوا من سكانها القارين، فنعموا بالأمن والرخاء والهدوء والاحترام وذلك أقصى ما يريده الإنسان.



حياة الشيخ عبدالرحمن الثعالبي

نسبُـه:

أبو زيد عبدالرحمٰن بن محمد بن مخلوف بن عمر بن نوفل بن عامر بن منصور بن محمد بن سباع بن مكّي بن ثعلبة بن موسى بن سعيد بن مفضل بن عبدالبر بن قيس بن هلال - بن عامر بن حسان بن محمد بن جعفر بن أبي طالب[1] - عمّ رسول الله ﷺ، وشقيق علي وعُقيل. هذا هو النّسب المنقول عن الثعالبي، والنّاس مُصدّقون في أنسابهم، وهو صريح بأنّه من نسل جعفر بن أبي طالب، وفي النّسب إلى الجعفري روايتان:

الأولى تذكر أن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب تزوّج ببنتي عمّ علي بن أبي طالب: زينب ثم فاطمة أختي الحسن والحسين.

والثانية أوردها الإمام أبو محمد علي بن حزم الأندلسي يقول فيها: «إنّ بمتيجة وسوق حمزة بالجزائر جعافرة من أبناء جعفر بن

---

(1) أ - عجائب الأسفار، وغرائب الأخبار، لوحة: **٢٥** أحمد بوراس، مخطوطة المكتبة الوطنية بالجزائر، رقم: **١٢٢٠**.

ب - التحفة المرضية في الدولة البكداشية، محمد بن ميمون الجزائري، الملحق الثالث: **٢٣٤**، تقديم وتحقيق: الدكتور محمد بن عبدالكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر. الطبعة الأولى: **١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م**.

الحسن المثنّي بن علي بن أبي طالب»[1].

وهناك رواية أخرى تنفي أن يكون الثعالبة من الشجرة النّبوية الشّريفة بل هم من العرب الذين هاجموا هذه الأوطان الإفريقية، عرب معقل، وهم يزعمون أنّهم من ولد جعفر بن أبي طالب، وليس ذلك بصحيح، لأن أهل البيت لم يكونوا أهل بادية ونجعة، والصحيح - والله أعلم - أنهم من اليمن من معقل بن كعب بن عُليم بن جناب من بني قضاعة أو من معقل بني ربيعة من مذحج، وهو الأنسب. ومن معقل الثعالبة الذين هم بمتيجة[2].

وسواء أكان الثعالبي من نسل جعفر بن أبي طالب، أو من نسل علي بن أبي طالب أو من عرب معقل من اليمن، فإنّ ذلك لا يزيد من قيمته ولا ينقص، فقيمة الإنسان ما يحسنه، فأخلاق الثعالبي، وعلمه، وأعماله الصالحة، وخدماته لأمته ودينه تغنيه عن النسب، وتكفيه شرفاً وتعظيماً وتكريماً.

مولده ونشأته:

ولد عبدالرحمٰن الثعالبي عام ستة وثمانين وسبعمائة [٧٨٦هـ - ١٣٨٤م] بوادي يسّر الذي يبعد عن الجزائر العاصمة بستة وثمانين كلمترا إلى الجنوب الشرقي. ووادي يسّر هو موطن آبائه وأجداده الثعالبة الذين كانوا حكاماً على وسط المغرب الإسلامي، ونشأ في أحضان هذه الأسرة العريقة نشأة صلاح وعلم، وأخلاق فاضلة، وجاء إلى الحياة بعد سقوط حكم قبيلته على متيجة بستة أعوام على يد ملك تلمسان أبي حمو الزّياني عام ثمانين وسبعمائة [٧٨٠هـ - ١٣٧٨م] وذلك أنّ زعيم بني عبد الوادي لما تمّ له الاستيلاء على

(١) جمهرة أنساب العرب: ٤٤، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان. الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) أ - العبر لابن خلدون، م٦، ص١٢٦، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ١٩٦٨م.
ب - صفحات من تاريخ مدينة الجزائر: ١٧١ لنور الدين عبدالقادر، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة: ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

تلمسان، والجزائر، وغيرهما من مدن المغرب الأوسط في الغرب والوسط من المرينيين في النصف الأخير من القرن الثامن الهجري تتبَّع ملوك وحكّام الثعالبة فقتل زعيمهم سالم بن إبراهيم، ثم تتبع إخوانه وقبيلته بالقتل والنّهب حتّى اندثر مُلكُهم وسقط سلطانهم في آخر معاقلهم بسهول متيجة[١].

إنّ كتب التاريخ والتّراجم والسّير شحيحة بالنسبة لنشأة الثعالبي وتكوينه الأول، بل لا نعلم بالضّبط اليوم الذي ولد فيه، ولا الشهر الذي رأى فيه الحياة، وإنما نعرف المكان والسّنة فقط، ولعل سبب ذلك يعود إلى ما نال قبيلته من التّشريد والتّنكيل والإبادة في هذا الظرف الزّمني بالذات.

فنحن لا نعلم شيئاً يذكر عن شيوخه في وادي يسّر، ولا نعلم على يد مَن حفِظ القرآن الكريم، ولا عن المعلومات التي أخذها في مسقط رأسه، كلّ ذلك لا نعلمه، وإنما نستنتجه من المحيط الذي نشأ فيه وتربّى، ومن التقاليد المتّبعة في ذلك العصر واستمرّ إلى القرن الرابع عشر الهجري ومعظم القرن العشرين الميلادي: أن الولد عندما يصل إلى سن الخامسة من عمره يُوجّهُ إلى مسجد القرية أو المدينة، ويبدأ بتعلم القراءة والكتابة على اللوح، وفي الوقت نفسه يشرع في حفظ القرآن مبتدئاً من السورة الأولى من المصحف الشريف صاعداً إلى النهاية.

فإذا حفظ القرآن وأتقنه رسماً، وقراءات، وتجويداً، ينتقل إلى حفظ المتون نظماً ونثراً، ويجلس إلى حلقات الدروس، في فقه العبادات، والتوحيد، والنحو، والصرف، ممّا لا شك فيه أنّ الثعالبي قد مرّ على هذه المراحل التكوينية المتّبعة عندنا نحن أهل المغرب والأندلس منذ العصور القديمة إلى عهد قريب، ولربّما لا تزال هذه الطريقة متبعة إلى يومنا هذا في بعض قرانا وأريافنا وخاصة في المناطق البعيدة عن الحواضر والمدن.

---

(١) العبر لابن خلدون، م٦: ١١٣ ـ ١٣٠.

رحلته في طلب العلم:

أ ـ تلمسان:

مما نستنتجه من فهرسته التي كتبها عن حياته «غنية الوافد وبغية الطالب الماجد» أنه حفظ القرآن مُبكّراً، وأخذ المعلومات الأولى عن شيوخ بلدته، حتّى إذا استوى عوده، وتفتّحتْ بوادرُ ذكائه وقوّة عقله وذاكرته، اشتاقت نفسه الطموحة إلى المعالي، وأحب الاستزادة من العلم والمعرفة، فخرج صُحبة والده محمد بن مخلوف من مسقط رأسه أواخر القرن الثامن الهجري، والرابع عشر الميلادي طالباً المزيد من العلوم والعرفان، باحثاً عن مظانها في مناكب الأرض، وقصد تلمسان حيث اجتمع ببعض علمائها الفطاحل، وأخذ عنهم ما تيسّر له أخذهُ، فكان ممّن سمع منه وأخذ عنه هناك عالم الدنيا في زمانه أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسيني التلمساني المعروف بالحفيد، وكان الثعالبي إذ ذاك يناهز البلوغ[1].

ب ـ بجاية:

كانت بجاية أقرب مدينة إلى مسقط رأس الثعالبي، وادي يسّر، وهي مشهورة بالعلم والعلماء، معروفة بمساجدها الكثيرة، ومدارسها العلمية المتنوعة الاختصاصات المعروفة في ذلك العصر، فقصدها صحبة أبيه، وعمره لا يتجاوز السادسة عشر ربيعاً وكان ذلك في سنة اثنتين وثمانمائة [٨٠٢هـ ـ ١٣٩٩م] فلقي بها الأئمة المقتدى بهم علماً وديناً وورعاً، أصحاب أحمد بن إدريس [ت: ٧٦٠هـ] وعبدالرحمٰن الوغليسي [ت: ٧٨٦هـ]، وغيرهما من العلماء الذين ربطوا أنفسهم للعلم والتدريس، لا يعرفون الأمراء ولا يخالطونهم، وسلك أتباعهم مسالكهم، فمكث بها زهاء سنة! ثم توفي والده ودفن هناك، وعلى إثر وفاة الوالد عاد عبدالرحمٰن إلى مسقط رأسه، قصد الزيارة لأقاربه، والاطمئنان على أهله وذويه، ثم عاد إلى

---

(١) التحفة المرضية، الملحق الثالث: ٣٣٥.

بجاية لاستكمال دروسه ومعارفه، فبقي بها سبعة أعوام كاملة أخذ أثناءها علماً جمّاً، على علماء قديرين، في الفقه، والأصول، والتفسير والحديث، والقراءات، فتأثّر بهم، ولعلّهم أشاروا عليه بمواصلة الطلب، والسفر إلى تونس لاكتساب المعارف، والحصول على الإجازات، ومجالسة الأقطاب من الشخصيات العلمية التي كانت تزخر بهم الزيتونة.

ج ـ تونس:

قرر الثعالبي مواصلة الرحلة إلى تونس العاصمة الحفصية، والتي كانت بجاية تابعة لها، لهذا العهد، فرحل إليها سنة تسع وثمانمائة [٨٠٩هـ ـ ١٤٠٦م] فوجد أصحاب الإمام ابن عرفة متوافرين، فأخذ عنهم، وحضر مجالسهم، واستفاد منهم، ونال إجازاتهم، وكان تأثّره أكثر بالإمام الأُبِيّ عالم المعقول والمنقول في زمانه، وعيسى الغبريني، وحيد عصره علماً وديناً وورعاً، والبرزلي وغيرهم، وبقي بتونس إلى عام سبعة عشر وثمانمائة [٨١٧هـ ـ ١٤١٤م][(١)].

د ـ المشرق:

وفي هذه السنة [٨١٧هـ] واصل الإمام الثعالبي رحلته في طلب العلم والمعرفة إلى الشرق فكانت محطته الأولى بالقاهرة حيث الجامع الأزهر الشريف، والتقى بعدد كبير من العلماء البارزين، والتزم حلقاتهم، وتحصل على إجازات بعضهم، ونخصّ بالذكر منهم أبا عبدالله البلالي، وأبا عبدالله البساطي، وأبا زرعة ولي الدين العراقي الذي أخذ عنه علوماً كثيرة معظمها علم الحديث.

لم يلبث الثعالبي كثيراً بمصر، بل واصل رحلته إلى بورصة من بلاد الترك، وهناك جلس للعطاء والتدريس، والتوجيه والإرشاد، فنال إعجاب

---

(١) الشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي والتصوّف: ١٣٠، للدكتور عبدالرزاق قسوم، نقلاً عن كتاب الجامع للثعالبي المخطوط بالخزانة الملكية بالرباط، ورقة: ٣٠ ـ ٣٣، رقم: ٣١٥٥.

الأتراك لغزارة علمه، وحسن خلقه، وورعه وزهده، وأقاموا له زاوية باسمه، يأوي إليها الفقراء لحفظ القرآن الكريم ودراسة علومه، والتفرّغ للعبادة، وخدمة أبناء السبيل، ويقال إنها لا تزال تؤدي رسالتها العلمية الدينية إلى اليوم[١].

ومن البورصة التركية قصد الإمام الثعالبي بلاد الحجاز والديار المقدسة، لأداء فريضة الحج وسنة العمرة والزيارة، فحج واعتمر، وزار المدينة المنورة، وجلس للتدريس والعطاء في المسجد النبوي الشريف.

ولقي في هذه الرحلة الحجازية عدداً من العلماء، فاستفاد منهم وأفادهم، ولم تستغرق هذه الرحلة المشرقية أكثر من سنتين اثنتين، حيث عاد إلى مصر، ومنها إلى تونس، وكان ذلك في سنة تسع عشرة وثمانمائة [٨١٩هـ ـ ١٤١٧م] وعمره ثلاث وثلاثون سنة، وفي تونس بدأ يعقد حلقات دروسه بجامع الزيتونة، وتزاحم الطلاب على مجالسه، واعترفوا له بالعلم الغزير والاطلاع الواسع في علمي الرواية والدراية. يقول الثعالبي ـ متحدّثاً عن نفسه واعتراف علماء تونس له بالتفوّق في علم الحديث ـ: «ولم يكن بتونس يومئذ من يفوقني في علم الحديث، إذا تكلمت أنصتوا، وقبلوا ما أرويه، تواضعاً منهم، وإنصافاً، واعترافاً بالحق، وكان بعض فضلاء المغاربة هنا يقول لي: لما قدمت علينا من المشرق رأيناك آية للسائلين في علم الحديث، وذلك فضل من الله ومنّة منه سبحانه، ومع ذلك لا أسمع بمجلس يروى فيه الحديث إلاّ حضرتُه. جعل الله ذلك خالصاً لوجهه، ومبلغاً لمرضاته، ونعوذ بالله أن يكون ذلك فخراً وسمعة[٢]».

العودة إلى الوطن:

وأخيراً يعود الشيخ الثعالبي إلى وطنه الجزائر، ولا تذكر كتب التاريخ ـ فيما وصل إليه علمي المتواضع ـ تاريخ رجوعه إلى بلاده، وإنّما تذكر أنّه

---

(١) تاريخ الجزائر العام للشيخ عبدالرحمٰن الجيلالي: ٢/٢٨٠.

(٢) عبدالرحمٰن الثعالبي والتصوّف: ١٣١، للدكتور عبدالرزاق قسوم، نقلاً عن كتاب الجامع للثعالبي، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط، رقم: ٣١٥٥، ورقة: ٣٠ ـ ٣٣.

عاد بعدما قضى حوالي عشرين سنة في الغربة قضاها في طلب العلم واكتساب المعارف، ما بين بجاية، وتونس، ومصر، وتركيا، والحجاز، ولعلّه مرّ على العراق والشام، وخاصة القدس الشريف. . .

عاد الثعالبي إلى الجزائر فذّاً عظيماً في علمه وصلاحه، وقدوة حسنة في اجتهاده وكدّه وتواضعه، بعد أن تحصل على الإجازات العلمية، والإذن له بالتدريس والعطاء، والإفتاء، والتأليف، من جهابذة العلماء المحقّقين في علمي المنقول والمعقول، ومن كبار المحدّثين والفقهاء والمؤلفين، واستقر بمدينة الجزائر، ويقال: إنّه بعدما دخل إلى مدينة الجزائر مرّ بزقاق فسمع وَلَداً في مدرسة قرآنية يقرأ قوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[1] فقال: هذا فال حسن. فأقام بالجزائر لم يتحول عنها[2]. وتولّى الإمامة والخطابة بالجامع الأعظم، ولا زال المنبر وعصا الخطبة موجودين إلى الآن، كما وُلّي القضاء على غير رضًى منه ثم خلع نفسه[3] وتفرّغ للعبادة والتأليف، ونشر العلم، وهداية الخلق إلى سواء السبيل، فقصده الطلاب، وانتفعوا به، وتخرّج على يده أعلام عظام، وصدور كبار، واستمرّ في التدريس والتأليف، والتوجيه، والإفتاء إلى أن وافاه أجله صبيحة يوم الجمعة الثالث والعشرين من رمضان المعظم عام خمسة وسبعين وثمانمائة [٨٧٥ ـ ١٥ مارس ١٤٧٠م][4] ونقل جثمانه من منزله الذي يقع قرب الجامع الأعظم إلى مكان يقع في ربوة خارج باب الوادي يعرف آنذاك «بجبّانة الطلبة»، ودفن هناك فأصبحت تلك الجبّانة منذ ذلك الحين تسمّى سيدي عبدالرحمٰن، بل أصبحت عاصمة الجزائر تحمل اسمه إلى يوم النّاس هذا.

كان لموت الشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي وقع أليم، وخَطْبٌ جسيم في

---

(١) سبأ: ١٥.

(٢) صفحات من تاريخ مدينة الجزائر: ٧٢، لنور الدين عبدالقادر.

(٣) تاريخ الجزائر العام للشيخ عبدالرحمٰن الجيلالي: ٢/٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٤) يذكر خير الدين الزركلي في أعلامه أن الثعالبي توفي في مارس سنة ١٤٧٠م، ويذكر محمد بن عبدالكريم في التحفة المرضية، الملحق الثالث أنه توفي سنة ١٤٧٩م.

قلوب أهل مدينة الجزائر عامّة، وفي نفوس أهله وأقاربه وأصحابه وطلابه بصفة خاصّة، فحزنت القلوب، وذرفت العيون، وبكاه الخطباء على المنابر، ورثاه الشعراء في المحافل، فكان ممّن رثاه بقصيدة تلميذه الشيخ أحمد بن عبدالله الجزائري الزواوي، صاحب المنظومة المشهورة «كفاية المريد في علم التوحيد» جاء فيها [من الطويل]:

لقد جزعت نفسي لفقد أحبّتي ... وحق لها من مثل ذلك تجزع

ألمّ بنا ما لا نطيق دفاعَه ... وليس لأمر قدر اللّه مرجع

لقد بان أهل العلم عنّا وأقفرت ... منازلُهم إنّا إلى اللّه نرجع

كما بان عنّا شهمنا العالم الذي ... سناه بأنوار الحقيقة يسطع

أبو زيد المشهور بالعلم والتُّقى ... له الفضلُ فينا والمقامُ المرفع

هو العالم الموصوف بالنّفع للورى ... به عنهم خُطْب الحوادث يرفع

وفيها يعزّى نجل الثعالبي أبا عبدالله محمداً الكبير:

أُعزّي أبا عبدالله محمّدا ... ومَن بجميل الصبر نرجو سيجمع

ونحن وإن كنّا جميعاً نحبّه ... فقلبك أشجى للفراق وأوجع

أُصِبنا به، فالله يعظم أجرنا ... ويلهمنا الصّبر الجميل ويوسع(١)

أولاده: إن كتب التراجم والسير والتاريخ التي بين أيدينا لا تشير إلى تاريخ زواج الثعالبي، ويبدو أنه لم يتزّوج حتى عاد إلى الجزائر واستقر بها نهائياً. وذلك بعد الثلاثين من عمره، وقد أنجب ثمانية أولاد وكلّهم من أمّ واحدة، واسمها مريم، ولا نعلم تاريخ وفاتها هل كان قبل زوجها أو بعده؟ كما لا نعلم عن أسرتها شيئاً يذكر، والأولاد الثمانية، هم أربعة ذكور، وأربع إناث. وهم: محمد الكبير، ومحمد الصغير، ومحمد الملقب بأبي الصالحية ويحيى الذي كان يكنى به، كما كان يكنى بأبي محمد، ولكن غلبت التكنية بأبي زيد، وهي تكنية اصطلاحية عند علماء النسب الذين تقرّر

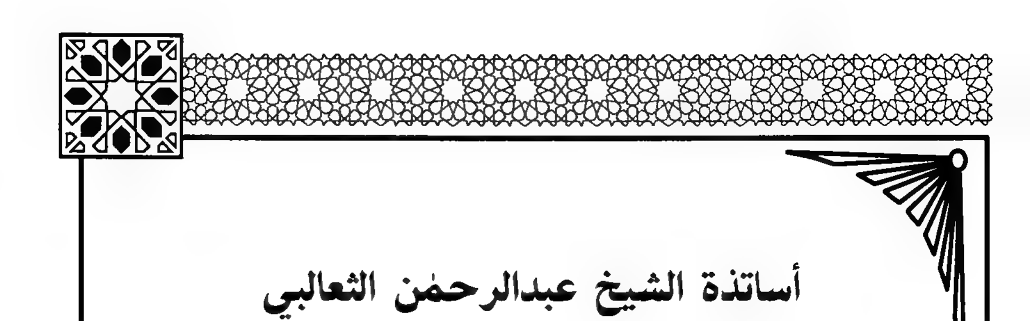
(١) تاريخ الجزائر العام: ٢٨٣/٢، للشيخ عبدالرحمٰن بن محمد الجيلالي.

لديهم أنّ كل من اسمه عبدالرحمٰن يكنى أبا زيد ومن اسمه يحيى يكنى أبا زكرياء، ومن اسمه محمد يكنى أبا عبدالله ومن اسمه أحمد يكنى أبا العباس، ومن اسمه عبدالله يكنى أبا محمد...

وقد توفي محمد الصغير شهيداً بالطاعون عام **٨٤٦**هـ ـ **١٤٤٣**م، وتوفي محمد أبو الصالحية سنة **٨٥١**هـ ـ **١٤٤٧**م. في حياة والدهما، كما توفي البنات الثلاث: فاطمة، ورقية، ومحجوبة في سنة واحدة وهي سنة **٨٤١** وهي السنة التي توفي جدّهن لأمهن مريم، وكلهن صغيرات، أما عائشة فقد كانت على قيدة الحياة يوم وفاة أخيها محمد أبي المصاحبة، ولا نعلم تاريخ وفاة يحيى هل كانت قبل أبيه أم بعده؟ ويبدو أنه كانت قبله، لأن الشاعر أبا العبّاس أحمد بن عبدالله الجزائري الزواوي، ذكر محمّداً الكبير في مرثيته لأبيه ولم يذكر يحيى. ويبدو أنه لم يعش من نسل الثعالبي بعده إلاّ محمد الكبير، الذي ترك بنتاً واحدة. وجميع أبناء الثعالبي دفنوا بجبانة الطلبة حيث الضريح، وكذلك زوجته مريم، وكان للشيخ الثعالبي عم اسمه عامر بن عمر بن مخلوف(١).



(١) أ ـ تاريخ الجزائر العام للشيخ عبدالرحمٰن الجيلالي: **٢/٢٨٥**.
ب ـ التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمدية لمحمد بن ميمون الجزائري، الملحق الثالث، تقديم وتحقيق الدكتور محمد عبدالكريم: **٣٤٣ ـ ٣٤٥**.



أساتذة الشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي

لقد أخذ الثعالبي العلم على عدد كبير من الشيوخ، أوّلاً في الجزائر بتلمسان، وبجاية، ثم في تونس بالزيتونة، ثم في مصر بالقاهرة في الأزهر الشريف، ثم بالحجاز، ولعلّه عرّج على العراق، والشام، أثناء أدائه لفريضة الحج وسنة العمرة والزيارة، فسمع ببغداد، والقدس، ودمشق، فهذه العواصم لا يمكن لمثل الثعالبي أن يتغافل عنها ولا يمرّ عليها، فيأخذ على علمائها، وهو الحريص على الاستفادة، والسّماع، ولكن كتب السّير والتاريخ لا تحدّثنا عن شيوخ الثعالبي في مسقط رأسه بوادي يسّر، وفي الشام، والعراق، والحجاز، بمكة، والمدينة، ونحن نستعرض أسماء شيوخه وأساتذته حسب الترتيب الزمني ولنبدأ بالجزائر بلده، وموطن آبائه وأجداده.

إنّ المصادر المتوفّرة لدينا لا تحدثنا عمن أخذ الثعالبي المعلومات الأولى في مسقط رأسه، ومما لا شك فيه أنه تعلّم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في مسجد البلدة التي ولد فيها، على ما جرت به العادة في ذلك العصر، ولعلّ شيخه الأول هو والده أو شيخ مسجد وادي يسّر، وبعد أن أكمل حفظ الكتاب العزيز، وحفظ بعض المتون، وأخذ المعلومات الضرورية الأولى من توحيد، وفقه، وتجويد، ونحو، وصرف، وبلاغة، تاقت نفسه الطموحة إلى الزيادة في التعلّم، فقصد المراكز العلمية في المغرب والمشرق، فكان أول محطّة نزل بها هي مدينة تلمسان.

يذكر الأستاذ محمد بن عبدالكريم بأن الشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي نزح من مسقط رأسه صحبة والده محمد بن مخلوف في أواخر القرن الثامن

الهجري، وأواخر القرن الرابع عشر الميلادي، طالباً المزيد من العلوم والعرفان، باحثاً عن مظانها في مناكب الأرض، وقصد تلمسان حيث اجتمع ببعض علمائها الفطاحل، وأخذ عنهم ما تيسر له أخذه وقد سمع وروى هناك عن عالم الدنيا محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد.

وكان الثعالبي إذ ذاك يناهز البلوغ، ثم يمّم شطر بجاية[1] صحبة والده وذلك سنة ٨٠٢هـ ـ ١٣٩٩م، فمكث بها حوالي سنة ثم توفي والده بها، ودفن هناك، وعلى إثر هذه المصيبة ـ مصيبة فقد الوالد الحنون ـ عاد الثعالبي إلى مسقط رأسه قصد زيارة الأقارب، ولعل منهم الوالدة التي كانت على قيد الحياة، والإخوة والأخوات والأعمام والأخوال، ثم عاد إلى بجاية حيث قضى فيها سبع سنوات، تلقى خلالها دروساً شتى في مختلف الفنون والعلوم.

وها هو الثعالبي يحدّثنا عن بداية رحلته في طلب العلم ويذكر أنّه خرج من بيته أواخر القرن الثامن ودخل بجاية أوائل القرن التاسع، وذلك عند قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾[2].

فيقول: رحلت في طلب العلم أواخر القرن الثامن، ودخلت بجاية أوائل القرن التاسع، فلقيت الأئمة المقتدى بهم في العلم، أصحاب سيدي عبدالرحمٰن الوغليسي [ت: ٧٨٦هـ] متوافرين فحضرت مجالسهم[3].

ونلاحظ من هذا النص أن الثعالبي قد خرج من مسقط رأسه أواخر القرن الثامن طلباً للعم والمعرفة، وأنه وصل إلى بجاية أوائل القرن التاسع،

---

(١) التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمدية، لمحمد بن ميمون الجزائري، الملحق الثالث: ٣٣٥، تقديم وتحقيق: الدكتور محمد بن عبدالكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ بالجزائر، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

(٢) الشورى: ٥٣.

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ١٤٠/٣ .تحقيق أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

والمسافة بين وادي يسر وبجاية ليست بعيدة لا تستغرق أكثر من مرحلتين أو ثلاث مراحل على أكثر تقدير، فأين قضى هذه المدة؟ يمكن أنه قضاها بتلمسان، أو قضاها ببلاد الزواوة العامرة بالزوايا، فبقي هناك لأخذ العلم على العلماء والشيوخ، الذين ربطوا أنفسهم في هذه المعاهد التي تقع في جبال جرجرة الوعرة المسالك، فراراً من الفتن والحروب، وانقطاعاً للعبادة ونشر العلم، وتربية الأجيال على أخلاق الإسلام؛ من طهارة ومحبة وإخاء.

ومما لا شك فيه أنّ الثعالبي قد قضى هذه الفترة الزمانية في تلمسان أو في بعض المعاهد العلمية المنتشرة في ربوع الوطن الجزائري حفظاً للمتون وتزوّداً بالمعلومات المختلفة، والفنون المتداولة المعروفة آنذاك. ولعلّ السنوات القادمة تكشف لنا عن هذه الفترة المجهولة من حياة الثعالبي وذلك بظهور مخطوطات، واكتشاف معلومات تنير طريق الباحث، وتزيل عنه الغموض، وتبيّن أين كان الثعالبي من أواخر القرن الثامن إلى أوائل القرن التاسع.

شيوخ الثعالبي ببجاية:

وقد ذكر الثعالبي أسماء ستّة من شيوخه الذين أخذ عنهم، واستفاد منهم في الأعوام السبعة التي قضاها في بجاية متعلماً ومستفيداً بعد أن ذكر مكان انطلاق رحلته لطلب العلم وتاريخها فقال: «رحلت في طلب العلم من ناحية الجزائر من موضع يقال له «يسّر»: وهو واد مشهور هناك، وذلك في أواخر القرن الثامن، ثم تناهت بي الرحلة إلى بجاية، فدخلتها عام اثنين وثمانمائة [٨٠٢هـ]، فلقيت بها الأئمة المقتدى بهم؛ في علمهم ودينهم وورعهم، أصحاب الشيخ الفقيه الزّاهد الورع أبي زيد عبدالرحمٰن الوغليسي [ت:٧٨٦هـ]، وأصحاب أبي العباس أحمد بن إدريس [ت: ٧٦٠هـ]، وهم يومئذ متوافرون، أهل ورع ووقوف مع الحدود، وسلك أتباعهم وطلبتهم مسلكهم[1].

---

(١) صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، لنور الدين عبدالقادر، ص١٦٧ .نقلاً عن الكتاب الجامع الذي ذيل به الثعالبي شرحه لمختصر ابن الحاجب الفرعي، وهو مخطوط، وتوجد منه نسخة بوزارة الشؤون الدينية تحت رقم ٣٧٧، مبتور الأول.

ونذكر باختصار نبذاً من حياة هؤلاء الأئمة مرتبين على تاريخ وفاتهم، وهم:

١ ـ أبو العباس أحمد بن أبي زيد عبدالرحمٰن النقاوسي البجائي من كبار فقهاء المالكية، المتصدرين للتدريس والعطاء بمدينة بجاية، وصفه الثعالبي بالإمام المحقق الجامع بين علمي المنقول والمعقول، ذي الأخلاق المرضية، والأحوال الصالحة السنية، وهو صاحب كتاب «الأنوار المنبلجة في بسط أسرار المنفرجة»، توفي سنة عشر وثمانمائة [ت: ٨١٠هـ][(١)].

٢ ـ وأبو الحسن علي بن عثمان المنقلاني الزواوي، من علماء بجاية وفقهائها المشهورين، وصفه الثعالبي بقوله: «شيخنا الإمام الحافظ... وعليه كانت عمدة قراءتي». توفي سنة خمس عشرة وثمانمائة [ت: ٨١٥هـ][(٢)].

٣ ـ وأبو الحسن علي بن موسى بن عبدالله بن هيدور التادلي الأصل، البجائي النشأة والتكوين، كان إماماً في علم الفرائض والحساب، حسن الخط، توفي عام ستة عشر وثمانمائة [ت: ٨١٦هـ][(٣)].

---

(١) انظر ترجمته في:
أ ـ نيل الابتهاج، لأحمد بابا التنبكتي، ص٧٦ ـ ١٧٣.
ب ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة: ٥/٩٩.
جـ ـ هدية العارفين لإسماعيل باشا: ١/١١٨.
د ـ تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي: ٢/١٠٢.
هـ ـ أعلام الجزائر لعادل نويهض: ٢٥.

(٢) انظر ترجمته في:
أ ـ الضوء اللامع للسخاوي، م٤، ج٥، ص٢٦١، تر: ٨٧٣.
ب ـ تعريف الخلف للحفناوي: ١/٧٧.
جـ ـ أعلام الجزائر لعادل نويهض: ١١٧.

(٣) انظر ترجمته في:
أ ـ نيل الابتهاج: ٢٠٧.
ب ـ تعريف الخلف: ٢/٢٨٢.
جـ ـ أعلام الجزائر: ١٢٢.

٤ ـ وأبو الربيع سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني الفقيه المحقق، قال الثعالبي، وعليه كانت عمدة تجويدي للقرآن، كان قائماً على المدونة وابن الحاجب، مستحضراً لقواعد الفقه لعز الدين بن عبدالسلام، وأبحاثه نصب عينيه، توفي سنة خمس وأربعين وثمانمائة [٨٤٥هـ][١].

٥ ـ وأبو عبدالله محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبدالصمد الزواوي المشدالي، علاّمة بجاية، وفقيهها وخطيبها، ومفتيها ـ كان يضرب به المثل في التحصيل، فيقال: أتريد أن تكون مثل أبي عبدالله المشدالي، توفي سنة ست وستين وثمانمائة [ت: ٨٦٦هـ] وهو في بجاية كالبرزلي بتونس. له تكملة حاشية الوانوغي على المدونة. ومختصر البيان لابن رشد»[٢].

٦ ـ وأبو الحسن علي بن مكي الملياني، الأصولي الفقيه، ولد ونشأ بمليانة، ثم انتقل إلى بجاية. فأخذ عن الوغليسي وغيره، ثم تصدّر للتدريس، فأخذ عنه جماعة منهم الثعالبي[٣].

٧ ـ وأبو الحسن علي بن محمد اليلتيني[٤].

---

(١) ترجمته في:
أ ـ أعلام الجزائر لنويهض: ٧٦.
ب ـ تعريف الخلف، للحفناوي: ١٧٧/٢.
ج ـ صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، لنور الدين عبدالقادر: ١٦٧ ـ ١٦٨.

(٢) ترجمته في:
أ ـ درة الحجال، لابن القاضي، ٣٢/٢ ـ ٣٣، تر: ٨٢٤.
ب ـ الضوء اللامع، للسخاوي: ٢٩٠/٨.
ج ـ تعريف الخلف، للحفناوي: ١٠٩/١ ـ ١١٠.

(٣) ترجمته في:
أ ـ تعريف الخلف، للحفناوي: ٢٩١/٢.
ب ـ أعلام الجزائر، لنويهض: ١٢٢.

(٤) أ ـ صفحات من تاريخ مدينة الجزائر: ١٦٨.
ب ـ التحفة المرضية، الملحق الثالث: ٣٣٨.

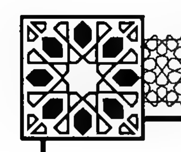
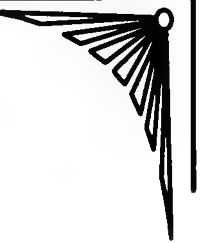
٨ ـ أبو جمعة بن حسين المكناسي، ذكره الشيخ نور الدين عبدالقادر[1].

٩ ـ وأبو زكرياء يحيى بن أحمد العدلي البجائي، شارح الوغليسية، المتوفى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة [ت: ٨٨١هـ][2].



(١) صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، ص١٦٨.

(٢) ترجمته في:
أ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي: ٢٢٢/١٠، ترجمة: ٩٥٣.
ب ـ الرحلة الورتيلانية، للشيخ الحسين الورتيلاني، ص٨ ـ ٩.
جـ ـ مناقب الشيخ سيدي يحيى العدلي، للشيخ الحسين الورتيلاني، مخطوط: ٣٣.
د ـ تعريف الخلف: ٥٩٥/٢.
هـ ـ تاريخ الجزائر الثقافي سعد الله أبو القاسم، ج١، ص٧٩، تعليق: ٩١.

شيوخ الثعالبي بتونس

وبعد تسع سنوات من الدراسة والتّحصيل بالمغرب الأوسط قرّر مواصلة الرحلة العلمية، فالتحق بالمغرب الأدنى بالعاصمة الحفصية بتونس، حيث جامع الزيتونة العامر بفطاحل العلماء، وبأصحاب وطلاب الإمام ابن عرفة أبي عبدالله محمد [ت: ٨٠٣هـ] ويحدّد الثعالبي تاريخ حلوله بتونس فيقول: «ثم دخلت تونس عام تسعة أو عشرة [وثمانمائة] وأصحاب ابن عرفة متوافرون، فأخذت عنهم، كشيخنا أبي مهدي عيسى ـ ابن أحمد بن محمد ـ الغبريني، وحيد زمانه علماً وديناً وورعاً، وإليه كانت الرحلة في زمانه»(١).

١ ـ وكان أبو مهدي قاضي الجماعة، وخطيب الجامع الأعظم بعد ابن عرفة، حافظاً للمذهب المالكي، صحيح النقل، قوي الذاكرة، توفي عام خمسة عشر وثمانمائة [ت: ٨١٥هـ](٢).

٢ ـ ومن شيوخ الثعالبي بتونس الأبّي أبو عبدالله محمد بن خلفة بن عمر الوشتاتي المالكي التونسي، صاحب كتاب «إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم» في شرح صحيح مسلم، وهو شرح جليل مشحون بالفوائد والفرائد، جمع فيه بين ما كتبه الأئمة أبو عبدالله محمد المازري [ت: ٥٣٦هـ] وأبو

(١) صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، لنور الدين عبدالقادر: ١٦٨.

(٢) ترجمته في:

ـ شجرة النور الزكية، لمحمد بن مخلوف: ٢٤٣، تر: ٨٧٠.

الفضل عياض [ت: ٥٤٤هـ] وأبو عبدالله محمد القرطبي [ت: ٦٧١هـ] وأبو زكرياء يحيى النووي [ت: ٦٧٦هـ] مع زيادات من كلام شيخه ابن عرفة.

وكان الأبي أصولياً، فقيهاً، راوية، نظاراً، من أكابر أصحاب ابن عرفة، الذي قال لمن سأله: لماذا هذا السهر الطويل والمطالعة الدائمة؟ كيف أنام وأصبح بين أسدين الأبي بفهمه وعقله، والبرزلي بحفظه ونقله. توفي الأبي سنة ثمان وعشرين وثمانمائة [ت: ٨٢٨هـ](١).

٣ ـ ومن شيوخه بتونس أبو يوسف يعقوب بن أبي القاسم الزغبي التونسي قاضي الجماعة بتونس بعد أبي مهدي الغبريني، كان فقيهاً، قاضياً عدلاً، علاّمة من أكابر أصحاب ابن عرفة، أخذ عنه جماعة كبيرة كابن ناجي، وأبي القاسم القسنطيني، وأبي زيد الغرياني، وتوفي في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة [ت: ٨٣٣هـ](٢).

٤ ـ ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد المشهور بالشّماع الهنتاتي التونسي، الشيخ الصالح، الفقيه المحقق الفاضل، أخذ عن ابن عرفة وغيره، نقل الونشريسي في المعيار جلّة من فتاويه. توفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة [ت: ٨٣٣هـ].

وقع نزاع بينه وبين البرزلي في العقوبة بالمال، فالبرزلي يرى الجواز، وهو يرى المنع وألف كل منهما رسالة في الرد على صاحبه(٣).

٥ ـ ومنهم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد القلشاني الباجي التونسي، بيته معروف بالعلم والفضل، قاضي الأنكحة بتونس، كان فقيهاً، إماماً متفنّناً، أخذ عن ابن عرفة وأبي العباس بن حيدرة وغيرهما. وأخذ عنه

---

(١) ترجمته في:
أ ـ الأعلام للزركلي: ٣٤٩/٦.
ب ـ شجرة النور الزكية: ٢٤٤، تر: ٨٧٤.

(٢) ترجمته في شجرة النور الزكية: ٢٤٤، ترجمة: ٨٧٥.

(٣) ترجمته في المصدر السابق: ٢٤٤، تر: ٨٧٦.

ابناه: أحمد وعمر، والثعالبي الذي لازمه وانتفع به وأخذ عنه صحيح البخاري إلاّ يسيراً. توفي في ربيع الثاني سنة ست وثلاثين وقيل سبع وثلاثين وثمانمائة [ت: ٨٣٧هـ][(١)].

٦ ـ ومنهم أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الخطيب محمد بن مرزوق التلمساني الإمام المحقّق، العلاّمة المفسّر، المحدّث، الراوية، فارس المنابر، الوارث المجد كابراً عن كابر، أخذ عن الأعلام من المغرب والمشرق، منهم والده وعمّه، وابن عرفة، وابن خلدون، والفيروزأبادي صاحب القاموس، وأخذ عنه ابنه المعروف بالكفيف، وأبو الفضل المشدالي، ونصر الدين الزواوي، والحافظ التنسي، وغيرهم كثير.

توفي يوم الخميس الرابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمانمائة [ت: ٨٤٢هـ][(٢)]، وهذان الأخيران أخذ عنهما الثعالبي بعد عودته من المشرق إلى تونس عام تسعة عشر وثمانمائة [٨١٩هـ] قال الثعالبي: ثم رجعت لتونس، فإذا في موضع الغبريني الشيخ أبو عبدالله القلشاني خلفه فيه عند موته فلازمته... ثم قدم تونس شيخنا ابن مرزوق عام ٨١٩هـ، فأقام بها نحو سنة فأخذت عنه كثيراً وسمعت عليه الموطأ[(٣)].

٧ ـ ومنهم البرزلي أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني مفتي تونس وفقيهها وحافظها. تولّى الإمامة بالجامع الأعظم ـ الزيتونة ـ كان إليه المفزع في الفتوى، أخبر عن نفسه أنه أخذ على نيف وخمسمائة شيخ على رأسهم ابن عرفة الذي لازمه نحواً من أربعين سنة، له ديوان كبير في الفقه، جمع فيه وأوعى، كما له الحاوي في النوازل، اختصره حلولو،

---

(١) ترجمته في المصدر السابق: ٢٤٤، تر: ٨٧٧.
(٢) ترجمته في:
أ ـ شجرة النّور الزّكية: ٢٥٢، ترجمة: ٩١٨.
ب ـ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم: ٢٠١ ـ ٢١٤.
جـ ـ نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي: ٢٩٨.
(٣) صفحات من تاريخ مدينة الجزائر: ١٦٨.

والبوسعيدي، والونشريسي، عاش مائة وثلاث سنين، وتوفي عام أربعة وأربعين وثمانمائة [ت: ٨٤٤هـ] وقيل وقبل ذلك بسنة أو ثلاث[١].

شيوخ الثعالبي بمصر:

وبعد ثمانية أعوام من الدّراسة والسماع بجامع الزيتونة بتونس، واصل الثعالبي رحلته العلمية إلى المشرق العربي، فدخل مصر عام سبعة عشر وثمانمائة [٨١٧هـ] وعمره إحدى وثلاثون سنة، وفي القاهرة حيث الجامع الأزهر الشريف اجتمع بعدد كثير من كبار العلماء، فالتزم حلقاتهم، وتحصّل على إجازات عدد منهم، فكان ممّن أخذ عنهم ونال إجازاتهم.

١ ـ أبو عبدالله محمد بن علي بن جعفر شمس الدّين المعروف بالبلالي شيخ «خانقاه سعيد السعداء».

قال الثعالبي: «ثم رحلت إلى المشرق، ودخلت مصر، فسمعت البخاري على البلالي وكثيراً من اختصار الأحياء للغزالي له»[٢]، توفي البلالي عام عشرين وثمانمائة [ت: ٨٢٠هـ][٣].

٢ ـ وأبو زرعة أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين وليّ الدّين العراقي الكردي الأصل، القاهري المولد والمنشأ والوفاة. سمع علماء مصر، والشام، والحجاز، فبرع في الحديث ومصطلحاته، والفقه وأصوله، والعربية وعلومها، وأذن له غير واحد من شيوخه بالإفتاء والتدّريس، تولّى القضاء بالقاهرة، وكان من خيار أهل عصره بشاشة وصلابة في الحكم، وطلاقة

---

(١) ترجمته في:
أ ـ شجرة النور الزكية: ٢٤٥، ترجمة: ٨٧٩.
ب ـ الحلل السندسية في الأخبار التونسية، للوزير السرّاج: ٧٠١/٣ ـ ٧٠٣.
جـ ـ البستان لابن مريم: ١٥٠ ـ ١٥٢.

(٢) صفحات من تاريخ مدينة الجزائر: ١٦٨.

(٣) ترجمته في لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لأبي الفضل محمد بن محمد الهاشمي المكّي: ٢٧٢.

وجه، وحسن خلق، وطيب عشرة، قال والده في دروسه [من البسيط]:

دروس أحمد خير من دروس أبه   وذاك عند أبيه منتهى أربه

قال الثعالبي: وحضرت كثيراً عند شيخ المحدّثين بها ـ مصر ـ ولي الدين العراقي، وأخذت عنه علوماً جمّة، معظمها علم الحديث [وفتح لي فتح عظيم، وأجازني](1). وتوفي سنة ست وعشرين وثمانمائة [ت: ٨٢٦هـ](2).

٣ ـ وأبو محمد عبدالله بن مسعود بن علي التونسي الشهير بابن القرشية، توفي سنة سبع وعشرين وثمانمائة [٨٢٧هـ](3).

٤ ـ ومنهم أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين البساطي، قاضي القضاة بالديار المصرية، وشيخ الإسلام، والمالكية بها، فكان من شيوخه أبو زيد ولي الدين عبدالرحمٰن بن خلدون، فاشتهر أمره في أوساط العلماء من كل المذاهب، وتخرّج على يديه خلق كثير، طار اسمهم في حياته، وتزاحم الأئمة من سائر المذاهب، والفرق على حلقاته التي كان يعقدها بالقاهرة، ومكة المكرمة. وأثنى عليه كلّ من عرفه وجالسه أو قرأ مصنّفاته وكتبه، في الفقه، وعلم الكلام، والأدب، توفي البساطي بالقاهرة ليلة الجمعة ثالث عشر رمضان سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة [ت: ٨٤٢هـ] وصلّى عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني(4).

---

(١) صفحات من تاريخ مدينة الجزائر: ١٦٨.

(٢) ترجمته في:
أ ـ لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، لأبي الفضل محمد الهاشمي: ٢٨٤ ـ ٢٩١.
ب ـ الضوء اللامع، للسخاوي: ٣٣٦/١ ـ ٣٤٤.
جـ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١٠٢/٥ ـ ١٠٣.
د ـ تعريف الخلف برجال السلف، للحفناوي: ٦٩/١.

(٣) ترجمته في الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: م٤، ج٥، ص٧٠، ترجمة: ٢٦١.

(٤) ترجمته في:
أ ـ الضوء اللامع للسخاوي، م٣، ج٧، ص٥ ـ ٨، ترجمة: ٧.
ب ـ شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف: ٢٤١، ترجمة: ٨٦٥.
جـ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد: ٢٤٥/٧ ـ ٢٤٦.

٥ ـ ومنهم أبو القاسم بن موسى بن محمد معطي، الحافظ العبدوسي[١].

٦ ـ ومنهم عبدالواحد بن إسماعيل الغرياني المحدّث، المعمر[٢].

طلاّب الثعالبي وأصحابه:

كان للثّعالبي طلاّب كثيرون، جاؤوا إليه من أماكن بعيدة من الشرق والغرب، ومن الشمال والجنوب، وذلك لما اشتهر به من علم غزير، وصلاح ودين، وخلق متين، وقوّة يقين، يضاف إلى هذه الصفات الحميدة استقراره بمدينة الجزائر التي هي قلب المغرب الإسلامي، ووسط القطر الجزائري، ومقصد التّجار، وكعبة الرّحالة والزّوار. كلّ هذه الصّفات وغيرها جعلت طلاب العلم والمعرفة يقصدون الثعالبي للأخذ عنه والسّماع منه، والانتفاع بعلمه وعمله، فمنهم من لازمه زمناً طويلاً، ومنهم من استفاد منه، ونال إجازته أثناء مروره بمدينته، ونحن نذكر بعضهم ممّن توفّرت عندنا أسماؤهم، واشتهروا بالانتساب إليه، وتشرّفوا بحضور حلقاته ودروسه، وذكروا ذلك في فهارسهم ومصنّفاتهم، فمن هؤلاء حسب وفياتهم:

١ ـ علي بن عماد التّستري البكري الفاسي المغربي المتوفى سنة ثمانين وثمانمائة (ت: ٨٨٠هـ)[٣].

٢ ـ وأبو العباس أحمد بن عبدالله الزواوي الجزائري، شهاب الدين صاحب اللامية المشهورة في العقائد، والتي شرحها أبو عبدالله محمد بن

(١) ترجمته في:
أ ـ الضوء اللامع، ج١١، ص١٤٠، تر: ٤٦٢.
ب ـ التحفة المرضية، الملحق الثالث: ٣٤٠.
ج ـ تعريف الخلف، للحفناوي: ١/٦٩ ـ ٧٠.

(٢) أ ـ التحفة المرضية، الملحق الثالث: ٣٤٠.
ب ـ تعريف الخلف، للحفناوي: ١/٦٩.

(٣) نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي: ٢١١.

يوسف السّنوسي، وأثنى على ناظمها بالعلم والتّقوى والصّلاح، توفي أبو العباس سنة أربع وثمانين وثمانمائة [ت: ٨٨٤هـ][١].

٣ ـ وأبو عبدالله محمد بن يوسف السّنوسي الحسني التلمساني عمدة علماء الكلام، وصاحب العقيدة الكبرى وشرحها، والعقيدة الوسطى وشرحها، والعقيدة الصّغرى وشرحها، وتسمّى الأولى: عقيدة أهل التوحيد والتسديد المخرج من ربقة التقليد، المرغمة أنف كل مبتدع عنيد»، وقد تناولها عدد كبير من كبار العلماء بالشرح والتعليق. وأما العقيدة الصغرى فتسمى السنّوسية، وأمّ البراهين، وهي تأليف مختصر لا نظير له في بابه. توفي الإمام السَّنُوسي سنة خمس وتسعين وثمانمائة [ت: ٨٩٥هـ][٢].

٤ ـ وأبو الحسن علي بن محمد الأنصاري التلمساني أخو أبي عبدالله السّنوسي لأمه، كان فقيهاً متقناً حافظاً، لا يشتغل بما لا يعنيه، لا يُرى إلا ذاكراً، أو قارئاً للقرآن، أو مشتغلاً بمطالعة، توفي سنة خمس وتسعين وثمانمائة [ت: ٨٩٥هـ][٣].

٥ ـ ومنهم أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق، وصفه المناوي بقوله: «عابد من بحر العبر يغترف،

---

(١) ترجمته في:
أ ـ شجرة النور الزكية: ٢٦٥، ترجمة: ٩٧٩.
ب ـ تعريف الخلف برجال السلف: ٣٨/١ ـ ٤١.

(٢) ترجمته في:
أ ـ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، لابن مريم: ٢٣٧ ـ ٢٤٨.
ب ـ درّة الحجال في أسماء الرجال، لابن القاضي: ١٤١/٢ ـ ١٤٢، تر: ٦٠٥.
ج ـ شجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف: ٦٦، ترجمة: ٩٨٤.
د ـ تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي: ١٧٩/١ ـ ١٨٩.
هـ ـ الإمام ابن يوسف السنوسي لجمال الدين بوقلي حسن: ٣٩٣.

(٣) ترجمته في:
أ ـ نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي: ٢١٠.
ب ـ شجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف: ٢٦٦، ترجمة: ٩٨٣.
ج ـ أعلام الجزائر لعادل نويهض: ١٢٠.

وعالم بالولاية مُتّصف، تحلّى بعقود القناعة والعَفاف، وبرع في معرفة الفقه والتصوّف، والأصول والخلاف، خَطبتْه الدنيا فخاطب سواها، وعُرضت عليه المناصب فردّها وأباها»[1].

ارتحل الشيخ أحمد زروق إلى المشرق، فحجّ وجاور بالمدينة المنوّرة، وأقام بالديار المصرية نحو سنة مديماً، وأخذ عن كثير من علماء الأزهر الشريف، كما أخذ قبل ذلك عن علماء الزيتونة، وبجاية، وتلمسان، وفاس، كالحافظ التنسي، وأبي عبدالله السنوسي، وابن زكري، والمشدالي، والثعالبي، والشيخ القدوة أبي زكرياء يحيى بن أحمد العدلي البجائي[2] الذي

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد: ٣٦٣/٧ ـ ٣٦٤.

(٢) للشيخ يحيى العدلي وردٌ يُقرأ كل يوم بعد صلاة الصّبح. وقد أوصى الشيخ المذكور أولاده وطلابه، ومحبيه بقراءته، وقد احتفظ بالوصية جميع القرى المجاورة لتمقرة. ويُقرأ في بجاية، وسطيف والبرج، وغيرها ونصّه:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمٰن الرحيم. الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا خير خلق الله. اللهم ارض عن أصحاب رسول الله. «الله أكبر» ثلاثاً، ولا إلـٰه إلاّ الله «والله أكبر» ثلاثاً. ولله الحمد. «يا لطيف يا كافي يا حفيظ يا شافي» ثلاثاً، يا الله. «لا إلـٰه إلاّ الله» عشراً، سيدُنا محمد رسول الله ﷺ تسليماً. ثبّتنا يا ربي بقولها، وانفعنا يا ربي بسرّها، واجعلنا من أخيار أهلها» ثلاثاً، «آمين آمين آمين يا رب العالمين» ثلاثاً. «اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد» عشراً. آمين آمين آمين يا رب العالمين، ثلاثاً، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمٰن الرحيم، إنّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً. «صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً»، عشراً. «اللهم صلّ على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً»، عشراً. «اللهم صلّ على ملائكتك والمقربين وعلى أنبيائك والمرسلين، وعلى أهل طاعتك أجمعين» خمساً. اللهم ارض عن ساداتنا الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وعن الصحابة أجمعين، وأمهات المؤمنين، وعن عبادك الصالحين، وعن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين» خمساً. «أستغفر الله الذي لا إلـٰه إلاّ هو الحي القيوم وأتوب إليه» ثلاثاً. «أستغفر الله العظيم لي ولوالدي ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات» ثلاثاً. أعوذ بالله من=

أخذ عنه علم التصوف والسّلوك، وبقي عنده بقريته «تامقرة» عدة أعوام طالباً، ثم مُعلّماً وأستاذاً لطلبة الشيخ يحيى العدلي، وألّف في بلدة «تامقرة» عدداً من مؤلفاته التي لا يزال أغلبها مخطوطاً، فمن مؤلفاته في الفقه شرحان على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وفي الحديث تعليق لطيف على صحيح البخاري، وأما التّصوّف، والرقائق، وتربية النفوس، وتقويم السلوك

= الشيطان الرجيم بسم الله الرحمٰن الرحيم: «سورة الفاتحة، والمعوذتين، والإخلاص، والكافرون، وآية الكرسي»، مرّة. سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، إنّك أنت الجواد بالخيرات، اللهم افعل بنا وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا وبهم يا مولانا ما نحن له أهل، إنك أنت الغفور، الحليم الجواد، الكريم الرؤوف الرحيم، رضيتُ بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبالكعبةِ قبلة، وبالقرآن إماماً، وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم» مرة. «الصلاة الإبراهيمية» مرة. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. «لا إلـه إلاّ الله قبل كل أحد، ولا إلـه إلاّ الله بعد كل أحد، ولا إلـه إلا الله يُفني الخلائق كلها ويبقى» ثلاثاً. «الحمد لله قبل كل أحد، والحمد لله بعد كل أحد، والحمد لله على كل حال» ثلاثاً. «سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته» ثلاثاً. «سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما خلق، وزنة ما خلق، وملء ما خلق». ثلاثاً. «الله معي، الله حاضري، الله ناظري، الله شاهدي» ثلاثاً. «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» ثلاثاً. تحصّنت بذي العزة والجبروت، واعتصمت برب الملكوت، وتوكلت على الحي الذي لا يموت، اصرف عنا البلاء، إنك على كل شيء قدير، اصرف عنا الأذى، إنك على كل شيء قدير، اصرف عنا الوباء، إنك على كل شيء قدير» ثلاثاً. «باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم» ثلاثاً. أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» ثلاثاً. «أعوذ بالله من الشقاق، والنفاق، ومن سوء الأخلاق، ومن أمر لا يطاق». ثلاثاً. «يا حفيظ، يا حفيظ، يا حفيظ، احفظنا فالله خير حِفْظاً وهو أرحم الراحمين» مرة. «حسبنا الله ونعم الوكيل». ثلاثاً. «حسبي الله لا إلـه إلاّ هو عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم». سبعاً. «اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً» ثلاثاً. «سبحان ربك رب العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

فكثيرة، منها عدة شروح على الحكم العطائية، و«الجُنّة للمعتصم من البدع بالسّنة»، وتوفي الشيخ أحمد زروق في صفر سنة تسع وتسعين وثمانمائة [ت: ٨٩٩هـ] بمسراطة من عمل طرابلس بليبيا[١].

٦ ـ ومنهم أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد العجيسي التلمساني الشهير بابن مرزوق الكفيف تفقّه بأبيه، وأخذ عن كبار العلماء بتلمسان، وبجاية، وتونس، والقاهرة، والشام، ومكة، والمدينة. ونال إعجاب شيوخه، وأجازوه عامّة إلاّ شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني، فقد أجازه مكاتبةً من مصر مع أولاد ابن مرزوق، وكان ذلك عام تسعة وعشرين وثمانمائة نصّ على هذا المقري في نفحه، وابن مريم في بستانه، وتوفي ابن مرزوق الكفيف عام واحد وتسعمائة [ت: ٩٠١هـ][٢].

٧ ـ ومنهم أبو عبدالله محمد عبدالكريم التلمساني المغيلي أخذ عن الأئمة الكبار كالثعالبي، ويحيى بن يذير، وأبي عبدالله السنوسي، وانتهى به المطاف إلى بلاد توات بصحرائنا الشاسعة، واتخذها مقرّاً لسكناه ومكاناً لنشر علمه وتعليم أبناء وطنه، وكانت له مواقف مشهورة مع يهود توات، الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، فتصدّى لهم بلسانه وقلمه، وعرّفهم بأنهم في بلد الإسلام، تُوفّى لهم حقوقُهم ما التزموا الشروط، واحترموا العهود، ووقفوا عند الحدود، فأنزل عليهم الذلّ والهوان،

---

(١) ترجمته في:
أ ـ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، لابن مريم: ٤٥ ـ ٥٠.
ب ـ درّة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي: ٩٠/١ ـ ٩١، تر: ١٢٦.
جـ ـ الضوء اللامع، للسخاوي، م١، ج٢٢٢/١، بلا رقم للترجمة.
د ـ شذرات الذهب، لابن العماد: ٣٦٣/٢ ـ ٣٦٤.
هـ ـ نيل الابتهاج: لأحمد بابا التنبكتي: ٨٤ ـ ٨٧.

(٢) ترجمته في:
أ ـ البستان، لابن مريم: ٢٤٩ ـ ٢٥١.
ب ـ درّة الحجال: ١٤٤/٢، تر: ٦١١.
جـ ـ نيل الابتهاج، لأحمد بابا: ٣٣٠.
د ـ نفح الطيب، للمقري: ٤١٩/٥ ـ ٤٢٠.

وأرغمهم على الرضوخ لما تقتضيه شريعة الإسلام. وأيّده على ذلك كثيرون من العلماء من الجزائر وخارجها، كما عارضه آخرون، وفي كتاب «المعيار المعرب، والجامع المغرب، عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس المغرب» للونشريسي، عدد من الفتاوى المؤيدة والمعارضة، وبيان وجهة نظر كل فريق بالأدلة الشرعية من الكتاب والسُنّة، والقياس، والإجماع، وتوفي الإمام المغيلي سنة تسع وتسعمائة [ت: ٩٠٩هـ](١).

٨ ـ ومنهم عيسى بن سلامة البسكري(٢).

٩ ـ وأبو عبدالله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، مفتي الجزائر ودفينها، توفي سنة إحدى وستين وتسعمائة [ت: ٩٦١هـ](٣).

مكانة الثعالبي العلمية:

تظهر مكانة الإمام الثعالبي العلمية في المؤلفات التي تركها، وفي أقوال العلماء فيه، وفي إنتاجه الفكري. ونعرض فيما يلي أقوال بعض الباحثين والمؤرخين والعلماء فيه، ونذكر آراء هؤلاء حسب التّرتيب الزمني لوفاتهم.

يقول فيه شمس الدين السّخاوي محمد بن عبدالرحمٰن، المؤرخ الناقد، المعاصر للثعالبي والمتوفى سنة ٩٠٢هـ.

«عبدالرحمٰن بن محمد مخلوف الثعالبي الجزائري المغربي المالكي

---

(١) ترجمته في:
أ ـ البستان لابن مريم: ٢٥٣ ـ ٢٥٧.
ب ـ درّة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي: ٢/٢٨٥، تر: ٨٠٣.
جـ ـ نيل الابتهاج لأحمد بابا: ٣٣٠.
هـ ـ تعريف الخلف برجال السلف، للحفناوي: ١/١٧٠ ـ ١٧٣.
و ـ المعيار المعرب للونشريسي: ٢/٢٥٢، وما بعدها.
(٢) صفحات من تاريخ مدينة الجزائر لنور الدين عبدالقادر، ص٣٤٠.
(٣) أ ـ تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي: ٢/٤٨٩ ـ ٤٩٠.
ب ـ أعلام الجزائر لعادل نويهض: ١٦٧، وفيه توفي سنة ٩٦٣.
جـ ـ الأعلام للزركلي: ٧/١٨٥.

ممن أخذ عن أبي القاسم العيدوسي، وحفيد ابن مرزوق، والبرزلي، والغبريني، وحجّ وأخذ عن الولي العراقي. وكان إماماً علاّمة، مصنّفاً، ثم ذكر بعض مؤلفاته[1].

وقال الوزير السراج محمد بن محمد بن الأندلسي [ت: ١١٤٩هـ].

وممّن تشرفت بأنسه تونس، أبو زيد عبدالرحمٰن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الشيخ الإمام، العالم العامل، الورع الزاهد، الصالح الناصح... من الأولياء المعرضين عن الدنيا، ومن خيار الصالحين.

ثم استعرض أقوال بعض طلابه، وأصحابه فيه، وقال:

قال الشيخ أحمد زروق: شيخنا الفقيه الصالح، ديانته أغلب عليه من العلم، كان يتحرّى في النقل أتم التحرّي، ولا يستوفيه في بعض المواضع.

وقال ابن سلامة عيسى البسكري: كان رجلاً صالحاً، زاهداً، عالماً، عارفاً ولياً، من أكابر العلماء، له تآليف جمّة. أعطاني نسخة من تفسير الجواهر، لا تشترى بثمن، ولا تعوض، عاوضه الله عنها[2].

وقال أحمد بابا التّنبكتي [١٠٣٦هـ ـ ١٦٢٢م]: «هو ممّن اتفق الناس على صلاحه وإمامته، أثنى عليه جماعة من شيوخه بالعلم والدين والصلاح، كالإمام الأبي، والولي العراقي، والإمام ابن مرزوق الحفيد»[3].

وقال العلاّمة محمد بن محمد مخلوف [ت: ١٩٣٦م].

أبو زيد عبدالرحمٰن بن محمد مخلوف الثعالبي الجزائري، الإمام، علم الأعلام، الفقيه، المفسّر، المحدّث، العمدة، الفهامة الهمام، الصالح الفاضل، العارف بالله الواصل. أثنى عليه جماعة بالعلم والصلاح والدين

(١) الضوء اللامع في أهل القرن التاسع، للسخاوي، م٢، جـ٤، ص١٥٢، تر: ٣٩٣.
(٢) الحلل السندسية في الأخبار التونسية، لمحمد الوزير السراج، م٣، ٦٢٨ ـ ٦٣٢.
(٣) نيل الابتهاج بتطريز الديباج: ١٧٣ ـ ١٧٥.

المتين، أخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب، وعرّف بهم وبنفسه، وما له من التآليف في فهرسته[1].

وقال الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد الجيلالي:

«هو فخر أئمة علماء الجزائر، وصلحائها الأتقياء الورعين الأبرار، المجتهد الحجة»[2].

وأجاز الإمامُ العلامةُ ابن مرزوق الحفيد الثعالبيَّ بثلاث إجازات أثنى عليه فيها ثناءً عطراً، ووصفه بصفات العلماء الكبار الذين يشار إليهم بالبنان، ويُقصَدُون للسماع منهم والأخذ عنهم.

أ ـ بدأ إجازته الأولى بقوله: سيدي وبركتي الشيخ الإمام الفقيه، المصنّف، الحاج، العالم المشارك، الخيّر، الدين، الأكمل، أبي زيد عبدالرحمٰن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، وهذه الإجازة مؤرّخة بتاريخ عشرين وثمانمائة [٨٢٠هـ].

ب ـ وتبتدىء الإجازة الثانية هكذا: سيدي الشيخ الأجل، الفقيه الأنبل، المشارك الأحفل، المحدّث الراوية، الرحلة الأفضل، الحاج الصالح المبارك الأكمل.

جـ ـ وأما الإجازة الثالثة فبدايتها: سيدي الشيخ الفقيه، الصالح المبارك، الحاج، المحدّث، الراوية الأكمل.

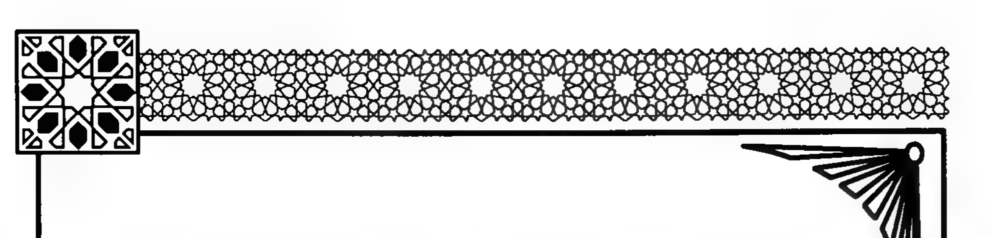
كما أجازه أبو زرعة ولي الدين العراقي أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين الكردي [ت: ٨٢٦هـ] وبدأ إجازته بقوله: «الشيخ الصالح، الأفضل الكامل، المحرّر المحصل، أبو زيد عبدالرحمٰن»[3].

---

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: ٢٦٤ ـ ٢٦٥، تر: ٩٧٦.

(٢) تاريخ الجزائر العام: ٢/٢٨٠.

(٣) انظر هذه الإجازات في كتاب «عبدالرحمٰن الثعالبي والتصوف، للدكتور عبدالرزاق قسوم: ١٣١ ـ ١٤١.



مؤلفات الشيخ عبدالرحمن الثعالبي

للإمام الثعالبي مصنّفات كثيرة أنهاها بعض المؤرخين وكُتاب السير إلى تسعين مؤلَّفاً، ما بين كتاب ضخم يحتوي عدة أجزاء، ورسالة صغيرة تشتمل على عشرات الصفحات. وهذا الإنتاج الغزير للشيخ الثعالبي يعود إلى عدّة أسباب أهمّها: نشأته في بيت علم وشرف وصلاح، وتوجيهه المبكر إلى التّعلّم واكتساب المعارف، وما وهبه الله تعالى له من ذاكرة وحافظة وذكاء، وابتعاده عن السياسة والوظيف، وتفرّغه الكامل للتّدريس، والتأليف، وإرشاد الأمّة إلى المعالي، والأخلاق الفاضلة، بالأفعال قبل الأقوال، واستقراره بالجزائر العاصمة التي تتوسّط البلاد، وتستقطب إليها طلاب العلم والمعرفة، والتي يجتمع عندها ما لا يجتمع في غيرها من القرى والمدن الصّغيرة المنتشرة في البوادي والصّحاري، وقمم الجبال، يضاف إلى كلّ ما سبق سهولة الانتقال بين المشرق والمغرب، والشمال والجنوب، فليس هناك تأشيرة دخول، ولا جواز سفر، ولا عملة، ولا جنسية، ولا لون، فالحدود مفتوحة، والمعاهد العلمية متاحة، والمكتبات منتشرة، والاستفادة منها مباحة لكل راغب، وتشجيع الحكام والولاّة للعلماء والباحثين مشهور في هذا العصر.

كلّ هذه الأسباب مجتمعة جعلت الإمام الثعالبي ينتج كثيراً من المؤلفات، ويترك وراءه مكتبة كبيرة عامرة تدل على غزارة علمه، وكثرة اطلاعِه، وتنوّع معارفه في القرآن وعلومه، والحديث وفنونه، والفقه وقواعده، والتّصوّف ونفحاته.

وأكثر مؤلفات الثعالبي ومصنّفاته لا يزال مخطوطاً يعيش في السّودان[1] والمكتبات الخاصة والعامة، بالجزائر، والمغرب، وتونس، وغيرها من المكتبات في المشرق والمغرب.

وفيما يلي ثبت لأسماء بعض هذه المؤلفات، ونبدأ بالمطبوع منها:

١ ـ **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**: ويقع في عدّة أجزاء حسب الطبعات. وقد أشار الإمام الثعالبي في مقدمة تفسيره إلى أنّ جواهره اختصره مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية أبي محمد عبدالحق بن غالب الأندلسي [ت: **٥٤٦هـ**][2] مع زيادات فوائد جمّة من غيره من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة، حسبما رأيته أو رويته عن الأثبات، وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدّين، ومعدود من المحققين»[3].

وانتهى الثعالبي من تأليف تفسيره، وجمع مواده في الخامس عشر من ربيع الأول عام ثلاثة وثلاثين وثمان مئة [**٨٣٣هـ**] عندما كان عمره سبعاً وأربعين سنة. كما ذيل الثعالبي جواهره بقاموس للألفاظ اللغوية الواردة فيه، وسمّى ذلك «المعجم المختصر». وقد اعتنى بطبع هذا المعجم مع ضبط مفرداته اللغوية والتعليق عليها، الأديب محمد بن مصطفى بن الخوجة [ت: **١٩١٧م**][4].

وطبع هذا التفسير خمس طبعات؛ فكانت الأولى بعناية الشيخ محمد السعيد بن زكري في أجزاء أربعة، بالمطبعة الثعالبية بالجزائر بداية من سنة **١٣٢٣هـ** إلى **١٣٢٧هـ**، وطبعة ثانية تولّتها المؤسسة الوطنية للكتاب **1985**

---

(١) أ ـ تاريخ الجزائر العام، للشيخ عبدالرحمٰن الجيلالي: **١٨٢/٢**، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية: **١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م**، بيروت.

ب ـ مقدمة كتاب «العلوم الفاخرة في النظر في الأمور الآخرة»، للشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي: **١/١**، الطبعة الحامدية المصرية، **١٣١٧هـ** القاهرة.

(٢) اسم تفسير ابن عطية «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» وقد طبع بالمغرب بأمر من جلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني، طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، في ستة عشر جزءاً بتحقيق نخبة من المجالس العلمية المغربية ما بين: **١٣٩٥هـ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٧٥ ـ ١٩٩١م**.

(٣) الجواهر الحسان، للشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي، المقدمة: **١/١**.

(٤) صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، لنور الدين عبدالقادر، ص١٧٤، وتمّ طبع المعجم=

الجزائر، بتحقيق ورعاية الأستاذ الدكتور عمار طالبي في خمسة أجزاء.

وطبعة ثالثة حظيت بها دار الكتب العلمية بيروت لبنان **١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م** في ثلاثة أجزاء، حققه وخرّج أحاديثه ووثق أصوله الأستاذ أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني المغربي. وقال في منهج تحقيقه: «وحاولت أن أقابل بين مطبوعة الشيخ ابن زكري في أوائل هذا القرن، وبين النسخة الأصلية المكتوبة بخط المؤلف، وهي الآن موجودة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ووجدت بعض الأخطاء التي وقعت في مطبوعة المؤسسة الوطنية للكتاب التي لا فرق بينها وبين مطبوعة الإمام ابن زكري إلاّ في ترقيم الآيات وكتابتها بخط المصحف، وإن اعتبر ذلك تحقيقاً»[1]، وطبعة رابعة بتحقيق: محمد الفاضلي في ثلاثة أجزاء، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت ـ الطبعة الأولى: **١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م**، وطبعة خامسة تحقيق: الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار إحياء التراث العربي ـ مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى: **١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م**.

٢ ـ ومن مؤلفات الشيخ الثعالبي المطبوعة كتاب «**العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة**»[2]، ويقع في جزأين، وموضوع الكتاب الوعظ والرقائق، وتوجد منه نسخة خطية بوزارة الشؤون الدينية تحت رقم **٤١٦** وعدد لوحاته **٢٢٧**، وهي مخطوطة الجامع الجديد، مكتوبة بخطّ مغربي جميل، يعود تاريخ نسخها إلى عام **١٠٢٦هـ**.

٣ ـ ومن مؤلفاته المطبوعة كتاب «**المختار من الجوامع في محاذاة الدرّر اللّوامع في قراءة نافع**»[3]، وهو شرح على منظومة عبدالله ابن برّي اللغوي المقرىء الثقة [ت: **٥٨٢هـ**].

= المختصر بالمطبعة الثعالبية بالجزائر سنة ١٣٢٨هـ. كما تمّ قبل هذا التاريخ بسنة طبع الجواهر الحسان في أربعة أجزاء لأول مرة سنة ١٣٢٣هـ، إلى سنة ١٣٢٧هـ، بعناية من الشيخ ابن زكري ـ بالمطبعة الثعالبية ـ بالجزائر العاصمة.

(١) الجواهر الحسان، للشيخ الثعالبي: ١/١، مقدمة المحقق.

(٢) تولت طبعه، المطبعة الحميدية المصرية، بالقاهرة ١٣١٧هـ.

(٣) طبع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر العاصمة، سنة ١٣٢٤هـ.

٤ ـ ومن مؤلفاته المطبوعة كتاب «**المرائي**»(١)، وهو عبارة عن عدد من المنامات رآها الثعالبي وسجّلها، وبلّغها لطلاّبه ومريديه وعامة النّاس في حياته، تدعو هذه المنامات إلى اليقظة والحذر من الأعداء، أعداء الإسلام والدّين، وتحثّ على الجهاد والاستعداد لمكافحة المغيرين من الكافرين، وهي وصايا من رسول الله ﷺ للشيخ الثعالبي يأمره فيها بتبليغها للمسلمين(٢).

٥ ـ ومنها نبذة من الكتاب المسمّى «**الجامع الكبير**»(٣).

تلك هي مؤلفات الشيخ الثعالبي المطبوعة، وهي قليلة، أمّا مصنفاته المخطوطة فكثيرة، منتشرة في مكتبات عامة وخاصة، في الجزائر، وخارجها نذكر منها.

٦ ـ «**روضة الأنوار ونزهة الأخبار**»، وهو كتاب كبير يحتوي عدة مجلدات «وهو قدر المدونة، فيه لباب نحو من ستين من أمّهات الدّواوين المعتمدة، بقي في جمعه سنين كثيرة، وهو خزانة كتب لمن حصله(٤).

٧ ـ «**الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة**»، وهو جزء ضخم ونفيس(٥).

٨ ـ «**شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي**»، ويقع في سفرين، جمع فيه

---

(١) طبع عدة طبعات بالمطبعة الثعالبية بالجزائر العاصمة، وطبع ملحقاً بآخر الجزء الرابع من تفسير الجواهر الحسان في الطبعة الأولى **١٣٢٣**هـ ـ **١٣٢٧**هـ.

(٢) انظر: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، للدكتور أبي القاسم سعد الله: **١/٢٠٥ ـ ٢٠٧**، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية، للنشر والتوزيع ـ الجزائر ـ مطبعة أحمد زبانة، **١٤٠١**هـ ـ **١٩٨١**م.

(٣) طبع بالمطبعة الثعالبية ـ بالجزائر، **١٣٣٩**م.

(٤) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التّنبكتي: **٢٠٧**، الطبعة الأولى: **١٣٢٩**هـ، مطبعة السعادة ـ بمصر ـ القاهرة.

(٥) تاريخ الجزائر العام، للشيخ عبدالرحمٰن الجيلالي: **٢/٢٨٠ ـ ٢٨٥**.

نخب كلام ابن راشد، وابن عبدالسلام، وابن هارون، وخليل، وغرر ابن عرفة[1]. وتوجد منه نسخة بوزارة الشؤون الدينية تحت رقم: **٣٧٧**، وعدد لوجاته **١٨٣**، مبتور الأول، هو مخطوط الجامع الأعظم بالجزائر.

٩ ـ **«التقاط الدّرر»**، توجد نسخة منه بوزارة الشؤون الدينية، **تحت** رقم: **٤٢٢**، وعدد لوحاته **٢٠٤**، وتاريخ نسخه: **١٠٦١**هـ، وهو مخطوط الجامع الكبير.

١٠ ـ **«الدرّ الفائق في الأذكار والأدعية والوعظ»**، منه نسخة بوزارة الشؤون الدينية رقم: **٤٣٤**، وعدد لوحاته **٢٨٩**، تاريخ نسخه **١٠٥١**هـ، وهو مخطوط الجامع الأعظم.

١١ ـ **«جواهر المدونة وعيون مسائلها»**، يقع في سفرين، وفي آخره جامع كبير نحو عشر كراريس من القالب الكبير، فيه فوائد[2] جمة.

١٢ ـ **«تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن»**[3].

١٣ ـ **«الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز»**[4].

١٤ ـ **«جامع الأمهات في أحكام العبادات»**، وهو كتاب جليل يقع في سفر ضخم[5].

١٥ ـ **«جامع الهمم في أخبار الأمم»**، كتاب في التّاريخ يقع في سفرين ضخمين[6].

١٦ ـ **«الإرشاد في مصالح العباد»**[7].

---

(١) نيل الابتهاج، لأحمد بابا: ٢٠٧.
(٢) المصدر السابق: ٢٠٧.
(٣) المصدر السابق ٢٠٧، يذكره صاحب شجرة النور الزكية، باسم تحفة الأقران.
(٤) المصدر السابق: ٢٠٧.
(٥) المصدر السابق: ٢٠٧.
(٦) التاريخ العام للشيخ عبدالرحمٰن الجيلالي: ٢/٢٨٢.
(٧) نيل الابتهاج، لأحمد بابا: ٢٠٧.

١٧ ـ «إرشاد السالك»[١].

١٨ ـ «رياض الصالحين»[٢].

١٩ ـ «نور الأنوار ومصباح الظلام»[٣].

٢٠ ـ «الأربعون حديثاً مختارة»[٤].

٢١ ـ «قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين»[٥].

٢٢ ـ «نفائس المرجان في قصص القرآن»[٦].

٢٣ ـ «العقد النفيس»[٧].

٢٤ ـ «كتاب النصائح»[٨].

٢٥ ـ «جامع الخيرات»[٩].

٢٦ ـ «جامع الفوائد»[١٠].

٢٧ ـ «شرح على مختصر خليل بن إسحاق»[١١].

إلى غير ذلك من كتبه ومؤلفاته المخطوطة التي أوردها له كلّ المؤرخين، وكتاب السير الذين ترجموا له، ونلاحظ أن بعضهم ينقل عن

---

(١) التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، لمحمد بن ميمون الجزائري، تحقيق محمد بن عبدالكريم، الملحق الثالث: ٣٤٢.
(٢) المصدر السابق: ٣٤٢.
(٣) المصدر السابق: ٣٤٢.
(٤) نيل الابتهاج: ٢٠٧.
(٥) معجم المؤلفين، لرضا كحالة: ١٢٢/٢، ترجمة: ٧٠٣٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
(٦) المصدر السابق: ١٢٢/٢، ترجمة: ٧٠٣٩.
(٧) التحفة المرضية، الملحق الثالث: ٣٤٢.
(٨) المصدر السابق: ٣٤٢.
(٩) المصدر السابق: ٣٤٢.
(١٠) المصدر السابق: ٣٤٢.
(١١) المصدر السابق: ٣٤٢.

بعض، فمنهم من يورد اسم كتاب واحد باسم كتابين اثنين، ومنهم من يعدّ رسالة صغيرة له، باسم كتاب، وهكذا تطول القائمة عند البعض، وتقصر عند الآخر، ولا نكاد نعثر على معلومات زائدة عن التي ذكر الشيخ الثعالبي في فهرسته التي سمّاها «غنية الوافد وبغية الطالب الماجد» حيث ترجم فيها لحياته، وذكر فيها أسماء أساتذته وشيوخه، وسرد عناوين مصنّفاته.

بقي أن نخص بالذكر الكتاب الذي وفّقنا الله لتحقيقه، وفكّ بعض مبهماته ورموزه قدر المستطاع، ولا أدّعي أنني بلغت فيه الغاية، وأزلت كل غموض عنه، وأوضحت فيه كل إشكال، وإنما حسبي فيه أني بذلت جهدي المتواضع، وعشت معه أزيد من سبع سنوات، فإن وُفّقت فبفضل الله، وتوفيق منه، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والعجز والخطأ والنسيان من طبيعة الإنسان.

كتاب الأنوار في آيات النّبي المختار:

هذا هو العنوان الذي تحمله نسخة مكتبة ضريح الشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي بالجزائر، ونسخة مكتبة السيد عبدالعزيز محجوبي بتمنطيط ـ أدرار. أمّا نسخة الخزانة العامّة بالرّباط، فلا تحمل أيّ عنوان ـ ونجد الثعالبي يقول في مقدمة كتابه وسمّيت كتابي هذا «**بالأنوار في آيات النبي المختار**»، وذكر نبذ من غزواته، وحميد سيرته، وسيرة أصحابه الأبرار، صلّى الله عليه وعلى آله ما لمع بارق، وأشرق ضوء نهار.

ونلاحظ أن المؤرخين وكتّاب السير الذين تحدثوا عن حياة الإمام الثعالبي، ومؤلفاته يذكرون بأن له كتاباً في السيرة النبوية ولكنهم يختلفون في عنوان الكتاب فأحمد بابا التّنبكتي يسمّيه «**كتاب الأنوار في معجزات النبي المختار**»، فيجعل معجزات مكان آيات[1].

(١) نيل الابتهاج: ٢٠٧.

وابن القاضي أحمد بن محمد المكناسي يسمّيه «**روضة الأنوار ونزهة الأخيار في معجزات النبي المختار**»[1].

وإسماعيل باشا البغدادي، يسمّيه «**الأنوار في آيات النبي المختار**»[2].

ومحمد بن محمد مخلوف يشير إلى أنّ الثعالبي له تآليف كثيرة منها كتاب **في معجزاته** ﷺ[3]. وخير الدين الزِّرِكْلي يترجم للثعالبي، ويذكر أن له «**الأنوار**» في المعجزات النبوية[4].

والشيخ عبدالرحمٰن الجيلالي، ترجم للشيخ الثعالبي، ترجمة وافية، وأورد بعض مؤلفاته، ولم يذكر منها «**الأنوار**»[5] وحاجي خليفة المولى مصطفى بن عبدالله يترجم للثعالبي، ويعدّد مصنّفاته، يذكر منها: «**الأنوار في آيات النبي المختار**»[6].

وأبو القاسم محمد الحفناوي يخصّص للإمام الثعالبي خمس صفحات من كتابه ويذكر عدداً من مصنفاته، منها «كتاب الأنوار في معجزات النبي المختار»[7].

ويأتي المحدّث الكبير الشيخ عبدالحيّ بن عبدالكبير الكتّاني فيذكر

---

(١) درّة الحجال في أسماء الرجال: ٨٩/٣، ترجمة: ١٠١٤، تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة، الناشر، المكتبة العتيقة ـ تونس ـ دار التراث القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

(٢) هدية العارفين ـ أسماء المؤلفين والمصنفين، المجلد الأول: ٥٣٢، طبع وكالة المعارف إستانبول، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م. أعادت طبعه بالأوفسيت، المكتبة الإسلامية بطهران.

(٣) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: ٢٦٤، ترجمة: ٩٧٦.

(٤) الأعلام: قاموس تراجم: ١٠٧/٤.

(٥) تاريخ الجزائر العام: ٢٨٠/٢ ـ ٢٨٥.

(٦) كشف الظنون عن سامي الكتب والفنون: ٤٣٢/٥، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٧) تعريف الخلف برجال السلف: ٧٠/١، مؤسسة الرسالة، والمكتبة العتيقة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

بعض الإجازات التي أخذها الثعالبي من شيوخه، ولم يتعرّض لمؤلفاته، وإن أشار إلى ذكر نبذة من حياته[1].

أما الأستاذ محمد بن عبدالكريم فيورد قائمة تشمل ثلاثة وثلاثين اسماً لمؤلفات الثعالبي فيذكر بعضها مكرّراً، ويذكر من بينها «الأنوار في معجزات المختار»[2].

وأخيراً يأتي الأستاذ عادل نويهض فيترجم للثعالبي ويذكر بعضاً من مصنّفاته ويذكر من بينها «الأنوار في آيات النبي المختار»[3].

ويشتمل كتاب الأنوار على اثنين وتسعين باباً [٩٢] وثمانين فصلاً [٨٠]، وسبعة عناوين [٠٧] باسم كتاب، ومقدمة ذكر فيها بعد الحمد لله والثناء عليه بما هو أهله، وثنّى بالصلاة والسلام على الرسول ﷺ وذكر اسم الكتاب، والمنهج الذي سلكه في العرض والتأليف، والأسباب الداعية إلى تأليفه، ويختم المقدمة بأن كتابه لم يؤلّفه لمنكر نبوته ﷺ، ولا لطاعن في معجزاته حتى يحتاج إلى نصب الأدلة، والإتيان بالبراهين ـ وإنّما ألفه للملبّين لدعوته، والمصدّقين برسالته ليزدادوا إيماناً، وحبّاً له صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

أمّا المنهج الذي اتبعه في التأليف والجمع والعرض، فإنّه سلك منهج محمد بن إسحاق غالباً في الترتيب والتبويب، كما أنّ نقوله من المصادر باللفظ لا بالمعنى، احتياطاً من الخطأ في الفهم والاستنتاج، فهو ينسب كل كلام لقائله، وكل حديث لمخرجه، ونرى الثعالبي قد وفّى بالعهد الذي التزمه، وسار على طريق كتاب السيرة النبوية لعبدالملك بن هشام، الذي يُعدّ صورة لكتاب محمد بن إسحاق إذا استثنينا حذف بعض الأشعار المنحولة، والإسرائيليات التي ليس لها أساس من الكتاب والسّنة، والمصادر

---

(١) فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: ٧٣٢/٢.
(٢) التحفة المرضية، الملحق الثالث: ٣٤١.
(٣) أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، ص٨٨ ـ ٨٩، الطبعة الثالثة: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، مؤسسة نويهض، الثقافة ـ بيروت ـ لبنان.

الموثوقة المعتمدة، وكذا كل ما ليس له علاقة بالسيرة النبوية العطرة، وقد أشار إلى ذلك في المقدمة التي كتبها لكتابه.

أمّا الأسباب التي دعته إلى تأليف الأنوار فيذكر منها ثلاثة هي:

أوّلاً: حبّه لرسول الله ﷺ، والأنس بذكره، والتلذّذ بقراءة سيرته وغزواته وأخباره، ومن أحبّ شيئاً أكثر من ذكره.

ثانياً: رجاؤه أن يحشر في زمرته وحزبه، وأن ينال شفاعته، لأنه ﷺ حكم بأن المرء مع من أحب يوم القيامة.

ثالثاً: والسبب الثالث هو الإكثار من الصلاة عليه رسماً ونطقاً، وكتابةً ولفظاً، حتى تكثر بذلك حسناته وترتفع درجاته، ويستحق القرب منه ﷺ والعيش معه في جنّات الخلد والنعيم، لما صحّ عنه ﷺ أنّه قال: «**من صلّى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً**»[1]، وقال: «**أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة**»[2].

وأمّا المصادر التي استقى منها الثعالبي مادة أنواره، واعتمدها في تأليفه وجمع مواده، فكثيرة، ومتعددة تدل على سعة اطلاعه وكثرة حفظه، وقوّة ذاكرته، وغني مكتبته، بالأمّهات، من كتب الصحاح، والمسانيد، والمصنّفات، وكتب التاريخ، والتراجم، والدلائل والشمائل، ولعل الأهم من كلّ ما ذكر استفادته من كتب تعدّ في حكم المفقود، ينقل منها، ويشير إليها، فقد ذكر في صلب الأنوار ما يزيد عن ثمانين مصدراً، ويورد أسماء كتب لا وجود لها فيما وصل إليها علمي المتواضع، مثل كتاب «سلاح المؤمن»، و«مقامع الصّلبان» و«روضة الإيمان»، و«كتاب البستان»، لعلي القيرواني، وكتاب «أعذب الموارد»، لأبي العباس العزفي، وغيرها ممّا نجده في ثنايا الأنوار مبثوثاً هنا وهناك، وحتى الكتب المقدسة كالتوراة والإنجيل، والزّبور نجد الثعالبي ينقل منها نصوصاً لم أعثر عليها في النسخ المتوفرة

---

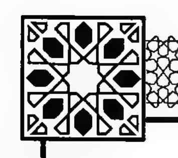
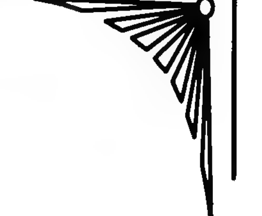
(١) انظر تخريج الحديث في ص١٥٩.

(٢) انظر تخريج الحديث في ص١٦٠.

الآن في المكتبات العامة التي عدت إليها، ويشير إلى أنه عثر على أوراق من كتب الإنجيل يغلب على ظنه أنه مما سلم من التحريف والتبديل، وينقل منها نصوصاً مهمّة جداً مما يزيد كتاب الأنوار مكانة علمية جديرة بالاهتمام.

ونشير أخيراً إلى أنّ الإمام الثعالبي، لا يتحرّج من ذكر أخبار واهية، وروايات ضعيفة، عن رجال مجهولين، ما دام أنّه وجدها في مصدر من مصادر، فهو ينقلها، ويشير إلى أماكن وجودها، ويترك القارىء حرّاً في قبولها أو رفضها.



مخطوطات الأنوار

لقد اعتمدت في تحقيق كتاب «الأنوار في آيات النّبي المختار» على ثلاث نسخ هي حصيلة ما وصلت إليه يدي منذ ما يزيد عن سبع سنوات في البحث، والدراسة، والمقابلة، والتحقيق، وهي:

أولاً: مخطوطة فضيلة الشيخ عمرو بوعناني:

هذه المخطوطة من الأنوار هي أكمل من النّسختين الليتن بين أيدينا، وأصحهما، وأقربهما إلى الصّواب والتدقيق، فهي كاملة غير منقوصة، وتقع في إحدى وسبعين ومائتي صفحة من الحجم الكبير [٢٧١] وتحتوي كلّ صفحة منها على ثلاثة وثلاثين سطراً [٣٣]، مكتوبة بخط مغربي واضح جميل، غير مشكول، وعناوينها من الأبواب والفصول، مكتوبة بحروف فخمة كبيرة، وبحبر مخالف، مزين بالألوان، وفي بعض صفحاتها خروم وتآكل، وعلى جوانبها تعليقات خفيفة، وتنبيهات مفيدة، ووقفات ظريفة، وقد أشرت إلى ذلك أثناء التحقيق.

تحصّلت على هذه المخطوطة الفريدة الجميلة من فضيلة الأستاذ الفاضل الشيخ عمرو بوعناني الإمام الخطيب بجامع كتشاوة، سابقاً. وتبتدىء بالمقدمة التي كتبها الإمام الثعالبي، وتقع في صفحتين وثلاثة أسطر، ذكر فيها ـ بعد الحمد والثناء لله، والصلاة والسّلام على أشرف خلق الله سيدنا وعلى آله وأصحابه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، والشهداء والصالحين ـ الأسباب التي دعته إلى تأليف هذا الكتاب، الذي اختار له اسم «الأنوار في آيات النبي المختار، وذكر نبذ من غزواته، وحميد سيرته، وسيرة أصحابه الأبرار، صلّى الله عليه وعلى آله ما لمع بارق وأشرف ضوء نهار.

وبعد المقدمة يدخل مباشرة في صلب الموضوع، مبتدئاً بالنسب الشريف لسيدنا محمد ﷺ، ومنتهياً بانتقاله إلى الرفيق الأعلى.

ومن البديهي أن اتّخذ هذه النسخة أصلاً وأُمّاً، لأنها أكمل نسخة، وأسلمها من الخروم، والمحو، والطمس، والبياض، وقلة الأخطاء، إلاّ نادراً، كما أنها النّسخة التي ذكر فيها اسم الناسخ، وهو عبدالرحمٰن بن حمو بن عبدالرحمٰن بن محمد بن بوعلي بن محمد بن يحيى، وكان تاريخ الفراغ من النسخ هو زوال يوم الأحد أوائل شهر شعبان عام سبعة وتسعين وتسعمائة [٩٩٧هـ] وهذا التاريخ لا يبعُد عن تاريخ وفاة الشيخ الثعالبي إلاّ بقرن واثنين وعشرين عاماً [٩٩٧هـ ـ ٨٧٥هـ = ١٢٢]. فهي أقدم نسخة على ما يبدو.

وأشير أخيراً إلى أنّ هذه النسخة مكتوب على الوجه من الورقة الأولى منها أنّها من الكتب المحبّسة على ضريح الشيخ الثعالبي، موضوعة ببيت البخاري من جملة كتبه المحبّسة، كتب ذلك أحمد بن مصطفى... وكيل ضريح الشيخ المذكور أعلاه، فمن بدّل أو غيّر فالله حسيبه.

كما كتب على ورقة بيضاء مثبتة بالغراء على وجه المجلد هذا النص: «كتاب الأنوار في آيات النّبي المختار» لصاحب الضريح.

ثانياً: نسخة الخزانة العامّة بالرباط:

تقع هذه النسخة في إحدى وسبعين ومائتي ورقة [٢٧١] من الحجم المتوسط تحتوي كل ورقة على اثنين وعشرين سطراً [٢٢]، إلاّ سبع ورقات في آخرها فتحتوي كل صفحة منها على سبعة وثلاثين سطراً [٣٧]، ابتداء من **٢٦٦** إلى **٢٧١**.

والنسخة مكتوبة بخط مغربي رقيق، غير مشكول، وعناوينها من الأبواب والفصول مكتوبة بحروف بارزة كبيرة، غير مزينة بالألوان.

ويبدو أنّ هذه النسخة قد تداول عليها عدد من النّساخ، ولذلك جاءت صفحاتها مختلفة الأشكال، متعدّدة المقاييس، كثيرة الأخطاء، غير موحدة الخطوط، لم يذكر في آخرها اسم النّاسخ، ولا تاريخ الفراغ من النّسخ؛ وكان آخر كلام فيها: «وكان الفراغ منه يوم الأحد عند الظهر من شهر الله المعظم ذي القعدة لسبعة أيام خلون.... ولا ندري العام.

وكتب على وجه أول ورقة منها: مالكه فقير ربّه محمد البشير بن محمد العربي البشيري الإدريسي الحسني الشريف.

وتحمل المخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم: D٥٨٣.

وقد اتخذت لها رمز «ر» إشارة إلى الرباط عاصمة المملكة المغربية الشقيقة التي توجد بها الخزانة العامة.

ثالثاً: نسخة السيد عبدالعزيز محجوبي:

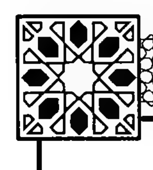
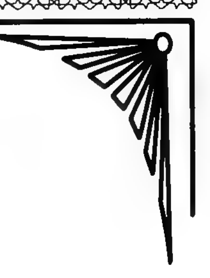
تقع هذه النسخة في ثمان وستين وثلاث مائة صفحة [٣٦٨] من الحجم المتوسط، وتحتوي كلّ صفحة منها على خمسة وعشرين سطراً [٢٥] مبتورة الأخير، تنتهي عند غزوة حنين، خطّها مغربي غير مشكول وعناوينها من الأبواب والفصول مكتوبة بحروف بارزة، ولكنها غير مزركشة ولا مزينة بالألوان، وبها بعض الخروم والطمس، على هوامشها بعض التعليقات الخفيفة بنفس الخط والحبر، وبعض المقطوعات الشعرية، كتبت كأنها نثر مسجوع، ممّا يدل على أنّ ناسخها محدود المعرفة، قليل الثقافة، يتمتع بقسط وافر من الجهل بالشعر، والرجز، والكلام المسجوع.

وبما أن النسخة مبتورة في الأخير، فلا يعرف اسم ناسخها، ولا تاريخ النهاية من نسخها، ولا مكانه.

وهذه النسخة لا تختلف كثيراً عن نسخة (ر) في الأخطاء الواردة فيهما مما يجعلني أعتقد أنهما منقولتان من أصل واحد، ورمزت إليها بحرف (د) إشارة إلى مدينة أدرار التي يسكن فيها السيد عبدالعزيز محجوبي، بتمنطيط، ولاية أدرار، صاحب المخطوطة المحفوظة بمكتبته، والذي تفضّل بإعطائنا نسخة منها، بسعي مشكور من الأستاذ الفاضل السيد محمد بودواية مدير المعهد الوطني العالي للشريعة، بأدرار سابقاً.

وكتب على الوجه من الورقة الأولى منها ما نصه: كتاب الأنوار في آيات النبي المختار تأليف الثعالبي. وتحت العنوان كتب: هذا المجلد من خزانة جدنا سيدي الحاج عبدالرحمٰن رحمه الله... وبعده كتب... كلام لا يقرأ. صار ملكاً لعلي بن عبدالملك بالشراء الصحيح في شهر الله ذي القعدة سنة أربع وستين ومائتين وألف [١٢٦٤هـ]، وكتب المشتري المذكور، وهو عارية بيدنا من يد حبيبنا سيدي محمد بن عمنا سيدي الحاج الصديق رحمهم [الله] أجمعين.

كتب الحروف: محمد بن عمر بن محمد بن أحمد اليماني.

المنهج في التحقيق:

تحقيق الكتب وتصحيحها من أشق الأعمال، وأكثرها تبعة، وخاصة إذا كان الكتاب المراد تحقيقه له علاقة بالقرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، لعلاقتهما بالأحكام، والحلال والحرام.

والسّيرة النبوية العطرة مرتبطة ارتباطاً شديداً بالحديث الشريف ومصطلحاته، والقرآن العظيم وعلومه، ولقد أشار أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ [ت: ٢٥٥هـ] إلى صعوبة التحقيق، وتقويم النصوص، وتصويب الكلام، وإصلاح الفاسد، فقال: «ولربّما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفاً، أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حرّ اللفظ وشريف المعاني، أيسر عليه من إتمام ذلك النّص، حتى يردّه إلى موضعه، من اتصال الكلام، فكيف يطيق ذلك المعارض المستأجر(١)...؟».

ومعارضة الكتب، والنصوص، ومقابلتها مع نسخ أخرى، أو قراءتها على مؤلفيها ـ إن وُجد ـ أمر ضروري، حتّى تسلم من الأخطاء وتتجنّب الهفوات، وتقترب من التدقيق والصواب.

قال ابن الصلاح أبو عمر عثمان بن عبدالرحمٰن [ت: ٦٤٣هـ] روينا عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال لابنه هشام: كتبت؟ قال: نعم. قال: عرضت كتابك؟ قال: لا. قال: لم تكتب. وروينا عن الإمامين:

---

(١) كتاب الحيوان: ٧٩/١، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

الشافعي، ويحيى بن أبي كثير قالا: من كتب ولم يعارض كمن دخل الخلاء ولم يستنج.

وقال الأخفش: «إذا نسخ الكتاب ولم يعارض خرج أعجمياً»[1].

ونظراً لثقل المسؤولية، وخطورة الموقف، فقد عشت مع كتاب «الأنوار في آيات النبي المختار» أكثر من سبع سنوات. قضيتها كلّها في القراءة والمقابلة، والبحث في أمّهات المصادر، لمراجعة النصوص الواردة فيه في أصولها، ومقارنتها بأمهاتها، عدت إلى كتب الحديث: الصحاح، والمسانيد، والسنن، والمصنّفات، وغريب الحديث.

كما عدت إلى كتب السّيرة، والتراجم، من القرن الأول إلى التّاسع، عصر الإمام الثعالبي، وسافرت من أجل ذلك إلى الديار المقدسة أكثر من خمس سفرات للمقابلة والتحقيق، واقتناء الكتب التي لها علاقة بالسيرة النبوية العطرة، كما سافرت إلى المغرب الشقيق للغرض نفسه، فكانت التكاليف والأتعاب، وكانت المشاق والصعاب، ولكنها هيّنة مريحة، لأنها في سبيل العلم والمعرفة، وفي غرض شريف، وغاية نبيلة.

فأمّهات المصادر من التفاسير، والسنة، والسيرة، والشمائل، ودلائل النبوة. وكتب التراجم للأصحاب والتابعين، والفقهاء والمجتهدين لا تتوفّر عندنا لا في مكتباتنا الجامعية، ولا في المكتبة الوطنية، إلاّ قليلاً.

وكان جهدي المتواضع في إخراج هذه السيرة «الأنوار» إلى النور، متجهاً إلى ضبطها، وتنقيتها من الأخطاء المنتشرة بين صفحاتها، بعض هذه الأخطاء يعود إلى جهل النّساخ والوراقين، والبعض الآخر يعود إلى الأيدي الجانية والأغراض المفسدة، وإلى تقادم الزّمن، وتعاقب الملاّك، كلّ يريد أن يضع بصمته على المخطوط، يتقرّب إلى الله بنسخها بيده، وإن لم يكن أهلاً لذلك، فيسيء من حيث لا يدري، ويجني على المخطوطة وهو يعتقد أنه يحسن إليها.

---

(١) علوم الحديث: ١٦٨ ـ ١٦٩ لابن الصّلاح، تحقيق: نور الدين عتر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

وكان عملي الأول الرجوع إلى الأصول التي أخذ منها الثعالبي، وأشار إليها، وهي كثيرة، عدا ما لم يتيسر الرجوع إليه، وهي قليلة. فعدت إليها، وقابلتها، فكان الرجل صادقاً في كلّ النقول، ولم أحاول إثبات كلّ الفروق التي بين «الأنوار» وبين الكتب التي نقل منها لعلمي باختلاف الروايات، وتنوّع الأخبار، وتجويز أهل الفن بصحة الرواية بالمعنى، لغير الكتاب العزيز.

وإنما كان اهتمامي منصبّاً على إثبات أصل النص، بقطع النظر عن زيادة، أو نقص، أو تبديل، أو تقديم أو تأخير، وإنّما أثبت بعض الفروق إن كانت طفيفة، ولو أني التزمت إثبات كل الفروق بين «الأنوار» وبين «السيرة النبوية» لابن هشام، و«الشفاء» للقاضي عياض، و«الروض الأنف» للسّهيلي، و«صحيح البخاري»، و«مسلم»، وغيرهم لطال الأمر، واتسع المدى.

وكنت في بداية الطريق أُثبت كلّ الفروق، فطال الكتاب، وأصبحت التعليقات ـ في بعض الأحيان ـ أكثر من النص الأصلي. فأشار عليّ أستاذي المشرف إلى حذف ذلك، والاكتفاء بالإشارة إلى أن أصل النص موجود كما أشار إلى ذلك المؤلف، والملاحظة بأن بين «الأنوار» والأصل الذي نقل عنه خلافاً، فكان رأيه صواباً، وملاحظته مفيدة، وإشارته صحيحة، فأخذت بنصحه، وعملت بإرشاده.

هذا فيما يتعلق بالنصوص المنقولة من المصادر والأمهات، أمّا الفروق الموجودة بين نسخ «الأنوار» فإني أثبتها كلها، ويكاد يكون الخلاف بين المخطوطة الأم، وبين النسختين (ر) و(د) واحداً ممّا يدل على أنّهما منقولتان من أصل واحد.

ولم أعوّل في التعليق إلاّ على تصويب الأخطاء، وشرح ما كان غامضاً من المفردات اللغوية، والإشارات التاريخية، والأماكن الجغرافية، كما لم أتوسع في التعريف بالأعلام، وقد استعنت في التراجم، وضبط الأعلام، وشرح بعض المفردات الصعبة، بالكتب التاريخية، والجغرافية، ودوائر المعارف، والمعاجم، وقواميس الأعلام، وذكرت كل ذلك في موضع الاستفادة والاستعانة، كما أنّي لم أتدخل في نقد بعض الأشياء التي

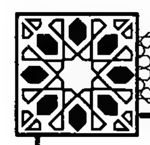
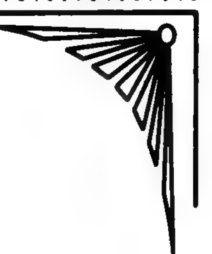
ذكرها الثعالبي في أنواره. مثل الأشعار والأراجيز التي يبدو عليها النحل والتكلف، والأخبار الأسطورية التي سندها ضعيف واه، فلم أر فائدة في تخريج تلك الأساطير، وتفنيدها لأن أخبار السيرة أكثره مشترك بين الكتب التي تتناولها، وتشير إليها، والقارىء ليس مطالباً بتصديق كلّ ما أورده الثعالبي في كتاب الأنوار من تلك الأخبار، إذ ليس ذلك مما يجب علمه، والتصديق به، ولا ممّا يتوقّف الإيمان عليه من العقائد، وما هو معلوم من الدين بالضرورة.

ولعل سائلاً يتساءل: لماذا عرّفت بكل الأعلام من الرجال والنساء الواردة في «الأنوار» ولم أكتف بالمغمورين والمجهولين منهم فقط؟

فأجيب بأنّي عرّفت بالجميع، وأشرت إلى مصادر ذلك التعريف، لاعتقادي أنّ كل ترجمة للمعروفين فيها جديد يستفيده القارىء، فأبو بكر الصدِّيق ـ رضي الله تعالى عنه ـ مثلاً يعرفه الجميع بهذا الاسم، بينما اسمه الحقيقي ـ كما يعرفه أهل الاختصاص ـ هو عبدالله، ويقال: عتيق بن أبي قحافة عثمان بن عامر. .

وأشير إلى أني شكّلت الآيات القرآنية الواردة في «الأنوار» منبهاً في التعليق إلى اسم السورة، فرقم الآية أو الآيات بعدها، وإذا كانت الآية المستشهد بها غير كاملة كتبت بعد اسم السورة: من الآية، إشارة إلى أن الآية ذكر بعضها فقط، وثلّثت بذكر مكان نزول السورة من مكية، ومدنية، ورمزت إلى السور المكية بحرف الكاف ـ ك ـ وإلى السور المدنية بحرف الميم ـ م ـ والرقم الذي يذكر بعد حرفي ك، م، يشير إلى رقم السورة في المصحف الشريف.

واعتمدت في ترقيم الآية أو الآيات، على المصحف الشريف التي طبعته وزارة الشؤون الدينية، بالجزائر، برواية ورش أبي سعيد عثمان بن سعيد المصري [ت: ١٩٧هـ] عن الإمام نافع بن عبدالرحمٰن بن أبي نعيم المدني [ت: ١٦٩هـ]. وبعد فإني لا أزعم أني أدّيت كل ما ينبغي عليّ القيام به في تحقيق كتاب «الأنوار» ولكني بذلت جهدي، وسعيت قدر طاقتي، ومن بذل المجهود حق له العذر. وحسبي في عملي هذا نيتي وقصدي، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

تذكرة برموز الأنوار:

استعملت أثناء التحقيق الرموز التالية:

حرف الكاف عن الكتاب ـ ك ـ.

حرف الجيم عن الجزء ـ ج ـ.

حرف القاف عن القسم ـ ق ـ.

حرف الميم عن المجلد ـ م ـ.

حرف الباء عن الباب ـ ب ـ.

حرف الصاد عن الصفحة ـ ص ـ.

حرف السين عن السطر ـ س ـ.

حرف الحاء عن الحديث ـ ح ـ.

حرف التاء عن الوفاة ـ ت ـ.

حرف الطاء عن الطبعة ـ ط ـ.

حرفي التاء والحاء عن التحقيق ـ تح ـ.

حرف الظاء = ظهر الصفحة ـ ظ ـ.

حرف الواو = وجه الصفحة ـ و ـ.

حرفي التاء والراء = الترجمة ـ تر ـ.





صور من مخطوطات الأنوار

اللوحة الأولى من مقدمة الأنوار من مخطوطة الضريح - الأم -

بان نزل الله انه لا تصدق في مزاجيتي ذاية قال السهيلي وابو الربيع الكلاعي حكي عن هشام بن السائب الكلبي وابيه انه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش واوصاهم فقال
يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدام الشجاع والواسع الباع واعلموا انكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا احرزتموه ولا شرفا الا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة واني اوصيكم بتعظيم هذه البنية فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش صلوا ارحامكم ولا تقطعوها فان في صلة الرحم منسأة في الاجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم اجيبوا الداعي واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام واوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيتكم به ولقد جاء بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله لكاني انظر الى صعاليك العرب واهل البر في الاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت وصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها دونكم يا معشر قريش ابن ابيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ احد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تاخر لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك

[illegible]

[illegible]

[illegible]

قال ابن اسحاق ولما هلك ابو طالب ونالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تنال منه في حياته خرج صلى الله عليه وسلم الى الطائف وحده يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم ورجاء ان يقبلوا منه ما جاءهم به من الله سبحانه فلما انتهى الى الطائف عمد الى نفر من اشرافهم فجلس اليهم ودعاهم الى الله سبحانه وكلمهم بما جاءهم له من نصرته والقيام معه فردوا عليه قوله وامتنعوا من قبول ما دعاهم اليه فقام عنهم صلى الله عليه وسلم وقد يئس من خير ثقيف واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والجؤوه الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب والحبلة الكرمة فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه فلما اطمأن صلى الله عليه وسلم قال فيما ذكر لي اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني ام الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك فلما راه ابنا ربيعة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا

قف

لوحة أخرى من مخطوطة الضريح - الأم -

عن دينه من يوم الى يوم القيامة فلما فرغ من دفنه [illegible] يا نبي الله قال اهلي اهلي مع ملائكة
كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم وقد رواه العزفي عن عياض رحمه الله تعالى قال
عبد الرحمن بن محمد لطف الله به فقد انتهى ما انتخبته من جمع ايات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
ومعجزاته وكان الفراغ منه في اواخر جمادى الاولى من عام اربعة واربعين وثمانمائة وقد اكثر الناس
من في مراثي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبلغ بالاطناب في مدائحه وثنائه كنه محاسنه
عليه افضل الصلاة والسلام صلاة تتصل على الدوام ومد الليالي والايام فجزاه
الله عنا افضل ما جزى نبيا عن امته ولا خالف بنا عن ملته بجوده وكرمه لا رب غيره
ولا معبود سواه ومن احسن المراثي ما انشده ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال

أرقت فبات ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبريل
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا ... علينا والرسول لنا دليل
أفاطمة إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

ولما دفن صلى الله عليه وسلم ورجع المهاجرون والانصار رضي الله عنهم الى رحالهم ورجعت
فاطمة رضي الله عنها الى بيتها واجتمع اليها نساؤها وقالت رضي الله عنها

اغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطود المعظم [illegible] ... والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك [illegible] ... صلى عليك منزل الفرقان

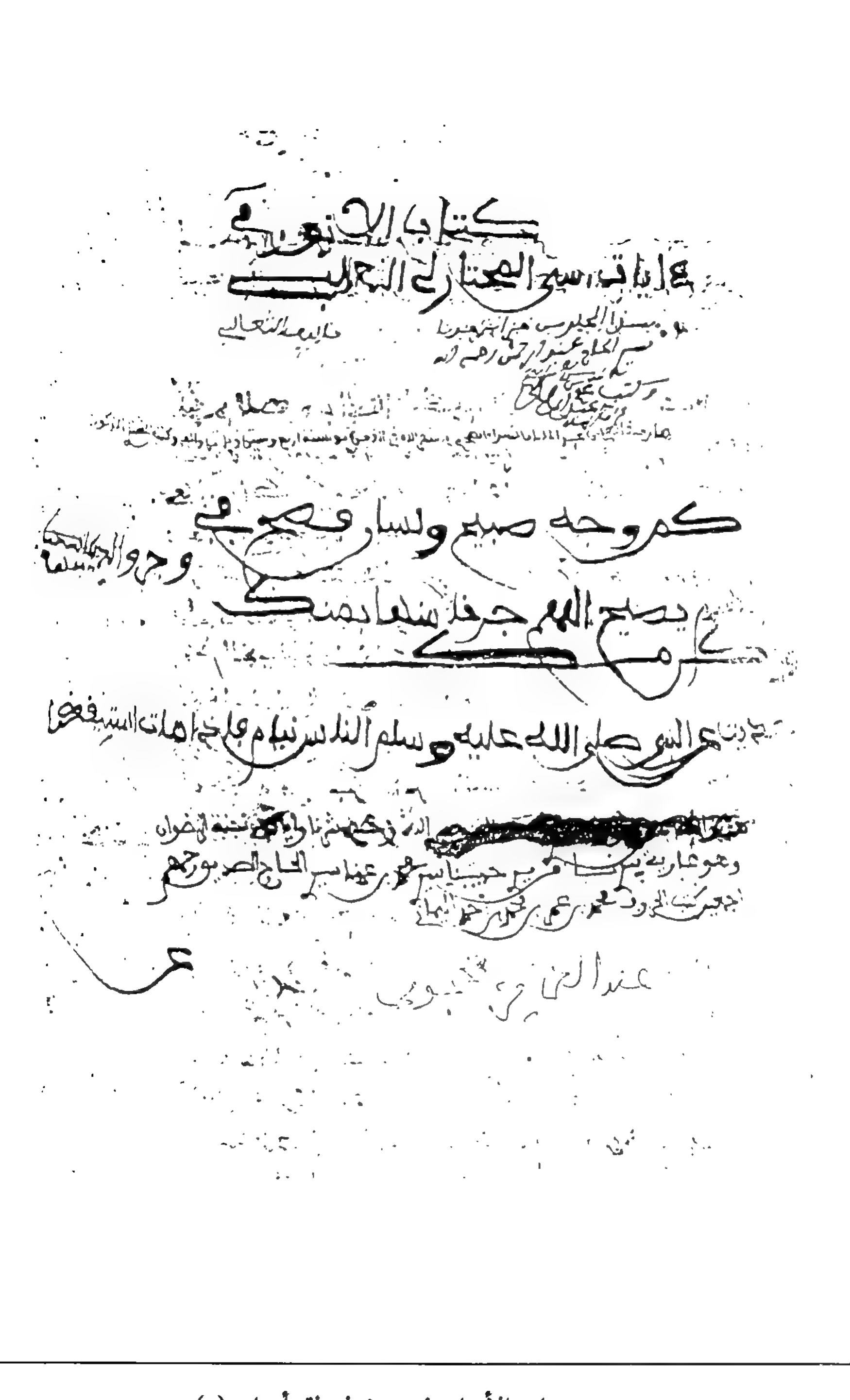
اللهم كما انعمت علينا باتمام الانوار في ايات النبي المختار، من علينا بالممات على الاسلام والنجاة من النار
وارزقنا بفضلك عيشة [illegible] جبريل [illegible] في الدنيا حسنة وفي [illegible]
حسنة وقنا عذاب النار، وصلى الله [illegible] خاتم النبيئين وامام المرسلين وقائد الغر المحجلين
صلاة ندخر انوارها ليوم الدين [illegible] رب العالمين، وكان الفراغ منه عند
[illegible] بن يحيى لطف الله به اللطف الجميل [illegible]
[illegible]

اللوحة الأخيرة من مخطوطة الضريح - الأم -

اللوحة الأولى من مخطوطة الرباط (ر)

لوحة أخرى من مخطوطة الرباط (ر)

اللوحة الأخيرة من مخطوطة الرباط (ر)



عنوان الأنوار في مخطوطة أدرار (د)

اللوحة الأولى من مقدمة الأنوار في مخطوطة أدرار (د)

[illegible]

[illegible] ... فسبك [illegible]

[illegible] شعبا وشدة عذاب الله [illegible] وقد قدمنا

الكلام مستوفى في شانها وشان النبي صلى الله عليه وسلم وان الله

اصابها [illegible] قال النيسابوري عن ذي الجوشن الضبابي قال اتيت

النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان فرغ من اهل بدر فقال يا ذا الجوشن

[illegible] من اوائل هذا الامر يعني من المسلمين قال قلت لا قال ارايت قومك

او بغوا بك قال وكيف بلغك عن مصارعهم ببدر قلت قد بلغني قال

فانى يهدى بك قال ان تغلب على الكعبة وتقطنها قال لعلك ان عشت

ترى ذلك ثم قال يا بلال خذ حقيبة الرجل فزوده من العجوة فلما ادبرنا قال اما

انه خير فرسان بني عامر قلت ما فعل الناس قال والله لقد غلب عليهم

محمد فقلت هبلتني امي لو اسلمت يومئذ ثم سالته الحيرة لاقطعنيها

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وسلم تسليما باب غزوة

حنين وما نزل عليه من عظيم الآيات وتواصل

النصر من رب الارض والسماوات قال ابن اسحاق ولما سمعت هوازن برسول

الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك

ابن عوف النصري واجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر

وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال وفي بني جشم دريد بن

الصمة شيخ كبير ليس فيه شيء الا التيمن برايه ومعرفته بالحرب

وكان شيخا مجربا فلما نزلوا باوطاس قال باي واد انتم قالوا

باوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس ما لي اسمع رغاء

البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء قالوا ساق مالك بن عوف

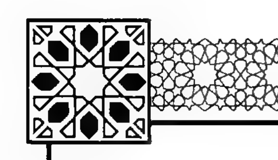
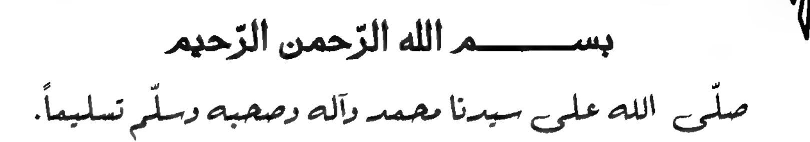
النصري مع الناس اموالهم ونساءهم وابناءهم قال اين مالك فدعي له

[illegible]

لوحة من مخطوطة أدرار (د)



قسم التحقيق

بســـــم الله الرّحمن الرّحيم

صلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً.

الحمد لله ذي الجلال، الكبير المتعال، المنفرد بصفات الكمال، المنزّه عن الشبيه والنّدّ والنظير والمثال، الذي عجزت العقول عن إدراك ذاته وتاهت الأحلام عن الإحاطة بعليّ صفاته، العظيم الذي تقدّست عن سمات الحوادث ذاته، وتنزّهت عن التّشبيه بصفات الجُثّة صفاته، ودلّت على وجوده محدثاته، وشهدت بوحدانيته آياته، الأوّل الذي لا بداية لأوّليته، الآخر الذي لا نهاية لأبديّته، الظّاهر الذي لا شكّ فيه، الباطن الذي ليس له شبيه، سبحانه ليس بجوهر؛ فالجوهر بالتّحيّز معروف، ولا بعرض؛ فالعرض باستحالة البقاء موصوف، ولا بجسم؛ فالجسم بالجهات محفوف، جلّ ربّنا عن التّشبيه والتّكييف والتّصوير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]. بعث الخيرة من خلقه بالرّسالة، وخصّهم بصفات الفضل والجلالة، وأيّدهم بالآيات والمعجزات، ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[2]، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[3] واختارهم للرسالة، على علم على العالمين، وآتاهم ﴿مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾[4]، ثمّ ختم الرّسالة

(١) الشورى: ١١.

(٢) الزّخرف: ٣٢.

(٣) النّساء: ١٦٥.

(٤) الدخان: ٣٣ اقتباس منها.

والنّذارة[1] بسيّدنا محمد خاتم النّبيين، وإمام المرسلين، أرسله إلى النّاس أجمعين، وأيّده بالمعجزات الباهرة، والبراهين الواضحة، فكان رحمة للعالمين ﷺ، وعلى آله الطيّبين الطّاهرين وعلى جميع النّبيين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين، صلاة ندّخرها ليوم الدين.

يقول العبد الفقير إلى الله سبحانه؛ عبدالرحمٰن بن محمد الثّعالبي، لطف الله به، وغفر له، ولمن دعا له بالمغفرة والرّحمة.

أمّا بعد: أيّها الأخ، أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين، وجعلني وإيّاك من أوليائه المتّقين، فإنّي استخرت الله تعالى في جمع نبذ مختارة من بعض ما انتهى إليّ علمه، حسب ما رأيته أو رويته، في شرف المصطفى ﷺ وتعظيم العليّ الأعلى لقدره، قولاً وفعلاً. ونذكر كثيراً ممّا جاء في ذلك من دلائل نبّوته، وعلامات رسالته ﷺ، ممّا ترادفت به الأخبار عن الأحبار، والقسّيسين والرّهبان، وعلماء أهل الكتاب، من صفته ﷺ، وصفة أمّته، واسمه، وعلاماته، وذكر الخاتم الذي بين كتفيه ﷺ، وما وجد من ذلك في أشعار الموحدّين المتقدّمين، من شعر تبّع[2]، والأوس بن حارثة[3]، وكعب بن لؤيّ[4]،

---

(١) نذر بالشّيء ينذر نذراً ونذارة: علمه فحذره. المعجم الوسيط: مادة: نذر.

(٢) تبع بن حسان بن أسعد، من ملوك حمير في اليمن، وهو تبع الأصغر، آخر التابعة.
- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي، ص٤٣٨، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمتعربين لخير الدين، الزّركلي ٦٤/٢، الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(٣) أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياً، تحوّل بنوه من اليمن إلى يثرب فاستوطنوها مع الخزرج، وجاء الإسلام وهم فيها، فأصبحوا من الأنصار.
- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم: ٣٣٢/١.
- الأعلام، للزركلي: ٣٧٤/١.

(٤) كعب بن لؤي بن غالب من سلسلة النّسب النبوي الشريف، كان كعب عظيم القدر عند العرب قبل الإسلام، حتّى أرّخوا بموته إلى عام الفيل، وهو أول من سنّ الاجتماع يوم الجمعة، الذي كان يسمّى يوم العروبة، توفي عام ٤٥٤م. =

وسفيان[1] بن مجاشع، وقس بن ساعدة[2]، وما ذكر عن سيف بن ذي يزن[3]، وغيره، وما عرّف به من أمره زيد بن عمر بن نُفيل[4]، وورقة بن

= • السيرة النبوية لإسماعيل بن كثير: ١/١٦٦، تح: مصطفى عبدالواحد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
• الأعلام، للزّركلي: ٦/٨٤.

(١) سفيان بن مجاشع بن دارم، من بني تميم، جد الفرزدق الشاعر، وأحد الأربعة الذين سموا أبناءهم محمداً قبل ميلاده ﷺ عندما سمعوا حديث راهب بالشام، بأنه سيبعث نبي خاتم النّبيين اسمه محمد، رجاء أن يكون المولود هو النبي المبشّر به.
السيرة النبوية لابن كثير: ١/٣٣٨.

(٢) قس بن ساعدة بن عمرو بن شمر بن عدي بن مالك. . . أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية كان أسقف نجران، ويقال إنّه أول عربي خطب متوكئاً على سيف، أو عصا، وأول من قال في كلامه «أما بعد»، وكان يزور قيصر الروم فيكرمه، وقد رآه النبي ﷺ في سوق عكاظ، قبل البعثة، من المعمرين، توفي عام ٦٠٠م.
• نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، لأبي العبّاس أحمد القلقشندي ٩٦ ـ ٩٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
• جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٣٢٧ ـ ٣٢٨.
• الأعلام، للزركلي: ٦/٣٩.

(٣) سيف بن ذي يزن الحميري، من ملوك اليمن، ولد ونشأ بصنعاء، استنجد بكسرى ضد الحبشة الذين استولوا على اليمن بالقوة، فاستطاع طردهم وأصبح الملك نحو خمس وعشرين سنة، وهو آخر من ملك اليمن من قحطان، قتل بصنعاء عام ٥٧٤.
• السيرة النبوية لابن هشام: م١/٦٢ ـ ٦٤، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
• الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣/٤٤٧، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

(٤) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزّى القرشي، ابن عم عمر بن الخطاب، أحد الحكماء في الجاهلية، كره عبادة الأصنام، فسافر إلى الشام بحثاً عن الدين الصحيح فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان نصيراً للمرأة، عدواً لوأد البنات توفي قبل البعثة عام ٦٠٦.
• الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام المحدّث عبدالرحمٰن السّهيلي: ٢/٣٥٩، تح: عبدالرحمٰن الوكيل، دار النّصر للطباعة، بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

نوفل[1]، وعثكلان[2] الحميري، وعلماء يهود، وشامول، عالمهم، صاحب تبّع، من صفته وخبره، وما ألفي من ذلك في التّوراة، والإنجيل، ممّا قد جمعه العلماء وبيّنوه، ونقله ثقات من أسلم منهم، مثل، ابن سلام[3]، وبني سعية[4]، وابن يامين[5]، ومخيرق[6]، وكعب[7]، وأشباههم، ممّن أسلم من علماء يهود،

---

(١) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى القرشي، كان نصرانياً، يقرأ الكتب السّماوية، آمن بمحمّد ﷺ عندما أخبرته خديجة أم المؤمنين بخير نزول الوحي في غار حراء على زوجها محمد ﷺ، توفي عام ٦١١م.
● السيرة النبوية لابن هشام: م١/١٩١ و٢٢٢.
● الروض الأنف للسّهيلي: ٢/٤٠٤.

(٢) في (ر): عشكلان ـ بالشين.

(٣) ابن سلام، عبدالله بن الحارث أبو يوسف، كان اسمه حصيناً فسمّاه رسول الله ﷺ عبدالله وكان حبراً عالماً من علماء اليهود المشهورين، أسلم هو وأهل بيته عند هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، شهد مع عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس، والجابية، توفي رضي الله عنه بالمدينة عام ٤٣هـ ـ ٦٦٣م.
● السيرة النّبوية لابن هشام: م١/٥١٦ ـ ٥١٧.
● الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبدالبر، ق٣/٩٢١ ـ ٩٢٣، تر: ١٥٦١، تح: علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة.

(٤) بنو سعية: هم ثلاثة: ثعلبة، وأسيد، وأسد، وأبوهم سعية يقال له: ابن العريض، ومن بني هدل، إخوة بني قريظة، وفي هؤلاء الثلاثة أنزل الله تعالى قوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].
● الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبدالبر: ١/٩٦ ـ ٩٧، تر: ٦٠.

(٥) ابن يامين بن عمير بن كعب بن عمرو بن جحاش، من بني النضير، أسلم، وحسن إسلامه، يعد من كبار الصحابة، رضي الله عنه.
● الاستيعاب: ٤/١٥٨٩، تر: ٢٨٢٣.

(٦) مخيرق النضري الإسرائيلي، كان حبراً، عالماً، غنياً، كثير النخل، أعلن إسلامه يوم أحد وخرج مجاهداً، وأوصى بماله لرسول الله ﷺ إن قتل، فاستشهد، وقبض الرسول ﷺ أمواله، وفي الحديث: مخيرق سابق اليهود، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة.
● دلائل النّبوّة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني: ١/٧٨، تر: ٣٨، تح: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبدالبر عباس، الطبعة الثالثة: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، دار النفائس، بيروت، لبنان.
● الإصابة: ٣/٣٩٣، تر: ٧٨٥٠، لابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان

(٧) كعب بن ماتع الحميري، المعروف بكعب الأحبار، أبو إسحاق، كان من كبار علماء اليهو

وبحيرا[1]، ونسطور[2]، صاحب بُصرى[3]، وظغاطير[4]، وأسقف الشام، والجارود[5] وسلمان[6]، ....

= في اليمن، وأسلم في خلافة أبي بكر، وقدم إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو عن الصحابة الكتاب، والسنة، ثم خرج إلى الشام، فسكن حمص، وفيها توفي سنة **٣٢** عن مائة وأربع سنين.
- الإصابة في تمييز الصّحابة، لابن حجر العسقلاني: **٣١٥/٣**، تر: **٧٤٩٦**.

(١) بحيرا: راهب نصراني، له صومعة في بصرى من أعمال الشام، على طريق القوافل، مرّ به رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب، فعرفه ببعض ملامحه، وقال: سيكون لهذا الغلام شيء عظيم. وأوصى عمّه أبا طالب بحمايته.
- دلائل النبوة لأبي نعيم: **١٦٨/١**، تر: **١٠٨**.
- السّيرة النبوية لابن هشام: **١٨١/١**.

(٢) نسطور: في الأصل: نسطون ـ بالنون ـ وهو راهب له صومعة بالقرب من سوق بصرى، وهو القائل لمسيرة غلام خديجة: ما نزل تحت هذه الشجرة إلاّ نبيّ.
- دلائل النبوة لأبي نعيم: **١٧٣/١**، تر: **١٠١**.

(٣) بصرى: بضم الباء والقصر كورة حوران بالشام، وهي التي وصل إليها رسول الله ﷺ للتجارة بأموال خديجة قبل أن تصبح زوجاً له.
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: **٢٠١/١**، لصفي الدين عبدالمؤمن البغدادي، تح: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى **١٣٧٣**هـ ـ **١٩٥٤**م.

(٤) ظغاطير: وفي دلائل النّبوة، والشفاء: ضغاطر، وهو أسقف الرّوم الأكبر، أسلم عندما جاء دحية الكلبي رسول رسول الله ﷺ إلى هرقل، فأشار هذا الأخير إلى دحية أن يذهب إلى ظغاطير ويدعوه إلى الإسلام، فلما جاءه أقرّ بالإسلام، ونزع عليه ثياباً سوداً، ولبس ثياباً بيضاً، ثم أخذ عصاه فخرج على الروم، وهم في الكنيسة، فدعاهم إلى الإسلام الذي آمن به منذ الآن، فوثبوا عليه، فقتلوه.
- دلائل النبوة لأبي نعيم: **١٠١/١**، تر: **٥٣**.

(٥) الجارود: بشر بن عمر بن العلاء، أبو غياث، وقيل: أبو المنذر، كان سيداً ورئيساً في بني عبدالقيس، قدم على رسول الله ﷺ سنة عشر، وكان نصرانياً، فأسلم، وحسن إسلامه.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر: **٢٦٢/١**، تر: **٣٤٥**.

(٦) سلمان الفارسي: أبو عبدالله، ويعرف بسلمان الخير، كان أول مشاهده غزوة الخندق، وهو الذي أشار بحفر الخندق، روى عنه عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، وأنس بن مالك، وغيرهم، توفي في آخر خلافة عثمان سنة خمس وثلاثين، عن عمر طويل.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر: **٦٣٤/١**، تر: **١٠١٤**.

والنّجاشي[1]، ونصارى الحبشة، وأساقفة نجران[2]، وغيرهم ممّن أسلم من علماء النّصارى.

وقد اعترف بذلك هرقل، وصاحب[3] رومة عالمَ النّصرانية، ورئيساهم، ومقوقس، صاحب مصر[4]، والشيخ صاحبه، وابن صوريا[5]، وابن أخطب[6]،

(١) النّجاشي: ـ بفتح النّون وكسرها وفي آخره ياء مخففة ـ وهو لقب لكل من ملك الحبشة. واسم هذا الملك أصحمة، كما في صحيح البخاري وغيره من المصادر الموثوقة. أسلم أصحمة عندما دعاه الرسول ﷺ إلى الإسلام، وصلّى عليه صلاة الغائب يوم وفاته.
● صحيح البخاري ٥/٦٥، باب موت النجاشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٢) نجران: ـ بالفتح فالسكون ـ وهو في عدة مواضع، والمراد به هنا، نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكّة ـ وبها كان خبر أصحاب الأخدود الوارد في سورة البروج، وكان بها أساقفة، منهم السّيد والعاقب اللذان جاءا إلى النبي ﷺ في أصحابهما، ودعاهما إلى المباهلة، فأبوا، وبقوا بنجران إلى أن أجلاهم عنها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله تعالى عنه.
● مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: ١٣٥٩/٣.

(٣) يريد الثعالبي بصاحب روما: الأسقف ظغاطير الذي وصفه هرقل ملك الرّوم بأنّه أعظم عند الرّوم وأجوز قولاً منه. قال ذلك لدحية بن خليفة الكلبي رسول رسول الله ﷺ إليه يدعوه إلى الإسلام.

(٤) في دلائل النّبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي: المقوقس صاحب الإسكندرية. ووصفه مرّة أخرى بأنّه صاحب الإسكندرية، ومصر.
● دلائل النّبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي: ٣٩٥/٤، ٤٢٩/٥، تح: الدكتور عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٥) ابن صوريا من يهود بني النضير، كان حبراً عالماً، نصح قومه أن يدخلوا في الإسلام فلم يقبلوا منه، فقال لهم: لا تخدعوا أنفسكم، والله إن محمداً لرسول الله، وإنه لآخر الأنبياء، كنتم تطمعون أن يكون من بني هارون، فجعله الله عزَّ وجلَّ حيث شاء، وقال لرسول الله ﷺ، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك نبي مرسل ولكنهم يحسدونك.
● دلائل النبوة لأبي نعيم: ٤٩٢/٢، تر: ٤٢٧.
● دلائل النّبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي: ٢٧٠/٦.

(٦) ابن أخطب حيي بن أخطب، والد أمّ المؤمنين صفية، وأخوه هو أبو ياسر، وهما من

وأخوه، وكعب[1] بن أسد، وغيرهم، من علماء اليهود، ممّن حملهم الحسد والنّفاسة/ على البقاء على الشّقاوة، ممّن يطول ذكرهم، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر ذلك مفصّلاً في مواضعه، قصة قصة. وقد قرع أسماع اليهود[2] والنّصارى بما ذكر أنّه في كتبهم، من صفته، وصفة أصحابه، واحتجّ عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم، وذمّهم بتحريف ذلك وكتمانه، وليّهم بألسنتهم[3]، ودعاهم إلى المباهلة[4] على الكاذب، فما منهم إلاّ من نفر عن معارضته، إلى ما أنذر به الكهّان مثل: شافع[5] بن

١/و

= يهود بني النضير، ويعتبر حيي ملكهم.
- دلائل النبوة لأبي نعيم: ٧٨/١، تر: ٣٧.
- كتاب المغازي للواقدي محمد بن عمر: ٧٠٥/٢، تح: الدكتور مارسدن جونس. عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(١) كعب بن أسد، من علماء بني قريظة وزعمائهم، وهو الذي حال بين اليهود وبين الإسلام فقد قال له الزبير بن باطا: أنت صاحب عهدنا وعقدنا. فإن اتبعته اتبعناك وإن أبيت أبينا.
- دلائل النبوة لأبي نعيم: ٤٩٧/٢، تر: ٤٢٨.

(٢) في الشفاء: قرع أسماع اليهود.

(٣) ليّهم بألسنتهم: صرفها إلى غيرها بغياً وحسداً، يقال: لوى رأسه وألوى برأسه: أماله وأعرض ولوى بكلامه خالف به عن جهته. قال عبدالله بن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ﴾، هو القاضي يكون ليّه وإعراضه لأحد الخصمين على الآخر.
- القاموس المحيط: ٤، فصل اللاّم، باب الواو والياء، مادة لوى، لمجد الدّين محمد الفيروزأبادي، دار الفكر.
- مختار الصّحاح، مادة لوى، للإمام محمد بن أبي بكر الرّازي، عني بترتيبه، محمود خاطر، طبعة دار المعارف بالقاهرة.

(٤) المباهلة: الملاعنة، بأن يقول كلّ منهما: لعنة الله على الظالم والكاذب منّا. وإليها تشير الآية الكريمة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

(٥) شافع بن كليب الصدفي، كان كاهناً، قدم على الملك تبع الحميري فأقام عنده مدّة فلما أراد مغادرته قال له تبع: ما بقي من علمك؟ قال: بقي خبر ناطق، وعلم صادق، وأعلمه بمجيء البار المبرور، الموصوف في الزّبور، أحمد النّبي، طوبى لأمته حين يجيء.
- تاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري أبي جعفر محمد بن جرير ٣٧٣/٢، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، بيروت، لبنان.

كليب، وشق[١]، وسطيح[٢]، وسواد بن قارب[٣]، وخنافر[٤]، وأسقفي[٥] نجران، وجذل بن جذل الكندي، وابن خلصة الدّوسي، وسعد[٦] بن بنت كريز، وفاطمة[٧] بنت النّعمان، ومن لا ينعدّ كثرة، إلى ما ظهر من نطق

---

(١) شقّ بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك، كان كاهناً، عالماً، يؤتى إليه للسّؤال، وفكّ الأمور الصّعبة، المستغلقة.
- تاريخ الطبري: ٢/٣٧٣.
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٣٨٨.

(٢) سطيح بن ربيعة بن مسعود بن عدي بن الأزد، كان كاهناً، عالماً، يسكن مشارف الشام.
- تاريخ الطبري: ٢/٣٧٣.
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

(٣) سوّاد بن قارب الدّوسي، كان شاعراً، كاهناً، يزعم أنّ رئيه أتاه ثلاث ليال متواليات، وهو بين النّائم واليقظان وأعلمه بأن رسولاً قد بعث يدعو إلى الله، فأتى النّبي ﷺ بالمدينة وأعلن إسلامه.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر: ٢/٦٧٤، تر: ١١٠٩.

(٤) خنافر بن التّوأم الحميري، كان كاهناً في قومه. فلما جاء معاذ بن جبل إلى اليمن قاضياً أسلم على يده.
- المصدر السّابق: ٢/٤٦٠، تر: ٦٩٦.

(٥) أسقفاً نجران هما العاقب والسّيد من ولد الأفعى بن الحصين بن غنم الجرهمي.
- تاريخ العرب قبل الإسلام ١٩٦/٦، للدكتور جواد علي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، شركة الرابطة للطبع والنشر المحدود بغداد.

(٦) في النسخ المعتمدة: سعد بن بنت كريز، والإصلاح من الشفاء: ١/ ٥١٧. وسعدى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية، خالة عثمان بن عفان، كانت كاهنة، وشاعرة.
- أعلام النّساء في عالمي العرب والإسلام: ٢/١٩٣ ـ ١٩٤، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

(٧) فاطمة بنت النّعمان: أورد اسمها محمد بن إسحاق، وذكر أنّها فاطمة أمّ النعمان بن عمرو أخي بني النّجار وكانت من بغايا الجاهلية، وكان يأتيها تابع، يقتحم عليها البيت على من فيه، حتى جاءها يوماً فوقع على الجدار ولم يصنع كما كان يصنع، فقالت له: ما لك اليوم؟ قال: بُعث نبي بتحريم الزّنا.
- سيرة ابن إسحاق المسماة، بكتاب المبتدى والمبعث والمغازي، لمحمد بن إسحاق بن يسار، ص٩٢، تر: ١٢٢، تح: محمد حميد الله، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

الأصنام بنبوّته، وحلول وقت رسالته، وسمع من هواتف الجنّ، وذبائح النّصب، وأجواف الصّور، وما وُجد من اسم النّبي ﷺ، والشّهادة له بالرّسالة، مكتوباً في الحجارة، والقبور، بالخطّ القديم، ممّا أكثره مشهور، وإسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور، وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ بيان ذلك في مواضعه. وقد ذكر هذه الجملة عياض[(١)]، وغيره[(٢)].

وسميت كتابي هذا **بالأنوار في آيات النّبي المختار، وذكر**[(٣)] **نبذ من غزواته، وحميد سيرته، وسيرة أصحابه الأبرار**، صلّى الله عليه وسلم وعلى آله ما لمع بارق، وأشرق ضوء نهار.

وحذوت في التّرتيب حذو ابن إسحاق[(٤)] في الأغلب، وما نقلته من كتب الأئمة في هذا التصنيف، وغيره، فنقلي له باللّفظ لا بالمعنى، احتياطاً لنفسي، وعزوت كلّ كلام لمصنّفه، وكلّ حديث لمخرجه.

---

(١) عياض: أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي القاضي، عالم المغرب في زمانه ولد في سبتة ٤٧٦، وتولّى القضاء ببلده، سبتة، وبغرناطة، وله عدة مؤلفات منها الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، إكمال المعلم في شرح مسلم، تسعة وعشرون جزءاً وغيرها كثير، توفي بمراكش عام ٥٤٤.
● تذكرة الحفاظ، للإمام أبي عبدالله شمس الدين الذهبي: ١٣٠٤/٤ ـ ١٣٠٦، تر: ١٠٨٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض: ٥١٥/١ ـ ٥١٨، تح: علي بن محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(٣) في (د) و(ر): وفيه ذكر نبذ....

(٤) ابن إسحاق: أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المطلبي بالولاء، المدني، صاحب المغازي والسّير، كان ثبتاً في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسّير فلا تجهل إمامته فيها.
ومن كتبه أخذ عبدالملك بن هشام سيرة رسول الله ﷺ. توفّي سنة ١٥١هـ.
● وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٢٧٦/٤ ـ ٢٧٧، تر: ٦١٢، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان، تح: الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
● تذكرة الحفّاظ للذّهبي: ١٧٢/١ ـ ١٧٤، تر: ١٦٧.

ولي في جمع هذا التّأليف نيّات عديدة، منها حبّه ﷺ، والأنس بذكره، لأنّ من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره، ولكي أُحشر في زمرته فإنّه ﷺ حكم بأنّ المرء مع من أحبّ وقد روينا في صحيح البخاري[1] عن أنس[2] بن مالك رضي الله عنه، أنّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «**ما أعددت لها؟**» قال: ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحبّ الله ورسوله، قال: «**أنت مع من أحببت**»[3].

وفي رواية: قال أنس: ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً.

وفي بعض طرق هذا الحديث عن أنس، قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام بشيء أشدّ من فرحهم يومئذ.

وفي رواية لمسلم[4]: قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشدّ من

---

(١) البخاري: أبو عبدالله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي، بالولاء البخاري الحافظ، الإمام في علم الحديث، صاحب الجامع الصحيح، ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة ١٩٤هـ، وتوفي ليلة عيد الفطر بعد صلاة العشاء سنة ٢٥٦.
- وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/١٨٨ ـ ١٩١، تر: ٥٦٩.

(٢) أنس بن مالك: أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري النجاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً، رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، وبها توفي عام ٩٣هـ وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. وكانت ولادته بالمدينة في السنة العاشرة قبل الهجرة. وذكر ابن حبان أنه توفي سنة إحدى وتسعين.
- تذكرة الحفّاظ للذهبي: ١/٤٤ ـ ٤٥، تر: ٢٣.
- مشاهير علماء الأمصار: ٤٧، تر: ٢١٥، لأبي حاتم محمّد بن حبّان البستي، وضع حواشيه وعلّق عليه، مجدي بن محمد منصور بن سيد الشورى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٣) صحيح البخاري: م٣/٨/٤٩، كتاب الأدب، باب علامة حبّ الله عزَّ وجلَّ.

(٤) الإمام مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الإمام الحافظ، حجة الإسلام، صاحب التصانيف الكثيرة منها: كتاب الصحيح، ولد سنة ٢٠٤، وبدأ السّماع للحديث سنة ٢١٨، حدث عن كثير، وروى عنه الجم الغفير، قال الحافظ أبو علي النيسابوري، ما تحت أديم السماء كتاب أصحّ من كتاب مسلم، توفي في رجب سنة ٢٦١.
- تذكرة الحفاظ للذهبي: م٢/٥٨٨ ـ ٥٩٠، تر: ٦١٣.

قول رسول الله ﷺ فإنّك مع من أحببت. قال: وأنا أحبّ الله، ورسوله، وأبا بكر، وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم[1].

ولكي تكثر الصلاة عليه، رسماً ونطقاً، فيكثر الثّواب، فقد روى أبو هريرة[2] رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه عشراً**»[3]، رواه مسلم، وأبو داود[4]، والتّرمذي[5]،

---

(١) صحيح مسلم: ٢٠٣٢/٤ ـ ٢٠٣٣، كتاب البر والصلة والأدب، باب المرء مع من أحب، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) أبو هريرة: عبدالرحمٰن بن صخر الدّوسي اليمني، كان إسلامه سنة فتح خيبر سنة سبع من الهجرة، كان من الحفاظ، المواظبين على صحبة رسول الله ﷺ إلى وفاته، فروى عنه ٥٨٧٤ حديثاً، روى عنه أكثر من ٨٠٠ رجل، ما بين صحابي وتابعي، توفي بالمدينة سنة ٥٨ وقيل ٥٩.
- مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ٢١ ـ ٢٢، تر: ٤٦.
- تذكرة الحفاظ للذهبي: ٣٢/١ ـ ٣٧، تر: ١٦.

(٣) أ ـ صحيح مسلم: ٣٠٦/١، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التّشهد.
ب ـ سنن أبي داود الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: ٨٨/٢، كتاب الصلاة، باب الاستغفار، راجعه محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، نشرته دار إحياء السّنة النبوية.
ج ـ الجامع الصحيح، وهو سنن التّرمذي: ٣٥٥/٢، أبواب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار عمران، بيروت.
د ـ سنن النّسائي: م٢، ٥٧/٣ ـ ٥٨، كتاب السهو ـ باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ لأبي عبدالرحمٰن أحمد بن علي بن شعيب... النّسائي الخراساني. بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، حققه ورقمه ووضع فهارسه: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٤) أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، ولد سنة ٢٠٢ وحدّث عن خلق كثير بالحجاز، والعراق، وخراسان، والشام، ومصر، وحدّث عنه الجم الغفير منهم: الترمذي، والنّسائي، وأبو عوانة، وابنه أبو بكر، وغيرهم كثير، توفي في ١٦ شوال سنة ٢٧٥، بالبصرة.
- تذكرة الحفّاظ للذهبي: م٢/١/٥٩١ ـ ٥٩٣، تر: ٦١٥.

(٥) التّرمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي الضرير، الإمام الحافظ، مصنف الجامع الصحيح، وكتاب العلل، يضرب به المثل في الحفظ، تفقه=

والنّسائي[1]، وعن ابن مسعود[2] رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: **«أولى النّاس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة»**[3]، رواه التّرمذي وابن حبّان[4] في صحيحه، ولفظهما سواء. وقال التّرمذي: حسن غريب.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه عشر صلوات، وحطّت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات»**.

= في الحديث بالبخاري، وكانت ولادته سنة **٢٠٩**، وتوفي في **١٣** رجب سنة **٢٧٩**.
- تذكرة الحفّاظ للذهبي: م١/٢/٦٣٣ - ٦٣٧، تر: **٦٥٨**.

(١) النّسائي: أبو عبدالرحمٰن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني، صاحب «السنن» ولد سنة **٢١٥**، سمع الحديث بخراسان، والعراق، والحجاز، والشام، ومصر، التي استوطنها، كان مليح الوجه، ظاهر الدم، مع كبر السّنّ، له أربع زوجات، ولا يخلو مع ذلك من سرية، كان أفقه مشائخ مصر في عصره، وأعلمهم بالحديث ورجاله، توفي في شعبان سنة **٣٠٣**هـ.
- تذكرة الحفّاظ للذّهبي: م١/٢/٦٩٨ - ٧٠١، تر: **٧١٩**.

(٢) ابن مسعود: أبو عبدالرحمٰن عبدالله بن مسعود بن الحارث بن هذيل، حليف بني زهرة، وأمّه أمّ عبد بنت الحارث بن مرة بن كلاب، خادم رسول الله ﷺ وأحد السابقين الأولين، ومن كبار البدريين، ومن فقهاء الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، حفظ من في رسول الله ﷺ سبعين سورة، له ٨٤٨ حديثاً، رواها عنه الرواة من الصحابة والتابعين. سكن الكوفة، وتولّى بيت مالها، توفي بالمدينة في خلافة عثمان سنة **٣٢** ودفن بالبقيع، وكان له بضع وستون سنة.
- تذكرة الحفاظ للذهبي: م١/١/١٣ - ١٧، تر: **٥**.
- مشاهير علماء الأمصار لابن حبان، ص١٦، تر: **٢١**.

(٣) - أ - صحيح التّرمذي: **٢/٣٥٤**، أبواب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصّلاة على النبي ﷺ.
- ب - صحيح ابن حبان: **٢/١٣٣**، رقم: **٩٠٨**، ذكر البيان بأن أقرب الناس في يوم القيامة يكون من النبي ﷺ من كان أكثر صلاة عليه في الدنيا، باب الأدعية.

(٤) ابن حبّان: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، صاحب التصانيف المفيدة، سمع أبا عبدالرحمٰن أحمد النّسائي، والحسين بن إدريس الهروي، وأبا بكر بن خزيمة، وأمماً لا يحصون من مصر إلى خراسان، وحدّث عنه العدد الكثير، إذ كان من أوعية العلم في الفقه، واللغة، والأدب، توفي في شوال سنة **٣٥٤** وهو في عشر الثمانين.
- تذكرة الحفّاظ للذهبي: م٢/٣/٩٢٠ - ٩٢٤، تر: **٨٧٩**.

رواه النّسائي واللفظ له[1]، والحاكم[2] في المستدرك على الصحيحين، وابن حبّان في صحيحه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

ورُوي عنه ﷺ أنّه قال: «**من صلّى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تصلّي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب**»[3].

[ولما أرجوه من إنجاز وعد وعدته على لسان سيّدنا محمد ﷺ في مرائي عديدة جمعتها في غير هذا الكتاب][4].

واعلم ـ رحمك الله [تعالى][4] أني أقول ـ كما قال عياض في الشفاء ـ: إنّ كتابنا هذا/ لم نجمعه لمنكر نبوّة نبيّنا ﷺ، ولا لطاعن في معجزاته، فنحتاج إلى نصب الأدلّة، وتبيين البراهين، وإنّما ألّفناه لأهل ملّته، الملبّين لدعوته، المصدّقين لنبوّته، ليكون تأكيداً في محبّتهم له، ومنماة لأعمالهم[5] ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ﴾[6].

٢/ظ

وقد نظمت هذا الكتاب على فصول وأبواب.

---

(١) أ ـ سنن النّسائي: م٢/٣/٥٨، كتاب السّهو، باب الفضل في الصلاة على النّبي ﷺ.
ب ـ المستدرك على الصحيحين: ١/٧٣٥، كتاب الدّعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذّكر، للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النّيسابوري، دراسة وتح: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
ج ـ صحيح ابن حبان: ٢/١٣٠، رقم: ٩٠١، ذكر حط الخطايا على المصلّي على المصطفى ﷺ بها، باب الأدعية.

(٢) الحاكم: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه النيسابوري، ولد في ربيع الأول سنة ٣٢١هـ، رحل إلى العراق والحجاز، ثم جال في خراسان وما وراء النهر، وسمع بالبلاد التي رحل إليها من ألفي شيخ، حدّث عنه الدارقطني، وأبو بكر البيهقي، وخلائق، توفي في صفر سنة ٤٠٥هـ.
● تذكرة الحفّاظ للذّهبي: م٢/٣/١٠٣٩، تر: ٩٦٢.

(٣) أورد هذا الحديث القاضي عياض في «الشفاء»: ٢/٦٥.

(٤) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٥) في (د): ومنماة في أعمالهم.

(٦) الفتح: ٤.
● الشفاء: ١/٣٤١.

باب في ذكر نسبه ﷺ

قال ابن إسحاق: هو محمد ﷺ[1] بن عبدالله بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب: شيبة بن هاشم، واسم هاشم: عمرو بن عبد مناف، واسم عبد مناف المغيرة بن قصيّ، واسم قصيّ: زيد بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، واسم مدركة: عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان[2].

وكلّ ما نقلته عن ابن إسحاق فإنّما نقلي له بواسطة عبدالملك بن هشام[3].

قال الشيخ أبو القاسم[4] السّهيلي في الروض الأنف، ومحمد بن إسحاق هذا ـ رحمه الله ـ ثبت في الحديث عند أكثر العلماء، وأمّا في المغازي والسّير فلا تجهل إمامته فيهما[5].

قال ابن شهاب[6] الزّهري: من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق،

---

(١) في السيرة النّبوية لابن هشام: بلا تصلية، ولا ضمير فصل: هو.

(٢) ● السيرة النّبوية لابن هشام: ١/١ ـ ٢.

(٣) عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، أصله من البصرة، له قدم راسخة في علم النّسب، والنحو، وهو الذي جمع سيرة الرسول ﷺ من المغازي والسّير، توفي بمصر عام ٢١٣.

● وفيات الأعيان لابن خلكان: ١٧٧/٣، تر: ٣٨٠.

(٤) السّهيلي: أبو القاسم عبدالرحمٰن بن الخطيب أبي محمد عبدالله الخثعمي، كان مكفوفاً، له عدة مؤلفات منها: التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، ونتائج الفكر، والروض الأنف، والسّهيلي نسبة إلى سهيل: قرية بالقرب من مالقا، بالأندلس، ومولده بها سنة ٥٠٨هـ، وتوفي بمراكش يوم الخميس ٢٦ شعبان سنة ٥٨١هـ.

● وفيات الأعيان لابن خلكان: ١٤٣/٣ ـ ١٤٤، تر: ٣٧١.

(٥) في الروض الأنف للسّهيلي: فيها.

(٦) ابن شهاب: أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب القرشي الزّهري المدني،

وذكره البخاري في التّاريخ، وذكر عن سفيان[1] بن عيينة أنه قال: ما أدركت أحداً يتّهم ابن إسحاق في حديثه، وذكر أيضاً عن شعبة[2] بن الحجاج أنّه قال: ابن إسحاق أمير المؤمنين، يعني في الحديث[3]، قال السّاجي[4]: كان أصحاب الزّهري، يلجؤون إلى محمد بن إسحاق فيما شكّوا فيه من حديث الزّهري ثقة منهم بحفظه[5].

= ولد سنة خمسين، كان يحفظ ألفين ومائتي حديث (٢٢٠٠) نصفها مسند. أوّل من دوّن الحديث، لزم الشام، واستقرّ بها، كتب الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز إلى عمّاله قائلاً: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أعلم بالسّنة الماضية منه، توفي في رمضان سنة ١٢٤.

● تذكرة الحفاظ للذهبي: م١/١/١٠٨ ـ ١١٣، تر: ٩٧.

(١) سفيان بن عيينة: أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، محدّث الحرم المكي. ولد بالكوفة عام ١٠٧هـ، سمع عمرو بن دينار، وابن شهاب الزّهري، وعبدالرحمٰن بن القاسم، وأمماً سواهم، وحدّث عنه الأعمش، وشعبة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وخلق كثير. قال الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز، توفي بالكوفة سنة ١٩٨هـ، كان أعور، وحجّ سبعين حجّة.

● تذكرة الحفّاظ للذّهبي: م١/١/٢٦٢ ـ ٢٦٥، تر: ٢٤٩.

(٢) شعبة: أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، الواسطي، نزيل البصرة ومحدّثها، ولد ونشأ بواسط سنة ٨٢هـ، وسكن البصرة إلى حين وفاته سنة ١٦٠هـ له نحو ألفي حديث، وكان الثوري يقول: شعبة أمير المؤمنين في الحديث، وقال الشافعي: لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق، وكان عالماً بالأدب والشعر، حتّى قال الأصمعي: لم نر أحداً قط أعلم بالشعر من شعبة.

● تذكرة الحفاظ للذهبي: م١/١/١٩٣ ـ ١٩٧، تر: ١٨٧.

(٣) كتاب التاريخ الكبير: ٤٠/١ للبخاري أبي عبدالله محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

(٤) السّاجي: أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبدالرحمٰن بن بحر البصري الساجي، محدّث البصرة، التي ولد بها سنة ٢٢٠هـ وبها توفي سنة ٣٠٧هـ، له كتاب جليل في «علل الحديث» وكتاب «اختلاف الفقهاء».

● تذكرة الحفّاظ للذهبي: م١/٢/٧٠٩ ـ ٧١٠، تر: ٧٢٧.

(٥) في الروض الأنف للسّهيلي: هذا كلام الساجي نقلته من حفظي لا من كتاب.

وذكر عن[1] يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل[2]، ويحيى بن سعيد[3] القطّان، أنّهم وثقوا ابن إسحاق واحتجّوا بحديثه.

وذكر علي[4] بن عمر الدارقطني في السّنن حديث القلّتين[5] من جميع طرقه، وما فيه من الاضطراب، ثم قال في حديث جرى: وهذا يدلّ على حفظ محمد بن إسحاق وشدّة إتقانه.

قال السّهيلي: وإنّما لم يخرّج [البخاري][6] عنه وقد وثّقه، وكذلك مسلم بن الحجّاج لم يخرّج عنه أيضاً إلاّ حديثاً واحداً في الرّجم عن

---

(١) يحيى بن معين: أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد المري البغدادي، من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله، قال: كتبت بيدي ألف ألف حديث. مولده بقرية نقيا سنة ١٥٨هـ قرب الأنبار، وكان أبوه على خراج الرّي فخلّف له ثروة كبيرة أنفقها في طلب الحديث، توفي في ذي القعدة بالمدينة المنوّرة سنة ٢٣٣ وصلّى عليه أميرها.
● تذكرة الحفّاظ للذهبي: م١/٢/٤٢٩ ـ ٤٣١، تر: ٤٣٧.

(٢) أحمد بن حنبل: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الذّهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، ولد سنة ١٦٤، وسمع سفيان بن عيينة، وإبراهيم بن سعد وطبقتهما، وأخذ عنه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وأبو القاسم البغوي، وخلق كثير، توفي يوم الجمعة ١٢ ربيع الأوّل سنة ٢٤١.
● تذكرة الحفّاظ للذهبي: م١/٢/٤٣١ ـ ٤٣٢، تر: ٤٣٨.

(٣) يحيى القطان: أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي مولاهم البصري، ولد سنة ١٢٠، وسمع هشام بن عروة، وطبقته، وأخذ عنه ابن مهدي، وأمم كثيرة، من أقران مالك، وشعبة، توفي في صفر ١٩٨.
● تذكرة الحفاظ للذهبي: م١/١/٢٩٨ ـ ٣٠٠، تر: ٢٨٠.

(٤) الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب السّنن، مولده سنة ٣٠٦، سمع البغوي، وابن أبي داود، وخلائق، ببغداد، والبصرة، والكوفة، وواسط، وارتحل في كهولته إلى مصر، والشام، وصنّف التّصانيف الفائقة، وحدّث عنه الحاكم، وأبو حامد الإسفراييني، وأبو الحسين بن المهتدي بالله، وأمم سواهم، توفي في ثامن ذي القعدة سنة ٣٨٥هـ.
● تذكرة الحفّاظ للذهبي: م٢/٣/٩٩١ ـ ٩٩٥، تر: ٩٢٥.

(٥) يشير إلى الحديث: «**إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث**» انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم: ١/٢٢٥، كتاب الطهارة.

(٦) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.

سعيد[1] المقبري عن أبيه[2]، من أجل طعن مالك فيه، وإنّما طعن فيه مالك ـ فيما ذكر أبو عمر[3] [رحمه الله تعالى][4] عن عبدالله[5] بن إدريس[6]، لأنّه بلغه أنّ ابن إسحاق قال: هاتوا حديث مالك فأنا طبيب بعلله. فقال مالك: وما ابن إسحاق؟! إنّما هو دجّال من الدّجاجلة، نحن أخرجناه من المدينة[7].

قلت: وليس في كلام مالك رحمه الله [تعالى][8] ولا في كلام ابن إسحاق ما يوجب طعناً في إمامتهما، ولا قدحاً في عدالتهما، فيؤول كلامهما أحسن تأويل، ويلتمس لهما أحسن المخارج، رحمهما الله ورضي عنهما، وجازاهما عن الإسلام أفضل الجزاء.

---

(١) سعيد المقبري: أبو سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري المدني، الإمام المحدّث الثقة، سمع أباه، وأبا هريرة، وسعد بن أبي وقاص، وجبير بن مطعم، وجابراً، وأنساً، وعائشة، ومعاوية، وخلقاً سواهم، وحدّث عنه مالك، والليث، وابن إسحاق، وابن أبي ذئب، وخلق كثير، توفي سنة ١٢٥هـ.
- تذكرة الحفّاظ للذهبي: م١/١/١١٦ ـ ١١٧، تر: ١٠١.

(٢) صحيح مسلم: ٣/١٣٢٨ ـ ١٣٢٩، كتاب الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذّمة في الزّنى.

(٣) ابن عبدالبر: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي، حافظ المغرب، ولد في ربيع الآخر سنة ٣٦٨، وطلب الحديث من علماء بلاده، وحدّث عن خلف بن القاسم، وعبدالوارث بن سفيان وطبقتهما، وله تصانيف مفيدة منها: التمهيد، والاستيعاب، وبهجة المجالس، والانتقاء، وكتاب المغازي... وتوفي ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ٤٦٣.
- تذكرة الحفاظ للذّهبي: م٢/٣/١١٢٨ ـ ١١٣٢، تر: ١٠١٣.

(٤) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.

(٥) عبدالله بن إدريس: أبو محمد عبدالله بن إدريس بن يزيد بن عبدالرحمٰن الأودي الكوفي، كان فاضلاً، عابداً، حجّة فيما يرويه، مذهبه في الفتوى مذهب أهل المدينة، توفي سنة ١٩٢هـ.
- تذكرة الحفّاظ للذهبي: م١/١/٢٨٢ ـ ٢٨٤، تر: ٢٦٢.

(٦) في الرّوض الأنف للسّهيلي، عبدالله بن إدريس الأودي.

(٧) الروض الأنف: ١/٣٧ ـ ٣٨، وبينهما خلاف.

(٨) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.

قال السّهيلي: وذكر[١] علي بن ثابت الخطيب في تاريخه ـ فيما ذكر لي عنه أنّ ابن[٢] إسحاق رأى أنس بن مالك رضي الله عنه، وعليه عمامة سوداء، والصّبيان خلفه يشتدون ويقولون: هذا صاحب رسول الله ﷺ لا يموت حتّى يلقى الدّجال.

وذكر الخطيب[٣] أيضاً[٤] أنّ يحيى[٥] بن سعيد الأنصاري شيخ مالك روى عن ابن إسحاق قال: وروى عنه سفيان[٦] الثوري، والحمّادان: حماد بن سلمة[٧] بن دينار، ....

---

(١) في الروض الأنف للسهيلي: وذكر الخطيب أحمد بن علي بن ثابت.

(٢) في الروض الأنف للسهيلي: أنّه ـ يعني ابن إسحاق ـ رأى أنس بن مالك وعليه عمامة...

(٣) الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي محدّث الشّام، والعراق، ولد سنة ٣٩٢، ورحل في طلب العلم إلى الأقاليم، وبرع، وصنّف، فبلغت مؤلفاته ٧٩ أشهرها: تاريخ بغداد، والكفاية في علم الرواية، وتوفي ببغداد في رمضان سنة ٤٦٣هـ.
● تذكرة الحفاظ للذهبي: م٢/٣/١١٣٥ ـ ١١٤٦، تر: ١٠١٥.

(٤) في الروض الأنف للسّهيلي: أنّه روي عن سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد، وأبي سلمة بن عبدالرحمٰن، وذكر أن...

(٥) يحيى بن سعيد: أبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري البخاري المدني، حدّث عن أنس بن مالك، والسّائب بن يزيد، وسعيد بن المسيب، وخلق سواهم، وحدّث عنه: شعبة بن الحجاج، ومالك بن أنس، والسّفيانان، والحمادان، وابن المبارك، ويحيى القطان، وأمم سواهم، توفيّ بالهاشمية سنة ١٤٣هـ.
● تذكرة الحفاظ للذهبي: م١/١/١٣٧ ـ ١٣٩، تر: ١٣٠.

(٦) سفيان الثوري: أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق، الفقيه الكوفي، أمير المؤمنين في الحديث، ولد بالكوفة عام ٩٧هـ وبها نشأ، حدّث عن أبيه، وزبيد بن الحارث وحبيب بن أبي ثابت وطبقتهم، وحدّث عنه ابن المبارك، ويحيى القطان، وابن وهب، ووكيع، وخلائق، راوده المنصور على القضاء فأبى، وخرج من الكوفة عام ١٤٤هـ فسكن مكّة والمدينة، وطلبه المهدي فتوارى، وانتقل إلى البصرة، وبها توفي عام ١٦١هـ.
● تذكرة الحفاظ للذّهبي: م١/١/٢٠٣ ـ ٢٠٧، تر: ١٩٨.

(٧) حمّاد بن سلمة: أبو سلمةُ حمّاد بن سلمة بن دينار، النحوي المحدّث، مفتي البصرة، كان حافظاً ثقة مأموناً، سمع خاله حميد الطويل، وابن أبي مليكة وقتادة، وخلقاً=

وحمّاد[1] بن درهم، وشعبة.

وذكر عن الشّافعي[2] أنّه قال: من أراد أن يتبحّر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق. فهذا ما بلغنا عن محمّد بن إسحاق رحمه الله [تعالى][3].

قال السّهيلي: وأمّا عبدالملك بن هشام فمشهور بحمل العلم، متقدم في علم النسب والنحو، وهو حميري[4] وله كتاب في أنساب حمير وملوكها، وكتاب في شرح ما وقع من الغريب في أشعار السّير[5] ـ فيما ذكر لي[6] ـ.

= كثيراً، وأخذ عنه ابن المبارك، وابن مهدي، وشعبان بن فروخ وخلق سواهم، توفي سنة ١٦٧هـ.

● تذكرة الحفّاظ للذهبي: م١/١/٢٠٢ ـ ٢٠٣، تر: ١٩٧.

(١) حمّاد بن زيد: أبو إسماعيل حمّاد بن زيد بن درهم الأزدي، ولد بالبصرة سنة ٩٨هـ يحفظ أربعة آلاف حديث، خرّج أحاديثه أئمة السنة، حدّث عن أنس بن سيرين، وعمرو بن دينار، وثابت البناني، وخلق سواهم، وروى عنه عبدالرحمٰن بن مهدي، وعلي بن المديني، وأحمد بن المقدام، وأمم سواهم، توفي في رمضان سنة ١٧٩هـ.

● تذكرة الحفاظ للذهبي: م١/١/٢٢٨ ـ ٢٢٩، تر: ٢١٣.

(٢) في الروض الأنف للسّهيلي: رضي الله عنه أنه...

الشافعي: أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان القرشي المطلبي المكي، ولد بغزّة سنة ١٥٠هـ فحمل إلى مكّة لما فطم فنشأ بها، حدّث عن عمه محمد بن علي، وعبدالعزيز بن الماجشون، ومالك بن أنس، وخلق سواهم، وحدّث عنه أحمد بن حنبل، والرّبيع المرادي، والزّعفراني، وأمم سواهم، كان حافظاً للحديث، بصيراً بعلله، توفي أول شعبان سنة ٢٠٤هـ بمصر وكان قد انتقل إليها عام ١٩٩هـ.

● تذكرة الحفّاظ للذهبي: م١/١/٣٦١ ـ ٣٦٣، تر: ٣٥٤.

(٣) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل والروض الأنف.

● الروض الأنف للسّهيلي: ٣٩/١ ـ ٤٠.

(٤) في الروض الأنف: حميري معافريّ من مصر، وأصله من البصرة وتوفي بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين وله...

(٥) في الروض الأنف: من الغريب.

(٦) في (د): ممّا ذكر لي.

● الروض الأنف: ٤٣/١.

قلت: وابن هشام هذا راوي السّير عن البكائي[1] عن ابن إسحاق، ومختصرها غاية في الجلالة والفضل وحسن التحري. وأنا أذكر لك من لفظه ما يعرف عن فضله، فإنّه كما قيل: تعرف عقول الرّجال في تصاريفهم وتصانيفهم.

٣/و قال ابن هشام: في أوّل السّيرة، وأنا إن شاء الله مبتدىء/ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام[2]، ومن ولد رسول الله ﷺ من ولده وأولادهم لأصلابهم، الأوّل فالأول، من إسماعيل عليه السّلام[2] إلى رسول الله ﷺ[3]، وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة، للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب ممّا ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشّعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعضها[4] يسوء بعض الناس ذكره. وبعض لم يقرّ لنا زياد بن عبدالله البكّائي بروايته، ومستقص ـ إن شاء الله تعالى ـ ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية والعلم به[5]. انتهى كلام ابن هشام رحمه الله [تعالى][6].

---

(١) البكّائي: أبو محمد زياد بن عبدالله بن طفيل بن عامر القيسي العامري الكوفي، واسم البكّائي ربيعة، شيخ ابن هشام، خرّج عنه البخاري في كتاب الجهاد، ومسلم في عدّة مواضع من صحيحه، توفي سنة ١٨٣.
أ ـ الروض الأنف للسّهيلي: ٤٠/١ ـ ٤١.
ب ـ وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣٣٨/٢ ـ ٣٣٩، تر: ٢٤٨.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: بلا تسليم.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: وآله وسلم.

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقرّ لنا البكائي بروايته.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: م٤/١/١.

(٦) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

قال السّهيلي: والبكائي هذا ثقة خرّج عنه البخاري في كتاب الجهاد، وخرّج عنه مسلم في مواضع من كتابه، وحسبك بهذه تزكية، وهو كوفي، وتوفي سنة ثلاث وثمانين[1].



---

(١) الروض الأنف للسهيلي: ١/٤٠ ـ ٤١، وفيه توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة.

باب في ذكر نسب رسول الله ﷺ

قد تقدم ذكر نسبه ﷺ إلى عدنان، وتركنا ذكر ما بعده لاضطراب النّاس فيه.

قال أبو سعيد(١) النيسابوري في كتابه «شرف المصطفى»: نسب رسول الله ﷺ متّفق عليه إلى عدنان، صحيح متّصل لم يختلف فيه. وقد روي عن ابن عبّاس(٢) [رضي الله عنهما](٣) أنّه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انتهى إلى عدنان أمسك، ثم يقول: كذب النّسّابون.

---

(١) أبو سعيد النيسابوري: محمد بن يحيى بن أبي منصور البغدادي، ولد سنة **٤٧٦هـ**، وتوفي شهيداً في رمضان سنة **٥٤٨هـ**، قتله الغزّ عند استيلائهم على نيسابور، وكان مفتي خراسان. ذكره ابن خلكان في وفياته، والحافظ الذهبي في تذكرته، والزّركلي في أعلامه، بأنّه أبو سعد، بينما ذكره الثعالبي في أنواره، وإسماعيل باشا البغدادي في هديته بأنّه أبو سعيد.

- أ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان: **٢٢٣/٤ ـ ٢٢٤** تر: **٥٩١**.
- ب ـ تذكرة الحفّاظ للذهبي: م٢/٤/١٣١٣، تر.
- جـ ـ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: **٩١/٢**، لأسماء باشا البغدادي ـ المكتبة الإسلامية ـ والجعفري تبريزي بطهران ـ الطبعة الثالثة، **١٩٤٧م ـ ١٣٨٧هـ**.
- د ـ الأعلام للزّركلي: **٧/٨**.

(٢) عبدالله بن عباس: أبو العباس عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بأربع سنين، ودعا له الرسول ﷺ بقوله: **«اللهم فقهه في الدّين، وعلّمه التأويل»**، وكان مسروق يقول: إذا رأيت عبدالله بن عباس قلت: أجمل النّاس، فإذا تكلم قلت: أفصح الناس، وإذا تحدث قلت: أعلم الناس. توفي بالطائف سنة ثمان وستين وقيل: سنة سبعين، وصلّى عليه محمد بن الحنفية، وقبره بالطائف مشهور يزار.

- أ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر: **٩٣٣/٣ ـ ٩٣٩**، تر: **١٥٨٨**.
- ب ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان، ص**١٥**، تر: **١٧**.

(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

ثم اختلفوا فيما بعد عدنان على ستّ روايات لا يقطع بصحة رواية منها.

قلت: وأنا أذكر ـ إن شاء الله ـ من أجداده ﷺ من بشّر به.

قال السّهيلي: وكعب بن لؤي[1] أوّل من جمّع يوم العروبة، ولم تسمّ العروبة الجمعة إلاّ مذ[2] جاء الإسلام في قول بعضهم، وقيل: هو أوّل من سمّاها الجمعة. فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم، فيخطبهم، ويذّكرّهم بمبعث النّبي ﷺ، ويعلمهم أنّه من ولده، ويأمرهم باتّباعه، والإيمان به، وينشد في هذا أبياتاً منها[3] [من البسيط]:

يا ليتني شاهد فحواء دعوته　　إذا قريش تبغّي الحقّ خذلانا

وقد ذكر الماوردي[4] هذا الخبر عن كعب في «كتاب الأحكام»[5] له[6].

قلت: وذكره الحسن بن عبدالملك المعروف بابن القطّان[7] بسياق هو

---

(١) كتب على الهامش من الأصل: هو الجد الثامن لسيدنا رسول الله ﷺ ورضي عن جميع آبائه الكرام، وساداتنا الفخام.

(٢) في (ر): والروض الأنف: منذ.

(٣) في الروض الأنف: منها قوله: . . .

(٤) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، ولد بالبصرة سنة ٣٦٤هـ، ثم انتقل إلى بغداد، وكان ثقة، تولّى القضاء، له عدة مؤلفات في الأصول، والتفسير، والفقه، أشهرها: الأحكام السلطانية، وأدب الدنيا والدين، والحاوي في الفقه على مذهب الشافعي، وأعلام النبوة، توفي في ربيع الأول سنة ٤٥٠هـ، والماوردي نسبة إلى بيع ماء الورد.

● شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٢٨٥/٣ ـ ٢٨٧، لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، مركز الموسوعات العالمية، بيروت، لبنان.

(٥) عدت إلى كتاب «الأحكام السّلطانية» فلم أجد الخبر فيه!

(٦) الروض الأنف للسّهيلي: ٥١/١ ـ ٥٣.

(٧) ابن القطان: أبو علي الحسن بن عبدالملك بن علي بن موسى بن عمران بن إسرافيل النسفي، الإمام الحافظ المحدّث ولد سنة أربع وأربعمائة [٤٠٤]، وتوفي بنسف في=

أتمّ من هذا، فقال: ومن آياته ﷺ في هذا الباب تبشير كعب بن لؤي[1] به ﷺ قديماً.

فروى أبو سلمة بن عبدالرحمٰن[2] قال: كان ممّا يخطب به كعب بن لؤيّ:

أمّا بعد: فاسمعوا وتعلّموا، وافهموا تعلّموا، صلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، وثمّروا أموالكم، واعلموا أنّ الدار أمامكم، وحرمكم زيّنوه وعظّموه، وتمسكوا به وأكرموه، فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبيّ كريم، ثم يقول: [من الطويل]:

صروف وأزمان تقلّب أهلها ... لها عسرة ما يستحيل مريرها[3]

على غفلة يأتي النّبي محمّد ... فيخرج[4] أخباراً صدوقاً خبيرها

ثم يقول: لو كنت ذا سمع وبصر، لتنصّبت تنصّب الفحل، وأرقلت إرقال الجمل، فرحاً بدعوته، جذلاً بصرخته.

= الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٤٨٧هـ.

● سير أعلام النّبلاء للإمام شمس الدين بن محمد الذهبي: ١٤٣/١٩ ـ ١٤٤، تر: ٧٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

● شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد: ٣٨١/٣.

(١) كتب على الهامش من الأصل: هو الجد الثامن لسيدنا رسول الله ﷺ ورضي عن آبائه الأعلام وساداتنا الكرام.

(٢) أبو سلمة: عبدالله بن عبدالرحمٰن بن عوف القرشي الزهري، أحد الأعلام بالمدينة المنورة، كان ثقة، فقيهاً، كثير الحديث، وقد اختلف في اسمه، قيل: إسماعيل، وقيل: عبدالله، ورجّح الثاني ابن حزم في الجمهرة. توفي بالمدينة في خلافة الوليد بن عبدالملك سنة ٩٤هـ، هو ابن ٧٢ سنة.

● أ ـ كتاب الكنى والأسماء للعلاّمة أبي بشر محمد الدولابي: ١٩١/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

● ب ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٢٣٤.

● جـ ـ سير أعلام النبلاء للحافظ الذّهبي: ٢٨٧/٤ ـ ٢٩٢، تر: ١٠٨.

(٣) في (د): مديدها.

(٤) في (د) و(ر): فيخبر.

قلت: قال الزّبيدي[1]: جذل الرجل بالجيم والذّال المعجمة جذلاً فرح وأرقلت الدّابة: أسرعت.

وأمّا إلياس فيذكر عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا تسبّوا إلياس فإنّه كان مؤمناً»**، وذكر أنّه كان في صلبه[2] يسمع تلبية النّبي ﷺ بالحجّ، ينظر هذا الكلام في كتاب «المولد» للواقدي[3].

وأمّا نزار فمن النّزر وهو القليل، وكان أبوه حين ولد له ونظر إلى النور بين عينيه، وهو نور النّبوة الذي كان ينتقل في الأصلاب إلى نبّينا محمد ﷺ فرح فرحاً/ شديداً، ونحر وأطعم، وقال: إنّ هذا كلّه نزر في حق[4] هذا المولود[5]. ٤/ظ

وأما معدّ بن عدنان فكان في مدّة بخت نصّر ابن اثنتي عشرة سنة[6].

---

(١) الزّبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيدالله الزّبيدي الإشبيلي الأندلسي، ولد ونشأ، واشتهر بإشبيلية، وطلبه الحكم المستنصر بالله إلى قرطبة ليعلّم ولده هشاماً، ثم تولى القضاء بإشبيلية التي توفي بها سنة **٣٧٩هـ**. من تصانيفه: مختصر العين في اللغة، وطبقات النحويين، وما يلحن فيه عوام الأندلس.
● أ ـ بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة: ٨٤/١ ـ ٨٥، تر: ١٣٦، للحافظ جلال الدين عبدالرحمٰن السّيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.
● ب ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: ٦٦ ـ ٦٧، تر: ٨٠، لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضّبي، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧، مطابع سجل العرب، القاهرة.

(٢) في (د) و(ر) والروض الأنف: يسمع في صلبه.

(٣) الواقدي: أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي المدني، ولد بالمدينة سنة ١٣٠، وأخذ عن ابن عجلان وابن جريج، ومعمر، وغيرهم. يعدّ من أوعية العلم، وهو رأس في المغازي والسير، له عدة مؤلفات أنهاها بعضهم إلى ٢٨ كتاباً، وتوفي سنة ٢٠٧ على الأرجح. وهو من الموالي وتولّى القضاء ببغداد.
● تذكرة الحفّاظ للذهبي: م٣٤٨/١/١، تر: ٣٣٤.
● الرّوض الأنف للسهيلي: ٦١/١.

(٤) في الروض الأنف: لحق هذا المودود، فسمي نزاراً لذلك.

(٥) الروض الأنف: ٦٢/١ ـ ٦٤.

(٦) تاريخ الأمم والملوك للطبري: م٢٨٣/١/١.

قاله الطبري[١]، وذكر أنّ الله تعالى أوحى في ذلك الزّمان إلى إرميا بن حلقيا: أن اذهب إلى بخت نصّر فأعلمه أنّي قد سلّطته على العرب، واحمل معداً على البراق، كي لا تصيبه النّقمة فيهم، فإني مستخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرّسل.

فاحتمل معدّ على البراق إلى أرض الشام، فنشأ مع بني إسرائيل، وتزوّج هناك امرأة اسمها معانة بنت جوشن من بني دبّ بن جرهم، ويقال في اسمها ناعمة[٢]. ومن ثمّ وقع في كتب[٣] الإسرائيليين نسب معدّ، ثبّته في كتبه رخيا، وهو يؤرخ كاتب إرمياء، كذلك ذكر[٤] أبو عمر النّمري[٥]، وكان رجوع معدّ إلى أرض الحجاز بعدما رفع الله بأسه[٦] عن العرب ورجعت بقاياهم التي كانت في الشواهق إلى محالّهم ومياههم، بعد أن دوّخ بلادهم بخت نصّر، وخرّب المعمور. واستأصل أهل حضور[٧]، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ الآية[٨]، وذلك لقتلهم شعيب بن ذي مهدم[٩] نبيّاً أرسل إليهم[١٠]، وقبره بصنن[١١]، جبل باليمن

---

(١) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير. صاحب التصانيف الكثيرة في التاريخ، والتفسير، وغيرهما ولد سنة ٢٢٤هـ بطبرستان، وأكثر التّطواف طلباً للعلم والسّماع، من الأئمة المجتهدين، لم يقلّد أحداً توفي ببغداد في ٢٨ شوال ٣١١هـ.
● أ ـ تذكرة الحفّاظ للذهبي: م١/٢/٧١٠ ـ ٧١٦، تر: ٧٢٨.
● ب ـ وفيات الأعيان لابن خلكان: ١٩١/٤ ـ ١٩٢، تر: ٥٧٠.

(٢) في الروض الأنف: قاله الزبير.

(٣) في الروض الأنف: في كتاب.

(٤) في (د): ذكره.

(٥) الروض الأنف: ٦٨/١ ـ ٦٩.

(٦) في الأصل: باسمه.

(٧) حضور: بلدة باليمن، من أعمال زبيد.
● مراصد الاطلاع: ٤١٠/١.

(٨) الأنبياء: ١١، وتمام الآية: ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾.

(٩) في (ر): مدهم: قيْل لحمير وملك الحبش.

(١٠) في الروض الأنف: أرسله الله إليهم.

(١١) في (ر): بصند، وفي الروض الأنف: بصنّين.

وليس بشعيب الأوّل صاحب مدين[1]، ذلك شعيب بن عيفى[2]، وكذلك أهل عدن قتلوا نبياً لهم اسمه حنظلة بن صفوان، فكانت سطوة الله بالعرب لذلك نعوذ بالله من سخطه، وأليم عذابه[3].

فصل

وأمّا إسماعيل عليه السلام فذكر ابن إسحاق أنّه ولد اثني عشر ولداً[4]. قال السّهيلي: ولم يذكر ابن إسحاق بنته، وهي نسمة بنت إسماعيل وهي امرأة عيصو بن إسحاق عليه السلام[5]. وولدت له: الروم وفارس، فيما ذكر الطّبري[6]، وقال: أشكّ في الأشباه أهي[7] أمّهم أو لا؟ وهم من ولد عيصو[8].



(١) مدين: مدينة قوم شعيب، وهي تجاه تبوك على بحر القلزم، وبها البئر التي استقى بها موسى لغنم شعيب عليهما السّلام.
● مراصد الاطلاع: ١٢٤٦/٣.
(٢) في الروض الأنف: ويقال فيه: ابن صيفون.
(٣) في الروض الأنف: نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه.
● الروض الأنف: ٧٢/١ ـ ٧٣.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: رجلاً نابتاً، وأورد أسماءهم: ٤/١.
(٥) في الروض الأنف: بدون تسليم.
(٦) تاريخ الأمم والملوك للطبري: ١٦٢/١.
(٧) في الروض الأنف: هل هي أمّهم أم لا؟
(٨) ● الروض الأنف: ٨٥/١ ـ ٨٦.



باب في ذكر حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

قال ابن إسحاق: كان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التّبابعة، فرأى رؤيا هالته وفظع بها[1]، فلم يدع كاهناً، ولا ساحراً، ولا عائفاً[2]، ولا منجّماً من أهل مملكته إلاّ جمعه إليه، فقال لهم: إنّي قد رأيت رؤيا هالتني، وفظعت بها، فأخبروني بها وبتأويلها، فقالوا: أقصصها علينا حتّى نخبرك بتأويلها: فقال: إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، إنه لا يعرف تأويلها إلاّ من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح، وشق، فإنّه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه، واسم سطيح ربيع بن ربيعة [بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسّان][3]، وشقّ [بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قيس بن عبقر بن أنمار بن نزار، وأنمار أبو نجيلة وخثعم][3]. فبعث إليهما، فقدم عليه سطيح قبل شق، فقال له: إنّي رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها، فأخبرني بها، فإنّك إن أصبتها أصبت تأويلها، فقال: أفعل.

رأيت حممة، خرجت من ظلمة، فوقعت بأرض تهمة، فأكلت منها كلّ ذات جمجمة.

فقال الملك: ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح، فما عندك في تأويلها؟.

فقال: أحلف بما بين الحرّتين[4] من حنش[5]، ليهبطنّ أرضكم الحبش

---

(١) فظع بالأمر: استعظمه وهاله.

(٢) العائف: الذي يزجر الطّير للتّفاؤل والتّشاؤم، بأسمائها وأصواتها وممرها.
- المعجم الوسيط: ٢، مادة: عيف.

(٣) ما بين الحاصرتين ورد في الهامش من الأصل، وكذا في السيرة النبوية لابن هشام.

(٤) الحرّة: أرض فيها حجارة سود نخرة كأنّما أحرقت بالنار، والحرار في بلاد العرب كثيرة وأكثرها حول المدينة المنورة.
- مراصد الاطلاع: ١/٣٩٤.

(٥) حنش: بالتحريك، والحنش في اللغة ما أشبه رؤوس الحيّات من الحرابي والسّوام، وقيل: الحنش الحية، أو الأفعى.... وحنش: موضع.

فليملكنّ ما بين أبين[1] إلى جرش[2].

فقال الملك: وأبيك يا سطيح، إنّ هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ في زماني أم بعده؟

قال: لا، بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين، قال: أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟

قال: بل ينقطع لبضع من سبعين[3]، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين، فقال: ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟

قال: يليه إرم ذو يزن، يخرج عليهم من عدن، ولا يترك منهم أحداً.

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟

قال: بل ينقطع.

قال: ومن يقطعه؟

قال: نبي زكيّ، يأتيه الوحي من قبل العليّ.

قال: وممّن هذا النبي؟

قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النّضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدّهر.

قال: وهل للدّهر من آخر؟

= • معجم البلدان، لشهاب الدين، ياقوت الحموي: ٣١١/٢، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر.

(١) أبين: مخلاف باليمن، ومنه عدن.
• مراصد الاطلاع: ٢٢/١.

(٢) جرش: من مخاليف اليمن من جهة مكة.
• المصدر السابق: ٣٢٦/١.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: لبضع وسبعين من السنين.

قال: نعم، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون.

قال: أحق ما تخبرني به؟

٥/و

قال: نعم، والشفق والغسق، والفلق/ إذا اتّسق، إنّ ما أنبأتك به لحق.

ثم قدم عليه شقّ، فقال له: كقوله لسطيح، وكتمه ما قال سطيح، لينظر أيتّفقان أم يختلفان؟

قال: نعم، رأيت حممة، خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة وأكمه، فأكلت منها كلّ ذات نسمة.

فلمّا قال له ذلك، عرف أنّهما قد اتّفقا، وأنّ قولهما واحد، إلاّ أنّ سطيحاً، قال وقعت بأرض تهمة، فأكلت منها كلّ ذات جمجمة، وقال شق: وقعت بين روضة وأكمه، فأكلت منها كل ذات نسمة.

فقال له الملك: ما أخطأت يا شق منها شيئاً، فما عندك في تأويلها؟

فقال: أحلف ما بين الحرّتين من إنسان، لينزلنّ أرضكم السّودان، فليغلبنّ على كل طفلة[1] البنان، وليملكنّ ما بين أبين إلى نجران.

فقال له الملك: وأبيك يا شقّ، إنّ هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ في زماني أم بعده؟

قال: بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منها عظيم ذو شأن، ويذيقهم أشد الهوان؛ قال: ومن هذا العظيم الشّأن؟

قال: غلام ليس بدنيّ ولا مدنّ، يخرج من بيت ذي يزن.

قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟

---

(١) الطفلة: الناعمة الرّخصة الرقيقة، المعجم الوسيط: مادة: طفل.

قال: بل ينقطع برسول مرسل، يأتي بالحقّ والعدل، بين أهل الدّين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل.

قال: وما يوم الفصل؟

قال: يوم تجزى فيه الولاة، يدعى فيه من السماء بدعوات، ويسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه النّاس للميقات، يكون فيه لمن اتّقى الفوز والخيرات.

قال: أحقّ ما تقول؟

قال: إي وربّ السّماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، إنّ ما نبّأتك به لحقّ[1] ما فيه أمض. فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالاه[2]، فجهّز بنيه وأهل بيته إلى العراق، بما يصلحهم، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس[3]، فأسكنهم الحيرة[4]، فمن بقية ولد ربيعة بن نصر النّعمان بن المنذر[5].

فصل

قال السّهيليّ: كان سطيح جسداً ملقى لا جوارح له ـ فيما يذكرون ـ ولا يقدر على الجلوس إلاّ إذا غضب انتفخ فجلس.

وكان شقّ ـ شقّ إنسان ـ فيما يذكرون ـ إنّما له يد واحدة ورجل واحدة، وعين واحدة.

---

(١) في (د) و(ر) والسيرة النبوية لابن هشام: إن ما أنبأتك لحقّ.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: ما قالا.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: يقال له: سابور بن خرّ زاد.
(٤) الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة، على النجف، وكانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية: النعمان وآباؤه.
● مراصد الاطلاع: ١/٤٤١.
(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ١/١٥ ـ ١٩، وبينهما خلاف.

ويُذكر عن وهب[1] بن منبّه أنّه قال: قيل لسطيح: من أين[2] لك هذا العلم؟

فقال: لي صاحب من الجنّ آستمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلّم الله[3] منه موسى فهو يؤدي إليّ من ذلك ما يؤدّيه[4].

وقوله في حديث الرؤيا: أكلت منها كلّ ذات جمجمة وكلّ ذات نسمة نصب كلّ أصحّ في الرواية وفي المعنى من رواية الرفع، لأنّ الحممة نار فهي تأكل ولا تُؤكل. وقوله خرجت من ظلمة أي من ظلام[5]، وذلك أنّ الحممة قطعة من نار وخروجها من ظلمة يشبه خروج[6] الحبشة من أرض السودان.

والحممة: الفحمة وقد تكون حمرة محرقة كما في هذا الحديث[7]، وقد تكون منطفية[8]، وقوله: ما بين روضة وأكمة لأنّها وقعت بين صنعاء وأحرازها.

وقوله: في أرض تهمة: أي منخفضة، ومنه سميت تهامة[9]. وقوله: إرم ذو يزن[10]، المعروف سيف ذو يزن[11]، ولكنّه جعله إرما، إمّا لأنّ

---

(١) وهب بن منبّه: أبو عبدالله الصنعاني، أهله من أبناء الفرس الذين بعثهم كسرى إلى اليمن، وأمّه حميرية، ولد بصنعاء عام ٣٤هـ، ويعدّ من التابعين، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، تولّى لعمر بن عبدالعزيز قضاء صنعاء التي توفي بها عام ١١٤هـ.
● تذكرة الحفّاظ: م١/١/١٠٠ ـ ١٠١، تر: ٩٣.
(٢) في الروض الأنف: أنّى لك هذا العلم؟
(٣) في الروض الأنف: حين كلّم الله تعالى منه موسى عليه السّلام.
(٤) ● الروض الأنف: ١/١٣٣ ـ ١٣٤.
(٥) في الروض الأنف: أي من ظلمة.
(٦) في الروض الأنف: خروج عسكر الحبشة.
(٧) في الروض الأنف: فيكون لفظها من الحميم، ومن الحمّى أيضاً لحرارتها.
(٨) في الروض الأنف: فيكون لفظها من الحمّة، وهي السّواد، يقال حمّمت وجهه إذا سوّدته، وكلا المعنيين حاصل في لفظ الحممة ههنا.
(٩) الروض الأنف: ١/١٣٥ ـ ١٣٦.
(١٠) الروض الأنف: إرم ذي يزن.
(١١) الروض الأنف: سيف بن ذي يزن، ولكن جعله.

الإرم هو العَلَم فمدحه بذلك، وإمّا أنه[1] شبهه بعاد إرم في عظم الخلق والقوّة.

قال تعالى[2]: ﴿بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾﴾[3]، وأبين وجرش: بلدتان[4].

وقوله: بغلام لا دنيّ ولا مدنّ، الدّنيّ، معروف، والمدنّي الذي يجمع الضّعف[5] مع الدناءة قاله صاحب العين[6].

وقوله: لحقّ ما فيه أمض[7] أي: ما فيه شكّ ولا مستراب.

وقد عمّر سطيح زماناً طويلاً بعد هذا الحديث حتّى أدرك مولد النّبي ﷺ فرأى كسرى أنوشروان[8] ما رأى من ارتجاج الإيوان، وخمود النّيران، ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام، وسقطت من قصره أربع عشرة شرفة وأخبره الموبذان[9]، ومعناه: القاضي[10] والمفتي بلغتهم.

إنه رأى إبلاً صعاباً، تقود خيلاً عراباً، فانتشرت في بلادهم، وغارت

---

(١) الروض الأنف: وإمّا شبّهه.
(٢) الروض الأنف: قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾﴾.
(٣) الفجر: ٦، ٧.
(٤) الروض الأنف: ١٥١/١ ـ ١٥٢.
(٥) الروض الأنف: جمع الضعف.
(٦) وفي المنجد للويس معلوف: دني يدنى دنا ودناية: صار ضعيفاً وساقطاً فهو دني جمع أدنياء.
المنجد: مادة: دني.
(٧) قال ابن هشام في السيرة النّبوية: ١٨/١ أمضّ يعني شكاً، هذا بلغة حمير، وقال أبو عمرو: أمض أي باطل.
(٨) في الروض الأنف: ابن قباذ بن فيروز.
(٩) في الأصل: الموذبان.
(١٠) في الروض الأنف: أو المفتي.

بحيرة ساوة[1]، فأرسل كسرى عبد المسيح بن عمرو الغساني[2] إلى سطيح يستخبره على ذلك ويستعبره رؤيا/ الموبذان، فقدم عليه، وقد أشرف[3] على الموت، فسلّم عليه، فلم يستطع[4] سطيح أن يردّ جواباً، فأنشأ عبد المسيح يقول [من الرجز]:

٦/ظ

أصمّ أم يسمع غطريف اليمن	أم فاد[5] فازلمّ به شأو العنن
يا فاضل الخطّة أعيت من ومن	أتاك شيخ الحيّ من آل سنن
وأمّه من آل ذئب بن حجن	أبيض فضفاض الرّداء والبدن
رسول قيل العجم يسري للوسن	لا يرهب الرّعد ولا ريب الزّمن
تجوب في الأرض علنداة، شزن	ترفعني وجناً وتهدي[6] بي وجن[7]
حتّى أتى عاري الجآجي والقطن[8]	تلفّه في الرّيح بوغاء الدّمن[9]

فلمّا سمع سطيح شعره، رفع رأسه فقال:

---

(١) بحيرة ساوة: ساوة من قرى بلاد فارس، كانت بحيرتها كبيرة بين الرّي وهمذان، ويقال: إنّها كانت أكثر من ستة فراسخ في الطول والعرض.
● معجم البلدان: ٣/١٧٩.
(٢) في الروض الأنف: ابن حيان بن نفيلة الغساني إلى سطيح، وكان سطيح من أخوال عبد المسيح ولذلك أرسله كسرى فيما ذكر الطبري، وفيه يقيلة بدل نفيلة.
● تاريخ الأمم والملوك، للطبري: ١/٤٠١.
(٣) في الروض الأنف، وتاريخ الطبري، وغريب الحديث للخطابي: أشفى.
(٤) في الروض الأنف: فلم يجر إليه سطيح جواباً.
(٥) فاد: مات.
(٦) في الروض الأنف، وغريب الحديث: وتهوي.
(٧) الوجن: الأرض الغليظة الصلبة.
وفي غريب الحديث ورد عجز هذا البيت هكذا: يرفعني وجن وتهوي بي وجن.
(٨) القطن: أسفل الظهر.
(٩) في الرّوض الأنف: كأنما حثحث من حضني ثكن. وثكن: اسم جبل.
وردت المقطوعة مع اختلاف في:
● أ ـ السيرة النّبوية لابن كثير: ١/٤١٦.
● ب ـ تاريخ الطبري: ١/٤٠١.

عبد المسيح، على جمل مشيح[1]، جاء إلى سطيح، حين أوفى على الضّريح، بعثك ملك بني ساسان، لارتجاج الإيوان، وخمود النّيران، ورؤيا الموبذان. رأى إبلاً صعاباً، تقود خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادها. عبد المسيح[2] إذا كثرت التّلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وخمدت نار فارس، وغارت بحيرة ساوة، وفاض وادي السّماوة[3]، فليست الشام لسطيح شاما، يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات وكلّ ما هو آت آت.

ثم قضى سطيح مكانه[4]، وخرجت روحه.

وقوله: ازلمّ به معناه: قبض، قاله ثعلب[5].

وقوله: شأو العنن: يريد الموت وما عنّ منه، قاله الخطابي[6].

---

(١) مشيح: جاد مسرع.

(٢) في الروض الأنف، وتاريخ الطبري: يا عبد المسيح.

(٣) وادي السماوة: بادية بين الكوفة والشام، وأرض مستوية لا حجر فيها.

● مراصد الاطلاع: ٧٣٤/٢.

(٤) ● أ ـ الروض الأنف: ١٣٥/١ ـ ١٤٣.

● ب ـ غريب الحديث للخطابي أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي: ٢٢٢/١ ـ ٢٢٣، تح: عبدالكريم إبراهيم الغزباوي، دار الفكر بدمشق، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م جامعة أمّ القرى.

(٥) ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان راوية للشعر، محدّثاً، مشهورا بالحفظ، من كتبه: الفصيح، ومجالس الثعلب، وقواعد الشعر، ولد ببغداد عام ٢٠٠هـ، وتوفي سنة ٢٩١هـ، وكان يلحن إذا تكلّم.

● تذكرة الحفاظ: م١/٢/٦٦٦ ـ ٦٦٧، تر: ٦٨٦.

(٦) ● غريب الحديث للخطابي: ٦٢٤/١.

الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي، نسبة إلى بست في بلاد كابول كان ثقة ثبتاً، له شعر جيد، من كتبه معالم السّنن، وغريب الحديث. ولد سنة ٣١٩هـ، وتوفي عام ٣٨٨.

● أ ـ تذكرة الحفاظ: م٢/٣/١٠١٨ ـ ١٠٢٠، تر: ٩٥٠.

● ب ـ يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر للثعالبي عبدالملك بن محمد: م٢/٤/٣٣٤ ـ ٣٣٦، تح: محمد محي الدين الحميد، مطبعة السعادة بالقاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

وفضفاض الرّداء، أي: واسعه، قال الزبيدي: ودرع فضفاضة[١]: واسعة. والعلند: البعير الضّخم، والأنثى علندات، والجمع علاند، والعلند أيضاً: الفرس الشديد.

قال الزّبيدي: شزنت الإبل شزناً أعيت من شدّة الحفاء، والشّزن: الغليظ من الأرض. والجؤجؤ: الصّدر، والبوغاء: التّراب.

فصل

وذكر السّهيلي هنا خبر سابور ذو الأكتاف، وهو من ملوك بني ساسان الذي وطىء أرض العرب، وكان يخلع أكتافهم، حتّى مرّ بأرض بني تميم ففرّوا منه، وتركوا[٢] العنبر عمرو بن تميم وهو ابن ثلاث مائة سنة، لم يقدر على الفرار، فخبؤوه في أجمة. وقيل[٣]: كان في قفّة معلّقاً من عمود الخيمة من الكبر، فأخذ وجيء به الملك، فاستنطقه سابور، فوجد عنده رأياً ودهاءً فقال له: أيّها الملك لم تفعل هذا بالعرب؟ فقال: يزعمون أن ملكنا سيصير إليهم، على يدي نبي يبعث في آخر الزمان، فقال عمرو: فأين حلم الملوك وعقلهم؟! إن يكن هذا الأمر باطلاً فلا يضرّك، وإن يكن حقّاً ألفاك ولم[٤] تتخذ عندهم يداً يكافئونك عليها، ويحفظونك بها، في ذويك[٥] فيقال: إنّ سابور انصرف عنهم، واستبقى بقيتهم، وأحسن إليهم بعد ذلك، والله أعلم[٦]، ثم كان من أمر الله أن أظهر دينه ونصر نبيّه ﷺ، ومكّن أمته من ملك فارس، وقد أدرك الإسلام ملكهم، أبرويز بن هرمز، وتفسيره بالعربية مظفّر، وهو الذي كتب إليه النّبي ﷺ.

وسيأتي ـ إن شاء الله ـ طرف من ذكر. وهو الذي عرض على الله

---

(١) في (د): درع فضفاض.
(٢) في الروض الأنف: وتركوا عمرو بن تميم...
(٣) في الروض الأنف: وكان في قفّة...
(٤) في الروض الأنف: وقد اتّخذت عندهم...
(٥) في (د): في ذريتك.
(٦) الروض الأنف: ١٤٩/١ ـ ١٥٠.

سبحانه في المنام فقيل[1] له: سلّم ما في يديك إلى صاحب الهراوة، فلم يزل مذعوراً من ذلك حتّى كتب إليه النّعمان بظهور النّبي عليه السلام[2] بتهامة، فعلم أنّ الأمر سيصير إليه، حتّى كان من أمره ما كان، وهو الذي سئل عنه رسول الله ﷺ: **«ما حجّة الله على كسرى؟»** فقال: إنّ الله[3] أرسل إليه ملكاً فسلك يده في جدار مجلسه، حتّى أخرجها إليه، وهي تتلألأ نوراً، فارتاع كسرى، فقال له الملك: لم تُرْع يا كسرى، إنّ الله قد بعث رسولاً[4] فاسلم تسلم. فقال: سأنظر. ذكره الطبري[5] في أعلام كثيرة من النّبوة، عرضت على أبرويز، أضربنا عن الإطالة بها، في هذا الموضع، ثم تولّى بعد هذا أمر فارس ابنه سابور نحو شهرين ثم أخوه شيرويه نحو ستة أشهر، ثم ملكت أختهما بوران، فبلغ ذلك النّبي ﷺ فقال: **«لا يفلح قوم ملكتهم امرأة»**، فملكت سنة وهلكت، وشتّت أمرهم كلّ الشّتات»، ثم اجتمعوا على يزدجرد والمسلمون قد غلبوا على أطراف أرضهم/ ثم كانت حروب القادسية معهم إلى أن قهرهم الإسلام، وفتحت بلادهم على يدي[6] عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستؤصل أمرهم، والحمد لله[7]، فكان أمر الإسلام في علوّ وعزّ ببركة سيّدنا محمد ﷺ.

٧/و

فصل

في حديث تبّع وإعلام الحبرين له بخروج نبّينا محمد ﷺ في آخر الزمان، ذكر ابن إسحاق أن تبّعاً لمّا عزم على غزو المدينة يثرب. فقدمها

(١) في (د): فقال له:
(٢) في الروض الأنف: ﷺ.
(٣) في الروض الأنف: إنّ الله تعالى أرسل...
(٤) في الروض الأنف: رسوله.
(٥) تاريخ الأمم والملوك للطبري: ٤١٢/١ ـ ٤١٣.
(٦) في (د): على يد عمر واستؤصل...
(٧) الروض الأنف: ١٥٠/١ ـ ١٥١.

وهو مجمع على تخريبها واستئصال أهلها، لسبب اختلف في تعيينه، فجمع له هذا الحيّ من الأنصار فاقتتلوا، فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنّهار ويقرونه بالليل، فيعجبه ذلك منهم ويقول: والله إنّ قومنا لكرام، فبينما تبّع على ذلك من حربهم إذ جاءه حبران من أحبار يهود عالمان راسخان سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيّها الملك لا تفعل، فإنّك إن أبيت إلاّ ما تريد، حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة.

فقال لهما: ولم ذلك؟ قالا: هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره، فتناهى[١]، ورأى أنّ لهما علماً وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة، واتّبعهما على دينهما[٢].

قال السّهيلي: ومعنى تبّع في لغة اليمن الملك المتبوع[٣]، وذكر أنّ تبّعاً أراد تخريب المدينة واستئصال أهلها[٤]، فقال له رجل منهم له مائتان وخمسون سنة: الملك أجلّ من أن يطير به نزق، أو يستخفّه غضب، وأمره أعظم من أن يضيق عنّ حلمه، أو نُحرم صفحه، مع أنّ هذه البلدة مهاجر نبي يُبعث بدين إبراهيم، وهذا اليهودي، وهو أحد الحبرين اللذين ذكر ابن إسحاق[٥]: ولما آمن الملك بمحمد ﷺ، وأعلم بخبره قال: [من المتقارب]

شهدت على أحمد أنه ... نبي من الله باري النّسم
فلو مُدّ عمري إلى عمره ... لكنت وزيراً له، وابن عم
وجاهدت بالسّيف أعداءه ... وفرّجت عن صدره كلّ[٦] غمّ[٧]

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: فتناهى عن ذلك.
(٢) ● السيرة النبوية لابن هشام: ٢٠/١ ـ ٢٢، وبينهما خلاف.
(٣) الروض الأنف: ١٥٩/١.
(٤) في الروض الأنف: واستئصال اليهود.
(٥) الروض الأنف: ١٦٢/١ ـ ١٦٣.
(٦) في الروض الأنف: كلّ همّ.
(٧) الروض الأنف: ١٦٣/١.

فصل

من هذا الباب، ما ذكر الحسن بن عبدالملك المعروف بابن القطان أنّ مهلهلاً لما نهض بعسكره ليهلك قبائل ربيعة، وكانت بينهم وقائع، ولم تشك ربيعة أنّها تهلك على يدي الملك والعساكر، فنهضت تريد أرض تهامة ومن بها من ولد معدّ بن عدنان. فقال الحارث[1] بن عبّاد: اطلبوا فرج هذه الملمّة في دواوين تيم[2] اللات بن ثعلبة فإنّها لم تخل من فرج هذه الملمّة، فطلبوا في دواوينه، فلم يجدوا شيئاً، فذهبوا إلى أسماء بنت تيم اللات، فسألوها: هل عندها مما نزل بهم علم؟ قالت لهم: لا، قالوا: فهل بقي عندك من دواوين تيم اللاّت شيء؟ قالت: لم يبق عندي منها شيء، غير لوح رخام، فيه صورة حسنة، أحسن ما رأيت، ورأيته يقبّلها ويحنّ عليها حنيناً، وتحتها مكتوب لا أدري ما هو؟ قالوا لها: هات ذلك اللوح؟ فأتت به، فنظروا فيه، فإذا فيه صورة نبيّنا محمد ﷺ، وتحتها مكتوب: منعت أرض وجّ[3]، وطيبة، والحجاز،

---

(١) الحارث بن عباد: أبو منذر الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة البكري، حكيم جاهلي، كان شجاعاً، شاعراً، اعتزل القتال مع قبائل بكر في حرب البسوس، توفي عام ٥٠هـ قبل الهجرة.
- أ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٣٠٥.
- ب ـ الأعلام للزركلي: ١٥٧/٢ ـ ١٥٨.

(٢) تيم اللاّت: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأزدي، جدّ جاهلي، كان يعرف بالنّجار، وأولاده يقال لهم: بنو النّجار الأنصاريّون.
- أ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٤٧٢.
- ب ـ الأعلام للزركلي: ٧٢/٢.

(٣) وجّ ـ بفتح أولّه وتشديد ثانيه ـ هو الطائف، وقيل: وادي الطائف به كانت غزاة الرسول ﷺ، والوجّ: النعام والقطا.
- أ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، م١٣٦٩/٤/٢، لأبي عبيد عبدالله البكري الأندلسي، تح: مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م.
- ب ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: ١٤٢٦/٣.
- جـ ـ المعجم الوسيط: مادة: وجّ.

وتهائم مكّة، وديار أرض ربيعة، من دولة إلاّ دولة اليتيم، فبنفسي اليتيم ثم بنفسي اليتيم، فبخ بخ لمن أدركه، ثم بخ بخ لمن قبل، ثم بخ بخ لمن أطاع وعمل.

فقال الحارث: كفى بهذا فرجاً[1] مُنعت أرضكم من دولة إلاّ دولة اليتيم، ثم إنّ الملك سار يريد أرض ربيعة، وأمر العساكر فنهضت، فوضع الملك يده على عرف فرسه، فلسعته عقرب، من عرف فرسه، كانت فيه مستترة فمات مكانه، وولّى من كان معه من العساكر منصرفين، وتفرّقت تلك الجموع ببركة خير البشر سيّدنا محمد ﷺ.

وذكروا أنّ شافع بن كليب الكاهن، لما أراد الظّعن إلى أهله، أتى تبّعاً، فسلّم عليه، فقال: هل بقي شيء من علمك؟ قال: بقي منه علم صادق، يفوه به لسان ناطق، قال: هل ملك أحد من العرب/ مُلكاً يوازي ملكي؟ قال: لا. قال: فهل يكون ذلك؟ قال: نعم. قال: ومن هو؟ قال: رجل بارّ مبرور، موحّد منصور، صفته في الزّبور، يفرّج الظلماء بالنّور، تملك أمّته إلى آخر الدّهور.

٨/ظ

قال: وما اسمه؟ قال: محمد ﷺ، قال: ممّن؟ قال: من قصيّ أحد بني لؤي، فجعل تبّع، يتتبّع أخبار النّبي ﷺ، ويسأل عن شأنه، حتّى اشتهر عنده.

ومن آياته، ودلائل نبوته ﷺ ما ذكره ابن القطان وغيره فيما روي عن عبدالملك بن هشام في حديث بلوقيا الطويل: أنّ أباه كان ملك بني إسرائيل، وأنه أزال اسم النّبي ﷺ، وصفته وصفة أمّته، من التّوراة، بغيا، واختزن ذلك كلّه، في مخزن مقفل عليه مصون، فلما هلك اطلّع بلوقيا على ذلك فردّه للتوراة، وأُشرب قلبه حبّ سيدنا محمد ﷺ، في حديث طويل، فيه عجائب تركته لطوله، وعدم توثّقي بسنده.

---

(١) في (د): كفى بهذا فرحاً.

فصل

في ذكر حديث باذان وما تضمنه من كرامة نبينا محمد ﷺ

ذكر[١] ابن إسحاق وغيره: أنّ أهل اليمن لما طال عليهم البلاء بتغلّب الحبشة خرج سيف بن ذي يزن يطلب الصّرخة، فقدم على قيصر، فشكا إليه أمر الحبشة فلم يشكه، فخرج حتّى أتى النّعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما والاها، فشكا إليه أمر الحبشة، فأدخله على كسرى، وقال: أيّها الملك غلبنا على بلادنا الأغربة. فقال كسرى: وأيّ الأغربة: الحبشة أم السّند؟ فقال: الحبشة، فجئتك لتنصرني ويكون ملك بلادي لك، قال: بعدت منّا بلادك مع قلّة خيرها، فلم أكن لأورّط جيشاً من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم، وكساه كسوة حسنة. فلما قبض ذلك سيف خرج، فجعل ينشر تلك[٢] الورق للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال: إنّ لهذا لشأناً، فبعث إليه، فقال له: عمدت إلى حباء الملك تنشره للنّاس. فقال: وما أصنع بهذا؟ ما جبال أرضي التي جئت منها إلاّ ذهب[٣] وفضة، يرغّبه فيها. فجمع كسرى مرازبته فقال: ما ترون في أمر هذا الرجل؟ وما جاء له؟ فقال قائل منهم: أيّها الملك، إنّ في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل، فلو أنّك بعثتهم معه، فإن هلكوا كان ذلك الذي أردت بهم، وإن ظفروا، كان ملكاً ازددته. فبعث كسرى معه من كان في سجونه[٤]، واستعمل عليهم وهرز، وكان ذا سنّ فيهم، ومن أفضلهم حسباً، وبيتاً، فخرجوا[٥] في السفن، ووصلوا ساحل

---

(١) في (د): وذكر ابن إسحاق.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: ذلك الورق للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال: إنّ لهذا لشأناً، ثم بعث إليه. . . .

(٣) في (د): ذهباً وفضّة.

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: وكانوا ثمان مائة رجل، واستعمل عليهم رجلاً يقال له، وهرز. . .

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: فخرجوا في ثمان سفائن فغرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ستّ سفائن، فجمع سيف. . .

عدن، فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه، وقال له: رجلي مع رجلك، حتى نموت جميعاً، أو نظفر جميعاً، فقال له وهرز: أنصفت. ثم تقاتلوا مع الحبشة، وملكهم يومئذ مسروق بن أبرهة فلما تواقف النّاس على مصافّهم، قال وهرز: أروني ملكهم؟ فقالوا: أترى رجلاً[1] عاقداً تاجاً على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء؟ قال: نعم قالوا: ذلك ملكهم. قال: إني سأرميه، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذنكم فإني قد أخطأت الرجل، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا[2] به، فقد أصبت الرجل فاحملوا عليهم. ثم وتر قوسه، وكانت ـ فيما يزعمون ـ لا يوترها غيره، لشدّتها، وأمر بحاجبيه فعصّبا له، ثم رماه، فصكّ الياقوتة التي بين عينيه. فتغلغلت النّشابة [في رأسه][3] حتّى خرجت من قفاه، ونكس عن دابته، واستدارت الحبشة ولاثت به، وحملت عليهم الفرس، فانهزموا، فقُتلوا وهربوا في كل وجه، وأقبل وهرز فدخل صنعاء.

٩/و قال ابن إسحاق: فأقام وهرز والفرس باليمن، فمن/ بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم، ثم مات وهرز، فأمّر كسرى ابنه على اليمن، ثم أمّر بعده ابن ابنه باذان، فلم يزل على اليمن حتّى بعث الله سيد المرسلين وخاتم النّبيين سيدنا محمداً[4] ﷺ [وعليهم أجمعين].

قال ابن إسحاق: فبلغني[5] عن الزّهري أنه قال: كتب كسرى إلى باذان أنه بلغني أنّ رجلاً من قريش خرج بمكة، يزعم أنّه نبيّ، فسر إليه فاستتبه[6] فإن تاب وإلاّ فابعث إليّ برأسه. فبعث باذان بكتاب كسرى إلى النبي ﷺ، فكتب إليه النبي ﷺ إنّ الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: أترى رجلاً على الفيل عاقداً تاجه.
(٢) لاث الشجر والنبات يلوث لوثاً: لبس بعضه بعضاً والتّف بعضه ببعض. ولاث العمامة على رأسه: لفّها وعصبها.
(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ناقص.
(٤) في الأصل و(د): محمّد.
(٥) في (د): بلغني.
(٦) في (ر)، والسّيرة النبوية لابن هشام: فاستتبه.

كذا في شهر كذا. فلما أتى باذان الكتاب توقّف لينظر[١] وقال: إن كان نبياً فسيكون ما قال، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ ما قال. قال ابن هشام: قتل على يدي[٢] ابنه شيرويه وقال خالد بن حقّ[٣] [من الوافر]:

وكسرى إذ تقسّمه بنوه ... بأسياف كما اقتسم[٤] اللّحام
تمخّضت المنون له بيوم ... أتى ولكل حاملة تمام

قال الزهري: فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله ﷺ[٥].

قال السّهيلي: وكسرى هذا هو ابن هرمز، وهو الذي غلب الرّوم حين أنزل الله تعالى: ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② ...﴾[٦] وكان مقتل كسرى، حين قتله بنوه، ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع[٧] من الهجرة. وكسرى هذا هو الذي عرض في المنام على الله سبحانه فقال له: سلّم ما في يديك إلى صاحب الهراوة، فلم يزل مذعوراً من ذلك، حتّى كتب إليه النعمان بن المنذر بظهور النبي ﷺ بتهامة، فعلم أنّ الأمر سيصير إليه، حتّى كان من أمر الله ما كان. وهو الذي كتب إليه النبي ﷺ.

قال السّهيلي: وأسلم باذان في سنة عشر، وفيها بعث رسول الله ﷺ إلى الأبناء[٨] يدعوهم إلى الإسلام، فمن الأبناء: وهب بن منبّه[٩]،

---

(١) في الأصل: فلينظر.
(٢) في (د) و(ر): على يد.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: خالد بن حقّ الشيباني.
(٤) في الأصل: يقتسم، وفي (ر): أقسم، والإصلاح: من (د) والسيرة النبوية لابن هشام.
(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٦٢ ـ ٦٩، وبينهما خلاف.
(٦) الرّوم: ١، ٢.
(٧) في (د) و(ر): تسع.
(٨) الأبناء: هم أبناء الفرس الذين استوطنوا اليمن.
(٩) في الروض الأنف: وهب بن منبه بن سيج بن ذكوان.

وطاوس[1] وذا دويه، وفيروز اللذان قتلا الأسود العنسي[2]، وقول خالد [بن حقّ][3]:

تمخّضت المنون له بيوم أنى؛ ولكل حاملة تمام[4]

وهو أيضاً من أسماء الدّهر[5]، وقوله: أنى أي: حان. قلت: وفي بعض نسخ ابن إسحاق أتى بالتاء المثناة من فوق ومعناه صحيح.

وذكر أبو سعيد النيسابوري في كتابه «شرف المصطفى» «أنّ رسول الله ﷺ بعث عبدالله[6] بن حذافة إلى كسرى بن هرمز وكتب إليه:

«من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتّبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإنّي أنا رسول الله إلى النّاس كافة ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾[7].

---

(١) طاوس: أبو عبدالرحمٰن طاوس بن كيسان الهمداني الخولاني، وكان يقال له طاوس لجماله، من فقهاء أهل اليمن وعبادهم، وخيار التابعين وزهّادهم، سمع زيد بن ثابت وعائشة، وأبا هريرة، وابن عباس، وغيرهم، وروى عنه ابنه عبدالله، والزّهري وغيرهما. توفي بمكة سنة ١٠٦ وقيل: ١٠١هـ.
- أ ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ١٥٠، تر: ٩٥٥.
- ب ـ تذكرة الحفاظ للذهبي: م١/١/٩٠، تر: ٧٩.

(٢) في الروض الأنف: الأسود العنسي الكذّاب، واسمه عيهلة بن كعب بن عوف، ذو الخمار، أسلم ثم ارتدّ في حياة الرسول ﷺ، وادّعى النبوة، وسمّى نفسه، رحمان اليمن.

(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) في الأصل و(ر) ورد عجز البيت: أنى المنون المنية، والإصلاح من (د)، والروض الأنف والسيرة النبوية لابن هشام.

(٥) ● أ ـ الروض الأنف: ٣١٥/١ ـ ٣١٦، وبينهما خلاف.
● ب ـ السيرة النبوية لابن هشام: ٦٩/١.

(٦) عبدالله بن حذافة: أبو حذافة عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي القرشي، أسلم قديماً، من المهاجرين الأولين، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، أسره الروم في خلافة عمر، وشهد فتح مصر. توفي في خلافة عثمان سنة ٣٣هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر: ٨٨٨/٣ ـ ٨٩١، تر: ١٥٠٨.

(٧) يس: ٧٠، اقتباس منها.

فاسلم تسلم، وإن أبيت فإنّما إثم الفرس عليك».

فلما قرأه تسفه، وقال: يكتب إليّ بمثل هذا الكتاب.

قال محمد بن إسحاق بن يسار: حدّثني الزّهري عن أبي سلمة بن عبدالرحمٰن أنّ عبدالله بن حذافة قدم بكتاب رسول الله ﷺ على كسرى فشقّه، فقال رسول الله ﷺ: «**مزّق الله ملكه**»، حين بلغه أنّه شقّ كتابه، ثم كتب كسرى إلى باذان وهو باليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به، فبعث باذان قهرمانه، وهو أبا نوّه، وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس، وبعث معه رجلاً من الفرس[1] يقال له: حد حسرة، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ، يأمره أن ينصرف إلى كسرى، وقال لأبا نُوّة: انظر ما الرّجل، وكَلِّمه، وائتني بخبره، فخرجا حتى قدما الطائف، فوجدا رجالاً من قريش تجّاراً، فسألاهم عنه، فقالوا: هو بالمدينة، واستبشروا بهما، وفرحوا، وقال بعضهم لبعض: أبشروا، فقد نصب له كسرى، ملك الملوك، كفيتم الرّجل، فخرجا حتّى قدما على رسول الله ﷺ، فكلّمه أبا نوّة، فقال: إنّ شاهاشاه، ملك الملوك كسرى، قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث/ إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك، لتنطلق معي، فإن فعلت، كتبت فيك إلى ملك الملوك، ينفعك ويكفّ عنك، وإن أبيت فهو من قد علمت، وهو مهلكك، ومهلك قومك، ومخرّب بلادك. وقد دخلا على رسول الله ﷺ. وقد حلّقا لحاهما[2] وأعفيا شواربهما، فكره النّظر إليهما، وقال: «**ويلكما من أمركما بهذا؟**» قالا:[3] أمرنا ربّنا ـ يعنيان كسرى ـ. فقال رسول الله ﷺ: «**لكن ربي عزّ وجلّ قد أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي**»، ثم قال لهما: «**ارجعا حتّى تأتياني غداً**»، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السّماء أنّ الله تعالى قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه في شهر كذا وكذا ليلة كذا وكذا لكذا وكذا من الليل،

١٠/ظ

---

(١) في الأصل: من الفارس.

(٢) في الأصل: وقد حلّقا لهما لحاهما. وفي (ر): وقد حلّق..

(٣) في الأصل: قال.

فبعد ما مضى من الليل سلّط الله عليه ابنه شيرويه فقتله. فلمّا غدوا عليه، أخبرهما رسول الله ﷺ، فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنّا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا، فنكتب هذا عنك، ونخبر به الملك؟ قال: «**نعم، أخبراه بذلك عنّي، وقولا له: إنّ سلطاني سيبلغ ما بلغ مُلك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخفّ والحافر، وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملّكتك على قومك من الأبناء**»، ثم أعطى حد حسرة منطقة، فيها ذهب وفضّة، كان أهداها له بعض الملوك، فخرجا من عنده، حتّى قدما على باذان، فأخبراه الخبر. فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبيّاً ـ كما يقول ـ ولننظرنّ ما قد قال، فلئن كان هذا حقاً ما فيه كلام، وإنّه لنبي مرسل، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا.

فلم ينشب باذان، أن قدم عليه كتاب شيرويه: «أما بعد فإني قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلاّ غضباً لفارس، لما كان يستحلّ من قتل أشرافهم، فإذا جاءك كتابي هذا، فخذ لي الطاعة ممّن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى، كتب إليك فيه، فلا تهجه، حتى يأتيك أمري فيه. فلمّا انتهى كتاب شيرويه إلى باذان، قال: إنّ هذا الرّجل لرسول، فأسلم باذان، وأسلمت الأبناء من فارس، من كان منهم باليمن، وقد قال أبا نوة لباذان: ما كلّمت قط أهيب عندي منه، فقال له باذان: هل معه شُرط؟ قال: لا»[١].

وروي عن الحسن البصري: أنّ أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لرسول الله ﷺ: ما حجّة الله على كسرى فيك؟.

قال: «**بعث الله عزَّ وجلَّ إليه ملكاً، فأخرج يده من سور جدار بيته الذي هو فيه، تتلألأ نوراً، فلما رآها فزع، فقال: لم ترع يا كسرى، إنّ الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً، فاتّبعه، تسلم لك دنياك، وآخرتك. قال: سأنظر في ذلك**»[٢].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٩/١ ـ ٧٠، وبينهما خلاف.

(٢) أورد هذا النص ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ»: ٤٨٢/١، مع تصرّف طفيف.

وروى الزّهري عن أبي سلمة بن عبدالرحمٰن بن عوف قال: بعث الله سبحانه إلى كسرى، ملكاً، وهو في بيت إيوانه الذي لا يدخل عليه فيه، فلم يرعه إلا وهو قائم على رأسه، وفي يده عصا، بالهاجرة، في الساعة التي كان يقيل فيها، فقال: يا كسرى أتسلم، أو أكسر هذه العصا؟ فقال: بُهل بُهل[1] قال: فانصرف عنه، قال: ثم دعا حرسه، وحجّابه، فتغيّظ عليهم، وقال: من أدخل عليّ هذا الرجل؟ قالوا: ما دخل عليك أحد رأيناه، حتّى إذا كان العام القابل، أتاه في الساعة التي أتاه فيها، وقال له كما قال، ثم قال له: أتسلم، أو أكسر هذه العصا؟ قال: بُهل بُهل. قال: فانصرف عنه، قال: ثم دعا حرسه[2]، وحجّابه، وبوّابيه، فتغيّظ عليهم، وقال لهم: كما قال أوّل مرة، فقالوا: ما رأينا أحداً[3] دخل عليك، حتى إذا كان العام الثالث، أتاه في الساعة التي جاءه فيها، فقال له كما قال في الأولى، والثانية، ثم قال له: أتسلم أو أكسر هذه العصا؟ فقال بُهل بُهل، قال: فكسر العصا ثم خرج فلم يكن إلاّ تهوُّر ملكه، وانبعاث أبناء فارس حتّى قتلوه.

قال عبدالله بن أبي بكر[4]: فقال لي الزهري: حدّثت[5] عمر بن عبدالعزيز[6] هذا الحديث عن أبي سلمة بن عبدالرحمٰن فقال لي: ذكر أن

---

(١) في (ر): بهل عليّ بهل، قال: فانصرف عنه، ثم دعا حرمه.
(٢) في (ر): حرمه.
(٣) في الأصل: أحد.
(٤) عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، توفي سنة **١٣٥هـ**.
● الكامل في التاريخ **٤٦٣/٥**، لابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الشيباني، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت: **١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م**.
(٥) في الأصل، و(ر): حديث.
(٦) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، الخليفة الصالح الذي أحيا ما أميت قبله من السنن، وسلك مسلك من قبله من الخلفاء الأربعة، أمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولد ونشأ بالمدينة المنورة سنة **٦١هـ**، وتولّى إمارتها للوليد، ثم استوزره سليمان عبدالملك بالشام، وتولّى الخلافة بإشارة من سليمان سنة **٩٩هـ**، توفي بدير سمعان من أرض المعرة سنة **١٠١هـ** وهو ابن تسع وثلاثين سنة وستة أشهر.
● مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: **٢٠٩**، تر: **١٤١١**.

الملك إنّما دخل عليه بقارورتين في يده، فلما قال: أتسلم، فلم يفعل، ضرب إحداهما على الأخرى، فرضّهما ثم خرج، فكان من هلاكه ما كان.

١١/و وقد ذكر أبو الربيع الكلاعي(١)/ حديث العصا من رواية الواقدي، وفيه أنّه في المرة الأخيرة ضرب به العصا على رأسه فكسرها وخرج من عنده، قال: فيقال: إنّ ابنه قتله في تلك الليلة [والله أعلم](٢).



(١) الكلاعي: أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري البلنسي ولد سنة ٥٦٥ له عدّة مؤلفات منها كتاب «الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء»[١].

● استشهد بالقرب من مرسية في ٢٠ من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وست مائة [٦٣٤].

● تذكرة الحفاظ: م٢/٤/١٤١٧ ـ ١٤٢٠، تر: ١١٣٥.

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط، وفي (ر): والله، بحذف أعلم.

[١] طبع الكتاب باسم «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء» في مجلدين. تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م

باب في آياته ﷺ في التبشير به ووجود صورته الكريمة مصورة واسمه الكريم مكتوباً، والشهادة له بالرسالة منقوشاً قبل وجوده السعيد وبزوغ قمره الحميد

قال ابن إسحاق: كان في حجر باليمن ـ فيما يذكرون[١] ـ كتاب بالزّبور، كتب في الزمان الأوّل: لمن ملك ذمار[٢]؟ لحمير الأخيار، لمن ملك ذمار؟ للحبشة الأشرار، لمن ملك ذمار؟ لفارس الأحرار، لمن ملك ذمار؟ لقريش التجار. وذمار: اليمن أو صنعاء[٣].

قال السّهيلي: وهذا الكلام الذي ذكره أنّه وجد مكتوباً بالحجر[٤] هو ـ فيما زعموا ـ من كلام هود ـ عليه السلام، وجد مكتوباً في منبره، وعند قبره حين كشفت الريح العاصفة[٥] عن منبره الرّمل، حتّى ظهر، وذلك قبل بلقيس[٦] بيسير[٧].

قال ابن القطان: ومما يؤثر[٨] عن عبدالله بن خفاف[٩] قال: خرجت في عصابة من قومي نريد اليمامة فأضلّنا الطريق[١٠]، فبينما

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: فيما يزعمون.
(٢) في الأصل: ورد «ذمار»: دمان، ما عدا المرة الأخيرة.
(٣) السيرة النّبوية لابن هشام: ٧٠/١.
(٤) في الأصل، و(د): بحجر.
(٥) في الأصل: الريح العاصف.
(٦) بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل من حمير، ملكة سبأ، يمانية من أهل مأرب أشار إليها القرآن الكريم مع سليمان عليه الصلاة والسلام في سورة النمل.
● الأعلام للزركلي: ٥١/٢.
(٧) الروض الأنف: ٣٢١/١.
(٨) في (د): ممّا يؤثر.
(٩) عبدالله بن خفاف: لم أعثر على ترجمة له.
(١٠) في (د): فأضللنا الطّريق.

نحن نجول في بسابس الدّهناء، إذا نحن بشخص يظهر مرّة ويخفى أخرى، فإذا شيخ ذو هامة عظيمة، وقامة وسيمة، يحتفر بئراً دفيناً. وذكر القصص، وأنّ الشيخ سأله عن خبره، فأخبره بأنه من قوم سفر، أضلوا الطريق، وسأله أن يؤوي أو يروي أو يهدي؟ فقال: أما الإيواء فلا بيت ولا خباء، وأمّا الإرواء فلا ماء ولا لبن، وأما الهداية فسمت الجبل من حيث ترى، قال عبدالله: فقلت له: ما اسمك أيها الشيخ؟ قال: أنا عبد يغوث بن كلال الحميري وذكر القصص وأنّه سأله عن عيشه، وأهله، ووطنه، فقال: إنّهم بادوا لأحداث حلّت بهم، وأنّه كان في الحيّ شيخ، خرف كبير، يخبرنا عن خمسمائة عام خلون لعاد، إنّ هاهنا بئراً دفينة، كانت تسرح عليه ماشيتنا، وقد أخرجت من هذا الدفن ألواحاً، فهل تحسن أن تقرأ الكتب؟ قلت: أي وعيشك أيها الشيخ، فاستخرج لوحاً وقرأت له في ذمّ عاد، وثانياً كذلك، ثم استخرج ثالثاً، فقال له: اقرأ يا هناه الله أبوك، ما أبصرك بقراءة الكتب! فإذا فيه:

إذا ظهر النبي الأقمر، على الجبل الأحمر، يدعو إلى ربّ يغفر[1]، فالويل لمن خالف هداه، ولا ملاذ لمن عصاه، ولا يُستكنّ[2] منه بجبل ولا واد، مخرجه من تهامة، سبط ربع القامة، سيفه مسلول، وما له مبذول، إن قال صدق، وإن فتق رتق، فعند ذلك تضعضع له الملوك، وتمحّى به الشكوك ﷺ، من نبي غير مشكوك، وعند ذلك، ينزل الرّخاء، ويرتفع البلاء، ويزيد الدين عنفواناً.

وذكر أنّه وجد في الحجارة القديمة مكتوب: **لا إلـه إلاّ الله محمد رسول الله تقي مصلح[3]، وسيد أمين.**

(١) في (ر): أغفر.
(٢) في (ر): لا يستكنّ.
(٣) في الأصل: مصالح.

وذكر عن بعض من دخل بلاد الهند، أنّه وجد فيها ورداً أحمر مكتوباً عليه بالأبيض **لا إلـه إلاّ الله محمد رسول الله**.

قلت: وهكذا ذكر الحكايتين عياض في «الشفاء»[1].

قال ابن القطان، وقال الزاهد عبدالله بن صوحان[2]: كنت كثيراً ما أواظب السفر إلى رومة، وثغور الهند، في عدة من الصنادلة البحرية، إذ عصفت علينا ريح ونحن في لجج بحار الهند، ثم أرسوا في جزيرة عظيمة، ذكر من شأنها، وأنهم رأوا فيها ورداً أحمر ذكي الرّائحة، طيب النّسيم، وفيه مكتوب بالبياض **لا إلـه إلاّ الله محمد رسول الله**، وأنّهم رأوا فيها ورداً أبيض مكتوب عليه بالأصفر[3] **براءة من الرحمن الرحيم إلى جنّات النعيم، لا إلـه إلاّ الله محمد رسول الله**.

ومن آياته ﷺ في هذا الباب ما روي عن بعضهم قال: كنت على شاطىء البحر، فجاء غلماني بسمكة فنظرت إلى بياض شحمة أذنيها فإذا في إحداهما **لا إلـه إلاّ الله**، وفي الأخرى **محمد رسول الله**.

وفي كتاب أبي سعيد النيسابوري، عن جبير[4] بن مطعم أنّه قال: خرجت تاجراً إلى الشام، في الجاهلية، فلمّا كنت بأدنى الشام، لقيني رجل من أهل/ الكتاب، فقال لي: هل عندكم رجل تنبّأ؟ قلت: نعم. ١٢/ظ قال: فهل تعرف صورته إذا رأيتها؟ قلت: نعم. قال: فأدخلني بيتاً فيه صور، فلم أر صورة النّبي ﷺ؟ قال: فبينما نحن كذلك إذ دخل رجل منهم علينا فقال: فيم أنتم؟ قال: فأخبرناه، فذهب بنا إلى منزله، فساعة

---

(١) الشفاء: ٢٢٩/١.

(٢) عبدالله بن صوحان: لم أقف على ترجمة له.

(٣) في الأصل: بالأسفر.

(٤) جبير بن مطعم: أبو عدي جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي. كان من علماء قريش وساداتهم، روى عن الرسول ﷺ ستين حديثاً. توفي بالمدينة عام ٥٧هـ رضي الله عنه.
- أ ـ الاستيعاب: ٣٣٢/١ ـ ٢٣٣، تر: ٣١١.
- ب ـ الأعلام: ١٠٣/٢.

دخلت نظرت إلى صورة النبي ﷺ [وإذا رجل آخذ بعقب النبي ﷺ][1] فقلت: من هذا القابض على عقبه[2]؟ فقال: إنّه لم يكن نبي إلاّ كان بعده نبيّ إلاّ هذا، فإنه لا نبي بعده، وهذا الخليفة بعده، وإذا صفة أبي بكر رضي الله عنه.

وقال محمد بن إسحاق: حدّثني بعض أهل العلم أنّ هرقل قال: لدحية بن خليفة[3] حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ، ويحك، والله إني لأعلم أنّ صاحبك لنبي مرسل، وأنّه الذي كنّا ننتظر، ونجد في كتابنا، ولكني أخاف الرّوم على نفسي، ولولا ذلك اتّبعته فاذهب إلى ظغاطر الأسقف، فاذكر له أمر صاحبك، فهو - والله - في الرّوم أعظم منّي، وأجوز عندهم قولاً منّي، فانظر ما يقول لك، قال: فجاءه دحية فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ، إلى هرقل، وبما يدعو إليه. قال: فقال ظغاطر: صاحبك - والله - نبي مرسل، نعرفه بصفته، ونجده في كتابنا باسمه. قال: ثم دخل، فألقى ثياباً كانت عليه سوداء، ولبس ثياباً بيضاً، ثم أخذ عصاه، فخرج على الرّوم، وهم في الكنيسة، فقال: يا معشر الروم: إنّه قد جاءنا كتاب من أحمد، يدعونا فيه إلى الله عزَّ وجلَّ، وإنّي أشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله، وأنّ أحمد عبده ورسوله. قال: فوثبوا عليه وثبة رجل واحد، فضربوه حتّى قتلوه. فلما رجع دحية بن خليفة إلى هرقل فأخبره الخبر، قال: قد قلت لك إنّا نخافهم[4] على أنفسنا، فظغاطر - والله - كان أعظم - عندهم وأجوز قولاً منّي.

---

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) في (ر): على عقبيه.

(٣) دحية الكلبي: دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة، من كبار الصحابة، يضرب به المثل في حسن الصورة، حضر كثيراً من الوقائع، وعاش إلى خلافة معاوية، توفي حوالي ٤٥هـ رضي الله عنه.
- أ - الاستيعاب: ٤٦١/٢ - ٤٦٢، تر: ٧٠١.
- ب - الأعلام: ١٣/٣ - ١٤.

(٤) لم أعثر على هذا النص في السيرة النبوية لابن هشام، وفي سيرة ابن إسحاق.

ومن آيات نبوته ﷺ، ودلائل كرامته على ربّه، ما ذكر عن هشام[1] بن لعاصي الأموي قال: بعثني أبو بكر رضي الله عنه أنا ورجل من قريش إلى هرقل، ندعوه إلى الإسلام، قال: فقدمنا الغوطة[2]، يعني دمشق، فنزلنا على جبلة بن الأيهم[3] الغسّاني، فأرسل إلينا برسول نكلمه، فقلنا والله لا نكلم رسولاً، إنّما بعثنا إلى الملك، فإن أذن لنا كلّمناه، وإلاّ لم نكلّم الرّسول، فرجع إليه الرسول، فأخبره بذلك، قال: فأذن لنا. فقال: تكلّموا. قال: فكلمه هشام بن العاصي ودعاه إلى الإسلام، فإذا عليه ثياب سود، فقال هشام: ما هذه[4] الثياب التي عليك؟ فقال له: لبستها، وحلفت لا أنزعها حتّى أخرجكم من الشّام، قلنا: ومجلسك هذا ـ فوالله ـ لنأخذنّه، ولنأخذنّ مُلك الملك الأعظم ـ إن شاء الله ـ أخبرنا بذلك نبيّنا ﷺ. قال: لستم بهم، بل هم قوم يصومون النّهار، ويفطرون بالليل، فكيف صومكم فأخبرناه، فامتلأ وجهه سواداً، ثم قال: قوموا، وبعث معنا رسولاً إلى الملك، فخرجنا حتّى إذا كنا قريباً من مدينة الملك، قال لنا الذي معنا: إنّ دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك، فإن شئتم جعلناكم على براذين، قلنا: لا ندخل إلاّ عليها، فأرسلوا إلى الملك إنّهم يأبون، فأذن لنا، فدخلنا على رواحلنا، متقلدين سيوفنا، حتى انتهينا إلى غرفة الملك فأنخنا في أصلها،

---

(١) هشام بن العاص بن وائل، أخو عمرو بن العاص، أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، ثم عاد إلى مكة حين بلغته هجرة النّبي ﷺ إلى المدينة يريد اللحاق به فحبس بمكة إلى ما بعد وقعة الخندق، كان صالحاً شجاعاً، قتل شهيداً يوم أجنادين في خلافة أبي بكر سنة ١٣هـ.

● أ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبدالبر: **١٥٣٩/٤٥ ـ ١٥٤٠**، تر: ٢٦٨٣.

● ب ـ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: **٦٠٤/٣ ـ ٦٠٥**، تر: **٨٩٦٦**.

(٢) في الأصل: «لغوطة» بلا ألف.

(٣) جبلة بن الأيهم بن جبلة الغسّاني، آخر ملوك الغساسنة، من آل جفنة، أسلم، وهاجر إلى المدينة، ثم ارتدّ وخرج إلى بلاد الروم، فتوفي بها سنة ٢٠.

● الأعلام للزركلي: **١٠٢/٢**.

(٤) في (د): هذا.

وهو ينظر إلينا فقلنا: لا إلـٰه إلاّ الله والله أكبر، والله يعلم لقد تنغضّت الغرفة حتّى صارت كأنها غدق، تصفقه الرّياح[1] فأرسل إلينا، ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم، وأرسل إلينا، أن ادخلوا، فدخلنا عليه، وهو على فراش له، وعنده بطارقته من الروم، وكلّ شيء في مجلسه أحمر، وما حوله حمرة، وعليه ثياب حمر. فدنونا منه، فضحك، وقال: ما عليكم لو حيّيتموني[2] بتحيّتكم فيما بينكم، وإذا عنده رجل فصيح بالعربية، كثير الكلام، فقلنا: إنّ تحيّتنا فيما بيننا لا تحلّ لك، وتحيتك التي تحيّي بها لا يحلّ لنا أن نحييك بها.

قال: كيف تحيتكم فيما بينكم؟ قلنا: السّلام عليكم. قال: فكيف تحيّون ملككم؟ قلنا: بها. قال: وكيف يردّ عليكم؟ قلنا: بها. قال: فما أعظم كلامكم؟ قلنا: لا إلـٰه إلاّ الله والله أكبر، والله يعلم لقد تنغضت[3] الغرفة، حتى رفع رأسه إليها، قال: فهذه الكلمة التي قلتموها حيث تنغضت الغرفة كلّما قلتموها في بيوتكم تنغضّ بيوتكم عليكم؟ قلنا: لا ما رأينا/ فعلت هذا قطّ إلاّ عندك، قال: لوددت أنكم كلما قلتم تنغض كل شيء عليكم، وأنّي خرجت من نصف ملكي، قلنا: لم؟ قال: لأنّه أيسر لشأنها وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة، وأن تكون من حيل الناس. ثم سألنا عمّا[4] أراد فأخبرناه، ثم قال: كيف صلاتكم وصومكم؟ فأخبرناه، فقال: قوموا، فقمنا، فأمر لنا بمنزل حسن، ونزل كثير، فأقمنا ثلاثاً، ثم أرسل إلينا ليلاً، فدخلنا عليه، فاستعاد قولنا، فأعدناه.

١٣/و

فدعا بشيء كهيئة الرّبعة العظيمة[5] مذهبة، فيها بيوت صغار، عليها

---

(١) في (د): الريح.

(٢) في (د) و(ر): لو جئتموني بتحيّتكم.

(٣) أنغض رأسه: حرّكه، كالمتعجّب من شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥١].
وتنغّص الشيء: تحرّك في ارتجاف واضطراب؛ المعجم الوسيط: مادة: نغض.

(٤) في الأصل: عن ما أراد.

(٥) في (د): العظيم.

أبواب، ففتح بيتاً وقفلاً، فاستخرج[1] حريرة سوداء، فنشرها، فإذا فيها صورة حمراء، وإذا فيها رجل ضخم العينين، عظيم الإليتين، لم أر مثل طول عنقه، وإذا ليست له لحية، وإذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله.

فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا قال: هو آدم عليه السلام، وإذا هو أكثر الناس شعراً، ثم فتح لنا باباً آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها صورة بيضاء، وإذا رجل له شعر قطط، أحمر العينين، ضخم الهامة، حسن اللحية، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا نوح عليه السلام. ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها رجل شديد البياض، حسن العينين، صلت الجبين، طويل الخد، أبيض اللحية، كأنّه يتبسّم. فقال [هل][2] تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا إبراهيم عليه السلام. ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فإذا فيها صورة بيضاء، وإذا ـ والله ـ رسول الله ﷺ فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: نعم. محمد رسول الله ﷺ. قال: فبكينا. قال: فالله يعلم أنّه قام قائماً ثم جلس وقال: آلله إنّه لهو. قلنا: نعم. آلله إنّه لهو كأنّما ننظر إليه. فأمسك ساعة ينظر إليها، ثم قال: أما والله، إنه كان آخر البيوت، ولكني عجّلته لكم لأنظر ما عندكم، ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها صورة أدماء سمحاء، وإذا رجل جعد قطط غائر العينين، حديد النظر، عابس، متراكب الأسنان، مقلص[3] الشفة كأنه غضبان. فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا موسى عليه السلام. وإلى جنبه صورة تشبهه مدهام[4] الرأس، عريض الجبين [في عينيه][5] قَبَل. قال: هل تعرفون هذا؟

---

(١) في (د): فاستخراج.

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) قلص الشيء يقلِص قلوصاً: تدانى وانضم ـ الشفة: شمرت وارتفعت.
- المعجم الوسيط: مادة: قلص.

(٤) ادهامّ الشيء: اسوادّ، والدُّهام: الأسود. وفي القرآن الكريم: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾ [الرحمن: ٦٤] أي: سوداوان من شدّة الخضرة.
- المعجم الوسيط: مادة: دهم.

(٥) في الأصل: ما بين الحاصرتين ناقص.

قلنا: لا. قال: هذا هارون بن عمران [عليه السلام][1]. ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء. فإذا فيها صورة رجل آدم، سبط، ربعة، كأنه غضبان، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا لوط عليه السلام. ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل أبيض، مشرب بحمرة أجنا[2]، خفيف العارضين، حسن الوجه. فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا إسحاق عليه السلام. ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل تشبه صورة إسحاق، إلاّ أنّ على شفته السّفلى خالاً. فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا يعقوب عليه السلام. ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فيها صورة رجل أبيض، حسن الوجه، أقنى الأنف، حسن القامة، يعلو وجهه النور، يعرف في وجهه الخشوع، يضرب إلى الحمرة. قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا إسماعيل [عليه السلام][3]، جدّ نبيكم ﷺ. ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فيها صورة كصورة آدم عليه السلام، كأنّ وجهه الشمس. فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا يوسف عليه السلام. ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صفة رجل أحمر، حمش[4] الساقين، أخفش[5] العينين، ضخم البطن، ربعة[6]، متقلداً[7] سيفاً. قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا داود عليه السلام[8].

---

(١) في الأصل، و(ر): ما بين الحاصرتين ناقص.

(٢) أجن الماء يأجن أجنا، وأجونا: تغيّر طعمه ولونه ورائحته يقال يُفسد الرجلَ المجونُ. كما يفسد الماءَ الأجونُ.
- المعجم الوسيط: مادة: أجن.

(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ناقص.

(٤) حمش الرجل يحمَش حَمَشاً: كان رقيق الساقين.
- المعجم الوسيط: مادة: حمش.

(٥) الخفش: ضعف في الإبصار يظهر في النور الشّديد.
- المعجم الوسيط: مادة: خفش.

(٦) في الأصل و(د): ربعه.

(٧) في (د) و(ر): متقلّد.

(٨) في (د): ﷺ.

ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه[1] حريرة بيضاء فيها صورة رجل ضخم الأليتين طويل الرجلين، راكب فرس. قال: [هل][2] تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا سليمان بن داود عليه السلام. ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء، وإذا رجل شاب شديد سواد اللحية، كثير الشعر، حسن العينين، حسن الوجه. فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا عيسى ابن مريم عليه السلام.

١٤/ظ قلنا: من أين لك هذه[3] الصور؟ لأنّا نعلم أنها على ما صورت/ عليه الأنبياء عليهم السّلام. لأنّا رأينا صورة نبيّنا ﷺ مثله، فقال: إنّ آدم ﷺ سأل ربّي[4] أن يريه الأنبياء من ولده، فأنزل الله عليه صورهم، فكانت في خزانة آدم، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها إلى دانيال، فصورها [دانيال][2] في خرق من حرير، فهذه بأعيانها الصور التي صورها دانيال. ثم قال: أما ـ والله ـ إنّ نفسي طابت بالخروج من ملكي. ثم أجازنا، فأحسن جائزتنا، وسرحنا. فلما أتينا أبا بكر الصدِّيق رضي الله [عنه][2]، حدّثناه بما رأينا، وما قال لنا، وما أخبرنا [به][5]. قال: فبكى أبو بكر رضي الله عنه. ثم قال: أخبرنا رسول الله ﷺ أنّهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ [عندهم][2].

فصل

ومن هذا المعنى ما ذكره ابن القطان أنّ أبا سفيان[6] أتى بلاد الشام

---

(١) في (د): فاستخرج فيها...
(٢) في الأصل و(د): ما بين الحاصرتين ناقص.
(٣) في (د): هذي.
(٤) في (د) و(ر): ربّه.
(٥) في (د): ما بين الحاصرتين ناقص.
(٦) أبو سفيان: أبو حنظلة صخر بن حرب بن أمية... القرشي، والد معاوية ويزيد وعتبة، وإخوتهم. كان من أشراف قريش في الجاهلية، أسلم يوم الفتح. فقئت عينه يوم الطائف وفقئت أخرى يوم اليرموك. توفي في خلافة عثمان سنة ثلاث وثلاثين للهجرة.
الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر: ١٦٧٧/٤ ـ ١٦٨٠، تر: ٣٠٠٥.

فقال له ملك الرّوم: أتعرف صورة صاحبك إذا رأيتها؟ قال: نعم. قال: فأدخله بيتاً فيه صور الأنبياء، عليهم السّلام، فرأى صورة النّبي ﷺ، وإذا عن يمينه رجل وعن يساره رجل، قد صوّرا، فسأله ـ يعني الملك ـ عن الرّجلين، فقال: هما صاحباه دون الناس أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.



باب في ذكر ما ورد من التبشير به وصفته ﷺ في الكتب القديمة وقيام حجّة الله تعالى به على جميع الخلق

اعلم وفّقني الله وإيّاك لمرضاته، وأنعم عليّ وعليك بجزيل خيراته، أنّ هذا الباب باب متسع متين، وحسبه أن يفرد بدواوين، لكن لقصور أهل الوقت عن التّطويل، اقتصرنا من ذلك على النّزر القليل، ومع ذلك فإنّي أنقل من أنواره ﷺ ما يفرح به المؤمنون، ويرتاح لذكره الموقنون.

روينا في صحيح البخاري عن عطاء[1] بن يسار قال: قلت لعبد[2]الله بن عمرو بن العاصي أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ؟ قال: أجل ـ والله ـ إنه لموصوف في التّوراة ببعض صفاته[3] في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾﴾[4] وحرزاً للأمّيّين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكّل، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسّيئة السّيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى

---

(١) عطاء بن يسار: أبو محمد المدني مولى أم المؤمنين ميمونة، ولد بمكة سنة ٢٧هـ، وروى عن عائشة، وأبي هريرة، وابن عباس، وغيرهم، كان ثقة جليلاً من أوعية العلم، توفي بمكة سنة ١٠٣هـ.
- أ ـ تذكرة الحفّاظ: ١/٩٠ ـ ٩١، تر: ٨٠.
- ب ـ الأعلام: ٥/٢٩.

(٢) عبدالله بن عمرو: أبو محمد عبدالله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي، أسلم قبل أبيه، ولم يكن بينه وبين أبيه إلاّ اثنتا عشرة سنة، كان فاضلاً، حافظاً، عالماً، وكان يسرد الصوم، ولا ينام بالليل. توفي في ولاية يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين، وقيل: مات بمكة سنة ثلاث وسبعين.
- الاستيعاب: ٣/٩٥٦ ـ ٩٥٩، تر: ١٦١٨.

(٣) في الأصل و(ر): ببعض صفته.

(٤) الأحزاب: ٤٥.

يقيم به الملّة العوجاء، بأن يقولوا لا إلـه إلاّ الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً[١].

وذُكر مثله عن عبدالله بن سلام، وكعب الأحبار، وفي بعض طرقه عن ابن إسحاق: ولا صخّاب في الأسواق، ولا متزيّن بالفحش، ولا قوّال للخنا، أسدّده لكل جميل، وأهب له كلّ خلق كريم، ثم أجعل السّكينة لباسه، والبرّ شعاره، والتّقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصّدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحقّ شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملّته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلّم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأسمّي به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلّة، وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلّف به بين قلوب مختلفة، وأهواء متشتّتة، وأمم مفترقة، وأجعل أمّته خير أمّة أخرجت للنّاس.

وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله ﷺ عن صفته في التوراة: عبدي أحمد المختار، مولده بمكة، ومهاجره بالمدينة، أو قال طيبة، أمته الحامدون لله على كلّ حال.

قال السّهيلي في الروض الأنف: ومما وجد من صفته عليه السلام[٢] عند الأحبار ما ذكره الواقدي من حديث النعمان السّبائي[٣]، قال: وكان من أحبار يهود باليمن، فلمّا سمع بذكر النّبي ﷺ، قدم عليه، فسأله عن أشياء، ثم قال: [للنبي ﷺ][٤] إنّ أبي كان يختم على سِفْر، ويقول: لا تقرأه على

---

(١) ● أ ـ صحيح البخاري: م٢/٦/١٦٩، كتاب التفسير، سورة الفتح، وفيه بعض الخلاف في بعض العبارات. . .
● ب ـ الرّوض الأنف: ٢/٣٧٧ وفيه زيادة: بأن يقولوا لا إلـه إلاّ الله.
● ج ـ الشفاء: ١/٢٩ ـ ٣١.

(٢) في الروض الأنف: ﷺ.

(٣) في الروض الأنف: التيمي.

(٤) في الروض الأنف: ما بين الحاصرتين ساقط.

يهود حتّى تسمع بنبي قد خرج بيثرب، فإذا سمعت به فافتحه[1]. فلمّا سمعت بك فتحت السّفر، فإذا فيه صفتك كما أراك [فيه][2] السّاعة، وإذا فيه ما تحلّ وتحرّم[3]، وإذا فيه: إنّك خير الأنبياء، وأمّتك خير الأمم، واسمك: أحمد، وأمّتك الحمّادون[4]، قربانهم: دماؤهم، وأناجيلهم: صدورهم، لا يحضرون[5] قتالاً إلاّ وجبريل [عليه السلام][2] معهم يتحنّن/ ١٥/و الله عليهم كتحنّن النّسر على فراخه، ثم قال لي، إذا سمعت به فاخرج إليه، وآمن به، وصدّق به، فكان النّبي ﷺ يحبّ أن يسمع أصحابه حديثه، فأتاه يوماً، فقال له النّبي ﷺ: يا نعمان، حدّثنا، فابتدأ النّعمان الحديث من أوّله فرُؤي النبي[6] ﷺ يومئذ يبتسم، ثم قال: أشهد أنّي رسول الله [والنّعمان هذا][2] هو الذي قتله الأسود العنسي، وقطّعه عضواً عضواً وهو يقول: أشهد أنّ محمداً رسول الله [ﷺ][2] وأنّك كذّاب مفتر على الله [تعالى][2]، ثم حرّقه بالنّار[7].

قال ابن إسحاق: وقد كان، فيما بلغني، عمّا كان وضع عيسى ابن مريم [عليه السلام][8] فيما جاءه من الله [تعالى][8] في الإنجيل لأهل الإنجيل، من صفة رسول الله ﷺ، ممّا أثبت يُحنّس الحواري لهم، حين نسخ لهم الإنجيل من[9] عهد عيسى ابن مريم[10] في رسول الله ﷺ إليهم، أنه قال: من أبغضني فقد أبغض الرّبّ، ولولا أنّي صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة، ولكن من الآن بطروا وظنّوا أنّهم

---

(١) في الروض الأنف: قال نعمان.
(٢) في الروض الأنف: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٣) في الروض الأنف: وما تحرّم.
(٤) في الروض الأنف: الحامدون.
(٥) في الروض الأنف: وهم لا يحضرون.
(٦) في الروض الأنف: رسول الله.
(٧) الروض الأنف: ٢/٣٧٧ ـ ٣٧٨.
(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٩) في السيرة النبوية لابن هشام: عن.
(١٠) في السيرة النبوية لابن هشام: عليه السلام.

يعزّونني[1]، وأيضاً للرب، ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التي في النّاموس، أنّهم أبغضوني مجّاناً أي باطلاً. فلو قد جاء المنحمنّا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرّبّ[2] روح القسط هذا الذي من عند الرّبّ خرج، فهو شهيد عليّ، وأنتم أيضاً، لكنكم قديماً كنتم معي هذا قلت لكم: لكيما[3] لا تشكوا. فالمَنْحَمَنّا بالسّريانية: محمد ﷺ وهو بالرومية البَرَقْلِيطَس[4].

قال عياض في الشفاء: وسمي النبي ﷺ محمداً وأحمد[5] فمحمّد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبر داود عليه السلام. وأحمد بمعنى أكبر من حمد وأجلّ من حمد[6].

ووقع في أوّل سفر من التّوراة عن إسماعيل: وستلد عظيماً لأمّة عظيمة فهو عظيم، وعلى خلق عظيم، ﷺ.

وسمّي النّبي ﷺ في كتاب داود بجبّار. فقال: تقلّد أيّها الجبّار سيفك فإنّ ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك.

فصل

قال ابن القطان: ومن آيات رسول الله ﷺ أنّ الله سبحانه يشهد له بالرسالة في التّوراة كما قال جلّ من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ الآية[7].

فترجم المترجمون عن التّوراة منها أنّ الله تعالى قال لموسى [بن

---

(١) يعزّونني: يغلبونني، يقال: عزّ الرجلُ الرجلَ يعزّه عزاً: إذا غلبه وقهره.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: من عند الرب وروح القدس.

(٣) في (ر): لكي لا تشكوا.

(٤) في (ر): البارقليطس.

● السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢٣٢ ـ ٢٣٣، وبينهما خلاف.

(٥) في (ر): وأحمداً.

(٦) الشفاء: ١/٣٢٤.

(٧) الأعراف من الآية: ١٥٧.

عمران][1] عليه السلام: إنّي أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبيّاً مثلك، أجعل كلامي على لسانه، من عصاه انتقمت منه.

فإن قيل: إنّ ذلك يوشع. فقد قال في التّوراة: لا يخلف من بني إسرايل مثل موسى. فلا محالة أنّ الذي بشّرت به التّوراة لا يكون من بني إسرائيل لكن من إخوة بني إسرائيل. إمّا العرب وإمّا الرّوم، أمّا الروم فلم يكن منهم نبيّ إلاّ أيّوب عليه السلام. وهو قبل موسى عليه السلام. فلا يمكن أن يكون هو المعني بذلك التبشير، فلم يبق إلاّ العرب فهو إذن محمّد ﷺ.

قلت: وقد وقفت على هذا الكلام في توراتهم. والكلام الأخير به ختم التّوراة. ولفظه ولم يقم نبيّ في بني إسرائيل مثل موسى الذي كلّمه الله مشافهة[2].

وهذا النّص بعينه نقله بعض الأئمة المحققين من علماء قرطبة في كتاب سمّاه: «بمقامع الصّلبان وروضات الإيمان» أحسن فيه ـ والله ـ كلّ الإحسان، وبيّن فيه غامضات الكتب القديمة غاية البيان، وأقام الحجّة على أهل الكتاب بما في كتبهم بغاية البيان، وواضح البرهان، فلم يبق للمخالف منهم سوى العناد ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[3]، ونصّ كلامه الذي ختم به كتابه أن قال: وقد أوردت في هذه الرسالة ما فيه دلالة على سوء ما تنحلّوه[4] ولم أنصّ فيها من التّوراة والزّبور، والإنجيل، وصحف الأنبياء، إلاّ ما هو بأيديهم في وقتنا هذا. فإذا رأى فيها نصّاً من نصوصهم، وقد أضافوا فيها الأفعال والحول والقوّة إلى عيسى ابن مريم يعني أو غيره،

---

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) الكتاب المقدّس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد.
أسفار العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح الرابع والثلاثون، ص٢٣١، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٩٥٣.

(٣) الرعد: ٣٣.

(٤) في (د) و(ر): انتحلوه.

فليعلم أنّ ذلك من تحريفهم، وقد قدّمت في[1] هذه الرسالة دلائل على أنّ عيسى عليه السّلام ما ادّعى الإلهية/ وإنّما نقلت ما في إنجيلهم حرفاً حرفاً، ولم أورد من ذلك إلاّ ما قرأته في كتبهم العبرانية، ووقفت عليها بنفسي، وطالعت بعض تفاسيرها، وشافهتهم[2] بها، ومن جرى في تبصّرهم هذا المجرى، ثم اطّرح الهوى ونظر بعين الإنصاف، فكان الحقّ أبين من فلق الصّبح.

١٦/ظ

قلت: وسأذكر ـ إن شاء الله تعالى ـ من هذا الكتاب، وغيره؛ ما يستحسن إيراده، في الباب، والله الموفق للصواب.

قال ابن القطّان متّصلاً بكلامه المتقدم: وقد قال الله تعالى في التوراة حين ذكر إسماعيل جدّ العرب: إنّه يضع فسطاطه في وسط بلاد إخوته، فكنّى عن بني إسرائيل بإخوة إسماعيل [كما كنّى عن العرب][3] بإخوة بني إسرائيل، بقوله سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهم. وفي التّوراة: جاء النّور من سيناء، وأشرق من ساغين[4]، واستعلى من جبل فاران، ومعه جماعة من الصّالحين. فمجيئه من سيناء، أن الله عزَّ وجلَّ أنزل التّوراة فيه، وكلّم موسى عليه السلام، وإشراقه من جبل ساغين، أنّ دين عيسى عليه السلام أشرق من جبل ساغين، وهي جبال الرّوم، واستعلاؤه من جبال فاران، أنّ الله يبعث محمداً ﷺ، ويوحي إليه فيه. ولا خلاف أنّ فاران مكّة. وقد قال الله تعالى في التّوراة: إنّ الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران[5].

قلت: وقد ساق صاحب «مقامع الصّلبان» هذه الجملة المذكورة من أول الفصل إلى هنا. قال: وقد ناظرني يوماً أحد أحبار اليهود، وأهل الذكاء منهم، في قوله: في التّوراة: إني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبياً مثلك

---

(١) في (د): في صدر هذه الرسالة.
(٢) في الأصل: وشافهته بها.
(٣) ما بين الحاصرتين ليس في الأصل.
(٤) في (د): ساعيد.
(٥) الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح الحادي والعشرون، ص٢٢ ـ ٢٣.

إلى آخره، فقال لي هذا كله صحيح، لا أجد اعتراضاً على هذه المناظرة، غير أنه قال: سأقيم لبني إسرائيل، ولم يكن محمد إلاّ إلى العرب.

قلت: ما على الأرض من يجهل أنّ محمداً قال: بعثت إلى الأحمر، والأسود، والحُرّ، والعبد، والذّكر والأنثى. وهذا كتابه ينطق أنّه مبعوث إلى الخلق كافّة، فكيف يمكنك أن تقول إنّما ادّعى أنه مبعوث إلى العرب خاصّة. أو تستقيم لك حجّة؟ فقال: لا يمكنني ولا غيري[1] دفع ذلك وبذلك خبرنا أسلافنا من اليهود، إنّهم قالوا: بعث إلى الخلق كافّة، إلاّ فرقة من اليهود يقال لها العيسوبية، تقول بنبوّته ومعجزاته، وتنكر أنّه بعث لغير العرب، ولسنا على شيء ممّا هم عليه. ثم عطف على يهوديّ إلى جنبه وقال له: نحن قد جرى نشأنا على اليهودية، وبالله ما أدري كيف يكون الخلاص من أمر هذا العربي؟ وإنّ أقلّ ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا النّهي عن ذكره بسوء.

وفي التّوراة أيضاً يقول لهاجر أمّ إسماعيل عليه السلام: قد سمعت خشوعك في إسماعيل، وستكون يده فوق يد الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع، ولا محالة أنّ ولد إسماعيل لم تكن أيديهم إلاّ تحت يد ولد إسحاق، لأنّ في ولد إسحاق كانت النّبوءات. فلمّا بعث الله محمداً ﷺ جعل يد ولد إسماعيل فوق يد الجميع، وردّ النّبوة فيهم، ونمّاهم، وعظّمهم، وبارك عليهم، جدّاً جدّاً. والمراد بهذا [كلّه][2] محمد ﷺ، ولكنه كنّى عنه بجدّه إسماعيل، وممّا يبيّن هذا[3] قوله في إسماعيل: ويقاتل جميع النّاس ويقاتلونه. ويضع فسطاطه في بلاد إخوته. ولا محالة أنّ هذه صفة سيّدنا محمد ﷺ، لا صفة جدّه إسماعيل عليه السلام.

ومثل هذه الكناية بالجدّ عن الحفيد في الكتاب كثير. قال صاحب مقامع الصّلبان: وقال أيضاً في التّوراة: أقبل السّيد من سيناء، ومن الثبير

---

(١) في الأصل: ولا غير.
(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ناقص.
(٣) في (د): ذلك.

تراءى لنا، وأقبل من جبال فاران، ومعه آلاف من الصّالحين، ومعه كتاب ناريّ، وهو ختم الأجناس. وجميع الصّالحين في قبضته، ومن تدانى من قدميه يصيب من علمه. وقوله ومعه كتاب ناريّ، معناه نوراني فهو من النّور كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[2].

قلت: وإذا قلت في هذا الكتاب: قال صاحب روضات الإيمان فإنّما أعني به هذا الكتاب اختصاراً للكلام، وكراهية منّي لذكر الصّلبان.

وفي التّوراة أنّ الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام حين دعاه في ابنه إسماعيل: قد أجبتك في إسماعيل، وباركت عليه، وكثّرته، وعظّمته جدّاً جدّاً. وقال: أجعله لأمّة عظيمة، يريد أمّة سيّدنا محمّد ﷺ.

وفي الزّبور: تقلّد أيّها الجبّار السّيف، فإنّ ناموسك وشريعتك مقرونة بيمينك، وسهامك مسنونة والأمم يجرّون تحتك.

١٧/و

فصل

قال صاحب روضات الإيمان، وفي الزّبور يقول الله سبحانه لداود عليه السلام: سيولد لك ولد أُدعى له أبا، ويُدعى لي ابنا. فقال داود عليه السلام: اللهم ابعث جاعلَ السُّنّة كي يُعلّمَ النّاس أنّه بشر. فانظر قول داود حين أفزعه ذلك وراعه، دعا الله تعالى واستغاث به أن يبعث جاعل السّنة وهو محمّد ﷺ الذي يعلّم النّاس أنّ ذلك الولد وهو عيسى إنّما هو بشر مثله ﴿عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾[3] فكان الأمر كذلك. فبعث الله سبحانه جاعل السّنة، وكاشف الغمّة، وشفيع الأمة، الذي أعلم النّاس أنّ عيسى بشر كسائر البشر، ليس بالإلٰه، كما تزعم النّصارى في ضلالهم.

---

(١) المائدة: ١٥.

(٢) النساء: ١٧٤.

(٣) آل عمران: ٥٩.

ولقد أنقذ الله سبحانه بنبيّه وخيرته من خلقه أمماً كثيرة من النّصارى لا يحصيهم عدّ، ولا يحصرهم حدّ. ولو ذهب ذاهب إلى أنّ الذي أسلم من الرّوم أكثر ممّن بقي على كفره ما بعد. واعتبر ذلك بأقاليم الشّام، وأرض برْصا[1] من أرض الرّوم، وهي التي فيها الملك ابن عثمان في زماننا، وهو من أعظم ملوك الإسلام، وهم روم لا يعرفون كلام العرب، وكلّهم على دين الإسلام وشريعة سيدنا محمد عليه السلام. أماتنا الله على ملته، وجعلنا من خيار أمّته، بجاهه عند ربّه آمين آمين والحمد لله ربّ العالمين. وكذلك قال المسيح في الإنجيل الذي بأيدي النّصارى اليوم اللهم ابعث البارقليط ليعلّم النّاس أن ابن الإنسان بشر. وقال أيضاً: في الإنجيل الذي بأيديهم عن يوحنا: البارقليط لا يجئكم ما لم أذهب، فإذا جاء وبّخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، ولكنّه ممّا يسمع، يكلّمكم ويسوسكم بالحقّ، ويخبر بالحوادث والغيوب، إلى أن قال: وسيعظّمني، وذكر كيف يقهر أصحاب الدّنيا، وتمادى على وصفه بكلام بيّن. ثم قال: وهو يشهد لي كما شهدت له، وأنا أجئكم بالأمثال، وهو يأتيكم بالتّأويل.

قلت: والبارقليط بلسانهم محمد رسول الله ﷺ. وهذا كان سبب إسلام[2] بعض القسيسين في زماننا هذا. وقد ورد عليّ تصنيفه في الردّ على النّصارى، وتبيين ضلالهم. وأخبر: أنّه كان يقرأ على شيخه، ويسأله عن البارقليط، فيعرض عنه، فألحّ عليه يوماً في خلوته، فقال له: وما تريد من ذلك؟ هو محمد النّبي ﷺ؟ قال: فقلت له: وإذ علمت هذا، وعرفت الحقّ، فما يمنعك من الإيمان به؟ فقال له: وأنا مؤمن به. فقال له: وما يمنعك من الخروج إلى أرض الإسلام؟ فقال له: أنا شيخ لا أقدر على الانتقال. قال: فوقع الإسلام في قلبي، وعزمت على الهجرة إلى دار الإسلام. قال: ففهم الشيخ عنّي، فقال لي: إياك أن تظهر للنّصارى شيئاً ممّا تكلّمنا به، ولئن خالفتني لأتبرّأنّ، وإن رجموك رجمتك معهم. أو كلام

(١) في (ر): فرصاً.
(٢) في (ر): الإسلام.

هذا معناه. قال: فكتمت أمري إلى أن تيسّر لي مركب إلى مدينة تونس، فركبت فيه، ونزلت بحضرة تونس، وأظهرت إسلامي والحمد لله.

وفي الإنجيل الذي بأيدي النّصارى اليوم، أنّه قال لليهود: وتقولون: لو كنّا في أيام آبائنا لم نساعدهم على قتل الأنبياء، فأتمّوا كيل آبائكم يا ثعابين بني الأفاعي، كيف لكم والنّجاة من عذاب النار؟ ثم تمادى في مخاطبتهم إلى أن قال: وأنا أقول لكم: لا تروني الآن حتّى يأتي من تقولون له مبارك يأتي على اسم الله، فبشّر بإتيان سيّدنا محمد ﷺ المبارك الذي صدع بالحق المبين، وقطع الشّك باليقين، وأيّده مولاه بالبراهين، وأنزل عليه كتابه المبين، فمن نكص بعد[1] ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2].

وفي الإنجيل الذي بأيديهم اليوم: عن متّى أنه قال: عن المسيح[3]: الحقّ اليقين أقول لكم ثم ذكر كلام في فضل يحيى لمّا حُبس. ثم قال في آخر الكلام، وأما الآن فإن شئتم فاقبلوا فإنّ إيل مزمع أن يأتي. فمن كانت له أذنان سامعتان فليستمع.

فهذه بشارة من عيسى عليه السلام بسيّدنا محمد خاتم النّبيين. وإيل هو الله تعالى، فمجيء الله هو مجيء رسوله محمد ﷺ، بكتابه، وأمره، كما قال في التّوراة: جاء الله من سيناء، وكما قال/ وأقبل من فاران أي جاء أمره وكتابه سبحانه.

١٨/ظ

وفي الإنجيل الذي بأيديهم عن المسيح: يذكر كلام أفصح فيه عن أمّة سيدنا محمد ﷺ يقول في آخره: أقول لكم: إنّه[4] سيزاح عنكم ملك الله، وتعطاه الأمة المطيعة العاملة، ثم ضرب مثلاً بصخرة. وقال من سقط على هذه الصخرة سينكسر، ومن سقطت عليه بتهشّم، يريد بذلك محمداً ﷺ، من ناوأه وحاربه، أظهره الله عليه.

---

(١) في (ر): بعده.
(٢) آل عمران: ١٤٤.
(٣) في (ر): الشيخ.
(٤) في الأصل: إنّي.

وفي صحف أشعيا النّبي التي بأيدي النّصارى قال: ستمتلىء البادية والمدائن من قصور آل قيذار يسبّحون[1] ومن رؤوس الجِبال ينادون، هم الذين يجعلون لله الكرامة، ويبثّون تسبيحه في البرّ والبحر.

وفي مصحف[2] حزقيال النّبي يقول عن الله تعالى [عزَّ وجلَّ][3] إنّي مؤيد قيذار بالملائكة، وقيذار: ولد إسماعيل. وقد صدق الله وعده ونصر عبده، وملأ البسيطة من ولد إسماعيل، آل قيذار ينادون بالأذان والتلبية بالليل والنّهار، ويجأرون بهما في الحواضر والبوادي والقفار، ويجعلون لله الكرامة بالصلاة، والحجّ، وسائر القرب في البراري وأثباج البحار. فهذه صفة الأمّة المحمدية الأبرار، لا يشك فيها إلاّ من يجحد ضوء النّهار، فسبحان من أنعم على أمّة أحمد عليه السلام بالهداية، وكساهم ببركته سنيّ[4] الأنوار بعد أن كانوا في الجاهلية على شفا جرف فأنقذهم من النار، وجعلهم في ميدان الهداية أنواعاً كلّهم يعدّ من الأبرار، فمنهم ـ كما تعلم ـ قانت، قائم بالليل، وصائم بالنّهار، ومنهم دائم مقبل لا يسأم عن التّسبيح والتّحميد والتّكبير والاستغفار، جعلهم خير أمّة أخرجت للنّاس، ووعدهم بالجنّة، فنعم عقبى الدّار، تتجلّى لهم المعارف، وتتّضح لهم الأسرار، تلك نتائج الأعمال على التّأسّي بالنّبي المختار ﷺ، ما أقبل الليل وأضاء النّهار[5].

فصل

قال صاحب روضات الإيمان

وقال أشعيا النّبي عن الله سبحانه: عبدي الذي سرّت به نفسي، أنزل عليه وحيي، فيُظهر في الأمم عدلي، يوصي الأمم بالوصايا، لا يضحك،

---

(١) في (ر): سيسبّحون.
(٢) في (د): صحف.
(٣) في (د) و(ر): ما بين الحاصرتين ناقص.
(٤) في (ر): نبي الأنوار.
(٥) في (د) و(ر): ما أقبل ليل، وأضاء نهار.

ولا يسمع صوته في الأسواق، يفتح العيون الغور[1]، ويسمع الأذان الصّمّ، ويحي القلوب الغلف، وما أعطيته لا أعطيه غيره، أحمد يحمد الله حمداً، حديثاً يأتي من أقصى الأرض، تفرح البرية، وسكانها يهلّلون الله على كل شرف، ويكبّرونه على كل رابية، لا يضعف ولا يغلب، ولا يميل إلى الهوى، ولا يسمع في الأسواق صوته[2]، ولا يذلّ الصّالحين الذين هم كالعصبة الضعيفة، بل يقوّي الصّدّيقين، وهو ركن للمتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفأ ولا يخصم، حتّى تتشبّث في الأرض حجّتي، أو قال: حتّى يثبت في الأرض حجّتي، وينقطع به العذر، وإلى توراته ينقاد الخلق.

فهذا تصريح وتبشير بنبينا محمد ﷺ.

وفي صحف حبقون النّبي التي الآن بأيدي النّصارى، جاء [تحميد][3] الله من المتين[4]، وتقدّس من جبال[5] فاران، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد وتقديسه، وملك الأرض بهيئته.

وقال أيضاً: تضيء لنوره [الأرض][6] وستنزع [بنورك][6] في قسيّك إغراقاً، وترتوي السّهام[7] بأمرك يا محمّد ارتواء. فهذا إفصاح لحبقون باسم سيدنا محمّد ﷺ، وتبشير للخليقة بأنواره السعيدة.

---

(١) في (ر): العور.
● والعور جمع مفرده أعور، وهو الذاهب إحدى العينين، والغور من كلّ شيء: قعره وعمقه، وماء غور: غائر، وفي التّنزيل العزيز: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك: ٣٠].
وغار الماء غوراً وغؤوراً: ذهب في الأرض وسفل فيها، وغارت عينه أدخلت في الرأس.
● المعجم الوسيط: مادة: غور.
(٢) في (ر): ولا يسمع صوت في الأسواق.
(٣) في الأصل و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٤) هكذا وردت الكلمة «من المتين» في كل النسخ.
(٥) في (د) من جبل.
(٦) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٧) في الأصل: السّام.

وفي صحف أشعيا النّبي، يقول: قيل لي: قم ناظراً، فانظر فما ترى تخبر به.

قلت: أرى راكبين مقبلين: أحدهما على حمار، والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: سقطتْ بَابِلُ وأصنامها النّخرة. فصاحب الجمل هو نبّينا محمد ﷺ، وصاحب الحمار هو باتّفاق منّا ومن النّصارى عيسى ابن مريم. وإنّما سقطت عبادة الأصنام ببابل، وبطلت أوثانها بنبيّنا محمد ﷺ، وأمّته، لا بعيسى، ولا بغيره. فما زالت ملوك بابل يعبدون الأصنام والأوثان من لدن زمان إبراهيم عليه السلام، إلى زمان نبينا محمد ﷺ وأمته المباركة.

وفي صحف أشعياء أيضاً: لتفرح أرض البادية العطشى، ولتبتهج البراري والفلوات لأنها ستعطى/ بأحمد محاسن لبنان، وكمثل حسن الدّساكر[1] والرّياض. ١٩/و

فهذا إفصاح باسمه المبارك ﷺ، وصفة بلاده السعيدة لا ينكره إلاّ من كان معانداً وللحقّ جاحداً، جعلنا الله من خيار أمّته، وأماتنا على ملّته، وعلى محبّته ومتابعته.

وفي صحف دانيال النّبي: وقد نعت الكذابين وقال: لا تمتدّ دعوتهم، ولا يتمّ قربانهم، وأقسم الرّب بساعده ألاّ يظهر الباطل، ولا تقوم لمدّع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة، وهذا بيان قاطع لأهل الكتاب إذ يتحققون أنّ دعوة نبّينا محمد ﷺ قائمة متصلة منذ مئين من السّنين، وهي باقية إلى يوم القيامة.

سنة تأليف كتاب الأنوار

قلت: فهذه دعوته ﷺ منذ **ثمان مائة وأربع وأربعين سنة**[2] وهو وقتنا الذي قيّدنا فيه هذه الأحرف، وذلك في أواخر صفر من عام أربعة وأربعين

(١) الدّساكر: جمع مفرده: الدّسكرة: الأرض المستوية.
● المعجم الوسيط: مادة: دسّ.

(٢) في (د): ثمان مائة سنة وأربع وأربعين، وفي (ر): ثمانمائة سنة فقط.

وثمانمائة، وهي بحمد الله ووعده الصّدق، باقية إلى يوم ينفخ في الصور، لا تبديل لكلمات الله.

وأهل الكتاب يعلمون صدقه ضرورة، خصوصاً[1] القسيسين والرّهبان، **وقد أخبرني من أثق بصدقه** أنّ كثيراً منهم مؤمنون، يخفون إيمانهم، إبقاء على أنفسهم، وأموالهم، وقرباتهم.

قلت: والواجب على من أسلم منهم أن يهاجر إلى أرض الإسلام، ويحتال لنفسه.

وقال أشعيا النبيّ: مخاطباً لمكّة، أبشري، واهتزّي يا أيّتها العاقر التي لم تلدي، وانطقي بالتّسبيح، وافرحي إذ لم تحبلي، فإنّ أهلك سيكونون أكثر من أهلي. فعنى بمخاطبته مكّة، وشبّهها بالعاقر من النّساء التي لم تلد، وذلك أنّه لم يبعث من مكة من عهد زمان إسماعيل نبيّ إلاّ محمداً ﷺ. ولا يجوز أن تكون العاقر بيت المقدس لأنها كانت مقر الأنبياء.

وقوله: إنّ أهلك سيكونون أكثر من أهلي يعني بأهله: أهل بيت المقدس.

فصل

اعلم وفّقني الله وإيّاك لمرضاته، وأسبغ عليّ وعليك نعمه، وجزيل خيراته، أنّي وقفت على نسخة ـ يذكر فيها أنّها الزّبور، قديمة في رقّ، بخط حسن صحيح المعاني، يذكر في صدرها أنّها من رواية وهب بن منبّه، وغلب على ظني صحّة نسبتها إلى وهب بن منبه، لأنه كان معتنياً بكتب الأنبياء، وعارفاً بخطوط الأقدمين، وهو من التّابعين، ومن أفاضل العلماء العاملين، وهو ممّن كان يحيي الليل، وصلّى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة، وغلب على ظني أنّ هذه النّسخة لم تدخل في يد أهل الكتاب، فهي سالمة من تحريفهم المعروف منهم، وسأذكر ـ إن شاء الله تعالى ـ منها ما

(١) في الأصل: كتب للقسيسين والرّهبان.

رأيته في حق سيّدنا محمد ﷺ، متحرياً نقل ذلك جهدي. وأذكر ما ذكره من الوعيد الشديد فيمن تقوّل على الرّسل، وكذب عليهم، فإنّ ذكره مهمّ فلا جزى الله خيراً من يفتري على الله ورسله أو على أحد من خلق الله.

وقد روينا في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنّه قال: «**من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[1] ويدخل في المعنى من كذب على غيره من الرسل.

وأنا ـ إن شاء الله ـ أصدّر بما ذكره من الوعيد في الكذب على الله ورسله. فذكر في هذا الكتاب عن الله سبحانه أنّه قال: ملعون من كذب عليّ أو على أحد من رسلي.

وقال في المزمور السادس والأربعين من مزامير داود عليه السلام من كذب عليّ وعلى أحد من رسلي استوجب النقّمة في الدنيا والآخرة.

وقال في المزمور السّتين: ليس الخذلان خذلان الفواحش، لأنّ لها الاستغفار يطفيها كما يطفىء الماء النّار الحارة. إنّما الخذلان خذلان رجل أحدث حدثاً ليغيّر به شريعة من شرائعي، وليستنّ سنّة ليست من سنّتي.

وفي المزمور السّابع والتّسعين: يا داود استعذني من شرّ زمان يكثر فيه الكذب على العلم، فكل من هوي حديثاً ابتدع له حجّة، فإذا ورد القيامة وردت كلّ أعمالهم. داود[2]: ومن كذب عليّ، أو قال ما لم أقل، أو قال على أحد من رسلي، عقدت طرف لسانه من داخل أمعائه في النّار، ثم سددت/ ما بقي من اللّسان بجفن حدقتيه، ثم جعلته[3] أزرق العينين بصّاصاً[4]، ثم نكسته على الحدقة واللسان في النار، من قال عليّ ما لم ٢٠/و

---

(١) صحيح مسلم: ١٠/١ باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، المقدمة.

(٢) في (د) و(ر): من كذب عليّ...

(٣) في الأصل: جعلت.

(٤) بصّاصاً: البصيص: البريق. وقد بصّ الشيء: لمع، وبصّت العين: نظرت بتحديق.
● المعجم الوسيط: مادة: بص.

أنزله حشرته في واد يقال له الغضبان، ومكّنت ذلك الوادي من باطنه وظاهره. ما كان من حق يصدّق الكتب فيه بعضها بعضاً فهو منّي وأنا قلته وما اختلفت فيه ووصفت فيه بغير الحق فأنا مبرّأ منه ولم أقله، من شأني أنا الرّبّ الذي لا يشرك بي غيري. يا داود اتل كتابي، واخل به خلوة حبيب، يحبّ حبيبه. وقال بعد هذا بيسير من أكثر تعجّبه من أمور الله لم يعص الله.

ومن أحبّ الله راقب الله، من كذب على الله بعد من الله، ومن زاد في كتاب الله بريء من الله، ومن حاول أن يخمد حقّ الله أخمده الله، ومن نصر دين الله نصره الله على الأعداء، وجعل له الكلمة العليا.

وفي موضوع آخر: من زاد حرفاً في كتبي، أو قال على الأنبياء ما لم يقولوه، أو استهان بالموعظة وإن كان من الحسن قفلت على قلبه كالخراج[1] الذي لا يندى يكون حجاباً بينه وبين الإيمان.

وقال في موضوع آخر منه: من استحيى من الله كفاه الله، ومن استعان بغير الله أسلمه الله، ومن كذب على الله أو رسله ما لم يقل عذّبه الله عذاباً مهيناً.

وفي موضوع آخر منه: داود من كذب على الله أو على أحد من رسلي، أو تعامل بالرّبا، أو أفشى الزّنا، علّقته في النار، بأنياب حيّات كأنها البخات[2] تذيب اللّحم، وتمزّق الجلد، وتهري الأمعاء.

وقال في موضوع آخر: يا داود من قال عليّ أو على أحد من رسلي كذباً فقد باء بغضب. يا داود اعلم بأنّ الذي انقطع إليّ كفيته، ومن استنصرني نصرته.

---

(١) الخراج ـ بفتح الخاء وضمّها ـ: ما يخرج بالبدن من القروح.
● المعجم الوسيط: مادة: خرج.
(٢) البخات جمع مفرده البخت، وهي الإبل الخراسانية.
● المعجم الوسيط: مادة: بخت.

وقال في موضوع آخر: من حرّم حلالاً كان كمن أحلّ حراماً. ومن ادّعى في شيء[1] من كتبي ما لم أقله ليشبّه على النّاس ويجعله مضلّة لهم، فقد أشرك بي، وإن كان مؤمناً عند نفسه. مُر بني إسرائيل أن لا يخالفوا ما أنزلت وأن يأخذوا الأحكام من جميع الملل، فيأخذوا لكتابه وسنّة نبيّه. ومن تورّع أن يزيد في كتابي حرفاً، وقرأ كتبي على البصيرة والتقليد، جازيته الجنّة، التي جعلتها أمنية المتمنّي. يا داود لينتهينّ أناس ممّن يقولون عليّ ما لم أقل أو على أحد من رسلي، اسمع ما أقول وبلّغه: إنّه من لم ينته منهم، فلو جاءني بمثل الدنيا مائة ضعف ذهباً وفضّة ليفتدي به ما تقبّل منه خردلة، وكان مأواه النار وبئس المصير.

وقال في موضوع آخر في آخر الزّبور: من كذب عليّ[2] وعلى رسلي، أخزيته خزياً عظيماً، وأعددت له نار جهنّم خالداً فيها، ذلك الخزي العظيم.

وقال أيضاً في أول الزّبور في المزمور السّابع: ما انشغل قلب من عرفني حقّ معرفتي عن قاذورات الدّنيا، وعِزّتي ما جاء رسلي إلاّ بالحقّ.

ولو عرفتُ نبياً يقول عليّ ما لم أقل لجعلته عبرة للأنبياء والرسل، وجعلته حديثاً لأهل الدنيا.

قلت: ومصداقه عندنا في القرآن: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الآية[3].

وقال أيضاً في المزمور الثامن عشر: الأيمان الكاذبة تسوّد القلب وتظلمه من الهدى، والكذب ختم على الفؤاد.

---

(١) في (د): ومن ادّعى شيئاً في كتابي.
(٢) في (د): أو على رسلي.
(٣) الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦.
الوتين: عرق متّصل بالقلب يموت الإنسان إن قطع شرّ ميتة. وهو الشّريان الرّئيس الذي يغذي جسم الإنسان بالدّم النّقي الخارج من القلب. ويجمع الوتين على وتن، وأوتنة.
● المعجم الوسيط: مادة: وتن.

وقال أيضاً في موضوع آخر: بني إسرائيل، احكموا بما أنزلت، ولا تتعدوه. فإنّ قوماً تعمّدوا كتبي وأحكامي، وتأوّلوا تأويلات من رأيهم فضّلوا، وأضلّوا كثيراً. هكذا وجدته فإنّ قوماً تعمّدوا، ولعلّه تعدوا فصحّفه النّاسخ انتهى ما كتبناه من هذا الكتاب في الوعيد على الكذب وإنّما جعلناه مقدمة ليظنّ بالذي رآه وكتبه أن لا يتعمّد الجرأة على الكذب بعد أن رأى ما فيه من الوعيد الشديد، والله الموفق بفضله، والهادي لما فيه الرّشاد والتّسديد.

ولنرجع الآن إلى نقل ما جاء في التّبشير بالمصطفى سيّدنا محمد ﷺ من هذه النّسخة المعتمدة، فذكر فيها في المزمور السابع والثلاثين بعد كلام في قصة آدم عليه السلام، ولفظه: فلمّا كان يوم(١) من أيام اقترابه(٢) إنما جعلتها آخر نظرة له لأنّ محمّداً آخر النّبيين، تمّت له السعادة، فنظر فإذا بذكر حبيبي مكتوب على ساق عرشي. وكان آدم ملهماً/ خلقته بكلّ الإلهام، ٢١/و بالكتاب، والحساب، وجميع أعمال أهل الأرض، فلما قرأ ذكره، ظنّ الآدمي أنّي أشركت معه آخر في الجنّة فهو لم يسلم من الدّغل والمكر. أتسلموا(٣) يا بنيّط [كذا] وهو أطهر منكم. فقال باكياً: إلـٰهي ما هذا؟ فقلت: رجل من ذرّيتك أظهره على الدين كلّه، وعلى جميع الأديان، به يتمّ عمران الدنيا وعمران الآخرة، وبه خلقت الجنّات، وبه ابتدعت السّموات، ثم قلت: أين الحامدون؟ فجمعت بينه وبين ملائكة تصلّي عليه قبل أن أخلق آدم بألفي حول، ثم انصرف، وهو مستبشر، إلى الجنة.

قوله: فنظر فإذا بذكر حبيبي الضّمير في نظر يعود على آدم، وفي حبيبي يعود على محمد عليه السلام. والضمير في قوله ثم انصرف يعود على آدم عليه السّلام.

---

(١) في الأصل، و(د): كان يوماً.

(٢) الكلام غير متسق.

(٣) الجملة غير واضحة المعنى، وفي الأصل: أتسلموا يا بنيط، وهو أظهر منكم. وفي (د): أتسلموا يا بنية وهو أطهر منكم. وفي (ر): أتستسلموا يا بنيّط وهو أطهر منكم.

وقال في المزمور السّابع والمائة: محمد الممدوح الرفيع الدّرجة العزيز البرهان، العظيم الحجّة، المحمود المهمين، المصطفى الصادق، العزيز الطاهر، الذي خلق من شجرة طهر، الشديد البأس، فيما يسخطني، الذي يسبّحني وهو مستقر في الأرحام، والصحيح العزم، الواثق اليقين، الشديد الحرص على ديني، الذي لم تغلبه زهرة الدّنيا، وبهجتها، ففيه نور القمر والشمس. وأنتم يا معشر الأنبياء كالنّجوم[1] عنده، إذا[2] وقّرت السّحاب أكثر من طاقتها مطراً سألتني بحقّه، فخففت حملها، لولاه ما هبّطت[3] آدم إلى الأرض، ولا عمرت الدنيا. تدري من هو يا داود؟ هو فرع من فروع إبراهيم، به هلّ إبراهيم، وهلّ آدم. من كفر به فعليه لعنتي.

وسيخرج قوم[4] يدّعون الرهبانية، يمحون اسمه من كتبي. أو تدري يا داود دين أولئك الكفار؟ هذا من عقولهم، لأنّ الشّيطان واقع أمّهاتهم مع آبائهم، فأشركت نطفته مع نطفة آبائهم، فضلوا، وكفروا وأضلّوا كثيراً، وضلّوا عن سواء السّبيل. من آمن بمحمد فقد استمسك بالإيمان به، ومن كفر بمحمد فقد كفر بي وبكتبي، ومن آمن بالتّوراة والإنجيل والزّبور. ولم يفرّق بين شيء من كتبي أجزيته أجره مؤفّراً[5] وأنا العزيز الحكيم.

وقال في موضوع آخر: يا داود لم أجعل كتاب أحد من الأنبياء نظماً كما نظّمت كتاب صاحب التّوحيد الذي في آخر الدنيا، فيه البيان والشّفاء، وقد أنزلت عليكم معشر الأنبياء من بعضه، وجعلته كلاماً في كتبكم، إذا دبرّه العاقلون علموا أنّ الذي جاء به الأنبياء هو منّي وأنا قلته.

وفي آخر الزّبور: يا داود سيأتي من بعدك نبيّ يسمّي محمداً ﷺ

---

(١) في كل النّسخ المعتمدة: بالنجوم.

(٢) في (ر): «إذا» ساقطة.

(٣) في (ر): ما أهبطت.

(٤) في الأصل: قوماً.

(٥) في (د): موفوراً.

صادق النّية، لا أغضب عليه أبداً [ولا يعصيني أبداً][1] وقد غفرت له[2]، من قبل أن يعصيني ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وأعطيت أمّته من النّوافل ما أعطيت الأنبياء والرّسل، وفرضت عليهم الفرائض التي فُرضت على الرسل، حتّى يأتوني يوم القيامة نورهم نور الأنبياء. وذلك أنّي فرضت عليهم الصّلوات والوضوء للصلاة، ولم أفرضه إلاّ على الأنبياء من قبلهم، وأمرتهم بالحجّ كما أمرت الأنبياء والرسل.

يا داود فضّلت أمّة محمّد ﷺ كما فضّلت مُحمّداً ﷺ على جميع الأنبياء، لا آخذهم بالخطأ ما داموا يستغفرونني[3].

والثّانية ما قدّموا من أموالهم طيبة بها أنفسهم، أعجّل لهم الخلف أضعافاً مضاعفة، ولهم المدخور أضعافاً مضاعفة، وأعطيهم على المصائب والبلاء إذا صبروا: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[4] الصّلاة والرحمة والهدى إلى جنّات النّعيم، وأقول لهم: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[5] فإمّا ترون عاجلاً وإمّا أصرف عنكم شرّاً، وإمّا أدّخر لكم أجراً، وأقول لك يا داود أشهد عليّ من لقيني من أمّة محمد يشهد أن لا إلـه إلاّ الله واحداً[6] لا شريك لي صادقاً بها قلبه ولسانه فهو معي في جنّتي. ومن لقيني وهو مكذّب بمحمد ﷺ وردّ عليّ ما جاء [به][7] واستهزأ بشيء ممّا جاء به، صببت العذاب عليه صبّاً، وضربت الملائكة وجهه ودبره عند عند مسيره ـ يعني موته ـ ثم أدخلته الدّرك الأسفل من النار.

فهذه جملة كافية توجب مزيد حبّه ﷺ، لمن نوّر الله قلبه بالإيمان، وتحمله على حسن التّأسي والمتابعة فيلتحق بأهل العرفان.

---

(١) في (د) و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) في (د): لأنني قد غفرت له.
(٣) في الأصل: يستغفروني.
(٤) البقرة: ١٥٦.
(٥) غافر: ٦٠.
(٦) في الأصل: وحد.
(٧) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

قال عياض في الشّفاء: وقد وقع في كتب الأنبياء عليهم السلام[1]. قال داود عليه السلام: اللهم ابعث/ لنا محمداً مقيم السّنة[2] بعد الفترة[3]. قال: ومن أسمائه في الكتاب: المتوكّل، والمختار، ومقيم السّنة، والمقدس، وروح الحقّ، وهو معنى البارقليط في الإنجيل.

٢٢/ظ

وقال ثعلب: البارقليط: الذي يفرّق بين الحق والباطل. ومن أسمائه في الكتب السالفة: ماذماذ[4] ومعناه طيّب طيّب. وحمّطايا[5]، والخاتم، والحاتم حكاه كعب الأحبار.

فالخاتم[6] الذي ختم الأنبياء، والحاتم: أحسن الأنبياء خلقاً وخلقاً، ويسمّى بالسّريانية مشفّح، والمنحمنّا، واسمه أيضاً في التوراة أُحَيْد، روي ذلك عن ابن سيرين[7]، وصاحب[8] القضيب، أي السّيف، وقع ذلك مفسراً في الإنجيل، قال: معه قضيب من حديد[9] انتهى كلام عياض، رحمه الله[10].

---

(١) في الشفاء: بلا تسليم.
(٢) السّنة: الطريقة والشريعة والدّين. والفترة ـ بفتح الفاء ـ: انقطاع الوحي والرّسل، أو الفتور في الطاعة.
(٣) الشفاء: ٣١٧/١.
(٤) في الشفاء: ماذماذ ـ بسكون الذال.
(٥) حمّطايا، معناه: يمنع ما كان في الجاهلية من الأنكحة وغيرها من المحرمات، ويحمي الحرم.
(٦) في الشفاء: قال ثعلب: فالخاتم الذي ختم الله به الأنبياء.
(٧) ابن سيرين: أبو بكر محمد بن سيرين الأنصاري البصري، مولى أنس بن مالك، من سبي خالد بن الوليد، وأمّه صفية مولاة أبي بكر الصدّيق، كان فقيهاً إماماً، ثقة ثبتاً، غزير العلم، رأساً في الورع، علاّمة في تعبير الرؤيا توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ.
- أ ـ تذكرة الحفاظ: م٧٧/١، تر: ٧٤.
- ب ـ الأعلام: ٢٥/٧.
(٨) في الشفاء: ومعنى صاحب القضيب...
(٩) في الشفاء: يقاتل به، وأمته كذلك.
(١٠) الشفاء: [٣٢١/١ ـ ٣٢٢].

وقد سنح [لي][1] أن أذكر أبياتاً أختم بها هذه الجملة، أطبّ[2] بها قلبي، هي مختارة من كلام بعض أولياء الله، تُشوّق من له قلب، وتكسبه رقّة، مشتملة على وصايا وحكم، ولست ألتزم ذكرها كلّها على التّرتيب، وإنّما أذكر منها ما ينشرح له صدري [من الطويل]:

خليليّ مُنّا بالوقوف هنيهة ... أخصّكما منّي بأجزل منحة
أخصكما منّي بما إن علمتما ... به، لم تزالا في سرور وحبرة[3]
خذا[4] الآن عنّي ملء قلبي[5] من الهدى ... ولا تضربا عمّا طوته نصيحتي
فوالله لا قصّرت فيما أقوله ... ولا قلت إلاّ الحقّ، والحقّ شرعتي
أطيعا أطيعا الله ما دمتما معاً ... فما الفوز إلاّ للنّفوس المطيعة
وذلاّ له ـ علماً بما هو أهله ... من المجد والتّنزيه في كلّ فوّهة[6]
ولا تأنسا إلاّ به عزّ مجده ... وجلّ عن أوصاف الحدوث المحيلة
ومدّا يدي رغباكما واسلاّه لي ... تَيَسُّرَ قصدٍ لا يشان بعسرة
وها أنذا أدعوه جلّ جلاله ... فكونا ذوي حال إليه شفيعة
إلـٰهي إلـٰهي إنّ حمدك واجب ... عليّ فامددني إليه بقوّة
لك الحمد حمداً لا انتهاء لطوله ... على منن أوليتنيها فأولت

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) طبّ يطبّ ـ بكسر العين ـ طبّاً، وبه: ترفّق وتلطّف.
● المعجم الوسيط: مادة: طب.
(٣) الحبرة: السرور، ومنه قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥]. أي: يسرّون، ويُنعّمون ويكرمون، وحَبَرة: سرّه، وبابه نصر.
● مختار الصّحاح، مادة: حبر.
(٤) في الأصل: خذ.
(٥) في (د): قلب.
(٦) فوّهة: بتشديد الواو يقال اقعد على فوّهة الطريق، وجمعها أفواه، ومنه أفواه الأزقة والأنهار.
● مختار الصحاح: مادة: فوه.

وإن كنت لا أسْطيع[1] حمدك كلّه ... لوهن[2] بأركاني وضعف بقوّتي
فأحمدك اللهم حمداً أطيقه ... بمبلغ تمكيني وطاقة همّتي[3]
وغايتنا عجز عن الحمد مشعر ... بعزّة ذات المنعم المستحقّة
وأسألك اللهم نوراً يدلّني ... عليك وينمي العقل عن كل كبوة
وأسألك اللهم يا فاطر الورى ... لساناً له في الحق أوسع صولة
وأسألك اللهم نفساً بريئة ... من العرض الدّاعي إلى شرّ مثلة
وأسألك اللهمّ قلباً مطهّراً ... معاناً بأنوار الهدى المددية
وأسألك اللهم روحاً مجوهراً ... بقدس مجارات[4] الغيوب المزيدة
وأسألك اللهم سرّاً مطالعاً ... من الملأ الأعلى بأسرى سريّة
وأسألك اللهم صدراً مفاتحاً ... من الحضرة الكبرى بأهدى هدية
وأسألك اللهم أذناً سميعة ... لهاتفك الدّاعي بالأذن السّمعية
وأسألك اللهم عيناً بصيرة ... مكحّلة بالغضّ في أثر عبرة
وأسألك اللهم وجهاً موجّهاً ... إلى الحقّ إنّ الحق أشرف قبلة
وأسألك اللهم ذكراً مواصلاً ... وفكراً مصاناً في العلوم الجليلة
إلٰهي ذلّي بين خلقك ظاهر ... إلٰهي فمتّعني بنسك ورحمة
إلٰهي وخوفي من عقابك آخذ ... بقلبي فآمن من عقابك خيفتي/ ٢٣/و
وكيف لمثلي أن يقوم مناجياً ... وها أنا لم أترك ركوب الجريرة
ولم أتطّهر من ذنوبي ولم أبن ... دليلاً على توبي إليك وأوبتي
وما أنا إلاّ ذاهل القلب غافل ... وأجرأ مخلوق على كسب حوبة
ولكن عطاياك التي قد تقدّمت ... أقامت رجاء العبد من بعد قعدة
وحلّت لساني من عقال هناته ... وقد كان في قبر من الخوف مسكت

---

(١) في (د): لا أستطيع، والوزن لا يستقيم به.
(٢) في الأصل: لوهني.
(٣) في (د) و(ر): همّه.
(٤) في (د): بحارات بدل مجارات.

ومدّت بساط الأمن بعد انقباضه | فُرضتُ من الرّحمى بأوسع ظلّة[1]
وقدّمت يمين اليمن برقع خجلتي | فلم أتمالك أن صدعت بقصّة
وها أنا ذا يا باسط الرّزق واقف | ببابك أرجو أن تمنّ ببسطة
وما لي إلاّ أنت مولى وسيّد[2] | أذلّ له حيناً فيرحم ذلّتي[3]
وأنزل حاجاتي[4] به فيردّني | بحالة فوز لا بحالة خيبة[5]
وأسأله تفريج كربي فعندما | أريد إلى هدى[6] يفرّج كربتي
وألبس جلباب التملّق رغبة | فيمنحني قصدي ويونس غربتي
فمن أي وجه أو بأيّ وسيلة | أجيئك إلاّ بافتقار وعيلة
فإن رمت أن أثني بجهد قريحتي | فمجدك أعلى من ثناء قريحة
وكلّ الذي تلقيه ألسننا معاً | وتومي إليه من جلال وعزّة
فما هو إلاّ دون واجبك الذي | تقدّس عن درك[7] العقول الرشيدة
وما لحديث بالقديم إحاطة | ولم يك[8] بدّ من تلاش ودهشة
وما أخفت الأوهام من متخيل | فلست به بل غير ما هي أخفت
إلـٰهي كما أرشدتني وهديتني | لعجزي عن إدراك الصفات العظيمة

---

(١) في الأصل: فرضت من الرّحماء بأوسع صلة.
وفي (ر): فرضت من الرحمان بأوسع ضلة.
الظّلّة: ما أظلك من شجر وغيره.
● المعجم الوسيط: مادة: ظل.
(٢) في الأصل: مولاي، وفي (ر): مولى وسيداً، وفي (د): مولى وسيدي.
(٣) في (ر): غربة.
(٤) في الأصل، و(ر): حاجتي، والوزن بالإفراد لا يستقيم.
(٥) الأصل: لا بحالة ذيلة.
(٦) في (د) و(ر): إلى هذا.
(٧) الدرك ـ بفتح الراء وسكونها ـ اسم مصدر من الإدراك، وفي التنزيل العزيز: ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧].
● المعجم الوسيط: مادة: درك.
(٨) في الأصل: يكن ـ ولا يستقيم الوزن بذلك.

ووفّقني للعلم بالقدم الذي إذا استكشفته النفس بالجدّ[1] جدّت
فلا ترجعنّي خائباً منك يائساً بحال انكسار والأسى ملء عيبتي
إلـٰهي إذا لاحظت نفسي وضعفها تلاشت لدى علمي[2] وبؤت بخجلة
إذا كان قوم يفخرون بكونهم عبيد العبدان ضعاف أذلّة
فحقّ لمثلي أن يصحّ افتخاره وهل أنا إلاّ عبد مولى الخليقة
إلـٰهي تحققت ايتلاف جواهري وتركيبها ما بين ماء وتربة
وأيقنت أنّي ميّت وابن ميّت وما أنا إلاّ من ثرى أي حفنة
فأسألك اللّهم أن لا تضيّعني وأن تتولاّني بحفظ وعصمة
وظني أنّي لم أكن لك راجياً ولا سائلاً إيّاك تيسير بغية
ولا آملاً إلاّ لتعطيني الذي سألتكه فامنن به من عطية
إلـٰهي قد صوّرتني وخلقتني فأكملت تصويري وأحسنت خلقتي
وعلّمتني من غير ما طلب له وأيّدتني بالعقل أسّ عقيدة
وألبست قلبي نور توحيدك الذي به الفوز في يوم الرّدى والخصومة
وفتّحت لي باب المعاش فنلت من أفانينه ما شئت دون مشقة
وذلك رفق منك بي وتلطّف بنفسي التي لو نوقشت لاضمحلّت/ ٢٤/ظ
إلـٰهي كما أوجدتني وهديتني وقارنت بالنُّعمى[3] الجسيمة بدأتي
كذلك حطني باقي العمر واكفني أذى الخلق واقطع في سبيلك مدّتي
ولا تهملنّي في حياتي وإنّني لأعظم فقراً يوم أدخل حفرتي
إلـٰهي هب لي الأنس بالذكر دائماً ولا تحرمنّي ذوق أهل المحبّة
إلـٰهي قد أدخلتني حضرة العلى وأسكنتني منها بأشرف قبّة
وجرّعتني من صفو حبّك قهوة طفقت بها أستلّ صارم نخوة
وأقطفتني ريحانة الأنس وانتهت أكفّ معاريجي إلى حيث كفّت

---

(١) في الأصل: بالخد بدل بالجدّ.
(٢) في (ر): لدى علم وبؤت بخجلتي.
(٣) في الأصل: بالنّعماء ـ والوزن لا يستقيم بذلك.

تلاشت لديّ الكائنات بأسرها ... ولم ألتفتها راعياً شرط غيرة
إلٰهي أدم علمي بكوني عاجزاً ... عن العلم وأعدل بي عن أهل التّمقّت
ولا تجزينّي[1] بالذي أنا أهله ... ولا تمتحنّي بعد صدق بردّة
وصلّ على المختار من آل هاشم ... محمّد المهدي إلى خير أمّة
أتمّ الورى جاهاً وأسطعهم سنا ... فأحسن بمرأى الصفحة القرشية
سراج الهدى سرّ الخليقة والذي ... به انتهجت سبل الرشاد وأمّت
وبين يديه أظهر الحقّ دينه ... وقطّع أسباب الدعاوي المخلّة[2]
وأحيى رسوم الحقّ بعد عفائها ... وأبدى عواري النّحلة الوثنية
أقام على الدين البراهين فاهتدت ... به أنفس لولا هداه لضلّت
وجاء بآيات تبيّن صدقه ... وكم آية بانت عليه ودلّت
فمن قمر ينشقّ نصفين جرمه ... ومن إصبع جادت بماء وروّت
ومن حجر أضحى عليه مسلّماً ... ومن سرحة حنّت إليه وظبية
ومن بضعة مشوية صرخت له ... بما قد طوته من ردى وأكنّت
ومن جرم عين عاد بعد سقوطه ... إلى هيئة خُصّت بأملح نظرة
وحسبك بالأنوار[3] فهو أتمّها ... دليلاً على أنواره النّبوية
وأسألك اللهم إكرام صحبه ... فهم لرسول الله أكرم عِشرة
تولّوه إذ فرّ العداة وأدبروا ... ولم يعبأوا في الذّبّ عنه بلومة
وكانوا له ردءاً على كلّ كافر ... وقاعدة في سبله المستقيمة
ودار على أتباعهم فلك الرّضا ... ورىء لهم في الفوز أوضح غرّة
وما أجدر الإنسان بالصّمت هاهنا ... وقبض عنان الحرف خوف المعرّة

---

(١) في الأصل: ولا تجزني. . .

(٢) في (د): المجلة ـ بالجيم ـ.

(٣) يبدو أن القصيدة لأبي زيد عبدالرحمٰن الثعالبي، ففي هذا البيت إشارة إلى هذا الكتاب «الأنوار» الذي نحن نعيش فيه، ونسعى جاهدين لتحقيقه ودراسته وإخراجه إلى عالم النور والظهور بحول الله تعالى وقوته.

باب جامع لجمل من آيات نبوته ﷺ

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق من حديث عبدالله بن سلام وإسلامه، وقد خرّجه الأئمة وهو حديث صحيح.

قال ابن إسحاق: وكان من حديث عبدالله بن سلام كما حدثني بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم، وكان حبراً عالماً، قال: لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته، واسمه، وزمانه الذي كنّا نتوكّف[1] له، فكنت مسرّاً لذلك، صامتاً عليه، حتّى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما نزل بقباء، في بني عمرو بن عوف، أقبل رجل حتّى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل/ فيها، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة. فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبّرت، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خيّبك الله! والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت! قال: فقلت لها: أي عمة، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بعث بما بعث به، قال: فقالت: أي ابن أخي، أهو النّبي الذي كنا نُخبر أنّه يُبعث مع نفس السّاعة؟ قال: قلت لها: نعم. فقالت: فذاك إذن. قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت، ثم رجعت إلى أهلي، فأمرتهم فأسلموا. قال: وكتمت إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إنّ يهود قوم بهت[2]، وإنّي أحبّ أن تدخلني في بعض بيوتك، فتغيّبني عنهم، ثم تسألهم عنّي، حتّى يخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنّهم إن علموا به بهتوني وعابوني. قال: فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه، فكلّموه وسألوه، ثم قال لهم: أيّ رجل الحصين بن سلام فيكم؟ فقالوا: سيّدنا وابن سيدنا، وحبرنا، وعالمنا. قال: فلما فرغوا من قولهم، خرجت عليهم، فقلت: يا معشر يهود، اتّقوا الله ربّكم، واقبلوا ما جاءكم [به][3]، فوالله إنكم لتعلمون

٢٥/و

---

(١) نتوكّف له: نتوقّع ونسأل ونترقّب.

(٢) البهت: الباطل، أي هم يقذفون بالباطل.

(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

أنّه رسول الله ﷺ، تجدونه مكتوباً عندكم في التّوراة باسمه وصفته، فإنّي أشهد أنّه رسول الله، وأؤمن به، وأصدّقه وأعرفه؛ فقالوا: كذبت، ثم وقعوا بي. قال: فقلت لرسول الله ﷺ:ألم أخبرك يا نبي الله أنهم قوم بهت، أهل غدر وكذب وفجور!

قال: وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمّتي خالدة بنت الحارث، فحسن إسلامها.

قال ابن إسحاق: وكان من حديث مخيرق، وكان حبراً عالماً، وكان رجلاً غنيّاً كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته، وما يجد عنده في علمه، وغلب عليه إلف دينه، فلم يزل على ذلك، حتّى إذا كان يوم أحد، وكان يوم أحد(١) يوم السبت، قال: يا معشر يهود، والله إنكم لتعلمون أنّ نصر محمد عليكم لحقّ، قالوا: إنّ اليوم يوم السبت. قال: لا سبت لكم. ثم أخذ سلاحه، فخرج حتّى أتى رسول الله ﷺ وأصحابه [بأحد](٢) وعهد إلى من وراءه من قومه: إن قُتلت هذا اليوم، فأموالي لمحمّد يصنع فيها ما أراه الله سبحانه. فلما اقتتل النّاس، قاتل حتّى قتل، فكان رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ يقول: مخيرق خير يهود. وقبض رسول الله ﷺ أمواله، فعامّة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي بكر(٣) قال: حُدّثت عن صفية بنت(٤) حيي رضي الله عنها أنها قالت: كنت أحبّ ولد أبي إليه وإلى

---

(١) وقعت غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة، وفي يوم السبت السّابع من شوال.

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: ابن محمد بن عمرو بن حزم.

(٤) صفية أمّ المؤمنين: صفية بنت حيي بن أخطب من نسل هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام كانت تحت سلام بن مشكم، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق المقتول يوم خيبر، فأصبحت من السّبي، فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوّجها، وكان صداقها عتقها، وعمرها سبع عشرة سنة توفيت في خلافة معاوية عام ٥٢، رضي الله عنها.
● الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: ٣٤٦/٤ ـ ٣٤٨، تر: ٦٥٠.

عمّي أبي ياسر بن أخطب لم ألقهما قط مع ولد لهما إلاّ أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء، في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حييّ بن أخطب وعمّي أبو ياسر بن أخطب مغلّسين. قالت: فلم يرجعا حتّى كان مع غروب الشّمس قالت: فأتيا كالّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى.

قالت: فهششت إليهما - كما كنت أصنع - فوالله ما التفت إليّ واحد منهما، مع ما بهما من الغمّ. قالت: فسمعت عمّي، أبا ياسر، وهو يقول لأبي حييّ بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: تعرفه وتثبته؟ قال: نعم؛ قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت[1].

قلت: فكان عدوّ الله ممّن يسعى في إطفاء نور الله، وحزّب الأحزاب إلى أن قتله النّبي ﷺ صبراً.

قال ابن إسحاق: ولمّا أسلم عبدالله بن سلام وثعلبة[2] بن سعية، وأسيد[3] بن سعية وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم، فآمنوا وصدّقوا ورغبوا في الإسلام، ورسخوا فيه.

قالت أحبار يهود، أهل الكفر منهم والحسد: ما آمن بمحمد ولا اتّبعه

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: م١/٢/٥١٨ - ٥١٩، وبينهما خلاف.

(٢) ثعلبة بن سعية، ممّن أسلم من اليهود بسبب العالم الحبر ابن الهيبان الذي أخبر اليهود بظهور محمد ﷺ، وأمرهم باتّباعه.
- الإصابة: ١/١٩٩، تر: ٩٣٨.

(٣) أسد بن سعية القرضي، وقيل: أسيد - بالتصغير - أسلم هو وأسد بن عبيد القرضي، فقالت اليهود: ما أتى محمداً إلاّ شرارنا فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤].
- الإصابة: ١/٣٣، تر: ١٠٠.

٢٦/ظ إلاّ أشرارنا[١] فأنزل الله في ذلك/: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ [يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ]﴾[٢].

وذكر ابن إسحاق عن عبدالله بن صوريا[٣] وهو أعلم اليهود بالتوراة أنه قال للنبي ﷺ: أما والله يا أبا القاسم إنّ اليهود ليعلمون[٤] أنّك نبي مرسل ولكنّهم يحسدونك[٥].

قال ابن القطان: وعن سعيد بن جبير[٦] أنّه قال: جاء ميمون بن يامين إلى النّبي ﷺ، وكان رأس اليهود بالمدينة ـ فأسلم، وقال: يا رسول الله، ابعث إليهم فاجعل بينك وبينهم حكماً من أنفسهم، فإنّهم سيرضون بي، فبعث إليهم، وحكّمه، فرضوا بميمون فأخرجه إليهم، فبهتوه، وسبّوه، كقصّة عبدالله بن سلام ذكر هذا ابن فتحون[٧].

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك قوله: . . .

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين غير وارد.
- أ ـ السيرة النبوية لابن هشام: م١/٥٥٧.
- ب ـ آل عمران: ١١٣.

(٣) في (د) و(ر): صورى.

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: إنّهم ليعرفون أنك لنبي. . .

(٥) ● السيرة النبوية لابن هشام: م١/٥٦٥.

(٦) سعيد بن جبير: أبو عبدالله الأسدي ولاء، الحبشي أصلاً، التّابعي الكوفي، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر. وكان ابن عباس إذا جاءه أهل الكوفة يستفتونه قال: أتسألونني وفيكم ابن أمّ دهماء؟ يعني سعيداً. قتله الحجّاج بواسط عام ٩٥ .قال ابن حنبل: قتل الحجاج سعيداً وما على الأرض أحد إلاّ وهو مفتقر إلى علمه.
- أ ـ تذكرة الحفّاظ: ١/٧٦، تر: ٧٣.
- ب ـ الأعلام: ٣/١٤٥.

(٧) ابن فتحون: أبو عثمان سعيد بن فتحون السرقسطي، له أدب وعلم، وله حظ من علوم الفلسفة يُعرف بالحمار. امتحن من قبل المنصور بن أبي عامر فسجن، ثم أطلق، فاستوطن صقلية إلى أن مات.
- أ ـ بغية الوعاة، للسيوطي: ١/٥٨٦، تر: ١٢٣٢.
- ب ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص٢٣٣، تر: ٤٧٨، لأبي عبدالله محمد الحميدي [ت: ٤٨٨]، الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل العرب، القاهرة.

قال ابن إسحاق: بلغني أنّ رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم، كلّما[1] مات رئيس منهم وأفضت[2] الرّئاسة إلى غيره، ختم على تلك الكتب مع الخواتم التي قبله ولم يكسرها، فخرج الرئيس الذي كان على عهد رسول[3] الله ﷺ يمشي فعثر، فقال له ابنه: تعس هذا[4] يريد النّبي ﷺ. فقال له أبوه: لا تفعل فإنّه نبيّ، واسمه في الوضائع، يعني الكتب. فلما مات لم يكن لابنه همّ[5] إلاّ أن كسر الخواتم، فوجد فيها اسم النبي ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه. وحج وهو الذي يقول [من الرجز]:

إليك تعدو قلقاً وضينها[6] معترضاً في بطنها جنينها
مخالفاً دين النّصارى دينها[7]

قال ابن القطان: وعن محمد بن حسين[8] بن علي، أنّ سعد[9] بن أبي وقّاص رضي الله عنه لما فتح حلوان العراق، خرج المسلمون وفيهم رجل من الأنصار يقال له: جعونة[10] بن نضلة فمرّ بشعب وقد حضرت

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: فكلما.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: فأفضت.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: النبي.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: تعس الأبعد.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: همّة إلاّ أن شدّ فكسر...
(٦) الوضين: الحزام، حزام النّاقة.
(٧) ● السيرة النبوية لابن هشام: م١/٥٧٤.
(٨) في الإصابة: محمد بن حسن بن علي بن أبي طالب.
● الإصابة: ٢٣٩/١، ١١٧٠.
(٩) سعد بن أبي وقّاص: أبو إسحاق القرشي الزّهري الصّحابي الأمير، فاتح العراق، ومدائن كسرى، أسلم وعمره ١٧ سنة، شهد بدراً، وافتتح القادسية، له في كتب الحديث ٢٧١ حديثاً، توفي سنة ٥٥، رضي الله عنه.
● أ ـ الإصابة: ٣٣/٢ ـ ٣٤، تر: ٣١٩٤.
● ب ـ الأعلام: ١٣٧/٣ ـ ١٣٨.
(١٠) جعونة بن نضيلة الأنصاري، له ذكر في الفتوح.
● الإصابة: ٢٣٩/١، تر: ١١٧٠.

الصلاة، فإذا هو بماء فقال: لو نزلت وتوضّأت وصلّيت، ففعل، فنزل وتوضأ[(١)]، ثم أخذ بعنان فرسه فصعد على صخرة فقال: الله أكبر، الله أكبر، فناداه مناد من الجبل، كبّرت كبيراً، فقال: أشهد أن لا إلـه إلاّ الله، فقال: أخلصت. فنظر إلى ذروة الجبل، ولابتيه[(٢)]، فلم ير شيئاً، فاجتثّ فرقاً، ثم قال: حيّ على الصلاة، فقال: فريضة وضعت، فرفع رأسه ونظر إلى ذروة الجبل ولابتيه، فلم ير شيئاً. فقال: حي على الفلاح، فقال: أفلح من أجاب بها، واستجاب لها، فناداه جعونة من أنت؟ وما أنت؟ فأشرف عليه رجل شديد بياض الرّأس واللّحية، من كهف فقال: ما أنت؟ أإنسيّ أم جنيّ؟ قال: بل إنسيّ، أنا زريب بن برثملا، من حواري عيسى بن مريم على محمد وعليه السّلام، أشهد أن لا إلـه إلاّ الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله، الذي جاء بالحقّ من عند الحقّ، وأنّه الذي بشّر به موسى في التّوراة، وعيسى في الإنجيل، ولقد أردت الوصول إليه، فحالت بيني وبينه فارس، اقرأوا صاحبكم منّي السّلام، يعني - عمر بن الخطاب - رضي الله عنه، فأخبر سعداً، فكتب به إلى عمر رضي الله عنه، فكتب عمر بالبحث عنه، وتوجيهه إليه، فطلب في كل شعب فلم يوجد.

فصل

قال أبو سعيد النّيسابوري وغيره: روي عن وهب بن منبّه أنّه قال: خرج إبراهيم عليه السلام يوماً، يرتاد لماشيته الكلأ في جبال إيليا[(٣)]، فبينما هو في بعض تلك الجبال، إذ سمع صوتاً يقدّس [الله][(٤)] ويهلّله، ويمجدّه،

(١) في (د): فتوضأ.

(٢) لابتيه: اللابة: الحرّ من الأرض، وهي الأرض ذات الحجارة السّود.
ولابتا المدينة: حرّتان تكتنفانها، وفي الحديث أنّه ﷺ حرّم ما بين لابتي المدينة.
● المعجم الوسيط: مادة: لاب.

(٣) إيليا: اسم مدينة بيت المقدس. بالعبرية، وقيل: معناه بيت الله.
● مراصد الاطلاع: ١/١٣٨.

(٤) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

ويسبّحه ويكبّره، فذهل عن ما كان يطلبه، وقصَدَ نحو الصّوت، فإذا هو برجل، طوله ثمانية عشر ذراعاً بذراع ذلك القرن. فقال له إبراهيم ـ عليه السلام ـ: السلام عليك يا عبدالله. قال: وعليك السّلام. قال إبراهيم: من ربّك؟ قال: ربّ السماء والأرض، وهو ربّ من فيهما، ومن تحتها وخالق كلّ شيء ومصوّره، والقادر عليه، تبارك وتعالى، لا إلـٰه إلاّ هو، وحده لا شريك له. زاد ابن القطان: وأنّ إبراهيم عليه السلام: اجتاز معه على الوادي إلى مغارته ماشيين على الماء، وأنّه رأى قبلته في مغارته، هي قبلة إبراهيم عليه السلام بعينها. فقال له إبراهيم: يا عبدالله أيّ الأيّام أشدّ هولاً وأعظم؟ قال له الرجل: يوم الدّين، يوم يضع الله [عزّ وجلّ][1] كرسيه للحساب، ثم يأمر جهنّم في ذلك اليوم فتزفر زفرة فلا يبقى ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل، إلاّ خرّ لوجهه صعقاً، تهمّه/ نفسه غير النبي العربي، صاحب الرّداء والإزار، والسّوط، والعصا، والبعير، والحمار، والفرس. فقال له إبراهيم: من تعني؟ فقال: أعني نبياً، بينك وبينه زمن بعيد، ذلك خير الأنبياء والرسل، خاتم الأنبياء. اسمه أحمد، ومحمد، ومحمود، وبارقليط، يفرّق بين الحقّ [والباطل][1]، وأمين وصادق، له أسماء كثيرة لا يضرب بسيفه ولا بسوطه ولا بعصاه إلاّ في سبيل الله، يظهر التّوحيد في الأرض، ويكثر في زمانه ويفشو[2]، أمته الحمّادون، أمته خير أمّة أخرجت للناس، قال إبراهيم: فهل لك يا عبدالله أن تدعو لي ولك، ولعلّ الله ينجّيني وإيّاك من هول يوم القيامة؟ فقال له الرجل: وما تصنع بدعائي، ولي في السماء دعوة محبوسة منذ زمان. قال له إبراهيم: أفلا أخبرك ما حبس دعوتك في السماء؟ ٢٧/و

قال الرجل: بلى فأخبرني. قال له إبراهيم عليه السلام: فإنّ الله تعالى إذا أحبّ عبداً حبس حاجته مع دعوته لحبّه إيّاه، ولصوته ودعائه. ثم جعل له على كل مسألة سألها دخراً لا يخطر الدّخر على قلب بشر، ويغفر له من الذّنوب بقدر دعائه، أو يدفع عنه من السوء مثل دعائه. وربّما عجّل للمؤمن

---

(١) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

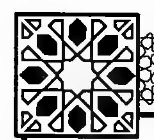
(٢) في (د): ويسمو، أمّته الحمّادون، ويفشوها في الأرض...

من بعض حاجاته لكي لا يقنط. وإذا أبغض الله العبد عجّل له قضاء حاجته، أو ألقى اليأس في صدره، فيقنطه فلا يدعو ربّه. فأخبرني ما دعوتك المحبوسة في السّماء منذ زمان؟ قال له الرجل: مرّ بي هاهنا رجل شابّ لم أر رجلاً أحسن منه، ولا أبهى، وإنّ فيك لشبهاً منه، ومعه غنم يرعاها، كأنما حشيت بالشحم، وبقر كأنّما دهنت بالدّهن. فقلت له يا عبدالله: لمن هذه[1] الغنم والبقر؟ فقال: لإبراهيم خليل الرّحمن عزَّ وجلَّ.

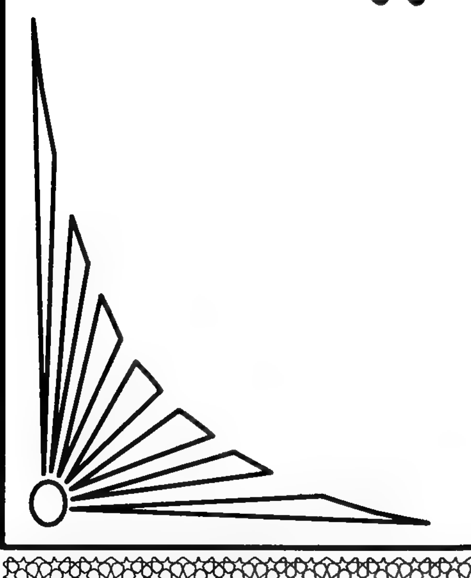
فقلت: اللهم إن كان لك في الأرض خليل فأرنيه قبل خروجي من الدنيا؟ فقال له إبراهيم [عليه السلام][2]: يا عبدالله، قد أجيبت دعوتك، أنا إبراهيم خليل الرحمٰن، فعانقه الرجل، فكان إبراهيم عليه السلام أوّل من عانق.



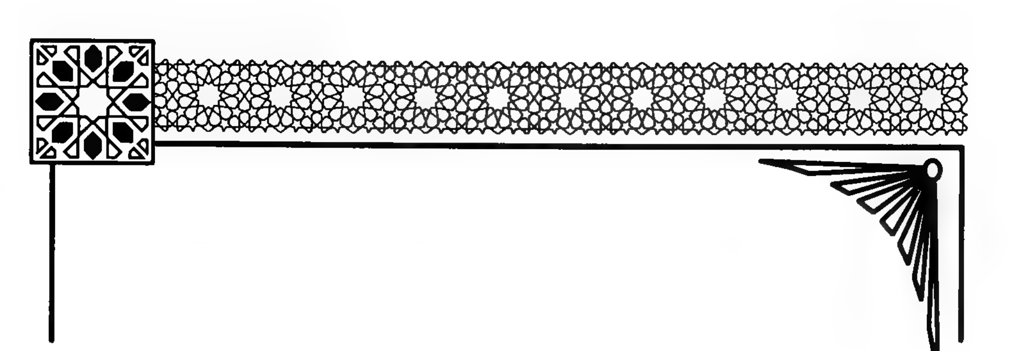
(١) في الأصل: هذا الغنم..
الغنم: القطيع من المعز والضّأن، لا واحد له من لفظه جمع أغنام وغنوم.
● المعجم الوسيط: مادة: غنم.
وفي المختار من صحاح اللغة: الغنم: اسم مؤنث موضوع للجنس يقع على الذكور والإناث. مادة: غنم.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في الأصل.



كتاب مولد النبي[1] ﷺ
سيد البشر، ما أفل كوكب وظهر،
وما ورد من التبشير بوجوده السعيد، ويمنه الرشيد،
وسوابق ذلك ولواحقه.



(١) في (د) و(ر): سيدنا محمد ﷺ.



قال ابن إسحاق: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول عام الفيل[١]. قال السّهيلي: هذا[٢] هو المعروف[٣].

قال ابن إسحاق: حدّثني صالح[٤] بن عبدالرحمٰن بن عوف عن يحيى بن عبدالله بن عبدالرحمٰن بن سعد بن زرارة الأنصاري، قال: حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان[٥] بن ثابت رضي الله عنه[٦] قال: والله إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كلّ ما سمعت، إذ سمعت يهودياً يصرخ[٧] على أطمة

(١) السيرة النبوية لابن هشام: م١/١٥٨.
(٢) في الروض الأنف: وهو المعروف.
(٣) الروض الأنف: ٢/١٥٨.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: حدثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمٰن بن عوف.
(٥) حسّان بن ثابت: أبو الوليد حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو الأنصاري، شاعر الرسول ﷺ. انتدبه لهجو المشركين مع كعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة. وكان حسّان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر الدعوة أيام النّبوة، وشاعر اليمن في الإسلام، توفي وهو ابن مائة وعشرين سنة، سنة ٥٤هـ في خلافة معاوية.
● الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر: ١/٣٤١ ـ ٣٥١، تر: ٥٠٧.
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: بلا ترضية.
(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: بأعلى صوته على أطمة...

بيثرب[1]: يا معشر يهود، حتّى إذا اجتمعوا إليه، قالوا[2]: ويلك! ما لك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد فيه[3] [أي في زمانه][4].

قال ابن القطان: ومن آياته ﷺ، في هذا الباب، ما ذكر أنّ خليفة والد أبي سويد قال: سألت محمد بن عدي بن أبي ربيعة، كيف سمّاك أبوك محمداً؟ قال: سألت أبي عن مّا سألتني عنه فقال: كنت رابع أربعة من بني غنم أنا فيهم وسفيان بن مجاشع بن جوير وأمامة بن هند بن خندف ويزيد بن ربيعة، نريد ابن جفنة ملك غسّان، فلّما شارفنا الشّام، نزلنا على غدير فيه شجرات. وقربه شخص نائم، فتحدّثنا، فاستمع كلامنا، فأشرف علينا، فقال: إنّ هذه لغة، ما هي لغة هذه البلاد؟ فقلنا: نحن قوم من مضر. فقال: من أي المضر؟ فقلنا: من خندف. قال: إنّه يبعث فيكم خاتم النّبيّين، فسارعوا إليه، وخذوا بحظكم منه ترشدوا قلنا: ما اسمه؟ قال: محمد. فرجعنا، فولد لكل واحد منا ابن سماه محمداً.

قلت: وقد ذكر السّهيلي أصل الحكاية عن ابن فورك[5]. وقد

---

(١) في (د) و(ر): على أطمة يثرب.
● أطمة: يقال تأطم السيل إذا ارتفعت أمواجه، والأطم ـ بسكون الطاء وضمها ـ: الحصن، والبيت المرتفع. وكلّ شيء علا، وغلب فقد طمّ ـ من باب ردّ ـ يقال فوق كل طامّة طامّة، ومنه سميت القيامة طامّة.
● مختار الصحاح: مادة: طمّ.

(٢) في السّيرة النبوية لابن هشام: قالوا له: . . .

(٣) السّيرة النبوية لابن هشام: ولد به. م١٥٩/١.

(٤) ما بين الحاصرتين كتب على الهامش من الأصل، وغير وارد في (د) و(ر).

(٥) ● الروض الأنف: ١٥١/٢ ـ ١٥٢.
● ابن فورك: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، شيخ المتكلمين، الأديب، النحوي، الأصولي، الواعظ، بلغت مصنّفاته في أصول الفقه، والدّين ومعاني القرآن، وغيرها قريباً من مائة. توفي سنة ٤٠٦هـ.
● أ ـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ١٢٧/٤.
● ب ـ الأعلام للزركلي، ٣١٣/٦.

استوفاها أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم[1] الكلاعي في كتابه **«الاكتفاء»** كما نقلها ابن القطان.

قال عياض **«في الشفاء»** وسمّى الله [تعالى][2] نبيّه ﷺ في كتابه محمداً، وأحمد. فأمّا اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد. ومحمد مفعّل من كثرة الحمد، وسمّى أمّته في كتب[3] الأنبياء بالحمّادين.

ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه سبحانه[4]، وبدائع آياته[5]، إنّه سبحانه حمى أن يتسمّى بهما أحد/ قبل زمانه، أمّا أحمد الذي في الكتب[6]، وبشّرت به الأنبياء فمنع[7] سبحانه أن يتسمّى به أحد غيره، حتّى لا يدخل بذلك لبس على ضعيف القلب. وكذلك محمد أيضاً لم يتّسم به[8] أحد من العرب، ولا غيرهم، إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاده أنّ نبيّاً يُبعث اسمه محمّد، فسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك، رجاء أن يكون أحدهم هو[9]. وهم:

٢٨/ظ

محمد بن أحيحة[10] الأوسي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، ومحمد بن براء[11] البكري، ومحمد بن سفيان [بن مجاشع، ومحمد بن

---

(١) في (ر): سليمان بن موسى الكلاعي.
(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٣) في (د): في كتاب أنبيائه بالحمادين.
(٤) في الشفاء: «سبحانه» غير وارد.
(٥) في الشفاء: فنّ آخر، وهو أنّ الله جلّ اسمه حمى أن يسمّى بهما أحد...
(٦) في الأصل: في الكتاب.
(٧) في الشفاء: فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمّى به أحد غيره، ولا يُدعى به مدعوّ قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شكّ.
(٨) في الشفاء: لم يسمّ به.
(٩) في الشفاء: والله أعلم حيث يجعل رسالاته.
(١٠) في الشفاء: أحيحة بن الحلاج...
(١١) في (ر): محمد بن البكريّ.

حمران الجعفي ومحمد بن خزاعيّ السّلمي، لا سابع لهم. ويقال: أول من تسمّى بمحمّد محمد بن سفيان. واليمن تقول: بل محمد بن اليحمد من الأزد. ثم حمى الله كلّ من تسمّى به أن يدّعى النبوّة أو يدعيها أحد له، أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً في أمره، حتّى تحققت السّمتان له ﷺ، ولم ينازع فيهما][1] انتهى كلام عياض.

تنبيه: روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه قال: لا تسمّوا أولادكم محمداً، ثم تلعنوهم، رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين[2]. فهذا حديث صحيح ينبغي على سبيل الأدب العمل بحسبه، صيانة ورعيا لحرمة الاسم الشريف.

قال السّهيلي في الروض الأنف: أمّا محمد فهو[3] منقول من الصفة. فالمحمّد في اللغة هو الذي يحمد حمداً بعد حمد، ولا يكون مفعَّل مثل مضرّب، وممدّح إلاّ لمن تكرّر منه[4] الفعل مرّة بعد مرة [أخرى][5].

وأمّا أحمد ـ وهو[6] اسمه عليه السلام الذي يسمّى به على لسان عيسى[7] وموسى عليهما السلام ـ فإنه منقول أيضاً من الصّفة التي معناها التفضيل. فمعنى أحمد أنّه[8] أحمد الحامدين لربّه، وكذلك هو[9] في المعنى، لأنّه تفتح عليه في المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله،

---

(١) ما بين الحاصرتين أخذناه من الشفاء، لأنّ كتاب الأنوار فيه نقص.
● الشفاء: ٣١١/١ ـ ٣١٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣٢٥/٤، رقم: ١١٧/٧٧٩٥، كتاب الأدب، ونصّ الحديث فيه: تسمّون أولادكم محمداً ثم تلعنونهم.

(٣) في الروض الأنف: أما محمد ـ وهذا الاسم منقول...

(٤) في الروض الأنف: فيه.

(٥) في (د) و(ر) والشفاء: ما بين الحاصرتين ناقص.

(٦) في الروض الأنف: فهو اسمه ﷺ الذي سمّي به...

(٧) في (د): تقديم موسى على عيسى عليهما السلام.

(٨) في الروض الأنف: أي.

(٩) في الروض الأنف: هو المعنى.

فيحمد ربّه بها؛ وكذلك[١] يعقد له لواء الحمد.

وأمّا محمّد فمنقول من صفة أيضاً، وهو في معنى محمود، لكن فيه معنى المبالغة والتكرار. فالحمد[٢] هو الذي حُمِد مرّة بعد مرّة. كما أن المكرّم من أكرم مرّة بعد مرّة[٣].

فاسم محمد ﷺ مطابق لمعناه. والله سبحانه[٤] سمّاه به قبل أن يسمّى به نفسه، فهو علم من أعلام نبوّته ﷺ، إذ كان اسمه صادقاً عليه فهو محمود[٥] في الدّنيا بما هُدي له ونفع به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشّفاعة، فقد تكرّر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ، ثم إنّه لم يكن محمّداً حتّى كان أحمد، حُمّد ربّه فنبأه وشرّفه، فلذلك تقدّم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمّد فذكره عيسى[٦] فقال: اسمه أحمد، وذكره موسى حين قال له ربّه: تلك أمّة أحمد، فقال: اللّهم اجعلني من أمّة أحمد، فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمّد؛ لأنّ حمده لربّه كان قبل حمد النّاس له، فلما وجد وبعث، كان محمداً بالفعل. وكذلك في الشّفاعة يحمد ربّه بالمحامد التي يفتحها الله[٧] عليه، فيكون أحمد الحامدين لربّه، ثم يشفّع فيُحمد على شفاعته. فانظر: كيف ترتّب هذا الاسم [قبل الاسم][٨] الآخر في الذكر والوجود، وفي الدينا والآخرة تلح لك الحكمة الإلـٰهية في تخصيصه بهذين الاسمين، الشريفين[٩]. وانظر: كيف أنزلت[١٠] سورة الحمد، وخصّ بها دون سائر الأنبياء، وخصّ بلواء الحمد، وخصّ بالمقام المحمود، وانظر:

---

(١) في الروض الأنف: ولذلك...

(٢) في (ر): فأمّا المحمّد...

(٣) في الروض الأنف: وكذلك الممدّح، ونحو ذلك، فاسم محمد مطابق...

(٤) في الروض الأنف: سبحانه وتعالى...

(٥) في الروض الأنف: فهو محمود السلام في الدنيا. وفي (د): فهو محمود بالدنيا.

(٦) في الروض الأنف: ﷺ.

(٧) في الروض الأنف: يفتحها عليه.

(٨) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٩) في الروض الأنف: الشريفين غير وارد.

(١٠) في الروض الأنف: أنزلت عليه سورة...

كيف شرع لنا سنّة وقرآناً أن نقول عند اختتام الأفعال، وانقضاء الأمور: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾. قال الله سبحانه[1]: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[3]. تنبيهاً لنا على أنّ الحمد مشروع لنا عن انقضاء الأمور. وسنّ عليه السّلام[4] الحمد بعد الأكل والشّرب. وقال عند انقضاء السفر: آيبون، تائبون، عابدون، لربّنا حامدون[5].

ثم انظر: لكونه عليه السّلام خاتم الأنبياء، ومؤذناً بانقضاء الرسالة، وارتفاع الوحي، ونذيراً بقرب السّاعة، وتمام الدّنيا، مع أنّ الحمد كما قدّمنا مقرون بانقضاء الأمور، مشروع عنده، تجد معاني اسميه جميعاً، وما خصّ به من الحمد، والمحامد، مشاكلاً لمعناه، مطابقاً لصفته، وفي ذلك برهان عظيم، وعلم واضح على نبوّته، وتخصيص الله له بكرامته، وأنّه قدّم له هذه المقدّمات قبل وجوده، تكرمة له وتصديقاً لأمره ﷺ وشرّف وكرّم[6].

فصل

قال ابن القطّان: وروى[7] المسور بن مخرمة[8] رضي الله عنه أنّ

---

(١) في الروض الأنف: سبحانه وتعالى...
(٢) الزمر: ٧٥.
(٣) يونس: ١٠.
(٤) في الروض الأنف: وسنّ ﷺ.
(٥) صحيح مسلم: ٩٧٨/٢، كتاب الحجّ، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحجّ وغيره.
(٦) الروض الأنف: ١٥٢/٢ ـ ١٥٧.
(٧) في (ر): روى.
(٨) المسور بن مخرمة: أبو عبدالرحمٰن القرشي الزّهري أدرك النبي ﷺ وهو صغير، وسمع منه، وروى عن الخلفاء الأربعة، وغيرهم من كبار الصحابة، وهو الذي حرّض عثمان بن عفان على فتح إفريقيا، وشهد فتحها مع عبدالله بن سعد، ثم كان مع عبدالله بن الزبير بمكة، فأصابه حجر أثناء الحصار فقتله عام ٦٤هـ. وكان من فقهاء الصحابة وفضلائهم رضي الله عنهم أجمعين.
- أ ـ الاستيعاب: ١٣٩٩/٣ ـ ١٤٠٠، تر: ٢٠٤٥.
- ب ـ الأعلام: ١٢٣/٨ ـ ١٢٤.

عبدالمطلب كان إذا ورد اليمن، نزل على عظيم من عظماء حمير، فنزل عليه مرّة من المرّات فوجد رجلاً قد أمهل عليه[1] في العمر، وقد قرأ الكتب[2]، فقال: يا عبدالمطلب أتأذن أن أفتّش مكاناً منك؟ قال: ليس كلّ [مكان][3] منّي آذن لك في تفتيشه.

٢٩/و

فقال: إنّما هما منخراك. قال: فدونك؟ فقال: أرى نبوّة وملكاً، وأرى أحدهما في بني زهرة. فرجع عبدالمطلب، فتزوّج هالة بنت وهب بن عبد مناف، وزوّج ابنه: عبدالله، آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فولدت سيّدنا محمداً ﷺ ذكر هذا الواقدي[4].

وفي رواية للآجري[5]: ففتح أحد منخريه، فنظر فيها ثم نظر في الأخرى، فقال: أشهد أنّ في إحدى يديك مُلكاً، وفي الأخرى نبوّة، وأرى ذلك في بني زهرة. فكيف ذلك؟ فقلت: لا أدري، فقال: هل لك من شاغرة؟ قلت: وما الشاغرة؟ قال: الزّوجة. قلت: أمّا اليوم فلا. قال: إذا قدمت فتزّوج فيهم، فرجع عبدالمطلب إلى مكّة، فتزوّج هالة بنت وهب بن عبد مناف، فولدت له حمزة، وصفية، وتزوّج عبدالله آمنة بنت وهب، فولدت له رسول الله ﷺ.

وفي رواية ذكرها البرقي[6]: ائذن لي أن أقيس[7] بمنخريك. فقال:

---

(١) في (د) و(ر): له بدل عليه.

(٢) في (د): الكتاب.

(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد كاتب الواقدي: ٥/١، دار الفكر العربي، دار التحرير القاهرة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

(٥) الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادي، الإمام المحدّث، كان عالماً عاملاً، صاحب سنة واتّباع، له عدة تصانيف منها كتاب الشريعة في السّنة، والأربعين وغيرهما توفي بمكة في المحرم سنة ٣٦٠هـ.
● تذكرة الحفّاظ: م٢/٣/٩٣٦، تر: ٨٨٨.

(٦) البرقي: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم بن سعيد الزّهري، المصري، الحافظ صاحب كتاب «الضعفاء». وعرف بالبرقي لأنهم كانوا يتّجرون إلى برقة بليبيا. توفي سنة ٢٤٩هـ.
● تذكرة الحفّاظ: م١، ٢/٥٦٩، تر: ٥٩٣.

(٧) في الروض الأنف: ائذن لي أقس منخرك.

دونك فانظر، فقال: أرى نبوّة وملكاً، وأراهما في المنافين: عبد مناف بن قصي، وعبد مناف بن زهرة[١].

وذكر أبو سعيد النيسابوري عن ابن إسحاق أنّ هشام بن عروة[٢] حدّثه عن أبيه عن عائشة رضي الله عنهما قالت: كان يهودي قد سكن مكّة، يتّجر بها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ، قال في مجلس من قريش: يا معشر قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قال القوم: والله ما نعلمه، قال: الله أكبر، أمّا إذا أخطأكم فلا بأس، انظروا واحفظوا ما أقول لكم. ولد فيكم هذه الليلة نبيّ هذه الأمة، بين كتفيه علامة، فيها شعرات متواترات كأنّهنّ عرف فرس، الحديث.. وفيه: فتصدّع القوم من مجلسهم، وهم يعجبون من قوله وحديثه. فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كلّ إنسان منهم أهله فقالوا: قد ولد لعبدالله بن عبدالمطلب غلام، وسمّوه محمداً. قال: فالتقى القوم قالوا: هل سمعتم حديث اليهودي؟ الحديث، وفيه أنّ اليهودي لمّا بلغه مولده ورآه خرّ مغشياً عليه، وقال: ذهبت والله النّبوة من بني إسرائيل.

قال ابن القطان: وحدّث كعب[٣] بن مالك عن أبيه قال: حدّثني

---

(١) الروض الأنف: ١٣٩/٢.

(٢) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام: أبو المنذر القرشي الزبيري المدني، حدّث عن عمّه ابن الزبير، وأبيه، وزوجته فاطمة بنت المنذر وغيرهم، وحدّث عنه شعبة، ومالك، والسفيانان، والحمادان، وخلق سواهم. توفي ببغداد سنة ١٤٦هـ، وله ثمانون سنة.
- تذكرة الحفّاظ: م١٤٤/١/١ ـ ١٤٥، تر: ١٣٨.

(٣) كعب بن مالك: أبو عبدالله كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو الخزرجي الأنصاري السّلمي، وأمّه ليلى بنت زيد بن ثعلبة، صحابي من أكابر شعراء المدينة، كان أحد شعراء الرسول ﷺ: شهد العقبة الثانية، وشهد أحداً، والمشاهد كلّها حاشا تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين قال الله فيهم: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ [التوبة: ١١٩] وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، توفي كعب في خلافة معاوية سنة خمسين وقيل غيرها. روى عنه جماعة من التّابعين.
- أ ـ الاستيعاب: م١٣٢٣/٣ ـ ١٣٢٦، تر: ٢٢٠٥.
- ب ـ الأعلام: ٨٥/٦.

أشياخ قومي، أنهم خرجوا عماراً، وعبدالمطلب يومئذ حيّ بمكة، ومعهم رجل من يهود تيماء[1]، قد صحبهم للتّجارة، يريد مكّة، واليمن، فنظر إلى عبدالمطلب، فقال: إنّا نجد في كتابنا الذي لم يبدّل، أنّه يخرج من ضئضيء[2] هذا نبيّ، يقتلنا وقومنا قتل عاد.

قلت: وهكذا نقله الكلاعي، وكذا أيضاً نقله صاحب **«أعذب الموارد»** وهو أبو العباس[3] العزفي. وروى حديثاً آخر عن الخطيب أبي بكر بن ثابت البغدادي، أنّه لمّا كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال حبر: ـ كان بمكة ـ يولد الليلة في بلدكم هذا، النبي الذي يوصف بأن يعظّم موسى وهارون، ويقتل أمّتهما، فإن أخطأكم فبشّروا به أهل الطائف، وأهل أيلة[4]، قال: فولد في آخر تلك الليلة، فخرج الحبر، حتّى دخل الحجر ـ وقال: أشهد أن لا إلـه إلاّ الله وأنّ موسى حق، وأنّ محمداً [ﷺ][5] قاف لموسى حق، مؤمن به. ثم فُقد فلم يقدر عليه.

قال السّهيلي: وروي عن أمّ عثمان[6] الثّقافية واسمها فاطمة بنت

---

(١) تيماء: ـ بالمد والفتح ـ بُليد في أطراف الشام، ما بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق.
● معجم البلدان: ٦٧/٢.

(٢) في الأصل: علق على الهامش، وقيل: النسل.

(٣) أبو العباس العزفي: أحمد بن محمد بن أحمد عميد سبتة وشريفها، اشتهر بالكرم والشعر، توفي سنة ٧٧٦هـ.
● أ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة، م٣/٣٩ للسان الدين بن الخطيب، تح: محمد عبدالله عنان، الطبعة الثانية، ١٤٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
● ب ـ ديوان ابن الخطيب، ص٤٥٨، بتحقيقنا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

(٤) أيلة: ثغر يقع شرق خليج العقبة، اشتهرت في الأزمان القديمة.
● [الموسوعة العربية الميسرة، ص٢٩١].

(٥) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٦) أم عثمان الثقافية: فاطمة بنت عبدالله بن أبي العاص الثقفي شهدت ولاد رسول الله ﷺ حين وضعته أمّه آمنة وكان ذلك ليلاً.
● الاستيعاب: م٤/١٩٠٠، تر: ٤٠٥٩.

عبدالله قالت: حضرت ولادة رسول الله ﷺ فرأيت البيت حين وضع قد امتلأ نوراً، ورأيت النّجوم تدنو، حتّى ظننت أنّها ستقع عليّ. ذكره أبو عمر في «**كتاب النساء**»[1].

قلت: وذكره أبو سعيد النّيسابوري، وذكره ابن القطان، وزاد فيه عن أمّ عثمان أنّهم سمعوا هاتفاً يهتف على جبل الحجون[2] وهو يقول [من الطويل]:

فأقسم ما أنثى من النّاس أنجبت ولا ولدت أنثى من النّاس واحده

كما ولدت زهرية ذات مفخر مجنّبة لؤم القبائل ماجده

قال ابن القطان، وأبو بكر بن الخطيب: رُوي عن يحيى بن عروة[3] عن أبيه أنّ نفراً من قريش منهم: ورقة بن نوفل، وزيد /بن عمرو بن نفيل، ٣٠/و وعبيدالله[4] بن جحش، وعثمان[5] بن الحويرث، كانوا عند صنم لهم، قد

---

(١) ● أ ـ الروض الأنف: ٢/١٤٩.
● ب ـ الاستيعاب: ٤/١٩٠٠، رقم: ٤٠٥٩.

(٢) الحجون: ـ بفتح الحاء ـ جبل بأعلى مكّة، عنده مدافن أهلها.
● معجم البلدان: ٢/٢٢٥.

(٣) يحيى بن عروة: أبو عروة يحيى بن عروة بن الزبير بن العوّام، ناسب، وعالم، له شعر، من أعيان المدينة، وأمّه عمّة عبدالملك بن مروان، وهي بنت الحكم بن أبي العاصي بن أمية، توفي عام ١١٤هـ ـ ٧٣٢م.
● أ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص١٢٤.
● ب ـ الأعلام: ٩/١٩٥.

(٤) عبيدالله بن جحش: في الأصل، و(د) و(ر) ورد اسم عبدالله، وذلك خطأ فعبدالله له أخوان هما: أبو أحمد، وعبيدالله، وهذا الأخير هو الذي كان في الجاهلية يبحث عن دين إبراهيم الخليل عليه السلام، حتّى أسلم، وهاجر مع أخويه إلى الحبشة ومعه زوجته أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، فلما قدم الحبشة تنصّر وفارق الإسلام حتّى هلك هناك نصرانياً، وخلف رسول الله ﷺ على زوجته أمّ حبيبة.
● أ ـ الاستيعاب: م٣/٨٧٧ ـ ٨٧٨، تر: ١٤٨٤.
● ب ـ السيرة النبوية لابن هشام: م١/٢٢٢ ـ ٢٢٤.

(٥) عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبدالعزّى بن قصي، كان ممّن تنصّر من قريش، =

اجتمعوا إليه يوماً، اتخذوا ذلك اليوم عيداً في كلّ سنة، يعظمونه، وينحرون عنده الجزر، ويأكلون، ويشربون الخمر، ويعكفون عليه، فرأوه مكبوباً على وجهه، فأنكروا ذلك، وأخذوه، وردّوه إلى حاله، فلم يلبث أن انقلب انقلاباً عنيفاً، فأخذوه وردّوه إلى حالته، فانقلب الثالثة، فلمّا رأوه اغتموا. فقال عثمان بن الحويرث: ما له؟ قد أكثر التّنكيس، إنّ هذا لأمر حدث. وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ، فجعل عثمان بن الحويرث يقول [من الطويل]:

أيا صنم العيد الذي صفّ حوله ... صناديد قوم من بعيد ومن قرب

تنكّست مغلوباً[1] فما ذاك؟ قل لنا ... بغاك سفيه أو تكوّست بالعتب

فإن كان عن ذنب أتينا فإنّنا ... نبوء بإقرار ونلوي عن الذّنب

وإن كنت مغلوباً تكوّست صاغراً ... فما أنت في الأوثان بالسّيد الرّبّ؟

قال: فأخذوا الصّنم، فردّوه على حاله، فلما استوى، هتف هاتف بصوت جهير، وهو يقول [من الطويل]:

تردّى لمولود أنارت لنوره ... جميع فجاج الأرض بالشّرق والغرب

وخرّت له الأوثان طرّاً فأرعدت ... قلوب ملوك الأرض طرّاً من الرّعب

ونار جميع الأرض باخت وأظلمت ... وقد بات شاه الفرس في أعظم الكرب

وصارت عن الكهّان بالغيب جِنُّها ... فلا مخبر منهم بحقّ ولا كذب

فيا لقصيّ ارجعوا عن ضلالكم ... وهبّوا إلى الإسلام والمنزل الرّحب

فلمّا سمعوا ذلك خلصوا نجياً[2] وقال بعضهم لبعض: تصادقوا،

= فالتحق بقيصر ملك الرّوم، وحسُنت منزلته عنده، وكان يقال له «البطريق» مات بالشّام مسموماً من عمرو بن جفنة الغساني الملك، ولا عقب له.

● أ ـ جمهرة أنساب العرب: ص٤٩١.

● ب ـ السيرة النبوية لابن هشام: م١/٢٢٤.

(١) في (د): مقلوباً.

(٢) نجيّا: حدّث بعضهم بعضاً سرّاً، والنّجي، المناجي، السّرّ.

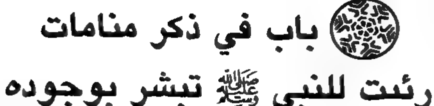
وليكتم[1] بعضكم على بعض، ما حجر نُطيف به لا يسمع، ولا يبصر؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم الدّين، فخرجوا، يضربون في الأرض، ويسألون عن دين الحنيفية، دين إبراهيم. فأمّا زيد بن عمر بن نفيل فبلغ الرّقة، من أرض الحيرة. فلقي بها راهباً، فأخبره بالذي يطلب. فقال له: إنك لتطلب ديناً، ما تجد من يحملك عليه. ولكن قد أظلّك زمان نبي، يخرج من بلدك، بدين الحنيفية. فلما قال له هذا، رجع يريد مكّة، فعدت عليه لخم، فقتلوه ـ الحديث ـ. وقد ذكر ابن إسحاق قصّتهم، ولم يذكر الأبيات ولا قول الهاتف[2].



---

(١) في الأصل: وليتكم.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: م١/٢٢٢ ـ ٢٢٣.



باب في ذكر منامات رئيت للنبي ﷺ تبشر بوجوده وعلامات منبئة بنبوته [ورسالته ﷺ][1]

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق عن آمنة أمّ النّبي ﷺ أنها كانت تحدّث أنها أتيت، حين حملت برسول الله ﷺ، فقيل لها: إنّك[2] حملت بسيّد هذه الأمّة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذه بالواحد، من شرّ كلّ حاسد، ثم سمّيه محمداً.

ورأت حين حملت به أنّه خرج منها نور، رأت به قصور بُصرى من أرض الشام[3].

قال السّهيلي: ولمّا وضعته أمّه[4] ﷺ وقع إلى الأرض مقبوضة أصابع يده[5] مشيراً بالسّبابة كالمسبّح بها.

وذكر ابن دريد[6] أنّه ألقيت عليه جفنة لئلا يراه أحد قبل جدّه، فجاء جدّه، والجفنة قد انفلقت عنه، فقيل[7] لعبدالمطلب: ما سمّيت ابنَك؟

---

(١) في (د) و(ر): ما بين الحاصرتين غير وارد.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: إنّكِ قد حملتِ.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: م١/١٥٨.

(٤) في الروض الأنف: «أمّه» غير واردة.

(٥) في الروض الأنف: يديه.

(٦) ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، شيخ الأدب، له عدة مصنفات، منها كتاب الجمهرة، وكتاب غريب القرآن، عاش ٩٨ سنة، انتقل من فارس إلى بغداد، وتوفي سنة ٣٢١هـ.
- أ ـ مرآة الجنان، لليافعي: ٢/٢٨٢ ـ ٢٨٤.
- ب ـ سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٥/٩٦ ـ ٩٨، تر: ٥٦.

(٧) في الروض الأنف: ولما قيل له.

قال[1]: محمداً، فقيل له: كيف سميته[2] باسم ليس لأحد من آبائك وقومك؟! فقال: إنّي لأرجو أن يحمده أهل الأرض كلّهم، وذلك لرؤيا كان رآها عبدالمطلب، ذكر[3] حديثها علي القيرواني[4] العابر في كتاب **«البستان»**. قال: وكان عبد المطلب قد رأى في المنام[5] كأنّ سلسلة من فضّة خرجت من ظهره لها طرف في السّماء وطرف في الأرض، وطرف/ في المشرق، وطرف في المغرب، ثم عادت كأنّها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنّهم يتعلّقون بها، فقصّها، فعبّرت له بمولود يكون من صلبه، يتبعه أهل المشرق والمغرب، ويحمده أهل السّماء والأرض، فلذلك سمّاه: محمّداً مع ما حدّثته أمّه حين قيل لها: إنّك قد[6] حملت بسيد هذه الأمّة، فإذا وضعته فسمّيه محمداً. الحديث[7].

٣١/و

قلت: وقد ذكر هذا الحكاية بكاملها الكلاعي وغيره، وذكر صاحب **«روضات الإيمان»** أنّ دانيال النّبي عليه السّلام سأله الملك بخت[8] نصّر

---

(١) في الروض الأنف: فقال:
(٢) في الروض الأنف: كيف سمّيت...
(٣) في الروض الأنف: وقد ذكر...
(٤) علي القيرواني: أبو الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب القيرواني، له أرجوزة في القضايا النّجومية عاش في بداية القرن الخامس الهجري.
● الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية. ص: **٧٣ و٨٢**. لأبي العباس أحمد بن حسن بن القنفذ القسنطيني. تح: محمد الشاذلي النيفر، وعبدالمجيد التركي. الدار التونسية للنشر: **١٩٦٨**م.
(٥) في الروض الأنف: في منامه...
(٦) في الروض الأنف: إنك حملت...
(٧) الروض الأنف: **٢/١٥٠ ـ ١٥١**.
(٨) بخُتنصّر: وهو الملك العراقي القديم: نبوخذ نصّر (**١١٢٤ ـ ١١٠٣**ق.م) من أهل بابل. قيل: أمر الناس أن يسجدوا له، فامتنع دانيال وأصحابه، فألقاهم في النّار فكانت برداً وسلاماً عليهم، وحُرِق الذين بغوا عليهم.
● أ ـ الروض الأنف: **١/١٩٥**.
● ب ـ مقدمة في أدب العراق القديم، لطه باقر، دار الحرية للطباعة، بغداد، **١٩٧٦**م.

عن منامة رآها، وطلب منه أن يخبره بها، ثم بتفسيرها، فقال: أيها الملك رأيت صنماً بارع الجمال، أعلاه من ذهب، ووسطه من فضّة، وأسفله من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من فخار، فبينما أنت تنظر إليه، قد أعجبك، إذ دقّه الله بحجر من السّماء فضرب رأس الصنم فطحنه، حتّى اختلط ذهبه، وفضّته، ونحاسه، وحديده، وفُخّاره، ثم إنّ الحجر ربا وعظم، حتى ملأ الأرض كلّها. فقال له بخت نصّر: صدقت، فأخبرني بتأويلها؟ فقال: دانيال عليه السّلام: أمّا الصّنم فأمم مختلفة، في أول الزّمان، وفي وسطه، وفي آخره. فالرأس من الذّهب أنت أيّها الملك، والفضّة ابنك، من بعدك، والنّحاس الرّوم، والحديد الفرس، والفخار أمتان ضعيفتان، تملكهما أمتان باليمن والشام. والحجر دين نبي، وملك أبديّ، يكون في آخر الزمان، يغلب الأمم كلّها، ثم يعظم حتّى يملأ الأرض كلها، كما ملأها ذلك الحجر، ثم قال صاحب «**روضات الإيمان**» مخاطباً لأهل الكتاب: وهل كان نبيّ غير محمد ﷺ، جمع الأجناس، والأمم كلّها، على اختلافها، واختلاف لغاتها، ودياناتها، وممالكها، وبلادها، فجعلهم جنساً واحداً، ولغة واحدة، وأمّة واحدة، ومملكة واحدة، وديناً واحداً، إلاّ سيّدنا محمد ﷺ. فلا محالة، أنّ العرب، والفرس، والنّبط، والأكراد، والتّرك، والدّيلم، والجبل[1] والبربر، ومن أسلم من الهند، والسّودان، والرّوم، وغيرهم، على كثرتهم، كلّهم ينطقون بلغة واحدة، وبها يقرؤون القرآن، وقد صار كلّ من ذكرنا أمّة واحدة، والحمد لله على ذلك كثيراً، فصّحت نبوّة سيّد المرسلين محمد ﷺ، وعلى جميع النّبيين.

قلت: وقد نقل هذه الحكاية أبو سعيد النّيسابوري وزاد فيها، وأمّا الحجر الذي رأيت دقّ الصّنم، وربا حتّى ملأ ما بين المشرق والمغرب،

---

(١) الجبل: اسم جامع لهذه الأعمال التي يقال لها الجبال، والعامة في أيامنا يسمّونها العراق، وقد نسب إليها خلق كثير.

● معجم البلدان: ١٠٣/٢.

فإنّه النّبي الأمّيّ العربي، الذي يخرج في آخر الزمان، فيبطل الأصنام، والصلبان، والنّيران، ويعبد الرحمٰن، ويظهر الله دينه على جميع الأديان، ويربو أمره، ويزداد، حتّى يملأ ما بين المشرق والمغرب، ويكون الدّين كلّه لله.

وقد ذكر ابن القطان هذه الحكاية، فذكر هذه الزّيادة التي ذكرها النيسابوري.

قال ابن القطان: ورُوي عن أسماء[1] بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنّ زيد بن عمرو، وورقة بن نوفل كانا يذكران أنّهما أتيا النّجاشي بعد رجوع أبرهة عن مكّة، فلما دخلا عليه، قال لهما: صدّقاني أيّها القرشيان، هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذبحه، فضرب عليه بالقداح، فسلم، ونُحِرت عليه إبل كثيرة؟

قالا: نعم. قال: فهل لكم علم به ما فعل؟ قالا: تزّوج امرأة يقال لها آمنة بنت وهب، فمات وتركها حاملاً. فقال: هل لكم علم أوُلد الحمل أم لا؟ قال ورقة: أخبرك أيّها الملك أنّي كنت ليلة قريباً من وثن لنا، كنّا نطيف به ونعبده، إذ سمعت من جوفه هاتفاً يقول: وُلد النّبي، وذلّت الأملاك، وَنأى الضّلال، وأدبر الإشراك.

وقال زيد بن عمرو بن نفيل: وعندي عجب، أيّها الملك. قال: هات. قال: في مثل [هذه الليلة][2] التي ذكر فيها حديثه، خرجت من عند أهلي، وهم يذكرون حمل آمنة، حتّى أتيت جبل أبي قبيس، أريد الخلوة فيه، لأمر رابني، إذ رأيت رجلاً نزل من السّماء له جناحان، قد وقف على

---

(١) أسماء بنت أبي بكر الصدّيق، أسلمت بعد إسلام سبعة عشر شخصاً، هاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبدالله بن الزبير فوضعته بقباء، وتوفّيت بمكّة سنة ثلاث وسبعين، وقد بلغت مائة سنة.
- الاستيعاب: ق١٧٨٤/٤ ـ ١٧٨٣، تر: ٣٢٢٦.

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط، وفي (ر): إنّك في مثل هذه الليلة.

٣٢/ظ أبي قبيس مشرفاً/ على مكّة، ونادى: ذلّ الشيطان. وبطلت الأوثان، ثم نشر ثوباً معه، فأهوى نحو المشرق، والمغرب، فرأيته قد حال[١] بين السّماء والأرض، وسطع نور، كاد يخطف بصري، وهالني ما رأيت، وخفق الهاتف بجناحيه حتّى سقط على الكعبة. فقال: ذلّت الأصنام، وأومأ إلى الأصنام التي على الكعبة فسقطت كلّها.

فقال النّجاشي: ويحكما، أخبركما بما أصابني، إنّي لنائم في تلك الليلة، التي ذكرتماها، في قبّتي، وقت خلوتي، إذا بهاتف يقول: حلّ الويل بأصحاب الفيل، رمتهم الطير الأبابيل، بحجارة من سجيل، ولد النّبي الأمّيّ، من أجاب سعد، ومن أباه عندَ[٢]. فذهبت أصيح، فلم أطق الكلام، ورمت القيام، فلم أطق القيام، ففزعت القبّة بيدي، فسمع ذلك أهلي، فتبادروا، فأومأت إليهم: أن احجبوا عنّي النّاس، فحجبوهم، حتّى أطلق الله لساني ويدي.

فصل

قال ابن إسحاق: فلمّا وضعته أمّه ﷺ أرسلت إلى جدّه عبدالمطلب: أنّه قد ولد لك غلام، فأته، وانظر إليه؛ فأتاه، ونظر[٣] إليه، وحدّثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها[٤]، وما أمرت به أن تسميه، فيذكرون[٥] أنّ عبدالمطلب أخذه، فدخل به الكعبة. فقام يدعو الله، ويتشكّر[٦] له ما أعطاه[٧].

(١) في (ر): قد دخل.
(٢) عند ـ من باب جلس ـ: خالف وردّ الحقّ وهو يعرفه.
● مختار الصّحاح: مادة: عند.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: فنظر إليه.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: وما قيل لها فيه.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: فيزعمون.
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: ويشكر له.
(٧) السيرة النبوية لابن هشام: ١/١٥٩ ـ ١٦٠.

قال ابن القطان والنّيسابوري: إنّ عبدالمطلب قال: وهو يعوذه [من الرجز]:

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطّيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان ... أعيذه بالبيت ذي الأركان
حتّى يكون بلغة الفتيان ... حتّى أراه بالغ البنيان
أعيذه من كل ذي شنآن ... من حاسد مضطرب العنان
ذي همّة ليس له عينان ... حتّى أراه رافع اللسان
أنت الذي سميت في الفرقان[(١)] ... في كتب ثابتة المثاني
أحمد مكتوب عليّ[(٢)] الشان[(٣)]

قال الكلاعي في «**الاكتفاء**» وخرج رسول الله ﷺ يوماً، يلعب مع الغلمان، حتّى بلغ الرّدم[(٤)]، فرآه قوم من بني[(٥)] مدلج، فدعوه، ونظروا إلى قدميه، وإلى أثره، ثم خرجوا في طلبه، حتّى صادفوا عبدالمطلب، قد لقيه فاعتنقه، فقالوا لعبدالمطلب: ما هذا منك؟ قال: ابني، قالوا: فاحتفظ به، فإنا لم نر قدماً قطّ أشبه بالقدم الذي في المقام من قدمه، فقال عبدالمطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء، فكان أبو طالب يحتفظ به.

وقد روى أبو داود السّجستاني من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال: أتى نفر من قريش امرأة كاهنة، فقالوا: خبّرينا بأقربنا شبهاً بصاحب هذا المقام؟

---

(١) في الروض الأنف: في القرآن.
(٢) في (ر): عالي الشّأن. وفي الروض الأنف: عليّ البيان.
(٣) الروض الأنف: **١٥٧/٢**.
(٤) الرّدم: مكان بمكة يقال له: ردم بني جمح.
● معجم البلدان: **٤٠/٣**.
(٥) بنو مدلج: بطن من كنانة، وفيهم كان علم القيافة، ومنهم مخزوم أبو محزر المدلجي الصحابي.
● نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٣٧٢، تر: **١٥٣٦**، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي [ت: **٨٢١**هـ].

فقالت: إن جررتم على السّهلة عباءة، ومشيتم عليها أنبأتكم بأقربكم شبهاً به، فجزروا عليها عباءة، ثم مشوا عليها، فرأت أثر قدم سيّدنا محمد ﷺ فقالت: هذا والله أقربكم شبهاً به.

قال ابن عباس: فمكثوا بعد ذلك عشرين سنة، ثم بُعث النّبي ﷺ[1] [عدد ما ذكره الذّاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون][2].



(١) أورد هذا الخبر أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمري [ت: ٤٦٣هـ] في كتابه «الدرر في اختصار المغازي والسّير»، ص٥ ـ ٦، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(٢) في (د) و(ر): ما بين الحاصرتين غير وارد.

باب في خبر سيف بن ذي يزن وخبر أسقفي نجران وتبشيرهما بالنبي عليه السلام[1] وما في ذلك من الآيات الباهرة الدالة على نبوته وأنواره الساطعة

روى أبو سعيد النيسابوري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما[2] قال: لما ظهر سيف بن ذي يزن على الحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ [بسنتين][3]، أتته وفود من العرب، وأشرافها وشعراؤها[4]، تهنّئه، وتمدحه، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه، فأتاه وفد قريش، وفيه[5] عبدالمطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وخويلد[6] بن أسد، في أناس من وجوه قريش، وأهل مكة، فأتوه بصنعاء، وهو في قصر يقال له عمدان[7] فاستأذنوا عليه، فأذن لهم، فإذا الملك متضمّخ بالعبير[8] يبص[9]/ ويبص المسك من مفرقه[10] وسيفه بين يديه، وعن يمينه وعن يساره: الملوك، وأبناء الملوك، والمقاول، فدنا عبدالمطلب، فاستأذن في الكلام، فقال له سيف بن ذي يزن: إن كنت ممّن يتقدم بين يدي الملوك فقد أذنّاك، فقال له عبدالمطلب:

٣٣/و

---

(١) في (د): ﷺ.
(٢) في الأصل: رضي الله عنهم.
(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٤) في الأصل: وشعرائها.
(٥) في (د) و(ر): وفيهم عبدالمطلب.
(٦) خويلد بن أسد بن عبدالعزّي بن قصي، والد خديجة أمّ المؤمنين رضي الله عنها.
● جمهرة أنساب العرب: ١٢٠.
(٧) في (د): غمدان.
(٨) في (د) و(ر): بالعنبر.
(٩) وبص البرق ونحوه يبص وبصاً ووبيصاً: لمع وبرق.
● المعجم الوسيط: مادة: وبص.
(١٠) في (د): عن مفرقه.

إنّ الله قد أحلّك أيّها الملك محلاً رفيعاً، صعباً منيعاً، شامخاً باذخاً، وأنبتك منبتاً طابت أرومته، وعزّت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه، في أكرم معدن، وأطيب موطن، وأنت ـ أبيت اللعن ـ رأس العرب، الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها[1] الذي إليه يلجأ العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلن يخمل ذكر من أنت سلفه، ولن يهلك من أنت له خلفه، أيّها الملك، نحن أهل حرم الله، وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجنا، بكشف الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التّهنئة، لا وفد الرّزية.

قال: وأيّهم أنت أيّها المتكلّم؟ قال: أنا عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف. قال: ابن أختنا؟ قال: نعم. قال: فادن، فأدناه، ثم أقبل عليه، وعلى القوم. فقال: مرحباً وأهلاً، وناقة ورحلاً، ومستناخاً سهلاً، وملكاً ريحلاً، يعطي عطاء جزلاً، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، فأنتم أهل الليل والنّهار، لكم الكرامة، ما أقمتم، والحباء إذا ظعنتم[2]. قال: ثم نهضوا إلى دار الضيافة والوفود، فأقاموا شهراً لا يصلون إليه، ولا يأذن لهم في الانصراف، وأجريت عليهم الإنزالات، ثم انتبه لهم انتباهة، فأرسل إلى عبدالمطلب فأدناه، وأخلى مجلسه، ثم قال: عبدالمطلب إنّي مفض إليك من سرّ علمي أمراً، لو غيرك كان لم أبح له به، ولكن وجدتك معدنه، فأطلعتك عليه، فليكن عندك مكتوماً، حتّى يأذن الله فيه، فإنّ الله بالغ فيه أمره، إنّي أجد في الكتاب[3] المكنون، والعلم المخزون، الذي اخترناه لأنفسنا، واحتجبناه دون غيرنا، خبراً جسيماً، وخطراً عظيماً، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، للنّاس عامّة، ولرهطك كافّة، ولك خاصّة.

---

(١) في الأصل: ومعلقها.
(٢) في الأصل: إذا صنعتم.
يلاحظ أنّ جمل كلامه الأولى موزونة حتّى قوله:... جزلاً.
(٣) في الأصل: في الكتب.

فقال: أيّها الملك، مثلك سرّ وبرّ، فما هو؟ فداك أهل المدر والوبر، زمراً بعد زمر.

قال[1]: إذا ولد بتهامة، غلام به علامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزّعامة، إلى يوم القيامة.

فقال له عبدالمطلب: أبيت اللعن، لقد أبت[2] بخير ما آب به وليد قوم، ولولا هيبة الملك، وإعظامه، وإجلاله، لسألته من بشارته إياي ما أزدادُ به سروراً، فإن رأى الملك أن يخبرني بإفصاح، فقد أوضح لي بعض الإيضاح، فقال له ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه، أو قد ولد، اسمه محمّد، بين كتفيه شامة، يموت أبوه وأمّه، ويكفله جدّه وعمّه، وقد[3] وجدناه مراراً، والله باعثه جهاراً، وجاعل له منّا أنصاراً، يعزّ بهم أولياءه، ويذلّ بهم أعداءه، ويضرب بهم النّاس عن عرض[4]، ويستبيح بهم كرائم الأرض، يعبد الرحمان، ويدحض الشيطان، ويكسر الأوثان، ويخمد النّيران، قوله فصل، وحُكمهُ عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

قال: فخرّ عبدالمطلب ساجداً، فقال [له][5]: ارفع رأسك، ثلج صدرك، وعلا كعبك. فهل أحسست من علمه شيئاً؟ قال: نعم أيّها الملك: كان لي ابن، وكنت به معجباً، وعليه رفيقاً، فزوّجته كريمة من كرائم قومه، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجاءت بغلام سمّيته محمداً، مات أبوه وأمّه، وكفلته أنا وعمه، بين كتفيه شامة، وفيه كل[6] ما ذكرت من علامة.

---

(١) في (د): فقال:
(٢) في (ر): أبيت اللعنة لقد أبته.
(٣) في (د) و(ر): قد وجدناه.
(٤) في (ر): عن غرض.
(٥) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٦) في (د) و(ر): كلّما ذكرت.

قال: والبيت ذي الحجب، والعلامات ذي النصب، إنّك يا عبدالمطلب لجدّه غير الكذب، وإنّه الذي قلت لك ما قلت، فاحتفظ بابنك، واحذر عليه اليهود، فإنّهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، واطوِ ما ذكرت لك، دون هؤلاء الرّهط الذين معك، فإنّي لست آمن أن تدخلهم النّفاسة، من أن تكون لهم الرئاسة، فيبغون له الغوائل، وينصبون له الحبائل، وهم فاعلون/ أو أبناؤهم، ولو أنّ الموت محتاجي[1] قبل مبعثه، لسرت إليه بخيلي ورجلي، حتّى أصيّر يثرب دار مملكته، فإنّي أجد في الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن في يثرب استحكام أمره، وهم أهل نصرته، وموضع قبره، ولولا أني أخاف عليه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأوطأت أسنان العرب كعبه، ولأعليت على حداثة من سنّه ذكره، ولكنّي صارف ذلك إليك، من غير[2] تقصير من معك. ثم أمر لكل رجل منهم بمائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر إماء، وعشرة أرطال ذهباً، وعشرة أرطال فضة، وكرش[3] مملوءة عنبراً، وأمر لعبدالمطلب بعشرة أضعاف من ذلك كلّه، ثم قال له: ائتني بخبره، وما يكون من أمره، عند رأس الحول. قال: فمات سيف بن ذي يزن قبل أن يحول الحول.

٣٤/ظ

فكان عبدالمطلب يقول: أيّها النّاس، لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك، فإنّه إلى نفاد، ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبي شرفه وذكره وفخره. فإذا قيل له: ما ذاك[4]؟ يقول: سيعلم ولو بعد حين.

قلت: وقد نقل أبو الربيع سليمان الكلاعي هذه الحكاية بهذا السياق، وقال في آخر كلامه، وحديث سيف بن ذي يزن هذا عن غير ابن إسحاق، وهو عندنا بالإسناد وكذا نقله ابن القطان ـ قال الكلاعي، وجلس

(١) في (د): مجتاحي.
(٢) في (د) و(ر): عن غير تقصير ممّن معك.
(٣) الكرش: وعاء الطيب والثوب. جمع أكراش وكروش، والعرب تؤنّثها.
(٤) في (د) و(ر): وما ذاك؟

عبدالمطلب يوماً في الحجر، وعنده أسقف نجران، وكان صديقاً له، وهو يحادثه، ويقول: إنّا نجد صفة نبيّ تقيّ من ولد إسماعيل، هذه مولده[1] من صفته كذا وكذا، وأتى رسول الله ﷺ، على بقية الحديث، فنظر إليه الأسقف، وإلى عينيه، وإلى ظهره، وإلى قدميه، فقال: هو هذا. ما هذا منك؟ قال: ابني. قال الأسقف: لا، ما نجد أباه حيّاً. قال عبدالمطلب: هو ابن ابني، قد مات أبوه وأمه حبلى به، قال: صدقت. قال عبدالمطلب لبنيه: تحفّظوا بابن أخيكم، ألا تسمعون ما يقال فيه؟

قلت: وقد ذكر ابن القطان هذا الحديث بهذا السياق، وفيه هذا مولده يعني الزمان، وأما بالهاء فالإشارة إلى البلدة. قال أبو الربيع: أعني الكلاعي وإياه أريد حيث ما ذكرت أبا الربيع قال، وإنما علم سيف بن ذي يزن ما علم من جهة تبع، لما ألقاه إلى ملوك حمير وأبنائهم[2] من أمر النبي ﷺ.



(١) في (د) و(ر): هذا مولده.

(٢) في الأصل: وأنبيائهم.

باب جامع لجمل من دلائل نبوته وعلامات رسالته ﷺ مجملة ومفصلة

قال عياض[(١)]: فمن[(٢)] ذلك ما ظهرت من الآيات عند مولده، وما حكته أمّه، ومن حضره من العجائب، وكونه رافعاً رأسه عندما وضعته، شاخصاً ببصره إلى السماء، وما رأته من النّور الذي خرج معه عند ولادته، وما رأته من ذلك[(٣)] أمّ عثمان بن أبي العاصي من تدلّي النّجوم، وظهور النّور عند ولادته، حتّى ما تنظر إلاّ النور، وقول الشفاء أم عبدالرحمٰن بن عوف: لما سقط عليه السّلام[(٤)]، على يديّ واستهل[(٥)]. سمعت قائلاً يقول: رحمك الله. وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب، حتّى نظرت إلى قصور الروم. وما تعرّفت[(٦)] حليمة وزوجها ظئراه[(٧)] من بركته، ودرور لبنها له، ولبن شارفها، وخصب غنمها، وسرعة شبابه، وحسن نشأته، وما جرى من العجائب ليلة مولده، من ارتجاج إيوان كسرى، وسقوط شرفاته، وغيض بحيرة طبريّة، وخمود نار فارس، وكان لها ألف عام لم تخمد، وأنّه كان إذا أكل مع عمّه أبي طالب وآله، وهو صغير، شبعوا ورووا، فإذا غاب، فأكلوا في غيبته لم يشبعوا. وكان سائر ولد أبي طالب، يصبحون شعثاً، ويصبح هو[(٨)] عليه السلام صقيلا[(٩)] دهيناً كحيلاً. قالت أمّ أيمن حاضنته: ما

(١) في (د): قال عياض رحمه الله.
(٢) في الشفاء: ومن ذلك.
(٣) في الشفاء: وما رأته إذ ذاك...
(٤) في الشفاء: صلى الله عليه وآله وسلم.
(٥) استهلّ الصبيّ: رفع صوته عند الولادة.
(٦) في الشفاء: وما تعرّفت به...
(٧) الظئر: المرضعة. وقد يطلق على أبي الرضاعة كما هنا.
(٨) في الشفاء: ويصبح ﷺ.
(٩) صقيلاً: رائق اللون، غير متغير البشرة.

رأيته عليه[1] السلام شكا جوعاً ولا عطشاً، صغيراً ولا كبيراً.

ومن ذلك حراسة السّماء بالشّهب، وقطع رصد الشياطين، ومنعهم استراق السمع، وما نشأ عليه من بغض الأصنام، والعفّة عن أمور الجاهلية، وما خصّه الله به من ذلك وحماه، حتى ستره/ في الخبر المشهور، عند بناء الكعبة، إذا أخذ إزاره ليجعله على عاتقه، ليحمل عليه الحجارة، وتعرّى فسقط إلى الأرض، حتّى ردّ إزاره عليه. فقال له عمّه ما بالك؟ قال[2]: إنّي نهيت عن التّعري. ٣٥/و

ومن ذلك إظلال الله له بالغمام، في سفره، وفي رواية: أنّ خديجة، ونساءها رأينه لما قدم، وملكان يظلاّنه، فذكرت ذلك لميسرة، فأخبرها أنّه رأى ذلك مذ[3] خرج معه في سفره؛ وقد رُوي أنّ حليمة رأت غمامة تظلّه، وهو عندها. ورُوي ذلك عن أخيه[4] من الرضاعة.

ومن ذلك أنّه ﷺ[5] نزل في بعض أسفاره وقبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها، وأينعت هي، فأشرقت[6] وتدلت عليه أغصانها بمحضر من رآه.

ومثل فيء الشجرة إليه، في الخبر الآخر حتّى أظلته. وما ذكر من أنّه كان لا ظلّ لشخصه في شمس ولا قمر، لأنّه كان نوراً، وأنّ الذّباب كان لا يقع على جسده[7]، ولا ثيابه.

---

(١) في الشفاء: ما رأته ﷺ شكا جوعاً قط ولا عطشاً.
(٢) في الشفاء و(د): فقال:
(٣) في الشفاء و(د) و(ر): منذ.
(٤) في (د) و(ر): عن أخته.
(٥) في الشفاء: بلا تصلية.
(٦) في (د) و(ر): فأشرفت، وكلا المعنيين صحيح لغة، يقال: أشرقت الشجرة إذا نمت وعلت أغصانها.
(٧) في (د): على جسمه.

ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتّى أوحي إليه. انتهى كلام عياض[1] وقد تقدم كثير من ذلك مبيناً معزوّاً لمن ذكره من الأئمة، وسيأتي تفصيل ما بقي منه إن شاء الله[2] في محاله، على حسب الإمكان، ومبلغ جهد الإنسان، وبالله نستعين[3] في كلّ زمان، وعليه نتوكّل في كل الأحيان، وأنا أسأل الله العظيم، ربّ العرش العظيم، أن يجعل ما كتبناه في كتابنا هذا وغيره، ممّا أوردناه من مناقب نبيّه، خالصاً لوجهه، ومبلّغاً إلى مرضاته، وأن يسعدنا وإيّاكم [به][4] معشر الحاضرين يوم لقائه، بجاه سيّدنا محمد خاتم النّبيين، وإمام المرسلين، وقائد الغرّ المحجلّين، صلّى الله عليه وعلى آله السّادة المطهّرين، وعلى جميع صحابته الأكرمين المتّقين، صلاة ندّخرها ليوم الدّين.

فصل

في ذكر رضاعه ﷺ وما ظهر في أيامه من آياته الباهرة، وأنوار نبوته الساطعة

قال ابن إسحاق: والتُمس لرسول الله ﷺ المراضع[5] فاسترضع له من امرأة[6] من بني سعد يقال لها حليمة بنت أبي ذؤيب[7]، وكانت حليمة تحدّث: أنّها خرجت من بلدها وابن لها ترضعه، في نسوة من بني سعد[8]،

(١) الشفاء: ١/٥١٨ ـ ٥٢٢.
(٢) في (د): إن شاء الله تعالى.
(٣) في الأصل: أستعين.
(٤) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: الرضعاء. قال ابن هشام: المراضع، وفي كتب الله تبارك وتعالى في قصّة موسى عليه السلام: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: ١٢].
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: فاسترضع له امرأة.
(٧) السيرة النبوية لابن هشام: م١/١٦٠.
(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: من بني سعد بن بكر، تلتمس.

يلتمسن الرضعاء. قالت: وفي سنة شهباء، لم تبق لنا شيئاً، قالت: فخرجت على أتان لي[١] معنا شارف[٢] لنا، والله ما تبضّ[٣] بقطرة لبن، وما ننام ليلنا أجمع مع صبّينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، وما في ثديّي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذّيه[٤]، ولكنّا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك، فلقد أدمت بالرّكب ـ أي حبستهم[٥] ـ حتّى شقّ ذلك عليهم، ضعفاً وعجفاً، حتّى قدمنا مكة نلتمس الرّضعاء، فما منّا امرأة إلاّ وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها: إنّه يتيم، وذلك إنّما كنّا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنّا نقول: يتيم! ما عسى أن تصنع أمّه وجدّه! فكنّا نتركه[٦] لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلاّ أخذت رضيعاً غيري، فلمّا أجمعنا على الانطلاق قلت لصاحبي: والله إنّي لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فلأخذنّه، قال: لا عليك أن تفعلي... عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبتِ إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره، قالت: فلمّا أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتّى روي، وشرب معه أخوه حتّى روي، ثم ناما، وما كنّا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا بها[٧] حافل، فحلب منها ما شرب، وشربتُ حتّى انتهينا ريّاً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي[٨] والله يا حليمة، لقد أخذتِ نسمة مباركة. قالت: قلت[٩]: والله إنّي لأرجو ذلك. قالت: ثم

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: على أتان لي قمراء.
(٢) الشارف: الناقة المسنّة.
(٣) ما تبضّ: ما ترشح بشيء.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: يغذّيه، ويقال: يغذيه.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: أدمت بالركب حتّى شق ذلك عليهم.
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: فكنا نكرهه لذلك.
(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: فإذا إنها لحافل.
(٨) في تاريخ الطبري: أتعلمين.
(٩) في السيرة النبوية لابن هشام: فقلت.

خرجنا، وركبت أتاني، وحملته عليها معي. فوالله لقطعت بالرّكب، ما يقدر[١] عليّ شيء من حمرهم، حتّى إن صواحبي ليقلنّ[٢] لي: يا بنت أبي ذؤيب ويحك! اربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت/ خرجت عليها؟ ٣٦/ظ فأقول لهنّ: بلى والله، إنّها لهي[٣]، فيقلن: والله إنّ لها لشأناً. قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب[٤] منها، فكانت غنمي تروح عليّ ـ حين قدمنا به معنا ـ شباعاً لبناً، ونشرب وما يحلب إنسان قطرة[٥] من لبن، ولا يجدها في ضرع، حتّى كان الحاضرون[٦] من قومنا يقولون: لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبضّ بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً. فلم نزل نتعرّف من الله سبحانه[٧] الزّيادة والخير حتى مضت سنتاه، وفصلته، وكان يشبّ شباباً لا يشبه الغلمان. فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً[٨] قالت: فقدمنا به على أمّه، ونحن أحرص شيء على مكثه فينا، لما كنّا نرى من بركته[٩]. وكلّمنا أمّه وقلت لها: لو تركت بنيّ[١٠] عندي حتى يغلظ، فإنّي أخشى عليه وباء[١١] مكّة. قالت: فلم نزل بها حتّى ردّته معنا. قالت: فرجعنا به، فوالله إنّه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بهم[١٢] لنا خلف بيوتنا،

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: ما يقدر عليها شيء...
(٢) في الأصل: ليقولن.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: إنها لهي هي.
(٤) في النسخ المعتمدة: أجذب.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: قطرة لبن.
(٦) في النسخ المعتمدة: كان الحاضر من قومنا.
(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: تتعرف من الله الزّيادة...
(٨) جفراً: مستغنياً عن لبن أمّه، قادراً على الأكل، والجفر: الغليظ الشديد.
● المعجم الوسيط: مادة: جفر.
(٩) في السيرة النبوية لابن هشام: فكلما.
(١٠) في (د): ابني عندي.
(١١) في السيرة النبوية لابن هشام: وبأ مكّة.
والوباء: يهمز، ويقصر، ويمدّ، وهو الطاعون.
(١٢) البهم: الصّغار من الغنم. واحدتها بهمة.

إذ أتانا أخوه يشتدّ، فقال لي ولأبيه: ذلك[1] أخي القرشي، قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه، فشقّا بطنه، فهما يسوطانه. قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدته قائماً ممتقعاً وجهه، فالتزمته[2] والتزمه أبوه فقلنا: ما لك يا بني! قال: جاءني رجلان[3] عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقّا بطني[4]، فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو؟ قالت: فرجعنا به إلى خبائنا. قالت: وقال لي أبوه يا حليمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمّه. فقالت: ما أقدمك به يا ظئر؟ وقد كنت حريصة عليه، وعلى مكثه عندك؟ قالت: فقلت: قد بلغ الله بابني، وقد قضيت الذي عليّ، وتخوّفت الأحداث عليه، فأدّيته عليك[5] كما تحبّين. قالت: ما هذا شأنك، فَاصْدُقيني خبرك؟ فلم تدعني حتى أخبرتها. قالت: أفتخوفت عليه الشيطان؟ قالت: قلت: نعم؛ قالت: كلاّ والله ما للشيطان عليه[6] سبيل، وإنّ لبنيّ لشأناً، أفلا أخبرك خبره؟ قالت: قلت: بلى؟ قالت: رأيت حين حملت به أنّه خرج منّي نور أضاء لي قصور بصري من أرض الشام، ثم حملت به، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخفّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته، وإنّه لواضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السّماء، دعيه عنك وانطلقي راشدة[7].

قال ابن القطان: ومن آيته ﷺ ما روى عن حليمة أنّها قالت: لقد كان رسول الله ﷺ يمس ضرع شاة لنا يقال لها ظلال، فما يطلب منها اللبن ساعة من الساعات إلاّ حلب صبوحاً وغبوقاً وما على الأرض شيء تأكله دابّة.

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: ذاك.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: قالت: فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له:
(٣) في الأصل: وعليهما.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: وشقّا بطني.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: إليك.
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: عليه من سبيل.
(٧) السيرة النبوية لابن هشام: ١٦٢/١ ـ ١٦٥.

قال ابن إسحاق وحدثني ثور[1] بن يزيد عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلاّ عن خالد[2] بن معدان[3] أنّ نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله: أخبرنا عن نفسك؟ قال: نعم. أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنّه خرج منها نور أضاء لها[4] قصور الشام، واسترضعت في بني سعد[5]. فبينما أنا مع أخٍ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا، أتاني[6] رجلان، عليهما ثياب بيض بطستٍ من ذهب، مملوءة ثلجاً، فأخذاني[7]، فشقّا بطني، فاستخرجا[8] منها علقة سوداء، فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج، حتّى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزنني بعشرة[9] فوزنتهم، ثم قال: زنة بمائة من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، فقال: دعه عنك[10]، فلو وزنته بأمّته لوزنهم[11].

---

(١) أبو خالد ثور بن يزيد الكلاعي الحمصي، الحافظ، الثبت، حدّث عن خالد بن معدان، وعطاء، وغيرهما، وحدّث عنه سفيان بن عيينة، ويحيى بن القطان، وخلق كثير، كان صدوقاً، عابداً، صحيح الحديث، توفي سنة **١٥٣**هـ وقيل: **١٥٥**هـ.
● تذكرة الحفّاظ: م١/١/١٨٥، تر: ١٧١.

(٢) خالد بن معدان: أبو عبدالله خالد بن معدان الكلاعي الحمصي، عالم أهل زمانه في بلده، لقي سبعين صحابياً، وسمع ثوبان، ومعاوية، وأبا أمامة، وخلقاً كثيراً، وحدّث عنه ثور بن يزيد، وصفوان بن عمرو، وعبدة ابنته، وآخرون، توفي سنة **١٠٤**هـ وقيل سنة **١٠٣**هـ.
● تذكرة الحفاظ: م١/١/٩٣ ـ ٩٤، تر: ٨٤.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: ابن معدان الكلاعي.

(٤) في الأصل و(د): أضاء له.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: سعد بن بكر.

(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: إذ أتاني.

(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: ثم أخذاني.

(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: واستخرجا قلبي فشقّاه فاستخرجا منه علقة...

(٩) في السيرة النبوية لابن هشام: فوزنني بهم.

(١٠) في السيرة النبوية لابن هشام: فوالله لو وزنته بأمّته لوزنها.

(١١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/١٦٦ ـ ١٦٧.

قال السهيلي: وذكر غير ابن إسحاق أنّ رسول الله ﷺ كان لا يقبل إلاّ على ثديها الواحد، وكانت تعرض الثدي الآخر عليه[١] فيأباه، كأنّه قد أشعر ـ عليه السلام ـ أنّ معه شريكاً في لبنها[٢]، وكان مفطوراً على العدل، مجبولاً على جميل[٣] المشاركة والفضل ﷺ[٤].

وقد نقله ابن القطان أيضاً بهذا السياق.

قال السّهيلي: وقوله يسوطانه. يقال سطت اللبن[٥] أو غيره، أسوطه/ ٣٧/و إذا ضربت بعضه ببعض، والمسوط: عود يضرب به[٦].

قال عياض في شفائه: وفي حديث آخر عنه ﷺ قال: فأخذاني فشقّا بطني، من نحري إلى مراقّ بطني، ثم استخرجا[٧] منّي قلبي، فشقّاه، فاستخرجا منه علقة سوداء، فطرحاها، ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج، حتّى أنقياه.

قال[٨] في حديث آخر: ثم تناول أحدهما شيئاً. فإذا بخاتم في يده من نور يحار النّاظر دونه، فختم به قلبي، فامتلأ إيماناً وحكمة، ثم أعاده مكانه، وأمرّ الآخر يده على مفرق صدري فالتأم.

وفي رواية: إنّ جبريل عليه السّلام[٩] قال: قلب وكيع أي شديد، فيه

---

(١) في الروض الأنف: تعرض عليه الثدي.
(٢) في الروض الأنف: في لبانها.
(٣) في الروض الأنف: مجبولاً على المشاركة.
(٤) الروض الأنف: ١٦٦/٢.
(٥) في الروض الأنف: سطت اللبن أو الدم أو غيرهما.
(٦) الروض الأنف: ١٦٨/٢.
(٧) في الشفاء: ثم استخرجا منه قلبي، فشقاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني.
(٨) في الشفاء: وقال في حديث آخر.
(٩) في الشفاء: بلا تسليم.

عينان تبصران وأذنان تسمعان[١]، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته[٢]. الحديث.

وفي حديث[٣] آخر أنهم ثلاثة رجال، ثم ضمّوني إلى صدورهم، وقبّلوا رأسي، وما بين عيني، ثم قالوا يا حبيب لم ترع[٤]، إنّك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرّت عيناك. وفي بقية هذا الحديث من قولهم: ما أكرمك على الله، إنّ الله معك وملائكته.

وقال في حديث أبي ذر[٥]: فما هو إلاّ أن ولّيا عنّي، فكأنما أرى الأمر معاينة[٦]. اللّهم منّ علينا باتّباع كتابك، وسنّة نبيّك، والكون معه في زمرة أوليائك.

تنبيه: في ذكر بركة اسمه ﷺ، قال عياض في «شفائه» رُوي عن جعفر[٧] بن محمد[٨] أنّه إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنّة لكرامة اسمه عليه السلام[٩].

---

(١) في الشفاء: وأذنان سميعتان.

(٢) الشفاء: ٢٢٦/١.

(٣) في الشفاء: قال في الحديث الآخر: ثم ضمّوني.

(٤) لم ترع: لا تفزع: أي حصل لك من قوة القلب ما لا يعتريك بعده خوف.

(٥) أبو ذر الغفاري: اسمه جندب بن جنادة، صحابي جليل، قديم الإسلام، يضرب به المثل في الصّدق، توفي بالربذة منفياً، سنة ٣٢هـ، روى له البخاري، ومسلم: ٢٨١ حديثاً.
- أ ـ الاستيعاب: ١٦٥٢/٤ ـ ١٦٥٦، تر: ٢٩٤٤.
- ب ـ الأعلام: ١٣٦/٢.

(٦) الشفاء: ٢٢٧/١.

(٧) جعفر بن محمد: أبو عبدالله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني الصادق حدث عن أبيه أبي جعفر الصادق، وعروة بن الزبير، وعطاء، ونافع وغيرهم، وحدّث عنه الإمام مالك بن أنس، والسّفيانان، وخلق كثير، ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٤٨هـ، رضي الله عنه.
- تذكرة الحفاظ: م١٦٦/١/١ ـ ١٦٧، تر: ١٦٢.

(٨) في الشفاء: عن جعفر بن محمد عن أبيه أنّه..

(٩) في الشفاء: ﷺ.

وروى ابن القاسم[1] في سماعه، وابن وهب[2] في جامعه عن مالك[3] قال[4]: سمعت أهل مكّة يقولون: ما من بيت فيه اسم محمد[5] إلاّ رُزقوا ورُزق جيرانهم.

وعنه ﷺ[6] ما ضرّ أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة[7].

قلت: ورُوي عن علي[8] رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(1) ابن القاسم: أبو عبدالله عبدالرحمٰن بن القاسم بن خالد العتقي المصري، الإمام، الفقيه، الجامع بين الزّهد والعلم، صاحب الإمام مالك، قال خرجت إلى مالك اثنتي عشرة مرّة، مولده بمصر سنة ١٣٢هـ، وبها توفي سنة ١٩١هـ. أخرج له البخاري، وأبو داود، والنّسائي.
- أ ـ تذكرة الحفّاظ: م١، ٣٥٦/١ ـ ٣٥٧، تر: ٣٤٦.
- ب ـ الأعلام: ٩٧/٤.

(2) ابن وهب: أبو محمد عبدالله بن وهب بن مسلم الفهري، ولد سنة ١٢٥، جمع بين الفقه، والحديث، والعبادة، حدّث عن يونس، وابن جريج، والإمام مالك، والليث، وخلق كثير، وروى عنه شيخه الليث، وأصبغ بن الفرج، وسحنون، وغيرهم كثير. توفي في شعبان سنة ١٩٧ رحمه الله تعالى.
- أ ـ تذكرة الحفّاظ: م١/٣٠٤/١ ـ ٣٠٦، تر: ٢٨٣.
- ب ـ الأعلام: ٢٨٩/٤.

(3) مالك بن أنس: أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي الحميري، المدني، إمام دار الهجرة، فقيه الأمّة، صاحب المذهب المشهور، ولد بالمدينة ٩٢، وبها توفي سنة ١٧٩ رضي الله تعالى عنه.
- أ ـ تذكرة الحفّاظ: م١/٢٠٧/١ ـ ٢١٣، تر: ١٩٩.
- ب ـ الأعلام: ١٦٨/٦.

(4) في الشفاء: عن مالك سمعت...

(5) في الشفاء: إلاّ نما ورزقوا وفي نسخة: إلاّ وقوا.

(6) في الشفاء و(د): وعنه عليه السلام.

(7) الشفاء: ٢٣٠/١.

(8) علي: أبو الحسن، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وزوج فاطمة الزهراء، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة، كان صاحب لواء في كثير من المشاهد والغزوات، ولد بمكة سنة ٢٣ قبل الهجرة، وقتل شهيداً في ١٧ رمضان عام=

ما اجتمع قوم قط في مشورة معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم إلاّ لم يبارك لهم.

قيل: رواه جماعة منهم ابن عتّاب[1].

فصل

قال السّهيلي: واختصر ابن إسحاق حديث نزول الملكين[2] على النبي ﷺ وهو أطول مما ذكره.

روى ابن أبي[3] الدنيا وغيره بإسناد يرفعه إلى أبي ذرّ رضي الله عنه. قال: قلت: يا رسول الله كيف علمت أنك نبيّ، أو بم علمت حتّى استيقنت؟

= ٤٠هـ كرّم الله وجهه، له ٢٨ ولداً منهم ١١ ذكراً، و١٧ أنثى، وروى عن النبي ﷺ ٥٨٦ حديثاً.

- أ ـ الاستيعاب: ١٠٨٩/٣ ـ ١١٣٣، تر: ١٨٥٥.
- ب ـ الأعلام: ١٠٧.

(١) ابن عتاب: أبو محمد عبدالرحمٰن بن محمد بن عتّاب بن محسن، القرطبي، ولد سنة ٤٣٣هـ، روى عن أبيه وأكثر عنه، وكان من أهل الفضل والتّواضع، وآخر الشيوخ الأجلّة الأكابر بالأندلس، في علوّ الإسناد، وسعة الرواية، سمع النّاس منه كثيراً، وكانت الرحلة إليه، لثقته، وعلوّ إسناده، وصحة كتبه، توفي سنة ٥٢٠هـ رحمة الله عليه.

- أ ـ كتاب الصّلة لابن شكوال: ٣٥٨/٢، تر: ٧٤٩، لأبي القاسم خلف بن عبدالملك. مطابع سجل العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.
- ب ـ الأعلام: ١٠٣/٤.

(٢) في الروض الأنف: حديث نزول الملكين عليه أطول من هذا.

(٣) ابن أبي الدنيا: عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان القشيري البغدادي المؤدّب، أحد الثقاة، المصنّفين للأخبار والسّير. مؤلفاته تزيد عن المائة، ولد سنة ٢٠٨هـ، وتوفي سنة ٢٨٢هـ رحمه الله.

- أ ـ سير أعلام النّبلاء: ٣٩٧/٣، تر: ١٩٢.
- ب ـ فوات الوفيات: ٤٩٤/١، تر: ١٩٦، لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي [ت: ٧٦٤هـ] تح: محمد محي الدين عبدالحميد مطبعة السعادة، بمصر ١٩٥١م.

قال: يا أبا ذر: أتاني ملكان وأنا ببطحاء مكّة، فوقع أحدهما بالأرض، وكان الآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو، قال: فزنه برجل فوزنني برجل فرجحته، ثم قال: زنه بعشرة فوزنني[1] بعشرة فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة فوزنني بمائة[2] فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فوزنني بألف[3] فرجحتهم، حتّى جعلوا يتساءلون[4] عليّ من كفة الميزان، فقال أحدهما لصاحبه: شقّ بطنه، فشقّ بطني، فأخرج قلبي، فأخرج منه مغمز الشيطان، وعلق الدم فطرحها[5]. فقال أحدهما لصاحبه: أغسل بطنه غسل الإناء، واغسل قلبه غسل الملاء[6]، ثم قال أحدهما لصاحبه: خط بطنه، فخاط بطني، وجعل الخاتم بين كتفيّ كما هو الآن، وولّيا عنّي، فكأني أعاين الأمر معاينة[7].

قلت: ونقله النيسابوري بهذا السّياق، وفيه وأمسح قلبه مسح الملاء.

قال السهيلي: ففي هذا الحديث بيان ما أبهم[8] في غيره، لأنّه قال: فأخرج منه مغمز الشيطان، وعلق الدّم، وفيه بيان وقت وضع خاتم النّبوة، وكيف وضع، ومن وضعه، غير أن في الحديث وهما من بعض النقلة، وهو قوله بينما أنا ببطحاء مكة، وهذه القصّة لم تعرض له إلاّ هو في بني سعد، مع حليمة كما ذكر ابن إسحاق وغيره. وقد رواه

---

(١) في الروض الأنف: فوزنني فرجحتهم.
(٢) في الروض الأنف: فوزنني فرجحتهم.
(٣) في الروض الأنف: فوزنني فرجحتهم.
(٤) في الروض الأنف: يتثاقلون عليّ.
(٥) في الروض الأنف: فطرحهما.
(٦) الملاء: جمع مفردة ملاء، وهي الملحفة.
(٧) الروض الأنف: ٢/١٦٨ ـ ١٦٩.
(٨) في الروض الأنف: بيان لما أُبهم في الأوّل...

البزّار[1] من طريق عروة[2] عن أبي ذر[3]، فلم يذكر فيه بطحاء مكة، قال: ولا أعلم لعروة سماعاً من أبي ذر، وهذا الخبر يروى عنه ﷺ على وجهين: أحدهما أنه شق على قلبه ﷺ وهو مع مرضعته ﷺ في بني سعد، والثاني ليلة الإسراء، وذكر بعض من ألّف في شرح الحديث أنّه تعارض[4] في الرّوايتين وجعل يأخذ في ترجيح الرواة وتغليط بعضهم، وليس الأمر كذلك، بل كان هذا التقديس والتّطهير مرّتين: الأولى في حال الطفولية لينقّى قلبه من مغمز الشيطان، وليقدس[5] ويطهّر من كل خلق ذميم، والثانية في حالة الاكتهال وبعد ما نبّىء، وعندما أراد الله سبحانه أن يرفعه إلى الحضرة المقدّسة التي لا يصعد/ إليها إلاّ مقدّس، وعُرج به هناك[6]، لتفرض عليه الصلوات، وليصلي بملائكة السّموات[7].

٣٨/ظ

قلت: وبه أقول، وحمل الروايات على ظاهرها إذا لم يلزم منه محال أولى من دعوى تعارضها، والقدح في روايتها، وهذا هو الصواب.

---

(١) البزّار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البصري، العلاّمة الحافظ، صاحب المسند الكبير المعلل، توفي بالرملة سنة ٢٩٢هـ.
- تذكرة الحفّاظ: م١، ٦٥٣/٢ ـ ٦٥٤، تر: ٦٧٥.

(٢) عروة بن الزبير: أبو عبدالله عروة بن الزبير بن العوام القرشي، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، روى عن أبيه، وعن زيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وعائشة، وأبي هريرة، وخلق. وحدّث عنه بنوه: هشام، ومحمد، وعثمان، ويحيى، وعبدالله، والزّهري، وأبو الزناد، وابن المنكدر. وخلق سواهم. كان عالماً بالسّير. حافظاً ثبتاً. ولد في آخر خلافة عمر، وتوفي سنة ٩٤هـ رحمه الله تعالى.
- أ ـ تذكرة الحفّاظ: م١، ٦٢/١ ـ ٦٣، تر: ٥١.
- ب ـ الأعلام: ١٧/٥.

(٣) في الروض الأنف: رضي الله عنه.

(٤) في (ر): في شرح الحديث تعارضا.

(٥) في الروض الأنف: وليطهّر ويقدّس من كل خلق ذميم.

(٦) في الروض الأنف: هنالك.

(٧) الروض الأنف: ١٧٣/٢ ـ ١٧٤، وبينهما خلاف.

وإنّما الوهم في رواية من روى عن أبي ذرّ أنّ ذلك وقع ببطِحاء مكة، وسنذكر عن أبي ذر مما جاء في الصحيح خلافُه. وكذلك رواية شريك[1] بن عبدالله بن أبي نمر، عن أنس، أنّ ذلك قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد، هو وهم. والثّابت عن أنس خلافه، أن ذلك كان ليلة الإسراء، وها أنا ـ إن شاء الله ـ أذكر لفظ مسلم، والبخاري: روينا عن مسلم قال ـ نا[2] ـ عبدالله بن هاشم[3] العبدي، قال: ـ نا ـ بهز بن أسد[4] قال ـ نا ـ سليمان بن المغيرة[5] قال ـ نا ـ ثابت[6]

---

(١) شريك بن عبدالله بن أبي نمير المدني المحدّث، أخذ عن أنس، وسعيد بن المسيب، وعطاء بن يسار، وغيرهم. وحدّث عنه مالك، وسليمان بن بلال، وإسماعيل بن جعفر، وثّقه أبو داود، توفي قبل ١٤٠هـ.
● سير أعلام النّبلاء: ١٥٩/٦، تر: ٧٣.

(٢) في صحيح مسلم: قال: حدَّثني.

(٣) عبدالله بن هاشم: أبو عبدالرحمٰن عبدالله بن هاشم بن حيان العبدي، الطوسي المولد، النيسابوري الأصل، سمع سفيان بن عيينة، ووكيعاً، ويحيى بن سعيد القطان، وعبدالرحمٰن بن مهدي. وغيرهم، وحدّث عنه مسلم، وأبو بكر بن خزيمة ـ وأحمد بن سلمة، وسائر من أدركه من أهل الحديث، من أهل بلده، توفي في ذي الحجة سنة ٢٥٥.
● سير أعلام النبلاء: ٣٢٨/١٢، تر: ١٢٦.

(٤) بهز بن أسد: أبو الأسود البصري، الإمام الحافظ، الثقة، حدّث عن شعبة، ويزيد بن إبراهيم التّستري، وغيرهما، وحدّث عنه أحمد بن حنبل، ومحمد بن بشّار، وعبدالرحمٰن بن البشر، وغيرهم، توفي سنة ١٩٧هـ.
● سير أعلام النبلاء: ١٩٢/٩، تر: ٥٥.

(٥) سليمان بن المغيرة: أبو سعيد سليمان بن المغيرة القيسي، البصري، حدّث عن محمد بن سيرين، والحسن البصري، وحميد بن هلال، وثابت البناني، وجماعة. وحدّث عنه ابن المبارك، والقطاني، وابن مهدي، وأبو سلمة، وشيبان بن فروخ، وخلق كثير، توفي عام ١٥٦هـ.
● تذكرة الحفّاظ: م١/١/٢٢٠ ـ ٢٢١، تر: ٢٠٦.

(٦) ثابت البناني: أبو محمد ثابت البُناني البصري، ولد في خلافة معاوية، وحدّث عن عبدالله بن عمر ـ في صحيح مسلم ـ .وعن عبدالله بن مغفل المزني ـ في سنن النّسائي، وعن عبدالله بن الزبير ـ في صحيح البخاري ـ وعن أبي برزة الأسلمي، وعمرو بن أبي سلمة المخزومي، وأنس بن مالك ـ في التّرمذي، والنّسائي ـ وحدّث=

البناني[1] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري، ثم غسل بماء زمزم، ثم أنزلت[2]. قال مسلم: ـ نا ـ شيبان[3] بن فرّوخ قال: نا حمّاد بن سلمة قال: أرنا[4] ثابت البنانيّ عن أنس بن مالك، رضي الله[5] عنه، أنّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل صلّى الله عليهما[6] وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه، فصرعه، فشقّ عن قلبه، فاستخرج القلب[7]، واستخرج منه علقة، فقال: هذا حظّ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه، يعني ظئره، فقالوا: إنّ محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللّون.

قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره ﷺ[8].

قال مسلم: وني حرملة[9] بن يحيى التجيبي قال: أرنا ابن وهب قال:

= عنه عطاء بن أبي رباح، وقتادة، وخلق كثير، توفي سنة ١٢٧هـ وهو ابن ٨٦هـ سنة رحمه الله تعالى.

● سير أعلام النبلاء: ٢٢٠/٥، تر: ٩١.

(١) في صحيح مسلم: ثابت عن أنس بن مالك قال:

(٢) صحيح مسلم: ١٤٦/١، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السّموات وفرض الصلوات.

(٣) شيبان بن فروخ أبو محمد شيبان بن أبي شيبة الحبطي الأبلي البصري، مسند عصره، ولد سنة ١٤٠هـ، فسمع حماد بن سلمة، وجرير بن حازم، وسلاّم بن مسكين، وطبقتهم، وحدّث عنه مسلم، وأبو داود، وأبو القاسم البغوي، وزكريا بن يحيى خياط السّنة، وخلق كثير، توفي سنة ٢٣٦.

● سير أعلام النبلاء: ١٠١/١١، تر: ٣١.

(٤) في صحيح مسلم: ـ نا ـ ثابت...

(٥) في صحيح مسلم: عن أنس بن مالك أنّ رسول الله.

(٦) في صحيح مسلم: بلا تصلية.

(٧) في صحيح مسلم: فاستخرج ـ بالفاء ـ.

(٨) في صحيح مسلم: بلا تصلية.

● صحيح مسلم: ١٤٧/١، ١ ـ كتاب الإيمان، باب الإسراء...

(٩) حرملة التّجيبي: أبو حفص حرملة بن يحيى بن عبدالله بن حرملة بن عمران، =

أرني يونس[1] عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال: كان أبو ذرّ رضي الله عنه[2] يحدّث؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: فُرج عن سقف بيتي، وأنا بمكة، فنزل جبريل عليه السلام[3]، ففرج صدري، ثم غسله بماء[4] زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً. فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السّماء[5] الحديث. ورواه البخاري بهذا اللفظ: فقال: أخبرنا[6] يحيى[7] بن بكير الليثي[8]، عن يونس، عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدّث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل**

= المصري، حدّث عن ابن وهب، فأكثر جدّاً، وعن الإمام الشّافعي، ولزمه، وتفقّه به، وطائفة، وحدّث عنه مسلم، وابن ماجة، وآخرون، ولد سنة **١٦٦هـ** وتوفي في شوال سنة **٢٤٣هـ**.

● سير أعلام النبلاء: م**٣٨٩/١١**، تر: **٨٤**.

(١) يونس: أبو إسرائيل يونس بن أبي إسحاق بن عمرو بن عبدالله الهمذاني السّبيعي الكوفي، حدّث عن أنس بن مالك، والشّعبي، ومجاهد، وجماعة، وحدّث عنه ابنه عيسى، وابن المبارك، ووكيع، وابن مهدي، وقبيصة، وخلق كثير، توفي سنة **١٥٩هـ**.

● أ ـ سير أعلام النبلاء: **٢٦/٧** تر: **١٠**.

● ب ـ شذرات الذهب: **٢٤٧/١**.

(٢) في الأصل وصحيح مسلم: بلا ترضية.

(٣) في الأصل وصحيح مسلم: ﷺ. وفي (ر): فرج سقف بيتي، وأنا بمكة، فنزل جبريل عليه السلام.

(٤) في (ر): من ماء زمزم.

(٥) صحيح مسلم: **١٤٨/١**، كتاب الإيمان، باب الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

(٦) في صحيح البخاري: حدّثنا.

(٧) يحيى بن بكير: أبو زكريا يحيى بن عبدالله بن بكير المخزومي المصري، سمع مالكاً، والليث، وخلقاً كثيراً، وسمع الموطأ من مالك سبع عشرة مرّة، احتجّ البخاري، ومسلم في صحيحيهما بما يرويه، توفي سنة **٢٣١هـ**.

● تذكرة الحفّاظ: م**٤٢٠/٢/١**، تر: **٤٢٥**.

(٨) في صحيح البخاري: قال: حدثنا الليث.

جبريل عليه السلام[1] ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلىء حكمة وإيماناً، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السّماء» الحديث[2].

قال مسلم: نا محمد بن مثنّى[3]، قال: نا ابن أبي عدّي[4] عن سعيد[5]، عن قتادة[6]، عن أنس بن مالك[7]: عن مالك[8] بن أبي صعصعة[9] رجل

---

(١) في صحيح البخاري: ﷺ.

(٢) صحيح البخاري: ٩٧/١، كتاب الصّلاة، باب كيف فرضت الصّلاة في الإسراء.

(٣) محمد بن المثنّى: أبو موسى محمد بن المثنّى بن عبيد بن قيس بن دينار، العنزي البصري، حدّث عنه الأئمة السّتة، وابن خزيمة، وابن صاعد، وخلق كثير، روى عنه البخاري ١٠٣ أحاديث، ومسلم ٧٧٢ حديثاً، وكان مولده سنة ١٦٧هـ ووفاته ٢٥٢هـ رحمه الله.

- أ ـ تذكرة الحفّاظ: م١/٢/٥١٢، تر: ٥٢٧.
- ب ـ الأعلام: ٢٤٠/٧.

(٤) ابن أبي عدي: أبو عمرو محمد بن إبراهيم بن أبي عدي، حدّث عن حميد الطويل، وداود بن أبي هند، وابن عون، وطبقتهم، وحدّث عنه أحمد بن حنبل، ومحمد بن المثنى، والحسن الزعفراني، وآخرون. توفي سنة ١٩٤هـ.

- تذكرة الحفّاظ: م١/١/٣٢٤، تر: ٣٠٥.

(٥) سعيد بن منصور: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة المروزي ثم البلخي المجاور، سمع مالكاً، والليث بن سعد، وأبا عوانة، وطبقتهم، وحدّث عنه أحمد بن حنبل، ومسلم، وأبو داود، وخلق كثير، توفي بمكة في رمضان سنة ٢٢٧هـ.

- تذكرة الحفّاظ: م١/٢/٤١٦ ـ ٤١٧، تر: ٤٢٢.

(٦) قتادة: أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، البصري الضرير، حدّث عن أنس بن مالك، وسعيد بن المسيّب، وخلق كثير، وحدّث عنه مسعر، وابن أبي عروبة، وشعبة، ومعمر، وأبو عوانة، وحماد بن سلمة، وأمم سواهم، توفي بواسط في الطّاعون سنة ١١٨هـ.

- تذكرة الحفّاظ: م١/١/١٢٢ ـ ١٢٤، تر: ١٠٧.

(٧) في الأصل: ملك عن ملك بن أبي صعصعة ـ وفي (ر): عن أنس بن مالك بن أبي صعصعة.

(٨) في صحيح مسلم: لعله قال: عن مالك.

(٩) مالك بن صعصعة: في صحيح مسلم، والإصابة، والاستيعاب: مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي بن مالك الأنصاري، حدّث عنه أنس بن مالك حديث الإسراء. سكن المدينة. وروى عن النبي ﷺ حديثين. =

من قومه. قال: قال لي نبيّ الله ﷺ: بينا أنا عند [البيت][1] بين النائم واليقظان، إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأتيت، فانطلق بي، فأتيت بطست من ذهب، فيها من ماء زمزم، فشُرح صدري إلى كذا كذا.

قال قتادة: فقلت: للذي معي، ما يعني؟ قال: إلى أسفل بطنه، فاستخرج قلبي، فغسل بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حشي إيماناً وحكمة، ثم أتيت بدابّة أبيض، يقال له البراق. الحديث[2].

فصل

قال أبو الربيع وغيره: ذكر الواقدي أنّ أمّه حليمة السّعدية بعد أن رجعت من عند أمّه حضرت به سوق ذي المجاز[3]، وبه يومئذ عرّاف من هوازن، يؤتى إليه بالصّبيان، فنظر إليهم، ونظر إلى رسول الله ﷺ، وإلى الحمرة في عينيه، وإلى خاتم النّبوة، فصاح يا معشر العرب، فاجتمع إليه أهل الموسم، فقال: اقتلوا هذا الصبيّ، وانسلّت به حليمة، فجعل النّاس يقولون: أيّ صبيّ؟ وهو يقول: هذا الصبيّ، فلا يرون شيئاً. وقد انطلقت به أمّه. فقيل له: ما هو؟ فقال: رأيت غلاماً ليغلبنّ أهل دينكم، وليكسرنّ أصنامكم، وليظهرنّ أمره عليكم. فطلب بعكاظ[4] فلم يوجد، ورجعت به حليمة إلى منزلها.

= ● أ ـ الاستيعاب: ١٣٥٢/٣، تر: ٢٢٧٠.
● ب ـ الإصابة: ٣٤٦/٣، تر: ٧٦٣٩.

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) صحيح مسلم: ١٤٩/١ ـ ١٥٠، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

(٣) سوق ذي المجاز: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، وتقع خلف عرفة.
● معجم البلدان: ١٤٢/٤.

(٤) سوق عكاظ: سوق كانت قبائل العرب تجتمع فيها في كل سنة، ويتفاخرون فيها، ويحضرها شعراؤهم، ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر، ثم يتفرّقون، وعكاظ تقع بين نخلة، والطائف، وكانت العرب تقيم بها شهر شوال. ولم يكن أعظم منه.
● معجم البلدان: ١٤٢/٤.

فكانت بعد هذا لا تعرضه لأحد من النّاس. ولقد نزل بهم عرّاف، فأخرج إليه صبيان أهل الحاضر وأبت حليمة أن تخرجه [إليه][1] إلى أن غفلت عن رسول الله ﷺ فخرج من المظلة، فرآه العرّاف، فدعاه، فأبى رسول الله ﷺ، ودخل الخيمة فجهدهم العرّاف أن يخرج إليه[2] فأبت، فقال/ هذا نبيّ. ٣٩/و

وقد عرضه عمه أبو طالب على عائف من لهب[3]، كان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم، ينظر إليهم، ويعتاف لهم، فأتاه به أبو طالب، وهو غلام مع من يأتيه، فنظر إلى رسول الله ﷺ، ثم شغله عنه شيء. فقال: أين الغلام؟ عليّ به؟ فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيّبه منه، فجعل يقول: ويلكم ردّوا عليّ الغلام الذي رأيت آنفاً، فوالله ليكوننّ له شأن، وانطلق به أبو طالب.

وكانت حليمة بعد رجوعها به من مكة، لا تدعه أن يذهب مكاناً بعيداً، فغفلت عنه يوماً في الظهيرة، فخرج، فخرجت تطلبه، حتّى وجدته مع أخته، فقالت: في هذا الحرّ. فقالت أخته: يا أمّه، ما وجد أخي حرّاً، رأيت غمامة، تظلّ عليه إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت، حتّى انتهى إلى هذا الموضع. فقالت لها أمها: أحقّاً يا بنية؟ قالت: أي والله. قال: تقول حليمة: أعوذ بالله من شرّ ما يُحذَر على ابني.

فكان ابن عباس يقول: أرجع إلى أمه، وهو ابن خمس سنين، وكان

---

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) في (د): إليهم.

(٣) لهب: حي من الأزد، وهي القبيلة المعروفة بالقيافة، تتبع آثار الأقدام، والأخفاف، والحوافر، في المقابلة للأثر، وقد اشتهر قديماً بها، بنو مدلج، قبيلة من كنانة، وبنو لهب، وفيها قال الشاعر:

خبير بني لهب فلا تك ملغياً مقالة لهبي إذا الطير مرّت

والزّجر: الاستدلال بأصوات الحيوانات، وحركاتها، وسائر أحوالها، واستعلام ما غاب عنهم.

● الروض الأنف، للسهيلي: ٢/٢١٥.

غيره يقول: ردّ إليها وهو ابن أربع سنين، هذا كلّه عن الواقدي[١].

قال السّهيلي: وكان ردّ حليمة [إياه][٢] إلى أمّه وهو ابن خمس سنين وشهر، فيما ذكره أبو عمر[٣]، ثم لم تره بعد ذلك إلاّ مرتين: أحدهما بعد تزويجه خديجة[٤]، جاءته تشكو السنّة، وأنّ قومها قد أسنتوا[٥]، فكلّم لها خديجة، فأعطتها عشرين رأساً من غنم، وبكرات[٦]، والمرّة الثانية: يوم حنين[٧].

فصل

قال السّهيلي: وولد النّبي ﷺ بالشعب وقيل بالدّار التي عند الصفا، وكانت بعد لمحمد بن يوسف[٨] أخي الحجاج، ثم بنتها زبيدة[٩] مسجداً

---

(١) الخبر لم أجده في كتاب «المغازي» للواقدي، وإنما وجدته:
● أ ـ في الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد كاتب الواقدي: ٧٠/١، دار الفكر العربي، دار التحرير، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، القاهرة. كما وجدته في:
● ب ـ «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسّير» ٩٦/١، لأبي الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري، تح: د/محمد السعيد الخطراوي، ومحي الدين متو، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ناقص.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبدالبر: ٢٩/١، وفيه: ردّته ظئره حليمة إلى أمّه... بعد خمس سنين ويومين من مولده.

(٤) في الروض الأنف: رضي الله عنهما.

(٥) أسنتوا: أصابتهم سنة مجدبة.

(٦) بكرات جمع بكرة، والبكر: الفتى من الإبل، والأنثى بكرة ـ بفتح الباء ـ.

(٧) الروض الأنف: ١٥٩/٢.

(٨) محمد بن يوسف الثقفي، أمير استعمله أخوه الحجاج على صنعاء، فلم يزل والياً إلى أن توفي عام [٩١هـ/٧١٠م]، وقد جمع المجذومين، وجمع لهم الحطب ليحرقهم فمات قبل ذلك.
● الأعلام للزركلي: ٢٠/٨.

(٩) زبيدة: أمة العزيز زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، زوجة هارون الرّشيد، وبنت عمّه، من فضليات النّساء وشهيراتهنّ، فهي أعظم نساء عصرها ديناً، =

حين حجّت[1].

قلت: وهكذا ذكر أبو سعيد النيسابوري أنه ﷺ ولد في بيت في الدار التي في الزقاق المعروف بزقاق المولد. وكانت الدار بعد مهاجر رسول الله ﷺ في يد عقيل[2] بن أبي طالب، ثم في يدي ولده، لأن رسول الله ﷺ لم يعرض للدار بعد أن فتح مكة. ثم إنّ محمد بن يوسف أخا الحجاج بن يوسف، اشترى تلك الدار من ولد عقيل، فأدخل البيت في دار بناها وسمّاها البيضاء، وهي تعرف بدار ابن يوسف. فكان البيت في الدّار إلى أن حجّت الخيزران[3] أمّ الهادي[4]،

= وأصلاً، وجمالاً، وصيانة، ومعروفاً، أمّ محمد الأمين، توفيت ببغداد في جمادي الأولى سنة [٢١٦هـ /٨٣١م].

- أ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣١٤ ـ ٣١٧، تر: ٢٤٢.
- ب ـ أعلام النساء لعمر رضا كحالة: ١٧/٢ ـ ٢٩.
- ج ـ الأعلام للزركلي: ٧٣/٣.

(١) الروض الأنف: ١٥٩/٢.

(٢) عقيل بن أبي طالب: أبو يزيد عقيل بن عبد مناف [أبي طالب] بن عبدالمطلب، أعلم قريش بآبائها، ومآثرها، ومثالبها، وأنسابها، أسلم بعد صلح الحديبية، وهاجر إلى المدينة، وشهد غزوة مؤتة، وثبت في حنين، فارق أخاه علياً في خلافته، فوفد إلى معاوية في دين لحقه، وعمي في آخر حياته، توفي في عام ٦٠ رضي الله تعالى عنه.

- أ ـ الاستيعاب: ١٠٧٨/٣ ـ ١٠٧٩، تر: ١٨٣٤.
- ب ـ الأعلام: ٣٩/٥.

(٣) الخيزران، بنت عطاء من ربات السياسة والنفوذ، يمانية الأصل، أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي، كانت من جواري المهدي، وأعتقها فتزوجها، ولما توفي زوجها، وتولّى ابنها الهادي الخلافة، انفردت بكبار الأمور، فكانت المواكب تغدو وتروح إلى بابها، وحاول الهادي منعها من ذلك، فسعت إلى قتله، حيث أمرت جواريها فجلسن على وجهه حتّى مات، وكان مريضاً، وقد حجّت وتصدقت بأموال كثيرة، وتوفّيت ببغداد عام ١٧٣هـ.

- أ ـ أعلام النّساء لعمر رضا كحالة: ٣٩٥/١ ـ ٤٠١.
- ب ـ الأعلام: ٣٧٥/٢.

(٤) الهادي: أبو محمد موسى الهادي بن محمد المهدي ولد بالرّيّ عام ١٤٤ وتولّى الخلافة بعد أبيه سنة ١٦٩هـ، وتوفي عام ١٧٠هـ، وكان طويلاً، شجاعاً، جواداً، له معرفة بالأدب، والشعر.

وأمّ هارون[1] الرشيد، فأخرجت البيت، وجعلته مسجداً، يشرع في زقاق المولد، فيصلّي النّاس فيه، رجاء بركته ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم، أنّ ممّا هاج أمّه السّعدية على ردّه إلى أمّه، مع ما ذكرت لأمّه ممّا أخبرتها عنه، أنّ نفراً من الحبشة نصارى، رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه، وسألوها عنه، وقبّلوه[2]، ثم قالوا لها: لنأخذنّ هذا الغلام، فلنذهبنّ به إلى ملكنا، وبلادنا[3]، فإنّ هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره، فزعم الذي حدّثني أنّها لم تكد تنفلت به منهم[4].



= ● أ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٦/٨٧ ـ ١٠٦، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.
● ب ـ الأعلام، للزركلي: ٨/٢٧٩.

(١) هارون الرشيد: خامس خلفاء بني العباس، ولد بالرّي لما كان أبوه محمد المهدي أميراً عليها وعلى خراسان، تولّى الخلافة عام ١٧٠، ودامت خلافته ٢٣ سنة، وكان شجاعاً، كريماً، متواضعاً، كثير الغزوات، توفي في سناباذ من قرى طوس وبها قبره وذلك عام ١٩٣.
● أ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٦/١٠٦ ـ ١٠٩.
● ب ـ الأعلام للزركلي: ٩/٤٣.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: وقلّبوه.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: وبلدنا.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: م١/١٦٧.

 باب في ذكر موت آمنة أم النبي ﷺ وموت جده وكفالة عمه وما جاء من كرامته على ربه في أن أحيا له أبويه وعمه فآمنوا به

قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ﷺ مع أمّه آمنة بنت وهب، وجدّه عبدالمطلب، في كلاءة الله وحفظه، ينبته الله نباتاً حسناً، لما يريد به من كرامته، فلما بلغ ﷺ ستّ سنين، توفيت أمه آمنة بالأبواء - بين مكة والمدينة - كانت قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجّار. تزيره إياهم، فماتت وهي راجعة إلى مكّة.

قال ابن هشام: أمّ عبدالمطلب بن هاشم سلمى بنت عمر[1] النّجارية، فهذه الخؤولة التي[2] ذكر ابن إسحاق[3].

قال السهيلي: الأبواء: موضع معروف بين مكّة والمدينة، وهو إلى المدينة أقرب[4].

وفي الحديث الصّحيح[5]: أنّ رسول الله ﷺ زار قبر أمّه بالأبواء في ألف/ مقنّع فبكى وأبكى[6]. ٤٠/ظ

وفي الصحيح أيضاً أنّه قال ﷺ استأذنت ربّي في زيارة قبر أمّي فأذن لي، واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي[7].

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: عمرو.
(٢) في الأصل: الذي.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١٦٨/١، وبينهما خلاف.
(٤) الروض الأنف: ١٨٤/٢ ـ ١٨٥.
(٥) في الروض الأنف: وفي الحديث أنّ...
(٦) في الروض الأنف: وهذا حديث صحيح.
(٧) انظر:
● أ ـ سنن ابن ماجة، م٥٠١/١، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، ونصه: عن

وفي مسند البزّار من حديث بريدة[١]: أنه عليه السلام حين أراد أن يستغفر لأمّه ضرب جبريل[٢] في صدره فقال لا تستغفر لمن مات مشركاً فرجع وهو حزين.

وفي الحديث زيادة في غير الصحيح أنّه سئل عن بكائه، فقال: ذكرت ضعفها وشدة عذاب الله، إن كان صحّ هذا.

وفي حديث آخر ما يصحّحه أنّ رجلاً، قال له: يا رسول الله: أين أبي؟ فقال: **«في النّار»**، فلما ولّى الرجل، قال له ﷺ: **«إنّ أبي وأباك في النار»**[٣].

قال السّهيلي: وليس لنا نحن[٤] أن نقول هذا في أبويه لقوله ﷺ[٥]:

= أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: استأذنت ربّي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنت ربّي في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنّها تذكّر الموت.

● ب ـ صحيح مسلم: **٦٧١/٢**، باب استئذان النبي ﷺ ربّه عزّ وجلّ في زيارة قبر أمّه، ولفظهما سواء إلاّ في جملة: واستأذنته في أن أزور قبرها، وفي مسلم: واستأذنت ربّي في أن أزور قبرها.

(١) بريدة بن الحصيب: أبو عبدالله بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها، وشهد الحديبية، وكان من ساكني المدينة، ثم تحوّل إلى البصرة، ثم خرج إلى خراسان غازياً، فمات بمرو سنة **٦٣هـ**. وأخرج له رجال الحديث **١٦٧** حديثاً.

● أ ـ الاستيعاب: **١٨٥/١ ـ ١٨٦**، تر: **٢١٧**.

● ب ـ الأعلام: **٢٢/٢**.

(٢) في الروض الأنف: ضرب جبريل ـ عليه السلام ـ في صدره، وقال له: لا تستغفر لمن كان مشركاً...

(٣) وفي مسلم: عن أنس أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: **«في النار»** فلما قفى دعاه فقال: **«إنّ أبي وأباك في النار»**.

● صحيح مسلم: **١٩١/١**، كتاب الإيمان، باب بيان أنّ من مات على الكفر فهو في النار، لا تناله شفاعة، ولا تنفعه قرابة المقربين.

(٤) في الروض الأنف: وليس لنا أن نقول نحن هذا...

(٥) في الروض الأنف: عليه السلام.

«لا تؤذوا الأحياء بسبّ[1] الأموات»، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[2]. وإنّما قال النبي ﷺ لذلك الرجل هذه المقالة، لأنّه وجد في نفسه، حزناً[3].

ورُوي حديث غريب، ولعله[4] يصحّ. وجدته بخط جدّي أبي عمر[5] أحمد بن أبي الحسن[6] القاضي ـ رحمه الله ـ بسند فيه مجهولون ذكر أنّه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوّذ[7] بن داود بن معوّذ الزاهد يرفعه إلى أبي الزّناد[8]، عن عروة[9]، عن عائشة رضي الله عنها، أخبرت أنّ رسول الله ﷺ سأل ربّه أن يحيي أبويه فأحياهما له، وآمنا به، ثم أماتهما،

---

(١) في الأصل: بسبب...

(٢) الأحزاب: من ٥٧/م/٣٣.

(٣) في الروض الأنف: «حزناً» غير وارد، وبعده: «وقد قيل: إنّه قال: أين أبوك أنت؟ فحينئذ قال ذلك، وقد رواه معمر بن راشد بغير هذا اللفظ، فلم يذكر أنّه قال له: إنّ أبي وأباك في النار، ولكن ذكر أنّه قال له: إذا مررت بقبر كافر فبشّره بالنار».

(٤) في الروض الأنف: أن يصحّ.

(٥) في الروض الأنف: أبي عمران.

(٦) أبو عمر: أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخثعمي، من أهل مالقة، كان من أهل العلم، تولّى الخطابة، والقضاء.
● التكملة لكتاب الصّلة: ٣٥/١، تر: ٩٧، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن الأبّار، عناية وتصحيح: السيد عزّت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، بمصر، والمثنى ببغداد، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

(٧) معوذ بن داود: لم أعثر على ترجمته.

(٨) أبو الزناد: أبو عبدالرحمٰن عبدالله بن ذكوان القرشي المدني، ولد سنة ٦٥هـ حدّث عن أنس بن مالك، وأبي أمامة بن سهل، وعروة، وابن المسيّب، وعبدالرحمٰن الأعرج، وغيرهم وحدّث عنه ابنه عبدالرحمٰن، وموسى بن عقبة، ومالك، والليث، والسّفيانان: الثوري وابن عيينة، وكان يسمى أمير المؤمنين في الحديث. وهو تابعي ثقة، توفي عام ١٣٠، رحمه الله.
● سير أعلام النبلاء: ٤٤٥/٥، تر: ١٩٩.

(٩) في الروض الأنف: إلى [عبدالرحمٰن بن] أبي الزناد عن [هشام بن] عروة، عن [أبيه عن] عائشة.

والله قادر على كل شيء، وليس تعجز قدرته[1] ورحمته عن شيء، ونبيّه عليه السّلام أهل أن يخصّه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته ﷺ[2]، انتهى كلام السّهيلي[3] وهو حسن. وقد ذكره القرطبي[4] في تذكرته وارتضاه.

قال القرطبي في تذكرته: خرّج[5] أبو بكر[6] الخطيب في كتاب: **«السّابق واللاحق»** وأبو حفص[7] عمر بن شاهين **في النّاسخ والمنسوخ له في الحديث** بإسناديهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: حجّ بنا رسول الله ﷺ حجّة الوداع فمرّ على قبر أمّه وهو باك حزين مغتمّ، فبكيت لبكائه ﷺ ثم إنّه نزل فقال: يا حميراء استمسكي، فأسندت إلى جنب البعير، فمكث عنّي طويلاً مليّاً، ثم إنّه عاد إليّ وهو فرح متبسّم، فقلت له: بأبي وأمّي يا رسول الله نزلت من عندي، وأنت باك حزين مغتمّ

---

(١) في الروض الأنف: رحمته وقدرته.
(٢) في الروض الأنف: صلوات الله عليه وآله وسلم.
(٣) الروض الأنف: ٢/١٨٥ ـ ١٨٧.
(٤) القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، المفسّر، صاحب كتاب «الجامع لأحكام القرآن» و«التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، وأرجوزة جمع فيها أسماء النبي ﷺ. كان من عباد الله الصالحين، والعلماء والعارفين، رحل إلى المشرق، واستقرّ بمنية أبي خصيب شمال أسيوط بمصر، وبها توفي عام ٦٧١هـ».
- أ ـ مقدّمة تفسيره «الجامع لأحكام القرآن».
- ب ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون، ٢/٣٠٨ ـ ٣٠٩، تح: د/محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر.
- ج ـ الأعلام: ٦/٢١٧.

(٥) في الروض الأنف: جزم أبو بكر الخطيب.
(٦) في الأصل: أبو بكر بن الخطيب.
(٧) ابن شاهين: أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي الحافظ الإمام، محدّث العراق، الواعظ، ولد سنة ٢٧٩هـ، له ثلاثمائة مصنّف في الحديث، والتفسير، قال ابن أبي الفوارس: هو ثقة، مأمون، صنّف ما لم يصنّفه أحد، توفي سنة ٣٨٥هـ.
- تذكرة الحفاظ: م٢/٣/٩٨٧ ـ ٩٩٠، تر: ٩٢٣.

فبكيت لبكائك. ثم إنّك[1] عدت إليّ، وأنت فرح متبسّم[2].

فعم[3] ذا يا رسول الله؟ فقال: ذهبت لقبر[4] آمنة أمي، فسألت الله[5] أن يحييها فأحياها فآمنت بي، أو قال: فآمنت، فردها[6] الله عزَّ وجلَّ[7].

وقد ذكر السّهيلي في الروض الأنف بإسناد فيه مجهولون أنّ الله تعالى أحيا له أباه وأمّه وآمنا به[8].

قال القرطبي: ولا تعارض، والحمد لله ـ لأن إحياءهما متأخّر عن الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة أنّ ذلك كان في حجّة الوداع.

وكذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار المخالفة لحديث عائشة.

وذلك أن فضائل النبي ﷺ وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته فيكون هذا ممّا فضّله الله تعالى وأكرمه به.

قال: وقد قيل: إنّ الله تعالى أحيا له عمّه أبا طالب وآمن به، والله أعلم.

وليس إحياؤهم وإيمانهم بممتنع عقلاً ولا شرعاً. فقد ورد[9] في الكتاب إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، وكذلك نبينا ﷺ أحيا الله تعالى على يديه جماعة من الموتى، وإذا ثبت فما يمنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته ﷺ مع ما ورد من الخبر في ذلك.

---

(١) في الروض الأنف: ثم عدت إليّ...
(٢) في الروض الأنف: مبتسم.
(٣) في الروض الأنف: فممّ ذا؟ وفي التذكرة: فعن ماذا؟
(٤) في النسخ المعتمدة: بقبر أمي.
(٥) في الروض الأنف: فسألت أن يحييها...
(٦) في (د) والروض الأنف، والتذكرة: وردّها الله عزَّ وجلَّ.
(٧) الروض الأنف: ٢/١٨٧ ـ ١٨٨.
(٨) الروض الأنف: ٢/١٨٧.
(٩) في الأصل: رُوي.

وفي الخبر: أنّ الله تعالى ردّ الشّمس على النّبي ﷺ بعد مغيبها[1] ذكره أبو جعفر الطحاوي[2] وقال: إنه حديث ثابت، فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً لما ردّها عليه، فكذلك إحياء أبويّ النبي ﷺ وقد قبل الله إيمان قوم يونس وتوبتهم مع تلبّسهم بالعذاب على أحد الأقوال وهو ظاهر القرآن ـ انتهى كلام القرطبي ـ مختصراً[3].

٤١/و قلت: وقوله ﷺ: في الصحيح، واستأذنت ربّي في زيارة قبر أمّي، فأذن لي، فيه، ترجية، لأنّ الإذن له ﷺ في الزّيارة، لا يكون لغير فائدة، فافهم ذلك، فهو ممّا يقوي حديث إيمانهما والله أعلم.

تنبيه: قول السّهيلي: ليس لنا أن نقول هذا في أبويه ﷺ إلى آخر كلامه هو كلام نفيس، وتبع في هذه النزعة شيخه أبا بكر بن العربي[4] فإنّه قال: في كتابه «أحكام القرآن» عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[5]،

---

(١) في الأصل: ذكرها.

(٢) أبو جعفر الطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، والطحاوي نسبة إلى قرية بصعيد مصر، ولد سنة ٢٣٧هـ وأخذ العلم على أكثر من ثلاث مائة شيخ، له عدّة مؤلفات، منها: العقيدة، وأحكام القرآن، ومعاني الآثار، وغيرها. توفي سنة ٣٢١هـ.
- أ ـ تذكرة الحفّاظ، للذهبي: م٢/٣/٨٠٨ ـ ٨١٠، تر: ٧٩٧.
- ب ـ الأعلام للزركلي: ١٩٧/١.

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأحوال الآخرة: ٣٠/١ ـ ٣٢، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي [ت: ٦٧١هـ]، تح: السيد الجميلي، دار ابن زيدون للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٤) ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الإشبيلي، ولد سنة ٤٦٨هـ، بإشبيلية، ورحل إلى المشرق مع أبيه وسمع ببغداد، ودمشق، ومصر، وتخرّج على يد أبي حامد الغزالي، تولّى قضاء بلده إشبيلية وحمدت سيرته. له عدة مؤلفات منها: أحكام القرآن، وعارضة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي، وغيرهما. توفي بالقرب من فاس سنة ٥٤٣هـ.
- أ ـ تذكرة الحفّاظ للذّهبي، م٢/٤/١٢٩٤ ـ ١٢٩٧، تر: ١٠٨١.
- ب ـ الأعلام للزركلي: ١٠٦/٧.

(٥) طه: ١١٥.

يجب تنزيه[1] الأنبياء عليهم السلام عما نسب إليهم الجهّال ولكن الباري سبحانه بحكمه النافذ وقضائه السابق، أسلم آدم إلى الأكل من الشجرة متعمداً للأكل ناسياً للعهد فقال في تعمّده: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[2] وقال في بيان عذره: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾[3] فمتعلق العمد غير متعلق النسيان، وجاز للمولى أن يقول في عبده[4]: عصى تحقيراً أو تعذيباً ويعود عليه بفضله فيقول: نسي تنزيهاً ولا يجوز [أن يقول أحد عصى آدم، ولا يقول في أبوي النبي ﷺ كانا كافرين، وأنّ ابن العربي نقل ذلك في أحكام القرآن، أعني ذكر العصيان، والسّهيلي نقل الآخرة فيقول نسي تقريباً][5] ولا يجوز لأحد منّا أن يطلق[6] ذلك على آدم، أو يذكره إلاّ في تلاوة القرآن، أو قول النبي [ﷺ][7] انتهى كلام ابن العربي[8] وهي قاعدة عظيمة تندرج تحتها جزئيات كثيرة، والله الموفق بفضله.

---

(١) قاله ابن العربي في أحكام القرآن: ١٢٤٩/٣ ما نصّه: «كم قال في تنزيهه الأنبياء عن الذي لا يليق بمنزلتهم ما ينسب الجهلة إليهم، من وقوعهم في الذنوب عمداً منهم إليها، واقتحاماً لها مع العلم بها، وحاشا لله! فإنّ الأوساط من المسلمين يتورعون عن ذلك فكيف بالنّبيين، ولكن الباري سبحانه بحكمه النافذ، وقضائه السابق، أسلم آدم إلى المخالفة، فوقع فيها متعمداً ناسياً، فقيل في تعمّده ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ وقيل في بيان عذره ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾.

(٢) طه: ١٢١.

(٣) طه: ١١٥.

(٤) في أحكام القرآن: عصى تحقيراً وتعذيباً، ويعود عليه بفضله، فيقول: نسي تنزيهاً.

(٥) في الأصل و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٦) في أحكام القرآن: ولا يجوز لأحد منا أن يخبر بذلك عن آدم، إلاّ إذا ذكرناه في أثناء قول الله عنه أو قول نبيه.

(٧) في الأصل: ما بين الحاصرتين ناقص.

(٨) أحكام القرآن: ١٢٤٩/٣، لابن العربي تح: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٨م.

فصل

في قصة بحيرا

وسفر أبي طالب بالنبي ﷺ

قال ابن إسحاق[1] ولما بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين هلك جدّه[2] عبدالمطلب[3] وأوصى به إلى عمه أبي طالب. فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جدّه، فكان إليه ومعه[4].

قال أبو الربيع: ذكر الواقدي: أنّ عيال أبي طالب، كانوا إذا أكلوا وحدهم لم يشبعوا، وإذا أكل معهم النبي ﷺ شبعوا، كان أبو طالب إذا أراد أن يعشيّهم أو يغذيهم يقول: كما أنتم حتّى يأتي ابني. فيأتي نبي الله ﷺ فيأكل معهم، فيفضلون من طعامهم[5]، كذلك في شرب اللبن.

قال ابن إسحاق: ثم إنّ أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل صبّ به رسول الله ﷺ فرقّ له أبو طالب، فخرج معه، فلما نزل الركب بُصرى، من أرض الشّام، وبها راهب، يقال له بحيرا، في صومعة له، وكان إليه علم النّصرانية، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك، فلا يكلّمهم ولا يعرض لهم، حتّى كان ذلك العام. فلما نزلوا به، قريباً من صومعته، صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك فيما يذكرون لشيء رآه في صومعته، يذكرون أنه رأى رسول الله ﷺ، وهو في صومعته، في الركب، حين أقبلوا، وغمامة تظلّه من بين القوم، ثم أقبلوا فنزلوا في ظلّ شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلّت الشجرة، وتهصّرت[6] أغصان

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: فلما بلغ.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: هلك عبدالمطلب بن هاشم وذلك بعد الفيل بثمان سنين.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١٦٩/١.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ١٧٩/١.

(٥) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدي: ٧٥/١ ـ ٧٦.

(٦) تهصّرت: مالت وتدلّت.

الشجرة على النبي ﷺ حتّى استظل تحتها[١].

وفي غير رواية ابن إسحاق على ما نقله ابن القطان قال: فأقبل ﷺ وعليه غمامة تظلّه. فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلمّا جاء هو ﷺ مال عليه فيء الشجرة. فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم وقال: إنّي قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وأنا أحبّ أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم حرّكم وعبدكم، فاجتمعوا إليه. فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف. فقال يا معشر قريش: لا يتخلفنّ أحد منكم عن طعامي. قالوا: ما تخلّف أحد إلاّ غلام أحدث القوم تخلّف في رحالهم، قال: لا تفعلوا، فأتوا به، وأجلسوه معهم، فلما رآه بحيرى جعل ينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، حتّى إذا فرغ القوم من طعامهم، قام إليه بحيرى، فقال له: يا غلام، فبالله إلاّ ما أخبرتني عمّا أسألك عنه؟ فقال له: سل عن ما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله، من نومه، وهيأته وأموره. وجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، على موضعه من صفته التي عنده.

٤٢/ظ قال ابن هشام/ كان مثل أثر المحجم[٢] قال السّهيلي: يعني أثر المحجمة القابضة على اللحم حتّى يكون ناتئاً[٣].

ثم أقبل بحيرى على عمّه أبي طالب، فقال: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. فقال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمّه حبلى به، قال: صدقت. ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/١٨٠ ـ ١٨١، وبينهما خلاف.
(٢) السّيرة النبوية لابن هشام: ١/١٨٢.
(٣) الروض الأنف للسّهيلي: ٢/٢٢١.

لئن رأوه، عرفوا منه ما عرفته ليبغينّه[1] شراً، فإنّه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم. فأسرع به إلى بلاده. فخرج به عمّه[2] سريعاً حتّى أقدمه[3] مكّة حين فرغ من تجارته بالشّام[4].

قلت: وقد روى حديث بحيرى التّرمذي وغيره، وقال فيه التّرمذي: حديث حسن.

وفي رواية التّرمذي من الزيادة: أنّهم لمّا أشرفوا على الرّاهب حطّوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب، فجعل يتخلّلهم حتّى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ، وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك بهذا؟ قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة، لم يبق شجر، ولا حجر، إلاّ خرّ له ساجداً، ولا يسجدان إلاّ لنبي، وإنّي أعرفه بخاتم النّبوة أسفل من غضروف كتفيه، مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاماً. فلما أتاهم به، وكان هو ﷺ في رعية الإبل، قال: أرسلوا إليه، فأقبل، وعليه غمامة تظلّه، فلما دنا إلى القوم، وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. الحديث وفيه طول[5].

قال السّهيلي وابن القطان وأبو سعيد النيسابوري، ومما قاله أبو طالب في هذه القصة [من الطويل]:

ألم ترني من بعد همّ هممته — بفرقة خير[6] الوالدين كرام

---

(١) في الأصل و(ر): ليبغنه شراً.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: عمّه أبو طالب.
(٣) في الأصل: قدمه.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ١٨٣/١.
(٥) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي: ٥٩٠/٥، تر: ٣٦٢٠، باب ما جاء في بدء نبوّة النبي ﷺ.
(٦) في الروض الأنف: حُرّ الوالدين...

بـأحـمـد لـمّـا أن شـددت مـطـيّـتـي ... لـتـرحـل إذ ودّعـتُـه بـسـلام[1]
بكى حزناً والعيس قد فصلت بنا ... وقد[2] شدّ بالكفين فضل زمام
ذكـرت أبـاه، ثـم رقـرقـت عـبـرة ... تـجـود مـن الـعـيـنـيـن ذات سـجـام
فـقـلـت: تـروّح راشـداً في عـمـومـة ... مُـواسـيـن فـي الـبـأسـاء غـيـر لـئـام
فرحنا مع العير التي راح أهلها ... شـآم الـهـوى والأصـل غـيـر شـآم[3]
فلمّا هبطنا أرض بصرى تشرّفوا ... لـنـا فـوق دور يـنـظـرون جـسـام
فـجـاء بـحـيـرا عـنـد ذلـك حـاشـداً ... لـنـا بـشـراب طـيّـب وطـعـام
فقال أجمعوا أصحابكم لطعامنا ... فقلنا: جمعنا القوم غير غلام[4]
يـتـيـم فـقـال ادعـوه إنّ طـعـامـنـا ... كـثـيـر عـلـيـه الـيـوم غـيـر حـرام
فـلـمـا رآه مـقـبـلاً فـوق رأسـه ... يـوقـيـه حـرّ الـشـمـس ظـلّ غـمـام
حـنـا ظـهـره شـبـه الـسّـجـود وضـمّـه ... إلـى نـحـره والـصّـدر أيّ ضـمـام

وذكر باقي الأبيات.

قال السّهيلي: وقد ذكر ابن إسحاق هذا الشعر في رواية يونس[5].

قال السّهيلي: وفي المعارف للقتبي[6]، قال: سمع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف: ألا إنّ خير أهل الأرض ثلاثة: بحيرى، ورئاب[7] بن البراء الشّنّي، والثالث المنتظر. فكان الثالث رسول الله ﷺ.

---

(١) في (د): هذا البيت الثالث في ترتيب القصيدة.
(٢) في الروض الأنف: وأمسكت بالكفين...
(٣) في الروض الأنف: شآمي الهوى، والأصل غير شآمي.
(٤) الروض الأنف: ٢/٢٢٧ ـ ٢٢٨.
(٥) في الروض الأنف: ٢/٢٢٨، ونص كلامه: ذكره ابن إسحاق في رواية يونس عنه، وذكر باقي الشعر.
(٦) في (ر): وفي المعارف للقتيبي، وفي (د): للعتبي، وفي الروض الأنف: لابن قتيبة.
(٧) في الأصل: ورءاب، وفي الروض الأنف: ورباب.

قال القتبي[١]: وكان قبر[٢] رئاب الشّنيّ، وقبر ولده من بعده، لا يزال يرى عليهما طشّ، الطّشّ: المطر الضعيف[٣].

وقوله في صدر الحديث، صبّ النبي ﷺ بعمه الصّبابة: رقّة الشوق. وفي غير رواية أبي بحر: ضبث به رسول الله ﷺ أي لزمه.

قال السهيلي: وكان[٤] سنّ النبي ﷺ في هذه السفرة ابن تسع سنين، فيما ذكره بعض من ألّف في السيرة. وقال الطبري: ابن[٥] اثنتي عشرة سنة[٦].

---

(١) في (د): قال العتبي.

(٢) في (ر): وكان الثني وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عليهما.

(٣) الروض الأنف: ٢/٢٢٠.

ونقل السّهيلي من المعارف لابن قتيبة، ليس حرفيّاً. والنّص كما ورد في المعارف: رئاب بن البراء وهو من عبد القيس، من شنّ، كان على دين المسيح، وسمعوا قبيل مبعث النبي ﷺ منادياً ينادي: خير أهل الأرض ثلاثة: رئاب الشّنيّ، وبحيرى الراهب. وآخر لم يأت ـ يعني: النّبي ﷺ ـ وكان لا يموت أحد من ولد «رئاب» فيدفن إلاّ رأوا طشّاً على قبره.

● المعارف ص: ٥٨ لابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم، تح: دكتور ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.

ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة المروزي، ولد ببغداد سنة ٢١٣هـ، سمع إسحاق بن راهويه، وأبا حاتم السجستاني، وغيرهما، وله عدة مؤلفات منها: أدب الكاتب، وغريب القرآن، وغريب الحديث، وعيون الأخبار، وطبقات الشعراء، والمعارف، توفي عام ٢٧٦هـ.

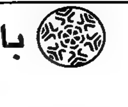
● وفيات الأعيان: ٣/٤٢ ـ ٤٤، تر: ٣٢٨.

(٤) في الروض الأنف: فكان رسول الله ﷺ إذ ذاك ابن تسع سنين فيما ذكر بعض...

(٥) في الطبري: خرج أبو طالب برسول الله ﷺ إلى بصرى من أرض الشام وهو ابن تسع سنين.

● تاريخ الأمم والملوك للطبري: ١/٤٥٦.

(٦) الروض الأنف: ٢/٢٢١.



باب ذكر خروج النبي ﷺ إلى الشام في الكرة الثانية وما[1] ظهر في سفره ذلك من باهر الآيات وواضح الدلالات[2]، وخبر تزويجه خديجة رضي الله عنها[3]

قال ابن إسحاق: فشبّ رسول الله ﷺ يكلؤه[4] الله سبحانه، ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتّى بلغ أن كان/ رجلاً، أفضل قومه[5]، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنّس الرجال تنزّهاً وتكرّماً، حتى ما كان[6] اسمه في قومه إلاّ الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة. ٤٣/و

وكان رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - يحدّث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر الجاهلية[7]، أنّه قال: لقد رأيتني في غلمان من قريش[8] ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرى، وأخذ إزاره فجعله على رقبته، يحمل عليه الحجارة؛ فإنّي لأقبل معهم[9] وأدبر إذا لكمني لاكم ما أراه، لكمةً وجيعة، ثم قال: شدّ عليك إزارك. قال: فأخذته فشددته عليّ، ثمّ جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري عليّ من بين أصحابي[10].

---

(١) في (د): وعمّا ظهر. . .
(٢) في الأصل: وواضح الدلالة.
(٣) في (د): بلا ترضية.
(٤) في السّيرة النبوية لابن هشام: والله تعالى يكلؤه ويحفظه.
(٥) في السّيرة النبوية لابن هشام: أفضل قومه مروءة.
(٦) في السّيرة النبوية لابن هشام: حتّى ما اسمه. .
(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: جاهليته.
(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: في غلمان قريش.
(٩) في السيرة النبوية لابن هشام: معهم لذلك.
(١٠) السيرة النبوية لابن هشام: ١٨٣/١.

قال السّهيلي: هذه القصّة إنّما وردت في الحديث الصحيح في حين بنيان الكعبة، فكان[١] رسول الله ﷺ ينقل الحجارة مع قومه إليها، وكانوا يجعلون أزرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة، وكان رسول الله ﷺ يحملها على عاتقه، وإزاره مشدود عليه، فقال له[٢] العبّاس[٣]: يا ابن أخي، لو جعلت إزارك على عاتقك، ففعل فسقط مغشياً عليه، ثم قال: إزاري إزاري! فشدّ عليه إزاره[٤].

وفي حديث آخر[٥] لمّا سقط، ضمّه العبّاس إلى نفسه، وسأله عن شأنه فأخبره أنّه نودي من السّماء: أن اشدد عليك إزارك يا محمّد. قال: وإنّه أول[٦] ما نودي، وحديث ابن إسحاق إن صحّ[٧] فمحمله على أنّ هذا الأمر كان مرّتين[٨].

قال ابن هشام: ولما[٩] بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة تزوّج خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها[١٠] ـ.

---

(١) في الروض الأنف، للسهيلي: وكان...

(٢) العبّاس: أبو الفضل العبّاس بن عبدالمطلب، كان سديد الرأي، واسع العقل، كارهاً للرق، اشترى سبعين عبداً وأعتقهم، أقبل إلى المدينة مهاجراً قبل فتح مكة، وغزوة حنين، أصيب بالعمى في آخر حياته، له ٣٥ حديثاً في كتب الحديث، توفي بالمدينة عام ٣٢هـ، رضي الله تعالى عنه.
- أ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي: ٧٨/٢ ـ ١٠٣، تر: ١١.
- ب ـ الأعلام للزركلي: ٣٥/٤.

(٣) في الروض الأنف للسهيلي: العبّاس رضي الله عنه.

(٤) في الروض الأنف: وقام يحمِل الحجارة، وفي حديث...
- أ ـ صحيح البخاري: ٥١/٥، باب بنيان الكعبة.
- ب ـ صحيح مسلم: ٢٦٧/١ ـ ٢٦٨، كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة.

(٥) في الروض الأنف: أنّه لمّا سقط.

(٦) في الروض الأنف: وإنّه لأوّل...

(٧) في الروض الأنف: إن صح أنّه كان ذلك في صغره، إذ كان يلعب مع الغلمان فمحمله...

(٨) الروض الأنف: ٢٢٨/٢.

(٩) في السيرة النبوية لابن هشام: فلما بلغ.

(١٠) السيرة النبوية لابن هشام: م١٨٧/١.

قال ابن إسحاق: وكانت خديجة[(١)] رضي الله عنها امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه، بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلمّا بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها، من صدق حديثه، وعظيم[(٢)] أمانته، وكرم أخلاقه، فبعثت[(٣)] إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، تعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التّجار، مع غلام لها يقال له ميسرة[(٤)]، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ذلك ميسرة حتّى قدم الشّام. فنزل رسول الله ﷺ في ظلّ شجرة قريباً من صومعة راهب من الرّهبان، فاطّلع الراهب إلى ميسرة، فقال: من هذا الرجل الّذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم؛ فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلاّ نبي، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكّة، ومعه ميسرة. فكان ميسرة ـ فيما يذكرون[(٥)] ـ إذا كانت الهاجرة واشتدّ الحرّ يرى ملكين يظلاّنه ﷺ[(٦)] من الشمس، وهو يسير على بعيره. فلمّا قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، بأضعاف[(٧)] أو قريباً. وحدّثها ميسرة عن قول الراهب، وعمّا كان يرى من إظلال الملكين إياه[(٨)].

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة.. وفي (د): خديجة امرأة... بلا ترضية.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: وعظم أمانته.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: بعثت إليه...

(٤) ميسرة: غلام خديجة. يقول ابن حجر: لم أقف على رواية صريحة على أنّه بقي إلى البعث فكتبته ـ من الصحابة ـ على الاحتمال.

● الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: ٣/٤٧٠، تر: ٨٢٨٤.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: فيما يزعمون.

(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: بلا تصلية.

(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: فأضعف.

(٨) السيرة النبوية لابن هشام: م١/١٨٧ ـ ١٨٩.

قال السّهيلي: ذكروا أنّ اسمه نسطور[1].

قلت: وقد رواه أبو سعيد النيسابوري بسنده مطولاً عن نفيسة[2] بنت منيّة[3].

قال أبو الربيع الكلاعي: وقد رواه الواقدي بإسناده إلى نفيسة بنت منية أخت يعلى[4] بن منية.

وقد رويناه أيضاً من حديث أبي علي[5] بن السكن[6]، وحديث أحدهما داخل في حديث الآخر، مع تقارب اللفظ، وربّما زاد أحدهما الشيء اليسير، وكلاهما ينمي إلى نفيسة.

قلت: وحديث النيسابوري أيضاً عن نفيسة بذلك السّياق سواء.

---

(١) في الروض الأنف: وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نسطوراً، وليس هو بحيرى المتقدم ذكره. الروض الأنف: ٢٣٦/٢.

(٢) نفيسة: نفيسة بنت منية، أو نفيسة بنت أمية التميمية، تنسب إلى أبيها أمية مرّة، وأخرى تنسب إلى أمها منية، وهي التي مشت بين خديجة والنبي ﷺ حتّى تزوّجها لها صحبة ورواية عن النبي ﷺ.
- أ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١٩١٩/٤، تر: ٤١٠٦.
- ب ـ الإصابة في تمييز الصحابة: ٤١٩/٤، تر: ١٠٦٣.

(٣) في النسخ المعتمدة: نفيسة بنت منبه.

(٤) يعلى بن أمية: يعلى بن منية، ينسب حيناً إلى أبيه، وحيناً إلى أمه، مثل أخته نفيسة، وهو أبو صفوان يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي الحنظلي، أسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً، والطائف، وتبوك، قتل شهيداً بصفين مع علي، بعد أن شهد واقعة الجمل مع عائشة، وهو صاحب الجمل الذي كانت عليه عائشة رضي الله عنها.
- أ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١٥٨٥/٤ ـ ١٥٨٧، تر: ل٢٨١٥.
- ب ـ الأعلام للزركلي: ٢٦٩/٩.

(٥) ابن السكن: أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السّكن البغدادي، نزيل مصر ولد سنة ٢٩٤هـ. سمع أبا القاسم البغوي، وسعيد بن عبدالعزيز الحلبي وطبقتهما من جيحون إلى النيل، وروى عنه أبو عبدالله بن مندة، وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن أحمد بن يحيى، وآخرون، توفي سنة ٣٥٣هـ.
- تذكرة الحفّاظ: م٢/٣/٩٣٧ ـ ٩٣٨، تر: ٨٩٠.

(٦) في (ر): سكن.

قالت نفيسة بنت منية[1]: لما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة وليس له بمكة اسم إلاّ الأمين، لما تكاملت فيه من خصال الخير، قال له أبو طالب: يا ابن أخي! أنا رجل لا مال لي، وقد اشتدّ الزمان علينا، وألحّت علينا سنون منكرة، وليست لنا مادة ولا تجارة، وهذه[2] عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيرها، فيتجرون لها في مالها، ويصيبون منافع، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك، وفضّلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك، وإن كنت لأكره أن تأتي الشام، وأخاف عليك من اليهود، لكن لا نجد من ذلك بدّاً.

٤٤/ظ

وكانت خديجة ذات شرف، ومال كثير، وتجارة، تبعث بها إلى الشام فتكون عيرها كعامة عير قريش، وكانت تستأجر الرجال، وتدفع إليهم المال مضاربة. وكانت قريش: قوماً تجاراً، ومن لم يكن من قريش تاجراً، فليس عندهم بشيء. فقال رسول الله ﷺ: «**فلعلّها ترسل إليّ في ذلك**». فقال أبو طالب: أخاف أن تولي غيرك، فتطلب أمراً مدبراً كالخرقاء[3]، فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له، وقبل ذلك ما كان بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه. فقالت: ما علمت أنه يريد هذا. ثم أرسلت إليه، فقالت: إنّه دعاني إلى البعثة إليك، ما بلغني من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وكرم أخلاقك، وأنا

---

(١) في الأصل، و(د) و(ر): منبه.

(٢) في الأصل: وهذا.

(٣) الخرقاء: التي لا تحكم العمل. يقال: خرقاء عيّابة، أي أنه أحمق مع أنه يعيب غيره يضرب مثلاً للجاهل بالأمر الأحمق، ومع ذلك يدّعي المعرفة.

● أ ـ مجمع الأمثال: ٣٠٦/١، رقم: ١٢٥٤، لأبي الفضل أحمد بن حمد النيسابوري الميداني [ت: ٥١٨] قدم له وعلق عليه: نعيم حسين زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

● ب ـ فرائد الأدب في الأمثال والأقوال السائرة عند العرب، ١٠٥٨، اللأب لويس معلوف اليسوعي، ذيله في آخر المنجد، الطبعة الخامسة ١٩٢٧م.

أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك. ففعل رسول الله ﷺ، ولقي أبا طالب، فذكر له ذلك فقال: إنّ هذا لرزق ساقه الله إليك. فخرج مع غلامها ميسرة، حتى قدم الشام، وجعل عمومته، يوصون به أهل العير حتّى قدم بصرى، من الشام، فنزل في ظل شجرة قريبة، من صومعة راهب يقال له نسطور، فاطلع الراهب إلى ميسرة، وكان يعرفه، فقال: يا ميسرة من هذا الذي نزل تحت الشجرة؟ قال ميسرة: هو رجل من قريش، من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة أحد قط إلاّ نبي، ثم قال له: وفي عينيه حمرة؟ قال ميسرة: نعم، لا تفارقه، قال الراهب: هو هو. وهو آخر الأنبياء عليهم السلام، فيا ليتني أدركه حين يؤمر بالخروج، فوعى ذلك ميسرة، ثم حضر رسول الله ﷺ سوق بصرى، فباع سلعته التي خرج بها، واشترى، وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة. فقال الرجل[1]: أحلف باللاّت والعزّى، فقال رسول الله ﷺ: «**ما حلفت بهما قط، وإنّي لأمرّ فأعرض عنهما**». فقال الرّجل: فالقول قولك، ثم قال الرّجل لميسرة: وخلا به، يا ميسرة هذا نبيّ، والذي نفسه بيده إنّه لهو، تجده أحبارنا منعوتاً في كتبهم، فوعى ذلك ميسرة، ثم انصرف أهل العير جميعاً، وكان ميسرة يرى النبي ﷺ إذا كانت الهاجرة، واشتدّ الحرّ، ينظر إلى ملكين وقت الهاجرة يظلاّنه من الشمس، وهو على بعيره، حتّى دخل مكّة، في ساعة الظهيرة[2]، وخديجة معها نساء في عليّة لها، معهنّ نفيسة بنت منية، فرأت رسول الله ﷺ حين دخل، وهو راكب على بعيره، وملكان يظلاّنه، فأرته نساءها، فعجبن لذلك. فلمّا أن دخل ميسرة عليها، أخبرته بما رأت، فقال لها ميسرة: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام. وأخبرها بقول الرّاهب نسطور، وبقول الآخر الذي خالفه في البيع.

وقدم رسول الله ﷺ بتجارته، فربحت ضعف ما كانت تربح، وضعّفت

---

(١) في الأصل: رجل.

(٢) في الأصل: الظهرة، وفي (د): الظّهريّة.

له ضعف ما كانت سمّت له. فلمّا استقرّ عندها هذا، وكانت امرأة حازمة، شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهنّ شرفاً، وأكثرهن مالاً. وكلّ قومها كان حريصاً على نكاحها، لو قدروا على ذلك[1] لبذلوا الأموال وطلبوها. قالت نفيسة: فأرسلتني إليه دسيساً، فقلت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوّج؟ قال: ما بيدي ما أتزوّج به. قالت: أبعد أن دعيت إلى الحلال، والشّرف والمال لا تجيب؟ قال: بلى فمن هي؟ قالت: خديجة. قال: وكيف لي بذلك؟ قالت: عليّ ذلك. قال: فافعلي. فذهبت نفيسة، فأخبرت خديجة، فأرسلت إليه، أن ائت ساعة كذا وكذا، وأرسلت إلى عمّها، عمرو بن أسد، فحضر، فدخل رسول الله ﷺ في عمومته/ فزوّجه أحدهم. قال عمرو: هذا الفحل لا يُقرع أنفه. هذا حديث نفيسة. ٤٥/و

وأما ابن إسحاق فقال متّصلاً بكلامه المتقدم؟ وكانت خديجة امرأة حازمة، شريفة، لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته، لما أخبرها ميسرة بما أخبرها بعثت إلى رسول الله ﷺ - فيما يذكرون - إنّي قد رغبت فيك لقرابتك، وسِطتِك[2] في قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها. وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهنّ شرفاً، وأكثرهنّ مالاً، كلّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه، فلمّا قالت ذلك لرسول الله ﷺ، ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمّه حمزة بن عبدالمطلب حتّى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه، فتزوّجها.

قال ابن هشام: وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة[3].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١٨٨/١ ـ ١٨٩، وبينهما خلاف.

(٢) في (د): وسطوتك، وفي (ر): وبسطتك.
وما في الأصل أصوب، ومعنى وسطتك في قومك، وشرفك فيهم، مأخوذ من الوسط. والوسط من أوصاف المدح والتفضيل.

(٣) البكرة: ـ بفتح الباء ـ الفتية من الإبل.

قال ابن إسحاق: فولدت[1] لرسول الله ﷺ وُلْدَهُ[2] كلَّهم إلاّ إبراهيم، فولدت له القاسم، وبه كان يكنّى ﷺ، والطيب، والطاهر، وزينب، ورقية، وأمّ كلثوم، وفاطمة.

قال ابن هشام أكبر بنيه القاسم، ثم الطيب، ثم الطاهر، وأكبر بناته رقية، ثم زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة.

قال ابن إسحاق: فأمّا القاسم، والطاهر، والطيب، فهلكوا في أيام الجاهلية، وأما بناته فكلهنّ أدركن الإسلام، فأسلمن وهجرن معه ﷺ[3].

قلت: ونقل السهيلي وغيره أن أولاده ﷺ كلّهم ولدوا بعد النبوة[4].

يريد ـ والله أعلم ـ بعد أن ظهرت عليه دلائل النّبوة ثم مات الذكور الثلاثة قبل البعثة فتتّفق الأقوال، والله أعلم.

قال ابن هشام: وأمّا إبراهيم فأمّه مارية[5] سريّة[6] النّبيّ ﷺ أهداها إليه المقوقس.

قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد[7]، وكان ابن عمّها، وكان نصرانياً قد تتبّع الكتب، وعلم من علم النّاس ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظلاّنه؛ فقال ورقة بن نوفل[8] لئن كان هذا حقّاً يا خديجة، إنّ محمداً

(١) في الأصل: فولد لرسول الله ﷺ.
(٢) في (د): أولاده.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١٨٩/١ ـ ١٩١، وبينهما خلاف.
(٤) الروض الأنف: ٢٤٣/٢.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: مارية القبطية، حدثنا عبدالله بن وهب عن ابن لهيعة قال: أم إبراهيم: مارية سرية النبي ﷺ التي أهداها إليه المقوقس من حفن من كورة أنصنا.
(٦) سريّة: يقال تسرّر الرّجل: اتخذ أمة لفراشه.
(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: ابن عبد العزّى.
(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: ورقة لئن كان...

لنبي هذه الأمة، قد[1] عرفت أنّه كائن لهذا الأمّة نبيّ ينتظر، هذا زمانه أو كما قال، فجعل ورقة يستبطىء الأ[مر][2] فقال ورقة في ذلك [من الوافر]:

لججت وكنت في الذّكرى ألوجا[3] ... لِهَمٍّ طالمَا بعث النّشيجا[4]
ووصف من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي ... حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبرّتنا من قول قسّ ... من الرّهبان أكره أن يعوجا
بأنّ محمداً سيسود يوماً[5] ... ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور ... يقيم به البريّة أن تموجا
فيلقى من يحاربه خساراً ... ويلقى من يسالمه فلوجا[6]
فيا ليتني إذا ما كان ذاكم ... شهدتّ فكنت أوّلهم ولوجا
ولوجاً في الذي كرهت قريش ... ولو عجّت بمكّتها عجيجا[7]
أرجّي بالذي كرهوا جميعاً ... إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا
وهل أمر السّفالة غير كفر ... لمن[8] يختار من سمك البروجا
فإن يبقوا وأبق تكن أمور ... يضجّ الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكلّ فتى سيلقى ... من الأقدار متلفة[9] خروجا[10]

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: وقد عرفت أنّه...
(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
في السيرة النبوية لابن هشام: ويقول: حتّى متى؟ فقال: ورقة...
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام وفي (د) و(ر): لجوجاً.
(٤) النشيج: البكاء مع صوت.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: فينا بدل يوماً.
(٦) الفلوج: الظهور على الخصم والعدوّ.
(٧) العجيج: ارتفاع الصوت.
(٨) في الأصل: لِمَ، وفي ابن هشام: بمن.
(٩) متلفة: مهلكة.
(١٠) في السيرة النبوية لابن هشام: حروجاً، والحروج: الكثيرة التصرف.
● السيرة النبوية لابن هشام: ١/١٩١ ـ ١٩٢.

قال أبو الربيع، والسّهيلي، وقال ورقة بن نوفل أيضاً في ذلك وهو ما رواه يونس[1] بن بكير عن ابن إسحاق [من الطويل]:

أتبكر أم أنت العشيّة رائح ... وفي الصدر من إضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحبّ فراقهم ... كأنّك عنهم بعد يومين نازح
وأخبار صدق خبّرت عن محمد ... يخبّرها عنه إذا غاب ناصح/ ٤٦/ظ
فتاك الذي وجّهت يا خير حرّة ... بغور وبالنّجدين حيث الصّحاحض[2]
إلى سوق بُصرى في الركاب التي غدت ... وهنّ من الأحمال[3] قعص دوائح[4]
يخبّرنا عن كلّ حبر[5] بعلمه ... وللحق أبواب لهنّ مفاتح
بأنّ ابن عبدالله أحمد مرسل ... إلى كل من ضمّت عليه الأباطح
وظني به أن سوف يبعث صادقاً ... كما أرسل العبدان هود وصالح
وموسى وإبراهيم حتّى يرى له[6] ... بهاء ومنشور من الذكر واضح
ويتبعه حيّاً لؤي بن غالب[7] ... شبابهم والأشيبون الجحاجح
فإن أبق حتّى يدرك الناس دهره ... فإنّي به مستبشر الودّ فارح

---

(١) أبو بكر يونس بن بكير بن واصل الشيباني الكوفي، الحافظ صاحب المغازي، حدّث عن الأعمش، وهشام بن عروة، وابن إسحاق، وخلق كثير، وحدّث عنه ابنه عبدالله، ويحيى بن معين، وابن نمير، وغيرهم. توفي سنة ١٩٩هـ.
● أ ـ تذكرة الحفّاظ: ٣٢٦/١ ـ ٣٢٧، تر: ٣١٠.
● ب ـ الأعلام: ٣٤٤/٩.

(٢) في الروض الأنف: الصّحاصح.
والضحاضح جمع ضحضاح. يقال ماء ضحضاح: قريب القعر.
والصحاصح جمع صحصح: الأرض الجرداء المستوية.

(٣) في الأصل: الأجمال، وفي (ر): الجمال. والإصلاح من (د) والروض الأنف.
القعص: الموت السريع ـ وشاة قعوص: تضرب حالبها وتمنع الدّرّة.

(٤) في (د): ذوائح، وفي الروض الأنف: دوالع.
دلع: مشى بحمله منقبض الخطو لثقله.

(٥) في الروض الأنف: خير...

(٦) في الأصل: ترى له.

(٧) في الروض الأنف: لؤيّ جماعة... شبابهم.

وإلاّ فإنّي يا خديجة فاعلمي عن أرضك في الأرض العريضة سائح[1]

قال ابن القطان، والسهيلي، والنيسابوري، وقال أيضاً ورقة بن نوفل فيما خبّرت به خديجة [من البسيط]:

يا للرّجال لصرف الدّهر والقدر وما لشيء قضاه الله من غير
حتّى خديجة تدعوني لأخبرها وما لها بخفيّ الغيب من خبر[2]
جاءت لتسألني عنه لأخبرها أمراً عظيماً سيأتي النّاس من أخر[3]
فخبّرتني بأمر قد سمعت به فيما مضى من قديم الدّهر والعصر
بأنّ أحمد يأتيه فيخبره جبريلُ: إنّك مبعوث إلى البشر
فقلت: على الذي[4] ترجين يُنجزه لك الإلـه فرجّي الخير وانتظري
وأرسليه[5] إلينا لكي نسائله عَن أمره ما يَرى في النوم والسّهر
فقال: حين أتانا منطقاً عجباً يقفُّ منه أعالي الجلد والشّعر[6]
إنّي رأيت أمين الله واجهني في صورة أكملت من أهيب الصّور[7]
ثم استمرّ فكاد[8] الخوف يذعرني ممّا يسلّم من حولي من الشجر
فقلت: ظنّي وما أدري أيصدقني أن سوف تبعث تتلو منزل السّور
وسوف أبليك إن أعلنت دعوتهم من الجهاد بلا مَنٍّ ولا كدر[9]

قلت: وحق هذه الأبيات أن تذكر بعد هذا، عند بدء الوحي، كما

(١) الروض الأنف: ٢/٢٥٨ ـ ٢٦٠.
(٢) في الروض الأنف: ورد عجز هذا البيت هكذا: «أمر أراه سيأتي الناس من أخر».
(٣) في الروض الأنف: هذا البيت ساقط.
(٤) في الأصل: على الذي.
(٥) في الروض الأنف: وأرسلته إلينا...
(٦) في الأصل: حتّى يقفّ منه الجلد والشّعر.
(٧) في الروض الأنف: في صورة أكملت في أهيب الصّور.
(٨) في الروض الأنف: فكان...
(٩) الروض الأنف: ٢/٢٥١ ـ ٢٥٢.

فعل أبو سعيد النيسابوري، ولكنّي اتّبعت السّهيلي، فإنّه قدّمها هنا، والكلّ صواب كما أشار إليه أبو الربيع، لأنّ القصد ذكر آياته، وعلامات نبوّته ﷺ ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

قال السّهيلي: قوله[2] في الأبيات المتقدمة: ويظهر في البلاد ضياء نور: هذا البيت يوضح لك معنى النّور، ومعنى الضياء، وأنّ الضياء هو المنتشر عن النور، وأنّ النّور هو الأصل للضّوء، ومنه مبدؤه[3].

فصل

قال ابن إسحاق: ولما[4] بلغ رسول الله ﷺ ـ خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة[5]، وتسقيفها، لسبب ذكره ابن إسحاق في كلام كثير تركته، خارجاً عن مقصد ما وضعت له هذا الكتاب، ثم قال: بنوها حتّى بلغ البنيان موضع الرّكن، يعني الحجر الأسود، فاختلفوا فيه. كل قبيلة تريد أن تضع الحجر الأسود في موضعه، حتّى همّوا بالقتال، ثم إنّهم اجتمعوا في المسجد، فتشاوروا، وتناصفوا، فقال أبو أمية[6] بن المغيرة ـ فيما روي: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أوّل من يدخل من باب هذا المسجد، يقضي بينكم فيه، ففعلوا، فكان أول دخول[7] رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر/ ٤٧/و

---

(١) المدثر: ٣١.
(٢) في الروض الأنف: وقال في هذا الشّعر: ويظهر.
(٣) الروض الأنف: ٢/٢٥٥.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: فلمّا بلغ...
(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ١/١٩٢.
(٦) في (د): فقال أمية...
أبو أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، كان أسنّ قريش كلّها.
● الكامل في التاريخ: ٢/٤٥.
(٧) في (د) و(ر)، والسيرة النبوية لابن هشام: فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: «**هلمّ إليّ ثوباً**»، فأتي به، فأخذ الركن، يعني الحجر الأسود، فوضعه في الثوب بيده، ثم قال: «**لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه، جميعاً**»، ففعلوا حتّى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو ﷺ[1] بيده، ثم بني عليه.

فقال[2] ابن إسحاق: وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين[3].



(١) في السيرة النبوية لابن هشام: وضعه بيده.
(٢) في (د): قال ابن إسحاق.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١٩٨/١، وبينهما خلاف.



باب في ذكر ما حفظ من الأخبار قرب مبعثه ﷺ سوى ما تقدم، وما جاء في ذلك عن الأحبار والرهبان، من آيات نبوته ﷺ وما ألقي من خبر للكهان، وما أنطقت به الأصنام، وهتف به طوائف من الجان، كل منهم يبشر بسيد ولد عدنان، المبعوث إلى كافة الإنس والجان [صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً][1]

قال ابن إسحاق: وكانت الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، والكهان[2]، قد تحدّثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه، لما تقارب من زمانه، أمّا الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، فعمّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم[3] فيه. وأما الكهان من العرب فأنبأتهم[4] به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع، إذ كانت وهي إذ ذاك[5] لا تحتجب عن ذلك بالقذف بالنجوم. وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منها ذكر بعض أموره ﷺ[6]، ولا تلقي العرب لذلك فيه بالاً، حتّى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون، فعرفوها.

فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر مبعثه، حُجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فرُمُوا بالنجوم، فعرفت الجنّ أنّ ذلك لأمر حدث من أمر الله تعالى في العباد.

(١) في الأصل، و(ر): ما بين الحاصرتين غير وارد.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: والكهان من العرب...
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: إليهم فيه.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: فأتتهم به بدل فأنبأتهم به...
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: وهي لا تحجب.
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: بلا تصلية.

يقول الله[1] تعالى لنبيّه ﷺ حين بعثه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ [أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا][2]﴾ الآيات إلى قوله: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[3].

فلما سمعت الجنّ القرآن، عرفت أنّها إنّما منعت من السمع قبل ذلك لئلا يشكل الوحي بشيء من خبر السّماء، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه، لوقوع الحجّة، وقطع الشبهة، فآمنوا وصدّقوا، ثم: ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾[4] الآية[5].

قال السّهيلي: وفي الحديث أن هذا النفر كانوا من جن نصيبين[6].

وفي التفسير أنّهم كانوا يهوداً[7]، ولذلك قالوا من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى ذكره ابن سلام. وكانوا سبعة[8].

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ حين بعثه، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حجبوا عن السمع، فعرفوا ما عرفوا، وأنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا: . . .

(٢) في الأصل، و(ر): ما بين الحاصرتين غير وارد.

(٣) في السّيرة النبوية لابن هشام: أكمل الآيات إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٤]، [الجن: ١ ـ ٩].

(٤) الأحقاف: ٢٩، ٣٠.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: أكمل الآية: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

● السيرة النبوية لابن هشام: ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٦) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام، وفيها وفي قراها ـ على ما يذكر أهلها ـ أربعون ألف بستان، وعليها سور كانت الرّوم بنته وأتمّه أنوشروان الملك عند فتحه إيّاها.

● معجم البلدان: ٥/٢٨٨.

(٧) في الأصل، و(د): كانوا يهود.

(٨) الروض الأنف: ٢/٣٠٤.

ووجدت في خبر حدّثني به أبو بكر[1] بن طاهر الإشبيلي القيسي عن أبي علي[2] الغسّاني في فصائل[3] عمر بن عبدالعزيز قالوا: بينما عمر بن عبدالعزيز يمشي بأرض فلاة، فإذا حيّة ميّتة فكفّنها بفضلة من ردائه، ودفنها. فإذا قائل يقول: يا سرّق أشهد لسمعتُ رسول الله ﷺ، يقول لك: ستموت بأرض فلاة، فيكفنك ويدفنك رجل صالح، فقال: من أنت يرحمك الله؟ فقال رجل من الجن الذين سمعوا[4] القرآن من رسول الله ﷺ: لم يبق منهم إلاّ أنا وسرّق، وهذا سرّق قد مات.

قلت: يعني لم يبق من أهل تلك القصة بعينها.

وقد[5] ذكر ابن سلام من طريق أبي إسحاق السّبيعي[6] عن

---

(١) أبو بكر بن طاهر بن محمد بن أحمد بن محمد بن طاهر القيسي الإشبيلي، أخذ عن أبي عليّ الغسّاني، كان مشهوراً بالحديث، ومعرفته، معتنياً به، مولده سنة ٤٤٩، ووفاته سنة ٥٤٢هـ.

● كتاب الصلة لابن بشكوال، ٥٨٩/٢، تر: ١٢٩٦.

(٢) أبو علي الغسّاني: حسين بن محمد بن أحمد الغسّاني الجياني، من جهابذة المحدّثين وكبار العلماء المسندين، عني بالحديث، وكتبه، وروايته، وضبطه، تصدّر للتدريس في جامع قرطبة، توفي سنة ٤٩٨هـ.

● كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطيني، ص٢٦٣، تح: عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧١.

(٣) في الروض الأنف: في فضل عمر بن العزيز قال:

(٤) في الروض الأنف: تسمّعوا.

(٥) في الروض الأنف: وذكر ابن سلام من طريق أبي إسحاق عمرو بن عبدالله بن علي...

(٦) أبو إسحاق السّبيعي: عمرو بن عبدالله الهمذاني الكوفي، من أعلام التابعين الثقاة، رأى علياً وهويخطب، وقال: رأيته أبيض الرأس واللّحية، روى عن زيد بن أرقم، وعبدالله بن عمرو، والبراء بن عازب، ومسروق، وخلق كثير، يقال حدّث عن ثلاثمائة شيخ، وروى عنه الأعمش، وشعبة، والثوري، وابن عيينة، وقيل: سمع من ٣٨ صحابياً، وقد غزا الرّوم ست غزوات مع زياد، توفي سنة ١٢٧.

● أ ـ تذكرة الحفّاظ: م١١٤/١/١ ـ ١١٦، تر: ٩٩.

● ب ـ الأعلام: ٢٥١/٥.

أشياخه عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنّه كان في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يمشون، فرفع لهم إعصار، ثم جاء إعصار أعظم منه، ثم انقشع، فإذا حيّة قتيل، فعمد رجل منّا[1] إلى ردائه فشقّه، وكفن الحيّة ببعضه ودفنها. فلما جنّ الليل إذا بامرأتين[2] تسألان أيكم دفن عمرو بن جابر؟ فقلنا: ما ندري من عمرو بن جابر؟ فقالتا: إن كنتم ابتغيتم الأجر فقد وجدتموه. إنّ فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين منهم، فقتل عمرو وهو الحيّة التي رأيتم وهو من النّفر الذين استمعوا القرآن من محمد عليه السلام[3] ثم ولّوا إلى قومهم منذرين[4].

قال أبو الربيع، والسّهيلي، وابن القطان، وذكر أبو جعفر[5] العقيلي بإسناد له إلى لهيب[6] بن مالك/ الليثي[7]. قال حضرت مع رسول الله ﷺ، فذكرت عنده الكهانة، فقلت: بأبي[8] أنت وأمّي! نحن أوّل من عرف

٤٨/ظ

---

(١) في الأصل، و(د): منها.
(٢) في الروض الأنف: إذا امرأتان.
(٣) في الروض الأنف: ﷺ.
(٤) الروض الأنف: ٢/٣٠٤ - ٣٠٥.
(٥) أبو جعفر العقيلي: محمد بن عمرو بن موسى بن حمّاد، صاحب كتاب الضّعفاء الكبير، كان مقيماً بالحرمين الشريفين، جليل القدر، كثير التصانيف، ثقة، عالماً بالحديث، مقدّماً في الحفظ. توفي سنة ٣٢٢.
● تذكرة الحفّاظ: م٢/٣/٨٣٣ - ٨٣٤، تر: ٨١٤.
(٦) لهيب بن مالك: لُهيب - بالتصغير - بن مالك اللّهيبي، صحابي، ويقال لهب، روى خبراً عجيباً في الكهانة وأعلام النبوة. قال أبو عمر يوسف بن عبدالبر، بعد أن روى حديثه: إسناد هذا الحديث ضعيف، ولو كان فيه حكم لم أذكره، لأنّ رواته مجهولون.
● أ - الاستيعاب: ٣/١٣٤١ - ١٣٤٣، تر: ٢٢٤٣.
● ب - الإصابة: ٣/٣٣١، تر: ٧٥٦٢.
(٧) في الاستيعاب، والإصابة: اللهبي، ولكن أبا عمر أورد خبراً نقله عن أبي جعفر العقيلي بأنه لهيب بن مالك الليثي.
(٨) في الاستيعاب، والروض الأنف: بأبي وأمي!

حراسة السماء، وزجر الشياطين، ومنعهم من استراق السّمع عند قذف النجوم، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له: خطر بن مالك، وكان شيخاً كبيراً، قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة، وكان من أعلم كهّاننا، فقلنا: يا خطر هل عندك علم[1] بهذه النجوم التي يرمي بها، فإنّا قد فزعنا لها، وخفنا[2] سوء عاقبتها[3]؟ فقال:

«ائتوني بسحر أخبركم الخبر
أبخير أم ضرر أو لأمن أو حذر»

قال: فانصرفنا عنه يومنا، فلمّا كان من غد في وجه السّحر، أتيناه، فإذا هو قائم على قدميه، شاخص في السّماء بعينيه، فناديناه: يا خطر[4] يا خطر؟ فأومأ إلينا أن امسكوا[5]، فأمسكنا فانقضّ نجم عظيم من السماء، وصرخ الكاهن رافعاً صوته:

أصابه أصابه خامره عقابه
عاجله عذابه أحرقه شهابه
زايله جوابه يا ويله ما حاله
بلبله بلباله عاوده خباله
تقطّعت حباله وغيّرت أحواله

ثم أمسك طويلاً واندفع[6] يقول:

يا معشر بني قحطان أخبركم بالحق والبيان

---

(١) في الاستيعاب، والروض الأنف: من هذه النجوم.
(٢) في الروض الأنف: وخشينا.
(٣) في الإصابة: عاقبتنا.
(٤) في الروض الأنف: أخطر يا خطر؟ وفي الاستيعاب: يا خطر ـ مرة واحدة ـ.
(٥) في الروض الأنف: أن امسكوا فانقضّ...
(٦) في الروض الأنف، والاستيعاب: وهو يقول:

أقسمت بالكعبة والأركان والبلد المؤتمن السُّدّان
قد منع السّمع عتاة الجان بثاقب بكفّ ذي سلطان
من أجل مبعوث عظيم الشأن يبعث بالتّنزيل والقرآن
وبالهدى وفاصل[1] الفرقان[2] تبطل به عبادة الأوثان

قال: فقلنا[3]: ويحك إنّك لتذكر أمراً عظيماً، فماذا ترى لقومك؟ فقال [الرجز]:

أرى لقومي ما أرى لنفسي أن يتبعوا خير نبي الإنس
برهانه مثل شعاع الشمس بعث في مكة دار الحمس[4]
بمحكم التّنزيل غير اللبس

فقلنا له: يا خطر، ممّن[5] هو؟ فقال:

والحياة والعيش، إنّه لمن قريش، ما في حلمه طيش، ولا في خلقه هيش، يكون في جيش، وأي جيش، من آل قحطان وآل أيش.

فقلنا[6]: بيّن لنا من أي قريش هو؟ فقال:

---

(١) في الروض الأنف، والاستيعاب: وفاصل.
(٢) في الروض الأنف: القرآن.
(٣) في الاستيعاب: فقلت.
(٤) الحمس: جمع أحمس: المشتد الصلب في الدين، وكانت قريش تقول: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرمة، وولاّة البيت، وقطّان مكة، وسكانها، فليس لأحد من العرب مثل حقّنا، ولا مثل منزلتنا، فتركوا الوقوف على عرفة، والإفاضة منها دون غيرهم.
والحمس: أهل الحرم.
● السيرة النبوية لابن هشام: م١/١٩٩.
(٥) في الروض الأنف، والاستيعاب: وممّن هو؟
(٦) في الروض الأنف: فقلت:

والبيت ذي الدّعائم[1]، إنه لمن نجل هاشم، من معشر أكارم، يُبعث بالملاحم، وقتل كلّ ظالم، ثم قال: هذا هو البيان، أخبرني به رئيس الجان، ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجن الخبر.

ثم سكت وأغمي عليه، فما أفاق إلاّ بعد ثالثة[2]. فقال: لا إلـه إلاّ الله! فقال رسول الله ﷺ: لقد نطق عن مثل نبوّة، وإنّه[3] يبعث يوم القيامة أمة وحده[4].

قلت: هكذا اتفق على نقل هذه الحكاية السُّهيلي وأبو الربيع وابن القطّان [رحمنا الله وإياهم][5].

فصل

قال السّهيلي: وجاء في غير رواية البكائي عن ابن إسحاق أنّ فاطمة بنت النّعمان النجارية، كان لها تابع من الجن، وكان إذا جاءها اقتحم عليها في بيتها؟ فلما كان أول المبعث أتاها، فقعد على حائط الدار، ولم يدخل، فقالت: ولم لا تدخل؟ فقال: قد بُعث نبي بتحريم الزّنا، فذلك أوّل ما ذكر النّبي ﷺ بالمدينة[6].

قال السُّهيلي: قوله: أصابه إصابه، كذا قيّدته بكسر الهمزة من إصابه.

---

(١) في الروض الأنف، والاستيعاب: والركن والأحاثم، إنّه لمن نجل هاشم، من معشر كرائم.
(٢) في الروض الأنف، والاستيعاب: ثلاثة.
(٣) في الروض الأنف، والاستيعاب: وإنه ليبعث.
(٤) ● أ ـ الروض الأنف: ٢/٣١٥ ـ ٣١٦.
● ب ـ الاستيعاب: ٣/١٣٤١ ـ ١٣٤٢.
(٥) في الأصل: ما بين الحاصرتين غير وارد.
(٦) الروض الأنف: ٢/٣١٣.

عن أبي بكر بن طاهر وأخبرني به عن أبي علي الغسّاني، ووجهه أن تكون الهمزة بدلاً من واو مكسورة مثل وِشاح وإشاح[١]. والمعنى أصابه، جمع وصب[٢].

وقوله من آل قحطان: يعني: الأنصار[٣]، وأما آل أيش فيحتمل أن يكونوا[٤] قبيلة من الجان المؤمنين ينسبون إلى أيش، فإن[٥] يكن هذا وإلاّ فله معنى[٦] غريب في المدح يقال فلان أيّ شيء[٧] هو، والمعنى شيء عظيم. فكأنه أراد من آل قحطان، ومن المهاجرين[٨].

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم عن عبدالله[٩] بن كعب، مولى عثمان بن عفان، رضي الله عنه أنه حدّث: أنّ عمر بن الخطاب، بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله ﷺ، إذ أقبل رجل من العرب يريد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. فلما نظر إليه عمر، قال: إنّ الرجل على شركه ما فارقه بعد، أو لقد كان كاهناً في الجاهلية، فسلّم عليه الرجل، ثم جلس، فقال له عمر: هل أسلمت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فهل كنت كاهناً في الجاهلية؟ فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين! لقد خلت فيّ، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك. فقال: اللهم

---

(١) في الروض الأنف: ووسادة وإسادة.

(٢) في الروض الأنف: مثل جمل وجمالة.

(٣) في الروض الأنف: لأنهم من قحطان.

(٤) في الروض الأنف: أتكون قبيلة من الجنّ.

(٥) في الأصل: فإن لم يكن هذا.

(٦) في الروض الأنف: فله معنى في المدح غريب.

(٧) في الروض الأنف: تقول: فلان أيش هو وابن أيش، ومعناه أي شيء، وأي شيء عظيم.

(٨) في الروض الأنف: الذين يقال فيهم مثل هذا.

● الروض الأنف: ٣١٦/٢.

(٩) عبدالله بن كعب: أبو الحارث، وقيل: أبو لحي، عبدالله بن كعب بن عمرو بن عوف الأنصاري، شهد المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وكان على الغنائم يوم بدر، وعلى الخمس في غيرها، توفي بالمدينة سنة ٣٠، وصلّى عليه الخليفة عثمان رضي الله عن الجميع.

● الاستيعاب: ٩٨١/٣، تر: ١٦٤٣.

غفراً، قد كنا في الجاهلية على شرّ من هذا، نعبد الأصنام، ونعتنق/ ٤٩/و الأوثان، حتّى أكرمنا الله برسوله ﷺ وبالإسلام؛ فقال: نعم والله يا أمير المؤمنين، لقد كنت كاهناً في الجاهلية؛ قال: فأخبرْنِي ما جاءك به صاحبك؛ قال: جاءني قبيل الإسلام [بشهرأ][1] وشيعه فقال [من الرجز]:

ألم تر إلى الجن وإبلاسها، [وإياسها][2] من دينها، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها

فقال عمر عند ذلك يُحدّث النّاس؛ والله إنّي لعند وثن من أوثان الجاهلية، في نفر من قريش، قد ذبح له رجل من العرب عجلاً، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه، إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت قطّ أنفذ منه، وذلك قبيل الإسلام [بشهر][1] أو شيعه يقول: يا ذريح، أمر نجيح، رجل يصيح، يقول لا إلٰه إلاّ الله.

قال ابن هشام: ويقال: رجل يصيح، بلسان فصيح، يقول: لا إلٰه إلاّ الله[3].

قلت: وقد رواه البخاري في صحيحه من طريق عبدالله بن عمر[4] رضي الله عنهما[5].

قال السّهيلي: قوله قبل الإسلام بشهر أو شيعه أي دونه بقليل[6].

وهذا الرجل الذي كان كاهناً هو سوّاد بن قارب.

وروي غيرُ ابن إسحاق هذا الخبر على غير هذا الوجه. وأنّ عمر

---

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٠٩/١ ـ ٢١١، وبينهما خلاف.
(٤) عبدالله بن عمر: أبو عبدالرحمٰن عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي، أسلم وهو صغير، لم يبلغ الحلم، وهاجر قبل أبيه، رُدّ يوم بدر لصغره، وقُبل في أحد ـ كان ورعاً، عالماً، توفي بمكة سنة ٧٣ رضي الله تعالى عنه.
● الاستيعاب: ٩٥٠/٣ ـ ٩٥٤، تر: ١٦١٢.
(٥) صحيح البخاري: ٦١/٥، باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٦) الروض الأنف: ٣١٨/٢.

مازحه فقال: ما فعلت كهانتك يا سوّاد؟ فغضب وقال: كنت أنا وأنت على شرّ من هذا من عبادة الأصنام وأكل الميّتات، أفتعيّرني بأمر قد تبت منه؟! فقال حينئذ: اللهم غفراً، الحديث.

قال أبو الربيع والسّهيلي: وذكر غير ابن إسحاق في هذا الحديث سياقة حسنة وزيادة مفيدة، ذكر فيه أنّه كان نائماً على جبل من جبال السّراة[1] ليلة من الليالي فأتاه آت، فضربه برجله، وقال: قم يا سوّاد بن قارب: أتاك رسول من لؤي[2] بن غالب. قال: فرفعت رأسي وجلست، فأدبر وهو يقول [من السريع]:

عجبت للجنّ وتطلابها ... وشدّها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما صادق الجنّ ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ... ليس قداماها[3] كأذنابها

وأتاه في الليلة الثانية فضربه برجله، وقال: قم يا سوّاد بن قارب، أتاك رسول من لؤي بن غالب، قال: فرفعت رأسي، وجلست، فأدبر وهو يقول [من السريع]:

عجبت للجن[4] وأخبارها ... [ورحلها][5] العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنوها[6] ككفّارها

---

(١) جبال السراة: السراة: الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن، ولها سعة، وهي باليمن أخص.
● معجم البلدان: ٣/٢٠٤.

(٢) لؤي بن غالب: أبو كعب لؤي بن غالب بن فهر القرشي العدناني، من سلسلة النسب النبوي الشريف.
● الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢/٢٥.

(٣) في الأصل و(ر): قدّامها.

(٤) في (د): كلمة «للجن» ساقطة.

(٥) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٦) في الأصل: ما مومنها.

فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قداماها[1] كأدبارها[2]

وأتاه في الليلة الثالثة: بعد ما نام، فضربه برجله، وقال: قم يا سواد بن قارب أتى[3] رسول من لؤي بن غالب. قال: فرفعت رأسي، وجلست، فأدبر وهو يقول [من السريع]:

عجبت للجن وإبلاسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما طاهر الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصّفوة من هاشم ليس ذنابى[4] الطير من رأسها[5]

قال: فلما أصبحت[6] ركبت بعيري، فأتيت مكّة، فإذا رسول الله ﷺ ظهر، فأخبرته الخبر، وبايعته. وفي بعض طرق حديثه، أنّه أنشد رسول الله ﷺ شعراً، منه في معنى ما جاء رئيُّه[7] [من الطويل]:

أتاني رئييّ[8] بعد هدء ورقدة[9] ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك نبي[10] من لؤي بن غالب

---

(١) في الأصل: قدامها.
(٢) في الروض الأنف: وردت المقطوعة هكذا: وقال له في الثانية:
عجبت للجن وإبلاسها وشدّها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكّة تبغي الهدى ما طاهر الجنّ كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس ذنابي الطير من رأسها
(٣) في (د): أتاك.
(٤) في (ر): ذناب.
(٥) في الروض الأنف: وردت المقطوعة كما يلي: وقال له في الثالثة:
عجبت للجن وتنفارها وشدّها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمن الجن ككفّارها
فارحل إلى الأتقين من هاشم ليس قداماها كأدبارها
(٦) في الأصل، (ر): فلما أصبح.
(٧) في (ر): ربيبه، وفي (د): رأيته.
(٨) في الروض الأنف: نجيّ.
(٩) في (د): هجعة.
(١٠) في (ر): رسول.

فـرقـعـت أذيـال الإزار وشـمّـرت بي العرمس الوجنا هجول[1] البابس[2]

فـأشـهـد أن الله لا[3] ربّ غـيـره وأنـك مـأمـون كـل غـائـب

وأنّـك أدنـى الـمـرسـلـيـن وسيـلـة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

فمرنا بما يأتيك من وحي ربّنا وإنّك[4] فيما جئت شيب[5] الذّوائب

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب

ولسوّاد بن قارب هذا مقام محمود[6] في قومه دوس، حين بلغهم وفاة نبي الله ﷺ[7]، فحظّهم على التّمسك بالإسلام وسنّة النّبي عليه السّلام فأجابوه لمراده وسمعوا منه وأطاعوه.

قال أبو علي[8] في أماليه: وفي رئي لغتان: فتح الرّاء وكسرها، وهو ما يترأى للإنسان من الجنّ[9].

---

(١) في (ر): والروض الأنف: هجول.

(٢) في الاستيعاب ورد عجز هذا البيت: بي الفرس الوجناء حول السباسب.

(٣) في الروض الأنف: لا شيء.

(٤) في (د) و(ر) والروض الأنف، والاستيعاب: وإن كان فيما.

(٥) في (د): «شيب» ناقصة.

(٦) في الروض الأنف: مقام حميد في دوس حين بلغهم وفاة رسول الله ﷺ.

(٧) ● أ ـ الروض الأنف: ٢/٣١٩ ـ ٣٢٣.
● ب ـ الاستيعاب: ٢/٦٧٤ ـ ٦٧٥.

(٨) أبو علي القالي: إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى القالي اللغوي البغدادي، ولد سنة ٢٨٨هـ دخل بغداد سنة ٣٠٥هـ، وأخذ عن علمائها منهم ابن دريد، وأبو بكر الأنباري، ونفطويه، وغيرهم. ودخل قرطبة سنة ٣٣٠هـ واستوطنها، وأملى كتابه الأمالي بها، وله عدة كتب في اللغة، توفي بقرطبة سنة ٣٥٦هـ.
● وفيات الأعيان لابن خلكان: ١/٢٢٦ ـ ٢٢٨، تر: ٩٥.

(٩) الأمالي: ١/١٣٤. لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، مطبعة السعادة، بمصر، الطبعة الثالثة: ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م.

فصل

قال ابن إسحاق: وحدثني علي بن نافع[1] الجرشي: إنّ جنبا: بطنًا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية، فلما ذُكر أمر رسول الله ﷺ وانتشر في العرب، قالت له جنب: انظر لنا في أمر هذا الرجل، واجتمعوا له في أسفل جبله؛ فنزل عليهم حين طلعت الشمس، فوقف لهم قائماً متّكئاً على قوس له، فرفع رأسه إلى السّماء طويلاً، ثم جعل/ يتروّى[2] ثم قال: أيّها النّاس، إنّ الله أكرم محمداً واصطفاه، وطهّر قلبه، وحشاه، ومكثه فيكم - أيّها النّاس - قليل، ثم أسند في جبله راجعاً من حيث جاء[3]. ٥٠/ظ

قال أبو الربيع، وذكر الواقدي بإسناده قال: كان أبو هريرة رضي الله عنه يحدّث أنّ قوماً من خثعم، كانوا عند صنم لهم جلوساً[4] وكانوا يتحاكمون إلى أصنامهم، فيقال: لأبي هريرة هل كنت أنت تفعل ذلك فيقول: قد - والله - فعلت وأكثرت، فالحمد لله الذي أنقذني بمحمّد ﷺ.

قال أبو هريرة: بينما الخثعميون عند صنمهم إذ سمعوا هاتفاً يقول [من الرجز]:

يا أيها الناس ذوو الأجسام ... ومسند الحكم إلى الأصنام

أكلكم أوره كالكهام ... ألا ترون ما أرى أمامي

من ساطع يجلو دجى الظلام ... ذاك نبيّ سيد الأنام

---

(١) علي بن نافع مولى ابن نمير، وبنو نمير: بطن من عامر بن صعصعة، كانت منازلهم الجزيرة الفراتية والشام - روى عن علي بن نافع أيوب وصخر بن جويرة البصري.
● أ - كتاب الجرح والتعديل: ٢٠٦/٦، تر: ١١٣١، لأبي محمد عبدالرحمٰن بن أبي حاتم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، مصورة ١٣٧١ - ١٩٥٢م.
● ب - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: ص٣٨٥، تر: ١٦٠٥، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، [ت: ٨٢١]، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: ثم جعل ينزو.

(٣) السّيرة النبوية لابن هشام: ٢٠٩/١.

(٤) في الأصل: جلوس.

من هاشم في ذروة السّنام مستعلن بالبلد الحرام
يجاهد الكفار بالإسلام أكرمه الرّحمن من إمام

قال أبو هريرة: فأمسكوا ساعة، حتّى حفظوا ذلك، ثم تفرّقوا، فلم تمض بهم ثالثة، حتّى فجأهم خبر رسول الله ﷺ أنّه ظهر بمكة. قال: فأسلم الخثعميون بعد ذلك.

قوله: أوره: قال الزّبيدي: الوره: الخُرق في العمل، وامرأة ورهاء: خرقاء وتورّه الرّجل: إذا لم يكن ذا حذق.

وقوله كالكهام: يقال سيف كهام: أي عييّ، وفرس كهام: أي بطيء.

وذكر الواقدي أيضاً أنّ رجلاً من الأنصار، حدّث عمر بن الخطّاب، قال: انطلقت أنا وصاحبان لي نريد الشّام، حتّى إذا كنّا بقفرة من الأرض، نزلنا بها، فبينما نحن كذلك لحقنا راكب فكنا أربعة، وقد أصابنا سغب شديد، فالتفت فإذا أنا بظبية غضباء[1]، ترتع قريباً مني، فوثبت إليها. فقال الرجل الذي لحقنا: خلّ سبيلها ـ لا أباً لك ـ والله لقد رأيتنا ونحن نسلك هذه الطريق، ونحن عشرة أو أكثر، فيختطف بعضنا، فما هو إلا أن كانت هذه الظبية، فما يهاج بها أحد. فأبيت وقلت: لا. لعمر الله لا أخليها، فارتحلنا، وقد شددتها معي، حتّى إذا ذهب سدف[2] من الليل، إذا هاتف يهتف بنا ويقول [من الرجز]:

يا أيها الركب السراع الأربعة خلوا سبيل النافر المفزعة
خلّوا عن الغصباء في الوادي سعة لا تذبحنّ الظبية المروعة
فيها لأيتام صغار منفعة

قال: فخلّيت سبيلها، ثم انطلقنا، حتّى أتينا الشام، فقضينا حوائجنا، ثم أقفلنا حتّى إذا كنا بالمكان الذي كنا فيه هتف هاتف من خلفنا [من الرجز]:

(١) غضباء: مكسورة القرن ـ وفي الحديث نهى أن يضحى بالأغضب القرن.
(٢) سدف من الليل: قطعة منه ـ والسّدف: الظّلمة.

إياك لا تعجل وخذها من ثقة ... فإنّ شرّ السير سير الحقحقة
قد لاح نجم فأضاء مشرقة[1] ... يخرج من ظلما[2] عسوف[3] موبقة
ذاك رسول مفلح من صدقه ... الله أعلى أمره وحقّقه

قال الرجل: فأتيت مكة، فإذا رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام، فقال عمر رضي الله عنه: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمّد ﷺ. وقد ذكر ابن القطان هذه الحكاية أيضاً.

قال أبو الربيع: روينا عن أبي المنذر هشام[4] بن محمد الكلبي بإسناد متصل إليه قال: لقيت شيوخنا من شيوخ طيّيء المتقدمين، فسألتهم عن قصّة مازن[5] بن الغضوبة الطائي وسبب إسلامه، ووفوده على رسول الله ﷺ

---

(١) في الأصل: مشرّق.
(٢) في الأصل و(ر): ظلماء.
(٣) في (د): عشرة.
(٤) أبو المنذر: هشام بن أبي النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي النّسابة الكوفي، من الحفّاظ المشاهير، حدّث عن أبيه، وروى عنه ابنه، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي، وغيرهما، وتصانيفه تربو على مائة وخمسين تصنيفاً، توفي سنة ٢٠٤.
● وفيات الأعيان: ٦/٨٢، تر: ٧٨٢.
(٥) مازن بن الغضوبة: ويقال مازن بن الغضوب الخطامي، فخذ من طيّء الطائي العُماني، قال: قلت يا رسول الله: إنّي امرؤ من خطامة طيّء، وإني لمولع بالطرب، وأحبُّ الخمر والنّساء، فيذهب مالي، ولا أحمد حالي، فادع الله أن يذهب عنّي ذلك، وليس لي ولد، فادع الله أن يهب لي ولداً، فدعا لي، فأذهب الله عنّي ما كنت أجد، وتزوّجت أربع حرائر، فرزقت الولد، وحفظت شطر القرآن، وحججت حججاً.
وأنشد [الطويل]:
إليك رسول الله خبّت مطيّتي ... تجوب الفيافي من عمان إلى العرج
لتشفع لي يا خير من وطيء الحصى ... فيغفر لي ربّي فأرجع بالفلج
إلى معشر جانبت في الله دينهم ... فلا دينهم ديني ولا شرجهم شرجي
وكنت امرأ باللهو والخمر مولعاً ... شبابي إلى أن آذن الجسم بالنّهج
فبدّلني بالخمر خوفاً وخشية ... وبالعهر إحصاناً فحصّن لي فرجي
فأصبحت همّي في الجهاد ونيّتي ... فلله ما صومي ولله ما حجّي=

وإقطاعه[1] أرض عُمان، وكان مازن بأرض عمان بقرية تُدعى سنابل[2]، فأخبروه عن مازن أنه قال: عترت ذات يوم عتيرة وهي الذّبيحة، فسمعت صوتاً من الصنم يقول: يا مازن، أقبل أقبل، فاسمع ما لا تجهل، هذا نبي مرسل، جاء بحق منزل، فآمن به كي تعزل، عن حر نارٍ تشعل، وقودها بالجندل.

قال مازن: فقلت: والله إنّ هذا لعجب، ثم عترت بعد أيام عتيرة أخرى، فسمعت صوتاً أبين من الأوّل وهو يقول:

يا مازن اسمع تُسرّ، ظهر خير، وبطن شرّ، بعث نبي من مضر، بدين الله الكبر، فدع نحيتاً من حجر، تسلم من حرّ سقر.

قال مازن: فقلت: إنّ هذا والله لعجب، وأنّه لخير يراد بي، وقدم علينا رجل من أهل الحجاز، فقلنا: ما الخبر وراءك؟ قال: خرج بتهامة رجل يقول لمن أتاه: أجيبوا داعي الله، يقال له أحمد، فقلت: هذا ـ والله ـ نبأ ما سمعت، فثرت إلى الصنم/ فكسرته جذاذاً، وشددت[3] راحلتي، ورحلت، حتّى أتيت رسول الله ﷺ فشرح لي الإسلام فأسلمت.

٥١/و

قال أبو الربيع، وابن القطان: ـ واللفظ للأوّل ـ وممّا يلحق بهذا الباب من حسان أخبار الكهان، وإن كان بعد المبعث بزمان، ولكنه يجتمع مع الأحاديث السّالفة في الدلالة على صدق الرسول، والإعلام بالغيب المجهول والإرشاد إلى سواء السبيل.

ما ذكره أبو علي إسماعيل بن القاسم في أماليه بإسناده له إلى

= ● أ ـ الاستيعاب: ١٣٤٤/٣، تر: ٢٢٤٥.
● ب ـ الإصابة: ٣٣٦/٣، تر: ٧٢٨٥.
● ج ـ الأعلام: ١٢٤/٦.

(١) في الأصل: وأقطعه.
(٢) في الأصل، و(ر): يعني فأخبروه...
(٣) في (د): وشدت راحلتي...

ابن خنافر عن أبيه قال: كان خنافر بن التؤام[1] كاهناً، وكان قد أوتي بسطة في الجسم، وسعة في المال، وكان عاتياً[2] فلما وفدت وفود اليمن على النبي ﷺ وظهر الإسلام، أغار على إبل لمراد فاكتسحها، وخرج بأهله وماله، ولحق بالشّحر[3]، فحالف جودان بن نجي[4] وكان سيّداً منيعاً، ونزل بواد من أودية الشّحر[3]، مخصب[5] كثير الشجر.

قال خنافر: وكان لي رئي في الجاهلية[6]، لا يغيب عنّي، فلمّا شاع الإسلام فقدته مدّة طويلة، فساءني[7] ذلك، فبينا أنا ليلة في ذلك[8] الوادي نائماً إذ أهوى[9] إليّ هويّ العقاب، فقال خنافر، فقلت: شصار؟ فقال: اسمع أقل، قلت: أسمع[10]، فقال:

عِه تغنم، لكل مدة نهاية، وكل ذي أمد إلى غاية، قلت: أجل، فقال: كل دولة إلى أجل، ثم يتاح لهم[11]، حول، قد انتسخت[12] النحل، ورجعت إلى حقائقها الملل، إنّك سجير موصول، والنصح لك مبذول، إنّي[13] أنست بأرض الشام، نفراً من أهل القوام[14]، حكاماً على

(١) في الأمالي: التوءم الحميري. . .
(٢) عاتياً: جبّاراً، عتا يعتو عتواً وعُتياً: استكبر وجاوز الحدّ فهو عات.
(٣) في الأصل: الشّحن، وفي (د): الشجر.
(٤) في الأمالي: ابن يحيى القرضمي.
(٥) في الأمالي: مخصباً كثير الشجر من الأيك والعرين.
(٦) في الأمالي: لا يكاد يتغيّب عنّي. . .
(٧) في الأمالي: وساءني ذلك.
(٨) في الأمالي: بذلك.
(٩) في الأمالي: إذ هوى.
(١٠) في الأمالي: قل أسمع. .
(١١) في الأمالي: لها.
(١٢) في الأمالي: انتخست ـ بحذف قد ـ.
(١٣) في الأمالي: وإنّي.
(١٤) في الأمالي: من آل العذام.

الحكام، يزبرون[1] ذا رونق[2] من الكلام، ليس بالشعر المؤلّف ولا السّجع المتكلّف، فأصغيت فزجرت، فعاودت فطلبت[3]، فقلت بم[4] تهيمنون؟ وإلى من تعتزون[5]؟ فقالوا: خطاب كبّار، جاء من عند الملك الجبّار، فاسمع يا شصار، عن أصدق الأخبار، واسلك أوضح الآثار، تنج من أوّار النار. فقلت: وما هذا الكلام؟ فقالوا:

فرقان بين الكفر والإيمان، رسول من مضر[6]، ابتعث فظهر، فجاء بقول قد بهر، وأوضح نهجاً قد دثر[7]، فيه مواعظ لمن اعتبر، ومعاذ لمن ازدجر، ألّف بالآي الكبر؛ فقلت[8]: ومن هذا المبعوث من مضر؟ قالوا: أحمد خير البشر، فإن آمنت أعطيت الشّبر، وإن خالفت أصليت سقر؛ فآمنت يا خنافر، وأقبلت إليك أبا ذر، فجانب كلّ نجس كافر، وشايع كلّ مؤمن طاهر، وإلاّ فهو الفراق عن لا تلاف[9]، قلت: من أين أبغي هذا الدين؟ قال [من ذات الأحرّين][10]. من النفر الميامين[11]، أهل الماء والطين.

قلت: أوضح، قال: الحق بيثرب ذات النخل[12]، فهناك أهل الفضل والطول، والمواساة والنّول[13]، ثم انملس[14] عني، فبتّ مذعوراً، أراعي

---

(١) في الأمالي: يذبرون.
(٢) في (د): رونقة.
(٣) في الأمالي: فظُلفت.
(٤) في (ر): لم.
(٥) في (ر): وإلى ما وفي (د): وإلى مم، وفي الأمالي: وإلام تعترون؟ قالوا:
(٦) في الأمالي: من مضر من أهل المدر...
(٧) في الأصل: قد أثر...
(٨) في الأمالي: قلت: ومن هذا المبعوث من مضر؟ قال:
(٩) في الأمالي: لا عن تلاق، وفي (د): عن الاتلاق.
(١٠) في الأصل و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.
(١١) في الأمالي: اليمانين.
(١٢) في الأمالي: والحرّة ذات النعل، فهناك أهل الطول والفضل والمواساة والبذل...
(١٣) في (د): والقول.
(١٤) في الأمالي: ثم امّلس.

الصباح؛ فلما برق لي النّور امتطيت راحلتي، وأذنت أعبدي، واحتملت بأهلي، حتّى وردت الجرف[1]، فرددت الإبل على أربابها[2] [بجوائلها وسقابها][3]، وأقبلت أريد صنعاء، فأصبت بها معاذ بن جبل[4] أميراً لرسول الله ﷺ، فبايعته على الإسلام، وعلّمني[5] من القرآن، فمنّ الله عليّ بالهدى بعد الضلالة، والعلم بعد الجهالة، وقلت في ذلك [من الطويل]:

ألـم تـر أنّ الله عـاد بـفـضـلـه	فأنقذ من حرّ[6] الزّخير خنافرا
وكشف لي عن جحمتي عما هما	وأوضح لي نهجي وقد كان داثرا
دعاني شصار للتي لو رفضتها	لأصليت جمراً من لظى الهوب[7] واهرا
فأصبحت .والإسلام حشو جوانحي	وجانبت من أمسى عن الحق نائرا[8]
وكان مضلّي من هديت برشده[9]	فـلـلّـه مـغـو عـاد بـالـرّشـد آمـرا
نجوت بحمد الله من كل فجعة[10]	تؤرث هلكا يوم شايعت شاصرا[11]

تفسير غريب الحديث:

قال أبو علي في أماليه: قوله: اكتسحها أي كنسها. والسّجير بالسين

(١) في الأمالي: الجوف.
(٢) في (ر): على أهلها.
(٣) في الأصل و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط. وفي الأمالي: بحولها وسقابها...
(٤) معاذ بن جبل: أبو عبدالرحمٰن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أحد السبعين الذين شاهدوا بيعة العقبة، شهد بدراً، وكل المشاهد مع رسول الله ﷺ، كان طوالاً، حسن الشعر، عظيم العينين، أبيض، برّاق الثنايا، لم يولد له قط، توفي بناحية الأردن، في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وهو ابن ٣٨ سنة رضي الله عنه.
● الاستيعاب: ١٤٠٢/٣ ـ ١٤٠٧، تر: ٢٤١٦.
(٥) في الأمالي: سوراً من القرآن.
(٦) في الأمالي: من لفح.
(٧) في (د): الهون جائراً، وفي (ر): الجوج.
(٨) في (د) و(ر): نافراً.
(٩) في (د): وكان مضلي هديت من يرشده...
(١٠) في (د) والأمالي: قحمة.
(١١) في الأمالي: أورد ثلاثة أبيات بعد هذا البيت.

المهملة: الصديق. وقال بعض اللغويين: السّجير والشجير: الصديق. والشبر: بسكون الباء ـ الخير. وحرّك للسّجع. قوله: ولا السّجيع بالسين المهملة.

قال الزبيدي: سجع الرجل تكلم بكلام له فواصل، كفواصل الشعر. وأمّا بالشّين المعجمة فله معنى آخر.

قال الزبيدي: الشجع من الإبل: السّويع نقل القوائم. والشجاعة شدة القلب، وآنست: أبصرت.

قال أبو علي: وذبّرت[1] الكتاب إذا قرأته، وزبرته إذا كتبته. والأوار: شدة الحرّ. وآذنت: أعلمت. والزّخيخ بلغة اليمن: النّار، والجحمتان ـ بالجيم ـ ثم حاء/ مهملة: العينان بلغتهم. ٥٢/ظ

قال الزبيدي: الجحمة: العين بلغة حمير.

قال أبو علي: والهوب: النّار بلغتهم. والواهر: الساكن مع شدة الحرّ.

والقحمة: الشدة. وقوله فائراً أي نافراً[2].

قال أبو الربيع: وذكر ابن هشام: أنّ بعض أهل العلم حدّثه أنه كان لمرداس السّلمي وثن يعبده وهو حجر يقال له ضمار، فلما احتضر مرداس، قال لابنه عباس[3] أي بني أعبد ضماراً، فإنّه ينفعك ويضرّك، فبينما عبّاس

(١) في النسخ المعتمدة: وزبرت ـ بالزّاي ـ والإصلاح من الأمالي.

(٢) الأمالي: ١٣٢/١ ـ ١٣٤، بتصرّف في شرح الكلمات.

(٣) أبو الفضل العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة السّلمي من مضر، أمّه الخنساء الشاعرة المعروفة، أسلم قبل فتح مكة بيسير، وكان من سبي حنين، ومن المؤلفة قلوبهم، وممّن حسن إسلامه. أعطاه الرسول ﷺ هو والأقرع بن حابس، وعُيينة بن حصن مائة مائة من الإبل، وكان ممّن حرّم الخمر في الجاهلية، توفي في خلافة عمر عام ١٨.

- أ ـ الاستيعاب: ٨١٧/٢ ـ ٨٢٠، تر: ١٣٧٩.
- ب ـ الأعلام: ٣٩/٤.

[يوماً عند][1] ضمار إذ سمع من جوف ضمار منادياً يقول [من الكامل]:

قل للقبائل[2] من سليم كلها ... أودى[3] الضمار وعاش أهل المسجد

إن الذي ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتد

أودى الضّمار[4] وكان يعبد مرّة ... قبل الكتاب إلى النّبي محمد[5]

فحرق العباس ضماراً، ولحق بالنّبي ﷺ، فأسلم[6].

والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً.

قال السّهيلي: وروى ابن أبي الدنيا في سبب إسلام عباس حديثاً أسنده عن رجاله، عن الزهري، عن عبدالرحمٰن[7] بن أنس السّلماني، عن العباس بن مرداس أنه كان في لقاح له نصف النّهار، فاطّلعت عليه نعامة بيضاء، عليها راكب، عليه ثياب بيض[8]، فقال لي: يا عباس بن مرداس: ألم تر أنّ السّماء كفت أحراسها، وأنّ الحرب جرعت أنفاسها وأنّ الخيل وضعت أحلاسها، وأنّ الذي نزل عليه البر والتقى[9] يوم الاثنين ليلة الثلاثاء صاحب القصوى[10].

قال: فخرجت مرعوباً، قد راعني ما رأيت، وسعيت حتّى جئت وثنا لنا[11] يقال الضّمار، وكنّا[12] نعبده ونكلّم من جوفه، فكنست ما حوله، ثم تمسّحت به، فإذا صائح يصيح من جوفه:

---

(١) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) في السيرة النبوية لابن كثير: للقبيلة.

(٣) في السيرة النبوية لابن كثير: هلك الأنيس وعاش...

(٤) في السيرة النبوية لابن كثير: ضمار.

(٥) في السيرة النبوية لابن كثير: ورد هذا البيت قبل الذي قبله.
السيرة النبوية لابن كثير: ٣٥٩/١.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام: م٢/٤/٤٢٧.

(٧) عبدالرحمٰن بن أنس: لم أعثر على ترجمته.

(٨) في الروض الأنف: ثياب بياض.

(٩) في (ر): والتقوى.

(١٠) في الروض الأنف: صاحب الناقة القصواء.

(١١) في الروض الأنف: وثنا لي.

(١٢) في الروض الأنف: كنّا ـ بلا واو ـ.

قل للقبائل من سليم[1] كلها هلك الضّمار وفاز أهل المسجد[2]

الآبيات...

قال: فخرجت مذعوراً حتى جئت قومي، فقصصت عليهم القصة وأخبرتهم الخبر، فخرجت في ثلاث مائة من قومي من بني حارثة[3] إلى رسول الله ﷺ، بالمدينة. فدخلنا المسجد. فلما رآني رسول الله ﷺ تبسّم، وقال لي[4]: يا عباس، كيف إسلامك؟ فقصصت عليه القصّة.

قال: صدقت. فأسلمت أنا وقومي[5].

قلت: والآثار فيما نقل عن الكهان، أو سمع عند الأصنام، أو هتف به هواتف الجان، كثيرة جداً لا يحصيها ديوان، وكلّها بحول الله مقوية للإيمان، ومنشّطة لعبادة الرّحمن. قد اخترنا من ذلك ما نقله الأئمة. وثقات أعلام هذه الأمّة. وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان، ممّا يُقَوّى به الإيمان، ويدخلك ـ إن شاء الله ـ في دائرة أهل العرفان، نوّر الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين، ورزقني وإياك حسن المتابعة، والاقتداء بسيّدنا محمد خاتم النّبيين صلى الله عليه وعلى آله صلاة ندخرها ليوم الدّين.

فصل

ومن هذا الباب

ما ذكره ابن القطان قال: رُوي عن زميل بن ربيعة[6] قال كان لبني

---

(١) في الروض الأنف: من قريش.

(٢) في الروض الأنف: ذكر البيتين التاليين:

هلك الضّمار وكان يعبد مدّة قبل الصلاة على النّبي محمد

إنّ الذي ورث النّبوة والهُدى بعد ابن مريم من قريش مهتدي

(٣) في الروض الأنف: من بني جارية.

(٤) في الروض الأنف: وقال: إليّ يا عباس.

(٥) الروض الأنف: ١٥٧/٧ ـ ١٥٨.

(٦) زميل بن ربيعة: في الإصابة: زمل بن عمرو بن عنز بن خشاف العذري، ويقال=

عذرة[1] صنم يقال له: طارق، فلما بعث الله رسوله ﷺ سُمع من جوفه صوت يقول: يا طارق، بعث النبي الصّادق، جاء بوحي ناطق، ثم وقع الصّنم لوجهه فتكسّر، فأتيت النّبي ﷺ، فأخبرته قال: ذلك من مؤمني[2] الجنّ.

قال: ورُوي أنّ العوّام بن جهيل[3] من همدان[4]، كان يسدن[5] يغوث فحدّث بعد إسلامه قال: كنت ذات ليلة، ذات ريح وبرد ورعد وبرق في بيت الصنم، فسمعت هاتفاً من الصّنم يقول: يا ابن جهيل، حلّ الويل بالأصنام، هذا نور ساطع من أرض الحرام، قارب الأطام، ثم انتشر في يمن وشام، فودّع يغوث بالسّلام. فكتمت ما سمعت. فلما كان في مثل تلك الليلة من العام الثاني إذا الهاتف يقول [من الرجز]:

هل تسمعني القول يا عوّام أو قد صممت فنبا[6] الكلام

= زميل بن ربيعة. ورُوي أنّ رسول الله ﷺ عقد له لواء على قومه، بعد إسلامهم، وكتب له كتاباً. وشهد بلوائه المذكور صفّين مع معاوية، وقتل يوم مرج راهط مع مروان سنة أربع وستين.

- أ ـ الإصابة: ٥٥١/١، تر: ٢٨١٦.
- ب ـ الاستيعاب: ٥٦٤/٢، تر: ٨٧١.

(١) بنو عذرة: بطن من كلب، من قضاعة، من القحطانية، قال أبو عبيد: وعذرة هؤلاء هم المعروفون بشدّة العشق، كان منهم جميل بن عبدالله بن معمر، وصاحبته بثينة بنت حيا بن ثعلبة. قال ابن حزم: كان لأبيها صحبة.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٣٥٩.

(٢) في الأصل: مؤمن الجن.

(٣) في النسخ المعتمدة: العوام بن جميل، والإصلاح من أسد الغابة: ٢٩٥/٤، رقم: ٤١١٥.

(٤) بنو همدان ـ بإسكان الميم ـ: بطن من كهلان، من القحطانية، وهم: بنو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.
- أ ـ نهاية الأرب: ٤٣٨.
- ب ـ جمهرة أنساب العرب: ٣٩٢.

(٥) سدن: من باب نصر، والسّادن: خادم الكعبة، وبيت الأصنام، الجمع السّدنة.
- مختار الصحاح: مادة سدن.

(٦) في الأصل: فأنبأ، وفي (ر): البيت ساقط.

قد كشفت دياجي الظلام وأصفق الناس على الإسلام[1]
فقلتُ: يا أيها الهاتف بالنّوام لست بذي وقر عن الأثام

فأجابني:

ارحل على اسم الله والتوفيق إلى فريق خير ما فريق
إلى النبي الصادق المصدوق تفز بدين غير ما مذوق

فجئت في وفد همدان إلى رسول الله ﷺ فأسلمتُ، وأمر[2] بكسر الصنم.

الزبيدي: المذق: الخلط، ولبن مذق ومذيق [ورجل مذّاق][3]: ملول.

٥٣/و قال ابن القطان: وذكر أنّ إياساً[4]/ كان في الجاهلية يأتي إلى صنم كان يعبده، فأتاه يوماً فكلمه، فلم يكلمه. فقال: لا أخرج من عندك حتّى تكلّمني. قال: فجلس إليه طويلاً فقال: أيّها الجالس قد تفرّق الإبلاس[5]، ولحقت بأرض الأقتاب والإحلاس[6]، وكان هذا عند خروج النبي ﷺ.

---

(١) في الأصل: عن.
(٢) في (ر): وأمرت.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط.
(٤) إيّاس بن عبد مزني، كنيته أبو عوف، له صحبة، يعدّ في أهل الحجاز أظنّه هو المراد، لأنّ الأسماء الأخرى الواردة في المصادر التي عدت إليها لا تذكر أحداً له صحبة، يقيناً إلاّ هذا، والله أعلم.
● تقريب التهذيب: ٦٢/١، تر: ٦٣٣، لابن حجر شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني [ت: ٨٥٢] ضبط ومراجعة: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
(٥) في (د) و(ر): الأبالس.
(٦) في (د) و(ر): الأحالس.

قال: وروي عن عمر[1] الهذلي[2] قال: حضرت مع رجل من قومي صنمنا[3] سُوَاعاً، وقد سيقت إليه الذبائح، فكنت أوّل من قرّب[4] إليه بقرة سمينة، فذبحتها للصنم، فسمعت من جوفها: العجب كل العجب، نبي بين الأخاشب، يحرّم الزنا ويُحرّم الذّبح للأصنام، وحرست السّماء، ورمينا بالشّهب.

فتفرّقنا فقدمنا مكة، فلقينا أبا بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه، فقلنا: أخرج أحد بمكة يدعو إلى الله تعالى؟ فقال: وما ذاك؟ فأخبرناه الخبر. قال: نعم. هذا رسول الله ﷺ، ثم دعاني إلى الإسلام، فقلت: حتّى أرى ما يفعل قومنا، ويا ليت أنّا أسلمنا.

قال ابن القطان: ورُوي عن عبدالله بن أبي رياب[5] عن أبيه قال: كنت مولعاً بالصيد، مستهتراً[6] في أمره، وابتليت بأن لا تعيش لي جارحة من جوارحه، فشكوت ذلك إلى صنم لنا يقال له «قراض» بعد أن ذبحت له ذبيحة، وأطفت به، وقلت [من الرجز]:

قراض أشكو هلك الجوارح ... من طائر ذي مخلب ونابح
وأنت للأمر الشديد الفادح ... فافتح فقد أهلت للمفاتح

فأجابني من الصنم مجيب [من الرجز]:

دونك كلباً سدكاً مباركا ... يصيدك الأوابد البواركا
تراه في أنحارهن سالكا

---

(١) عمر الهذلي: عمر بن الحكم الهذلي البصري، قال أبو محمد عبدالرحمٰن بن محمد بن إدريس الرّازي، قال لي أبي هو مجهول ذاهب الحديث.
● كتاب الجرح والتعديل: ١٠٢/٦، تر: ٥٣٢.
(٢) في (د) و(ر): الهذلي.
(٣) في (د) و(ر): صنماً.
(٤) في (د): تقرّب.
(٥) أبو رياب: في الإصابة: أبو ذياب المدحجي من سعد العشيرة، كان شاعراً، وفي إسلامه خبر ظريف حسن.
● الإصابة: ٦١/٤ ـ ٦٢، تر: ٣٨٢.
(٦) في (د): مستهزئاً، وفي (ر): مستهزأً.

ثم ذهبت إلى رحلي فوجدت كلباً هائلاً، واسم الكلب «حياض»، فصار يرغد عيشه بالصيد الكثير كلّ يوم إلى أن شاع ظهور النّبي ﷺ، وأقبل إلى الحيّ إنسان، فحدّث أبا رياب بحديث النّبي ﷺ، وحياض هذا مصيخ[(١)]، فذلّ الكلب ثم صار لا يصيد شيئاً، وكلّما أشلاه[(٢)] أبو رياب على شيء لم يمتثل، وسالم الصيد. فبينما أبو رياب يسير يوماً في الظهيرة، وهو يفكّر فيما دهاه من كلبه حياض، إذ رأى رجلين عظيمي الخلق، أحدهما راكب عير وحش، والآخر راكب[(٣)] قرهباً، ووراءهما عبد أسود، يقود كلباً عظيماً، شنيع المنظر، فصاح أحد الرّجلين بحياض [من الرجز]:

ويلك يا حياض لا تصيد ... عيراً ورءلا ما حوته[(٤)] البيد
الله أعلى وله التّوحيد ... وعبده محمّد سديد
يا ويل قراض له التنكيد ... قد ضل لا يبدي ولا يعيد

قال: فانصرف، وقد ذلّ الكلب حياض ذلاً شديداً. قال أبو رياب: فلمّا جنّ الليل استلقيت على فراشي متفكّراً، فسمعت حسّ الكلب الذي كان يقوده الغلام في الفلاة قد دخل، فوثب إليه حياض فقال: أخف أمرك، حتّى أنظر أنائم هو أم يقظان؟ ثم تطاول ينظر، فتناومت له، فقال: هو نائم. فقال له الكلب الداخل: إن الرجلين اللذين كنت خلفهما هما من عظماء الزّواجر من الجن، وقد أسلما وآمنا بالنبي ﷺ، وأمرهما بقتل شياطين الأوثان، وأخبر أنّهما ما تركا حياضاً أمس إلاّ استضعافاً له، لعلمهما بأنّه يهرب إذا سمع بهما. ثم ذكر هذا الكلب المتحدّث أنّهما نكلا به، لأنّه

(١) في (د): مصخ.
(٢) أشلاه: يقال أشليت الكلب: دعوته.
وقال زياد الأعجم:
أتيت أبا عمرو فأشلى كلابه ... علينا فكدنا بين بيتيه نؤكل
(٣) في الأصل: راكباً.
(٤) في الأصل: ما حوّلته.

شيطان وثن بارق، وأنهما أرادا[1] قتله، إلى أن استوثقا منه أنّه يفرّ عن وثنه، ولا يُقرّ به أبداً، فقال له حياض: فما ترى لي[2]؟ قال: الذي أرى لنفسي، وهو الفرار، وجواز البحار، إلى الهند، فخرجا معاً هاربين، فكان آخر عهد أبي رياب بحياض، فأوقع الله في قلبه الإسلام، والهجرة إلى النّبي ﷺ، فعرض ذلك على قومه فسفهوه وعنّتوه على ترك دينه، ودين آبائه. فأظهر موافقتهم، وأنّ ذلك كان على وجه الاستشارة لهم، وهو على ما عزم عليه حتّى استغفلهم، قال: فجئت إلى الصنم «قراض»، فقصمته، حتّى جعلته حطاماً، ثم وفدت على رسول الله ﷺ، فأتيته يوم جمعة[3]، فكنت أسفل منبره، فصعد فخطب فقال: بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه، إنّي لرسول الله إليكم، نبي بالآيات، والعجائب والبيّنات، وإنّ أسفل منبري هذا الرجل من سعد العشيرة[4]، قدم[5] يريد الإسلام، ولم أره قط، ولم يرني إلاّ في ساعتي هذه/ ولم أكلمه قط، ولم يكلمني، وسيخبركم بعد أن أصلي، عجباً. قال: فصلّى رسول الله ﷺ، وقد ملئت رعباً. ٥٤/ظ

فلمّا صلّى، قال: أدن يا أخا سعد العشيرة: حدّثنا خبرك، وخبر حياض، وقرّاض، وما سمعت وما رأيت؟ قال: فقمت على قدمي، وحدّثته، والمسلمون يسمعون حتّى أتيت على آخر حديثي، فرأيت وجه رسول الله ﷺ، كأنّه للسّرور مُذَهّب. فدعاني للإسلام، وتلا عليّ القرآن، فأسلمت، وأقمت عنده حيناً، ثم استأذنته في القدوم على قومي، فأتيتهم، ورغّبتهم في الإسلام، فأسلموا وأتيت بهم النّبي ﷺ، وفي ذلك أقول [من الطويل]:

---

(١) في الأصل، و(د): أراد.

(٢) في الأصل: فما تراني.

(٣) في (ر): يوم الجمعة.

(٤) بنو سعد العشيرة: حي من كهلان، من القحطانية، سعد العشيرة بن مدحج، كان ولد سعد العشيرة وولد ولده مائة رجل يركبون معه فكان إذا سئل عنه يقول: هؤلاء عشيرتي، وقاية لهم من العين.
- نهاية الأرب: ٢٦٨، تر: ١٠٣٦.

(٥) في (د): «قدم» ساقطة.

تبعت رسول الله إذ جاء بالهدى | وخلفت قرّاضاً بدار هوان
شددت عليه شدة فتركته | كأن لم يكن والدهر ذو حدثان
رأيت له كلباً يقوم بأمره | يهدّد بالتّنكيل والرّجفان
ولمّا رأيت الله أظهر دينه | أجبت رسول الله حين دعاني
وأصبحت للإسلام ما عشت ناصراً | وألقيت فيه كلكلي[1] وجراني
فمن مبلغ سعد العشيرة أنني | شريت الذي يبقى بما هو فاني

تفسير الغريب: العيْر: الحمار، والقرهب، من الثيران الكبير الضخم، قاله الزّبيدي. والرأل: فرخ النّعام. والكلكل: صدر كلّ شيء، والجران: الصدر أيضاً قاله الزّبيدي[2].



(١) في (ر): كلكالي.
(٢) في القاموس المحيط: العير: الحمار وغلب على الوحشي، مادة: عير، فصل العين، باب الراء.
القهرب: الثور المسنّ، أو الكبير الضخم، مادة: قهرب، فصل القاف، باب الباء.
الكلل والكلكال: الصدر، مادة كلكل، فصل الكاف، باب اللام.
الجران: جيران البعير، مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره، مادة جيران، فصل الكاف باب النون.

باب في ذكر ما سمع من الجن وأشعارهم بالتبشير بسيدنا محمد عليه السلام بعد مبعثه المبارك سوى ما تقدم ذكره

وما في ذلك من باهر الآيات، وعظيم الدّلالات، على شرفه ﷺ، وعظيم منزلته، عند ربّه، تزيد المؤمنين إيماناً به ويقيناً، ويعظم حبّهم له ﷺ حتّى كأنّهم يشاهدونه عياناً.

روي عن الطبري، وذكره ابن القطان قال: إنّ قريشاً سمعت ليلة فُقد النبي ﷺ: من مكّة مهاجراً إلى المدينة هاتفاً على جبل أبي قبيس[1] يقول [من الطويل]:

إن[2] يسلم السعدان يصبح محمد ... بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان: من السّعدان؟ سعد بكر، سعد تميم، سعد هذيم[3]، فلما كان في الليلة الثانية سمعوه يقول [من الطويل]:

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً ... ويا سعد الخزرجين الغطارف
أجيبا[4] إلى داعي الهدى وتمنّيا ... على الله في الفردوس منية[5] عارف
فإنّ ثواب الله للطالب الهدى ... جِفانٌ من الفردوس ذات رفارف

(١) جبل أبي قبيس: أبو قبيس ـ بالتصغير ـ كأنه تصغير قبس النار، وهو اسم الجبل المشرف على مكة، وكان في الجاهلية يسمى «الأمين»، لأن الركن كان مستودعاً فيه أيام الطوفان، وهو أحد الأخشبين، والجبل الثاني هو «قيقعان» ومكة بينهما، أبو قبيس من شرقيها، وقيقعان من غربيها.
● معجم البلدان: ١/٨٠.
(٢) في (ر): فإن يسلم...
(٣) في (د): سعد هديم، وفي (ر): هذيماً.
(٤) في الأصل: أجيبوا.
(٥) في الأصل: منة.

فلما أصبحوا قال: أبو سفيان: هما والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهما.

قال ابن القطان وغيره: وروي عن الجعد بن قيس وكان له مائة سنة. قال: خرجنا أربعة نفر في الجاهلية نريد الحج، فنزلنا وادياً من أودية اليمن، فلما أقبل الليل استعذنا بعظيم الوادي من الجن، فنام أصحابي، وبتّ أكلؤهم، فإذا هاتف يقول [من الطويل]:

ألا أيّها الركب المعرّس بلغوا ... إذا ما وقفتم بالحطيم وزمزما
محمداً المبعوث عنّا تحية ... فنتبعه[1] من حيث سار ويمّما
وقولوا له إنّا لدينك شيعة ... بذلك أوصانا المسيح ابن مريما[2]

فقلت:

سأبلغ عنك القول من قد وصفته ... وأودعه سمعي صحيحاً[3] مسلّما

ثم قدمنا مكة، فأخبرت أنّ النبي ﷺ قد هاجر، فنزلنا بعض الشعاب، فحدّثت أصحابي بما سمعت، وجوابي، ثم بتّ فإذا هاتف يقول [من الطويل]:

ألا أيها الرّكب المعرّس بلّغن ... أخاك جواب الشعر لقيت مغنما
تمسّك هداك الله بالعروة التي ... أبى الواحد المعبود أن تتفصّما
وعادِ قريبَ الرّحم إن كان كافراً ... ووال بعيد الدار إن كان مسلما
تفز يوم تلقى الله بالفوز والرضى ... وتحظى بجنّات النّعيم مكرّما

---

(١) في الإصابة: تشيّعه.
(٢) الإصابة: ٣٣٦/١.
(٣) في الأصل: صيحاً.

فرجعنا إلى بلادنا، فملت إلى ذلك الوادي، وراح أصحابي، وأتيت حتّى أودي رسالتي، فلما جنّ الليل قلت [من الوافر]:

أيسمع مودعي الشعر الرّصينا ... إلى المبعوث خير العالمينا
فقد حمّلت أبياتاً إليه ... من النفر الكرام المسلمينا/ ٥٥/و

فقال مجيباً:

رعاك الله ربّ العالمينا ... فقد ألفيت ذا كرم أمينا

ثم أنشدته الشعر فقال مجيباً [من الرجز]:

ارحل على اسم الله ذي الجلال ... رحلة ذي أمن من الأوجال
يهديك سوار عن الإضلال ... أروع مقدام على الأهوال

فارتحلت وإذا كالشاب بين يدي حتى ألحقني بأصحابي، وهم رقود.

وروي عن الزّهري: أنّه قال: قال خُريم[1] بن فاتك: أضللت إبلاً لي، فخرجت في طلبهنّ، حتّى إذا كنت ببارق[2] العراق[3] عقلت راحلتي، وأنشأت أقول: أعوذ بسيد هذا الوادي، أعوذ بعظيم هذا

(١) خريم: أبو يحيى، أو أبو أيمن، خريم ـ بالتصغير ـ بن فاتك الأسدي الأزدي، شهد بدراً قال له رسول الله ﷺ: **«أي رجل أنت لولا خلتان فيك؟»** قال: قلت: يا رسول الله وما هما؟ قال: **«تسبل إزارك، وترخي شعرك»**، قال: قلت: لا جرم، فحز شعره، ورفع إزاره إلى نصف ساقه.
- أ ـ الإصابة: ٤٢٤/١، تر: ٢٢٤٦.
- ب ـ الاستيعاب: ٤٤٦/٢ ـ ٤٤٧، تر: ٦٤٣.

(٢) بارق: ماء بالعراق، وهو الحدّ بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة.
- معجم البلدان: ٣١٩/١.

(٣) في (ر): العروق.

الوادي، ثم توسدّت ذراع ناقتي، ونمت، فإذا هاتف بالليل يهتف [من الرجز]:

عذ مخلصاً بالله ذي الجلال ... منزّل الحرام والحلال[1]
ووحّد الله ولا تبال ... قد صار كيد الجن في سفال
إنّ التقى وصالح الأعمال ... أفضل ما أمّلت من مآل

فانتبهت فزعاً، وأنشأت أقول [من الرجز]:

يا أيها الهاتف ما تقول؟ ... أرشد عندك[2] أم تضليل[3]؟

فأجابني [من الرجز]:

هذا رسول الله ذو الخيرات ... بيثرب يدعو إلى النجاة
يأمر بالصوم[4] وبالصلاة ... ويزجر[5] النّاس عن الهنات[6]
ينكر في الأنام منكرات ... يأمر بالمعروف والصّلات
مبشّراً بغرف الجنّات

قال: فوقع قوله في قلبي، فقمت إلى راحلتي، وحللت عقالها ثم

---

(١) في (ر) و(د): مُنزّل الحلال الحرام.
(٢) في الأصل: عنك.
(٣) في السيرة النبوية لابن كثير: زيادة: «بيّن هداك الله ما الحويل».
(٤) في السيرة النبوية لابن كثير: بالبر.
(٥) في السيرة النبوية لابن كثير: ويزع.
(٦) في السيرة النبوية لابن كثير: قال: قلت له: والله لا أبرح حتّى آتيه وأؤمن به، فنصبت رجلي في عرز راحلتي وقلت [من الرجز]:
أرشدني أرشدني هديتا ... لا جعت ما عشت ولا عريتا
ولا برحت سيّداً مقيتاً ... لا تؤثر الخير الذي أوتيتا
على جميع الجن ما بقيتا
● السيرة النبوية لابن كثير: ٣٨٠/١.

استويت عليها، وناديت، من أنت أيها الهاتف؟ فقال: أنا ملك[1] بن ملك سيد الجنّ، أتيت النبي ﷺ، وآمنت به، وأرسلني إلى أهل نجد، أدعوهم إلى طاعة الله، وإجابة دعائه، والحق به[2] يا خريم، واسلم تسلم، وقد كفيت خبر إبلك حتّى تأتيك في أهلك فانطلقت، حتّى أتيت المدينة يوم جمعة، فوافقت النبي ﷺ يخطب على المنبر، فقلت: أقيم على باب المسجد، فإذا صلّى دخلت، فلمّا أقمت، إذا أبو ذر قد خرج إليّ فقال: يا خريم، مرحباً بك قد بلغني إسلامك، أدخل فصلّ مع النّاس، فدخلت فصلّيت، وأخبرت رسول الله ﷺ خبري. فقال: قد وفّى لك صاحبك. فقد بلّغ الإبل إلى أهلك.

قال ابن القطان: ورُوي أنّ فدفد بن خنافة[3] البكري، قدم مكّة، وهو فاتك بني بكر[4]، فاتّفق مع أبي سفيان على قتل النبي ﷺ بعشرين ناقة، ودفع إليه خنجراً مسموماً، وذلك قبل إسلام أبي سفيان رحمه الله، قال فدفد: فرحت من عند أبي سفيان وأنا نشوان. فلما صحوت، فكّرت في عظيم ما أقدمت عليه، فسرت حتى إذا كنت بالرّوحاء[5]، في ليلة مظلمة ما أرى موضع أخفاف النّاقة، فلاح لي وميض البرق، فإذا هاتف من جوف الوادي يقول [من الطويل]:

---

(١) في (د): مالك بن مالك، وفي (ر): مالك بن ملك.

(٢) في الأصل: بهم.

(٣) فدفد بن خنافة البكري، ذكره ابن حجر في الإصابة، وعدّه من الصحابة، ولم يذكر تايخ إسلامه، ولا تاريخ وفاته.
● الإصابة: ١٩٩/٣ ـ ٢٠٠، تر: ٦٩٥٩.

(٤) في الأصل و(ر): فاتك بن بكر.

(٥) في (ر): بالروقاء.
● الروحاء: قرية من نواحي الربذة بينها وبين المدينة ثمانية يرود على طريق مكّة، وهو المكان الذي نزل به تبّع، حين رجع من قتال أهل المدينة، يريد مكّة، فأقام بها وأراح وسماها الروحاء.
● معجم البلدان: ٧٦/٣.

رسول أتى من عند ذي العرش صادق[1] على طرق الخيرات للناس واقف

فظننت أنه بعض السيارة، وقصدت الصوت، فلما بلغت موضعه، تسمّعت فلا حسّ فقُفَّ شعري، وعلمت أنه بعض الجانّ، فأنشأت أقول [من الطويل]:

لك الخير قد أسمعتني قول هاتف ونبّهت[2] حوشاً قلبه غير خائف

فأجابني وكأنّه تحت أخفاف[3] ناقتي [من الطويل]:

لحا الله أقواماً[4] أرادوا محمداً بسوء ولا أسقاهم صوب[5] قاطر
عكوفاً على الأوثان لا يتركونها[6] وقد أمّ دين الله أهل البصائر

فمضيت لوجهي، وبي[7] ما سمعت، فأصبت رسول الله ﷺ في بني عبد الأشهل[8] يتحدّث، وقد أخبرهم عنّي بكلّ ما اتّفق، وقال: إنّه سيطلع عليكم الآن، فلا تُهيّجوه، وكنت لا أعرفه، فقلت لصبيّ: أين هو محمد القرشيّ الذي قدم عليكم؟ فنظر إليّ متكرّهاً، وقال: ثكلتك أمّك لولا أنّك غريب جاهل، لأمرت من يقتلك، ألا تقول: أين رسول الله ﷺ؟ هو ذاك

(١) في الإصابة: صادقاً.
(٢) في الأصل: ونبّت.
(٣) في الإصابة: كأنه تحت ناقتي.
(٤) في الأصل: أقوماً.
(٥) في الإصابة: ثوب.
(٦) في الأصل: لا يتركوها.
(٧) في الإصابة: وفي.
(٨) بنو عبد الأشهل: بطن من بني النّبيت من الأوس، منهم سعد بن معاذ سيّد الأوس، وجماعة كثيرة من الصّحابة ممّن شهدوا بدراً وغيرها.
● نهاية الأرب: ٣١٠، تر: ١٢٣١.

عند النّخلة العوجاء، عنده أصحابه، فاتِه، فإنّك إذا رأيته أكبرته، وشهدت بتصديقه، وعلمت أنّك لم تر قبله مثله، فنزلت عن راحلتي، ثم أتيته، فأخبرني بما اتّفق لي مع أبي سفيان، ومع الهاتف، ودعاني إلى الإسلام، فأسلمت.

وهو القائل [من الطويل]:

ألا أبلغا صخر /بن حرب رسالة ... بأنّي رأيت الحق عند ابن هاشم ٥٦/ظ

رأيت امرءاً يدعو إلى البرّ والتّقى ... عليماً[١] بأحكام الهدى غير ظالم

فأخبرني بالغيب عمّا[٢] أردته[٣] ... وأسررته عن معشر في كتائم[٤]

قلت: ومن آياته والإعلام بنبوّته ﷺ: ما ذكره أبو الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي[٥] في كتابه الذي ألّفه في «أخبار مكّة» حدّث بسنده عن أبي الطفيل[٦] قال: كانت امرأة من الجنّ في الجاهلية تسكن ذا طوى[٧]، وكان لها ابن، ولم يكن لها ولد غيره، فكانت[٨] تحبّه حبّاً شديداً، وكان شريفاً

---

(١) في (د): عليها.
(٢) في الأصل: عن مّا.
(٣) في الإصابة: عما رأيته: وأسررته من معشر في مكاتم.
(٤) الإصابة: ١٩٩/٣ ـ ٢٠٠.
(٥) الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق، مؤرخ يماني الأصل، من أهل مكة المكرّمة. توفي حوالي **٢٥٠** للهجرة.
● الأعلام: ٩٣/٧.
(٦) أبو الطفيل: عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمرو الليثي، خاتم من رأى رسول الله ﷺ في الدنيا، رآه في حجّة الوداع وهو يستلم الركن بمحجنه، ثم يقبل المحجن، توفي بمكة عام عشرة ومائة [١١٠] رضي الله عنه.
● سير أعلام النبلاء: ٤٦٧/٣، تر: ٩٧.
(٧) ذو طوى: بضم الطاء وقيل بفتحها: مكان عند مكة المكرّمة.
● معجم البلدان: ٤٥/٤.
(٨) في أخبار مكّة: وكانت تحبّه...

في قومه، فتزوّج، وابتنى[1] بزوجته، فلمّا كان يوم سابعه، قال لأمّه: يا أمه[2]: إنّي أحبُّ أن أطوف بالكعبة سبعاً نهاراً. فقالت له أمّه: أي بني: إنّي أخاف عليك من[3] سفهاء قريش، فقال: أرجو السّلامة، فأذنت له، فولّى في صورة جان[4] يعني في صورة حيّة.

فلمّا أدبر[5] جعلت تعوّذه وتقول [من الرجز]:

أعيذه بالكعبة المستورة ودعوات ابن أبي محذورة[6]
وما تلا محمد من سورة إنّي إلى حياته فقيرة
وإنّني بعيشه مسرورة[7]

ودعوات ابن أبي محذورة هي كلمات الأذان على ما علم.

❁ ❁ ❁

(١) في أخبار مكّة: وأتى زوجته.
(٢) في أخبار مكّة: يا أمت.
(٣) أنى أخاف عليك سفهاء قريش.
(٤) في أخبار مكة: فولّى في صورة جان، فلما أدبر جعلت تعوّذه...
(٥) في (د): فلما أدبرت.
(٦) أبو محذورة: أوس بن معير بن لوذان بن ربيعة، أبو محذورة الجمحي القرشي، مؤذّن رسول الله ﷺ بمكّة، غلبت عليه كنيته، واختلف في اسمه. «قال ابن محيريز: رأيت أبا محذورة، صاحب رسول الله ﷺ وله شعر، فقلت: يا عمّ، ألا تأخذ من شعرك؟ فقال: ما كنت لآخذ شعراً مسح عليه رسول الله ﷺ ودعا فيه بالبركة». توفي سنة ٥٩ وبقي الأذان في ولده إلى اليوم بمكة.
- أ ـ الاستيعاب: ١٢١/١، تر: ١١٦.
- ب ـ سير أعلام النبلاء: ١١٧/٣ ـ ١١٩، رقم: ٢٤.
(٧) أخبار مكة: ١٥/٢ ـ ١٦، لأبي الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي، تح: رشدي الصالح ملحس، ط٢، ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥م، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة.

فصل

في قصة تميم[1] الداري وخبر الجساسة الدال على عظيم منزلة المصطفى ﷺ وشريف منزلته عند الله تعالى[2] جعلنا الله من خيار أمته، المتبعين لسنته والمتأسين به في قوله وفعله

رُوي عن الواقدي، وذكره ابن القطان واللّفظ لابن القطان قال: رُوي أنّ تميماً الدّاري رضي الله عنه قال: كنت بالشام حين بُعث رسول الله ﷺ، فخرجت إلى بعض حاجتي، فأدركني الليل، فقلت: أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة، فلمّا أخذت مضجعي، إذا بناد ينادي لا أراه: عذ بالله، ولا تعذ بالجنّ، فإنّ الجنّ لا تجير أحداً على الله، فقلت: ما تقول؟ فقال: قد خرج رسول الأميّين، رسول الله ﷺ. وصلّينا وراءه بالحجون، وأسلمنا، واتّبعناه، وذهبت الجنّ، ورميت بالشّهب، فانطلق إلى محمد فأسلم. فلمّا أصبحت، ذهبت إلى دير[3] أيّوب، فسألت راهباً، وأخبرته بالخبر. فقال: صدقوك، نجده يخرج من الحرم، ومهاجره الحرم، وهو خير الأنبياء، فلا تسبقنّ إليه، فأتيته ﷺ فأسلمت.

---

(١) تميم الداري: أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة، ينسب إلى الدار، وهو بطن من لخم، كان نصرانياً فأسلم سنة تسع من الهجرة، وكان يسكن المدينة، ثم انتقل منها إلى الشام بعد قتل عثمان رضي الله عنه، حدّث عنه ابن عباس، وأنس بن مالك، وآخرون، كان عابداً تلاّء لكتاب الله، وأحاديثه تبلغ ثمانية، منها في صحيح مسلم حديث واحد، توفي سنة ٤٠.
- أ ـ الاستيعاب: ١٩٣/١ ـ ١٩٤، تر: ٢٣٥.
- ب ـ سير أعلام النبلاء: ٤٤٢/٢ ـ ٤٤٨، تر: ٨٦.

(٢) في (د) و(ر): سبحانه.

(٣) دير أيوب: قرية بحوران من نواحي دمشق بها كان أيوب عليه السلام، وبها ابتلاه الله، وبها العين التي ركضها برجله، والصخرة التي كانت عليها، وبها صبره عليه السلام.
- معجم البلدان: ٤٩٩/٢.

قلت: وأمّا حديث الجسّاسة فقد روينا: في حديث صحيح مسلم من حديثه الطويل عن فاطمة بنت قيس[١] رضي الله عنها أخت الضّحاك[٢] بن قيس أنّها سمعت نداء المنادي منادي رسول الله ﷺ، ينادي الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ، فكنت في[٣] النساء اللائي يلين ظهور الرجال. فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، جلس على المنبر، وهو يضحك، فقال: «ليلزم كلّ إنسان مصلاّه، ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إنّي، والله! ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم، لأنّ تميماً الدّاريّ، كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع، وأسلم. وحدّثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح[٤] الدّجال. حدّثني أنّه ركب في سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلاً من لخم[٥] وجذام[٦] فلعب بهم الموج شهراً[٧]، ثم أرفأوا إلى جزيرة في البحر حيث[٨] مغرب الشمس. فجلسوا في أقرب السّفينة، فدخلوا الجزيرة. فلقيتهم دابّة أهلب[٩]

---

(١) فاطمة بنت قيس بن خالد الأكبر القرشية الفهرية أخت الضحاك بن قيس، كانت من المهاجرات، وكانت ذات جمال وعقل وكمال، وفي بيتها اجتمع أصحاب الشورى عند قتل عمر بن الخطاب، روى عنها الشعبي، والنخعي، وأبو سلمة.
● الاستيعاب: ١٩٠١/٤، تر: ٤٠٦٢.

(٢) الضّحاك بن قيس: أبو أنيس، وقيل أبو عبدالرحمٰن، ولد قبل وفاة الرسول ﷺ بسبعة أعوام، كان عاملاً على الكوفة بعد زياد، وقتل بمرج راهط عام أربعة وستين.
● الاستيعاب: ٧٤٤/٢ ـ ٧٤٦، تر: ١٢٥٣.

(٣) في صحيح مسلم: فكنت في صفّ النّساء اللائي تلين ظهور القوم.

(٤) في صحيح مسلم: عن مسيح.

(٥) لخم هو أخو جذام عمّ كندة، وبنو لخم: قبيلة من كهلان، وقد كان للخميين ملك بالحيرة من العراق، وكان لبقاياهم ملك بإشبيلية، من الأندلس، وهي دولة بني عبّاد.
● نهاية الأرب: ٣٦٧، تر: ١٥٠٨.

(٦) جذام أخو لخم، والجذام: اسم للداء المعروف، وبنو جذام بطن من كهلان من القحطانية.
● نهاية الأرب: ١٩١، تر: ٦٨٧.

(٧) في صحيح مسلم: شهراً في البحر.

(٨) في صحيح مسلم: حتّى مغرب. . .

(٩) في صحيح مسلم: أهلب كثير الشعر.

الشّعر، لا يدرون ما قُبُله من دبره من كثرة الشّعر. فقالوا: ويلكِ! ما أنتِ؟ قالت[1]: أنا الجسّاسة. فقالوا[2]: وما الجسّاسة؟ قالت: أيّها القوم؟ انطلقوا إلى هذا الرجل في الدّير. فإنّه إلى خبركم بالأشواق. قال: لمّا سمّت لنا رجلاً، فرقنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعاً. حتّى دخلنا الدّير. فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قطّ خلقاً، وأشدّه وثاقاً. مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك! ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري. فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن ناس[3] من العرب، ركبنا في سفينة بحريّة. فصادفنا البحر حين اغتلم[4]، فلعب بنا/ الموج شهراً. ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه. فجلسنا في أقربها. فدخلنا الجزيرة. فلقيتنا[5] دابّة أهلب الشّعر لا ندري[6] ما قبله من دبره. من كثرة الشعر، فقلنا: ويلكِ؟ ما أنتِ؟ فقالت: أنا الجسّاسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدّير، فإنّه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً. وفزعنا منها. ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني عن نخيل[7] بيسان[8]؟ قلنا: عن أيّ شأنها تستخبر؟ ٥٧/و

قال: أسألكم عن نخلها، هل يثمر؟ فقلنا له: نعم قال: أما إنّها[9]

---

(١) في صحيح مسلم: فقالت:

(٢) في صحيح مسلم: قالوا:

(٣) في صحيح مسلم: أناس.

(٤) اغتلم البحر: هاج واضطربت أمواجه وجاوز حدّ المعتاد.

(٥) في (د): فلقينا دابة.

(٦) في صحيح مسلم: لا يدري.

(٧) في صحيح مسلم: عن نخل.

(٨) بيسان: ـ بالفتح فالسّكون ـ مدينة بالأردن، وهي بين حوران وفلسطين، وبها عين الفلّوس، وهي عين فيها ملوحة يسيرة.
- معجم البلدان: ٥٢٧/١.
- الروض المعطار: ١١٩.

(٩) في صحيح مسلم: إنّه يوشك أن لا تثمر.

يوشك ألاّ يثمر. قال: أخبروني عن بحيرة طبريّة[1]؟ قلنا: عن أيّ شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إنّها[2] يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زغر[3]؟ قالوا: عن أيّ شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من[4] مائها.

قال: أخبروني عن نبيّ الأميّين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكّة، ونزل بيثرب[5]. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنّه قد ظهر على من يليه من العرب، فأطاعوه[6]. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه، وإنّي مخبركم عنّي. أنا المسيح. وإنّي أوشك أن يؤذن لي في الخروج. فأخرج فأسير في الأرض. فلا أدع قرية إلاّ هبطتها في أربعين ليلة إلاّ[7] مكة وطيبة، فهما محرّمتان عليّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو إحداهما[8] استقبلني

---

(١) في صحيح مسلم: بحيرة الطبرية.
بحيرة طبرية: هي نحو من عشرة أميال في ستّة أميال، رآها ياقوت الحموي مراراً، ووصفها بأنّها كالبركة تحيط بها الجبال، ويصبّ فيها فضلات أنهر كثيرة، تجيء من جهة بانياس، والسّاحل والأردن الأكبر، وينفصل نهر عظيم فيسقي أرض الأردن الأصغر، ويصب في البحيرة قرب أريحا.
- معجم البلدان: **٣٥٢/١**.
- وينظر الروض المعطار: **٤٣١**.

(٢) في صحيح مسلم: أما إنّ ماءها يوشك. . .

(٣) عين زغر: ـ بوزن زفر ـ قرية بمشارق الشام، وقيل: هي اسم بنت لوط عليه الصلاة والسلام، نزلت بهذه القرية فسميت باسمها. قال ياقوت: حدّثني الثقاة أن زغر هذه، في طرف البحيرة المنتنة في واد هناك، بينها وبين البيت المقدس ثلاثة أيام. وهي من ناحية الحجاز، ولهم هناك زروع.
- معجم البلدان: **١٤٣/٣**.

(٤) في (ر): بمائها.

(٥) في (ر) وصحيح مسلم: ونزل يثرب.

(٦) في صحيح مسلم: وأطاعوه.

(٧) في صحيح مسلم: غير ـ بدل إلاّ ـ.

(٨) في صحيح مسلم: أو واحداً منهما.

ملك بيده السيف صلتاً[١] يصدني عنها وأنّ على [كل][٢] نقب منها ملائكة يحرسونها.

قال: قال رسول الله ﷺ - وطعن بمحضرته في المنبر - هذه طيبة - هذه طيبة، هذه طيبة يعني المدينة، ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال[٣] الناس: نعم. قال: فإنّه[٤] أعجبني حديث تميم الدّاري، أنه وافق الذي كنت أحدّثكم عنه وعن المدينة ومكّة[٥]. الحديث.

وقوله: ثم ارفأوا إلى جزيرة، يقال أرفأت السفينة أدنيتها من الشطّ. ومرفأ السفينة حيث ترسى، وهو الميناء يمد ويقصر، وأقرب السفينة قواربها الصغار التي تخدمها واحدها قارب. كذا وقع في كتاب ابن أبي شيبة[٦] قعوداً في قوارب [السفينة][٧].

فصل

وفي معنى ما تقدّم من الكلام من آيات نبي الله عليه أفضل الصلاة والسّلام ما حكاه ابن القطان قال:

روى وائل بن الطفيل[٨] عمرو الدوسي أنّ النبي ﷺ قعد في مسجده

---

(١) السّيف الصّلت: البارز الصقيل الماضي المسلول.

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) في صحيح مسلم: قالت النّاس نعم، فإنّه أعجبني حديث تميم أنّه...

(٤) في (د) و(ر): إنّه...

(٥) صحيح مسلم: ٢٢٦١/٤ - ٢٢٦٤، كتاب الفتن وأشراط السّاعة، باب قصّة الجساسة.

(٦) ابن أبي شيبة: أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الحافظ، الكوفي، صاحب المسند، والمصنّف، سمع من شريك القاضي، وابن المبارك، وابن عيينة، وغيرهم، وأخذ عنه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجة، والبغوي، وغيرهم كثير، توفي سنة ٢٣٥ رحمه الله تعالى.

● تذكرة الحفّاظ: م١، ٤٣٢/٢ - ٤٣٣، رقم: ٤٣٩.

(٧) المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة: ٦٥٨/٨ - ٦٥٩، رقم: ٥٦، و٦٧٤/٨ - ٦٧٥، رقم: ١٨١.

كتاب الفتن: ما ذكر في فتنة الدجال.

(٨) في (ر): وائل بن طفيل.

فقدم عليه خفاف بن نضلة[1]، فأسلم، ثم أنشد رسول الله ﷺ [من الكامل]:

كم قد تحططت[2] القلوص بين الدجا ... في مهمة قفر من الفلوات
حتّى أتاني في المنام مساعد ... من وحش وجرة كان قبل موات
يدعو إليك ليالياً[3] ولياليا ... حتّى اخزأل وقال: لست بآت
فركبت ناجية أضرّ[4] بنيّها ... جمزٌ تخبّ به على الأكمات
حتّى وردت على المدينة جاهداً[5] ... كيما أراك فتفرّج الكربات

وفي رواية أنّه لما أنشد أبياته هذه قال: يا رسول الله كنت شاعراً زجراً وكان لي صاحب من الجنّ فأتاني فدهمني وقال:

هبّ فقد لاح سراج الدّين ... بصادق مهذّب أمين
فارحَل على ناجية أمون ... تمشي على الصحصح والحجون

فانتبهت مذعوراً فقلت: ماذا نفسي فداءك؟ فقال: وساطح الأرض، وفارض الفرض لقد بعث محمد في الطول والعرض، فأجبته وقلت [من الرجز]:

يا أيها الهاتف يوماً بالهدى ... أأنت شافهت النبي المصطفى؟
أم طارق أنت من الجن سرى ... بيّن فديت لا عدمت المنهجا

فقال أنا رفيق، وعليك شفيق، وقد أوضحت لك السراج، وأثبت لك المنهاج.

---

(١) خفاف بن نضلة بن عمرو بن بهدلة الثقفي، وفد على النبي ﷺ فأنشده شعراً استحسنه، وقال: إن من البيان سحراً، وإنّ من الشعر كالحكم.
● الإصابة: ٤٥٣/١، رقم: ٢٢٧٤.

(٢) في (د) و(ر): تخطمت.

(٣) في الأصل: ليلاً وليالياً، وفي (ر): ليالياً وليالي.

(٤) في (د): أضربت، وفي (ر): يضرّ.

(٥) في (ر): مجاهداً.

فقلت: أبن لي قراره وأرضه؟ فقال: نشأ في الحرمات[1] العظام، بين زمزم والمقام، وهاجر إلى المدينة، طيبة الأمينة، آمن به الأتقياء، ونصره الأولياء، وكذّب [به][2] الأشقياء. فقلت: من أنصاره؟ قال: أسد عراك، عند تلاطم الصّكاك[3] ثم سرت فإذا بهاتف يقول [من البسيط]:

يا راكب العيس يزجيها ويزجرها جوف الظلام عماء[4] غير متّئد

لا تزجر العيس وارددها لمربعها وارجع إلى اللاّت/ والعزّى ولا تحد ٥٨/ظ

قال: فسمعت هينمة عظيمة، واضطراباً شديداً، ثم هدأت الحركة، فسمعت الهاتف الأول يقول [من البسيط]:

يا أيها الراكب المزجي مطيته نحو الرّسول لقد وفّقت للرشد

نحو الرسول الذي كانت إجابته فرضاً على الناس في الأدنى وفي البعد

ثم عرض عليه النبي ﷺ الإسلام فأسلم.

قال ابن القطان: وروي عن بعض[5] الصحابة رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة إلى حضرموت[6]، وقد أسلمت قبل الهجرة، فلما كنت في بعض الطريق أدركني الليل في واد، فبتّ فيه، فلمّا مضت هدأة[7] من الليل، سمعت هاتفاً يقول [من الوافر]:

---

(١) في الأصل: في الحرمة...

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) الصّكاك: صكّة: ضربه، ودفعه بقوّة، وبابه ردّ، وفي القرآن الكريم ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ [الذاريات: ٢٩].

(٤) في (د) و(ر): عناء.

(٥) في سيرة ابن كثير: هو سعد بن عبادة.

(٦) حضرموت: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وبها قبر هود عليه السلام، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبينها وبين صنعاء اثنان وسبعون فرسخاً.

● معجم البلدان: ٢/٢٧٠.

(٧) في الأصل: كتب على الطرّة، أي نومة، والهدوّ: الحين من الليل.

أيا عمرو تأوّبني[1] السّهود | وراح النّوم وامتنع الجهود[2]
بذكر[3] عصابة سلفوا[4] وبادوا | وكلّ الخلق حتماً[5] أن يبيدوا
مضوا لسبيلهم وبقيت خلفاً | وحيداً ليس يسعدني[6] وحيد
سدى لا أستطيع علاج أمر | إذا ما عالج الأمر[7] الوليد
فلأيا ما بقيت ولست أبقى | وقد بانت[8] بمهلكها ثمود[9]
وعاد[10] والقروم[11] بذي سدوم[12] | تولّوا كلّهم ثاو حصيد

قال: فناداه هاتف آخر: يا راعب، ذهب بك اللعب، إن أعجب العجب، بين مكة ويثرب.

---

(١) في سيرة ابن كثير: تناوبني.
(٢) في سيرة ابن كثير: الهجود، وفي (ر): السجود.
(٣) في سيرة ابن كثير: لذكر.
(٤) في (ر): سلبوا.
(٥) في سيرة ابن كثير: وكل الخلق قصرهم يبيد.
(٦) في سيرة ابن كثير: يسعفني، وقبل هذا البيت:
تولوا واردين إلى المنايا | حياضاً ليس منهلها الورود
(٧) في سيرة ابن كثير: الطفل الوليد.
(٨) في سيرة ابن كثير:
فلأيا ما بقيت إلى أناس | وقد باتت......
(٩) ثمود: قبيلة من العرب العاربة البائدة، كانت منازلهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام، وكانت أعمارهم تطول، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ونبيّهم صالح عليه السلام.
● نهاية الأرب، ص١٨٧.
(١٠) عاد: قبيلة من العرب البائدة، كانت منازلهم الأولى بالأحقاف باليمن وعمان من البحرين إلى حضرموت والسحر. ونبيّهم هود عليه السلام.
● نهاية الأرب، ص٢٩٩.
(١١) القروم: جمع قرم، والقرم من الرجال، السيّد المعظم.
(١٢) سدوم: مدينة من مدائن قوم لوط عليه السلام. كان قاضيها يضرب به المثل في الجور فيقال: أجور من قاضي سدوم.
● معجم البلدان: ٣/٢٠٠.

قال: وما ذاك يا شاصر؟ قال: نبيّ الإسلام، أرسل بخير الكلام، إلى جميع الأنام، يخرج من البلد الحرام، إلى النخل والآطام.

فقال آخر: ما هذا النبي المرسل، والكتاب المنزّل؟

فقال آخر: رجل من ولد لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

فقال آخر: هيهات مرّ عن هذا زمني، وفات عنه سنّي، لقد رأيتني والنضر بن كنانة نرمي غرضاً واحداً، ونشرب حلباً واحداً، ولقد غدوت في غداة شبمة[1] نطلع مع الشمس، ونغرب معها، نروي ما نسمع، ونكتب ما نبصر، ولئن كان هذا الرجل من ولده، فقد سُلّ السّيف، وذهب الحيف، ودحض الرياء، وهلك الربا.

فقال الآخر: فأخبرني بما يكون؟ قال: ذهبت الضّراء والمجاعة، والحرص والنّجاعة، إلاّ بقية في قضاعة[2]، وذهبت النميمة والغدر، والخيلاء والفخر، إلاّ بقية في بني بكر[3]، وذهب الفعل المندّم، والعمل المؤثم، إلاّ بقية في خثعم[4].

قال: فأخبرني بما يكون؟ قال: إذا غلّت البرّة[5]، ومنعت الدرة،

---

(١) شبمة: باردة.

(٢) قضاعة: قبيلة من حمير، من القحطانية، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم: قضاعة، وذهب بعض النّسابين إلى أنّ قضاعة من العدنانية ويقولون: هو قضاعة بن معد بن عدنان، قال ابن عبدالبر، وهو الأكثر.
● نهاية الأرب: ٣٥٨، تر: ١٤٦٠.

(٣) بنو بكر: بطن من الأشجع من العدنانية، وهناك بنو بكر وهم بطن من النخع من القحطانية.
● نهاية الأرب: ١٦٩، تر: ٥٩١.

(٤) خثعم: بنو خثعم بطن من أنمار من أراش، من القحطانية، وكان موطنهم بسروات اليمن والحجاز وقد افترقوا في الآفاق أيام الفتح فلم يبق منهم في مواطنهم إلاّ القليل.
● نهاية الأرب: ٢٢٧، تر: ٨٣٥.

(٥) في (د): البروة.

وحطمت الحرة فاخرج إلى دار الهجرة وإذا كُفّ السّلام، وقطعت الأرحام، فاخرج من بلد الشام.

قال: فأخبرني بما يكون بعد ذلك؟ قال: لولا أُذنٌ تسمع، وعينٌ تلمَع، لأخبرتك بما يُفزع.

قال: وسمعت صرّة كأنها صرّة جمل. فطلع الفجر، فذهبت أنظر فإذا عضاة[1] وثعبان ميّتين. فقدمت المدينة، وقد هاجر رسول الله ﷺ[2].

فصل

ومن هذا المعنى في التبشير بسيد المرسلين، وخاتم النّبيين، ما ذكره ابن القطان، وغيره أنّ النبي ﷺ سأل جماعة من عبد[3] القيس فقال: هل فيكم من يعرّف لنا قُسّاً؟ فقالوا: كلنا يعرّفه يا رسول الله، فقاموا واحداً بعد واحد: يذكر كلّ منهم ما رأى من قسّ أو سمع. ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله: لقد رأيت من قسّ عجباً، خرجت في الجاهلية أطلب بعيراً لي شرد منّي، أقفو أثره في نفانف[4] ليس بها لراكب مقيل، ولا لغير الجن سبيل، وإذا أنا بموئل مهول، وفي طود عظيم، ليس به إلاّ البوم، فأدركني الليل، فولجته مذعوراً، لآمن فيه حتفي، ولا أركن إلى غير سيفي، فبتّ فيه، حتّى إذا ما الليل عسعس، وكاد الصبح أن يتنفّس، هتف بي هاتف يقول [من الرجز]:

---

(١) العضاة: دويبة ملساء تمشي مشياً سريعاً ثم تقف.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير: ١/٣٧١ ـ ٣٧٢، مع اختلاف في بعض الكلمات، والزيادة لبعض الجمل.

(٣) عبدالقيس: بطن من أسد، من ربيعة، من العدنانية، وكانت ديارهم بتهامة، ثم خرجوا إلى البحرين فزاحموا بها تميماً وبكر بن وائل، وقاسموهم في المواطن.
● نهاية الأرب: ٣٠٨، تر: ١٢١٤.

(٤) في الأصل: تفانف، وهو خطأ من الناسخ، والنّفناف: مهواة بين جبلين، يقال بئر بعيدة النفنف إذا بعد ما بين أعلاها وأسفلها، جمع نفانف.
● المعجم الوسيط: مادة: نف.

يا أيّها الراقد في الليل الأحم[1] قد بعث الله نبياً في الحرم
من هاشم أهل الرجاء والكرم يدحو[2] دجنّات الدّياجي والبهم

قال: فأدرت طرفيّ، فما رأيت له شخصاً، فأنشأت أقول [من الرجز]:

يا أيها الهاتف في داجي الظّلم أهلاً وسهلاً بك من طيف ألم
بيّن هداك الله في لحن الكلم[3] ما الذي تدعو إليه يغتنم؟

فإذا بنحنحة وقائل يقول: ظهر النور، وبطل الزور، وبعث النبي محمد ﷺ بالحبور، صاحب النّجيب الأحمر، والتّاج والمغفر/ والوجه الأزهر، صاحب شهادة أن لا إلـه إلاّ الله، فذلك المبعوث إلى الأسود والأحمر، أهل الوبر والمدر. ٥٩/و

ثم أنشأ يقول [من الرجز]:

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث
[ولم يخلنا يوماً سدى من بعد عيسى واكترث][4]
أرسل فينا أحمد خير نبي قد بعث
صلّى عليه الله[5] ما حجّ له ركب وحث

قال: فذهلت عن البعير، واكتنفني السّرور، ولاح الصّباح. قال: فتركت الغور، وأخذت في الجبل، فإذا بالبعير، فملكت خطامه، وعلوت سنامه، فمرح طاعة، وهدر ساعة، حتّى إذا تعب، وذلّ منه ما صعب، وحميت الوسادة، وتبرّدت المزادة، هشّ الفؤاد للزّاد، فبرّكته فبرك، وأذنت

(١) في الأصل: كتب الطرة، الأخم: الأسود.
(٢) في (ر): يدحو، ودحا فلان الشيء: بسطه ووسّعه، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾ [النازعات: ٣٠].
(٣) في الأصل، و(ر): الكلام.
(٤) في الأصل و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٥) في (د): صلى الله عليه وسلم.

له فاتّرك، في روضة خضرة نضرة، يرتعي أباً، وأصيد ضبّاً، حتّى إذا أكلت وأكل، ونهلت ونهل، وعللت وعلّ، حللت عقاله، وعلوت جُلاله، وأوسعت مجاله، يستبق الرّيح، ويقطع عرض الشيح، حتّى أشرفت على واد، وشجر من شجر عاد، بروضة مونقة، فدنوت، فإذا بقسّ بن ساعدة، في ظلّ شجرة، بيده قضيب من أراك، ينكث به في الأرض، ويترنّم بشعر [من البسيط]:

يا ناعي الموت والملحود في جدث ... عليهم من بقايا بزّهم[1] خرق
دعهم فإنّ لهم يوماً يصاح بهم ... فهم إذا نُبّهوا من نومهم فرقوا[2]
حتّى يعودوا لحال[3] غير حالهم ... خلقاً جديداً كما من قبلهم[4] خلقوا
منهم عراة ومنهم في ثيابهم ... منها الجديد ومنها المنهج[5] الخلق[6]

قال: فدنوت منه، فسلّمت عليه، فردّ عليّ السّلام. وإذا عين خرّارة، في أرض خوّارة، ومسجد بين قبرين، وأسدان عظيمان، يلوذان به، ويتمسحان[7] بأثوابه، وإذا أحدهما يسبق صاحبه إلى الماء، فيتبعه الآخر يطلب الماء، فضربه، بالقضيب الذي في يده، وقال: ارجع حتّى يشرب الذي قبلك، فرجع ثم ورد بعده، فقلت: ما هذان القبران؟

فقال: هذان قبرا أخوين لي، كانا يعبدان الله معي، في هذا المكان، لا يشركان به شيئاً، فأدركهما الموت، وها أنا بين قبريهما، حتّى ألحق بهما، ثم نظر إليّ فتغرغرت عيناه بالدّموع، فانكبّ عليهما وجعل يقول [من الطويل]:

---

(١) في ابن كثير: ثوبهم.
(٢) في ابن كثير: ورد عجز هذا البيت: فهم إذا انتبهوا من نومهم أرقوا.
(٣) في ابن كثير: بحال.
(٤) في ابن كثير: من قبله.
(٥) في الأصل: المنهاج، والمنهج: الثوب الذي أسرع فيه البلى.
(٦) السيرة النبوية لابن كثير: ١/١٥١.
(٧) في (د) و(ر): يمتسحان.

خليليّ هُبا طال ما قد رقدتما — أجدّكما ما[1] تقضيان كراكما

ألم تعلما أنّي بسمعان[2] مفردا — وما لي فيه من خليل[3] سواكما؟

أبكيكما طول الحياة وما الذي — يردّ على ذي لوعة إن بكاكما

أمن[4] طول نوم لا تجيبان داعياً — كأنّ الذي يسقي المدام سقاكما

كأنّما والموت أقرب غائب[5] — بروحي في قبريكما قد أتاكما

فلو جُعلت نفس لنفس[6] وقاية — لجدت بنفسي أن تكون وقاكما[7]

فقال رسول الله ﷺ: **«رحم الله قُسّاً، إنّي لأرجو أن يبعثه الله أمّة وحده»**. [عليه السلام][8].



(١) في السيرة النبوية لابن كثير: لا.
(٢) في السيرة النبوية لابن كثير: ينجران. سمعان: جبل في ديار بني تميم.
● معجم البلدان: ٥١٧/٢.
(٣) في السيرة النبوية لابن كثير: من حبيب.
(٤) في (ر): أين طول نوم...
(٥) في ابن كثير: أقرب غاية.
(٦) في ابن كثير: لنفس امرىء فدى.
(٧) في ابن كثير: فداكما.
(٨) في (د) و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.
● السيرة النبوية لابن كثير: ١٤٩/١ ـ ١٥٠ وبينهما خلاف.

باب ما ذكر في سبب إسلام الأنصار وهدايتهم رضي الله عنهم وأرضاهم:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم[(١)] بن عمر بن قتادة عن رجال[(٢)] من قومه قالوا: إنّ مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله، وهداه لنا، أنّا كلنا نسمع من رجال يهود، وكنّا أهل شرك وأصحاب[(٣)] أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبيّ يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد، وإرم[(٤)]، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله محمداً ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله[(٥)]، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به، وكفروا به، ففينا، وفيهم نزلت[(٦)] هذه الآيات من البقرة: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ/ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[(٧)].

٦٠/ظ

(١) عاصم بن عمر: أبو عمر عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الظفري الأنصاري المدني، وجدُّه قتادة من فضلاء الصحابة، وهو الذي ردّ الرسول ﷺ عينه لما سقطت في المعركة، توفي عاصم سنة ١٩هـ، وقيل ٢٠هـ.
● سير أعلام النبلاء: ٥/٢٤٠ ـ ٢٤١ ترجمة ١٠٢.

(٢) في الأصل و(د): عن رجل.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: أهل شرك وأصحاب أوثان.

(٤) إرم: هي إرم عاد التي يشير إليها القرآن: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾، وقد اختلف فيها، فمنهم من جعلها مدينة بناها شداد بن عاد على صفة الجنة، فأرسل الله إليهم هوداً عليه السلام نبياً ورسولاً فلم يؤمنوا به، فجأتهم صيحة من السماء فماتوا جميعاً، ومنهم من قال: إنها الإسكندرية، وأكثرهم يقول: إنها دمشق.
● مراصد الاطلاع: ١/٥٩.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: حين بعث الله رسوله ﷺ.

(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: نزل بدل نزلت.

(٧) البقرة: ٨٩.

ومعنى يستفتحون: يستبصرون[1].

وروى ابن إسحاق عن سلمة[2] بن سلامة بن وقش[3]. قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته، حتّى وقف على بني عبد الأشهل.

قال سلمة: وأنا يومئذٍ أحدث[4] من فيه سنّاً، عليّ بُردة لي مضطجع فيها بفناء أهلي، فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان، والجنّة والنّار، قال: فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحابِ أوثان، لا يرون أنّ بعثاً كائن بعد الموت.

فقالوا له: ويحك يا فلان! أو ترى هذا كائناً، أنّ الناس يبعثون بعد موتهم، إلى دار فيها جنّة ونار، ويجزون[5] فيها بأعمالهم؟ قال: نعم. والذي يُحْلف به ولودّ أنّ له بحظه من تلك النار أعظم تنّور في الدار يحمونه[6]، ثم يدخلونه إياه، فيطبقونه[7] عليه، بأن ينجو من تلك النّار غداً؛ فقالوا له: ويحك يا فلان! فما آية ذلك[8]؟ قال: نبي مبعوث من

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: م١/١٤٩ ـ ١٥٠ م١/١٢١ ـ ٢١٢.

(٢) سلمة بن سلامة: أبو عوف بن وقش بن زغبة بن عبد الأشهل الأنصاري المدني، شهد العقبة الأولى، والثانية، كما شهد بدراً والمشاهد كلّها، واستعمله عمر على اليمامة، توفي بالمدينة سنة خمس وأربعين وهو ابن سبعين سنة رضي الله عنه.

- الاستيعاب: ٢/٢٤١، تر: ١٠٢١.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: وكان سلمة من أهل بدر.

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: من أحدث...

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: يجزون ـ بلا واو ـ.

(٦) في الأصل، و(د): يمحونه.

(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: فيطيّنونه عليه.

(٨) في (ر): فما آيات ذلك؟ وفي (د): فما آية ذلك عليها؟

نحو هذه البلاد، وأشار بيده إلى مكة واليمن؛ قالوا[1]: ومتى تراه؟ قال: فنظر إليّ، وأنا من أحدثهم سنّاً، فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه.

قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنّهار حتّى بعث الله رسول[2] الله ﷺ، وهو حيّ بين أظهرنا، فآمنا به، وكفر به هو[3]، بغياً وحسداً. قال: فقلنا له: ويحك يا فلان! ألست بالذي قلت لنا فيه [ما قلت؟][4] قال: بلى، ولكن ليس به.

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال: قال[5]: هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد [ابن عبيد][6] نفر من[7] هدل، إخوة بني قريظة، كانوا معهم في جاهليتهم، ثم كانوا سادتهم في الإسلام، قال: قلت: لا[8] قال: فإنّ رجلاً من يهود من أهل الشام، يقال له ابن الهيّبان، قدم علينا قبل[9] الإسلام بسنين، فحلّ بين أظهرنا، لا والله ما رأينا رجلاً قطّ لا يصلّي الخمس أفضل منه، فأقام عندنا. فكنّا إذا قحط علينا المطر، قلنا له: اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا؟ فيقول: لا والله، حتّى تقدّموا بين يدي مخرجكم صدقة؛ فنقول له: كم؟ فيقول: صاعاً من تمر، أو مدّين من شعير. قال: فنخرجها ثم يخرج بنا إلى

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: فقالوا:
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: محمداً رسول الله ﷺ.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: وكفر به بغياً وحسداً.
(٤) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: قال لي:
(٦) في (ر): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: من بني هدل.
(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: قلت لا والله.
(٩) في السيرة النبوية لابن هشام: قبيل.

ظاهر حرّتنا فيستسقي[1] لنا، فوالله ما يبرح مجلسه حتّى تمر[2] السّحاب ونسقى. قد فعل ذلك غير مرّة ولا مرّتين، ولا ثلاث مرّات[3]. قال: ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنّه ميّت قال: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر، والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قالوا له[4]: أنت أعلم. قال: فإنّما[5] قدمت هذه البلدة أتوكّف[6] خروج نبيّ قد أظلّ زمانه، وهذه البلدة مهاجره، فكنت أرجو أن يبعث فاتّبعه، وقد أظلّكم زمانه، فلا تسبقنّ إليه يا معشر يهود، فإنّه يبعث بسفك الدّماء، وسبي الذّراري والنّساء ممّن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه، فلما بعث[7] الله رسوله ﷺ وحاصر بني قريظة فقال[8] هؤلاء الفتية، وكانوا[9] شباباً أحداثاً: يا بني قريظة، والله، إنّه للنّبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيّبان؛ قالوا: ليس به؛ قالوا: بلى والله إنّه لهو بصفته، فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأهلهم[10] وأموالهم[11].



(١) في السيرة النبوية لابن هشام: فيستسقي الله لنا.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: يمرّ.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: ولا ثلاث.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: قال: قلنا إنّك أعلم.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: فإنّي إنّما.
(٦) أتوكّف: أنتظر، توكّف الخبر توقّعه وسأل عنه.
(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: فلما بعث رسول الله ﷺ.
(٨) في (د) و(ر): قال هؤلاء الفتية.
(٩) في الأصل: كانوا ـ بسقوط الواو ـ.
(١٠) في (د): وأهليهم، وفي السيرة النبوية لابن هشام: أموالهم وأهليهم.
(١١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢١٢ ـ ٢١٤

فصل

في قصة سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه وسبب إسلامه على سبيل الاختصار

ذكر ابن إسحاق وغيره عن سلمان أنّه قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان[1]، وكان[2] أبي دهقان قريته، وكنت أحبّ خلق الله إليه، فبعثني يوماً إلى ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس النّصارى، فسمعت أصواتهم وهم يصلّون، فدخلت إليهم أنظر ما يصنعون، فأعجبني حالهم، ورغبت في أمرهم. ثم ذكر سلمان في حديث طويل، وأنّه خرج من بلاد الشام للقاء الرّهبان، فكان ينتقل من راهب إلى راهب إلى أن وصل إلى راهب عمّوريّة[3]، فحضرته الوفاة، فقال له سلمان: إلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟

٦١/و قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح/ أحد على مثل ما كنّا عليه من النّاس آمرك به أن تأتيه، ولكنّه قد أظلّ زمان نبي، هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين الحرّتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النّبوّة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغيّب، ثم مرّ بي نفر، من كلب[4]، تجار، فقلت لهم:

---

(١) أصبهان: بفتح الهمزة وهو الأكثر، ومنهم من يكسرها، وهي مدينة عظيمة مشهورة معناها بالفارسية: بلاد الفرسان، وتمّ فتحها في خلافة عمر عام ٢٤.
● معجم البلدان: ٢٠٦/١.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: من قرية يقال لها جيّ وكان أبي...

(٣) عمّورية: ـ بفتح أوله وتشديد ثانيه ـ: بلد في بلاد الروم غزاه الخليفة المعتصم العباسي وفتحه في عام ٢٢٣هـ، وكان ذلك من أعظم فتوح الإسلام.
● معجم البلدان: ١٥٨/٤.

(٤) كلب: بنو كلب، عدة بطون من العرب: بطن من بجيلة، وبطن من قضاعة، وبطن من خثعم ومساكن قومهم بالحجاز.
● نهاية الأرب: ٣٦٥، تر: ١٤٩٠ إلى ١٤٩٣.

احملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي، قالوا: نعم، فأعطيتهم ذلك، وحملوني معهم، حتّى إذا بلغوا وادي القرى[1] ظلموني، فباعوني من رجل يهودي. فبينا أنا عنده، إذ قدم عليه ابن عمّ له من بني قريظة من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها، وبعث رسول الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر، لما أنا فيه من شغل الرّق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إنّي لفي رأس عذق لسيدي، أعمل له فيه، وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عمّ له، حتّى وقع عليه، فقال: يا فلان قاتل الله بني قيلة[2]، والله إنّهم الآن لمجتمعون بقباء[3] على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنّه نبي. قال سلمان: فلما سمعته، أخذتني العُرُواء[4]، حتّى ظننت أني ساقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمّه، ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ فغضب سيدي، فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقبل على عملك. قال: فقلت: لا شيء إنّما أردت أن أستثبته عمّا قال. وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلمّا أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ، وهو بقباء، فدخلت عليه، وقلت له: إنّه قد بلغني أنّك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء

---

(١) وادي القرى: واد بين المدينة والشام، من أعمال المدينة، كثير القرى، وفتحها النبي ﷺ سنة سبع عنوة، وغنم أموالها، وترك الأرض والنخل في أيدي اليهود وعاملهم على ما عامل به أهل خيبر.
- معجم البلدان: ٥/٣٤٥.

(٢) بنو قيلة: هم الأنصار.

(٣) قباء: ـ بضمّ القاف ـ أصله اسم بئر هناك، عرفت القرية بها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار، وقباء على ميلين من المدينة المنورّة على يسار القاصد إلى مكّة. وهناك مسجد التّقوى الوارد في القرآن الكريم، وفي فضله أحاديث كثيرة وردت.
- معجم البلدان: ٤/٣٠١.

(٤) العرواء: الرعدة من البرد والانتفاض، والعرواء: برد الحمّى.
- المعجم الوسيط: مادة: عرو.

كان عندي للصّدقة، فرأيتكم أحقّ به من غيركم، فقرّبته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: **«كلوا وأمسك يده فلم يأكل»**.

قال: فقلت في نفسي هذه واحدة، قال: ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً وتحوّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت له: إنّي قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هديّة أكرمتك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه.

قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان. ثم جئت رسول الله ﷺ، وهو ببقيع[1] الغرقد، وقد تبع جنازة رجل من أصحابه، فسلّمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي. فلما رآني رسول الله ﷺ أستدير به، عرف أنّي أستثبت في شيء وُصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبّله وأبكي. فقال رسول الله ﷺ: **«تحوّل»**، فتحوّلت، فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه.

قال سلمان: ثم قال لي رسول الله ﷺ: **«كاتب يا سلمان»**، فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير[2]، وأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: **«أعينوا أخاكم»**، فأعانوني بالنّخل، الرجل بثلاثين وديّة، والرجل بعشرين وديّة، والرجل بخمس عشرة وديّة، والرجل بعشرة، يعين الرجل بقدر ما عنده، حتّى اجتمعت لي ثلاثمائة وديّة. فقال لي رسول الله ﷺ: **«اذهب يا سلمان ففقّر لها، فإذا فرغت فائتني أكن أنا**

---

(١) بقيع الغرقد: اسم البقيع في اللغة الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتّى، وبه سمي بقيع الغرقد. وهي مقبرة أهل المدينة المنورة، وتقع داخل المدينة، وبها دفن عدد كبير من الصحابة وأزواج النبي ﷺ والتّابعين رضي الله عنهم أجمعين.
- معجم البلدان: ٤٧٣/١.

(٢) الفقير: يقال فقر البئر: استنبط ماءها ـ وفقر الأرض يفقرها ـ بالضم ـ فقرا: حفرها. والفقيرة: الحفرة تغرس فيها الفسيلة.
- القاموس المحيط: مادة: فقر، فصل الفاء، باب الراء.

أضعها بيدي»، قال: ففقّرت وأعانني أصحابي، حتّى إذا فرغت جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرّب إليه الوديّ، ويضعه ﷺ بيده حتّى فرغنا.

فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها وديّة[1] واحدة، فأدّيت النخل، وبقي المال عليّ، فأُتِي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدّجاجة من ذهب، من بعض المعادن. فقال: «**ما فعل الفارسي المكاتب؟**» قال: فدعيت له، فقال: «**خذ هذه فأدّها ممّا عليك يا سلمان**»؛ قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله/ ممّا عليّ؟ قال: «**فخذها، فإنّ الله سيؤدّي بها عنك**». ٦٢/ظ
قال: فأخذتها، فوزنت لهم منها. والذي نفس سلمان بيده، أربعين أوقية، فأوفيتهم حقّهم، وعتق سلمان.

وفي رواية: قال سلمان: لما قلت: وأين تقع هذه من الذي عليّ يا رسول الله؟ أخذها رسول الله ﷺ فقلّبها على لسانه، ثم قال: «**خذها، فأوفهم منها**»، فأخذتها فأوفيتهم منها حقّهم كلّه، أربعين أوقية[2].

وفي رواية عن سلمان: أنّ صاحب عمّورية قال له: ائت كذا وكذا من أرض الشام، فإنّ بها رجلاً بين غيضتين، يخرج في كلّ سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة، مستجيزاً، يعترضه ذوو الأسقام، فلا يدعو لأحد منهم إلاّ شفي، فسله[3] عن هذا الدّين الذي تبغي فهو يخبرك عنه.

قال سلمان: فخرجت حتّى جئت حيث وصف لي، فوجدت النّاس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك[4]، حتّى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيضتين إلى الأخرى، فغشيه النّاس بمرضاهم، لا يدعو لمريض إلاّ شفي، وغلبوني عليه فلم أخلُص إليه حتّى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل

---

(١) الودية: النصبة والفسيلة.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢١٤ ـ ٢٢١، باختصار.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: فاسأله.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: هنالك.

إلاّ منكبه. قال: فتناولته، فقال: من هذا؟ والتفت إليّ؟ قال: قلت يرحمك الله أخبرني عن الحنيفية دين إبراهيم؟ قال: إنّك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه النّاس اليوم، قد أظلّك زمان نبي يبعث بهذا الدين، من أهل الحرم، فأته، فهو يحملك عليه. ثم دخل، قال: فقال رسول الله ﷺ لسلمان: **«إن كنت صدقتني يا سلمان، لقد لقيت عيسى ابن مريم»**[(١)].

قال السّهيلي: وهذا الحديث إن صحّ فلا نكارة في متنه، فقد ذكر الطّبري: أنّ المسيح عليه السلام نزل بعدما رُفع، وأنّه وجد أمّه وامرأة أخرى عند الجذوع الذي فيه الصليب، تبكيان، فكلّمهما وأخبرهما، أنّه لم يقتل، وأنّ الله رفعه، وأرسل الحواريين، ووجّههم إلى البلدان[(٢)]. وإذا جاز أن ينزل مرّة، جاز أن ينزل مراراً، ولكن لا يعلم، أنّه هو إلى أن ينزل النّزول الظاهر في آخر الزّمان، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير كما جاء في الصّحيح[(٣)].

فصل

وذكر ابن إسحاق حديث ورقة بن نوفل، وعبدالله[(٤)] بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل، وأنّهم اجتمعوا مع قريش عند صنم لهم، فقال هؤلاء الأربعة بعضهم لبعض: تعلموا[(٥)] والله ما قومكم على شيء! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم! ما حجر نطيف به، لا يسمع ولا يبصر ولا يضرّ ولا ينفع! يا قوم، التمسوا لأنفسكم [ديناً][(٦)] ما أنتم على شيء، فتفرّقوا في البلدان يلتمسون[(٧)] الحنيفية، دين إبراهيم.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٢١/١ ـ ٢٢٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٢٠٤/١.

(٣) الروض الأنف: ٣٤٥/٢ ـ ٣٤٦، بتصرف.

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: عبيدالله.

(٥) هكذا: «تعلموا» ورد في النسخ المعتمدة وفي السيرة النبوية لابن هشام.

(٦) ما بين الحاصرتين أثبته من السيرة النبوية لابن هشام.

(٧) في الأصل: تلمّسوا.

فأمّا ورقة بن نوفل فاستحكم في النّصرانية[1] وسيأتي خبره ـ وأما زيد بن عمرو بن نفيل فخرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ويسأل الرهبان والأحبار، حتّى بلغ الموصل، والجزيرة كلّها، ثم أقبل فجال الشام كلها حتّى انتهى إلى راهب بميفعة من أرض البلقاء[2]، كان ينتهي إليه علم النّصرانية ـ فيما يزعمون ـ فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم. فقال: إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظلّك زمان نبي يخرج في بلادك التي خرجت منها، يبعث بدين إبراهيم الحنيفية فالحق به فإنّه مبعوث الآن، هذا زمانه. وكان قد شام[3] اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئاً منها. فخرج[4] سريعاً حين قال له ذلك الراهب ما قال، يريد مكّة، حتّى إذا توسّط بلاد لخم عدواً عليه فقتلوه.

قال السّهيلي: وقوله بميفعة هكذا قيد في الأصل بكسر الميم والقياس[5] فتحها لأنّه اسم لموضع أخذ من اليفاع وهو المرتفع من الأرض[6].

ومن آياته ﷺ وإعلام نبوّته ما رواه جامع بن خيران[7] قال: لما حضرت أوس[8] بن حارثة الغساني الوفاة اجتمع إليه قومه من غسّان[9]

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٢) أرض البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمّان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، ويضرب المثل بجودة حنطتها، واشتقاقها من البلق وهي سواد وبياض مختلطان.
● معجم البلدان: ١/٤٨٩.

(٣) شام: مخائل الشيء: تطلع إليها مترقباً.

(٤) في الأصل: خرجا.

(٥) في الروض الأنف: من ميفعة والقياس فيها الفتح.

(٦) الروض الأنف: ٢/٣٧٣.

(٧) جامع بن خيران: لم أعثر على ترجمة له.

(٨) أوس بن حارثة بن ثعلبة من بني مزيقيا، من الأزد، من كهلان، جدّ قبيلة الأوس.
● الأعلام: ١/٣٧٤.

(٩) غسّان: بنو غسّان: حيّ من الأزد من القحطانية، سموا غسّان، لماء اسمه غسّان بين زبيد وربع، شربوا منه.
● نهاية الأرب: ٣٤٨، تر: ١٤٢١.

وفيهم ابنه مالك[1] الذي جرى به المثل: «ما هلك هالك ترك مثل مالك» فقالوا له: أوصنا أيّها الملك، فأوصاهم بخلال كريمة، وحرّضهم على السبق إلى الإسلام، وإجابة النّبي عليه أفضل الصلاة والسّلام. وأن يعتذروا عنه، وعرّفهم بقرب زمانه، ثم أنشدهم قصيدة حسنة[2] يقول فيها/ [من الطويل]:

٦٣/و

فإن تكن الأيام أبلين أعظمي ... وشيّبن رأسي والمشيب مع العمر
فإنّ لنا ربّاً علا فوق عرشه ... عليماً بما نأتي من الخير والشرّ
ألم يأت قومي أنّ لله دعوة ... يفوز بها أهل السّعادة والبرّ
إذا بعث المبعوث من آل غالب ... بمكة فيما بين زمزم والحجر
هناك أبشروا طرّاً بنصر بلادكم ... بني عامر[3] إنّ السعادة في النصر

ذكر هذا الحديث ابن القطان وأبو سعيد النّيسابوري.

فصل

ومن آيات نبوّته ودلائل رسالته ﷺ ما رواه النّيسابوري وابن القطان عن أبي سعيد الخدري[4] رضي الله عنه قال: سمعت أبي مالك بن سنان[5]

---

(١) في الأصل: ملك.

(٢) في (ر): كلمة «حسنة» ساقطة.

(٣) بنو عامر عدة بطون منها بطن من لؤي بن غالب من قريش من العدنانية.
● نهاية الأرب: ٣٠٢، تر: ١١٩٣.

(٤) أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة، من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضائلهم، غزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وأول مشاهده غزوة الخندق. توفي سنة أربع وسبعين رضي الله تعالى عنه.
● الاستيعاب: ٦٠٢/٢، تر: ٩٥٤.

(٥) مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر، والأبجر هو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري المدني، استشهد يوم أحد، قتله عراب بن سفيان الكناني، وذلك في شوّال عام ثلاثة من الهجرة.
● الاستيعاب: ١٣٥٢/٣، تر: ٢٢٦٩.

يقول: أتيت بني عبد الأشهل يوماً لنتحدّث فيهم، ونحن يومئذ في هدنة من الحيّ، فسمعت يوشع[1] اليهودي يقول: أظل خروج نبي يقال له أحمد، يخرج من الحرم. فقال له: خليفة بن ثعلبة الأشهلي كالمستهزىء به: ما صفته؟ فقال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يلبس الشّملة، ويركب الحمار، سيفه على عاتقه، وهذا البلد مهاجره.

قال: فرجعت إلى قومي بني خدرة[2]، وأنا يومئذ أتعجّب مما قال يوشع، فأخبرتهم، فقالوا: أو يوشع يقول هذا وحده؟ كلّ يهوديّ بيثرب يقول هذا. قال أبي: فخرجت حتّى جئت بني قريظة، فوجدت جمعاً منهم، فتذاكروا النّبي ﷺ. فقال الزّبير بن باطا: قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلاّ بخروج نبيّ وظهوره، ولم يبق إلاّ أحمد، وهذه مهاجره.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، أخبرته هذا الخبر. فقال النّبي ﷺ: لو أسلم الزّبير بن باطا وذووه من رؤساء اليهود لأسلمت اليهود كلها، إنما هم تبع، ولكنّهم أهل حسد.

قال ابن القطان: ورُوي عن عبدالحميد بن جعفر[3] عن أبيه قال: كان الزّبير بن باطا أعلم اليهود. وكان يقول: وجدت سفراً كان أبي يختمه عليّ،

---

(١) يوشع بن نون اليهودي، رئيس أهل فدك الذين صالحوا النّبي ﷺ على نصف الأرض فقبل منهم ذلك.
- الكامل لابن الأثير: ٢/٢٢٤.

(٢) بنو خدرة: من قبيلة الخزرج وهم بطن من مزيقيا، من الأزد القحطانية، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم «الخزرج»، وكان لهم ملك بيثرب مع إخوتهم الأوس نزلوها عند خروج الأزد من اليمن، منهم أبو سعيد الخدري.
- نهاية الأرب: ٢٢٧، تر: ٨٣٧.

(٣) أبو سعيد عبدالحميد بن جعفر بن عبدالله بن الحكم بن رافع الأنصاري، الإمام المحدّث الثقة. احتجّ به الجماعة ما عدا البخاري، توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة [١٥٣].
- سير أعلام النبلاء: ٧/٢٠ ـ ٢٢، تر: ٤.

فيه ذكر أحمد نبي، صفته كذا كذا، فحدّث به الزّبير بعد أبيه، والنّبي ﷺ لم يبعث، فما هو إلاّ أن سمع بأنّه ﷺ قد خرج بمكة، فعمد إلى ذلك السّفر، فمحاه، وكتم شأن النّبي ﷺ، وقال ليس به.

قال ابن إسحاق: ولم يكن حيّ من العرب أعلم برسول[1] الله ﷺ حين ذكر وقبل أن يذكر من هذا الحيّ من الأوس والخزرج، لما[2] كانوا يسمعون من أخبار[3] يهود، وكانوا[4] لهم حلفاء ومعهم في بلادهم[5].

ونقل أبو سعيد النّيسابوري وابن القطان عن عامر بن ربيعة[6] أنّه قال: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: أنا أنتظر نبيّاً من ولد إسماعيل ﷺ من بني عبدالمطلب، ولا أرى أني أدركه وأنا أؤمن به وأصدّقه وأشهد أنّه نبي، فإن طالت[7] بك مدّة فرأيته فاقرأ عليه منّي السّلام. وسأخبرك ما نعته حتّى لا يخفى عليك.

قلت: هلمّ. قال: هو رجل ليس بالقصير، ولا بالطويل، ولا بكثير الشعر، ولا بقليله. وليس تفارق عينيه حمرة، وخاتم النّبوة بين كتفيه. واسمه أحمد، وهذا البلد مولده ومبعثه، ثم يخرجه قومه منه، ويكرهون ما جاء به، حتى يهاجر إلى يثرب، فيظهر أمره، فإياك أن تخدع عنه، فإنّي طفت البلاد كلّها أطلب دين إبراهيم ﷺ، فكلّ من أسأل من اليهود والنّصارى والمجوس يقولون: هذا الدين وراءك، وينعتونه مثل نعتي لك. ويقولون: لم يبق نبي غيره.

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: أعلم بأمر رسول الله ﷺ.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: وذلك لما كانوا.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: من أحبار اليهود.
(٤) في الأصل: وكان لهم.
(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٨٢/١.
(٦) عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك العدوي، أبو عبدالله العنزي، من السابقين الأوّلين، هاجر الهجرتين ومن البدريين، توفي بالمدينة سنة ٣٥هـ.
- سير أعلام النبلاء: ٣٣٣/٢ ـ ٣٣٥، تر: ٦٧.

(٧) في الأصل: فإن طال بك هدّة.

قال عامر: فلما أسلمت، أخبرت رسول الله ﷺ بقول زيد بن عمرو، وأقرأته منه[1] السلام، فردّ رسول الله ﷺ، وترحّم عليه. وقال: قد رأيته في الجنّة يسحب ذيولاً.

قلت: هكذا نقل هذا الحديث النيسابوري. وما تقدّم هو الذي أعرفه/ ٦٤/ظ ويشهد لما تقدّم ما في البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدّين، ويتبعه فلقي عالماً من اليهود، فسأله عن دينهم، فقال[2]: لعلّي أن أدين دينكم فأخبرني. فقال: لا تكون على ديننا حتّى تأخذ نصيبك من غضب الله، قال زيد: ما أفرّ إلاّ من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنّى أستطيعه، فهل تدلّني على غيره؟ قال: «ما أعلمه إلاّ أن تكون حنيفاً، قال: زيد[3] وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا يعبد إلاّ الله، فخرج زيد فلقي عالماً من النّصارى، فذكر مثله، فقال: لن تكون على ديننا حتّى تأخذ نصيبك[4] من لعنة الله، قال: ما أفرّ إلاّ من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله، ولا من غضبه شيئاً أبداً، وأنّى أستطيع، فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلاّ أن تكون[5] حنيفاً. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا يعبد إلاّ الله فلما [رأى][6] زيد قولهم في إبراهيم[7] خرج، فلما برز رفع يديه، فقال: اللهم إنّي أشهد[8] أنّي على دين إبراهيم[9].

---

(١) في الأصل: وأقرأته مني السّلام.
(٢) في الروض الأنف، والبخاري: وقال له: إني لعلي أن أدين بدينكم فأخبروني.
(٣) في الروض الأنف: قال: وما الحنيف؟
(٤) في الروض الأنف والبخاري: بنصيبك.
(٥) في الروض الأنف والبخاري: أن يكون.
(٦) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٧) في البخاري: عليه السلام.
(٨) في الروض الأنف: أشهدك أني.
(٩) ● أ ـ الروض الأنف: ٣٦٠/٢ ـ ٣٦١.
● ب ـ صحيح البخاري: ٥٠/٥، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل.

قلت: هذا حديث صحيح متفق على صحته.

فصل

في قصة أمية بن [أبي][1] الصلت وأبي سفيان وما اشتملت عليه من الإعلام بآيات نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام

ذكرها أبو الربيع الكلاعي وابن القطان وغيرهما. قالوا: رُوي عن أبي سفيان بن حرب أنه قال: خرجت أنا وأمية بن أبي الصّلت ورجل آخر تجّاراً إلى الشام، قال أبو سفيان: فكلما نزلنا منزلاً أخرج أميّة سفراً يقرأه علينا، فكنّا كذلك، حتّى نزلنا بقرية من قرى النّصارى، قال: فرأوه وعرفوه وأهدوا له. فذهب معهم إلى بيعتهم. ثم رجع في وسط النّهار، فطرح ثوبيه، واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما، ثم قال: يا أبا سفيان! هل لك في عالم من علماء النّصارى إليه تناهى علم الكتاب، تسأله عما بدا؟ قال: قلت: لا أرب لي فيه. والله لئن حدّثني ما أحبّ لا أثق فيه، ولئن حدّثني[2] ما أكره لأوجلنّ منه.

قال: وذهب أمية، ومكث عنّا، حتّى جاءنا بعد هدأة من الليل، فطرح ثوبيه ثم انجدل[3] على فراشه، فوالله ما قام ولا نام حتى أصبح. قال: فأصبح كئيباً حزيناً ساقطاً، ما يكلّمنا، ثم قال: ألا ترحلان؟ قلنا: وهل بك من رحيل؟ قال: نعم فارحلا. فرحلنا فسرنا بذلك ليلتين من همّه وبثّه، ثم قال ليلة: ألا تحدّث يا أبا سفيان؟ قلت: وهل بك من حديث؟ فوالله ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك. قال: أما إنّ ذلك ليست فيه[4]، إنّما ذلك شيء وجلت به من منقلبي. قلت: وهل لك من

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) في الأصل: لا أكره.
(٣) انجدل على فراشه: انصرع.
(٤) في النسخ المعتمدة: لست فيه.

منقلب؟ قال: إي والله! لأموتنّ ولأحاسبنّ. قال: فقلت: فهل أنت قابل أماني؟ قال: وعلى ماذا؟ قلت: على أنك لا تبعث ولا تحاسب، فضحك ثم قال: بلى والله يا أبا سفيان، لنبعثنّ ولنحاسبنّ وليدخلنّ فريق في الجنّة[١]، وفريق في النار. قال: قلت: في أيّهما أنت أخبرك صاحبك؟ قال: لا علم لصاحبي بذلك في ولا في نفسه، فكنّا في ذلك ليلتنا يعجب منّا ونضحك منه، حتّى قدمنا غوطة دمشق، وإياها كنّا نريد، فبعنا متاعنا، وأقمنا بذلك شهرين، ثم ارتحلنا حتّى نزلنا بتلك القرية من قرى النّصارى، فلمّا رأوه جاؤوه، فأهدوا له، وذهب معهم إلى بيعتهم، حتّى جاءنا مع نصف من الليل، فلبس ثوبيه الأسودين، فذهب ولم يدعنا إليه كما دعانا أوّل مرّة، حتّى جاءنا بعد هدأة من الليل، فطرح ثوبيه، ثم رمى بنفسه على فراشه، فوالله ما نام ولا قام، فأصبح حزيناً لا يكلمنا ولا نكلّمه، ثم قال لي: ألا ترحلان؟ قلت: بلى إن شئت، قال: فارحلا، فرحلنا، فسرنا كذلك من بثّه وحزنه ليالي، ثم قال لي ليلة: يا أبا سفيان، هل لك في المسير ونخلّف هذا الغلام سيستأنس بأصحابنا ويستأنسون به؟ قلت له: ما شئت، قال: فسر، فسرنا حتّى برزنا. قال: هي يا صخر. قلت: ما لك؟ قال: أخبرني عن عتبة بن ربيعة[٢]، أيجتنب المحارم والمظالم؟ قلت: إي والله. قال: ويصل الرّحم، ويأمر بصلتها؟ قلت: نعم. قال: وكريم الطرفين، واسط العشيرة؟ قلت: نعم. قال: ومحوج هو؟ قلت: لا، بل ذو مال. قال: فكم أتى له؟ قلت: هو ابن السبعين أو قاربها. قال: فالسنّ والشّرف/ أزريا به؟ قلت: لا والله، بل هما زاداه خيراً، قال: هو ذاك. ثم رحلنا ليلة أخرى، حتّى إذا برزنا، قال: يا صخر إيه عن عتبة؟ قلت: إيه عنه، قال: أيجتنب المحارم والمظالم، ويأمر بصلة الرحم، ويصلها؟ قلت:

٦٥/و

---

(١) في (ر): فريق الجنّة وفريق في السّعير.

(٢) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كبير قريش، وأحد سادتها، كنيته أبو الوليد، كان خطيباً نافذ القول، موصوفاً بالرأي السديد والحلم والفضل، شهد بدراً مع المشركين فقتل مع من قتل من صناديد قريش.

● الأعلام: ٤/٣٥٩.

يفعل، قال: وكم أنى له؟ قلت: سبعون أو قاربها، قال: فإنَّ السن والشرف أزريا به؟ قلت: لا والله ما أزريا به، ولكنهما زاداه[1] خيراً وأنت قائل فقله. قال: والله لا تذكر حديثي حتى يأتي ما هو آت.

قلت: والله لا أذكره، قال: فإنّ الذي رأيت أصابني، إنّي جئت هذا العالم فسألته عن أشياء، قلت: أخبرني عن هذا النّبي الذي ينتظر. قال: هو رجل من العرب، قلت: قد علمت فمن أيّ العرب؟ قال: هو من أهل بيت تحجّه العرب. قلت: فينا بيت تحجّه العرب. قال: لا، هو من إخوتكم وجيرانكم قريش، قال: فأصابني والله شيء ما أصابني مثله قط، أخرج من يدي[2] الدنيا والآخرة وكنت أرجو أن أكون أنا هو.

قلت: فإذا كان ما كان فصف لي: قال: بلى، هو رجل شاب، حين دخل في الكهولة بدأ أمره أنّه يجتنب المحارم والمظالم، ويصل الرحم، ويأمر بصلتها، وهو محوج، ليس ينازع شرفاً، كريم الطرفين، متوسط العشيرة، أكثر جنده الملائكة.

قال: قلت: وما آية ذلك؟ قال: قد رجف بالشام منذ هلك عيسى ابن مريم ثمانون رجفة كلها تأتيهم بمصيبة عامّة، وبقيت رجفة واحدة عامّة فيها مصيبة يخرج على أثرها.

قال أبو سفيان: فقلت: إنّ هذا والله لهو الباطل لئن بعث الله رسولاً لا يبعثه إلاّ شريفاً مسنّاً.. قال: والذي يحلف به إنّ هذا لها كذا يا أبا سفيان هل لك في المبيت، فبتنا، ثم رحلنا، حتّى إذا كان بيننا وبين مكة ليلتان، أدركنا راكب من خلفنا فسألناه، قال: أصابت الشّام بعدكم رجفة دمّرت أهلها، فأصابتهم فيها مصيبة عظيمة، قال: كيف ترى يا أبا سفيان؟ قلت: أرى والله ما أظنّ صاحبك إلاّ صادقاً، وقدمنا مكّة فقضيت ما كان معي، ثم انطلقت حتّى جئت أرض الحبشة تاجراً فمكثت فيها خمسة أشهر ثم أقبلت حتى دخلت مكة فأتاني الناس في منزلي، يسلّمون عليّ، حتّى جاءني في

---

(١) في الأصل: زاده.

(٢) في (د): أخرج من يدي فوز الدّنيا والآخرة.

آخرهم محمد بن عبدالله ﷺ وعندي هند[1] جالسة، تلاعب صبية لها، فسلّم عليّ، ورحّب بي، وسألني عن سفري، ومقدمي، ثم انطلق. فقلت: والله إنّ هذا الفتى لعجب، ما جاءني أحد من قريش له معي بضاعة إلاّ سألني عنها، وما بلغت، وأنّ عندي لهذا بضاعة، ما هو بأغنى عنها ممّن سألني. قالت: أو ما علمت شأنه؟ فقلت: وفزعت وما شأنه؟ فقالت: والله إنّه ليزعم أنّه رسول الله، قال: فذكرت قول النّصراني، ووجمت، حتّى قالت لي: ما لك؟ فانتبهت، وقلت: إنّ هذا والله هو الباطل، لهو أعقل من أن يقول هذا، قالت: [بلى][2] والله إنّه ليقوله، وأنّ له صحابة معه على أمره، فخرجت فلقيته، وأنا أطوف، فقلت: إنّ بضاعتك قد بلغت، وكان فيها خير، فأرسل إليها، ولست آخذ منك فيها ما آخذ من قومك، قال: فإنّي غير آخذها حتّى تأخذ منها ما تأخذ من قومي. فقلت: ما أنا بفاعل. قال: والله إذن لآخذها، فأخذت منها ما كنت آخذ، وبعثت إليه بضاعته، ولم أنشب أن خرجت تاجراً إلى اليمن، فقدمت الطائف، فنزلت على أمية فتغديت معه، ثم قلت: يا أبا عثمان هل تذكر حديث النّصراني؟ قال: أذكره قلت: فقد كان، قال: ومن؟ قلت: محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، ثم قصصت خبر هند، قال: فالله يعلم أنّه تصبّب عرقاً، ثم قال: يا أبا سفيان، والله إنّ صفته لهي، ولئن ظهر وأنا حيّ لأبلينّ الله في نصرته عذراً. قال: . . .ومضيت إلى اليمن، فلم أنشب أن جاءني هناك استقلاله، وأقبلت حتّى قدمت الطائف، فنزلت على أمية فقلت: قد كان من هذا الرجل ما بلغك وسمعت، قال: قد كان، قلت: فأين أنت؟ قال: ما كنت لأؤمن/ برسول ليس من ثقيف[3]! ٦٦/ظ

---

(١) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أم معاوية، كانت فصيحة جريئة، شاعرة، أسلمت عام الفتح، وحسن إسلامها وكانت لها تجارة في خلافة عمر، شهدت اليرموك وحرّضت على قتال الروم، توفيت في عام أربعة عشر للهجرة.
● الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١٩٢٢/٤، تر: ٤١١٤.

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) ثقيف: بنو ثقيف بطن من هوازن من العدنانية، اشتهروا باسم أبيهم، وكانت منازلهم بالطائف، وهي مدينة من أرض نجد على مرحلتين من مكة في شرقها وشمالها.
● نهاية الأرب: ١٨٦، تر: ٦٦٦.

قال أبو سفيان: فأقبلت إلى مكة، والله ما أنا منه ببعيد، حتّى جئت فوجدته وأصحابه يضربون ويقهرون. قال: فجعلت أقول: وأين جنده من الملائكة؟ ودخلني ما داخل الناس من النّفاسة.

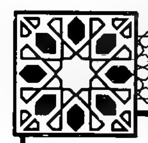
قلت: ثم إنّ الله منّ بهدايته[1] على أبي سفيان فآمن بالله ورسوله عام فتح مكة. ختم الله لنا ولكم بخاتمة السّعادة، ورزقنا وإياكم حسن المتابعة، والتأسي بنبيه ﷺ، والكون معه في زمرة المقربين، والصفوة من عباده المتقين... آمين. وقد أتينا بحمد الله في هذه الأبواب بأخبار مختارة واضحة، وجمل من علامات نبوّته عليه السلام مقنعة في واحد منها الكفاية، فكيف بما سردناه ممّا يثلج به الصّدر لمن له بتأمّل الأخبار عناية، وسيأتي إن شاء الله لذلك مزيد بيان، وحقائق أنوار، يقوّى بها الإيمان، جعلنا الله وإيّاكم لنبيّه الكريم متّبعين، وعلى منهاج سنّته ومحبّته إلى يوم القيامة مستديمين، وعلى حوضه يوم الفزع الأكبر واردين، شاربين ناهلين، بجوده وكرمه، لا مبدّلين ولا مغيّرين.

اللهم منّ علينا بإجابة هذا الدّعاء، يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، وصلّى الله على سيّدنا محمد خاتم النّبيين، وعلى آله وصحابته المتحابّين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع عباد الله الصّالحين، صلاة ندّخر أسرارها وأنوارها ليوم الدّين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين[2].



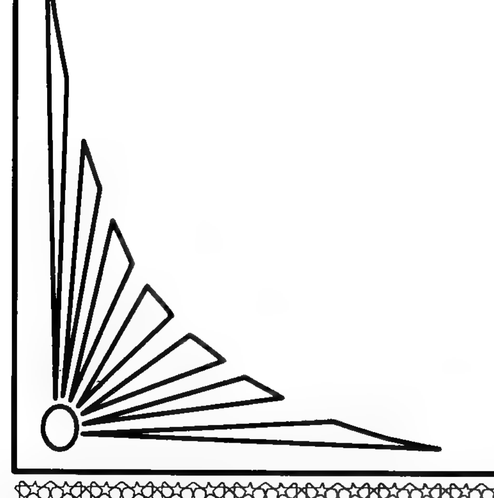
(١) في (د): منّ على أبي سفيان بهدايته.

(٢) اقتباس من الآية الكريمة ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].



كتاب المبعث الكريم
الذي جعله الله رحمة للعالمين

نذكر فيه - إن شاء الله تعالى - جملاً عظيمة من خصائصه ﷺ، وكراماته، وباهر آياته، وعجائب معجزاته، مما ذكره مشاهير الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة، مما صحّ، أو حسُن واشتهر، وبلغ مبلغ التّواتر، عند أهل الأثر، وها أنا - إن شاء الله - أشرع في المراد، وعليه سبحانه في إيرادي وإصداري جميل التفويض والاعتماد.



باب أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي

روى البخاري ومسلم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أوّل ما بُدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رُؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء فكان[1] يخلو بغار[2] حراء، فيتحنّث فيه - وهو التعبّد - الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع[3] إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة[4] فيتزوّد لمثلها، حتى فجئَه[5] الحق، وهو بغار[6] حراء. فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارىء؟ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ منّي الجُهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت[7]: ما أنا بقارىء، فأخذني[8] الثانية فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت[9]: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني الثالثة [حتى بلغ مني

(١) في البخاري: وكان.

(٢) غار حار: حراء جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال - والغار: مغارة في الجبل كأنها سرب.

● مراصد الاطلاع: ١/٣٣٨، و٢/٩٨٠.

(٣) في البخاري: أن ينزع.

(٤) خديجة: أول زوجة كانت لرسول الله ﷺ ولم يجمع معها غيرها، وكل أولاده منها إلا إبراهيم، كانت تسمى في الجاهلية «الطاهرة» تزوّجها أبو هالة فولدت له هنداً، ثم خلف عليها عتيق بن عائذ، ثم تزوجها الرسول ﷺ، وعمرها أربعون سنة، وهي أول من آمن بالله ورسوله، وتوفيت وعمرها أربع وستون سنة رضي الله عنها.

● الاستيعاب: ٤/١٨١٧ - ١٨٢٥، تر: ٣٣١١.

(٥) في البخاري: حتى جاءه الحق.

(٦) في البخاري: وهو في غار حراء.

(٧) في (د) و(ر) والبخاري: قلتُ.

(٨) في البخاري: فغطني الثانية.

(٩) في (د) و(ر): قلتُ.

الجهد][1] ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾[2].

فرجع بها[3] رسول الله ﷺ يرجف فؤادُه، فدخل على خديجة بنت خويلد[4]، فقال: زمّلوني زمّلوني، فزمّلوه حتى ذهب عنه الرّوع، فقال لخديجة: وأخبرها الخبر ـ لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: ـ كلا والله ـ لا[5] يُخزيك الله أبداً[6]، والله إنك لتصل الرَّحِم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضّيف، وتُعين على نوائب [الخلق][7]، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزيّ ابن عم خديجة.

وكان امرءاً تنصَّر في الجاهلية[8]، فكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمِيَ.

فقالت[9] خديجة يا ابن عمّ: اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بخبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله [عزَّ وجلَّ][10] على موسى ﷺ[11]، يا ليتني

---

(١) في (د) و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) العلق: ١ ـ ٥.
(٣) في (ر): فرجع رسول الله ﷺ.
(٤) في البخاري: رضي الله عنها.
(٥) في (د) و(ر) والبخاري: ما يخزيك الله.
(٦) في البخاري: إنك والله.
(٧) في (د) و(ر) والبخاري: وتعين على نوائب الحق.
وما بين الحاصرتين ساقط.
(٨) في البخاري: وكان.
(٩) في البخاري: فقالت له:
(١٠) في الأصل والبخاري: ما بين الحاصرتين ساقط.
(١١) في الأصل: صلى الله عليه.

٦٧/و فيها جذعاً، يا ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومُك، فقال/ رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي[(١)].

قلت: قال ابن إسحاق: وحدثني عبدالملك[(٢)] بن عبدالله الثقفي - وكان واعية عن بعض[(٣)] أهل العلم - أن رسول الله ﷺ حين أراده الله بكرامته، وابتدأه بالنّبوة، كان إذا خرج لحاجته أبعَد حتى تحسّر عنه البيوت ويُفضي إلى شعاب مكة، وبطون أوديتها، فلا يمر رسول الله ﷺ بحجر ولا شجر[(٤)] إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. قال: فيلتفت رسول الله حوله[(٥)] عن يمينه وشماله وخلفه وأمامه فلا يرى إلا الشجر والحجارة، فمكث[(٦)] كذلك رسول الله ﷺ يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث، فجاءه[(٧)] جبريل بما جاء من كرامة الله، وهو بحراء في شهر رمضان[(٨)].

قلت: وقد روى أهل الحديث: مسلم، والترمذي. واللفظ لمسلم.

---

(١) في البخاري: وفتر الوحي.
● أ - صحيح البخاري، واللفظ له ١/٣ - ٤، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وقول الله جل ذكره: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾.
● ب - صحيح مسلم: ١/١٣٩ - ١٤٢، رقم: ٢٥٢، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: عبدالملك بن عبيدالله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: عن أهل العلم.
(٤) في الأصل: لا شجرة.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: ﷺ حوله وعن يمينه وشماله وعن خلفه فلا يرى.
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: فمكث رسول الله ﷺ كذلك يرى.
(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه.
(٨) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢٣٥.

قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال:ـ نا ـ يحيى بن بكير[1] عن إبراهيم بن طهمان[2]، قال:ـ ني ـ سماك بن حرب[3] عن جابر بن سمرة[4] رضي الله عنه قال[5]: قال رسول الله ﷺ: «**إنّي لأعرف حجراً بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أبعث. إنّي لأعرفه الآن**»[6].

قال السهيلي: التحنث هو بالثاء المثلثة[7].

قال ابن هشام: تقول العرب: التحنثُ والتحنُّفُ يريدون

---

(١) في صحيح مسلم: يحيى بن أبي بكير.

(٢) إبراهيم بن طهمان: أبو سعيد الهروي ثم النيسابوري عالم خراسان، حدّث عن سماك بن حرب، وعمرو بن دينار، ومحمد بن زياد، وطبقتهم، وحدّث عنه ابن المبارك، وحفص بن عبدالله، وأبو حذيفة النهدي، وأبو حنيفة النعمان، وصفوان بن سليم، وهما من شيوخه، جاور في مكة آخر عمره: توفي سنة ثلاث وستين ومائة.
● تذكرة الحفاظ: م١، ٢١٣/١، تر: ٢٠٠.

(٣) سماك بن حرب بن أوس بن خالد بن نزار بن معاوية بن حارثة أبو المغيرة الذهلي البكري الكوفي، حدّث عن ابن الزبير، والنعمان بن بشير، وجابر بن سمرة، وأنس بن مالك، وحدّث عنه شعبة، والثوري، وشريك، وإبراهيم بن طهمان، وغيرهم، توفي سنة ١٢٣هـ.
● سير أعلام النبلاء: ٢٤٥/٥ ـ ٢٤٩، تر: ١٠٩.

(٤) جابر بن سمرة: أبو عبدالله جابر بن سمرة بن عمرو بن جندب، وهو ابن أخت سعد ابن أبي وقاص، نزل بالكوفة وبنى بها داراً، وتوفي سنة ثلاث وستين [٦٣].
● الاستيعاب: ٢٢٤/١، تر: ٢٩٩.

(٥) في صحيح مسلم: عن جابر بن سمرة قال:

(٦) ● أ ـ صحيح مسلم: ١٧٨٢/٤، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.
● ب ـ الجامع الصحيح للترمذي: ٥٩٢/٥ ـ ٥٩٣، رقم: ٦٣٢٤، باب في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ.

(٧) الروض الأنف: ٣٩٠/٢، وفيه: والتحنث بالثاء المثلثة لأنه من الحنث وهو الحمل الثقيل.

الحنيفية فيبدلون الفاء من التاء، كما يقولون[1]: جِدَث وجدَف يريدون القبر[2].

قال ابن أبي جمرة[3] رحمه الله تعالى: الناموس عند العرب هو جاسوس الخير، والجاسوس بضدّه صاحب سر الشر، ونحوه للسهيلي. ولفظه: الناموس صاحب سر الملك.

قال بعضهم: هو صاحب سر الخير، والجاسوس بالجيم هو صاحب [خبر][4] الشر.

قال ابن أبي جمرة: قوله: فغطّني يريد أنه ضمه إليه[5].

وقال غيرهُ: معناه غمّني.

وذكر ابن إسحاق عن النبي ﷺ أنه قال: جاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب. فقال: اقرأ قال: قلت: وما أقرأ؟ قال: فغتني[6] به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ[7]، وذكر بقية الحديث بنحو ما تقدم.

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: كما قالوا.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢٣٤ ـ ٢٣٥.
(٣) ابن أبي جمرة: أبو محمد عبدالله بن سعد بن سعيد الأزدي الأندلسي، من العلماء بالحديث، له عدة مؤلفات، منها «جمع النهاية» اختصر فيه صحيح البخاري، ويُعرف بمختصر ابن أبي جمرة، وبهجة النفوس والمرائي الحسان في الحديث. توفي بمصر عام ٦٩٥هـ.
● الأعلام: ٤/٢٢١.
(٤) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٥) حاشية على مختصر ابن أبي جمرة للبخاري، ص٢٤، لمحمد بن علي الشافعي الشنواني [ت: ١٢٣٣]، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٥م.
(٦) في (ر) فغتّني، بدل فغتني، والغُتّ: حبس النفس.
(٧) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢٣٦.

قال السّهيلي: قال بعض المفسرين في قوله تعالى[1]: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[2]، إنها إشارة إلى هذا[3] الكتاب الذي جاء به جبريل حين قال له: اقرأ. وفي الآية أقوال غير هذا[4].

فصل

في سماع الوحي وفي إسلام خديجة وعلي وأبي بكر[5]، وزيد بن حارثة[6]، وطلحة[7]، رضي الله عنهم

روى التّرمذي ـ واللفظ له ـ والنّسائي، والحاكم في المستدرك على الصّحيحين عن عمر بن الخطاب[8] رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ

---

(١) في الروض الأنف: في قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ...﴾.

(٢) البقرة: ١، ٢.

(٣) في الروض الأنف: إلى الكتاب.

(٤) في الروض الأنف: غير هذه ٢/٣٩٦.

(٥) أبو بكر الصدِّيق: كان في الجاهلية يسمى عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبدالله، ولقبه عتيق لجمال وجهه، أو لأنه عتيق من النار، وسُمي صديقاً لتصديقه خبر المسرى، واسم أبيه عثمان بن عامر، وأمه سلمى أم الخير بنت صخر، أول رجل آمن، توفي ليلة الثلاثاء لتسع ليال بقين من جمادي الأخيرة سنة ثلاث عشرة. وسنُّه ثلاث وستون سنة، ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وتسعة أيام.

● وفيات الأعيان: ٣/٦٤ ـ ٧١، تر: ٣٣٩.

(٦) زيد بن حارثة: أبو أسامة زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب، اشترته خديجة فوهبته لزوجها رسول الله ﷺ فأعتقه، فكان أول من أسلم من الموالي، تزوّج زينب بنت عمة الرسول ﷺ، استشهد في مؤتة سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين سنة، وبيده اللواء.

● سير أعلام النبلاء: ١/٢٢٠ ـ ٢٣٠، تر: ٣٦.

(٧) طلحة بن عبيدالله: أبو محمد طلحة الخير والجود، وطلحة الفياض، قُتل شهيداً في واقعة الجمل سنة ستّ وثلاثين، وهو ابن اثنتين وستين سنة، وقبره بظاهر الكوفة.

● سير أعلام النبلاء: ١/٢٣ ـ ٤٠، تر: ٢.

(٨) عمر بن الخطاب: أبو حفص، أمير المؤمنين، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة=

إذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دويّ كدوي النحل. فأنزل عليه يوماً، فمكثنا ساعة، فسُرّي عنه، فاستقبل القبلة، ورفع يديه وقال: «**اللهم زدنا ولا تَنقُصنا**» وذكر الحديث[1].

قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ على أمر الله، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى، فآمنت به خديجة بنت خويلد، فكانت أوّل من آمن بالله وبرسوله، وصدّقت بما جاءه من الله، وآزرته على أمره، فخفف الله بذلك عنه ﷺ. فلا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه، وتكذيب له، فيُحزنه ذلك، إلا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبّتُه، وتخفف عليه، وتُصدقّه، وتهوّن عليه أمر الناس رضي الله عنها[2].

قال ابن إسحاق: ثم كان أول ذكرٍ[3] آمن برسول الله ﷺ، وصدّق

= سنة، أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، شهد بدراً، وبيعة الرضوان، وكل المشاهد، قُتل شهيداً سنة ثلاث وعشرين للهجرة، طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ـ وعمره ثلاث وستون سنة، ومدة خلافته عشرة أعوام وستة أشهر.

● الاستيعاب: **١١٤٤/٣ ـ ١١٦٠**.

(١) ● أ ـ الجامع الصحيح للترمذي: **٣٢٦/٥**، رقم: **٣١٧٣**، كتاب تفسير القرآن، باب **٢٤**، ومن سورة المؤمنون.

ونص الحديث فيه: كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي سُمع عند وجهه كدوي النحل فأنزل عليه يوماً فمكثنا ساعة فسُرّي عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: «**اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضِنا وارض عنا**»، ثم قال ﷺ: «**أُنزل عليّ عشر آيات من أقامهم دخل الجنة**»، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ختم عشر آيات.

● ب ـ المستدرك على الصحيحين: **٧١٧/١ ـ ٧١٨**، **رقم**: **١٦١/١٩٦١**.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: **٢٤٠/١**، وبينهما خلاف.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: أول ذكرٍ من الناس آمن برسول الله ﷺ، وصلى معه، وصدق بما جاءه من الله تعالى علي بن أبي طالب بن هاشم رضي الله وسلامه عليه وهو يومئذٍ ابن عشر سنين.

بما جاءه من الله، عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو ابن عشر سنين[1] ثم أسلّم زيد بن حارثة[2] رضي الله عنه، فكان أول ذكر أسلّم بعد عليّ بن أبي طالب[3] رضي الله عنه. ثم أسلّم أبو بكر[4] رضي الله عنه.

قال السّهيلي: وقيل أول[5] من أسلم/ من الذكور أبو بكر، ولكن ذلك - والله أعلم - من الرجال، لأن علياً كان حين أسلم صبياً[6]. ولا يختلف أن خديجة هي أول من آمن بالله وصدّق رسوله[7]. ٦٨/ظ

وفي مدح حسان بن ثابت الذي قاله في أبي بكر[8] رضي الله عنه، وسمعه النبي ﷺ ولم ينكره دليل على أنه أول من أسلّم من الرجال. وهو قوله [من البسيط]:

خير البرية أتقاها وأفضلها[9]   بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني[10] التالي المحمود مشهده   وأول الناس منهم[11] صدق الرسلا[12]

قلت: وما ذكره السهيلي حسن، ووجه الجمع بين هذه الآثار: أن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٤٥/١.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ابن شرحبيل بن كعب بن عبد العزي بن امرىء القيس الكلبي مولى رسول الله ﷺ، وكان أول ذكر أسلم بعد علي بن أبي طالب.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٤٧/١.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٤٩/١.
(٥) في الروض الأنف: وسيأتي قول من قال: أول من أسلم أبو بكر.
(٦) في الروض الأنف: لم يدرك.
(٧) الروض الأنف: ١٥/٣.
(٨) في الروض الأنف: قاله فيه وسمعه النبي ﷺ.
(٩) في ديوان حسان: وأرأفُها.
(١٠) في ديوان حسان: التالي الثاني.
(١١) في ديوان حسان: طرّا صدق الرسلا، وفي الروض الأنف: قدما صدق الرسلا.
(١٢) في ديوان حسان: هذا البيت ذكر قبل الذي قبله.
● أ - ديوان حسان بن ثابت: ١٧٤، دار صادر بيروت، بلا تاريخ.
● ب - الروض الأنف: ٢١/٣.

أول من أسلم من النساء خديجة، وأول من أسلم من الصبيان علي، وأول من أسلم من الرجال أبو بكر، وأوّل من أسلم من الموالي زيد بن حارثة. هكذا نصّ عليه أئمّتنا المتأخرون وأهل المعرفة بالحديث.

قال ابن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله.

وكان أبو بكر رجلاً مَأْلَفاً[1] لقومه محبّباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه، وتجارته، وحُسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام[2] من وثق به من قومه، ممن يغشاه، ويجلس إليه[3]. فأسلم بدعائه - فيما بلغني - عثمان بن عفان[4]، والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّي[5] وعبدالرحمٰن بن عوف[6]، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله،

---

(١) المألف: الذي يألفه النّاسُ.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: يدعو إلى الله وإلى الإسلام.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: قال:

(٤) عثمان بن عفان: أبو عمرو وأبو عبدالله عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية أول من هاجر إلى الحبشة مع رقية بنت رسول الله ﷺ وبعد وفاة هذه الأخيرة تزوّج أم كلثوم، ولذا يقال له: ذو النورين. تولّى الخلافة في غرّة محرم عام ٢٤، وقتل شهيداً بالمدينة في ١٧ ذي الحجة عام ٣٥ وعمره ثمانون سنة.
● الاستيعاب: ١٠٣٧/٣ ـ ١٠٥٣، تر: ١٧٧٨.

(٥) الزبير بن العوّام: أبو عبدالله، وأمه صفية عمة رسول الله ﷺ. أول من سلّ سيفه في سبيل الله، أسلم وعمره ستة عشر عاماً، هاجر الهجرتين، قُتِل شهيداً في واقعة الجمل سنة ٣٦ وعمره أربع وستون سنة.
● سير أعلام النبلاء: ٤١/١ ـ ٨٧، تر: ٣.

(٦) عبدالرحمٰن بن عوف: أبو محمد، وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل عبد الكعبة. فسماه الرسول ﷺ عبدالرحمٰن، له في الصحيحين حديثان، وانفرد له البخاري بخمسة أحاديث. توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ.
● سير أعلام النبلاء: ٦٨/١ ـ ٩٢، تر: ٤.

رضي الله عنهم، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له، وأسلموا[١].

فكان رسول الله ﷺ يقول ـ فيما بلغني ـ ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده فيه كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه.

قال ابن هشام: ومعنى عكم أي تلبّث[٢].

قال السهيلي: وكان من أسباب توفيق الله إياه ـ فيما ذكروا[٣] ـ رؤيا رآها قبل ذلك، وذلك أنه رأى القمر ينزل إلى مكة، ثم رآه قد تفرّق على جميع منازل مكة وبيوتها، فدخل في كل بيت منه شعبة، ثم كأنّه جمعه[٤] في حجره، فقصها على بعض الكتابيين، فعبّرها له بأن النبي المنتظَر الذي قد أظلّ زمانُه تتبعُه، وتكون أسعد الناس به، فلما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، لم يتوقف[٥].

قلت: ومن أسباب سعادته، ومقدمات نجاته، ما ذكره ابن القطان، ونقل عن العذري[٦]، واللفظ لابن القطان. قال ابن القطان: روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أخبرني أبو بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه أنه خرج إلى اليمن قبل أن يُبعث النّبي ﷺ. قال: فمررت على شيخ من

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: فأسلموا وصلّوا.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٤٩/١ ـ ٢٥٢، باختصار لنسب عثمان ومن بعده...
(٣) في الروض الأنف: فيما ذُكر.
(٤) في الروض الأنف: كأنه جمع.
(٥) الروض الأنف: ٢١/٣.
(٦) العذري: أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العُذري، ويعرف بابن الدلائي ولد سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة [٣٩٣] ورحل إلى المشرق مع أبويه سنة سبع وأربعمائة [٤٠٧]، وسمع بالحجاز سماعاً كثيراً من الواردين إلى مكّة من المحدّثين من أهل العراق، وخراسان، والشام، وكان معتنياً بالحديث، ونقله وروايته وضبطه مع ثقته وجلالة قدره وعلوّ إسناده. توفي في آخر شعبان سنة ٤٧٨ بالمرية. وصلّى عليه ابنه أنس.
● كتاب الصلة لابن بشكوال: ق٦٦/١ ـ ٦٧، تر: ١٤١.

الأزد، عالم، قد قرأ الكتب، وعلم من علم الناس كثيراً، وأتت عليه أربعمائة سنة إلا عشر سنين. فلما رآني قال: أحسبك حرمياً.

قلت: نعم قال: وأحسبك قرشيّاً، قلت: نعم، قال: بقيت لي فيك واحدة. قلت: وما هي؟ قال: أكشف لي عن بطنك، قلت: لا أفعل أو تخبرني لم ذلك؟ قال: أجد في العلم الصحيح، الزكي الصادق، أن نبياً يبعث في الحرمين، يقارنه على أمره فتى وكهل، أما الفتى فخوّاض غمرات، دفّاع معضلات، وأما الكهل فأبيض نحيف، وعلى بطنه شامة، وعلى فخذه اليسرى علامة. وما عليك أن تريني ما سألتك عنه، فقد تكاملت فيك الصفة إلا ما خفِيَ عليّ. قال أبو بكر: فكشفت له عن بطني، فرأى شامة سوداء فوق سرتي، قال: أنت هو - وربّ الكعبة - إنّي متقدم إليك في أمرٍ. قلت: ما هو؟ قال: إيّاك والميل عن الهدى، وعليك بالتمسّك بالطريقة الوسطى، وخَفِ الله فيما خوّلك وأعطى.

قال أبو بكر - رضي الله عنه -: فقضيت باليمن أربي، وأتيت الشيخ لأودّعه، قال: أتحمل عني إلى ذلك النبي أبياتاً؟ قلت: نعم. فأنشد الشيخ يقول/ [من الطويل]: ٦٩/و

ألم تر أنّي قد سميت معاشري ... ونفسي وقد أصبحت في الحي عاهنا

حييت[1] وفي الأيام للمرء عبرة ... ثلاث مئين بعد تسعين آمنا

وقد خمدت منّي شرارة قوّتي ... وألفيت شيخاً لا أطيق الشواحنا

وأنت وربّ البيت تأتي محمداً ... لعامك هذا قد أقام البراهنا

فحيّ رسول الله عنّي فإنني ... على دينه أحيا وإن كنت قاطنا

قال أبو بكر - رضي الله عنه -: فحفظت شعره، وقدمت مكة، وقد بُعث النبي ﷺ، فجاءني عقبة بن أبي معيط[2]، وأبو

---

(١) في (ر): حبيبة.

(٢) عقبة بن أبي معيط.

أبو الوليد عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية، كان شديد الأذى للمسلمين أُسِر يوم بدر

جهل[1]، وصناديد قريش، فقلت: هل ظهر فيكم أمرٌ؟ قالوا: يا أبا بكر أجلُّ الخطبِ، وأعظمُ النّوائب، يتيم أبي طالب يزعم أنّه نبيٌّ، فلولا أنت ما انتظرنا به، فإذا جئت فأنت الغاية والكفاية.

قال أبو بكر: فسألت عن النّبي ﷺ فقيل لي: إنه في منزل خديجة، ففزعت عليه، فخرج إليّ، فقلت: يا محمّد، فقدت من منازل أهلك، وتركت دين آبائك. فقال يا أبا بكر: إني رسول الله إليك، وإلى الناس كلهم. فآمِنْ بالله. قلت: وما دليلك؟ قال الشيخ الراهب الذي لقيته باليمن. قلت: وكم من شيخ لقيتُ؟ قال: ليس ذاك أريد، إنّما أريد الشيخ الذي أفادك الأبيات. قلت: ومن خبّرك بها.

قال الروح الأمين الذي كان يأتي الأنبياء قبلي. قلت: مدّ يمينك أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأنّك رسول الله.

قال أبو بكر رضي الله عنه فانصرفت، وما بين لابتيها أشد من رسول الله ﷺ فرحاً بإسلامي.

قال ابن القطان: وروي عن طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه أنه قال: حضرتُ سوق بُصرى، فإذا راهب في صومعة يقول: سلوا أهل هذا الموسم، أفيهم من هو من أهل هذا الحرم؟ قال: قلت: أنا، فما تشاء؟ قال: هل ظهر أحمد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: أحمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، هذا شهرُهُ الذي يخرج فيه، وهو خاتم الأنبياء، مخرجُه من الحرم، ومهاجَرُه إلى نخل وسباخ، إذا كان فلا تُسبقنّ إليه. فوضع في قلبي[2] ما قال، وأسرعت اللحاق بمكة. فسألت: هل ظهر بعدي أمر؟

= وقُتل ثم صُلب وهو أول مصلوب في الإسلام. وذلك في السنة الثانية من الهجرة [٦٢٤].
● الأعلام: ٣٦/٥.

(١) أبو جهل: أبو الحكم عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، قُتل في بدر في السنة الثانية.
● الأعلام: ٢٦١/٥ ـ ٢٦٢.

(٢) في (د): فوقع وكذا في دلائل النبوة للبيهقي.

فقيل: محمد الأمين قد تنبّأ، وتبعه أبو بكر بن أبي قُحافة، فمشيت إلى أبي بكر، فأدخلني إلى رسول الله ﷺ فأسلمتُ.

قلت: وقد روي هذا الحديث عن البيهقي وغيره[١].

فصل

قال ابن إسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، وتُحُدِّث به. ثم إنّ الله سبحانه أمر نبيه عليه السلام[٢] أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادىء الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان[٣] ما أخفى رسول الله ﷺ من أمره واستتر به ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه.

ثم قال الله[٤] عزَّ وجلَّ له: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[٥].

قال ابن هشام: اصدع أي[٦] فرق بين الحق والباطل[٧].

قلت: والمعنى الجيد في الآية: أن معنى أصدع انفذ[٨] وصرّح بما بُعِثْتَ به. وذكر ابن إسحاق: أن أبا طالب عثر يوماً على النبي ﷺ وهو يصلي مستخفياً، وعلي رضي الله عنه يصلّي معه. فقال أبو طالب لرسول الله: يا ابن أخي! ما هذا الدين الذي تدين به[٩]؟ فقال: أي عمّ، هذا دين الله، ودين ملائكته، ودينُ رسله، ودين أبينا إبراهيم عليه السلام[١٠]

---

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: ١٦٦/٢.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: ثم إنّ الله عزَّ وجلَّ أمر رسوله ﷺ.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمرَهُ...
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: ثم قال الله تعالى له...
(٥) الحجر: ٩٤.
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: اصدع: افرق.
(٧) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٨٢/١ - ٢٨٣.
(٨) في الأصل و(ر): انفذ.
(٩) في السيرة النبوية لابن هشام: ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي! ما هذا الدين أراك تدين به؟
(١٠) في السيرة النبوية لابن هشام: بلا تسليم.

ـ أو كما قال ﷺ ـ بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أي عمّ، أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه، وأعانني عليه ـ أو كما قال ـ فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إنّي لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك شيء[1] تكرهه ما بقيت. وذكروا أنه قال: لعلي أي بني ما هذا الدّين الذي أنت عليه؟ فقال[2]: يا أبت/ آمنت برسول الله[3] وصدقته، واتّبعته، فزعموا أنه قال: أما إنه لم يدعك إلا لخير[4] فالزمه[5]. ٧٠/ظ

قال ابن إسحاق: فلمّا بادر رسول الله ﷺ قومه بالإسلام، وصدع به، لم يبعد منه قومُه، ولم يردوا عليه ـ فيما بلغني ـ حتّى ذكر آلهتهم، وعابها. فلما فعل ذلك ناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته، إلا من عصمه الله منهم. وقام عمّه أبو طالب دونه ومنعه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله، مظهراً لأمره، لا يرده عنه شيء[6]. ثم إن كل قبيلة من قريش وثبت على من فيهم من المسلمين يعذّبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله منهم بعمّه أبي طالب. وقام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه. فاجتمعوا إليه، وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إلاّ ما كان من أبي لهب.

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه في جدهم معه، وحدبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم، ومكانه منهم ليشدَّ لهم رأيهم فقال [من الطويل][7]:

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: بشيء.
(٢) في (د): وقال:
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: آمنت بالله وبرسول الله وصدّقته بما جاء به، وصليت معه لله، واتبعته فزعموا أنه قال له:...
(٤) في (د): لم يدعك إلا إلى خير، وفي (ر): لم يدعك إلا للخير.
(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢٤٧.
(٦) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢٦٤، وبينهما خلاف.
(٧) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢٦٤ ـ ٢٦٩، وبينهما خلاف.

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر فعبد مناف سرّها وصميمها
وإن حصّلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإنّ محمداً هو المصطفى من سِرّها وكريمها

ثم ذكر باقي الأبيات، ثم إن الوليد بن المغيرة[1] اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، فقالوا: نقول: كاهن، فقال: والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزة[2] الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: وما هو بمجنون. لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته، قالوا: نقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا: فنقول: ساحر؟ قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة، وسحرهم، فما هو بنفثه ولا عقده. قالوا: فما تقول أنت يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إنَّ لقوله لحلاوة، وإن أصله لغذق، وإن فرعه لجناة ـ ويقال لغدق فيما قال ابن هشام ـ وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإنّ أقرب القول فيه: أن تقولوا: ساحر، فتفرقوا عنه بذلك. فجعلوا يجلسون[3] بسبل الناس لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره. فأنزل الله سبحانه في الوليد قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ الآيات[4].

---

(١) الوليد بن المغيرة: أبو عبد شمس الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، من زعماء قريش وقضاة العرب في الجاهلية. كان ممن حرّم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاماً على شربها، وهو والد خالد بن الوليد. مات الوليد بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون.
● الأعلام: ١٤٤/٩.
(٢) الزّمرة: الكلام الخفي الذي لا يسمع.
(٣) في الأصل: يجلسون سبل الناس.
(٤) المدثر: ١١ ـ ١٦.
● السيرة النبوية لابن هشام: ١٢٧٠ ـ ١٢٧١، وبينهما خلاف.

قال ابن إسحاق: وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ، وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها. فلما خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوّذ فيها بحرم مكة، وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله ﷺ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه [من الطويل]:

فقال أبو طالب:

ولما رأيت القوم لا ودّ[1] فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنّة[2] ... يعضّون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاوِل/ ٧١/و
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي ... وأمسكت من أثوابه بالوصائل
قياماً معاً مستقبلين رتاجه ... لديَّ حيث يقضي حلفه كل نائل[3]
أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء أو مُلحّ بباطل
وثور[4] ومن أرسى ثبيراً[5] مكانه ... وراقٍ ليرقى في حراء ونازل
وبالبيت حقّ البيت من بطن مكة ... وبالله إن الله ليس بغافل[6]
وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافياً غير ناعل
وتوقاً فهم فوق الجبال عشية ... يقيمون بالأيدي صدور الرواحل

---

(١) في (ر): لا ودًّا فيهم.
(٢) في الأصل: أضيئة.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: كل نافل [والنّافل: المتبرّىء].
(٤) ثور: جبل بمكة فيه الغار الذي اختفى فيه الرسول ﷺ في الهجرة مع أبي بكر.
● مراصد الاطلاع: ٣٠٢/١.
(٥) ثبير: من أعظم جبال مكة يقع بينها وبين عرفة، سمي ثبيراً برجل من هذيل مات بذلك الجبل.
● معجم البلدان: ٧٢/٢.
(٦) هذا البيت والذي قبله مداخلان في الأصل.

وليلة جمع والمنازل من منى وما فوقها من حرمة ومنازل[1]

فهل[2] بعد هذا من معاذ لعائذ وهل من معيذ يتقي الله عاذل

يُطاع بنا[3] العدا وودّوا لو أننا تُسدّ[4] بنا أبواب ترك وكابُل

كذبتم وبيتِ الله نترك مكة ونظعن إلاّ أمركم في بلابل

كذبتم وبيتِ الله نُبزى محمداً ولما[5] نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتّى نصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وينهض قوم في الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

وما ترك قوم لا أباً لك سيداً يحوط الذّمار غير ذرب مواكل[6]

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال[7] اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاّك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل

لعمري لقد كُلّفتُ وُجداً بأحمد[8] وإخوته دأب المحب المواصل

فمن مثله في الناس أيُّ مؤمّل إذا قاسه الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائش يوالي إلاهاً ليس عنه بغافل

فوالله لولا أن أجيء بِسُبّة[9] تجرُّ على أشياخنا في المحافل

لكنّا[10] اتبعناه على كل حالة من الدهر جداً غير قول التهازل

لقد علموا أن ابننا لا مكذّب لدينا ولا يُعنى بقول الأباطل

---

(١) في (د): ثم قال ابن هشام.

(٢) في (د): وهل.

(٣) في الأصل: يطاع لنا.

(٤) في (د): يُسدّ.

(٥) في الأصل: ولم.

(٦) الذّمار: ما يجب عليك حمايته والدفاع عنه. والذّرب: الفاحش المنطق. والمواكل: الذي لا جدّ عنده فهو يكل أموره إلى غيره.

(٧) ثمال اليتامى: الذي يقوم بهم ويرعاهم.

(٨) في الأصل: بأحمدا.

(٩) في السيرة النبوية لابن هشام: بسنّة.

(١٠) في الأصل: لا كنّا.

فأصبح فينا أحمد في أرومة تقصر عنها سورة[1] المتطاول
حدِبْت[2] بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرا والكلاكل[3]

قلتُ: والقصيدة أكثر من هذا، تركت أكثرها طلباً للاختصار. وهكذا ما أنقله من السيرة لا ألتزم في ذلك الاستيعاب لئلا أخرج عن مقصود الكتاب.

قال السهيلي: قوله: وموطىء إبراهيم يعني موضع قدمه في الحجر يعني المقام المعروف، وقوله نُبزى محمداً أي نُسلبُه ونُغلبُ عليه. وقوله: نهوض الروايا: هي الإبل تحمل الماء واحدتها راوية. والصلاصل: المزادات لها صلصلة بالماء.

وقوله: غير ذرب مواكل: هو مخفف من ذرب، والذَّرِب: اللسان الفاحش المنطق. والمواكل: الذي لا جدّ عنده فهو يكل أموره إلى غيره.

وقوله: ثمال اليتامى: أي يثمُلُهم ويقوم بهم. يقال هو ثمال مالٍ أي يقوم به[4].

فصل

في آيات الاستسقاء

ومن آيات نُبوّته وكرامته على ربه ﷺ، وما تضمّنه بيتُ أبي طالب وهو قوله: وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه البيت.

---

(١) السورة ـ بضم السين ـ المنزلة والمكانة، والسَورة ـ بالفتح ـ: الشدّة والبطش.
(٢) في الأصل: حذبت، وفي (ر): جديتُ، وفي (د): حديث، والإصلاح من ابن هشام والسياق.
وحدبتُ: عطفت ومنعت.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٧٢/١ ـ ٢٨٠، بينهما خلاف. وعلّق ابن هشام بعدما أورد منها ٩٦ بيتاً بقوله: هذا ما صحّ لي من القصيدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.
(٤) الروض الأنف: ٩٣/٣ ـ ٩٧، بتصرف واختصار.

٧٢/ظ فقد روى البخاري/ في صحيحه في باب الاستسقاء عن ابن عمر[١] رضي الله عنهما أنه قال: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى النبي ﷺ يستسقي فما ينزل حتى يجيش لك ميزاب:

وأبيض يُستقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمة للأرامل[٢]

وفي رواية للبخاري[٣] نسب الشعر إلى أبي طالب. وذكر هنا في السيرة عن من يثق به قال: أقحط[٤] أهل المدينة، فأتوا رسول الله ﷺ، فشكوا ذلك إليه، فصعد رسول الله ﷺ [المنبر][٥] فاستسقى، فما لبث أن جاء من المطر ما أتى أهل الضّواحي يشكون منه الغرق. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم حوالينا ولا علينا**». فانجاب السحاب عن المدينة، فصار حواليها كالإكليل. فقال رسول الله ﷺ: «**لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسرّه**». فقال له بعض أصحابه: كأنّك يا رسول الله، أردت قوله:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال: أجل[٦].

---

(١) في صحيح البخاري: قال: حدثنا عبدالرحمٰن بن عبدالله بن دينار عن أبيه قال: سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب:
وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
وقال عمر بن حمزة: حدّثنا سالم عن أبيه، ربّما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النّبي ﷺ يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب:
وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
وهو قول أبي طالب.

(٢) صحيح البخاري: م١، ٣٢/٢ ـ ٣٤ .باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا.

(٣) في (د) و(ر): وفي رواية البخاري.

(٤) في (ر): قحط.

(٥) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٦) ● أ ـ السيرة النبوية لابن هشام: ٢٨٠/١ ـ ٢٨١.
● ب ـ صحيح البخاري: ٣٣٦/٤ ـ ٣٣٧، باب علامات النبوّة.

قلت: ورواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائم يخطب. فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً ثم قال يا رسول الله: هلكت الأموال، وانقطعت السُّبل، فادعُ الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: **«اللهم أغثنا»**[١].

قال أنس: ولا والله: وما نرى في السماء من سحاب ولا قَزَعة ما[٢] بيننا وبين سَلْع[٣] من بيت ولا دار قال: فطلعتْ من ورائه سحابة[٤] مثل التُّرس[٥]. فلما توسطت السماء انتشرت. ثم أمطرت، فلا[٦] والله ما رأينا الشمس سبْتاً[٧]. قال: ثم دخل رجلٌ من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السُّبل، فادع الله عزَّ وجلَّ[٨] يمسكها عنّا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللّهم حوالينا ولا علينا، اللّهم! على الآكام[٩] والظّراب[١٠] وبطون الأودية، ومنابت الشجر.

---

(١) في صحيح مسلم: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا.
وفي صحيح البخاري: اللهم اسقنا ثلاث مرات.
(٢) في صحيح مسلم: وما بيننا.
(٣) سلْع: جبل بقرب المدينة المنورة، وقيل جبل بسوق المدينة، والمشهور أنه الجبل الذي على باب المدينة.
● مراصد الاطلاع: ٧٢٧/٢.
(٤) في الأصل: سحاب.
(٥) الترس: ما يتقى به السيف، ووجه الشبه الاستدارة والكثافة لا القدر.
(٦) في صحيح مسلم: قال: فلا والله.
(٧) في صحيح البخاري: ستاً.
(٨) في صحيحي البخاري ومسلم: فادع الله يُمسكها عنا.
(٩) الأكام: جمع أكمة وهي التّل، دون الجبل وأعلى من الرابية.
(١٠) الظّراب: جمع ظرب وهي الروابي الصغار.

قال: فأقطعتْ[1]. وخرجنا نمشي في الشمس[2].

وفي رواية لمسلم: قال اللّهم حوالينا ولا علينا، فما يشير بيد إلى ناحية إلا تفرّجت حتى رأيت المدينة في مثل الجوبة. وسال وادي قناة شهراً ولم يجيء أحدٌ[3] من ناحية إلا أخبر بجود[4].

وفي رواية لمسلم: فتقشعت عن المدينة، فجعلت تُمطر حواليها وما تُمطر بالمدينة قطرة، فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مثل الإكليل.

وفي رواية: فرأيت السّحاب يتمزق وكأنه المُلاحِينَ تُطوى[5].

وفي رواية للبخاري[6] فانجابت عن المدينة انجياب الثوب[7].

وقوله في الحديث: دار القضاء، لأنها بِيعت في قضاء دين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، اشتراها معاوية فعرفت بذلك. انظره في كتاب الدلائل لثابت بن حزم[8].

قال السهيلي: والضواحي: جمع ضاحية، وهي الأرض البراز التي ليس فيها ما يكنُّ من المطر. قال: وقوله ﷺ: اللّهم حوالينا، وقوله: اللّهم

---

(١) في صحيح مسلم: فانقلعت.

(٢) ● أ ـ صحيح مسلم، واللفظ له، ٦١٢/٢ ـ ٦١٤، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء.

● ب ـ صحيح البخاري ٣٤/٢ ـ ٣٥، باب الاستسقاء في المسجد.

(٣) في الأصل: أحداً.

(٤) الجود: المطر الشديد.

(٥) صحيح مسلم: ٦١٤/٢ ـ ٦١٥، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء.

(٦) في (د): وفي رواية البخاري.

(٧) صحيح البخاري: ٣٦/٢، باب من اكتفى بصلاة الجمعة في الاستسقاء.

(٨) ثابت بن حزم: أبو القاسم ثابت بن حزم بن عبدالرحمٰن بن مطرف السرقسطي، توفي سنة ٣١٣ وعمره ٩٥ سنة.

● تذكرة الحفاظ: م٢، ٨٦٩/٣، تر: ٨٣٩.

على الأكام والظراب وبطون الأودية، ولم يقل: اللّهم ارفعه عنّا. هو من حسن الأدب في الدّعاء، لأنها رحمة الله تعالى ونعمته المطلوبة منه، فكيف يطلب منه سبحانه رفع نعمته وكشف رحمته. وإنما يُسأل سبحانه كشف البلاء والمزيد من النعماء. ففي هذه تعليم كيفية الاستمحاء[1].

قلت: والجَوَبَةُ بفتح الجيم والباء الموحدة هي الفرجة [في][2] السّحاب وفي الجبال. وواد قناة هو من أودية المدينة. والجوْد بفتح الجيم هو المطر الغزير.

وروى أبو عوانة[3] في مسنده الصحيح عن عامر بن خارجة[4] بن سعد، عن جده سعد رضي الله عنه: أن قوماً شكوا إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر فقال: اجثُوا على الركب، وقولوا: يا ربّ يا ربّ. قال: ففعلوا فسُقوا، حتى أحبّوا أن يكشف عنهم.

قال أبو سعيد النيسابوري وروى مسلم الملائي[5] عن أنس بن مالك[6] رضي الله عنه، قال: بينا رسول الله ﷺ في المسجد إذ أتاه أعرابي فقال:

---

(١) الروض الأنف: ١٠٣/٣، وقد تصرف الثعالبي في النص وبدّل كلمة «الاستسقاء» بالاستمحاء.

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) أبو عوانة: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد الإسفراييني، النيسابوري الأصل، صاحب الصحيح، المسند المخرج على صحيح مسلم، وله فيه زيادات عدة. طوّف الدنيا فسَمِع وحدّث، توفي سنة ستّ عشرة وثلاثمائة [٣١٦].
● تذكرة الحفاظ: م٢، ٧٧٩/٣ ـ ٧٨٠، تر: ٧٧٢.

(٤) عامر بن خارجة بن سعد، روى عن جده سعد بن أبي وقاص. وروى عنه حفص بن النضر السلمي. قال عبدالرحيم بن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: إسناده منكر.
● كتاب الجرح والتعديل: ٣٢٠/٦، تر: ١٧٨٨.

(٥) مسلم الملائي: أبو عبدالله مسلم بن كيسان الملائي الكوفي الضبي الأعور. كان وكيع لا يسمّيه لضعفه، وقال أبو زرعة: مسلم الولائي ضعيف الحديث.
● الجرح والتعديل: ١٩٢/٨ ـ ١٩٣، تر: ٨٤٤.

(٦) في الأصل و(ر): أنس بن مالك.

٧٣/و أتيناك وما لنا بعير/ يئطّ[١]، ولا صبيّ يصطبح وأنشد [الأعرابي][٢] [من الطويل]:

أتيناك والعذراء تذري[٣] دموعها ... وقد شغلت أمّ الصبيّ عن الطفل
وألقى بكفيه الوليد[٤] استكانة ... من الجوع ضعفاً ما يمر وما يحلي[٥]
ولا شيء ممّا يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العاميّ والعلهز[٦] الفسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا ... وأين فرار الناس إلا إلى الرسل؟

فقام رسول الله ﷺ يجرّ رداءه حتى صعِد المنبر، فحمد الله عزَّ وجلَّ، وأثنى عليه، ثم رفع يديه إلى السماء فقال: اللّهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريعاً سريعاً غدقاً طبقاً [عاجلاً][٧] غير رائث، نافعاً غير ضار، تملأ به الضرع وتنبت به الزرع، وتحيي به الأرض بعد موتها. فما والله ردّ رسول الله ﷺ يده إلى نحره حتى ألقت السماء أرواقها[٨]. وجاء أهل البطانة[٩] يضجون: يا

---

(١) في الأصل: ياطّ، وفي دلائل النبوة: يبطُّ.
ومعنى يئط: يحنّ ويصيح، يريد: ما لنا بعير أصلاً لأن البعير لا بد أن يئطّ، وأطيط الإبل، صوتها، وأطّت الإبل تئط أطيطاً: أنّت تعباً أو حناناً.
● لسان العرب: ٢٥٦/٧، حرف الطاء، فصل الألف.
(٢) في (د) و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط، وفي دلائل النبوة للبيهقي: وأنشده:
(٣) في دلائل النبوة: يدمى لبانها.
(٤) في دلائل النبوة: الصبيّ.
(٥) في دلائل النبوة: ولا يخلي بدل وما يحلي [وحليتُ المرأة: جعلت لها حلياً، من باب رمى].
● مختار الصحاح: ١٥٢.
(٦) العلهز: شيء ينبت ببلاد بني سليم، له أصلٌ كأصل البردي. وقيل: هو دم يابس يُدق به أوبار الإبل في المجاعات ويؤكل.
● لسان العرب: ٣٨١/٥، باب الزاي، فصل العين المهملة، دار صادر ـ دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٧٤ ـ ١٩٥٥م.
(٧) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٨) في (د): أرزاقها، وفي (ر): أوراقها، وفي الدلائل: بأبراقها.
(٩) في الأصل: البطالة.

رسول الله! الغرق، فرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء فقال: اللّهم حوالينا ولا علينا. فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه.

ثم قال: لله درّ أبي طالب لو كان حياً قرّت عيناه. من ينشدني قوله؟ فقام عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه فقال أنا، ثم أنشد [من الطويل]:

وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه ... ثِمال اليتامى عصمةٌ للأرامل
يلوذ به الهُلاّك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيتِ الله يغزى[1] محمداً ... ولما نقاتل[2] دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال النبي ﷺ: أجل. قال: فقام أعرابي من بني كنانة فقال [من المتقارب]:

لك الحمد والحمد ممن شكر ... سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة ... وأشخص معها إليه البصر
فلم يك إلا [أن] ألقى الرِدّى ... وأسرع حتّى رأينا الدُرَر
وكان كما قاله عمه ... فهذا العيان وذاك الخبر
فمن يشكر الله يلق[3] المزيد ... ومن يكفر الله يلق الغير

فقال النبي عليه السلام: «**إن يك[4] شاعر[5] يُحسِن فقد أحسنت**»[6].

قال السهيلي: رحمه الله، فإن قيل كيف قال أبو طالب: وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ولم يره قط استسقى؟ وإنما كان استسقاءاته ﷺ

---

(١) في (د): ننزى، وفي الدلائل: يُبزى.
(٢) في (د): يقاتل.
(٣) في الأصل، و(د) و(ر): يلقى وفي (ر): يلق في العجز من البيت.
(٤) في (د): فإن يك.
(٥) في الأصل: شاعراً.
(٦) دلائل النبوة للبيهقي: ١٤١/٦ ـ ١٤٢.

بالمدينة[1]، وفيها شوهد ما كان من سرعة إجابة الله له. فالجواب: أن أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضاً في حياة عبدالمطلب ما دله على ما قال[2].
ثم ساق السهيلي الحديث عن رقيقة[3] بنت أبي صيفي، وقد رواه أيضاً أبو سعيد النيسابوري بسنده عن مخرمة[4] بن نوفل، أن أمّهُ رقيقة بنت أبي صيفي قالت: تتابعت على قريش سنون جذبة[5]، انحلت الجلد، وأرقت العظم، فإذا أنا راقدة الهمّ[6] أو مهمومة[7] إذا أنا بهاتف صيّت يصرخ بصوت صَحِلٍ[8] يقول: يا معشر قريش إن هذا النبي المبعوث منكم، هذا إبّان نجومه، فحيّ هلا بالحيا والخصب، ألا فانظروا منكم رجلاً طُوّالاً عظّاماً أبيض بضّاً[9] أشم العرنين، له فخر يكظم عليه، ألا فليخلص هو وولده وليدلف إليه[10] من كل بطن رجلاً.

---

(١) في الروض الأنف: وإنما كانت استسقاءاته عليه السلام بالمدينة في سفر وحضر، وفيها..

(٢) الروض الأنف: ١٠٤/٣.

(٣) رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف، شاعرة من شواعر العرب ذات فصاحة وبلاغة وهي القائلة:
بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوّذ المطر
وهي التي حذّرت النبي ﷺ حينما اجتمعت قريش تريد قتله فتحوّل عن فراشه وبات عليه علي بن أبي طالب، واختلف في صحبتها.
● أعلام النساء في عالمين العرب والإسلام، لعمر كحالة: ٤٥٩/١ ـ ٤٦٠.

(٤) مخرمة: أبو صفوان مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أمّه رقيقة بنت أبي صيفي صحابي عالم بالأنساب، أسلم يوم الفتح. وكان النبي ﷺ يتّقي لسانه ويداريه، وهو من المؤلفة قلوبهم، وممن حسُن إسلامهم، فشهد حنيناً، وعُمِّر طويلاً، وفقد بصره في خلافة عثمان، وتوفي في خلافة معاوية، عام أربعة وخمسين وعمره مائة وخمس عشرة سنة [١١٥].
● الاستيعاب ١٣٨٠/٣، تر: ٢٣٤٩.

(٥) في الروض الأنف: سنو جذب قد أقحلت الظلف وأرقت العظم فبينا أنا راقدة...

(٦) في الأصل و(د): اللهم.

(٧) في الروض الأنف: مهدمة، ومعي صنوي إذا...

(٨) في الأصل: علق على الهامش منها: ضحل صوته إذا كان فيه بحّة.

(٩) في الروض الأنف: نظّا.

(١٠) في (د) و(ر): وليؤلف إليه...

ألا فليشنوا من الماء، ولْيمسوا من الطيب، وليطوفوا بالبيت سبعاً[1]، ثم ليرتقوا أبا قبيس، فليستسق الرجل، وليؤمن القوم، ألا وفيهم الطيب الطاهر لذاته، إلاّ فغثتم ما شئتم وسقيتم: قالت: فأصبحتُ مذعورة قد قفّ جلدي/ ووَلِه عقلي، فقصصت[2] رؤياي، فوالِحُرمة الحرم، إن بقي أبْطحي إلا قال هذا شيبة الحمد، وتتامّت عنده قريش، وانفضّ إليه[3] من كل بطن رجل، فشنوا وتطيبوا واستلموا، وطافوا، ثم ارتقوا أبا قبيس، وطفق القوم يدِفّون حوله، ما إن يدرك سعيهم مهلة حتى قرّوا بذروة الجبل، واستكفوا[4] جنابيه، فقام عبدالمطلب، فاعتضد ابن ابنه محمداً[5] فرفعه على عاتقه، وهو يومئذ غلام قد أيفع[6] أو كرب ثم قال: اللّهم سادّ الخلة، وكاشف الكربة، أنت عالم غير معلم. ومسؤول غير مبخّل، وهذه عبداؤك، وإماؤك، بعذرات حرمك، يشكون إليك سنتهم[7] التي قد انحلت الضلف والخلف[8] فاسمعن اللّهم، وامطرنّ علينا غيثاً مغيثاً مغدقاً ـ فما راموا ـ والبيتِ ـ أي ما برحوا حتى انفجرت السماء بمائها، وكظ الوادي بثجيجه، هنا انتهى ما[9] رواه السّهيلي[10]، وأبو سعيد النيسابوري، وزاد أبو سعيد عن رقيقة بنت صيفي، قالت: فسمعت أشياخ قريش

٧٤/ظ

---

(١) في الروض الأنف: ألا وفيهم الطيب الطاهر لذاته، ألا فليدع الرجل، وليؤمن القوم، ألا فغثتم أبداً ما عشتم، قالت فأصبحت مذعورة...

(٢) في الروض الأنف: فاقتصصت.

(٣) في الروض الأنف: وانفضّ إليه الناس من كل بطن رجل فشنوا ومسوا واستلموا واطوّفوا...

(٤) في الأصل: كتب على الهامش: واستكفّ القوم بالشيء أحدقوا به.

(٥) في الروض الأنف: محمداً ﷺ.

(٦) في الأصل: كتب على الهامش: أيفع الغلام إذا شبّ، واليفاع: المشرف من الأرض.

(٧) في الروض الأنف: يشكون إليك سنتهم، فاسمعنّ اللهم، وامطرنّ علينا غيثاً مريعاً مغدقاً.

(٨) في (د): الضلف والخفّ.

(٩) في (د): «ما» ساقطة.

(١٠) الروض الأنف: ٣/١٠٤ ـ ١٠٥.

يقولون لعبدالمطلب: هنيئاً لك أبا البطحاء[1] هنيئاً بك عاش أهل البطحاء.

وفي ذلك تقول رقيقة [من البسيط]:

بشيبة الحمد أحيا الله بلدتنا ... وقد فقدنا الحيا واجلوّذ المطر
فجاد بالماء جوْني له سبل ... سحّا فعاشت به الأنعام والشجر[2]
منّا من الله بالميمون طائره ... وخير من بشرت يوماً به مضر
مبارك الأمر يُستسقى الغمام به ... ما في الأنام له عِدْل ولا نظر

قوله بعذرات حرمك: بالعين المهملة والذال المعجمة يعني بفناء حرمك.

[قال صاحب مختصر العين][3]: والعذرة: فناء الدار.

قوله: وكظّ الوادي أي ضاق، قاله الزبيدي واكتظّ الميل بالماء ضاق، وكظه الطعام: ملأ بطنه. والثجيج: الانصباب.

ومن آيات نبوته ﷺ وكرامته على ربه ما رواه أبو عبدالله الحاكم في المستدرك على صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل لعمر بن الخطاب حدثنا عن شأن ساعة العسرة. فقال عمر: خرجنا إلى تبوك[4] في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً، أصابنا فيه عطش شديد، حتى ظننا أن

---

(١) في الأصل: هنيئاً لك بالبطحاء.
(٢) في الأصل: كتب على الهامش: والجويني: الأسود المشرب بحمرة، وأسبلت المرأة ذيلها: أرخته فهي مسبل، والسبل: المطر المسبل، وسحّ المطر وفرس مسح، شبهت سرعته بانصباب المطر.
والدلف فوق الذبيب.
(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
العِدْل: المثل ـ ولا يقبل منها صرف ولا عدل ـ الصرف: التوبة، والعدل: الفدية.
(٤) تبوك: قرية بين وادي القرى والشام بها عين ماء ونخل، وكان بها حصن خرب، وإليها انتهى النبي ﷺ في غزوته المنسوبة إليها، كان قد بلغه أنه تجمع إليه الروم ولخم وجذام فوجدهم قد تفرقوا، وأقام بها ثلاثة أيام ولم يلق كيداً، فعاد إلى المدينة المنورة.
● مراصد الاطلاع: ٢٥٣/١.

رقابنا ستقطع، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فَرْثَهُ فيشربه، ثم يجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: يا رسول الله، قد عودك الله في الدعاء خيراً، فادع الله. فقال: أتحب ذلك! قال: نعم. فرفع يديه، فلم يرجعهما حتى مالت السماء، فأظلت، ثم سكبت، فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر، فلم نجدها جازت العسكر.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين[1] يعني مسلماً والبخاري.

فصل

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً اشتدت عداوتهم لرسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم.

قال عروة بن الزبير قلت لعبدالله بن عمرو بن العاصي: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابوا من رسول الله ﷺ فيما كانوا يظهرون من عداوته؟

قال: حضرتهم يوماً وقد اجتمع أشرافهم في الحِجر[2]، فذكروا رسول الله ﷺ وقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط. سفّه أحلامنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول. قال: فعرفت ذلك في وجهه ﷺ، ثم مضى، فلما مر بهم الثانية، غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مر بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش! أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذبح. قال: فأخذت القوم كلمته حتّى ما

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٢٦٣/١، رقم: ١٢١/٥٦٦، كتاب الطهارة.

(٢) الحِجر: حجر الكعبة المشرفة، وهو مصطبة محوطة بحائط إلى ما دون الصدر، والطواف من خارجه ويقال: إن فيه قبر سارة أمّ إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

● مراصد: ٣٨١/١.

منهم رجل إلاّ كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إنّ أشدّهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفُؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنّه ليقول انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولاً.

قال: فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الغد، اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم/ لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم في ذلك، إذ طلع ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به، وقالوا: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يقول، من عيب آلهتهم، ودينهم، فيقول ﷺ: «**نعم أنا الذي أقول ذلك**».

٧٥/و

قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه، قال: فقام أبو بكر دونه، وهو يبكي.

يقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[(١)]. ثم انصرفوا عنه، فإنّ ذلك لأشدّ ما رأيت قريشاً نالوا من رسول الله ﷺ قطّ[(٢)].

وقوله: ليرفوه بأحسن ما يجد، يقال: رفوت الرجل أرفوه إذا سكنته.

فصل

في ذكر سبب إسلام حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: حدّثني رجل من أسلم[(٣)] كان واعية: أنّ أبا جهل مرّ برسول الله ﷺ عند الصفا، فأذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره[(٤)]، فلم

(١) غافر: ٢٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٨٩/١ ـ ٢٩٠، وبينهما خلاف.

(٣) بنو أسلَم: ـ بضم اللام ـ بطن من قضاعة من القحطانية، وهم بنو أسلم بن الحارث بن قضاعة. وأسلم عدة بطون.
- نهاية الأرب: ٤٩، تر: ٣٤.

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: من العيب لدينه، والتضعيف لأمره.

يكلمه رسول الله ﷺ، وكان[1] هناك مولاة لعبدالله بن جذعان[2] في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادي[3] قريش عند الكعبة فجلس معهم. فلم يلبث حمزة بن عبدالمطلب أن أقبل متوشحاً قوسه، راجعاً من قنص[4] ـ وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له ـ وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتّى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادٍ من قريش إلا وقف وسلّم وتحدّث معهم، وكان أعزّ فتى في قريش وأشدّ شكيمة، فلما مرّ بالمولاة، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم بن هشام، وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبّه، وبلغ منه ما يكره، ثمّ انصرف عنه ولم يكلمه محمد[5]، فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى لم يقف[6] على أحد، معدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن يقع[7] به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها وشجه[8] شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه فأنا[9] على دينه، أقول ما يقول؟ فرُدّ ذلك عليّ إن استطعت. فقامت رجال[10] بني

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: ومولاة لعبدالله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة...

(٢) عبدالله بن جُدعان: أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة، وكانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب، وهو الذي خاطبه أمية بن أبي الصلت بأبيات منها قوله:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك؟ إنّ شيمتك الحياء

● الأعلام: ٤/٢٠٤.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: إلى نادٍ من قريش.

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: من قنص له.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: ﷺ.

(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: ولم يقف.

(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: أن يوقع به.

(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: فشجعه.

(٩) في السيرة النبوية لابن هشام و(د): وأنا على دينه، وفي (ر): فإنّي على دينه.

(١٠) في السيرة النبوية لابن هشام و(د): رجال من بني مخزوم.

مخزوم[١] إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل[٢]: دعوا أبا عمارة، فإنّي والله قد سببت ابن أخيه[٣]. وتم حمزة[٤] على إسلامه، ومتابعة رسول الله ﷺ. فلمّا أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع، وأنّ حمزة سيمنعه، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[٥].

قال السّهيلي: وزاد غير ابن إسحاق في إسلام حمزة أنه قال: لما احتملني الغضب وقلت أنا على قوله، أدركني النّدم على فراق دين آبائي وقومي، وبِتُّ من الشك في أمر عظيم [لا أكتحل بنوم، ثم أتيت الكعبة، وتضرّعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدري للحق، ويذهب عنّي الريب][٦] فما استَتْممتُ دعائي[٧] حتّى زاح عنّي الباطل، وامتلأ[٨] قلبي يقيناً ـ أو كما قال ـ فغدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما كان من أمري، فدعا لي بأن يثبني الله.

وقال حمزة[٩] حين أسلم [من الوافر]:

حمِدتُ اللّهَ حين هدى فؤادي	إلى الإسلامِ والدينِ الحنيفِ
لدين جاء من ربٍّ عزيزٍ	خبيرٍ بالعباد بهم لطيف
إذا تُلِيت رسائلُه علينا	تحدّر دمعُ ذي اللُّب الحَصِيف

---

(١) بنو مخزوم: بطن من لؤي بن غالب، من قريش، وكان لمخزوم من الولد: عمرو، وعامر، وعمران، منهم خالد بن الوليد، وسعيد بن المسيب، التابعي المشهور.
● نهاية الأرب: ٣٧١، تر: ١٥٣٣.

(٢) في الأصل: فقال أبا جهل.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: سبّاً قبيحاً.

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: رضي الله عنه على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله: فلما. . .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٦) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٧) في (د): دعوتي.

(٨) في الأصل: وامتلىء.

(٩) في الروض الأنف: حمزة بن عبدالمطلب.

رسائل جاء أحمدُ من هداها | بآيات مُبيّنَة الحروف
وأحمدُ مصطفى[1] فينا مطاعٌ | فلا تَغْشوه بالقول العَنِيف
فلا والله نسلمه لقوم | ولمّا نقضِ فيهم بالسُّيوف
ونترك منهم قتلى[2] بقاعٍ | عليها الطير كالوِرد العَكُوف/ ٧٦/ظ
وقد خُبِّرت ما[3] صنعت ثقيفٌ | به فجَزى القائلَ مِن ثقيف
إلـه[4] النّاس شرَّ جزاءَ قومٍ | ولا أسقاهم صَوْبَ الخريف[5]

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد[6] بن زياد[7] عن محمد بن كعب[8] القرظي، قال: حدّثتُ أنّ عتبة بن ربيعة ـ وكان سيداً فيهم ـ قال يوماً وهو جالس في نادي قريش والنبيّ[9] ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلّمه وأعرض عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها فنعطيه أيّها شاء، ويكفّ عنّا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد،

---

(١) في (د): المصطفى.
(٢) في الأصل: وقتلى.
(٣) في الأصل: بما صنعت.
(٤) في الأصل: الله.
(٥) الروض الأنف: ٣/١٥٠ ـ ١٥٢.
(٦) يزيد بن زياد: أبو عبدالله يزيد بن أبي زياد، الهاشمي الكوفي، من صغار التّابعين، وكان من أئمة الشيعة الكبار، تُوفي سنة سبع وثلاثين ومائة، وعاش قريباً من إحدى وتسعين سنة.
● سير أعلام النبلاء: ٦/١٢٩ ـ ١٣٣، تر: ٤١.
(٧) في نسخ الأنوار المعتمدة والسيرة النبوية لابن هشام: يزيد بن زياد، وفي جميع المصادر التي عدت إليها تذكرة بيزيد بن أبي زياد.
(٨) محمد بن كعب: أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم، القرظي المدني، كان أبوه كعب من سبي بني قريظة، سكن الكوفة ثم المدينة، توفي سنة عشرين ومائة [١٢٠].
● سير أعلام النبلاء: ٥/٦٥ ـ ٦٨، تر: ٢٣.
(٩) في السيرة النبوية لابن هشام: ورسول الله ﷺ.

فقم[1] إليه فكلّمه، فقام إليه حتى جلس إلى النّبي[2] ﷺ فقال: يا ابن أخي، إنك منّا حيث[3] علمت من السطة[4] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعِبْت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى من آبائهم.

فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلّك تقبل منا بعضها. قال: فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد، أسمع. قال: يا ابن أخي، إن كنت تريد مما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا، حتّى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطبّ، وبذلنا فيه أموالنا حتّى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتّى يداوى منه، أو كما قال له وكانوا يسمون التابع من الجن رئياً، حتّى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه.

قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع منّي، قال: أفعلُ. قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾[5].

ثم مضى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد. ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلفُ بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: قم إليه فكلمه.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: إلى رسول الله ﷺ.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: حيث قد علمت.
(٤) السطة: الشرف.
(٥) فصلت: ١ ـ ٤.

أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطعوني واجعلوها لي خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ. فإن تصبه العرب فقد كفيتموه، وإن يظهر على العرب فملكُه ملككم، وعزُّه عزّكم، وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم[1].

قلت: وروى غير ابن إسحاق: أن النبي ﷺ لما بلغ في قراءته على عتبة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾[2]، أرعد الشيخ، وقف شعره، وأمسك على فم النبي ﷺ وناشده بالرحم أن يمسك.

وقال حين فارقه: والله لقد سمعت شيئاً ما هو بالشعر، ولا هو بالكهانة، ولا هو بالسحر، ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي.

قال ابن إسحاق: ثم إنّ الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنّساء، وقريش تحبس من قدرت على حبسه، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين[3].

ثمّ ذكر ابن إسحاق عن أشراف قريش أنهم اجتمعوا وعرضوا على النبي ﷺ، ما عرض عليه عتبة بن ربيعة، فقال لهم ﷺ: «**ما جئت بما جئتكم به لأطلب به أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، بشيراً ونذيراً وأنزل عليَ كتاباً و﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾[4]، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في**

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢٩٣ ـ ٢٩٤، وبينهما خلاف.
(٢) فصلت: ١٣.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢٩٤ ـ ٢٩٥.
(٤) اقتباس من الآية: قال: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

٧٧/و **الدنيا والآخرة وإن/ تردّوه أصْبِر، حتّى يحكم الله بيني وبينكم**». أو كما قال ﷺ[١].

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق أنّ أبا جهل قال: يا معشر قريش إنّ محمداً قد أبى إلاّ ما ترون من عيْب ديننا وتسفيه أحلامنا، وإنّي أعاهد الله لأجلسنّ له غداً بحجر ما أطيق حمله ـ أو كما قال ـ فإذا سجد في صلاته فضختُ به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع[٢] بعد ذلك بنو عبد مناف[٣] ما بدا لهم؛ قالوا: والله لا نسلمك لشيء أبداً، فامض لما تريد. فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجراً كما وصف، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، فقام ﷺ يصلّي، وجلست قريش في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد ﷺ احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتّى دنا منه رجع منهزماً، منتقعاً لونه، مرعوباً، قد يبست يداه على حجره، حتّى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش، فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمتُ إليه أفعل ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا قَصَرته[٤]، ولا أنيابه، لفحل قط. فهمّ بي أن يأكلني.

قال ابن إسحاق: فذكر لي أنّ رسول الله ﷺ قال: «**ذلك جبريل لو دنا لأخذه**». فلما قال لهم ذلك أبو جهل، قام النضر بن الحارث[٥]، فقال:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢٩٥ ـ ٢٩٦، وبينهما خلاف.

(٢) في الأصل: فليتصنع، وفي (ر): فلتصنع.

(٣) بنو عبد مناف: بطن من قريش من العدنانية، وهم بنو عبد مناف بن قصي.
● نهاية الأرب: ٣١١، تر: ١٢٣٦.

(٤) القصَرَةُ: أصل العنق.

(٥) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلنده بن عبد مناف، صاحب لواء المشركين ببدر، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، وهو ابن خالة النبي ﷺ، ولما ظهر الإسلام استمر على كفره، وأُسِر في بدر وقتل.
● الأعلام: ٨/٣٥٧.

يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعدُ، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، أصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صُدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحرٌ. لا والله ما هو بساحر، قد رأينا السّحرة نفثهم وعقّدهم، وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهنٍ، وقلتم: مجنون [ما هو والله بمجنون](١)، وقلتم: شاعر ما هو والله بشاعر، فانظروا في شأنكم. ثم إنّ قريشاً بعثوا إلى أحبار يهود، يسألونهم عن النبي ﷺ فقالت لهم الأحبار: سلوا محمداً عن ثلاث نأمركم بهنّ فإن أخبركم بهنّ فهو نبيٌّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول. سلوه عن فتية ذهبوا في الدّهر الأول ما كان أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طوّاف، قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبأه؟ وسلوه عن الروح، فإن أخبركم بذلك فاتّبعوه فهو نبيٌّ، فجاؤوا رسول الله ﷺ، فسألوه عن هذه الثلاث، فقال لهم ﷺ: «**غداً أخبركم بما سألتم عنه**»، ولم يستثن، فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله ﷺ ـ فيما يذكرون ـ خمس عشرة ليلة ـ لا يوحى إليه حتّى أحزنه تأخّر الوحي، وشقّ عليه، فأرجف به أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة(٢) ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء، ثم جاءه جبريل من الله سبحانه بجواب ما سألوه عنه وبغيره. فأنزل الله تعالى في ذلك ما تضمّنته سورة الكهف(٣).

قلت: وذكر عياض في الشفاء من حديث أبي هريرة أنّ أبا جهل وعد قريشاً لئن رأى محمداً يصلي ليطأنّ رقبته. فلما صلّى النبي ﷺ أعلموه، فأقبل، فلما قرب منه، ولّى هارباً ناكصاً على عقبيه، متّقياً بيديه. فسُئل فقال(٤): لما دنوت منه أشرفت على خندق مملُوءاً(٥) ناراً كدت أهوي فيه،

---

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) في الأصل و(د): خمسة عشرة.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٩٩/١ ـ ٣٠٢، وبينهما خلاف.
(٤) في الشفاء: فسئل فقال: . . .
(٥) في الشفاء: على خندق مملوءة ناراً.

وأبصرت هولاً عظيماً، وخفق أجنحة قد ملأت الأرض. فقال[1] ﷺ: تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضواً عضواً، ثم أنزل[2] الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦﴾[3] إلى آخر السورة[4].

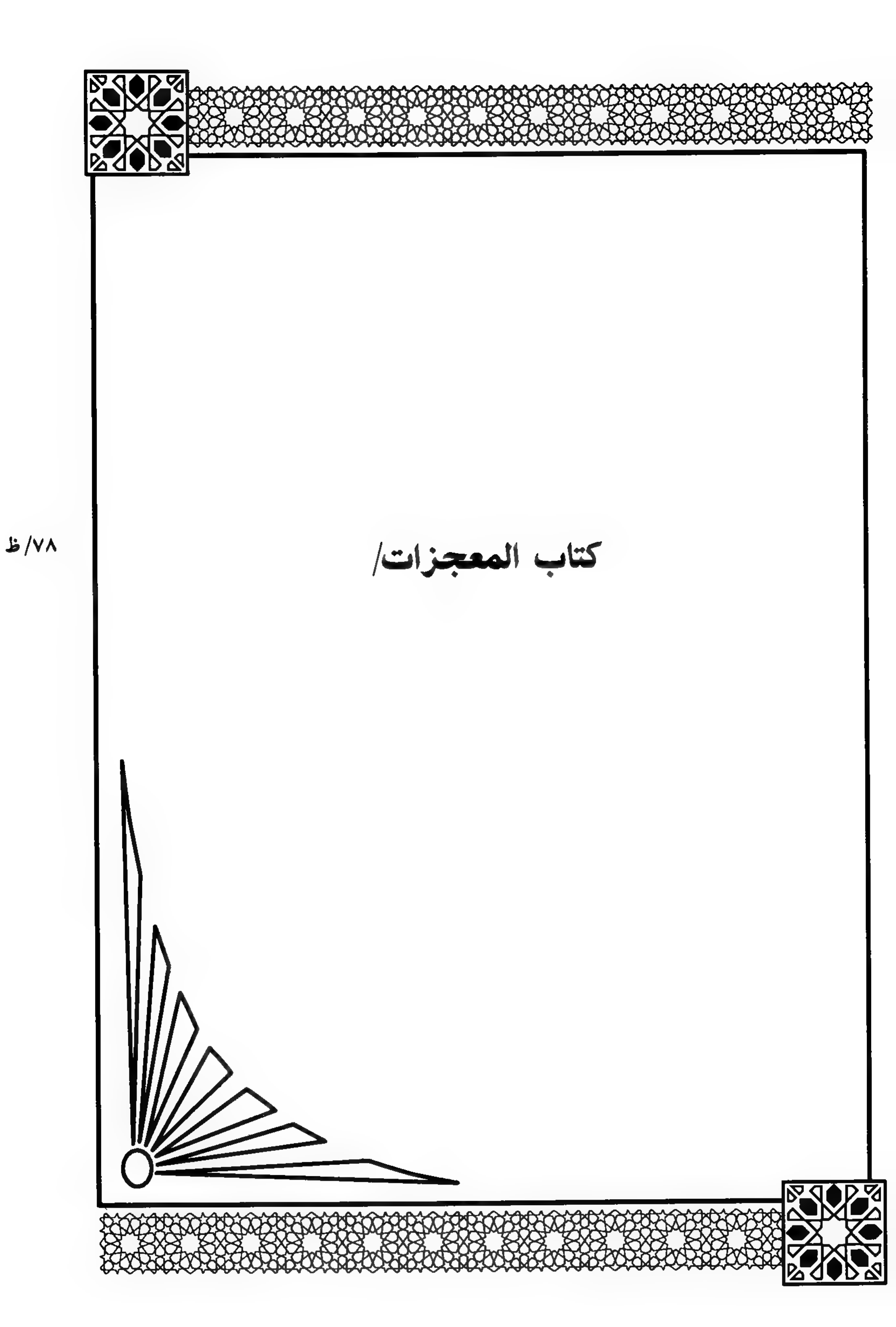
قلت: ولما لم ينته عدوّ الله انتقم الله منه يوم بدر، مع أصحابه، قد آن لنا أن نشرع في ذكر المعجزات، وما خصّ الله نبينا محمداً ﷺ من عظيم الآيات.

* * *

انتهى بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الأول من الأنوار ويليه الجزء الثاني وأوله «كتاب المعجزات».

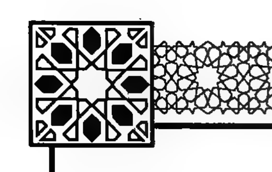
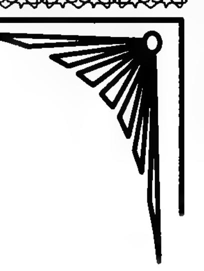


(١) في الشفاء: فقال النبي ﷺ.
(٢) في الشفاء: ثم أُنزل على النبي ﷺ.
(٣) الشفاء: ١/٤٩٨ ـ ٤٩٩.
(٤) العلق: ٦.



كتاب المعجزات/

٧٨/ظ

اعلم وفقني الله وإياك لمرضاته، وعمّ جميعنا بجزيل فضله، وعميم خيراته، أنّ كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نُبوّة نبينا محمد ﷺ، ولا لطاعن في معجزاته، فنحتاج إلى نصب الأدلة[1] وإقامة البراهين، وإنما جمعناه وألّفناه لأهل ملّته، الملبّين لدعوته، المصدّقين لنبُوّته ـ المحبّين له، المقتفين لسيرته، التابعين لسُنّته، ليكون تأكيداً في محبّتهم، ومُنِمّاة لأعمالهم، وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، جعلنا الله سبحانه بكرمه منهم، المنتظمين في زمرتهم.

والقصد أن نثبت ـ إن شاء الله ـ في هذا الكتاب أمهّات المعجزات، ومشاهير[2] الآيات، الدالة على عظيم قدره عند ربّه ﷺ، ونأتي ـ إن شاء الله ـ منها بالمحقق والصحيح الإسناد، وأكثره مما قد بلغ مبلغ القطع أو كاد. ونضيف ـ إن شاء الله ـ إلى ذلك، ما وقع في كتب مشاهير الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمّة.

وإذا تأمّل المُوفّق ما قدمناه من عظيم آياته، وما خصّه الله سبحانه من كراماته، لم يمتر في صحة نبوّته، وصدق دعوته ﷺ.



(١) في (د) الدلاَلة.

(٢) في الأصل: ومشاهر.



باب في رسم المعجزة والآية وذكر الفرق بينهما

قال ابن القطان: المعجزة: فعل يظهر على يدي مدّعي النبوة، بخلاف العادة، في زمان التكليف، موافقاً لدعواه، وهو يدعو الخلق إلى معارضته، ويتحدّاهم أن يأتوا بمثله، فيعجزون عنه، فيتبين به صدق من ظهرت على يده.

وأما الآية: فهي العلامة الخارقة للعادة، وهي أعمّ من المعجزة، إذ من شرط المعجزة التّحدي بها، والآية قد لا يتحدّى بها، بل تظهر خارقة للعادة على يد النّبي، وإن لم يتحدّ بها في الحال. ولذلك يُسمى ما قبل بعثه، وقبل وجوده، آية ولا يسمى معجزة، إلا بضرب من المجاز، وكذلك ما بعد وفاته ﷺ، يقال فيه: آية، ولا يسمى معجزة.

قال عياض وغيره: ولما جاءت الرسل بما دلّ على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهُم في جميع ما أتوا به. لأن المعجزة مع التّحدي من النبي[1] قائم مقام قول الله: صدق عبدي فأطيعوه واتّبعوه، وشاهد على صدقه فيما يقوله؛ وهذا كاف، والتطويل فيه خارج عن الغرض[2].

قال عياض: والنبيء[3] في لغة من همز مأخوذ من النبأ وهو الخبر، وقد لا يهمز على هذا التأويل تسهيلاً. قال: وأما الرسول: فهو المُرسل[4].

قلت: قال السّهيلي: وبين الرسول والمرسل معنًى دقيق ينتفع به في فهم قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ﴾[5] فإنه لا يحسن في مثل هذا أن يقال أرسلناك مرسلاً... واختصار القول فيه أنه ليس[6] كل مرسل رسولاً فالرّياح مرسلات، والحاصب[7] مرسل، وكذلك كل عذاب أرسله الله

---

(١) في الشفاء: من النبيّ ﷺ.
(٢) الشفاء: ٣٤٦/١.
(٣) في الشفاء: فالنبوة في لغة من همز مأخوذة...
(٤) الشفاء: ٣٤٦/١.
(٥) النساء: ٧٩.
(٦) في الروض الأنف: واختصار القول فيه أن ليس كل مرسل...
(٧) في الأصل: كتب على الهامش: ولعله العاصف.

سبحانه، وإنما الرسول اسم للمبلغ عن المرسل قوله[1].

قال عياض في «الشفاء» اعلم أن تسمية[2] ما جاءت به الأنبياء معجزة، هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها؛ وهي على ضربين؛ ضرب هو من نوع قدرة البشر، فعجزوا عنه، فتعجيزهم عنه فعل لله دالّ[3] على صدق نبيه: كصرفهم عن تمنّي الموت[4]. وضرب هو خارج عن قدرتهم[5] كإحياء الموتى، وقلب العصا حية، وإخراج ناقة من صخرة، وكلام شجرة، ونبع الماء من الأصابع، وانشقاق القمر، مما لا يمكن أن يفعله[6] إلا الله سبحانه فيكون ذلك على يد النبي[7] من فعل الله تعالى، وتحدّيه من يكذّبه أن يأتي بمثله تعجيزاً[8] له.

قال: واعلم أنَّ المعجزات التي ظهرت على يدي نبيّنا محمّد[9] ﷺ، ودلائل نبوّته، وبراهين صدقه، هي من هذين النوعين معاً. وهو[10] ﷺ أكثر الرسل معجزة، وأبهرهم آية، وأظهرهم برهاناً. كما بيّناه[11]، وكما سنُبيّنه، وهي في كثرتها، لا يحيط بها ضبط. فإن واحداً منها، وهو القرآن، لا يحصى عدد معجزاته، بألف، ولا ألفين، ولا أكثر؛ لأن النبيّ ﷺ قد تحدّى بسورة منه، فعُجز عنها/. ٧٩/و

قال أهل العلم: وأقصر السّور[12]: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[13].

---

(١) الروض الأنف: ٤٠٨/١، باختصار وتصرّف.
(٢) في الشفاء: اعلم أن تسميتنا ما جاءت...
(٣) في الشفاء: دلّ.
(٤) في الشفاء: وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم، ونحوه.
(٥) في الشفاء: فلم يقدروا عن الإتيان بمثله؛ كإحياء الموتى...
(٦) في الشفاء: أحدٌ، إلا الله، فيكون ذلك...
(٧) في الشفاء: ﷺ.
(٨) في الشفاء: تعجيز له...
(٩) في الشفاء: نبينا ﷺ دلائل نبوّته وبراهين صدقه، من هذين...
(١٠) في الشفاء: وهو أكثر الرسل ـ بلا تصلية ـ.
(١١) في الشفاء: سنبيّنه وكما...
(١٢) في (د): السورة.
(١٣) الكوثر: ١ ـ ٣.

فكل آية أو آيات منها[1] بعددها وقدرها معجزة؛ ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصّله[2] إن شاء الله تعالى، ثم معجزاته ﷺ على قسمين: قسم منها عُلم قطعًا، ونقل إلينا متواتراً، كالقرآن[3] بلا مرية[4]. وقسم[5] لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع ـ يعني عند قوم ـ وهو على نوعين:

أ ـ نوع مشتهر منتشر رواه العدد، وشاع الخبر به عند المحدّثين والرواة، ونقلة السّير[6] والأخبار، كنبع الماء من بين الأصابع، وتكثير الطعام.

ب ـ ونوع منه اختصّ به الواحد والاثنان، ورواه العدد اليسير، ولم يشتهر اشتهار غيره، لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى، واجتمعا على الإتيان بالمعجز كما قدّمناه.

قال[7] أبو الفضل: وأنا أقول صدعاً بالحق: إن كثيراً من هذه الآيات المأثورة عنه عليه السلام[8] معلومة بالقطع، أما انشقاق القمر فالقرآن نصّ بوقوعه، وأخبر عن وجوده، ولا يعدل عن ظاهره[9] إلا بدليل، وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة، فلا يوهن[10] عن عزمنا خلاف أخرق منحلّ عرى الدين، ولا يُلتفت إلى سخافة مبتدع يُلقي الشك في[11] قلوب ضعفاء المؤمنين، بل نرغم بهذا أنفه، وننبذ بالعراء سُخفه. وكذلك قصّة نبع الماء وتكثير الطعام، رواها الثقات، والعدد الكبير[12]. ومنها ما

---

(١) في الأصل و(ر): منه.
(٢) في الشفاء: فيما انطوى عليه من المعجزات. ثم...
(٣) في الشفاء: فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبيّ به.
(٤) الشفاء: ١/٣٤٩ ـ ٣٥١.
(٥) في الشفاء: والقسم الثاني.
(٦) في (ر): ونقلة السّيرة.
(٧) في الشفاء: قال القاضي أبو الفضل.
(٨) في الشفاء: ﷺ.
(٩) في الشفاء: عن ظاهر.
(١٠) في الشفاء: و(ر): ولا يُوهن...
(١١) في الشفاء: على.
(١٢) في الشفاء: عن الجمّاء الغفير، عن العدد الكثير من الصحابة، ومنها...

رواه الكافة عن الكافة متصلاً عن[1] جملة من الصحابة وإخبارهم، أنّ ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق، وفي غزوة بواط[2]، وعمرة الحديبية، وغزوة تبوك، وأمثالها، في محافل المسلمين، ومجمع العساكر، ولم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه[3]. فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق إذ هم المنزّهون عن السكوت على باطل، والمداهنة في كذب[4].

ثم قال عياض: وما عندي أوجب قول القائل إنّ هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها، وشغله بغير ذلك من المعارف، وإلا فمن اعتنى بطريق[5] النقل، وطالع الأحاديث والسيّر، لم يرتب[6] فيما ذكرناه، ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد، ولا يحصل عند آخر. فإن أكثر الناس يعلمون ـ بالخبر ـ كون بغداد موجودة؛ وأنها مدينة عظيمة، ودار الإمارة والخلافة، وآحاد الناس لا يعلمون اسمها، فضلاً عن وصفها[7].



(١) في الشفاء: عمّن حدّث بها من جملة الصحابة...
(٢) بواط: اسم جبل من جبال جهينة بينه وبين المدينة المنوّرة أربعة برد.
● مراصد الاطلاع: ٢٢٨/١.
(٣) في الشفاء: ولا إنكار لما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه.
(٤) الشفاء: ٣٥٢/١ ـ ٣٥٥.
(٥) في الشفاء: بطرق.
(٦) في الشفاء: في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه، ولا يبعد...
(٧) الشفاء: ٣٥٧/١.

 باب في إعجاز القرآن ومما اشتمل عليه من العجائب والبيان

قال عياض ـ رحمه الله تعالى ـ:اعلم-وفّقنا الله وإيّاك ـ أن كتاب الله العزيز منطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه:

الأول[1] **منها**:في حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام. قد خُصُّوا من البلاغة والحِكَم ما لم يُخصّ به غيرهم من الأمم، وأُوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان، ومِن فصل الخطاب ما يقيّد[2] الألباب. جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلِقة، وفيهم غريزة وقوة، يأتون منه على البديهة بالعجب، ويدْلون به إلى كلّ سبب؛ فيخطبون بديهاً في المقامات، وشديد الخطب، ويرتجزون به بين الطعن والضرب، ويمدحون، ويقدحون، ويتوسّلون ويتوصّلون، ويرفعون ويضعون، فيأتون من ذلك بالسّحر الحلال، ويطوّقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل، فيخدعون الألباب، ويذّللون الصعّاب، ويُذهبون الإحن، ويهيجون الدّمن، ويُجرؤون الجبان، ويبسطون يد الجعد البنان، يصيّرون الناقص كاملا[3]، ويتركون النبيه خاملاً، منهم البدويّ ذو اللفظ الجزل، والقول الفصل، والكلام الفخم، والطبع الجوهري[4]/ والمنزع القوي، ومنهم الحضريّ ذو البلاغة البارعة، والألفاظ النّاصعة، والكلمات الجامعة، والطبع السهل، والتصرف في القول القليل الكلفة، الكثير الرّونق، الرقيق الحاشية، وكلا البابين [لهما][5] في البلاغة الحجة البالغة، والقوة الدامغة[6]، لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم، والبلاغة ملك قيادهم، قد حووا فنونها، واستنبطوا عيونها، ودخلوا من كل باب

٨٠/ظ

(١) في الشفاء: أولها: حسن تأليفه...
(٢) في (ر): ما لم يقيد الألباب.
(٣) في الأصل: كلاماً.
(٤) في الأصل و(د): الجهوري، والإصلاح من (ر) والشفاء، والجوهري: النفيس.
(٥) في الشفاء: فلهم.
(٦) في الشفاء: والقدح الفالج، والمهيع الناهج.

من أبوابها، وعلوا صرحاً لبلوغ أسبابها، فقالوا في الخطير والمهين، وتفنّنوا في الغثّ والسّمين، وتقالوا في القُلّ والكُثر[1]، وتساجلوا في النظم والنثر، فما راعهم إلا رسول[2] كريم، بكتاب عزيز ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[3] أحكمت آياته، وفصلت كلماته، [وبهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مَقُول، وتظافر إيجازه وإعجازه][4] وتظاهرت حقيقته ومجازه[5]، وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالاً، وأشهر في الخطابة رجالاً، وأكثر في السجع والشعر سجالاً، وأوسع في الغريب [واللغة مقالاً، نزل[6] بلغتهم التي بها يتحاورون، ومنازعهم التي عنها يتناضلون][7] صارخاً بهم في كل حين، ومُقرّعاً لهم بضعاً وعشرين[8]، على رؤوس الملأ أجمعين: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[9] ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[10]، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾[11] وقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ الآية[12]. ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[13].

وذلك أنّ المفترَى أسهل، ووضع الباطل والمختلق على الاختيار

---

(١) في (ر): الكثير.
(٢) في (د): إلا رسول الله.
(٣) فصلت: ٤٢.
(٤) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٥) في الشفاء: وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كل بيان جوامعه وبدائعه، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه، وهم...
(٦) في الشفاء: فعل «نزل» ساقط.
(٧) في (ر): ما بين الحاصرتين غير وارد.
(٨) في الشفاء: وعشرين عاماً.
(٩) يونس: ٣٨.
(١٠) في الشفاء: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟...﴾.
(١١) البقرة: ٢٣ ـ ٢٤.
(١٢) الإسراء: ٨٨. وفي الشفاء: أكمل الآية: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾.
(١٣) هود: ١٣.

أقرب[1]، فلم يزل يقرّعهم[2]، أشدّ التقريع، ويسفّه أحلامهم، ويحطّ أعلامهم، ويُشتّت نظامهم، ويذمّ آلهتهم وآباءهم، ويستبيح أرضهم وديارهم[3]، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته، مخادعون[4] أنفسهم بالتشغيب والتكذيب[5]، والرضا بالدّنية، كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾[6]، و﴿فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[7] و﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[8] والادعاء مع العجز بقولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾[9] وقد قال لهم[10] تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾[11] فما فعلوا ولا قدروا[12].

وكون القرآن في فصاحته خارقاً للعادة، معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة، وسبيل من ليس من أهل البلاغة أن يعلم ذلك بعجز أهلها عن معارضته، واعتراف المقرين بإعجاز بلاغته.

والوجه الثاني: من إعجاز صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب، المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها[13].

والوجه الثالث: من الإعجاز: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيّبات،

---

(١) في الشفاء: واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب، ولهذا قيل: فلان يكتب كما يقال له، وفلان يكتب كما يريد، وللأول على الثاني فضل، وبينها شأن بعيد.

(٢) في الشفاء: ﷺ أشد التقريع، ويوبّخهم غاية التوبيخ...

(٣) في الشفاء: وأموالهم، وهم...

(٤) في الشفاء: يخادعون...

(٥) في الشفاء: والإغراء بالافتراء، وقولهم: «إنْ هذا إلا سحر يؤثر» و«سحر مستمر» و«إفك افتراه»، و«أساطير الأولين»، والمبهاتة.

(٦) البقرة: ٨٨.

(٧) فصلت: ٥.

(٨) فصلت: ٢٦.

(٩) الأنفال: ٣١.

(١٠) في الشفاء: الله تعالى.

(١١) البقرة: ٢٤.

(١٢) الشفاء: ٣٥٨/١ ـ ٣٦٤.

(١٣) الشفاء: ٤٦٩/١.

وما لم يكن ولم يقع، فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر. كقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[1].

وقوله[2]: ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤﴾[3].

وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[4][5].

وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[6][7]، إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

والوجه الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السّالفة، والأمم البائدة[8]، والشرائع الدّاثرة[9]، وقصص الأنبياء مع أممهم[10]، وخبر موسى مع الخضر، ويوسف وإخوته، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، ولقمان وابنه، وأشباه ذلك من الأنبياء[11]، وبدء الخلق، وما في التوراة والإنجيل والزّبور وصحف إبراهيم وموسى، ممّا صدّقه فيه العلماء بها، ولم يقدروا على تكذيبه[12] فيما ذكر منها، بل أذعنوا لذلك[13]، فكانوا بين موفّق ساعده

---

(١) الفتح: ٢٧.

(٢) في الشفاء: وقوله تعالى.

(٣) الروم: ٣ ـ ٤.

(٤) في الشفاء: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾.

(٥) التوبة: ٣٣.

(٦) في الشفاء: ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾.

● النور: ٥٥.

(٧) الشفاء: ١/٣٧٥.

(٨) في الأصل: و(د): البادية.

(٩) الشفاء: ١/٣٧٩.

(١٠) في الشفاء: مع قومهم.

(١١) في الشفاء: من الأنبياء والقصص...

(١٢) في الشفاء: على تكذيب ما ذكر منها.

(١٣) الشفاء: ١/٣٨٠.

التّوفيق، وبين شقي مخذول سُدّ في وجهه متسع الطريق، ولم يُحك عن واحد من أهل الكتاب أنّه أنكر شيئاً من ذلك أو كذّبه، بل أكثرهم صرّح بصحة نُبُوّته، وصدق مقالته، معترفاً بعناده، وحسدهم إياه، كأهل نجران، وابن صوريا، وابني أخطب[1]، وغيرهم/. ٨١/و

فصل

ومن الوجوه البيّنة في إعجاز القرآن من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها، فما فعلوا، ولا قدروا على ذلك، كقوله لليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾[2].

قال أبو إسحٰق الزّجاج[3]: في هذه الآية أعظم حجّة وأظهر دلالة على صحة الرسالة، لأنه قال لهم: «**فَتَمَنوا المَوْت**» وأعلمهم أنهم لن يتمنّوه أبداً، فلم يتمنّه واحد منهم.

وعن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلاّ غصّ بريقه**». يعني يموت مكانه. فصرفهم الله عن تمنّيه وخوّفهم ليظهر صدق رسوله، وصحة ما أوحي إليه، إذ لم يتمنّه أحدٌ منهم، وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا، ولكن الله يفعل ما يريد، فظهرت بذلك معجزته وبانت حُجّته.

قال أبو محمد الأصيلي[4]: من أعجب أمرهم أنهم لا توجد منهم

---

(١) ابنا أخطب: أبو ياسر، وحيي، ابنا أخطب، وحيي هو والد صفية أم المؤمنين، وهما من بني النضير من زعماء اليهود. استحوذ عليهما الشيطان مع قومهم فدارت عليهم الدائرة فقتلوا بعد خيانتهم للعهد الذي بينهم وبين الرسول ﷺ.
● دلائل النبوّة للبيهقي، ٥٣٢/٢ ـ ٥٣٣.

(٢) البقرة: ٩٤.

(٣) أبو إسحٰق الزجاج: إبراهيم بن محمد بن السّرتي الزجاج البغدادي، نحوي زمانه، لزم المبرّد فنصحه وعلّمه حتّى أصبح إماماً في اللغة، من تآليفه: معاني القرآن، وكتاب الاشتقاق، والنوادر، وفعلت وأفعلت، وكتاب العروض، أخذ عنه أبو علي الفارسي وجماعة. توفي سنة ٣١١هـ.
● سير أعلام النبلاء، ٣٦٠/١٤، تر: ٢٠٩.

(٤) أبو محمد الأصيلي: عبدالله بن إبراهيم، شيخ المالكية وعالم الأندلس، تفقه بقرطبة. =

جماعة ولا واحد من يوم أمر الله نبيه ذلك يقدم عليه، ولا يجيب إليه. وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم.

وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة نجران، وأبوا الإسلام، فأنزل الله آية المباهلة[1] ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾[2] فأخبرهم أنهم لا يفعلون؛ كما كان. وهذه الآية أدخل في باب الإخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها[3]. وقد عدّ جماعة من الأيمّة ومقلدي الأمة في إعجاز القرآن وجوهًا كثيرة، يطول ذكرها، فمنها: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه. كما ورد في الصحيحين عن جبير بن مطعم قال: سمعت النبيّ ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فما بلغ هذ الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧)﴾[4] كاد قلبي[5] يطير[6]، وفي رواية: وذلك أوّل ما وقر الإيمان[7] في قلبي[8]، ومنها: جمعه لعلوم ومعارف لم تعهدها العرب ولا

= وسمع علماء مصر، ومكة، وبغداد، تولّى قضاء سرقسطة، وكان من حفاظ مذهب مالك، فهو نظير ابن أبي زيد القيرواني، وعلى هديه، توفي سنة ٣٩٢.

● سير أعلام النبلاء، ٥٦٠/١٦ ـ ٥٦١، تر: ٤١٢.

(١) في الشفاء: بقوله: «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. فامتنعوا منها، ورضوا بأداء الجزية، وذلك أنّ العاقب عظيمهم قال لهم: قد علمتم أنه نبيّ، وأنه ما لاعن قوماً نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم.

(٢) البقرة: ٢٣ ـ ٢٤.

(٣) الشفاء: ٣٨٢/١ ـ ٣٨٤.

(٤) الطور: ٣٥ ـ ٣٧.

(٥) في صحيح البخاري: كاد قلبي أن يطير.

(٦) صحيح البخاري: ١٧٥/٦، كتاب التفسير.

(٧) في الشفاء: الإسلام.

(٨) الشفاء: ٣٨٦/١.

يحيط بها أحد من علماء الأمم، ولا يشمل عليها كتاب من كتبهم.

فصل

في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال تبارك وتعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾(١) أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفّار عن آياته. وأجمع المفسرون وأهل السنّة على وقوعه(٢).

وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل وفرقة دونه. فقال رسول الله ﷺ: **«اشهدوا»**(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: سأل أهل مكة النبيّ ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتّى رأوا حراء بينهما(٤).

وروى مسروق(٥) عن ابن مسعود أنّ انشقاق القمر كان بمكة. فقال كفّار قريش: سحركم. فقال رجل منهم: إن كان محمد سحر القمر، فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها. فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر: هل رأوا هذا فأتوا، فسألوا، فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك.

---

(١) القمر: ١ ـ ٢.

(٢) الشفاء: ٣٩٦/١ ـ ٣٩٧.

(٣) صحيح البخاري: ١٧٨/٦، كتاب التفسير، و٢٥١/٤، باب سؤال المشركين أن يريهم النبيّ ﷺ آية، فأراهم انشقاق القمر.

(٤) في صحيح البخاري روايتان عن أنس بن مالك رضي الله عنه:
- أ ـ سأل أهل مكة أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر.
- ب ـ انشقّ القمر فرقتين. وليس في الروايتين: «حتّى رأوا حراء بينهما».

(٥) مسروق: أبو عائشة مسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي أخذ عن عمر، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود، وأبيّ، رضي الله عنهم، وأخذ عنه الشعبي، وخلق، وهو ابن أخت البطل عمرو بن معدي كرب... وكان أعلم بالفتوى من شريح، وتوفي سنة ثلاث وستين. وسمي مسروقاً لأنه سرق في صغره.
- تذكرة الحفاظ، ٤٩/١ ـ ٥٠، رقم ٢٦.

وحكى السمرقندي[1] عن الضحّاك[2] نحوه. وقال: فقال أبو جهل: هذا سحر، فابعثوا إلى أهل الآفاق: أرأوا ذلك أم لا؟ فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً. فقالوا: يعني الكفار - هذا سحر مستمر[3].

وخرّج الطحاوي [حكاه ابن الخطيب[4]، أن الشمس رجعت بعدما غربت ثلاث مرات.

مرة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حسبما قدم الشيخ في الأصل.

ومرة ليوشع بن نون عليه السلام أنه كان في مغارة فخاف من العدو وغربت الشمس فدعا الله فرجعت حتّى تجاوز المكان المخوف.

ومرة حين أسري به ﷺ، فجعل ﷺ يصف لهم بيت المقدس وأنكروا[5] عليه قريش فقالوا: مسيرة شهر في المشي، وشهر في الرجوع، وهو يطويها في ليلة، فسألوه عن غلمانهم قالوا: كيف التجارة؟ متى يقدمون؟ فقال لهم ﷺ: «**يقدمون يوم الأربعاء**»، فانتظروا حتّى غربت الشمس فلم يقدموا، فدعا الله فرد الشمس حتّى قدموا في النهار تصديقاً له ﷺ][6]. عن[7] أسماء بنت عميس[8] رضي الله عنها من طريقين: أنّ

---

(١) السمرقندي: أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن قاسم الحافظ، لم يكن في زمانه مثله في فنه في الشرق والغرب، له كتاب «بحر الأسانيد في صحاح المسانيد» جمع فيه مائة ألف حديث، لو رُتّب وهذّب لم يقع في الإسلام مثله. ولد السمرقندي سنة ٤٠٩ وتوفي سنة ٤٩١.
● تذكرة الحفاظ، ٤/١٢٣٠ - ١٢٣٢، تر: ١٠٤٧.

(٢) الضّحّاك: أبو عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني البصري الحافظ، شيخ الإسلام. قال أبو داود كان أبو عاصم يحفظ ألف حديث من جيّد حديثه، توفي بالبصرة سنة ٢١٢.
● تذكرة الحفّاظ: ١/٣٦٦ - ٣٦٧، تر: ٣٦٠.

(٣) الشفاء: ١/٣٩٦ - ٣٩٨ باختصار.

(٤) إنما يعرف بالخطيب البغدادي.

(٥) هكذا على لغة «أكلوني البراغيث...».

(٦) في الأصل و(د)، والشفاء: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٧) في الشفاء: في مشكل الحديث عن أسماء...

(٨) أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث، وهي أخت ميمونة أم المؤمنين، وأخت لبابة أم الفضل زوج العباس. هاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، وولدت هناك محمدًا، وعبدالله، وعوناً، ثم هاجرت إلى المدينة، فلما استشهد زوجها جعفر،=

النبيّ ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر عليّ رضي الله عنه، فلم يُصلّ العصر حتّى غربت الشمس. فقال رسول الله ﷺ: أصليّت يا علي؟ قال: لا. فقال[1] رسول الله ﷺ: «**اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس**». قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعدما غربت، ووقفت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء[2] في خيبر[3].

قال الطحاوي: وهذا الحديث ثابت، ورواته ثقات. وحكى الطحاوي أنّ أحمد[4] /بن صالح كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء. لأنه من علامات النبوّة[5].

٨٢/ظ

فصل

في نبع الماء بين أصابعه وتكثيره ببركته ﷺ

روينا في صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين[6] رضي الله عنه[7]

= تزوجها أبو بكر. ثم مات عنها، فتزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيىٰ، توفيت حوالي سنة ٤٠.

● الاستيعاب: ١٧٨٤/٤ ـ ١٧٨٥، تر: ٣٢٣٠.

(١) في الشفاء: فقال: اللهم...

(٢) الصهباء: قلعة بخيبر، وخيبر مكان معروف على ثمانية برد من المدينة من جهة الشام وكان بها سبعة حصون لليهود، وحولها مزارع ونخيل.

● معجم البلدان، ٤٣٥/٣.

(٣) في الشفاء: قال: وهذان الحديثان ثابتان، ورواتهما ثقات، وحكى الطحاوي...

(٤) أحمد بن صالح: أبو جعفر الطبري ثم المصري، سمع سفيان بن عيينة، وعبدالله بن وهب، وغيرهما. وحدّث عنه البخاري، وأبو داود، وغيرهما، كان جامعاً للفقه، والحديث، والنحو، ولد سنة ١٧٠، وتوفي سنة ٢٤٨.

● تذكرة الحفّاظ: ٤٩٥/٢ ـ ٤٩٦، تر: ٥١١.

(٥) الشفاء: ٤٠٠/١ ـ ٤٠١.

(٦) عمران بن حصين: أبو نجيد ـ بضم النون ـ عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي، أسلم عام خيبر، وتولّى القضاء مدة يسيرة بالبصرة، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، روى عنه جماعة من تابعي البصرة والكوفة، توفي بالبصرة سنة اثنتين وخمسين.

● الاستيعاب، ١٢٠٨/٣ رقم: ١٩٦٩.

(٧) في الأصل: و(د): رضي الله عنهم، وفي البخاري: الترضية غير واردة.

أنهم كانوا مع النبيّ ﷺ في سفر، فاشتكى إليه الناس من العطش، فنزل فدعا فلاناً كان يسميه أبا رجاء[1] نسيه عوف[2]. ودعا علياً رضي الله عنه فقال: اذهبا، فابتغيا الماء، فانطلقا، فتلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء على بعير لها، فقالا لها: أين الماء؟ فقالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة، ونفرنا خلوف، فقالا لها: انطلقي إذن، قالت: إلى أين؟ قالا: إلى رسول الله ﷺ، قالت: إلى الذي يقال له: الصّابىء؟ قالا: هو الذي تعنين، فانطلقي، فجاءا بها إلى النبيّ ﷺ، وحدّثاه الحديث. قال: فاستنزلوها عن بعيرها ودعا النّبيّ ﷺ بإناء، ففرغ فيه من أفواه المزادتين، أو استسقوا السطيحتين، وأوكأ أفواههما، وأطلق العزالين[3]، ونودي في الناس استسقوا واسقوا، فسقي من شاء ـ واستقى من شاء، وكان آخر ذلك أن أعطى رجلاً ـ كانت أصابته جنابة ـ إناء من ماء، فقال له: إذهب فأفرغه عليك، وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها، وأيم الله لقد أقلع عنها، وأنّه يخيل إلينا أنه أشد ملئة[4] منها حين ابتدأ فيها.

فقال النبيّ ﷺ: «**اجمعوا لها**»، فجمعوا لها من عجوة ودقيق، وسويق، حتّى جمعوا طعاماً، فجعلوه في ثوب، وحملوه على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، وقال لها: «**تعلمين ما رزأنا من مائك شيئاً،**

---

(١) في الأصل و(د): أبو رجاء. أبو رجاء: عمران بن ماحان، ويقال: عمران بن عبدالله، وعمران بن تيم، أبو رجاء العطاردي، أدرك الجاهلية، ولم ير النبيّ ﷺ ولم يسمع منه، واختلف هل كان إسلامه في حياة النبيّ ﷺ؟ فقيل: إنه أسلم بعد الفتح، والصحيح أنه أسلم بعد المبعث، وعُمّر أبو رجاء طويلاً فقد عاش أزيد من مائة وعشرين سنة. توفي بالبصرة عام خمس ومائة [١٠٥].
● الاستيعاب، ١٢٠٩/٣ ـ ٢١٢ رقم: ١٩٧١.

(٢) عوف: أبو عبد الرحمن عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، شهد فتح مكة، وكانت معه راية أشجع، وأول مشاهده خيبر، حدّث عنه أبو هريرة، وأبو مسلم الخولاني، وشريح بن عبيد، والشعبي، وغيرهم من التابعين، توفي سنة ثلاث وسبعين.
● أ ـ الاستيعاب، ١٢٢٦/٣ رقم: ٢٠٠٣.
● ب ـ سير أعلام النبلاء، ٤٨٧/٢ ـ ٤٩٠ رقم ١٠١.

(٣) العزالي: مفردها عزلاء، وهو فم المزادة الأسفل ومصب الماء منها، والمزادة: ظرف من جلد يحمل فيه الماء أكبر من القربة.

(٤) في دلائل النبوة لأبي نعيم: أشدّ امتلاء.

ولكن الله سقانا». فأتت أهلها، وقد احتبست عنهم، فقالوا لها: ما حبسك يا فلانة؟ قالت: العجب لقيني رجلان، فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له: الصابىءُ، ففعل كذا وكذا، فوالله، إنه لأسحر الناس من بين هذه وهذه، وقالت بإصبعيها السبابة والوسطى فرفعتهما إلى السماء، تعني السماء والأرض ـ أو أنه لرسول الله ﷺ حقاً ـ فكان المسلمون بعد يغيرون على من حولها من المشركين، ولا يصيبون الصرم[1] الذي هي منه. فقالت يوماً لقومها: ما أدري إنّ هؤلاء القوم يدعونكم عمداً، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها ودخلوا في الإسلام[2].

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أوتي النبيّ ﷺ بإناء وهو بالزّوراء[3]، فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبغ من بين أصابعه، فتوضّأ القوم.

قال قتادة: قلت لأنس، كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة[4].

وروى البخاري ومسلم [ومالك][5] عن أنس[6] رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، والتمس الناس[7] الوضوء فلم يجدوه، فأتي النبيّ ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك[8] الإناء يده، فأمر الناس أن يتوضأوا منه، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه،

---

(١) في الأصل: علق على الهامش: قال في مختصر العين، الصرم، طائفة من القوم.

(٢) ● أ ـ صحيح البخاري، ٤/٢٣٢ ـ ٢٣٣، باب علامات النبوّة في الإسلام.

● ب ـ دلائل النبوّة لأبي نعيم، ص/٤١٠ ـ ٤١٢، بينهما اختلاف في بعض الكلمات الشجب: القربة البالية، أو أعواد تُعلّق عليها القرب ونحوُها.

(٣) الزّوراء: موضع سوق المدينة المنوّرة قرب المسجد النبوي الشريف، وقيل: كان مرتفعاً كالمنارة.

● مراصد الاطلاع، ٦٧٤/٢.

(٤) ● أ ـ في البخاري: ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة.

● ب ـ في مسلم قلت: كم كانوا يا أبا حمزة؟ قال: زهاء الثلاثمائة.

(٥) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٦) في البخاري ومسلم: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: . . .

(٧) في البخاري: فالتُمس الوضوء.

(٨) في البخاري: يده في ذلك الإناء.

فتوضّأ الناس، حتّى توضّأوا من عند آخرهم[1].

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: حضرت الصلاة فقام من كان قريباً للدار[2] من المسجد يتوضّأ، وبقي قوم، فأتي النبيّ ﷺ بمخْضب من حجارة فيه ماء، فوضع كفّه فصغُر المخضب أن يبسط فيه كفّه، فضم أصابعه فوضعها في المخضب فتوضّأ القوم كلهم جميعاً.

قلت: كم كانوا؟ قال[3]: كانوا ثمانين رجلاً[4].

وروى البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية[5] والنبيّ ﷺ بين يديه رَكوة يتوضّأ، فجهش الناسُ نحوه فقال: «**مالكم؟**» قالوا: ليس عندنا ماءٌ نتوضأ[6] أو لا نشرب، إلا ما بين يديك. فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال [العيون][7] فشربنا وتوضّأنا.

قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[8].

وروى البخاري عن البراء بن عازب[9] رضي الله عنه قال: كنا يوم

---

(١) ● أ ـ صحيح البخاري: ٢٣٣/٤، باب علامة النبوّة في الإسلام.
● ب ـ صحيح مسلم ـ واللفظ له: ١٧٨٣/٤، كتاب الفضائل، باب معجزات النبيّ ﷺ.

(٢) في البخاري: قريب الدار.

(٣) في البخاري: قال: ثمانون رجلاً.

(٤) صحيح البخاري: ٢٣٤/٤، باب علامات النبوّة في الإسلام.

(٥) الحديبية: قرية سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ أصحابه عندها، وبينها، وبين مكة مرحلة، وبعضها في الحل، وهي أبعد الحل من البيت العتيق.
● مراصد الاطلاع، ٣٨٦/١.

(٦) في (د): نتوضّأ به.

(٧) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٨) ـ صحيح البخاري: ٢٣٤/٤، باب علامات النبوّة في الإسلام.
● ـ صحيح البخاري: ١٥٦/٥ باب غزوة الحديبية.

(٩) البراء بن عازب: أبو عمارة ـ وقيل أبو الطفيل، البرّاء بن عازب بن حارث بن عدي الأنصاري الحارثي الخزرجي، من البدريّين، وقيل: أول غزوة شهدها الخندق، شهد البراء مع علي كرّم الله وجهه الجمل، وصفّين، والنهروان. ثم نزل الكوفة التي توفي بها.
● الاستيعاب: ١٥٥/١ ـ ١٥٧، رقم: ١٧٣.

الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية: بئر فنزحنا، حتّى لم نترك منها قطرة، فجلس النبيّ ﷺ/ على شفير البئر، فدعا بماء فمضمض ومجّ في البئر، فمكثنا غير بعيد، ثم استقينا، حتّى روينا، ورويت أو صدرت ركابُنا[1]. ٨٣/و

وفي صحيح البخاري: أنه ﷺ نزل بأقصى الحديبية على ثَمْد[2] قليل الماء يتبرّضه[3] الناسُ تبرّضاً فلم يلبث[4] الناس حتّى نزحوه، وشُكي إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالرّيّ حتّى صدروا عنه[5].

وروى مسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة. فصلّى الظهر والعصر[6] والمغرب والعشاء جميعاً. حتّى إذا كان يوماً، أخّر الصلاة ثم خرج فصلّى الظهر والعصر جميعاً[7]، ثم قال: «**إنكم ستأتون غداً ـ إن شاء الله ـ عين تبوك، وأنكم لن تأتوها حتّى يُضحي النهار. فمن جاءها منكم فلا يمسّ من مائها شيئاً حتّى آتي**». فجئناها وسبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبِضُّ بشيءٍ من ماءٍ.

قال: فسألهما رسول الله ﷺ: «**هل مسسْتُما من مائها شيئاً؟**» قالا: نعم. فسبّهما رسول الله ﷺ، وقال لهما ـ ما شاء الله أن يقول ـ قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتّى اجتمع في شيء. قال: وغسل

(١) ـ صحيح البخاري، ٢٣٤/٤، باب علامات النبوّة في الإسلام.
ـ صحيح البخاري، ١٥٦/٥، باب غزوة الحديبية.

(٢) الثمد: الماء القليل الذي ليس له مَددٌ، والثمد: المكان يجمتمع فيه الماء.

(٣) برض الماء يبرض: قلّ: والبرض من الآبار: القليلة الماء. وبرض الماء: ترشفه.

(٤) في صحيح البخاري: فلم يُلبّثه الناس.

(٥) صحيح البخاري: ٢٥٣/٣، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

(٦) في صحيح مسلم: جميعاً، والمغرب. . .

(٧) في صحيح مسلم: ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك فصلّى المغرب والعشاء جميعاً. ثم قال: . . .

رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه. ثم أعاده فيها. فجرت العين بماء منهمر. أو قال غزير ـ شك أبو علي أيّهما قال ـ فاستقى الناس. ثم قال: «**يوشك يا معاذ! إن طالت بك حياة أن ترى ما هٰهنا قد ملىء جناناً**»[1].

وفي الحديث الصحيح من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما الطويل قال فيه: فأتينا العسكر فقال رسول الله ﷺ: «**يا جابر! ناد الوضوء**». فقلت: ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ قال: قلت: يا رسول الله! ما وجدت في الركب من قطرة. وكان رجل من الأنصار يبرّد لرسول الله ﷺ الماء في أشجاب له على حمارة من جريد. فقال لي: «**انطلق إلى فلان الأنصاري، فانظر [هل][2] في أشجابه من شيء؟**»... قال: فانطلقت فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب لو أنّي أفرغه لشرِبه يابسُه. فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله لم أجد فيها إلاّ قطرة في عزلاء شجب لو أنّي أفرغه لشربه يابسُه. قال: «**اذهب فاتني به**» فأتيته به. فأخذه بيده. ثم أخذ يتكلم بشيء لا أدري ما هو، ويغمزه ثم أعطانيه، ثم قال: «**يا جابر ناد بجفنة**[3]». فقلت: يا جفنة الركب، فأتيت بها تُحمل. فوضعتها بين يديه. فقال ﷺ بيده في الجفنة فبسطها وفرّق بين أصابعه. ثم وضعها في قعر الجفنة. وقال: «**خذ يا جابر؟ فصبّ عليّ. وقل باسم الله**» فصببت عليه وقلت: بسم الله، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ. ثم فارت الجفنة وفارت حتّى امتلأت. فقال: «**يا جابر! ناد من كانت له حاجة بماء**». قال: فأتى الناس فاستقوا حتّى رووا. فقلت: ما بقي أحدٌ له حاجة. فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى[4].

---

(١) صحيح مسلم: ١٧٨٤/٤ ـ ١٧٨٥ ـ كتاب الفضائل ـ باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق.

(٢) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) الجفنة: القصعة تشبع عشرة فأكثر. والمراد يا صاحب جفنة الركب التي تشبعهم أحضرها.

(٤) أورد هذا الحديث الإمام مسلم في صحيحه ـ مع بعض الاختلاف ـ ٢٣٠٧/٤ ـ ٢٣٠٨. كتاب الزّهد، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي ياسر.

وشكا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع فقال: «**عسى الله أن يطعمكم**»، فأتينا سيف البحر فزخر البحر زخرة. فألقى دابّة. فأوْرينا على شقها النار فاطّبخنا واشتوينا، فأكلنا[1] وشبعنا.

قال جابر: فدخلت أنا وفلان وفلان حتّى عدّ خمسة في حجاج[2] عينها حتّى ما يرانا أحدٌ. حتّى خرجنا، فأخذنا ضلعاً من أضلاعه فقوّسناه. ثم دعونا بأعظم رجل في الركب، وأعظم حمل في الركب، وأعظم كفَلٍ[3] في الركب فدخل تحته ما يطأطىء رأسه.

هذا حديث صحيح خرّجه مسلم في أواخر كتابه[4].

قلت: والأحاديث في هذا الباب كثيرة. قال ابن القطان، وروى زياد ابن الحارث[5] الصّدائي في حديث وِفادته وإسلامه وإسلام قومه قال فيه: ثم قلنا: يا رسول الله إنّ لنا بيراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها، واجتمعنا عليه، وإذا كان الصيف قلّ ماؤها، فتفرّقنا على مياه حولها، وقد أسلمنا، وكلُّ من حولنا عدُوّنا، فادع الله لنا في بيرنا أن يسعنا ماؤها، فنجتمع ولا نتفرّق. فدعا بسبع حصيات، ففرّقهنّ في يده، ودعا فيهن ثم قال: «**اذهبوا**

---

(١) في مسلم: فأكلنا حتّى شبعنا.

(٢) الحجاج من كل شيء: حرفه وناحيته، والحجاج: عظم الحاجب، وحجاج عينها: عظمها المستدير بها.

(٣) الكفل: العجز للإنسان والدابة. والكفل: النصيب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]. كما يطلق على الضّعف، قال تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨].

(٤) صحيح مسلم: ٢٣٠٨/٤ ـ ٢٣٠٩. كتاب الزّهد والرّقائق ـ باب حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر.

(٥) زياد بن الحارث: الصُدائي، وصداء حيّ من اليمن، بايع النبيّ ﷺ وأذّن بين يديه، وحدّث قائلاً: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام، وبعث جيشاً إلى صُداء، فقلت: اردد الجيش، وأنا لك بإسلامهم، فردّ الجيش، وكتب إليهم. فأقبل وفدهم بإسلامهم، فأرسل إليّ رسول الله ﷺ وقال: إنّك لمطاعٌ في قومك يا أخا صُداء، فقلت: بل الله هداهم، فقلت: ألا تؤمرني عليهم؟ فقال: بلى، ولا خير في الإمارة لرجل مؤمن. فقلت: حسبي الله.

● الاستيعاب: ٥٣٠/٢ ـ ٥٣١ رقم: ٨٢٥.

بهذه الحصيات فإذا أتيتم البير، فألقوا واحدة، واحدة، واذكروا اسم الله عزّ وجلّ».

قال الصدائي: فما استطعنا بعد أن ننظر إلى قعرها.

قلت: ورأيت هذا الحديث معْزوّاً تخريجه إلى الأجري وغيره.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي قتادة[1] رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم. وتأتون الماء ـ إن شاء الله ـ غداً**». فانطلق الناس لا يلوي أحدٌ على أحدٍ. وذكر الحديث وانقطاع رسول الله ﷺ في سبعة ركبٍ. وميله عن الطريق، وتعريسه، ونومه عن الصلاة فما استيقظ إلا والشمس في ظهره وقيامهم فَزِعين، ومسيرهم حتّى ارتفعت الشمس ونزولهم. قال: ثم دعا بميضأة[2] كانت معي فيها شيء من ماء. ثم قال: «**يا قتادة: احفظ علينا ميضأتك فسيكون لنا نبأ**» وذكر الحديث. وصلاته ﷺ وأنهم انتهوا إلى الناس حتّى اشتدّ[3] النهارُ وحمي كل شيء، وهم يقولون: يا رسول الله هلكنا عطشاً[4].

فقال: «**لا هلك عليكم**». قال: فدعا بالميضأة. فجعل رسول الله ﷺ

---

(١) أبو قتادة: الحارث بن ربعي الأنصاري السّلمي، فارس رسول الله ﷺ، حدّث عنه أنس بن مالك، وسعد بن المسيب، وعطاء بن يسار، وآخرون. لما قدم معاوية المدينة التقى مع أبي قتادة فقال: تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار، فما منعكم؟ قالوا: لم يكن لنا دواب، قال: فأين النواضح؟ قال أبو قتادة: عقرناها في طلب أبيك يوم بدر، إنّ رسول الله ﷺ قال لنا: ستلقون بعدي أثرة، قال معاوية: فما أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر، قال: فاصبروا. توفي عام **٥٤** بالمدينة المنوّرة، قال أبو عمر في الاستيعاب، والصحيح أنه توفي بالكوفة.

- أ ـ الاستيعاب: **٢٨٩/١** رقم: **٤٠٢**.
- ب ـ سير أعلام النبلاء: **٤٤٩/٢ ـ ٤٥٦**، رقم: **٨٧**.

(٢) الميضأة: الإناء الذي يُتوضّأ منه كالرَّكوة وهي إناء للماء من جلد وكذا الإداوة، وتسمى المطهرة.

(٣) في مسلم: امتدَّ.

(٤) في مسلم: عطشنا.

يصبّ ويسقيهم[١]، حتّى ما بقي غيري وغيره ﷺ. قال: ثم صبّ ﷺ وقال لي: «**اشرب**»، فقلت: لا أشرب حتّى تشرب يا رسول الله! قال: «**إنّ ساقي القوم آخرهم شرباً**»[٢]. قال: فشربت وشرب ﷺ فأتى الناس الماء جامّين[٣][٤].

ونقل عياض وابن القطان: واللفظ لعياض عن عمرو بن شعيب[٥] أن أبا طالب قال للنبيّ ﷺ - وهو رديفه بذي المجاز[٦] - عطشت وليس عندي ماء، فنزل النبيّ ﷺ وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء، فقال: «**اشرب**»[٧].

فصل

قال ابن القطان ومن آياته ﷺ ما رُوِيَ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، وإذا نحن بواد ملآن فقدرناه أربع عشرة قامة. فقلنا يا رسول الله: العدو من ورائنا، والماء من أمامنا، فنزل رسول الله ﷺ، فقال: «**اللهم جعلت لكل مرسل علامة**

---

(١) في مسلم: وأبو قتادة يسقيهم.
(٢) في (ر): شراباً.
(٣) في مسلم: جامي رواءً. والجمام: ملء الإناء، وجامي رواء: مستريحين قد رووا من الماء.
(٤) صحيح مسلم: ٤٧٢/١ - ٤٧٤، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها.
(٥) عمرو بن شعيب: أبو إبراهيم عمرو بن شعيب بن محمد السّهمي القرشي، من بني عمرو بن العاص، ومن رجال الحديث، كان يسكن مكة، توفي بالطائف عام ١١٨.
● الأعلام: ٢٤٧/٥ - ٢٤٨.
(٦) ذو المجاز: اسم سوق بقرب عرفة، كانت تقام في الجاهلية ثمانية أيام، مثل عكاظ. قال الأصمعي: ذو المجاز ماء من أصل كبكب وهو لهذيل، وهو خلف عرفة.
● معجم البلدان: ٥٥/٥.
(٧) الشفاء: ٤٠٩/١ - ٤١٠.

قدرتك»، فركب رسول الله ﷺ وعبروه بالخيل والإبل لا تندى حوافرها ولا أخفافها.

قال ابن القطان: وقد أشار إلى هذه الآية الكريمة ابن سبع[1] في قصيدته فقال: [من البسيط]

وجاوز البحر والأجناد تتبعه يخوض أعلاه، لا يخشى من الهور

قال ابن القطان: ومن آياته ﷺ ما رُوِيَ أنّ غالب بن عبدالله[2]، لما بعثه رسول الله ﷺ في سرية، وأمره أن يشن الغارة على بني الملوح[3]، فشنها واستقوا النعم.

قال: فخرج صريخ القوم، فجاءنا دهم لا قبل لنا به، ومضينا بالنعم، وأدركنا القوم حتّى قربوا منا، فما بيننا وبينهم إلا وادي قديد[4]، فأرسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء من غير سحابة نراها ولا مطر، فجاء شيء ليس به لأحد قبلٌ، ولا يقدر أحد على جوازه، فوقفوا ينظرون إلينا وإنّا

---

(١) ابن سبع: أبو علي حسن بن إبراهيم بن سبع بن عبدالله التلمساني يعرف بابن زكون ولد في شعبان سنة ٤٨٤ وتوفي ليلة عيد الفطر عام ٥٥٣.
- أ ـ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: ١٧٧ لأبي عبدالله محمد بن محمد الملقب بابن مرير الشريف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- ب ـ تعريف الخلف برجال السلف: ١١٩/٢ لأبي القاسم محمد الحفناوي، مؤسسة الرسالة بيروت، والمكتبة العتيقة بتونس، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥.

(٢) غالب بن عبدالله بن مسعر الليثي، بعثه النبيّ ﷺ في ستّين راكباً إلى بني الملوح بالكديد، وكانوا قد قتلوا أصحابه، وهو الذي بعثه النبيّ ﷺ عام الفتح يُسهّل له الطريق. وهو الذي قتل هرمز في القادسية.
- أ ـ الاستيعاب: ١٢٥٢/٣، رقم ٢٠٥٧.
- ب ـ الإصابة: ١٨٣/٣ ـ ١٨٤، رقم ٦٩٠٤.

(٣) بنو الملوّح بن يعمر الشّداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة.
- جمهرة أنساب العرب، ص٤٦٥.

(٤) قديد: بالتصغير ـ اسم موضع بمكة المكرّمة. قال ابن الكلبي: لما رجع تبع من المدينة المنورة بعد حربه لأهلها، نزل قديداً فهبّت ريح قدت خيم أصحابه، فسمي قديداً.
- معجم البلدان: ٣١٣/٤.

نسوق نعمهم، وما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا، ونحن نحدوها سراعاً، حتّى فتناهم، وقدمنا بها على رسول الله ﷺ.

قلت: فهذه آية لنبيّه ﷺ، وكرامة لأوليائه المتّبعين لكتابه وسنّة نبيه ﷺ.

/و قال علماؤنا أرباب القلوب: كل كرامة لوليّ[1] معجزة للنبيّ ﷺ/ لأنه إنّما أظهرت[2] عليه بسبب اتّباعه.



(١) في (ر): هي معجزة.
(٢) في (د): ظهرت.

 باب فيما أظهره الله سبحانه على يدي نبيّه ﷺ من عظيم آياته، وباهر[1] معجزاته، في تكثير اللبن القليل وظهور البركة فيه.

روينا في صحيح البخاري عن مجاهد[2] أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول: الله[3] [الذي][4] لا إلـه إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإن كنت لأشدُّ الحجر على بطني من الجوع.

ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرّ أبو بكر رضي الله عنه[5] فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته عن آية[6] إلا ليستتبعني فلم يفعل[7]، ثم مرّ بي عُمر رضي الله عنه[7]، فسألته عن آية من كتاب الله عزّ وجلّ ما سألته إلا ليستتبعني فمرّ فلم يفعل، ثم مرّ بي أبو القاسم ﷺ، فتبسّم حين رآني، وعرف ما في نفسي، وما في وجهي ثم قال: «**أبا هريرة**»[8] قلت: لبيك رسول الله[9] قال: «**الحق**»، ومضى، فاتّبعته فدخل فاستأذن فأذن لي، فدخل فوجدنا لبناً في قدح، فقال: «**من**

---

(١) في (د) و(ر): وبراهين معجزاته.

(٢) مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي، مولى السّائب بن السّائب المخزومي، سمع عائشة، وأبا هريرة، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، وروى عنه قتادة، وعمرو بن دينار، والأعمش، وأيوب، وعون، وخلق كثير، توفي عام ١٠٣.

● تذكرة الحفّاظ: ٩٢/١ ـ ٩٣ رقم ٨٣.

(٣) في (د): بالله.

(٤) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٥) في البخاري: بلا ترضية.

(٦) في البخاري: «عن آية» غير وارد.

(٧) في البخاري: فمرّ فلم يفعل.

(٨) في البخاري: أبا هرّ.

(٩) في البخاري: يا رسول الله.

أين هذا اللبن؟» قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة. قال: «**أبا هريرة**»[1]، قلت: لبيك رسول الله. قال «**الحق إلى أهل الصّفة فادعهم لي**» ـ قال: ـ وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك. فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أحقّ أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوّى بها، فإذا جاءوا، أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن. ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بدّ. فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا، فاستأذنوا، فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت. فقال: «**يا أبا هريرة**»، قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: «**خذ فأعطهم**»، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يردّ عليّ القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتّى يروى، ثم يرد عليّ القدح[2] حتّى انتهيت إلى النبيّ ﷺ، وقد روِيَ القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليّ فتبسّم، فقال: «**أبا هريرة**» قلت: لبيك[3]. قال: «**بقيت أنا وأنت**»، قلت: صدقت يا رسول الله. قال: «**اقعد فاشرب**». فقعدت فشربت فقال: «**اشرب**». فشربت، فما زال يقول اشرب حتّى قلت: لا والذي بعثك بالحقّ ما أجد له مسلكاً.

قال: «**فأرني**»، فأعطيته القدح، فحمد الله، وسمّى وشرب الفضلة[4].

قلت: واختلف في اسم أبي هريرة، فقيل: عبدالله بن صخر، وقيل غير هذا.

---

(١) في البخاري: أبا هرّ.
(٢) في البخاري: فيشرب حتّى يروى ثم يرد عليّ القدح...
(٣) في البخاري: لبيك يا رسول الله، قال:...
(٤) صحيح البخاري: ١١٩/٨ ـ ١٢١، كتاب الأدب، باب كيف كان عيش النبيّ ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا.

قال السّهيلي: وكنّاه النبيّ ﷺ أبا هريرة لهرّة وحشية رآها معه[١].

وروى مسلم في صحيحه عن المقداد[٢] بن الأسود رضي الله عنه. قال: أقبلت أنا وصاحبان لي. وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد[٣]، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ. فليس أحدٌ منهم يقبلنا ـ يعني لضيق حالهم في المعيشة ـ[٤] قال[٥]: فأتينا النبيّ ﷺ فانطلق بنا إلى أهله. فإذا ثلاثة أعنز. فقال النبيّ ﷺ: **«احتلبوا هذا اللبن بيننا»**. قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منّا نصيبه. ونرفع للنبيّ ﷺ نصيبه. قال: فيجيء من الليل فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً. ويسمع اليقظان، قال: ثم يأتي المسجد فيصلّي. ثم يأتي شرابه فيشرب.

فأتاني الشيطان ذات ليلة، وقد شربت نصيبي. فقال: محمد ﷺ[٦] يأتي الأنصار فيتحفونه، ويصيب عندهم، ما به حاجة إلى هذه الجرعة/ ٨٦/ظ فأتيتها فشربتها. فلما أن وغلت[٧] في بطني وعلمت أنه ليس إليها سبيل[٨]، ندّمني الشيطان. فقال: ويحك! ما صنعت؟ شربت[٩] شراب

---

(١) الروض الأنف: ١/٣٤٨، بتصرف.
(٢) المقداد: أبو معبد وقيل: أبو الأسود، المقداد بن عمرو بن ثعلبة البهراوي، كان قديم الإسلام، شهد بدراً، والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، كما شهد فتح مصر، وقد قال الرسول ﷺ فيه، وفي ثلاثة من أصحابه: إن الله عزّ وجلّ أمرني بحبّ أربعة من أصحابي وأخبرني أنه يحبهم، فقيل: يا رسول الله من هم؟ قال: عليّ، والمقداد، وسلمان، وأبو ذرّ. توفي المقداد سنة ٣٣، وصلّى عليه الخليفة عثمان وهو ابن سبعين سنة.
● الاستيعاب: ٤/١٤٨٠ ـ ١٤٨٢ رقم: ٢٥٦١.
(٣) الجهد ـ بفتح الجيم ـ: الجوع والمشقة.
(٤) في مسلم: ما بين مطتين ساقط.
(٥) في مسلم: «قال» ساقطة.
(٦) في مسلم: «بلا تصلية».
(٧) وغلت: دخلت وتمكنت.
(٨) في مسلم: قال.
(٩) في مسلم: أشربت شراب محمد.

محمد ﷺ؟ فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك. فتذهب دنياك وآخرتك. وعليّ شملة. إذا وضعتها على قدميّ خرج رأسي، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي. وجعل لا يجيئني النوم. وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت. قال: فجاء النبيّ ﷺ، فسلّم كما كان يسلم. ثم أتى المسجد فصلّى. ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئاً. فرفع رأسه إلى السّماء. فقلت: الآن يدعو عليّ فأهلك. فقال: «**اللهمّ أطعم من أطعمني وأسق من سقاني**»[(1)]. قال: فعمدت إلى الشملة فشددتها عليّ. وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيّها أسمن فأذبحها لرسول الله ﷺ، فإذا هي حافل[(2)] وإذا هنّ حفّل كلُّهن. فعمدت إلى إناء لآل محمد ﷺ كانوا[(3)] يطمعون أن يحتلبوا فيه. قال: فحلبت فيه حتّى علته رغوة. فجئت إلى رسول الله ﷺ فقال: «**أشربتم شرابكم الليلة؟**» قال: فقلت[(4)]: يا رسول الله! اشرب. فشرب ثم ناولني. فقلت: يا رسول الله اشرب. فشرب ثم ناولني. فلما عرفت أن النبيّ ﷺ روي[(5)]، وأصبت دعوته، ضحكتُ حتّى ألقيت إلى الأرض. قال: فقال[(6)] لي النبيّ [ﷺ][(7)]: «**إحدى سوءاتك يا مقداد**». فقلت: يا رسول الله! كان من أمري كذا وكذا. وفعلت كذا كذا. فقال النبيّ ﷺ: «**ما هذه إلا رحمة من الله. أفلا كنت آذنتني. فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها**». قال فقلت: والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتها وأصبتها معك من أصابها [من الناس][(7)(8)].

---

(١) في مسلم: من أسقاني.
(٢) في مسلم: حافلة.
(٣) في (د): كان يطمعون، وفي مسلم: ما كانوا.
(٤) في مسلم: قلت:
(٥) في مسلم: قد روي.
(٦) في مسلم: فقال النبيّ.
(٧) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٨) صحيح مسلم: ٣/١٦٢٥ ـ ١٦٢٦، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضائل إيثاره.

[قال القرطبي[1]: في شرح مسلم، كان سبب إسلام عبدالله بن مسعود أنه كان يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمرّ به النبيّ ﷺ فقال: «**يا غلام هل من لبن؟**» قلت: نعم، ولكني مؤتمن. فقال: «**هل من شاة حائل لم ينز عليها فحل؟**» فأتيته بشاة شصوص فمسح ضرعها، فنزل اللبن، فحلب، وشرب، وسقى أبا بكر[2] ثم قال للضرع: «**اقلص**» فقلص، قلت: يا رسول الله! علمني من هذا القول، فقال: «**رحمك الله، إنك عليم معلم فأسلم**»، انتهى من [إكمال][3] الإكمال لشيخنا أبي عبدالله [محمد][3] الأبي[4]، وسأذكرها الآن من طريق أبي نعيم[5] مكملاً[6]][7].

---

(١) القرطبي: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي، ولد سنة ٥٧٨ بقرطبة من رجال الحديث، من كتبه: «المفهم في شرح صحيح مسلم» وإليه الإشارة من الثعالبي، كما له كتاب: «مختصر الصحيحين، رحل إلى المشرق، واستقر بالإسكندرية، وبها توفي سنة ٦٥٦.
● الأعلام، ١٧٩/١.

(٢) في الأصل: أبو بكر.

(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) الأبيّ: أبو عبدالله محمد بن خلف المعروف بالأبي الوشتاتي، العلاّمة الأصولي الراوية، أخذ عن ابن عرفة ولازمه وانتفع به. قال ابن عرفة: كيف أنام بين أسدين: الأبي بفهمه وعقله، والبرزلي بحفظه ونقله، وأخذ عنه أئمة كبار كابن ناجي، وأبي زيد عبدالرحمٰن الثعالبي، وله عدّة مؤلفات منها: «إكمال الإكمال» و«شرح المدوّنة». توفّي عام ٨٢٨.
● شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف: ٢٤٤، رقم: ٨٧٤، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا تاريخ.

(٥) أبو نعيم: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحٰق الهمداني الأصبهاني، ولد سنة ٣٣٦ وأجاز له مشايخ الدنيا، من نيسابور، ومن الشام، ومن بغداد، له عدّة مؤلفات منها، حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، و«دلائل النبوّة»، وغيرهما. توفّي بأصبهان عام ٤٣٠ عن أربع وتسعين سنة.
● أ ـ تذكرة الحفاظ: ١٠٩٢/٣ ـ ١٠٩٧ رقم ٩٩٣.
● ب ـ الأعلام: ١٥٠/١.

(٦) حلية الأولياء: ١٢٥/١.

(٧) في (ر): ما بين الحاصرتين ساقط.

قال ابن القطان: ومن آياته ﷺ، ما روى ثوبان[1] مولى رسول الله ﷺ. قال: نزل بنا ضيف بدويّ فجلس به النبيّ ﷺ قدام بيوتنا، يسأله عن الناس، كيف فرحهم بالإسلام، كيف حدبهم على الصلاة، فما زال يخبره عن ذلك بالذي يسرُه، حتّى رأيت وجه رسول الله ﷺ نضراً[2] حتّى إذا انتفخ النهار وحان أكل الطعام، دعاني رسول الله ﷺ، فأشار إليّ مستخفياً لا يألو أن أئت عائشة. فأخبرها أن لرسول الله ﷺ ضيفاً. فقالت: والذي بعثه بالهدى ودين الحق ما أصبح في بيتنا شيء يأكله أحد من الناس. فردّني إلى نسائه، كلّهن يعتذرن بما اعتذرت به عائشة، حتّى رأيت لون رسول الله ﷺ كَسِفَ، وكان البدوي عاقلاً، ففطن.

فما زال البدوي يعارض النبيّ ﷺ حتّى قال: إنّا أهل البادية مُعانون في زماننا، لسنا كأهل الحاضرة، إنّما يكفي أحدنا القبضة من التمر، ينشرب[3] عليها الماء، والشربة من اللبن. وذلك هو الخصب عندنا، فمرّت عند ذلك عنزٌ [لنا][4] قد احتُلبت كنّا نسميها تمراً، فدعا بها رسول الله ﷺ، «**تمر، تمر**». فأقبلت إليه تحمحم، فأخذ برجلها، ومسح ضرعها، وقال: «**بسم الله**»، فحفلت، فدعا بمحلب لنا فأتيته به، فحلبه، وقال: «**بسم الله**» فملأه، ثم قال: «**ادفع بسم الله**». فدفعته إلى الضيف فشرب/ منه شربة ضخمة. ثم أراد أن يضعه، فقال رسول الله ﷺ: «**علّ**»، فعاد، ثم أراد أن يضعه فقال رسول الله ﷺ: «**علّ**» فكرّره حتّى امتلأ وشرب ما شاء الله. ثم حلب فيه. وقال: «**بسم الله**»، وملأه، ثم قال: «**أبلغ هذا عائشة فلتشرب منه ما بدا لها**». ثم رجعت فحلب فيه، ثم قال: «**بسم الله**»، وملأه، ثم

٨٧/و

(١) ثوبان: أبو عبدالله ثوبان بن بجدد من أهل السراة ـ مكان بين مكة واليمن ـ مولى رسول الله ﷺ، اشتراه فأعتقه، ولم يزل معه في الحضر والسفر حتى توفي ﷺ فخرج إلى الشام فنزل الرملة، ثم انتقل إلى حمص وبها توفي سنة أربع وخمسين.
● الاستيعاب، ٢١٨/١ رقم: ٢٨٢.

(٢) في الأصل: نظراً.

(٣) في (د) و(ر): يُشربُ.

(٤) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

أرسلني إلى نسائه كلما شربت امرأة ردّني إلى الأخرى، وقال: **«بسم الله»**، حتّى شربن كلّهنّ، ثم رددته إليه، فقال: **«بسم الله»**، فشرب ما شاء الله. ثم أعطاني فشربت شراباً، أحلى من العسل وأطيب من المسك. وقال: **«اللهم بارك لأهلها فيها»**.

قلت: قد رُوِيَ هذا الحديث عن الأجري.

قال ابن القطان: ومن ذلك ما رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث إلى بيوته التسع يسألهم [طعاماً][1] فلم يجدوا ذلك، فدعا بعناق لم تلد قط، فمسح الضرع، فدفعت بشيء ملأت ما بين رجليها، فدعا بقعب فسقى تلك البيوت التسع.

قلت: ورُوِيَ هذا الحديث عن حماد بن إسحٰق[2]، وفي رواية: بعث إلى بيت منها بقعب، ثم حلب فشرب وشربنا ﷺ.

قلت: ومن هذا الباب قصّته ﷺ الشهيرة، وبركاته العميمة، في شاة أمّ معبد[3]، وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله في موضعه.

[وروى أبو نعيم في حليته، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت غلاماً يافعاً، أرعى غنماً لعقبة من أبي معيط بمكة، فأتى عليّ رسول الله ﷺ، وأبو بكر، فقال: **«يا غلام هل عندك[4] لبن تسقينا؟»**

---

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) حماد بن إسحٰق: أبو إسماعيل حماد بن أبي سليمان بن مسلم الكوفي، مولى الأشعريّين. روي عن أنس بن مالك، وتفقّه بإبراهيم النخعي، وحدّث عن سعيد بن المسيب وعامر الشعبي، وروى عنه تلميذه الإمام أبو حنيفة، وابنه إسماعيل، والأعمش، وغيرهم، توفي عام ١٢٠.
- سير أعلام النبلاء: ٢٣١/٥ ـ ٢٣٩، رقم: ٩٩.

(٣) أمّ معبد: عاتكة بنت خالد أخت حبيش بن خالد، الخزاعية، هي التي مرّ على خيمتها رسول الله ﷺ حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة صحبة أبي بكر، وعامر بن فهيرة، ودليلهم عبدالله بن الأريقط الليثي.
- الاستيعاب: ١٩٥٨/٤ ـ ١٩٦٢، رقم: ٤٢١٥.

(٤) في الحلية: عندك لبن؟

فقلت: إنّي مؤتمن، ولست بساقيكما، فقال: **«هل عندك من جدعة لم ينز عليها الفحل بعد؟»** فأتيته[1] بها، فاعتقلها أبو بكر.

وأخذ رسول الله ﷺ الضّرع فحلب وشرب هو وأبو بكر ثم قال للضرع: **«اقلص»** فقلص، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: علّمني من هذ القول الطيّب.

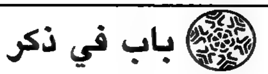
فقال رسول الله ﷺ: **«إنّك غلام مُعلّمٌ[2]»**].



(١) في الأصل. و(د): فأتيتها، والإصلاح من الحلية.

(٢) في (ر): ما بين الحاصرتين ساقط.

● حلية الأولياء: ١/١٢٥.



باب في ذكر جمل من معجزاته وباهر آياته ﷺ في تكثير الطعام وغيره

روى مسلم والبخاري في صحيحهما عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لما حُفر الخندق رأيت رسول[1] الله ﷺ خمصاً[2]، فانكفأتُ[3] إلى امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإنّي رأيت رسول[3] الله ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجتْ لي جراباً فيه صاع من شعير. ولنا بُهيْمة داجن. قال: فذبحتها، وطحنت ففرغت إلى فراغي فقطّعتها في برمتها، ثم ولّيت إلى رسول الله ﷺ. فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه؟ قال: فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله إنّا قد ذبحنا بُهيمة لنا، وطحنت صاعاً من شعير كان معنا[4]، فتعال أنت في نفر معك. فصاح رسول الله ﷺ، وقال: «**يا أهل الخندق إنّ جابراً قد صنع لكم سوراً[5] فحيهلا بكم**» وقال رسول الله ﷺ: «**لا تزيلُنّ[6] بُرمتكم، ولا تخبِزُنّ عجينكم[7] حتّى أجيء**»، فجئت، وجاء رسول الله ﷺ يقْدُم الناس. حتّى جئت امرأتي. فقالت: بك بك. فقلت: قد فعلت الذي قلت لي. فأخرجت له عجيناً فبسق[8] فيها وبارك.

---

(١) في (د) ومسلم: برسول الله.

(٢) الخمص: خلاء البطن من الطعام.

(٣) اكفأت: انقلبت ورجعت.

(٤) في مسلم: كان عندنا.

(٥) السّور: بضم السين وسكون الواو غير مهموز ـ هو الطعام الذي يُدعى إليه، وقيل: الطعام مطلقاً.

(٦) في مسلم: لا تنزلُنّ.

(٧) في مسلم: عجينتكم.

(٨) في مسلم: فبصق.

ثم عمد إلى برمتنا فبسق[1] فيها وبارك فقال[2]: «**ادعي خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها**». وهم ألف.

فأقسموا بالله لأكلوا حتّى تركوه وانحرفوا، وإنّ برمتنا لتغطُّ[3] كما هي، وإنّ عجيننا[4] ليخبز كما هو[5].

وروينا في صحيح مسلم عن إياس بن سلمة[6] عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فأصابنا جهد، حتّى هممنا/ أن ننحر [بعض][7] ظهرنا فأمر نبيُّ الله ﷺ فجمعنا أزوادنا[8]، فبسطنا له نطعاً[9]، فاجتمع زاد القوم على النّطع. قال: فتطاولتُ لأحرزه كم هو؟ قال: فحزرته كربضة[10] العنز، ونحن أربع عشرة مائة، قال: فأكلنا حتّى شبعنا جميعاً، ثم حشونا جُربَنا[11]. فقال النبيّ[12] ﷺ: «**فهل من**

٨٨/ظ

(١) في مسلم: فبصق.
(٢) في مسلم: ثم قال.
(٣) تغطُّ: تغلي ويُسمع غيلانها.
(٤) في مسلم: عجينتنا ـ أو كما قال الضحّاك لتخبز كما هو ـ.
(٥) ● أ ـ صحيح مسلم ـ واللفظ له ـ ٣/١٦١٠ ـ ١٦١١، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، ويتحققه تحققاً تاماً واستحباب الاجتماع على الطعام.
● ب ـ صحيح البخاري، ٥/١٣٩، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.
(٦) إياس بن سلمة بن الأكوع الأسلمي المدني، حدّث عنه موسى بن عبيد، وعكرمة بن عمار وغيرهما، وثّقة يحيىٰ بن معين، توفي سنة تسع عشرة ومائة [١١٩].
● سير أعلام النبلاء، ٥/٢٤٤، تر: ١٠٧.
(٧) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٨) في مسلم: مزاودنا.
(٩) نطعاً: سفرة من أديم، أو بساطاً.
(١٠) ربضة العنز: مبركها، أو قدرها وهي رابضة.
(١١) الجرب: جمع جراب، وهو الوعاء من الجلد يجعل فيه الزّاد.
(١٢) في مسلم: فقال نبيّ الله.

وضوء؟» قال: فجاء رجل بأداوة[1] فيها نطفة[2]، فأفرغها في قدح، فتوضّأنا كلنا ندغفقه[3] دغفقة أربع عشرة مائة[4]، ثم جاء بعد ثمانية فقالوا: هل من طهور؟ فقال رسول الله ﷺ: «فرغ الوضوء[5]».

وروى أبو نعيم في الحلية عن صهيب[6] رضي الله عنه قال: صنعت لرسول الله ﷺ طعاماً فأتيته وهو في نفر جالس، فقمت حياله، فأومأت إليه، فأومأ إليّ وهؤلاء؟ فقلت: لا. فسكت، فقمت مكاني فنظر إليّ أومأتُ إليه. فقال: «وهؤلاء؟» فقلت: لا مرّتين، فعل ذلك أو ثلاثاً، فقلت: نعم، وهؤلاء، وإنّما كان شيئاً يسيراً صنعته له. فجاء وجاءوا معه فأكلوا. قال: وفضل منه[7].

وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه[8] قال: قال أبو طلحة[9] ....

---

(١) الأداوة: المطهرة.

(٢) فيها نطفة: قليل من الماء.

(٣) ندغفقة دغفة: نصبّه شديداً.

(٤) في مسلم قال: ثم جاء...

(٥) صحيح مسلم: ١٣٥٤/٣ ـ ١٣٥٥، كتاب اللقطة، باب استحباب خلط الأزواد إذا قلّت، والمواساة فيها.

(٦) صهيب: أبو يحيىٰ صهيب بن سنان بن مالك الرّومي، أسلم يوم إسلام عمّار بن يسار، فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة تبعه صهيب، فقالت له قريش: والله لا تفجعنا بنفسك ومالك فردّ إليهم ماله، ونجا بنفسه ودينه، فقال له النبيّ ﷺ: «ربح البيع أبا يحيىٰ»، فأنزل الله في حقّه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] توفي بالمدينة سنة ثمان وثلاثين [٣٨] وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

● الاستيعاب، ٧٢٦/٢ ـ ٧٣٣، تر: ١٢٢٦.

(٧) حلية الأولياء، ١٥٤/١.

(٨) في مسلم: بلا ترضية.

(٩) أبو طلحة: زيد بن سهل بن الأسود الأنصاري النجاري الخزرجي، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو القائل:

لأم سليم[1]: لقد سمعت[2] صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم. فأخرجتْ أقراصاً من شعير، ثم أخذت خماراً لها، فلفّت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت ثوبي، وردّتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم فقال رسول الله ﷺ: «**أرسلك أبو طلحة؟**[3]» فقلت: نعم. فقال: «**ألطعام؟**» فقلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «**قوموا**». قال: فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتّى جئت أبا طلحة فأخبرته. فقال أبو طلحة: يا أمّ سليم، قد جاء رسول الله ﷺ والنّاس[4] وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. قال: فانطلق أبو طلحة حتّى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ معه حتّى دخلا، فقال رسول الله ﷺ: «**هلمّي. ما عندك يا أمّ سليم!**» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففُتّ وعصرتْ عليه أمّ سليم عكّة لها، فآدمته، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول.

= أنا أبو طلحة واسمي زيد وكل يوم في سلاحي صيد

قتل يوم حنين عشرين رجلاً، وأخذ أسلابهم، وفيه قال الرسول ﷺ: «**لصوت أبي طلحة في الجيش خير من مائة رجل**» توفي بالمدينة سنة ٣١ وصلّى عليه الخليفة عثمان وهو ابن سبعين سنة.

● الاستيعاب: ٤/١٦٩٧ ـ ١٦٩٩، تر: ٣٠٥٥.

(١) أمّ سليم: سهلة بنت ملحان بن خالد بن زيد، وقيل: اسمها رميلة، وقيل: مليكة، كانت تحت مالك بن النضر أبي أنس بن مالك، فلما جاء الإسلام أسلمت مع قومها، وعرضته على زوجها فغضب عليها وخرج إلى الشام فهلك هناك، وخلف عليها أبو طلحة الأنصاري، وكانت من عقلاء النّساء، وروت عن رسول الله ﷺ عدّة أحاديث.

● الاستيعاب: ٤/١٩٤٠ ـ ١٩٤١، تر: ٤١٦٣.

(٢) في مسلم: قد سمعت...

(٣) في مسلم: قال: فقلت: نعم.

(٤) في مسلم: بالناس...

ثم قال: «**ائذن لعشرة**»، فأذن لهم فأكلوا، حتّى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «**ائذن لعشرة**»، فأذن لهم فأكلوا، حتّى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «**ائذن لعشرة**» أكل القوم كلّهم وشبعوا، والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون[1].

وروينا في صحيحي البخاري ومسلم: ولفظهما سواء ـ عن عبدالرحمٰن بن أبي بكر[2] رضي الله عنهما قال: كنّا مع النبيّ ﷺ ثلاثين ومائة، فقال النبيّ ﷺ: «**هل مع أحد منكم طعام؟**» فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه. فعجن. ثم جاء رجل، مشرك مشعان طويل، بغنم يسوقها. فقال النبيّ ﷺ: «**أبيع أم عطية**» أو قال: «**هبة؟**»[3]. قال: بل بيع. فاشترى منه شاة، فصنعت. وأمر[4] نبيّ الله ﷺ بسواد البطن يشوى[5]. وأيمُ الله! ما من الثلاثين ومائة إلاّ وقد حزّ له رسول الله ﷺ حزّة من سواد بطنها. إن كان شاهداً أعطاه[6] إياها، وإن كان غائباً خبّأها له، ثم جعل[7] فيها قصعتين فأكلنا أجمعون وشبعنا. وفضل في القصعتين، فحملته على البعير[8] أو كما قال[9].

---

(١) ● أ ـ صحيح مسلم ـ واللفظ له ـ ١٦١٢/٣، كتاب الأشربة، باب استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك. . .
● ب ـ صحيح البخاري: ٨٩/٧ ـ ٩٠، كتاب النفقات، باب من أكل حتّى شبع.

(٢) أبو عبدالله عبدالرحمٰن بن أبي بكر الصديق، واسمه في الجاهلية: عبد الكعبة، شهد بدراً وأحداً، مع قومه كافراً. وطلب مبارزة أبيه، فقام إليه أبوه فقال له الرسول ﷺ: متّعنا بنفسك، ثم أسلم وحسُن إسلامه. شهد الجمل مع أخته عائشة، وكان أخوه محمد مع الإمام علي كرّم الله وجهه. توفي بالقرب من مكة فحمل إليها حيث دُفن. وذلك عام ثلاثة وخمسين [٥٣].
● الاستيعاب: ٨٢٤/٢ ـ ٨٢٦، تر: ١٣٩٤.

(٣) في مسلم: أم هبة؟

(٤) في مسلم: وأمر رسول الله ﷺ.

(٥) في مسلم: أن يشوى، قال: وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا حزّ رسول الله ﷺ حزّة حزّة. . .

(٦) في مسلم: أعطاه وإن كان غائباً خبّأ له. وفي البخاري: إن كان شاهداً أعطاها إياه. . .

(٧) في مسلم: قال: وجعل قصعتين، فأكلنا منهما أجمعون. . .

(٨) في (ر): العير.

(٩) ● أ ـ صحيح البخاري: ٩٠/٧، كتاب النفقات، باب من أكل حتّى شبع.
● ب ـ صحيح مسلم: ١٦٢٦/٣ ـ ١٦٢٧، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.

وقوله مشعان: معناه منتفش الشعر.

وروينا في صحيح البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله .قد علمت أن والدي استشهد[1] يوم أحد، وترك عليّ ديناً كثيراً، وإنّي أحبّ أن يراك الغرماء.

٨٩/و قال[2]: «**اذهب فبيدر كل تمر على ناحيته**[3]»/ ففعلت ثم دعوته، فلما نظروا إليه أغروا بي[4] تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون أطاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات ثم جلس عليه. ثم قال: «**ادع**[5] **أصحابك**». فما زال يكيل لهم حتّى أدّى[6] الله أمانة والدي ـ وأنا والله راضٍ أن يؤدي الله أمانة والدي، ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة ـ فسلم[7] ـ والله ـ البيادر كلها، وحتّى إنّي أنظر إلى البيدر الذي[8] عليه رسول الله ﷺ كأنه لم ينقص تمرة واحدة[9].

قال عياض وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك[10].

ومن آياته ﷺ في هذا الباب: ما نقله ابن القطان، وعياض في الشفاء، واللفظ لابن القطان قال: روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ ادع لي أصحاب الصُّفّة، فجعلت أتتبّعهم رجلاً رجلاً،

---

(١) في البخاري: قد استشهد...
(٢) في البخاري: فقال:...
(٣) في البخاري: ناحيةٍ، وفي (ر): نحيته.
(٤) في البخاري: كأنهم أغروا بي...
(٥) في البخاري: ادع لك أصحابك.
(٦) في البخاري: أدّى الله عن والدي أمانته وأنا أرضى أن يؤدي...
(٧) في البخاري: فسلّم الله البيادر كلّها...
(٨) في البخاري: الذي كان عليه النبيّ ﷺ كأنها لم تنقص تمرة واحدة.
(٩) صحيح البخاري: ١٢٣/٥ ـ ١٢٤، باب إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون.
(١٠) الشفاء: ٤١٦/١.

أوقظهم حتّى جمعتهم، فجئنا باب رسول الله ﷺ، فاستأذنت. فأذن لنا. قال أبو هريرة: ووضع بين أيدينا صحفة فيها صنيع قدر مدٍّ من شعير. قال: فوضع رسول الله ﷺ يده عليها فقال: «**خذوا بسم الله**». قال: فأكلنا ما شئنا ثم رفعنا أيدينا، فقال رسول الله ﷺ حين وضعت الصحفة، «**والذي نفس محمد بيده ما أمسى في آل محمد طعام غير شيء ترونه**»، فقيل لأبي هريرة: قدركم كانت حين فرغتم؟ قال: مثلها حين وُضعت، إلا أنّ فيها أثر الأصابع[1].

قلت: ورأيت الحديث معزواً لابن أبي شيبة[2].

واعلم: وفقني الله وإياك لمرضاته أنّ هذا الباب بحر طافحٌ، لا يمكن استقصاؤه، وأنا إن شاء الله أذكر من ذلك ما يُثلج الصدر معزواً فإنّي أحبّ العزو ولا يثلج الصدر إلا بما عُزي للأمة، وهذا هو الذي عليه فضلاء الأمّة وأئمة الحديث.

قال عياض وعن عليّ رضي الله عنه قال: جمع رسول الله ﷺ بني عبدالمطلب، وكانو أربعين، منهم قوم يأكلون الجذعة، ويشربون الفرق[3]، فصنع لهم مداً من طعام، فأكلوا، حتّى شبعوا، وبقي كما هو. ثم دعا بعسّ[4] فشربوا منه حتّى رووا، وبقي كأنه لم يُشرب[5].

ونقل ابن القطان هذا الحديث مطوّلاً وأنهم لما شبعوا ورووا قال أبو لهب: ما رأينا اليوم كالسحر.

---

(١) الشفاء: ٤١٣/١.

(٢) المصنف في الأحاديث والآثار ـ ٤٢٦/٧، رقم ٧٣، كتاب الفضائل ـ باب ما أعطى الله تعالى محمداً ﷺ.

(٣) الفرق: مكيال معروف بالمدينة، وهو ستة عشر رطلاً، وقد يحرك، والجمع فرقان، كبطن وبطنان وحمل وحملان.

(٤) العسّ: بضم العين وتشديد السين المهملتين ـ: قدح ضخم.

(٥) الشفاء: ٤١٤/١. وفيه: لم يشرب منه.

وقال أنس ـ رضي الله عنه ـ: إن النبيّ ﷺ لما ابتنى[1] بزينب[2] أمره أن يدعو له قوماً سمّاهم، وكلّ من لقيت، حتّى امتلأ البيت، والحجرة، وقدّم له توراً[3] فيه قدر مدٍّ من تمر، جعُل حيساً[4]، فوضعه قدّامه، وغمس ثلاث أصابعه، وجعل القوم يتغدون ويخرجون، وبقي الثور[5] نحواً مما كان، وكان القوم أحداً[6] أو اثنين وسبعين[7].

قلت: هذا لفظ عياض. وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه. قال: تزوّج رسول الله ﷺ، فدخل بأهله. قال: فصنعت أمّي أمّ سليم حيساً فجعلته في تور، فقالت: يا أنس! اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ. فقل بعثت بهذا إليك أمّي. هي تقرئك السلام. وتقول: إنّ هذا لك منا قليل، يا رسول الله! قال: فذهبت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: إنّ أمّي تقرئك السلام وتقول: إنّ هذا لك منّا قليل يا رسول الله! فقال: «**ضعه**»، ثم قال: «**فادع لي فلاناً وفلاناً وفلاناً، ومن لقيت**».

وسمّى[8] رجالاً قال: فدعوت من سمّى ومن لقيت. قال: قلت لأنس: عددكم كانوا؟ قال: زهاء ثلاث مائة. وقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أنس هات التّور**». قال: فدخلوا حتّى امتلأت الصّفّة والحجرة. فقال

---

(١) في الشفاء: حين ابتنى.

(٢) زينب: أمّ المؤمنين زينب بنت جحش بن رئاب، وأمّها أميمة بنت عبد المطلب. عمة رسول الله ﷺ ـ تزوّجها الرسول في سنة خمس من الهجرة، وكانت تحت زيد بن حارثة، وكان تسمّى برّة فسماها الرسول ﷺ زينب، وقال المنافقون، تزوّج محمد امرأة ابنه ـ فأنزل الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وكانت أول نساء النبيّ ﷺ وفاة بعده وذلك في خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين.

● **الاستيعاب: ١٨٤٩/٤ ـ ١٨٥٢، تر: ٣٣٠٠.**

(٣) التّور: إناء يشرب فيه وقد يتوضّأ منه.

(٤) الحيس: تمر وإقط وسمن ودقيق تخلط وتعجن وتسوّى كالثريد. قال الشاعر:

وإذا تكون كريهة أُدعى لها ... وإذا يُحاس الحيس يُدعى جُندب

(٥) في الأصل: التمر.

(٦) الأصل: إحدى.

(٧) الشفاء: ٤١٤/١.

(٨) في مسلم: قال: وسمّى رجالاً...

رسول الله ﷺ: **«ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل إنسان مما يليه»**.

قال: فأكلوا حتّى شبعوا. قال: فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتّى أكلوا كلهم. فقال لي: **«يا أنس ارفع»**. قال: فرفعت، فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت. الحديث[1].

ومن آياته ﷺ ما ذكره عياض في الشفاء، وابن القطان، واللفظ له.

قال ابن القطان رُوِيَ عن النعمان بن مقَرِّن[2]/ المزني[3]. ٩٠/ظ

قال: قدمت على رسول الله ﷺ في أربعمائة من مزينة نسأله الطعام. فقال لعمر رضي الله عنه: **«اذهب فأعطهم»**. فقال: يا رسول الله ما هي إلا أصوع من تمر ما أراهنّ يغبطن بنيّ. قال: **«اذهب فأعطهم»** [قال][4] سمعاً وطاعة، فأخرج عمر المفتاح من حجرته: ففتح الباب فإذا شبه الفصيل[5] الرابض من التمر، فأخذ كل واحد منّا، ثم التفت، وكنت آخر القوم، فما أفقد منه موضع تمرة. ولقد احتمل منه أربعمائة رجل.

ثم ذكر عياض أنّ هذا الحديث من رواية دُكين الأحمسي[6]، ومن

---

(١) صحيح مسلم: ١٠٥١/٢، كتاب النكاح، زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس.

(٢) النّعمان بن مقرّن: أبو عمرو النعمان بن مقرن بن عائذ المزني، صاحب لواء مزينة يوم الفتح، هاجر إلى المدينة ومعه أربعمائة من مزينة، ثم سكن البصرة، وتحوّل منها إلى الكوفة. قُتل شهيداً يوم الجمعة في واقعة نهاوند عام واحد وعشرين، ولما جاء نعيُه عمر بن الخطاب خرج فنعاه إلى الناس على المنبر، ووضع يده على رأسه يبكي. روى عنه من الصحابة معقل بن يسار، وطائفة من التابعين منهم ابن سيرين، وأبو خالد الوالبي.

● الاستيعاب: ١٥٠٥/٤ ـ ١٥٠٧، رقم: ٢٦٢٦.

(٣) في (ر): المازني.

(٤) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٥) شبه الفصيل: أي كان التمر قدر ولد الناقة الصغير البارك الرابض على الأرض. يريد أنّ التمر قليل.

(٦) دُكين الأحمسي: دكين بن سعيد المزني، ويقال: الخُثعُمي، وهو معدود فيمن نزل الكوفة من الصحابة. قال دكين: أتينا رسول الله ﷺ، نسأله الطعام، فقال النبيّ ﷺ لعمر: قم أعطهم. قال: سمع وطاعة.

● أ ـ الإصابة: ٧٤٦/١، تر: ٢٤٠١.

● ب ـ الاستيعاب: ٤٦٢/٢ ـ ٤٦٣، تر: ٧٠٤.

رواية جرير بن عبدالله[1]، ومن رواية النعمان بن مقرن[2].

ومن آياته ﷺ: ما ذكره عياض وابن القطان ـ وسياق ابن القطان أكمل ـ قال ابن القطان:

رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة أمعك شيء؟**» قلت: نعم، فأخرجت تمراً من مزود كان معي، فإذا فيه سبع وعشرون تمرة، فوضعتهنّ لرسول الله ﷺ، وعنده ناس، قال: «**كلوا بسم الله**»، فأكلوا وبقي. قال: «**يا أبا هريرة أعده في المزود، فإن أردت أن تأخذ منه شيئاً، فأدخل يدك فيه، ولا تكُبَّه**». قال: فما زال معي حتّى قتل عثمان.

وفي رواية: أنه كان يأكل منه ويطعم، وأنه وجّه منه رواحل في سبيل الله.

وعنه في لفظ آخر أنه قال: أُصبت بموت النبيّ ﷺ، وكنت صُوَيْحبَه وخديمه، وبقتل عثمان رضي الله عنه، وبالمزود، قالوا: يا أبا هريرة! وما المزود؟ قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فأصاب الناس مخمصة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة هل من شيء؟**» قلت: نعم. شيء من تمر في مزود. قال: «**فائتني به**». فأتيته به، فأدخل يده فأخرج قبضة، فبسطها. ثم

---

(١) جرير بن عبد الله: أبو عمرو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي الصحابي الشهير، وكان جميلاً، قال فيه عمر: هو يوسف هذه الأمّة. قال: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم، وقال فيه حين أقبل وافداً عليه: يطلع عليكم خير ذي يمن، كأن على وجهه مسحة ملك، فطلع جرير، وفيه قال الشاعر:

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبئست القبيلة

فقال عمر بن الخطاب: ما مدح من هجي قومُه، نزل جرير الكوفة، وسكنها وكان له بها دار. وتوفي عام أربعة وخمسين رضي الله عنه [٥٤].

- أ ـ الإصابة: ٢٣٢/١، تر: ١١٣٦.
- ب ـ الاستيعاب: ٢٣٦/١ ـ ٢٤٠، تر: ٣٢٢.

(٢) الشفاء ٥١٤/١.

قال: **«ادع لي عشرة»**. فدعوت عشرة. فأكلوا حتّى شبعوا، ثم أدخل يده فأخرج قبضة، فبسطها، ثم قال: **«ادع لي عشرة»**. فدعوت عشرة، فأكلوا حتّى شبعوا. فما زال يصنع ذلك حتّى أطعم الجيش كله، وشبعوا. ثم قال: **«خذ بما جئت به، وأدخل يدك واقبضه ولا تكُبّه»**، قال أبو هريرة: فقبضت على أكثر ممّا جئت به.

قال أبو هريرة: ألا أحدثكم ما أكلت منه. أكلت منه حياة رسول الله ﷺ، وأطعمت، وحياة أبي بكر رضي الله عنه وأطعمت، وحياة عمر رضي الله عنه وأطعمت. فلما قُتل عثمان انتُهب منّي وذهب المزود. وفي رواية: انتهبت بيتي.

وفي رواية: لقد جهّزت منه خمسين وسقاً في سبيل الله تعالى.

قلت: ورُويت هذه الروايات من طرق، وأخرجها جماعة كابن سنجر الجرجاني[1] والأجري، وابن السكن، والترمذي، وغيرهم.

قال عياض: وذكر مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك. وأن التمر كان بضع عشرة تمرة[2].

ولفظ ابن القطان وذكر أنه ﷺ اجتمع إليه فقراء أصحابه، وأهل الخصاصة في غزوة تبوك. فشكوا من المعاش ضيقاً، فدعا بفضلة زادٍ لهم، فلم يوجد إلا بضع عشرة تمرة، فوضعت بين يديه ﷺ، فوضع يده عليها، وقال: **«كلوا بسم الله»**، فأكلوا حتّى شبعوا وهي بحالها يرونها.

---

(١) ابن سنجر: أبو عبدالله محمد بن سنجر الجرجاني، صاحب المسند، سمع يزيد بن هارون، والغرياني وغيرهما، وأخذ عنه عيسى بن مسكين، وعبدالجبار بن أحمد السّمرقندي، وإبراهيم بن محمد بن الضحاك وغيرهم. سكن ابن سنجر قرية قطابة من أعمال مصر، وتوفي في ربيع الأول سنة ٢٥٨.

(٢) الشفاء: ٤١٧/١. تذكرة الحفاظ: ٥٧٨/١، تر: ٦٠٢.

قلت: ولفظ الترمذي على ما نقله عنه البغوي[1] في «المصابيح»، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: أتيت النبيّ ﷺ بتمرات فقلت: يا رسول الله، ادع الله فيهن بالبركة، فضمهنّ، ثم دعا لي بالبركة. قال[2]: **«خذهن فاجعلهن في مزودك كلما أردت أن تأخذ منه شيئاً فأدخل يدك فيه فخذه ولا تنثر نثراً[3]»**، فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله، فكنا نأكل منه ونطعم، وكان لا يفارق حقوي[4] حتّى كان يوم قتل عثمان فإنه انقطع[5].

ومن آياته ﷺ: وما رواه ابن إسحـٰق: أنّ ابنة لبشير[6] بن سعد[7]. قالت: دعتني أمّي عمرة بنت رواحة[8]، فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت[9]: بُنيّتي: اذهبي إلى أبيك وخالك عبدالله بن

(١) البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد صاحب «معالم التنزيل» و«شرح السنة» و«التهذيب» و«المصابيح» ولد سنة ٤٣٦ وتوفي بمدينة مرو في شوال سنة ٥١٦.
● تذكرة الحفاظ: ١٢٥٧/٤ ـ ١٢٥٩، تر: ١٠٦٢.

(٢) في الترمذي: فقال: خذهنّ واجعلهن في مزودك...

(٣) في (ر): ولا تنشره نشراً.

(٤) الحقو ـ بالفتح ـ: الإزار، والحقو أيضاً: الخصر وشدّ الإزار.

(٥) صحيح الترمذي: ٦٨٥/٥ ـ ٦٨٦، رقم ٣٨٣٩، كتاب المناقب، باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أبو النعمان بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، شهد العقبة وبدراً، وأحداً والمشاهد بعدها. أول من بايع أبا بكر بالخلافة يوم السقيفة من الأنصار، استشهد في خلافة أبي بكر بعين التمر وذلك عام ١٢، روى عنه ابنه النّعمان، وجابر بن عبدالله.
● الاستيعاب، ١٧٢/١ ـ ١٧٣، تر: ١٩٣.

(٧) في ابن هشام: أخت النعمان بن بشير قالت:...

(٨) عمرة بنت رواحة: أخت عبدالله بن رواحة، لما ولدت ابنها النعمان بن بشير حملته إلى رسول الله ﷺ فدعا بتمرة فمضغها، ثم ألقاها في فيه فحنكه بها، فقالت يا رسول الله: ادع الله أن يكثر ماله وولده، فقال لها: أما ترضين أن يعيش كما عاش خاله حميداً، وقتل شهيداً، ودخل الجنة.
● الاستيعاب: ١٨٨٧/٤، تر: ٤٠٤٠.

(٩) في ابن هشام: أي بنيتي:...

رواحة[1] بغدائهما. قالت: فأخذتها، فانطلقت بها.

فمررت برسول الله ﷺ/ وأنا ألتمس أبي وخالي: فقال: **«تعالي يا بنية، ما هذا معك؟»** قالت: قلت[2]: يا رسول الله! هذا تمر بعثت به أمي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبدالله بن رواحة يتغديانه، قال: **«هاتيه»**؛ قالت: فصببته في كفي رسول الله ﷺ، فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر[3] عليه فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: **«أصرخ في أهل الخندق: أن هلمّ إلى الغداء»**، فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتّى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب[4]. ٩١/ظ

وروى الترمذي عن أبي العلاء[5]، عن سمرة بن جندب[6] رضي الله عنه[7] قال: كنّا مع النبيّ[8] ﷺ نتداول في قصعة من غدوة[9] حتّى الليل،

---

(١) أبو محمد عبدالله بن رواحة بن ثعلبة أحد النقباء، شهد العقبة، وبدراً، وأحداً، والمشاهد كلها إلا الفتح وما بعده لأنه قتل يوم مؤتة شهيداً مع صاحبيه: جعفر، وزيد عام ٨.
● الاستيعاب: ٨٩٨/٣ ـ ٩٠١، تر: ١٥٣٠.

(٢) في ابن هشام: فقلت: . . .

(٣) في الأصل: بتمر.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٢١٨/٢.

(٥) أبو العلاء العامري البصري، يزيد بن عبدالله بن الشّخير، أحد الأئمة، حدّث عن أبيه، وأخيه مطرّف، وعمران بن حصين، وعائشة أم المؤمنين، وعثمان بن أبي العاص، وأبي هريرة، وحدث عنه قتادة، وخالد الخداء، وسليمان التيمي وآخرون. كان ثقة، فاضلاً، كبير القدر، توفي سنة ١٠٨.
● سير أعلام النبلاء: ٤٩٣/٤ ـ ٤٩٤، تر: ١٩٣.

(٦) سمرة بن جندب: أبو عبدالرحمٰن سمرة بن جندب بن هلال، صدوق الحديث، عظيم الأمانة، سكن البصرة، كان زياد يستخلفه على البصرة ستة أشهر، وعلى الكوفة مثلها، وقبل وفاة زياد استخلفه على البصرة فأقرّه معاوية عليها، ثم عزله بعد عام، توفي بالبصرة عام ٥٨. وقد روى عنه كثير من التابعين بالبصرة.
● الاستيعاب: ٢/ ٦٥٣ـ ٦٥٥، تر: ١٠٦٣.

(٧) في الترمذي: بدون ترضية.

(٨) في الترمذي: مع رسول الله ﷺ.

(٩) في الترمذي: عن غدوة.

يقوم عشرة ويقعد عشرة. قلنا: فما كانت تُمدُّ؟ قال: «**من أي شيء تعجب! ما كانت تمدّ إلا من هـٰهنا وأشار بيده إلى السّماء**».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[1].

وروى أبو نعيم في الحلية عن واثلة بن الأسقع[2] رضي الله عنه قال: حضر[3] رمضان ونحن في الصفة فصمنا، فكنّا إذا فطرنا أتى كل رجل منّا رجل فأخذه فانطلق به فعشّاه، فأتت علينا ليلة لم يأتنا أحدٌ، ثم أصبحنا صياماً، ثم أتت القابلة علينا فلم يأتنا أحد، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه بالذي كان من أمرنا، فأرسل إلى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شيء؟ فما بقيت منهم امرأة إلا أرسلت تقسم ما أمسى في بيتها ما يأكل ذو كبد.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «**اجتمعوا**»، فدعا رسول الله ﷺ فقال: «**اللهم إنّا نسألك من فضلك ورحمتك، فإنهما بيدك، لا يملكهما أحد غيرك**»، فلم يكن إلا ومستأذن يستأذن، فإذا بشاة مصلية ورغف[4]، فأمر بها رسول الله ﷺ فوضعت بين أيدينا، فأكلنا حتّى شبعنا. فقال لنا رسول الله ﷺ: «**إنّا سألنا الله من فضله ورحمته وقد ذخرنا رحمته**»[5].

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: كنت من أصحاب الصفة، فشكا أصحابي الجوع. فقالوا يا واثلة: اذهب إلى رسول الله ﷺ، فاستطعمه لنا ﷺ فذهبت. فقلت: يا رسول الله إنّ أصحابي يشكون الجوع، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة هل عندك من شيء؟**» قالت: يا رسول الله ما

---

(١) صحيح الترمذي، رقم ٣٦٢٥، ٥٠، كتاب المناقب، باب في إثبات نبوّة النبيّ ﷺ وما خصّه الله عزّ وجلّ به.

(٢) واثلة بن الأسقع: أبو محمد واثلة بن الأسقع بن عبدالعزّى، أسلم والنبيّ ﷺ يتجهز إلى تبوك، وخدم رسول الله ﷺ ثلاث سنين، وكان من أهل الصفة، نزل البصرة، وله بها دار، ثم سكن الشام، ثم تحول إلى بيت المقدس، ومات بها سنة ٨٥ وهو ابن مائة سنة.

● الاستيعاب: ٤/١٥٦٣ ـ ١٥٦٤، تر: ٢٧٣٨.

(٣) في الحلية: حضرنا.

(٤) في الحلية: وأرغفة.

(٥) في الحلية: وقد ذخرنا لنا عنده رحمة.

عندي إلا فتات خبز. قال: **«هاتيه»**. فجاءت بجراب فدعا رسول الله ﷺ بصحفة، فأفرغ الخبز فيها، ثم جعل يصلح الثريد بيده، وهو يربو، حتّى امتلأت الصحفة. فقال: **«يا واثلة اذهب فجيء بعشرة من أصحابك، وأنت عاشرهم»**، فذهبت فجئت بعشرة من أصحابي وأنا عاشرهم، فقال: **«اجلسوا خذوا بسم الله، خذوا من حواليها، ومن أعلاها، فإنّ البركة تنحدر من أعلاها»**، فأكلوا حتّى شبعوا ثم قاموا، وفي الصحفة مثل ما كان فيها، ثم جعل يصلحها بيده، وهي تربو، حتّى امتلأت. فقال: **«يا واثلة، اذهب فجيء بعشرة من أصحابك»**، فذهبت فجئتُ بعشرة، فقال: **«اجلسوا»**، فجلسوا، فأكلوا حتّى شبعوا. ثم قاموا. ثم قال: **«اذهب فجيء بعشرة من أصحابك»**، فذهبت فجئت بعشرة. ففعلوا مثل ذلك. فقال: **«هل بقي أحد؟»** فقلت: نعم عشرة قال: **«اذهب فجيء بهم»**، فذهبت فجئت بهم. فقال: **«اجلسوا»**، فجلسوا، فأكلوا حتّى شبعوا ثم قاموا وبقي [في][1] الصحفة مثل ما كان. ثم قال: **«يا واثلة اذهب بها إلى عائشة»**[2][3].

فصل

ومن آياته العجيبة[4] ﷺ ما ذكر عياض وغيره

عن الأجري في إنكاح النبيّ ﷺ لعليّ فاطمة[5] رضي الله عنهما[6] أنّ

---

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) في (ر): من «روى أبو نعيم إلى عائشة» ساقط.
(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٢/٢١ ـ ٢٣.
(٤) في (ر): ومن آياته ﷺ العجيبة.
(٥) فاطمة: سيدة نساء العالمين، فاطمة بنت رسول الله ﷺ، أصغر بناته الأربع: زينب، رقية، أم كلثوم، ولدت سنة إحدى وأربعين من ميلاد أبيها ﷺ، وتزوّجت بعليّ بعد غزوة أحد، وسنها خمس عشرة سنة، وسن عليّ إحدى وعشرون سنة، وولدت له: الحسن، والحسين، وأم كلثوم، وزينب، ولم يتزوج عليها حتّى توفيت بعد أبيها بستة أشهر، وذلك يوم الثلاثاء الثالث من رمضان عام أحد عشر، عليها السلام.
● الاستيعاب: ٤/١٨٩٣ ـ ١٨٩٩، تر: ٤٠٥٧.
(٦) في الشفاء: بدون ترضية.

النّبي ﷺ أمر بلالاً[1] رضي الله عنه بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة، وبذبح[2] جزور[3] لوليمتها.

٩٢/ظ قال: فأتيته بذلك. فطعن في رأسها، ثم أدخل الناس، رفقة رفقة/ يأكلون منها حتّى فرغوا، وبقيت منها فضلة، فبرّك فيها، وأمر بحملها إلى أزواجه رضي الله عنهنّ[4] وقال: «**وكُلْن وأطعمن من غشيكنّ**»[5].

قال عياض وابن القطان في حديث خالد بن عبدالعزّى[6] أنّه أجزر للنبيّ[7] ﷺ شاة، وكان عيال خالد كثيراً يذبح الشاة فلا ينال[8] عياله عظماً عظماً، وأنّ النبيّ ﷺ أكل من هذه الشاة، وجعل فضلتها في دار[9] خالد، ودعا له بالبركة، فنثر ذلك لعياله، فأكلوا وأفضلوا. ذكر خبره الدولابي[10][11].

---

(١) بلال: أبو عبدالله بلال بن رباح، مولى أبي بكر الصديق، وكان له خازناً ولرسول الله ﷺ مؤذناً، شهد بدراً، وأحداً، وكل المشاهد مع رسول الله ﷺ، توفي سنة عشرين، وهو ابن ثلاث وستين سنة. رَوَى عنه جماعة من الصحابة منهم: أبو بكر، وعمر، وأسامة بن زيد، وعبدالله بن عمر، والبراء بن عازب، وغيرهم.
● الاستيعاب، ١٧٨/١ ـ ١٨٢، تر: ٢١٣.

(٢) في الشفاء: ويذبح جزوراً لوليمتها.

(٣) الجزور: رأس من الإبل ناقة أو جملاً.

(٤) في الشفاء: بدون ترضية.

(٥) الشفاء: ٤١٨/١.

(٦) أبو خناس خالد بن عبدالعزّى بن سلامة بن مرة الخزاعي نزل عليه الرسول ﷺ بالجعرانة، فأهدى له جزرة، وظلّ عنده فأكل من الشاة، وأكل العيال وشبعوا وفضل ببركة الرسول ﷺ.
● الإصابة: ٤٠٩/١، تر: ٢١٧٨.

(٧) في الشفاء: أجزر النبيّ ﷺ شاة.

(٨) في الشفاء: فلا تبدّ عياله، وأبدّ الطعام: إذا أعطى كلّ واحد نصيبه على حِدة.

(٩) في الشفاء: في دلو خالدِ.

(١٠) الدولابي: أبو جعفر محمد بن الصباح البزار مولى مزينة، مصنّف السّنن. وُلد بقرية دولاب بالرّاي فنسب إليها، سمع ابن أبي الزناد، وشريك بن عبدالله، وغيرهما، وأخذ عنه أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وحديثه في الكتب الستة. توفّي بالكرخ سنة ٢٢٧.
● تذكرة الحفّاظ، ٤٤١/٢ ـ ٤٤٣، تر: ٤٤٨.

(١١) الشفاء: ٤١٨/١.

ومن هذا الباب ما رواه مسلم عن جابر أنّ رجلاً أتى النبيّ ﷺ يستطعمه. فأطعمه شطر وسق من شعير[1]. فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفه[2] حتّى كاله. فأتى النبيّ ﷺ فأخبره فقال: **«لو لم تكله لأكلتم منه، ولقام بكم»**[3]. أو قال: **«ولدام لكم»**[4].

وفي رواية: أنّه أطعم منه وأكل منه ونقص منه وحينئذٍ كاله.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفّ لي، فأكلت منه حتّى طال عليّ، فكلته ففنيَ.

ومن آياته ﷺ ما ذكره عياض من حديث أبي[5] أيّوب رضي الله عنه[6]. أنّه صنع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر، من الطعام زهاء ما يكفيه. فقال له النبيّ ﷺ: **«ادع ثلاثين من أشراف الأنصار»**، فدعاهم. فأكلوا حتّى تركوه[7]. ثم قال: **«ادع ستين فكان مثل ذلك»**. ثم قال: **«ادع سبعين»** فأكلوا حتّى تركوه[7]، وما خرج منهم أحدٌ حتّى أسلم وبايع.

قال أبو أيوب: فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلاً.

قال عياض: وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه[6] قال: أُتي النبيّ ﷺ بقصعة فيها لحمٌ فتعاقبوها من غدوة حتّى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون[8].

---

(١) في مسلم: وسق شعير.

(٢) في مسلم: وضيفهما.

(٣) في مسلم: ولقام لكم.

(٤) صحيح مسلم: ١٧٨٤/٤، كتاب الفضائل، باب معجزات النبيّ ﷺ.

(٥) أبو أيوب: أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري النجاري، شهد العقبة، وبدراً، وأحداً، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وعليه نزل رسول الله ﷺ حين قدم المدينة مهاجراً، فلم يزل عنده حتّى بنى مسجده في تلك السنة، وكان مع عليّ في حروبه كلّها. وتوفي بالقسطنطينية في خلافة معاوية تحت راية يزيد، وذلك في سنة خمسين. وقبره معلوم إلى اليوم معظّم.

● الاستيعاب: ٤٢٤/٢ ـ ٤٢٦، تر: ٦٠٠.

(٦) في الشفاء: بدون ترضية.

(٧) في الشفاء: حتّى تركوا.

(٨) الشفاء: ٤١٢/١.

قال عياض: وفي حديث جعفر بن محمد عن آله[1] عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ فاطمة رضي الله عنها[2] طبخت قدراً لغذائهما ووجّهت علياً للنبيّ[3] ﷺ ليتغذى معهما، فأمرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة، ثم له عليه السلام[4]، ولعليّ، ثم لها، ثم رفعت القدر وإنّها لتفيض. قالت: فأكلنا منها ما شاء الله[5].

ومن آياته ﷺ ما جاء في الحديث الصحيح في مسلم وغيره في الأزواد عن أبي هريرة، أو عن أبي سعيد.

شكّ الراوي[6]. وفي رواية عن أبي هريرة من غير شكّ. قال: لما كان يوم[7] غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعة. قالوا: يا رسول الله! لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا[8] فأكلنا ودّهنّا. فقال رسول الله ﷺ: **«افعلوا»**[9]، فجاء عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! إن فعلت هذا قلّ الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم. ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، فلعل الله[10] أن يجعل في ذلك البركة. فقال رسول الله ﷺ: **«نعم»** قال: فدعا بنطع[11] فبسط[12]. ثم دعا بفضل أزوادهم. قال: فجعل الرجل يجيء بكف من

(١) في الشفاء: عن أبيه عن عليّ رضي الله عنه.

(٢) في الشفاء: بلا ترضية.

(٣) في الشفاء: ووجهت علياً إلى النبيّ ﷺ.

(٤) في الشفاء: ثم له ﷺ.

(٥) الشفاء: ١/٤١٥.

(٦) الراوي هو الأعمش حمد بن نصر بن أحمد كما صرّح بذلك الإمام مسلم في صحيحه.

(٧) في مسلم: لما كان غزوة تبوك.

(٨) النواضح: الإبل التي يُستقى عليها.

(٩) في مسلم: قال: فجاء عمر فقال: يا رسول الله!.

(١٠) في مسلم: لعلّ الله أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ...

(١١) النّطع: بساط مُتخذ من أديم، وكانت الأنطاع تبسط بين أيدي الحكّام عندما يريدون قتل أحدٍ صبراً ليُصان المجلس من الدم.

(١٢) في مسلم: فبسطه.

ذرة[١]، وجعل يجيء الآخر بكفّ من تمر. قال: ويجيء الآخر بكسرة، حتّى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير. قال: فدعا رسول الله ﷺ بالبركة. ثم قال: «**خذوا في أوعيتكم**». قال: فأخذوا في أوعيتهم حتّى ما تركوا في العسكر وعاء إلاّ ملؤه. قال: فأكلوا حتّى شبعوا، وفضلت فضلة. فقال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إلـه إلا الله وأنّي رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍ فيحجب عن الجنّة**»[٢].

فصل

ومن آياته ﷺ[٣] وعظيم بركاته

ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه[٤] أنّ أمّ مالك[٥] كانت تُهدي للنبيّ ﷺ في عكّة لها سمناً. فيأتيها بنوها فيسألون الأُدم. وليس عندهم شيء فتعمد[٦] إلى الذي كانت تهدي[٧] للنبيّ ﷺ فتجد فيها سمناً. فما زال يقيم لها أُدم/ بنيها حتّى عصرتها[٨]. فأتت النبيّ ﷺ فقال: «**عصرتيها؟**» قالت: نعم. قال: «**لو تركتيها ما زال قائماً**»[٩] أي ثابتاً باقياً. ٩٣/و

---

(١) في مسلم: بكفّ ذرة ويجيء الآخر بكف تمر.

(٢) صحيح مسلم: ٥٦/١ ـ ٥٧، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التّوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٣) في (د) و(ر): ومن آياته وعظيم بركاته ﷺ.

(٤) في مسلم: بلا ترضية..

(٥) أمّ مالك الأنصارية، أخرج لها مسلم وذكرها أبو عمر في الاستيعاب، وابن حجر في الإصابة، ولم يذكرا اسمها وتاريخ وفاتها، وأثبتا أنّها من الصحابيات.
- أ ـ الإصابة: ٤٩٤/٤، تر: ١٤٨٦.
- ب ـ الاستيعاب: ١٩٥٦/٤، تر: ٤٢٠٦.

(٦) في (د): فتعتمد.

(٧) في مسلم: تهدي فيه للنبيّ ﷺ فتجد فيه سمناً.

(٨) في مسلم: أدم بيتها حتّى عصرته.

(٩) صحيح مسلم: ١٧٨٤/٤، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبيّ ﷺ.

فهذه أحاديث أكثرها ـ رحمك الله ـ في الصحيح ـ سالمة المتن والإسناد من الغلط والتجريح، تناقلها أيمّة المتقين، من الصحابة والتابعين، يستضيء بنورها[1] كل ذي قلب سليم من المتقين؛ ويرتاح لسماعها من مُلِيء قلبُه بالإيمان، وعمّر باليقين. جعلنا الله وإياكم من أوليائه الفائزين، المنعم عليهم باتّباع سيّدنا محمد خاتم النبيين صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه السادة الأكرمين[2].



(١) في (د) و(ر): بأنوارها.
(٢) في (د): السادات المكرمين، وفي (ر)، السادة المكرمين.

باب في كلام الشجرة وشهادتها له[1] ﷺ بالنبوّة [وإجابتها لدعوته][2] وما في ذلك من عظيم الآيات، وباهر المعجزات

روينا في صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ في حديثه الطويل. قال: يسرْنَا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح[3]، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتّبعته بإداوة من ماء. فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان بشاطىء الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها. فقال: **«انقادي عليّ بإذن الله»**، فانقادت معه كالبعير المخشوش[4] الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى. فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: **«انقادي عليّ بإذن الله»**، فانقادت معه كذلك. حتّى إذا كان بالمنصف ممّا بينهما فلأم[5] بينهما حتّى[6] جمعهما، فقال: **«التئما عليّ بإذن الله»** فالتأمتا.

قال جابر: فخرجت أحضر[7] مخافة أن يحُسّ رسول الله ﷺ بقربي فيتبعّد[8]، فجلست أحدّث نفسي. فحانت منّي لفتة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلاً. وإذا الشجرتان قد افترقتا. فقامت كلّ واحد منهما على ساق. فرأيت

---

(١) في (د) و(ر): لسيدنا محمد ﷺ.
(٢) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٣) في (د): علق على الهامش: أفيح: واسعاً.
(٤) البعير المخشوش: الذي يجعل في أنفه خشاش، وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعباً، ويشدّ فيه حبل ليذل وينقاد.
(٥) في مسلم: لأم بينهما.
(٦) في مسلم: (يعني جمعها).
(٧) أحضر: أغدو وأسعى سعياً شديداً.
(٨) في مسلم: فيبتعد (وقال محمد بن عباد: فيتبعّد).

رسول الله ﷺ وقف وقفة. فقال برأسه هكذا: وأشار أبو إسماعيل برأسه يميناً وشمالاً - ثم أقبل، فلما انتهى إليّ قال: **«يا جابر! هل رأيت مقامي؟»** قلت: نعم، يا رسول الله! قال: **«فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً. فأقبل بهما، حتّى إذا قمت مقامي فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك»**.

قال جابر: فقمت فأخذت حجراً فكسرته[١] فانذلق لي، فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً، ثم أقبلت أجرُهما حتّى قمت مقام رسول الله ﷺ، أرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن يساري، ثم لحقت[٢]، فقلت: قد فعلت يا رسول الله! فعم ذاك[٣]؟ قال: **«إنّي مررت بقبرين يعذّبان، فأحببت، بشفاعتي أن[٤] يرفّه ذلك عنهما[٥]، ما دام الغصنان رطبين»**. الحديث[٦].

ومن آياته، وعظيم معجزاته ﷺ: ما رواه عياض بسنده، وابن القطان، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -[٧] قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر[٨]، فدنا منه أعرابيّ فقال: **«يا أعرابي أين تريد؟»** قال: إلى أهلي، قال: **«هل لك إلى خير؟»** قال: وما هو؟ قال: **«تشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله»**. قال: من يشهد لك على ما تقول؟ قال: **«هذه الشجرة السمرة وهي [ب][٩] شاطىء**

---

(١) في مسلم: فكسرته وحسرته فانذلق لي...
(٢) في مسلم: ثم لحقته.
(٣) في (د): فعم ذلك؟
(٤) في (د): أن يرفع ذلك عنهما.
(٥) في مسلم: أن يُرَفَّهَ عنهما ما دام الغصنان رطبين.
(٦) صحيح مسلم: ٢٣٠٦/٤ - ٢٣٠٧. كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر.
(٧) في الشفاء: بدون ترضية.
(٨) في الشفاء: في سفره.
(٩) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

الوادي»[1] فأقبلت تخدّ[2] الأرض حتّى قامت بين يديه. فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنّه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها[3].

هنا انتهى كلام عياض، وزاد ابن القطان قال: فقال الأعرابي: أرجع إلى قومي فإن اتّبعوك أتيتهم وإلا رجعت فكنت معك.

وعن بريدة[4] رضي الله عنه قال: سأل أعرابي النبيّ ﷺ آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك. قال: فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطّعت/ عروقها ثم جاءت تخُدّ الأرض، وتجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ. فقالت: السلام عليك يا رسول الله. قال الأعرابي: مرْها فلترجع إلى منبتها. فرجعت. فدلّت عروقها في ذلك فاستوت. فقال الأعرابي: ائذن لي أسجد لك[5] قال: **«لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»**. ٩٤/ظ

قال: فائذن لي أن أقبّل يديك ورجليك فأذن له.

ذكر هذا الحديث عياض[6] وابن القطان.

قال عياض وأبو الحسن بن القطان: رُوِيَ عن أسامة بن زيد[7]

---

(١) في الشفاء: ادعها فإنها تجيبك، فأقبلت...
(٢) تخُدّ الأرض: تشقّها.
(٣) الشفاء: ١/٤٢٠.
(٤) بريدة الأسلمي: أبو عبدالله بريدة بن الخصيب بن عبدالله بن الحارث، أسلم قبل بدر ولم يشهدها، وشهد الحديبية، وبيعة الرضوان، وبقية المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكان من ساكني المدينة، ثم تحوّل منها إلى البصرة، ثم خرج منها غازياً إلى خراسان، فمات بمرو في عام ٦٣ وله في كتاب الحديث ١٦٧ حديثاً.
- أ - الاستيعاب: ١/١٨٥ - ١٨٦، تر: ٢١٧.
- ب - الأعلام: ٢/٢٢.
(٥) في (د): ائذن لي أن نسجد لك.
(٦) الشفاء: ١/٤٢٠ - ٤٢١.
(٧) أبو زيد أسامة بن زيد بن حارثة بن شرحبيل، يقال له: الحبّ بن الحبّ، وسنه عند=

رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ في بعض مغازيه[1] «**هل بقي معك مكان لحاجة رسول الله ﷺ؟**» فقلت: إنّ الوادي ما فيه موضع بالناس. فقال: «**هل ترى من نخل أو حجارة؟**» فقلت[2]: أرى نخلات متقاربات، قال: «**انطلق وقل لهنّ إنّ رسول الله ﷺ يأمركنّ أن تأتين لمخرج رسول الله ﷺ. وقل للحجارة مثل ذلك**». فقلت: ذلك لهنّ. فوالذي بعثه بالحقّ نبيّاً لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاماً خلفه[3]. فلما قضى حاجته قال لي: «**قل لهنّ يفترقن؟**» فوالذي نفسي بيده لرأيتهنّ والحجارة يفترقن حتّى عدن إلى موضعن[4][5].

قلت: وفي بعض طرق حديث جابر المتقدم نحو هذا. قال: فقال لي: «**يا جابر قل لهذه الشجرة: يقول لك رسول الله ﷺ ألحقي بصاحبتك حتّى أجلس خلفكما**» ففعلت. فزحفت حتّى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما.

قال عياض: وقال يعلى بن سيّابة[6]: كنت مع النبيّ ﷺ في مسير، وذكر نحواً من هذين الحديثين وقال: وأمر وديتين فانضما[7]. وفي رواية: أشاءتين.

= وفاة الرسول ﷺ عشرون سنة، وأمّه بركة أمّ أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، سكن بعد النبيّ ﷺ وادي القرى، ثم عاد إلى المدينة، فمات بالجرف في عام أربعة وخمسين وله في كتب الحديث ١٢٨ حديثاً.

● الاستيعاب: ١/٧٥ ـ ٧٧، تر: ٢١.

(١) في الشفاء: قال رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، هل تعني مكاناً لحاجة...

(٢) في الشفاء: قلت: أرى...

(٣) في الشفاء: ركاماً خلفهنّ.

(٤) في الشفاء: إلى مواضعن.

(٥) الشفاء: ١/٤٢٢ ـ ٤٢٣.

(٦) أبو المرازم يعلى بن مرة بن وهب بن جابر الثقفي، واسم أمّه سيابة ـ بفتح السين وكسرها ـ فربّما نُسب إليها فقيل: يعلى بن سيّابة، شهد يعلى مع النبيّ ﷺ الحديبية، وخيبر، والفتح، وحنيناً، والطائف، روى عنه ابنه عبدالله، والمنهال بن عمرو، يعد في الكوفيين، وقيل: إنّه بصري، وإنّ له داراً بالبصرة.

● الاستيعاب: ٤/١٥٨٧، تر: ٢٨١٨.

(٧) في الشفاء: وديتين فانضمّتا.

وعن غيلان بن أسلمة[1] الثقفي مثله في شجرتين.

وعن ابن مسعود عن النبيّ ﷺ مثله في غزوة حنين.

وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيّابة أيضاً: وذكر أشياء رآها من رسول الله ﷺ فذكر أن طلحة[2] أو سمرة جاءت فأطافت به ﷺ ثم رجعت إلى منبتها فقال رسول الله ﷺ: «**إنّها استأذنت أن تسلّم عليّ**».

قلت: ونقل عياض بعض هذه الأحاديث مختصرة[3]، ونقلها ابن القطان مكملة فقال: رُوِيَ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنّا مع رسولِ الله ﷺ في غزوة حنين، فأراد أن يتبرّز، وكان إذا أراد ذلك تباعد حتّى لا يراه أحد، فقال: «**انظر هل ترى شيئاً؟**» فنظرت فرأيت أشاءة[4] واحدة فأخبرته. فقال: «**انظر هل ترى شيئاً؟**» فنظرت فرأيت أشاءة أخرى متباعدة من صاحبتها، فأخبرته. فقال لي: «**قل لهما: إنّ رسول الله ﷺ يأمركما أن تجتمعا**». فقلت ذلك لهما: فاجتمعتا، ثم أتاهما ﷺ، فاستتر بهما، ثم قام، فلما قضى حاجته انطلقت كل واحدة منهما إلى مكانها[5].

وعن يعلى بن مرة قال: لقد رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثاً، ما رآها أحد قبلي ولا يراها أحد بعدي.

وذكر الحديث، ثم قال في الثانية: وخرجت معه ذات يوم إلى الجبّانة

---

(١) غيلان بن سلمة بن شرحبيل الثقفي، أسلم بعد الطائف ولم يهاجر، وكان أحد وجوه ثقيف ومقدميهم، وكان عنده عشر نسوة يوم أسلم، فأمره رسول الله ﷺ أن يتخيّر منهن أربعاً. وكان ممّن وفد على كسرى، قال له ذات يوم: أي ولدك أحبّ إليك؟ قال: الصغير حتّى يكبر، والمريض حتّى يبرأ، والغائب حتّى يؤوب، وكان شاعراً مُحسناً، تُوفي في آخر خلافة عمر.
● الاستيعاب: ١٢٥٦/٣، تر: ٢٠٦٦.

(٢) الطلحة: شجرة عظيمة من شجر العضاه لها شوك، وجمعها: الطلح، وجمهور المفسرين على أنّ المراد من الطلح في القرآن الكريم: الموز: قال تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٩٢]. والسّمرة من شجر الطلح والجمع سمُر بوزن رجل.

(٣) الشفاء: ٤٢٣/١ ـ ٤٢٤.

(٤) الأشاة: جمعها الأشاء: من صغار النخل لكنّها أكبر من الودية.

(٥) في الأصل: مكانه.

حتّى إذا برزنا قال: «**ويحك هل ترى من شيء يواريني؟**» قلت: يـ
رسول الله! ما أرى شيئاً يواريك إلا شجرة ما أراها تواريك. قال: «**أقُرْ به
شيء؟**» قلت: شجرة خلفها هي مثلها أو قريب منها. قال: «**اذهب إليهم
وقل لهما [إنّ رسول الله ﷺ يأمركما أن تجتمعا بإذن الله تعالى**»، قال:
فاجتمعتا، فبرز لحاجته، ثم رجع فقال: «**اذهب إليهما**][1] **وقل لهما: إ
رسول الله ﷺ يأمركما أن ترجع كلّ واحدة منكما إلى مكانها**» فرجعتا.

قال عياض وابن القطان: وعن ابن عباس[2] رضي الله عنهما قال:
جاء رجل[3] إلى النبيّ ﷺ فقال: بم أعرف أنك نبيّ؟ قال: «**إن دعوت هذ
العذق من النخلة[4] أتشهد أنّي رسول الله؟**» فدعاه رسول الله ﷺ فجعل
٩٥/و ينزل/ من النخلة حتى سقط إلى رسول[5] الله ﷺ ثم قال له: «**إرجع**» فعاد.
فأسلم الأعرابي[6]. قلت: وذكره التّرمذي وقال فيه[7]: حسن غريب
صحيح[8].

قال عياض وفي حديث عبدالله بن مسعود: آذنت النّبيّ ﷺ بالجن ليلة
استمعوا له شجرة.

وعن مجاهد، عن ابن مسعود، في هذا الحديث: إن الجن قالوا: من
يشهد لك؟ قال: «**هذه الشجرة، تعال[9] يا شجرة**» فجاءت تجر عروقها لها
قعاقع[10].

---

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) في (د): عن ابن مسعود.
(٣) في صحيح التّرمذي: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ.
(٤) في صحيح التّرمذي: من هذه النخلة.
(٥) في صحيح التّرمذي: إلى النّبيّ ﷺ.
(٦) الشفاء: ١/٤٢٦ ـ ٤٢٧، بتصرف.
(٧) في صحيح التّرمذي: قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح.
(٨) صحيح التّرمذي: ٥/٥٩٤، رقم: ٣٦٢٨، كتاب المناقب، باب ٦.
(٩) في الشفاء و(د): تعالي يا شجرة.
(١٠) قعاقع: صوت قوي كصوت الرحا.

وذكر مثل الحديث الأول[١].

قلت: حديث إذن الشجرة للنبيّ ﷺ بالجن ذكره البخاري[٢].

قال عياض رحمه الله تعالى: فهذا ابن عمر، وبريدة، وجابر، وابن مسعود، ويعلى بن مرة، وأسامة بن زيد، وأنس بن مالك، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وغيرهم رضي الله عنهم. قد اتفقوا على هذه القصة نفسها أو معناها، ورواها عنهم من التابعين أضعافهم، فصارت في انتشارها من القوة حيث هي.

وذكر ابن فورك[٣] أنه ﷺ سار في غزوة الطائف ليلاً وهو وسن فاعترضت[٤] له سدرة فانفرجت له نصفين حتى سار[٥] بينهما، وبقيت على ساقين، إلى وقتنا، وهي هناك معروفة معظمة[٦]، وهكذا ذكرها ابن القطان أيضاً، وزاد على ما ذكره عياض فقال: وقيل: إنها تسمى سدرة النبيّ ﷺ، وهي لا تعضد ولا تنال، إلا بالتعظيم.

قال عياض وابن القطان: ومن ذلك حديث أنس رضي الله عنه أن جبريل[٧] قال للنبيّ ﷺ ورآه حزيناً: أتحب أن أريك آية؟ قال: «**نعم**». فنظر[٨] إلى شجرة من وراء الوادي فقال: أدع تلك الشجرة. فدعاها[٩] فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه. قال: مرها فلترجع[١٠] فقال لها ارجعي

---

(١) الشفاء: ٤٢٤/١.

(٢) صحيح البخاري: ٥٨/٥. باب ذكر الجن وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.

(٣) ابن فورك تقدمت ترجمته.

(٤) في الشفاء: فاعترضته سدرة.

(٥) في الشفاء: حتّى جاز بينهما...

(٦) الشفاء: ٤٢٤/١ ـ ٤٢٥.

(٧) في الشفاء: جبريل عليه السلام.

(٨) في الشفاء: فنظر رسول الله ﷺ إلى شجرة...

(٩) في الشفاء: «فدعاها» غير وارد.

(١٠) في الشفاء: فعادت إلى مكانها. ـ بحذف فقال لها: ارجعي فرجعت حتّى عادت ـ.

فرجعت حتى عادت إلى مكانها[1]. فقال رسول الله ﷺ **«حسبي»**.

قال أبو الفضل عياض: وعن علي رضي الله عنه[2] نحو هذا، ولم يذكر فيه جبريل قال: **«اللّهم أرني آية لا أبالي من كذّبني بعدها»**. فدعا شجرة. وذكر مثله. وحزنه ﷺ كان[3] لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له.

وقد[4] ذكر ابن إسحٰق أن النبيّ ﷺ أرى رُكانة[5] مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت حتى وقفت بين يديه ثم قال: **«ارجعي»** فرجعت.

قال عياض: وعن الحسن[6] أنه ﷺ شكا إلى ربه من قومه وأنهم يخوّفونه، وسأله آية يعلم بها ألا مخافة عليه، فأوحى الله إليه أن أئت وادي كذا فيه شجرة فادع غصناً منها يأتيك ففعل. وجعل[7] يخُطّ الأرض خطاً، حتّى انتصب بين يديه، فحبسه ما شاء الله ثم قال[8]: **«ارجع كما جئت»**، فرجع. فقال: **«يا رب علمت أن لا مخافة علي»**.

ونحو منه عن عمر وقال[9]: **«أرني آية لا أبالي من كذّبني بعدها»**. فذكر نحوه[10].

---

(١) الشفاء: ٤٢٥/١.

(٢) في الشفاء: بلا ترضية.

(٣) في الشفاء: «كان» ساقطة.

(٤) في الشفاء: «قد» ساقطة.

(٥) ركانة بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، كان من مسلمة الفتح، وهو الذي طلّق امرأته «سهيمة بنت عويمر» البتة، فحلّفه النبيّ ﷺ أنّه لم يرد الثلاثة، تُوفي ركانة في أول خلافة معاوية سنة اثنين وأربعين.
● الاستيعاب: ٥٠٧/٢، تر: ٨٠١.

(٦) الحسن: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، مولى زيد بن ثابت، نشأ بالمدينة وحفظ القرآن في خلافة عثمان، وسمعه يخب مرات، كان عالماً رفيقاً ثقة، عابداً ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً، جميلاً، وسيماً، بليغ الموعظة، توفي سنة ١١٩ وله ٨٨ سنة.
● تذكرة الحفاظ: ٧١/١ ـ ٧٢، تر: ٦٦.

(٧) في الشفاء: فجاء يخطّ الأرض...

(٨) في الشفاء: ثم قال له:...

(٩) في الشفاء: وقال فيه.

(١٠) الشفاء: ٤٢٦/١.

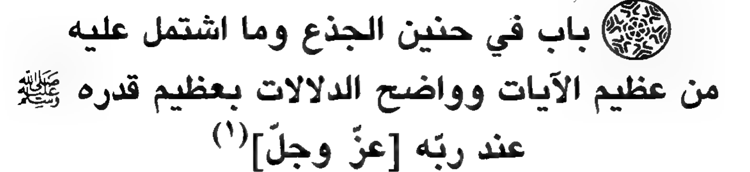
قال ابن القطان وعن برّة[1] بنت أبي تجراة أنّ النبيّ ﷺ لما ابتدأه الله بالنّبوّة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتّى لا يرى شيئاً، ويفضي إلى الشعاب، وبطون الأودية فلا يمرّ بشجر، ولا حجر، إلاّ قال: السلاّم عليكم يا رسول الله. فكان يلتفت يميناً وشمالاً. فلا يرى أحداً ﷺ.

وقد خرّج نحو هذا الحديث التّرمذي عن عليّ رضي الله عنه قال: كنت مع النبيّ ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها. فما استقبله جبل، ولا شجر، إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله[2].



(١) برّة بنت أبي تجراة العبدرية، وبنو تجراة قوم من كندة، حالفوا بني عبدالدار، بمكة، واسم أبيها: يسار أبو فكيهة، روت برة عن النبيّ ﷺ، وروت عنها صفية بنت شيبة في السّعي، كما روت عنها عميرة بنت عبدالله بن كعب بن مالك في قصّة إرضاع ثويبة رسول الله ﷺ.
- أ ـ الإصابة: ٢٥٠/٤، تر: ١٦٧.
- ب ـ الاستيعاب: ١٧٩٣/٤، تر: ٣٢٥٠.

(٢) صحيح الترمذي: ٥٩٣/٥، رقم: ٣٦٢٦. كتاب المناقب، باب: ٦.



باب في حنين الجذع وما اشتمل عليه من عظيم الآيات وواضح الدلالات بعظيم قدره ﷺ عند ربّه [عزّ وجلّ][1]

قال أبو الفضل عياض رحمه الله وحديث أنين الجذع[2] مشهور منتشر، والخبر به متواتر، خرّجه أهل الصحيح، ورواه من الصحابة بضعة عشر، منهم أُبي بن كعب[3]، وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، وسهل بن سعد[4] وأبو سعيد الخدري، وبريدة، وأمّ سلمة[5]، والمطلب[6] بن

(١) في (د) و(ر): ما بين الحاصرتين ناقص.

(٢) في الشفاء: وهو في نفسه مشهور منتشر، والخبر به متواتر، قد خرّجه...

(٣) أبو الطفيل أبي بن كعب بن قيس الخزرجي الأنصاري، شهد العقبة الثانية، وبدراً، وكان من كتّاب الوحي قبل زيد بن ثابت ومعه، وكان ألزم الصحابة لكتابة الوحي، وأقرأهم لكتاب الله، وأحد فقهاء الصحابة، توفي في خلافة عمر سنة ١٩ وقيل: غيرها.

● الاستيعاب: ١/٦٥ ـ ٧٠، تر: ٦.

(٤) أبو العباس سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الساعدي الأنصاري، توفي النبيّ ﷺ وعمره خمس عشرة سنة، وعمّر حتّى أدرك الحجاج بن يوسف وامتحن به، وتوفي سنة ثمان وثمانين عن ست وتسعين سنة، وهو آخر من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ.

● الاستيعاب: ٢/٦٦٤ ـ ٦٦٥، تر: ١٠٨٩.

(٥) أمّ سلمة: أم المؤمنين هند بنت أبي أمية، كانت تحت أبي سلمة بن عبدالأسود، وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى الحبشة، وتزوّجها رسول الله ﷺ بعد غزوة بدر، توفيت أم سلمة في خلافة يزيد بن معاوية سنة ستين، وصلّى عليها أبو هريرة، ودفنت بالبقيع.

● الاستيعاب: ٤/١٩٢٠ ـ ١٩٢١، تر: ٤١١١.

(٦) المطلب بن أبي وداعة القرشي السّهمي، واسم أبيه الحارث بن ضبيرة بن سعيد بن سعد أسلم المطلب يوم فتح مكة، ثم نزل الكوفة، ثم نزل بعد ذلك المدينة، وله بها دار، وروى عنه أهل المدينة.

أبي وداعة[1] رضي الله عنهم.

قال جابر بن عبدالله: كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل[2]، فكان النبيّ ﷺ/ إذا خطب يقوم إلى جذع منها. فلمّا صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار[3] وفي رواية أنس: حتّى ارتجّ المسجد لخواره[4]، وفي رواية سهل: وكثر بكاء الناس لما رأوا به. وفي رواية المطلب، وأبيّ: حتّى تصدع وانشق. حتّى جاء النبيّ ﷺ فوضع يده عليه فسكت. زاد غيره[5] فقال النبيّ ﷺ: **«إنّ هذا بكى لما فقد من الذكر»**. وزاد غيره: **«والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزّناً على رسول الله ﷺ»**. فأمر به رسول الله ﷺ فدُفن تحت المنبر. كذا في حديث المطلب، وسهل بن سعد، وإسحٰق[6]، عن أنس. وفي بعض الروايات عن سهل، فدفنت[7] تحت منبره أو جعل في السقف.

٩٦/ظ

وفي حديث أبيّ: فكان إذا صلّى النبيّ ﷺ صلّى إليه. فلما هدم

= ● أ ـ الاستيعاب: ١٤٠٢/٣، تر: ٢٤١٤.
● ب ـ الإصابة: ٤٢٥/٣، تر: ٨٠٢٨.

(١) في الشفاء: كلهم يحدّث بمعنى هذا الحديث، قال الترمذي: وحديث أنس صحيح، قال جابر...

(٢) في (د): على جذوع النخل.

(٣) العشار: النوق الحوامل، وهي التي أتي حملها عشرة أشهر.

(٤) في الشفاء: بخواره.

(٥) في (د): وزاد غيره...

(٦) إسحٰق بن عبدالله بن صاحب رسول الله ﷺ أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، الفقيه، سمع من عمه أنس بن مالك، وأبي مرّة مولى عقيل. وجماعة. وحدّث عنه عكرمة بن عمار، ومالك، وابن عيينة، وكان الإمام مالك يُثني عليه ولا يقدم عليه أحداً. توفي إسحٰق سنة اثنتي وثلاثين ومائة [١٣٢].
● سير أعلام النبلاء: ٣٣/٦ ـ ٣٤، تر: ١١.

(٧) في الشفاء: فدفنت تحت منبره أو جعلت في السقف.

المسجد، أخذه أبي، فكان عنده إلى أن أكلته الأرض[1][2]، وعند ابن القطان: إلى أن أكلته الأَرَضَة وعاد رفاتاً.

قال عياض: وذكر الإسفراييني[3] أنّ النبيّ ﷺ دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض، فالتزمه، ثم أمره فعاد إلى مكانه.

وفي حديث بريدة فقال - يعني النبيّ ﷺ - «**إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك، ويكمل خلقك، ويحدد لك خوص وثمرة: وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك**»، ثم أصغى له النبيّ ﷺ يستمع ما يقول فقال: بل تغرسني في الجنة فيأكل منّي أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه. فقال النبيّ ﷺ: «**قد فعلت**». ثم قال: «**اختار دار البقاء على دار الفناء**». فكان الحسن إذا حدّث بهذا بكى، وقال: يا عباد الله الخشبة تحنّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه، لمكانِه، فأنتم أحقّ أن تشتاقوا إلى لقائه[4].

قال أبو الفضل عياض رحمه الله فهذا الحديث[5] كما تراه خرّجه أهل الصحة، ورواه من الصحابة من ذكرنا، وغيرهم من التابعين ضعفهم، إلى من لم نذكره[6]، وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله الموفّق[7] للصّواب[8].



(١) في الشفاء: وعاد رفاتاً.
(٢) الشفاء: ١/٤٢٧ ـ ٤٢٨.
(٣) الإسفراييني أبو عوانة: تقدمت ترجمته.
(٤) الشفاء: ١/٤٢٨ ـ ٤٢٩.
(٥) في الشفاء: وهذا حديث.
(٦) في الأصل: إلى من لم يذكره، والإصلاح من الشفاء وفي (د) و(ر): إلى من لم تذكره.
(٧) في الشفاء: المثبت.
(٨) الشفاء: ١/٤٣٠.

باب فيما جاء في نطق الجمادات وتسبيح الطعام والحصى وغير ذلك من باهر الآيات

روينا في صحيح البخاري عن علقمة[1] عن عبدالله[2] قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً، كنّا مع النبيّ[3] ﷺ في سفر، فقلّ الماء، فقال: «**اطلبوا فضلة من ماء**»، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: «**حيّ على الطهور المبارك ـ والبركة من الله**». فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ. ولقد كنّا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل[4].

قال أبو الفضل عياض: قال أنس رضي الله عنه[5]: أخذ النبيّ ﷺ كفّاً من حصى، فسبّحن في يده[6] ﷺ حتّى سمعنا التسبيح، ثم صبّهنّ في يد أبي بكر[7]، فسبحن، ثم في أيدينا فما سبّحن.

وروى مثله أبو ذر رضي الله عنه[8]، وذكر أنّهن سبّحن في كفّ عمر وعثمان[9]، رضي الله عنهما[10].

---

(١) أبو شبل علقمة بن قيس بن عبدالله النخعي الكوفي، ولد في حياة رسول الله ﷺ، وسمع من عمر، وعثمان، وعلي، وعبدالله بن مسعود، وأبي الدرداء، أخذ عنه إبراهيم بن يزيد النخعي، والشعبي، وغيرهما توفي علقمة سنة اثنتين وستين.
- تذكرة الحفاظ: ٤٨/١ ـ ٤٩، تر: ٢٤.

(٢) عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته.

(٣) في البخاري: مع رسول الله ﷺ.

(٤) صحيح البخاري: ٢٣٥/٤، باب علامات النبوّة في الإسلام.

(٥) في الشفاء: بدون ترضية.

(٦) في الشفاء: في يد رسول الله ﷺ.

(٧) في الشفاء: رضي الله عنه.

(٨) في الشفاء: بدون ترضية.

(٩) الشفاء: ٤٣٠/١ ـ ٤٣١.

(١٠) في الأصل: رضي الله عنهم.

قال عياض، وابن القطان: وعن جعفر بن محمد عن أبيه: مرض النبيّ ﷺ، فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب، فأكل منه ﷺ. فسبّح[1].

قال عياض: وقال عليّ رضي الله عنه[2]: كنا بمكة مع رسول الله ﷺ، فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر[3] ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله[4].

وهكذا أيضًا نقله ابن القطان.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن النبيّ[5] ﷺ قال: **«إنّي لأعرف حجراً بمكة كان يسلّم عليّ»**.

قال عياض: قيل: إنّه الحجر الأسود، وقد تقدم هذا الحديث.

قال عياض: وعن عائشة رضي الله عنها[6] عن النبيّ ﷺ قال: **«لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمرّ بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله»**.

قال: وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما[7] قال لم يكن[8] صلّى الله/ عليه وسلّم يمرّ بحجر ولا شجر إلا سجد له. ٩٧/و

قلت: يعني في قضايا مخصوصة لا في كل الأزمنة[9]. قال: وفي

---

(١) الشفاء: ١/٤٣٢.

(٢) في الشفاء: بلا ترضية.

(٣) في الشفاء: شجرة.

(٤) الشفاء: ١/٤٣١.

(٥) في الشفاء: عن جابر بن سمرة عنه ﷺ: إنّي لأعرف.

(٦) في الشفاء: وعن عائشة رضي الله عنها: لما استقبلني جبريل عليه السلام بالرسالة...

(٧) في الشفاء: بلا ترضية.

(٨) في الشفاء: لم يكن النبيّ ﷺ...

(٩) تعليق من الثعالبي.

حديث العباس رضي الله عنه[1] إذ اشتمل عليه النبيّ ﷺ وعلى بنيه بمُلاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بمُلاءته فأمّنت أسكفّة الباب وحوائط البيت: آمين آمين[2] وكذا ذكره ابن القطان.

قال عياض وعن أنس رضي الله عنه[3] قال: صعد النبيّ ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم[4] أحداً، فرجعف بهم؛ فقال: «**أثبت أحد، فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان**»[4].

ومثله عن أبي هريرة رضي الله عنه[5] في حراء زاد معه: وعلي وطلحة، والزبير؛ وقال: «**فإنما عليك نبي، أو صديق، أو شهيد**». والخبر في حراء أيضاً عن عثمان رضي الله عنه[5]؛ وقال: ومعه[6] عشرة من أصحابه أنا فيهم، وزاد عبدالرحمٰن، وسعداً. قال: ونسيت الاثنين. وفي حديث سعيد بن زيد[7] أيضاً مثله وذكر عشرة وزاد نفسه.

وقد رُوِيَ أنه حين طلبته قريش. قال له ثبير: أهبط يا رسول الله فإنّي أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله. فقال حراء: إليّ يا رسول الله.

---

(١) في الشفاء: بلا ترضية.
(٢) الشفاء: ٤٣١/١.
(٣) في الشفاء: بلا ترضية.
(٤) في الأصل: وشهيد.
(٥) في الشفاء: بلا ترضية.
(٦) في الشفاء: عن عثمان قال: ومعه عشر من أصحابه.
(٧) أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو، ابن عم عمر بن الخطاب وزوج أخته فاطمة من المهاجرين الأولين، وكانت أخته عاتكة بنت زيد بن عمرو تحت عمر بن الخطاب، هاجر سعيد مع زوجه، ولم يشهد بدراً لأنه كان في مهمّة بالشام، ثم شهد ما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكان أبوه زيد بن عمرو بن نفيل يعبد الله وحده، ولا يأكل ما ذبح لغير الله. توفي سعيد بالعقيق، ودُفن بالمدينة، في خلافة معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين. وهو ابن بضع وسبعين سنة.
● الاستيعاب: ٦١٤/٢ ـ ٦٢٠، تر: ٩٨٢.

وروى ابن عمر رضي الله عنهما[1] أنّ النبيّ ﷺ قرأ على المنبر: **«وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ»**[2] ثم قال: **«يمجد الجبار نفسه. أنا الجبّار أنا الجبار، الكبير المتعال»**. فرجف المنبر حتّى قلنا[3]: ليخرن عنه.

قلت: وحديث ابن عمر خرّجه مسلم[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما[5] قال: كان حول البيت ستون و[ثلاث][6] مائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة. فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد عام الفتح، جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسّها ويقرأ[7]: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾[8] الآية[9] فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه.

ولا لقفاه إلاّ وقع لوجهه حتّى ما بقي منها صنم.

ومثله في حديث ابن مسعود، وقال: فجعل يطعنها ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[10].

قلت: وحديث ابن مسعود مخرج في صحيح البخاري[11].

---

(١) في الأصل و(ر): رضي الله عنه.

(٢) الزمر: ٦٧.

(٣) في الأصل: قلن.

(٤) صحيح مسلم: ٢١٤٨/٤ ـ ٢١٤٩، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ٥٠ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. وبينهما خلاف.

(٥) في الشفاء: بلا ترضية.

(٦) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٧) في (د) و(ر) والشفاء: ويقول.

(٨) في (د) و(ر) والشفاء: أكمل الآية: ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

(٩) الإسراء: ٨١.

(١٠) سبأ: ٤٩. ـ الشفاء: ٤٣٢/١ ـ ٤٣٤.

(١١) صحيح البخاري: ١٨٨/٥، باب أين ركز النبيّ ﷺ الراية يوم الفتح ونص الحديث فيه: دخل النبيّ ﷺ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: **«جاء الحق وزهق الباطل. جاء الحق، وما يبدىء الباطل وما يعيد»**.

وحديث ابن عباس رواه ابن إسحٰق[1] وغيره، وأنشد لتميم بن أسد[2]: [الوافر]

وفي الأصنام معتبر وعلم — لمن يرجو الثواب[3] أو العقابا

ورُوِيَ عن أنس، وزيد بن أرقم[4]، والمغيرة بن شعبة[5] رضي الله عنهم أنّ النّبي ﷺ [قال][6] ليلة الغار: أمر الله شجرة فنبتت تجاهه[7] ﷺ فسترته.

ذكر هذا الحديث عياض[8] وابن القطان.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: م٢/٤١٧.

(٢) تميم بن أسد الخزاعي وقيل: تميم بن أسيد بن عبدالعُزّى بن جعونة بن عمرو، أسلم قبل فتح مكة، وبعثه النبيّ ﷺ يجدد حدود الحرم، وكان إبراهيم الخليل عليه السلام وضعها يريه إياها جبريل عليه السلام.
● الإصابة: ١/١٨٣، تر: ٨٣٤.

(٣) في (د) و(ر): لمن يرجو الثواب والعقاب. وفي كل النّسخ: العقاب.

(٤) أبو عمر زيد بن أرقم بن زيد الأنصاري الخزرجي، غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة. نزل الكوفة، بها توفي سنة ثمان وستين [٦٨]، وزيد بن أرقم هو الذي رفع إلى الرسول عليه الصلاة والسلام قول عبدالله بن أبي سلول: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]. فكذبه عبدالله بن أبي سلول، وحلف، فأنزل الله تصديق زيد بن أرقم. وشهد زيد مع عليّ صفين، ويُعدّ من خاصة أصحابه، وروى عنه جماعة منهم أبو إسحٰق السّبيعي، ومحمد بن كعب القرظي.
● الاستيعاب: ٢/٥٣٥ ـ ٥٣٦، تر: ٨٣٧.

(٥) أبو عبدالله المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، أسلم عام الخندق، وقدم المدينة مهاجراً، وكان رجلاً طوالاً ذا هيبة، أعور أصيبت عينه يوم اليرموك. وقد أحصن ثلاثمائة امرأة في الإسلام. قال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد ابن أبيه. توفي المغيرة بالكوفة سنة خمسين.
● الاستيعاب: ٤/١٤٤٥ ـ ١٤٤٧، تر: ١٤٨٣.

(٦) في الأصل و(د) و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط، والتصحيح من الشفاء.

(٧) في الشفاء: تجاه النبيّ ﷺ فسترته، وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار.

(٨) الشفاء: ١/٤٤١.

 باب جامع في الآيات في ضروب الحيوانات

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن أهل المدينة فزعوا مرّة، فركب النبيّ ﷺ فرساً لأبي طلحة كان يقطف أو به قطاف[1] - يعني تقارب الخطو -[2] فلما رجع قال: «**وجدنا فرسكم هذا بحراً**» - يعني كثير الجري -[2] فكان بعد ذلك لا يجارى[3].

وروى أبو الفضل عياض بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عندنا داجن[4]. فإذا كان عندنا رسول الله ﷺ قرّ وثبت مكانه. فلم يجيء ولم يذهب. وإذا خرج رسول الله ﷺ جاء وذهب[5] - هذا الحديث من طريق قاسم بن ثابت[6] صاحب «الدلائل».

قال: ورُوِيَ عن عمر رضي الله عنه[7] أنّ رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه، إذ جاء أعرابي قد صاد ضبّاً. فقال: من هذا؟[8] قالوا: نبيّ الله. فقال: واللاّت والعزّى: لا أمنت بك أو يؤمن هذا الضبّ؛ وطرحه بين يدي رسول[9] الله ﷺ. فقال النبيّ ﷺ: «**يا ضبّ**»؛ فأجابه

(١) في البخاري: أو كان فيه خطاف.

(٢) في البخاري: ما بين مطتين ساقط.

(٣) صحيح البخاري: ٣٧/٤، باب الفرس القطوف.

(٤) داجن: شاة تألف البيوت وتعلف فيها، وتطلق على غيرها من الحيوانات التي تربّى في البيوت.

(٥) الشفاء: ٤٣٥/١.

(٦) أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، رحل مع والده إلى مصر، ومكة، ويقال: إنّه أول من أدخل كتاب «العين» للخليل بن أحمد إلى الأندلس، وقد عرضت عليه في بلده خطّة القضاء فامتنع، وكان عالماً بالحديث، واللغة، وله «الدلائل» في شرح غريب الحديث، توفي قبل إتمامه، وأكمله أبوه، توفي قاسم عام اثنين وثلاثمائة [٣٠٢].

● الأعلام: ٧/٦.

(٧) في الشفاء: بلا ترضية.

(٨) في الشفاء: ما هذا؟

(٩) في الشفاء: النبيّ ﷺ.

بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً: لبّيك وسعديك يا زين من أوفى[(١)] القيامة. قال: «**من تعبد؟**» قال: الذي في السّماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النّار عقابه. قال: «**فمن أنا؟**» قال: رسول ربّ العالمين وخاتم النّبييّن، وقد أفلح من صدّقك، وخاب من كذّبك. فأسلم الأعرابي[(٢)].

قال عياض، وابن القطان: وغيرهما ومن ذلك قصّة الذّيب[(٣)] المشهورة عن أبي سعيد الخدْري رضي الله عنه. قال: بينما راعٍ يرعى غنماً له بالحرّة[(٤)]، إذ عرض الذيب لشاة منها فأخذها الراعِي منه فأقعى[(٥)] الذيب وقال[(٦)]: ألا تتقي الله! حُلْت بيني وبين رزقي! فقال الراعي[(٧)]: العجب من ذئب/ يتكلم بكلام الإنسان[(٨)]! فقال الذّئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك: رسول الله بين الحرّتين، يحدّث الناس بأنباء ما قد سبق[(٩)]. فساق الراعي شاءه حتّى انتهى إلى المدينة فزواها إلى زاوية، ثم دخل إلى رسول الله ﷺ، فحدّثه بما قال الذّئب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس، وقال للراعي: قم إلى النّاس فحدّثهم بما قال الذيب. فقام الراعي، فحدّثهم. فقال رسول الله ﷺ: «**صدق الراعي، ألا إنّ من أشراط السّاعة كلام السّباع للإنس**».

٩٨/ظ

ورُوِيَ حديث الذيب عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي بعض الطرق عن أبي هريرة: أنت أعجب! واقفاً على غنمك، وتركت نبيّاً لم يبعث الله

---

(١) في الشفاء: يا زين من وافى القيامة.
(٢) الشفاء: ١/٤٣٥ ـ ٤٣٦.
(٣) في الشفاء: قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدْري: بينا راع يرعى غنماً له عرض الذّيب...
(٤) الحرّة: تقدم التعريف بها.
(٥) في الأصل: فأقصى.
(٦) في الشفاء: وقال للراعي:
(٧) في الشفاء: قال الراعي:
(٨) في الشفاء: بكلام الإنس!
(٩) الشفاء: ١/٤٣٦.

تعالى[1] نبيّاً قط أعظم منه عنده قدراً، قد فتحت له أبواب الجنة. وأشرف أهلها عن أصحابه[2] ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله.

قال الراعي: من لي بغنمي؟ قال: الذيب أنا أرعاها حتّى ترجع. فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى. وذكر قصّته، وإسلامه، ووجوده النبيّ ﷺ يقاتل. فقال له النبيّ ﷺ: «**عدْ إلى غنمك تجدها بوفرها**»، فوجدها كذلك، وذبح للذّيب شاة منها.

وعن أهبان بن أوس[3] أنّه كان صاحب القصة والمحدّث بها ومكلّم الذيب.

قال عياض: وعن سلمة بن الأكوع[4] أنّه كان صاحب القصّة أيضاً، وسبب إسلامه بمثل حديث أبي سعيد[5].

قال ابن القطان: .وتزعم طيّء[6] أنّ الذي كلّمه الذيب رافع بن عمير

---

(١) في الشفاء: لم يبعث الله نبياً قط أعظم منه.

(٢) في الشفاء: على أصحابه.

(٣) أبو عقبة أهبان بن أوس الأسلمي ـ كان من أصحاب الشجرة في الحديبية، وذكر الواقدي أنّ اسمه وهبان ـ بالواو ـ بن أوس، وكنيته أبو عبيد الأسلمي الكوفي، قديم الإسلام، صلّى إلى القبلتين، توفي في صدر خلافة معاوية بالكوفة.
- أ ـ الاستيعاب: ١١٥/١، تر: ٩٩.
- ب ـ الإصابة: ٧٨/١ ـ ٧٩، تر: ٣٠٧.

(٤) أبو إياس سلمة بن عمرو بن الأكوع، كان ممّن بايع تحت الشجرة، كما كان شجاعاً، رامياً، سخياً، خيّرًا، فاضلاً، يسبق الفرس عدواً. نزل بالمدينة، ثم تحوّل إلى الربذة، بعد قتل عثمان، وتزوج بها، وولد له. وقبل وفاته بليال، جاء إلى المدينة وتوفيّ بها سنة أربع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة، رضي الله تعالى عنه.
- أ ـ الاستيعاب: ٦٣٩/٢ ـ ٦٤٠، تر: ١٠١٦.
- ب ـ الإصابة: ٦٦/٢ ـ ٦٧، تر: ٣٣٨٩.

(٥) الشفاء: ٤٣٦/١ ـ ٤٣٧.

(٦) طيّء: قبيلة من كهلان، من القحطانية، والنسبة إليهم طائيّ، وإليهم يُنسب حاتم الطائي.
- نهاية الأرب: ٢٩٧، تر: ١١٧١.

الطائي[1]، وتنشد طيّء في ذلك: [من الوافر]

ولما أن سمعت الذّيب نادى ... يبشّرني بأحمد من قريب
سعيت إليه قد شمّرت ثوبي ... عن السّاقين قاصدة ركوب
فبشّرني بدين الحق حتّى ... تبيّنت الشريعة للمنيب

قلت: وقصّة الذيب ذكرها أبو داود، والعقيلي[2] وغيرهما، وهي طرق يحتمل أن تكون قضايا متعددة ـ وهو الظاهر ـ فإن ابن القطان قال: وقيل: إنّ الذي كلّمه الذيب هو سلمة بن الأكوع. قال سلمة: رأيت الذّيب أخذ طلى ظبي، فطلبته حتّى نزعته منه، قال: ويحك ما لي ولك عمدت إلى رزق رزقنيه الله تعالى ليس من مالك فنزعته منّي؟ قلت: يا عباد الله! إنّ هذا لعجب. ذيب يتكلم، قال الذيب: أعجب من هذا أنّ النّبيّ ﷺ في أصول النخل، يدعوكم إلى عبادة الله تعالى، وتأبون إلا عبادة الأوثان.

قال: فلحقت برسول الله ﷺ فأسلمت. وذكر هذه الرواية يعقوب بن شيبة[3].

قال عياض وابن القطان: وقد روى ابن وهب مثل هذا، أنّه جرى

---

(١) رافع بن عمير الطائي: أبو الحسن، كان لصّاً في الجاهلية، فدعاه الذئب إلى اللحوق برسول الله ﷺ، صحب أبا بكر في غزوة ذا السلاسل، وكانت وفاته سنة ثلاث وعشرين قبل قتل عمر.
- الاستيعاب: ٤٨٢/٢ ـ ٤٨٣، تر: ٧٣٦.

(٢) العقيلي: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حمّاد العقيلي، صاحب كتاب «الضعفاء الكبير»، كان مقيماً بالحرمين، جليل القدر، عظيم الخطر، كثير التّصانيف، حدّث عنه الكثير، توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة [٣٢٢].
- تذكرة الحفاظ: ٨٣٣/٣ ـ ٨٣٤، تر: ٨١٤.

(٣) أبو يوسف يعقوب بن شيبة بن الصلت بن عصفور، العلاّمة، البصري، نزيل بغداد، صاحب المسند الكبير المعلل، ما صُنّف مسند أحسن منه، ولكنه لم يكمله. كان في منزله أربعون لحافاً أعدّه لمن كان يبيت عنده من الورّاقين الذين يبيّضون المسند. توفي في ربيع الأول سنة اثنتين وستين ومائتين [٢٦٢].
- تذكرة الحفّاظ: ٥٧٧/٢ ـ ٥٧٨، تر: ٦٠١.

لأبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية[1]، مع ذيب وجداه أخذ ظبياً، فدخل الظبي الحرم، فانصرف الذيب، فعجباً من ذلك، فقال الذيب: أعجب من ذلك محمد بن عبدالله بالمدينة، يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار. فقال أبو سفيان: واللات والعزّى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفاً[2].

وقد روى مثل هذا الخبر، وأنّه جرى لأبي جهل[3] مع أصحابه[4].

قال أبو الفضل عياض: وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل النبيّ ﷺ حائط أنصاري، وأبو بكر، وعمر، ورجل من الأنصار[5]، وفي الحائط غنم، فسجدت له ﷺ[6].

فقال أبو بكر رضي الله عنه[7] نحن أحقّ بالسجود لك منها، الحديث[8].

قلت: وهذا الحديث ذكره الأجري ونقله ابن القطان.

قال عياض ومثل هذا في الجمَل[9] عن ثعلبة بن مالك[10]، وجابر بن

---

(١) أبو وهب صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي القرشي، فصيح جواد، كان من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام، أسلم بعد الفتح، وكان من المؤلفة قلوبهم وحسن إسلامه، وكان من أفصح قريش لساناً. شهد اليرموك. له في كتب الحديث ثلاثة عشر حديثاً، توفي بمكة عام اثنين وأربعين [٤٢].
- أ ـ الاستيعاب: ٧١٨/٢ ـ ٧٢٢، تر: ١٢١٤.
- ب ـ الأعلام: ٢٩٦/٣.

(٢) خلوفاً: بلا راع ولا حام، والحي الخلوف: الذي رحل رجاله وبقي نساؤه.

(٣) في الشفاء: لأبي جهل وأصحابه.

(٤) الشفاء: ٤٣٧/١ ـ ٤٣٨.

(٥) في الشفاء: رضي الله عنهم.

(٦) بلا تصلية في الشفاء.

(٧) في الشفاء: بلا ترضية.

(٨) الشفاء: ٤٣٩/١.

(٩) في الشفاء: ومثله في الجمل.

(١٠) أبو يحيىٰ ثعلبة بن مالك القرظي، من كندة، وُلد على عهد رسول الله ﷺ، قدم أبوه=

عبدالله، ويعلى بن مرة، وعبدالله بن جعفر[1] قال: وكان لا يدخل الحائط أحد إلا شدّ عليه الجمل، فلما دخل عليه النّبيّ ﷺ دعاه فوضع مشفره في الأرض[2] وبرك بين يديه. فخطمه.

وقال: **«ما بين السماء والأرض شيء إلاّ يعلم أنّي رسول الله إلا عاصي الجن والإنس»**.

ومثله عن عبدالله بن أبي أوفى[3]، وفي خبر[4]، في حديث الجمل: أنّ النّبيّ ﷺ سألهم عن شأنه فأخبروه أنّهم أرادوا ذبحه. وفي رواية أنّ النبيّ ﷺ قال لهم: **«إنّه اشتكى كثرة العمل»**[5]/. ٩٩/و

«وقلّة العلف»[6] وفي رواية: **«شكا إليّ أنّكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره»**. فقالوا: نعم.

= من اليمن على دين اليهود فنزل في بني قريظة، فنُسب إليهم، ولم يكن منهم، فأسلم، وثعلبة مختلف في صحبته.
● أ ـ الاستيعاب: ٢١٢/١، تر: ٢٧٧.
● ب ـ الإصابة: ٢٠١/١، تر: ٩٥٢.

(١) أبو جعفر عبدالله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أول مولود وُلد في الإسلام بأرض الحبشة، وقدم مع أبيه جعفر المدينة، وحفظ عن رسول الله ﷺ وروى عنه، وكان عبدالله جواداً، ظريفاً، عفيفاً، يسمّى بحر الجود، وكان لا يرى بأساً بسماع الغناء. توفّي بالمدينة سنة ثمانين وهو ابن تسعين سنة.
● الاستيعاب: ٨٨٠/٣ ـ ٨٨٢، تر: ١٤٨٨.

(٢) في الشفاء: فوضع مشفرة على الأرض.

(٣) أبو معاوية عبدالله بن أبي أوفى الأسلمي، واسم ابن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث، شهد عبدالله الحديبية، وخيبر، وما بعدهما من المشاهد، ولم يزل بالمدينة حتّى قبض رسول الله ﷺ ثم تحوّل إلى الكوفة، وهو آخر من بقي بالكوفة من الأصحاب. توفّي سنة سبع وثمانين [٨٧] بالكوفة التي كان له بها دار، وقد كف بصره.
● الاستيعاب: ٨٧٠/٣ ـ ٨٧١، تر: ١٤٧٨.

(٤) في الشفاء: وفي خبر آخر في حديث الجمل...

(٥) في الشفاء: إنّه شكا كثرة العمل، وقلة العلف من صغره، فقالوا: نعم.

(٦) الشفاء: ٤٣٩/١ ـ ٤٤٠.

قلت: وقصة الجمل ذكرها ابن أبي شيبة[1]، وذكرها ابن القطان، وابن عبدالبر في «التمهيد».

قال عياض: وقد رويت[2] في قصة العضباء[3] وكلامها النبيّ ﷺ وتعريفها له[4] بنفسها ومبادرة العشب إليها في الرعي. وتجنّب الوحوش عنها، وندائهم لها إنك لمحمد، وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتّى ماتت. آية ذكرها[5] الإسفراييني[6].

قلت: هكذا نقلها عياض مختصرة، ونقلها ابن القطان بكمالها.

قال عياض: وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنّ رجلاً[7] أتى النّبيّ ﷺ، وآمن به، وهو على حصون خيبر، وكان في غنم يرعاها لهم. فقال: يا رسول الله! كيف لي[8] بالغنم؟ قال: «**أحصب وجوهها، فإنّ الله سيؤدي عنك أمانتك، ويردها إلى أهلها**».

ففعل فسارت كل شاة حتّى دخلت على أهلها[9].

فصل

حدّثني شيخنا وليّ الدين أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين العراقي[10]

---

(١) المصنف في الأحاديث والأخبار لابن أبي شيبة: ٤٢٨/٧، رقم: ٨١. كتاب الفضائل. باب ما أعطى الله تعالى محمداً ﷺ.
(٢) في الشفاء: وقد روي في قصة...
(٣) العضباء: اسم ناقة النبيّ ﷺ، ومعناها: المشقوقة الأذن.
(٤) في (د): وتعريفها له بنفسه...
(٥) في الشفاء: ذكره.
(٦) الشفاء: ٤٤٠/١.
(٧) في الشفاء: عن رجل أتى النبيّ ﷺ وآمن به وهو على بعض حصون خيبر.
(٨) في الشفاء: كيف بالغنم؟
(٩) الشفاء: ٤٣٩/١.
(١٠) ولي الدين العراقي: أبو زرعة أحمد أبي الفضل عبدالرحيم بن الحسين. وُلد في ذي الحجة سنة اثنتين وستين وسبعمائة، واعتنى به أبوه فأسمعه الكثير، ولازم البلقيني في

إملاءً من حفظه بسند عال عن عبدالله بن قرط[1] رضي الله عنه. قال: قرّب إلى رسول الله ﷺ بدنات خمس أو ستّ، فطفقن يزدلفن إليه بأيتهنّ يبدأ، رواه أبو داود، والنسائي[2]. وقد نقله عياض في الشفاء فقال: وعن عبدالله بن قرط قال: قرب إلى رسول الله ﷺ [بدنات][3] خمس أو ستّ أو سبع[4] يوم عيد، فازدلفن إليه بأيّهن يبدأ.

قال عياض: وروى ابن وهب: أنّ حمام مكة أظلت النّبيّ ﷺ يوم فتحها، فدعا لها بالبركة.

قلت: وكذا ذكره ابن القطان عن ابن وهب.

ورُوِيَ عن أنس، وزيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة، أنّ النبيّ ﷺ

= الفقه وغيره، وبرع في عدة فنون، وكان إماماً، محدّثاً، حافظاً، فقيهاً، محققاً أصولياً، منصفاً. أملى أكثر من ستمائة مجلس، له شرح جمع الجوامع في الأصول، وشرح سنن أبي داود، ولم يتم. توفي في ١٧ شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة [٨٢٦].
وفي الأصل: عبدالرحمٰن بدل عبدالرحيم. انظر:

- أ ـ ذيل تذكرة الحفّاظ للحافظ للسيوطي ص: ٣٧٥.
- ب ـ فهرس الفهارس والأثبات، لعبدالحي بن عبدالكبير الكتاني، ٣٧٥/٣.

عناية الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ـ الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

(١) عبدالله بن قرط: الثمالي الأزدي، كان اسمه في الجاهلية شيطاناً فسماه رسول الله ﷺ عبدالله، ولاّه أبو عبيدة عامر بن الجراح على حمص مرّتين فلم يزل عليها حتّى تُوفي أبو عبيدة. أخرج له أبو داود، والنسائي، وابن حبّان، والحاكم. استشهد بأرض الرّوم سنة ستّ وخمسين رضي الله عنه.

- أ ـ الإصابة: ٣٥٨/٢ ـ ٣٥٩، تر: ٤٨٩٠.
- ب ـ الاستيعاب: ٩٧٨/٣، تر: ١٦٣٤.

(٢) سنن أبو داود: ١٤٩/٢، رقم: ١٧٦٥، باب في الهدي إذا عطب قبل أن يبلغ. عدت إلى سنن النّسائي المطبوع فلم أجد لهذا الحديث أثراً فيه، ولعله في السنن الكبرى الذي لم أطلع عليه، وقد أورد الحديث الإمام أحمد في مسنده، ٤٥٠/٤ ـ دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت.

(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) في الشفاء: لينحرها يوم عيد. . .

[قال][1] ليلة الغار: أمر الله تعالى شجرة، فنبتت تجاه النبيّ ﷺ فسترته، وأمر حمامتين، فوقفتا في فم الغار. وقد تقدم حديث الشجرة.

قال عياض: وفي حديث[2]: أنّ العنكبوت نسجت على باب الغار الذي فيه النّبيّ ﷺ، فلمّا أتى الطالبون له، ورأوا ذلك قالوا: لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه، والنّبيّ ﷺ، يسمع كلامهم فانصرفوا.

قال عياض: وعن أمّ سلمة رضي الله عنها[3]: أنّ النّبيّ ﷺ كان في صحراء، فنادته ظبية، يا رسول الله، قال: «**ما شأنك؟**»[4] قالت: صادني هذا الأعرابي، ولي خشفان في ذلك الجبل، فأطلقني حتّى أذهب فأرضعهما وأرجع. قال: «**تفعلين**»؟ قالت: نعم. فأطلقها، فذهبت ورجعت، فأوثقها، ثم انتبه[5] الأعرابي وقال: يا رسول الله، ألك حاجة؟ قال: «**تطلق هذه الظبية**»؛ فأطلقها، فخرجت تعدو في الصحراء وتقول: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنّك رسول الله.

قال: ومن هذا الباب ما رُوِيَ من تسخير الأسد لسفينة[6] مولى رسول الله ﷺ، إذ وجّهه إلى معاذ باليمن، فلقي الأسد، فعرّفه أنّه مولى رسول الله ﷺ ومعه كتابه، فهمهم، وتنحّى عن الطريق. وذكر في منصرفه مثل ذلك.

---

(١) ما بين الحاصرتين: زيادة من الشفاء.
(٢) في الشفاء: وفي حديث آخر: وأنّ العنكبوت نسجت على بابه الذي فيه...
(٣) في الشفاء: وعن أمّ سلمة: كان النبيّ ﷺ في صحراء...
(٤) في الشفاء: قال: ما حاجتك؟
(٥) في الشفاء: فانتبه الأعرابي...
(٦) سفينة: مولى رسول الله ﷺ كان اسمه مهران، أصله من فارس فاشترته أمّ سلمة، ثم أعتقته، واشترطت عليه أن يخدم النّبيّ ﷺ، فقال: كنت مع النبيّ عليه الصلاة والسلام في سفر فكان بعض القوم إذا أعيا ألقى عليّ ثوبه، حتّى حملت من ذلك شيئاً كثيراً، فقال: ما أنت إلاّ سفينة.
- أ ـ الإصابة: ٥٨/٢، تر: **٣٣٣٥**.
- ب ـ الاستيعاب: ١٤٨٦/٤ ـ ١٤٨٧، تر: **٢٥٧٧**.

وفي رواية أخرى عنه أنّ سفينة تكسرت به، فخرج إلى جزيرة، فإذا الأسد فيها[1] فقلت: أنا مولى رسول الله ﷺ فجعل يغمزني بمنكبه حتّى أقامني على الطريق[2].

قال ابن القطان: ورُوِيَ عن ابن المنكدر[3]: أنّ سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الرّوم، وأُسر، فانطلق هارباً يلتمس الجيش، وإذا بالأسد، فقال له: أبا الحارث، أنا مولى رسول الله ﷺ، كان من أمري، كيْت وكيت. فأقبل الأسد حتّى قام إلى جنبه، كلما سمع صوتاً أتى إليه، ثم أقبل يمشي إلى جنبه، فلم يزل كذلك حتّى بلغ الجيش، ورجع الأسد. وذكر هذا الحديث عبدالرزاق[4] ورواه أبو داود[5] عن ابن المنكدر أيضاً بهذا السياق. وهو في مصابيح البغوي[6].

---

(١) في الشفاء: «فيها» ساقطة.

(٢) الشفاء: ٤٤١/١ ـ ٤٤٢.

(٣) ابن المنكدر: أبو عبدالله محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير القرشي التيمي المدني. سمع أبا هريرة، وابن عباس، وجابراً، وأنساً، وابن عمر، وعائشة، وغيرهم. وروى عنه أبو حنيفة، ومالك، والزهري، وشعبة، والسفيانان، وخلق كثير، مجمع على ثقته، وتقدمه في العلم، والعمل. قال: كابدت نفسي أربعين سنة حتّى استقامت.
توفي سنة ثلاثين ومائة [١٣٠].
● أ ـ تذكرة الحفاظ: ١٢٧/١ ـ ١٢٨، تر: ١١٤.
● ب ـ طبقات الحفاظ السيوطي: ٥٨، تر: ١١٢، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان ـ الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٤) عبدالرزّاق: أبو بكر عبدالرزّاق بن همام بن نافع الحميري، روي عن ابن جريج، وثور، ومعمر، والأوزاعي، والثوري، وخلق كثير، وروى عنه الإمام أحمد، وابن معين، وإسحٰق، وأمم سواهم. وحديثه مخرّج في الصحاح. ونقموا عليه التشيّع، وما كان من الغلاة، بل كان يحبّ علياً، ويبغض من قاتله، وله الحقّ في ذلك! توفي في شوال سنة إحدى عشرة ومائتين [٢١١].
● تذكرة الحفاظ: ٣٦٤/١، تر: ٣٥٧.

(٥) سنن أبي داود. عدت إليه فلم أجد الحديث فيه!

(٦) مصابيح السنة: ١٢٧/٤ ـ ١٢٨، رقم: ٤٦٥٦، كتاب الفضائل والشمائل، باب الكرامات.

١٠٠/ظ قال ابن القطان وقد رُوِيَ هذا الحديث بغير هذا/ اللفظ: أنّه انكسرت به السفينة.

ورُوِيَ أنّه أضلّ الطريق، فلقي السبع، فتوسل إليه بالنبيّ ﷺ ليرينّه الطريق ففعل. وفيه حتّى أوقفني[(١)] على الطريق، ثم تنحّى، ودفعني، كأنّه يريني الطريق، ثم جعل يُهينم، فظننت أنه يودّعني.

وذكر أبو نعيم في الحلية: عن سفينة رضي الله عنه أنّه قال: خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه، فثقل عليهم متاعهم، فقال لي ﷺ: **«أبسط كساءك»** فبسطته، فجعل فيه متاعهم، ثم حمله عليّ، فقال: **«أحمل ما أنت إلا سفينة»** قال: فلو حملت يومئذٍ وقر بعير أو بعيرين أو خمسة أو ستة. ما ثقل عليّ.

فهذا هو سبب تسميته له ﷺ، سفينة[(٢)].

فصل

ومن آياته ﷺ وعلوّ منزلته عند ربّه سبحانه

ما ذكره أبو الفضل، وابن القطان أن عنزاً أتت رسول الله ﷺ في عسكره وقد أصابهم عطش، ونزلوا على غير ماء، وهم زهاء ثلاثمائة، فحلبها رسول الله ﷺ فأروى الجند، ثم قال لرافع أملكها، وما أراك، فربطها[(٣)]، فوجدها[(٤)] قد انطلقت، رواه ابن قانع[(٥)] وغيره. وفيه فقال رسول الله ﷺ: **«إنّ الذي جاء بها هو الذي ذهب بها»**.

---

(١) في الأصل: حتّى وافقني على الطريق.

(٢) حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء: ٣٦٩/١.

(٣) في الأصل: فربضها.

(٤) في (ر): «فوجدها» ساقطة.

(٥) ابن قانع: أبو الحسين عبدالباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق، البغدادي صاحب معجم الصحابة، وواسع الرحلة، كثير الحديث، ولد سنة خمس وستين ومائتين [٢٦٥] وتوفي في شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة [٣٥١].

● طبقات الحفاظ للسيوطي: ٣٦٢، تر: ٨٢٠.

قال أبو الفضل رحمه الله: وأخذ النّبيّ ﷺ بأذن شاة لقوم من عبد القيس بين إصبعيه[1] ثم خلاها فصار لها ميسماً، وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعد.

وما رُوِيَ عن إبراهيم بن حمّاد[2] بسنده من كلام الحمار الذي أصابه ﷺ بخيبر وقال له: اسمي يزيد بن شهاب، فسماه النّبيّ ﷺ اليعفور، وأنّه ﷺ كان يوجهه إلى دور أصحابه، فيضرب عليهم الباب برأسه، ويستدعيهم. وأنّ النّبيّ ﷺ لما مات تردّى في بئر جزعاً وحزناً فمات. هذا لفظ عياض[3] ونحوه للسّهيلي.

في الروض الأنف. ولفظه: وأمّا اليعفور فطرح نفسه في بير يوم مات النبيّ ﷺ فمات[4].

وذكر ابن فورك في كتاب «الفصول» أنّه كان من مغانم خيبر وأنّه كلّم النّبيّ ﷺ وقال: يا رسول الله أنا زياد بن شهاب، وقد كان في آبائي ستّون حماراً، كلّهم ركبهم نبي فاركبني أنت.

وزاد الجويني[5] في كتاب الشامل: أنّ النّبيّ ﷺ، كان إذا أراد أحداً

---

(١) في (د): بين أصابعه...

(٢) إبراهيم بن حمّاد: أبو إسحٰق إبراهيم بن حمّاد بن إسحٰق بن إسماعيل، الإمام الأزدي البصري، سمع الحسن بن عرفة، وعلي بن مسلم الطوسي، وعدة، وحدّث عنه الدارقطني، وابن شاهين، وأبو طاهر المخلص، وآخرون، توفي في سفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة [٣٢٣]، وله نيّف وثمانون سنة.

- أ ـ تذكرة الحفاظ، ٨٠٤/٣.
- ب ـ سير أعلام النبلاء: ٣٥/١٥ ـ ٣٦، تر: ١٩.

(٣) الشفاء: ٤٤٣/١ ـ ٤٤٤، بتصرف، بتقديم وتأخير للآثار.

(٤) الروض الأنف.

(٥) الجويني: أبو عمران موسى بن العباس الخراساني الجويني، مؤلف «المسند الصحيح» الذي خرّجه كهيئة صحيح مسلم، كان ثقة، توفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة [٣٢٣].

- أ ـ سير أعلام النبلاء: ٢٣٥/١٥ ـ ٢٣٦، تر: ٩٢.
- ب ـ شذرات الذهب: ٣٠٠/٢.

من أصحابه أرسل هذا الحمار إليه، فيذهب حتّى يضرب برأسه الباب فيخرج الرجل فيعلم أنّه أُرسل إليه، فيأتي النّبيّ ﷺ.

وأمّا ابن القطان: فقد ساق الحديث بأطول من هذا ولفظه: قال: وكما ذكر أن النبيّ ﷺ لما فتح الله تعالى [له][1] خيبر أصاب في سهمه أزواج نعال، وأربعة أزواج خفافاً، وعشر أواني من ذهب أو فضّة، وحماراً. قال: فكلّم النبيّ ﷺ الحمار حين ركبه[2] فقال له: «**ما اسمك؟**» قال: عفير بن يزيد بن شهاب بن حسنة. قال: «**ولمن كنت؟**» قال: كنت ليهودي، وكنت أعثر به عمداً فكان يسيء إليّ ويجيع بطني ويضرب ظهري.

فقال رسول الله ﷺ «**هل لك من أرب؟**» قال: لا. قال: «**ولم؟**» قال: لأنه حدّثني أبي عن آبائه عن أجداده أنهم قالوا: يركب نسلنا سبعون نبيّاً، وإنّ آخر نسلنا يركبه نبيّ يقال له محمد ﷺ. ولم يبق من نسل جدي غيري. ولم يبق من الأنبياء غيرك.

فقال له رسول الله ﷺ: «**قد سمّيتك يعفوراً، يا يعفور**». قال: لبيك يا رسول الله! فكان النبيّ ﷺ يركبه في حاجته، فإذا نزل عنه وبعث به إلى باب الرجل، فيأتي الباب، فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار. أومأ إليه أنْ أجبْ رسول الله ﷺ، فلما قُبض رسول الله ﷺ، مكث بعده ثلاثاً، فجاء إلى بئر، لأبي الهيثم[3] فتردّى فيها، فمات جزعاً على رسول الله ﷺ. فصارت قبره. قال الراوي: فكنا نعُدّ ذلك من الآيات.

---

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط، وفي (د): لما فتح الله له خيبر.

(٢) في الأصل: حين ركب فقال له: . . .

(٣) أبو الهيثم: مالك بن التّيهان الأنصاري، كان أحد النّقباء ليلة العقبة، ثم شهد بدراً. واختلف في تاريخ وفاته، قيل: إنّه توفي في حياة الرسول ﷺ، وقيل: في خلافة عمر سنة عشرين أو إحدى وعشرين، وقيل: إنّه أدرك صفين وشهدها مع الإمام عليّ، وبها قتل.

- أ ـ الاستيعاب: ١٧٧٣/٤، تر: ٣٢١٢.
- ب ـ الإصابة: ٣٤١/٣، تر: ٧٦٠١.

ومن ذلك ما ذكره عياض: من حديث النّاقة التي شهدت عند النّبيّ ﷺ لصاحبها أنّه ما سرقها/ وأنّها ملكه[1]. ١٠١/و

ولفظ ابن القطان قال: وكما رُوِيَ أنّه ﷺ أُتي بسارق، وشهدوا عليه بالسّرقة، وكان مع الرجل جمل، فأنطق الله جمله فقال: لا تقطعوا يده فإنّه بريء من ذلك. فقال رسول الله ﷺ: **«ما قلت حين حرّكت شفتيك؟»** قال: قلت: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، إنّه لا يعلم براءة ساحتي إلاّ أنت، فقال ﷺ: **«قد برّأك الله ممّا قيل عليك»**.

قال عياض: وقال[2] النبيّ ﷺ لفرسه: وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره**«لا تبرح بارك الله فيك، حتّى نفرغ من صلاتنا»**، وجعله قبلته، فما حرّك عضواً حتّى صلّى ﷺ.

قال عياض: ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي: أنّ النّبيّ ﷺ لما وجّه رسله للملوك، فخرج ستّة نفر منهم في يوم واحد، فأصبح كلّ رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم.

قال عياض: والحديث في هذا الباب كثير، وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك، وما وقع في كتب الأئمة[3]. جعل الله ما كتبناه خالصاً لوجهه بمنّه.



(١) الشفاء: ٤٤٣/١.
(٢) في الشفاء: وقال لفرسه عليه وسلم.
(٣) الشفاء: ٤٤٤/١.

 باب في ذكر إحياء الموتى، وكلام الصّبيان والمراضع وشهادتهم بالنّبوّة لسيّد المرسلين وخاتم النّبيّين ﷺ

قال عياض ـ رحمه الله ـ: ورُوِيَ عن عبدالله[1] بن عبيدالله الأنصاري قال[2]: كنت فيمن دفن ثابت بن قيس[3] بن شمّاس، وكان قُتل باليمامة[4]؛ فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول: محمد رسول الله، أبو بكر الصّديق، عمر الشهيد، عثمان البرّ الرحيم؛ فنظرنا فإذا هو ميّت.

قلت: وكذا ذكر ابن القطان، والحديث ذكره يعقوب بن شيبة.

---

(١) عبدالله بن عبيدالله الأنصاري: أبو بكر أو أبو محمد عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة زهير بن عبدالله بن جذعان، القرشي التيمي المدني، تولى القضاء لابن الزبير على مكة والطائف. وكان من رجال الحديث الثقات، روى عن جدّه، وابن عباس، وابن عمر، توفي عن سنّ عالية، وذلك في سنة ١١٧.
- أ ـ الشذرات: ١٥٣/١.
- ب ـ تذكرة الحفاظ: ١٠١/١ ـ ١٠٢، تر: ٩٤.
- ج ـ الأعلام: ٢٣٦/٤ ـ ٢٣٧.

(٢) في الشفاء: «قال» ساقطة.

(٣) ثابت بن قيس: أبو محمد، وقيل: أبو عبدالرحمٰن، ثابت بن قيس بن شمّاس الخزرجي الأنصاري، كان خطيب الأنصار، ويقال له: خطيب رسول الله ﷺ، شهد أحداً، وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ. قُتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر.
- الاستيعاب: ٢٠٠/١ ـ ٢٠٣، تر: ٢٥٠.

(٤) اليمامة، منقول عن اسم طائر يقال له: اليمام، واحدته يمامة، وكان فتح اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق سنة ١٢، وفتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد عنوة. بينها وبين البحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد، وقاعدتها حجر، وكانت أحسن بلاد الله أرضاً، وأكثرها خيراً وشجراً، ونخلاً.
- معجم البلدان: ٤٤٢/٥.

قال عياض: وعن[1] النعمان[2] بن بشير ـ رضي الله عنه ـ أنّ زيد بن خارجة[3] خرّ ميّتاً في بعض أزقة المدينة؛ فرفع وسجي إذ سمعوه[4] بين العشاءين، والنسّاء يصرخن حوله، يقول: أنصتوا [أنصتوا][5] فحسر[6] عن وجهه؛ فقال: محمد رسول الله، النّبيّ الأمين، وخاتم النّبيين، كان ذلك في الكتاب الأول؛ ثم قال: صدّق، صدّق؛ وذكر أبا بكر، وعمر، وعثمان؛ ثم قال: السلام عليك يا رسول الله، ورحمة الله وبركاته؛ ثم عاد ميّتاً كما كان[7].

قلت: هكذا ذكره عياض، مختصراً، وذكره ابن القطان، والسّهيلي، وغيرهما مطولاً.

قال ابن القطان: رُوِيَ عن سعيد بن المسيّب[8] أنّ زيد بن خارجة الأنصاري، ثم من بني الحارث بن الخزرج، توفي زمن عثمان ـ رضي الله

---

(١) في الشفاء: وذكر عن النعمان بن بشير أنّ زيد بن خارجة خرّ ميّتاً...

(٢) أبو عبدالله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، ولد قبل وفاة الرسول ﷺ بثمان سنين. وهو أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة، ولد هو وعبدالله بن الزبير عام اثنين من الهجرة. وكان النعمان أميراً على الكوفة لمعاوية سبعة أشهر، ثم أميراً على حمص لمعاوية، ثم ليزيد، وكان كريماً جوّاداً، شاعراً. توفي سنة أربع وستين [٦٤].
● الاستيعاب: ١٤٩٦/٤ ـ ١٥٠٠، تر: ٢٦١٤.

(٣) زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك، من بني الحارث بن الخزرج. روى عن النبيّ ﷺ في الصلاة عليه، وهو الذي تكلّم بعد الموت، لا يختلفون في ذلك. وكانت وفاته في خلافة عثمان بن عفان.
● الاستيعاب: ٥٤٧/٢ ـ ٥٤٩، تر: ٨٤.

(٤) في الأصل: إذ سمعوا بين العشاءين.

(٥) في الأصل و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٦) حسر عن وجهه: كشف غطاءه.

(٧) الشفاء: ٤٥٠/١.

(٨) أبو محمد سعيد بن المسيب، ولد في السنة الثانية من خلافة عمر، فسمعه وهو يخطب، وسمع عثمان، وزيد بن ثابت، وعائشة، وأبا هريرة، وغيرهم. وكان واسع العلم، وافر الحرمة، متين الديانة، قوّالاً بالحق، وقد اختلف في تاريخ وفاته أقواه سنة أربع وتسعين.
● تذكرة الحفّاظ: ٥٤/١ ـ ٥٦، تر: ٣٨.

عنه ـ فسُجي بثوب، ثم إنّهم سمعوا جلجلة(١) في صدره، ثم إنّه يتكلم، فقال: أحمد، أحمد، في الكتاب الأول، صدّق، صدّق، وأبو بكر(٢) الضعيف في جسمه، القوي في أمر الله في الكتاب الأول، صدّق، صدّق، وعمر بن الخطاب، القوي(٣) في أمر الله الأمين في الكتاب الأول، صدّق، صدّق، و(٤)عثمان بن عفان، على منهاجهم، مضت أربع، وبقيت سنتان، أتت الفتن، وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم خبر بير أريس(٥)، [وما بير أريس](٦).

قال سعيد بن المسيب: هلك(٧) رجل من بني خطمة(٨) فسُجي بثوب فسمعت جلجلة(٩) في صدره؛ ثم تكلم فقال: إنّ أخا بني الحارث بن الخزرج، صدق، صدق.

قال السّهيلي: وهذا الحديث رواه ثقات المحدّثين لا يختلفون في ذلك(١٠).

قلت: وقد روى أصل الحديث ابن عبدالبر(١١)، وغيره(١٢).

---

(١) في (د): فلجة.

(٢) في الروض الأنف: وأبو بكر الصديق.

(٣) في الروض الأنف: وعمر بن الخطاب القوي الأمين.

(٤) في الروض الأنف: عثمان ـ بلا واو ـ.

(٥) بئر أرس: بئر قريبة من مسجد قباء.

(٦) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٧) في الروض الأنف: ثم هلك رجل. . .

(٨) بنو خطَمة: ـ بفتح الطاء ـ: حيّ من الأوس، من القحطانية، وهم بنو عبدالله بن مالك بن الأوس.

● نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: ٢٢٩ ـ ٢٣٠، تر: ٨٤٤.

(٩) في الروض الأنف: فسمعوا جلجلة. . .

(١٠) الروض الأنف: ٥٧٥/٧، بتصرّف، في التقديم والتأخير.

(١١) ابن عبدالبر: أبو عمر يوسف بن عبدالبر بن عبدالله القرطبي، أحفظ أهل المغرب في عصره، ولم يكن مثله في الحديث بالأندلس. ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة، من مؤلفاته: التمهيد، والاستيعاب، توفي ليلة الجمعة سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

● تذكرة الحفاظ: ١١٢٨/٣ ـ ١١٣٢، تر: ١٠١٣.

(١٢) الاستيعاب: ٥٤٧/٢ ـ ٥٤٩، عند الحديث عن زيد بن خارجة تحت رقم: ٨٤٤.

وقصة بير أريس: أنّ عثمان رضي الله عنه، كان جالساً في بعض الأيام في زمان خلافته على شفة بير أريس، وكان في يده خاتم النبيّ ﷺ الذي كان يتداوله الخلفاء قبله، أعني كان بيد النبيّ ﷺ، ثم بيد أبي بكر رضي الله عنه، ثم بيد عمر رضي الله عنه، ثم بيد عثمان رضي الله عنه، فجعل عثمان وهو على شفا البير يحرّك الخاتم في إصبعه، وربما أخذ ينقله من إصبع إلى إصبع، ونحو هذا، فوقع في بير أريس، فأمر بالنزول إليه، واستهون أمر الماء، فنزحوا/ الماء، فغلبهم، حتّى أعجزهم. فبقي الخاتم هناك، ثم كان من أمر عثمان رضي الله عنه ما كان من هيجان الفتنة. ١٠٢/ظ

ولم يذكر ابن لاقطان أنّ هنا أبا بكر كما ذكره عياض وغيره.

قال ابن القطان: وقد رُوِيَ مثل هذه القصة لأخي ربعي بن حرّاش(١) أيضاً أعني أنّه تكلّم بعد الموت. وفي كلامه من ذكر رسول الله ﷺ ما ينعطف آية لرسول الله ﷺ. فإنّ في كلامه المذكور أنه قال: أسرعوا بي إلى رسول الله ﷺ، فقد أقسم أن لا يروح حتّى أدركه وألحقه. فإنّ كلام الميّت بذكره، وذكر ما ينتظره، والأمر بقضاء بغيته ﷺ أمر خارق للعادة في حقّه ﷺ.

قلت: وقد ذكر هذه الحكاية الغزالي(٢) رحمه الله في كتاب الرجاء من

---

(١) أبو مريم ربعي بن حرّاش الغطفاني العبسي الكوفي العالم العامل، سمع عمر، وعليّاً، وحذيفة، وأبا موسى الأشعري، وطائفة، ورد أنه لم يكذب قط. وكان قد آلى على نفسه أنّه لا يضحك حتّى يعلم أفي الجنة هو أو في النار؟ متفق على أمانته وثقته، والاحتجاج به، توفي سنة إحدى ومائة [١٠١].

- أ ـ تذكرة الحفاظ: ٦٩/١ ـ ٧٠، تر: ٦٥.
- ب ـ طبقات الحفّاظ للسيوطي، ص ٣٤، تر: ٦٣.
- ج ـ وفيات الأعيان: ٣٠٠/٢، تر: ٢٣٦.

(٢) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام، ولد سنة خمسين وأربعمائة في الطابران بخراسان، ثم رحل إلى نيسابور، ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر، له عدة مؤلفات منها: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والمستصفى في الأصول، توفي في بلدته عام خمسة وخمسمائة.

- أ ـ الأعلام: ٢٤٧/٧.
- ب ـ كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطيني، ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

إحياء علوم الدين ولفظه: وفي حديث ربعي بن حراش عن أخيه، ـ وكان من خيار التابعين وهو وممّن تكلم بعد الموت ـ قال: لما مات أخي سُجّي بثوبه، وألقيناه على نعشه، فكشف الثوب عن وجهه، واستوى قاعداً، فقال: إنّي لقيت ربي عزّ وجلّ، فحيّاني بروح وريحان، وهو[١] عنّي غير غضبان، وإنّي رأيت الأمر أيسر ممّا تظنون فلا تغتروا، وإنّ[٢] محمداً ﷺ ينتظرني، وأصحابه حتّى أرجع إليهم، قال: ثم طرح نفسه فكأنها[٣] حصاة وقعت في طست، فحملناه ودفناه[٤].

قال أبو سعيد النيسابوري: روى النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: توفي أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما، فكان الناس ينتظرون عثمان، ليصلي عليه قال: فقمت أصلّي ركعتين، فكشف الثوب عن وجهه، والقوم يتكلمون. فقال: السلام عليكم، فقلت: سبحان الله، سبحان الله! فقال: أنصتوا أنصتوا، محمد رسول الله صدّق، صدّق، وأبو بكر الصديق، ضعيف في جسده، قويّ في أمر الله، كان ذلك في الكتاب الأول، صدقْ، صدقْ.

هكذا ذكر[٥] النيسابوري: أسامة بن زيد فالله أعلم. وما قدّمناه عن عياض، وابن القطان هو الصواب. لأنّ أسامة بن زيد، قد عاش بعد عثمان، واعتزل الفتنة، وما ذكرناه عن ابن القطان، والغزالي، ذكره السّهيلي. ولفظه: وقد عرض مثل هذه القصة لربيع بن حِرَاش[٦] أخي ربعي بن حراش. قال ربعي بن حراش: مات أخي فسجيناه، وجلسنا عنده،

---

(١) في الإحياء: بروح وريحان، وربّي غضبان.

(٢) في الإحياء: فلا تغتروا، فإنّ محمدًا ﷺ ينتظرني.

(٣) في الإحياء: فكأنّها كانت حصاة...

(٤) إحياء علوم الدين، ١٥٢/٤، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي [ت: ٥٠٥]، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.

(٥) في (ر): ذكر النيسابوري.

(٦) ربيع بن حراش بن عمرو بن عبدالله العبسي الكوفي، أخو ربعي ومسعود ابني حراش.
● وفيات الأعيان: ٣٠٠/٢ ـ ٣٠١، تر: ٢٣٦.

بينما نحن كذلك إذ كشف[1] عن وجهه ثم قال: السلام عليكم. قلت: سبحان الله! أبعد الموت؟ قال: إنّي لقيت ربي فتلقّاني بروح وريحان، وهو[2] غير غضبان، وكساني ثياباً خضراً، من سندس وإستبرق؛ أسرعوا بي إلى رسول الله ﷺ، فإنه قد أقسم أن لا يبرح حتّى أدركه[3] أو آتيه، وإنّ الأمر أهون ممّا تذهبون إليه؛ فلا تغترّوا، ثم والله[4] لكأنّما كانت نفسه حصاة أُلقيت في طست[5].

ومن آياته ﷺ في هذا الباب ما رواه أبو داود وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ يهودية أهدت للنبيّ ﷺ بخيبر شاة مصلية، سمّتها ـ الحديث ـ وفيه. فقال ﷺ للقوم: «**ارفعوا، فإنها أخبرتني أنّها مسمومة**»[6].

وقد روى هذا الحديث أنس، وجابر، وابن عبّاس. وفي رواية جابر: أخبرتني به هذه الذراع[7].

وفي رواية الحسن أنّ فخذها يكلمني[8] أنها مسمومة[9].

وهذه القصة مشهورة فلا نطيل بسرد الرّوايات لأنها مخرجة في الصحاح.

---

(١) في الروض الأنف: إذ كشف الثوب عن وجهه.
(٢) في الروض الأنف: بروح وريحان، وربّ غير غضبان.
(٣) في الروض الأنف: حتّى آتيه وأدركه.
(٤) في الروض الأنف: ثم والله، كأنّما كانت نفسه حصاة فألقيت في طست.
(٥) الروض الأنف: ٧/٥٧٥ ـ ٥٧٦.
(٦) ● أ ـ سنن أبي داود، ٤/١٧٣ ـ ١٧٥، رقم: ٤٥٠٩. باب فيمن سقى رجلاً سمّاً أو أطعمه فمات أيقاد منه؟
● ب ـ صحيح البخاري: ٤/١٢١، باب، إذا غدر المشركون بالمسلمين، هل يُعفى عنهم؟
(٧) الشفاء: ١/٤٤٥ ـ ٤٤٧، باختصار.
(٨) في الشفاء: أنّ فخذها تكلّمني.
(٩) الشفاء: ١/٤٤٦.

ومن آياته ﷺ ما ذكره أبو الفضل عياض وابن القطان، ولفظهما سوا
عن الحسن قال: أتى رجل النبيّ ﷺ فذكر أنّه طرح بنية له في وادي كذ
فانطلق معه[1] النبيّ ﷺ إلى الوادي، وناداها باسمها: «**يا فلانة، أجيبي**
بإذن الله»؛ فخرجت وهي تقول: لبّيك وسعديك! فقال لها: «**إنّ أبويك ق**
أسلما؛ فإن أحببت أن أردك عليهما»؛ فقالت[2]: لا حاجة لي فيهما
وجدت الله خيراً لي منهما.

وعن أنس رضي الله عنه[3] أن شاباً من الأنصاري توفي وله أ
عجوز عمياء، فسجيناه، وعزيناها، فقالت: مات ابني؟ قلنا: نعم. قالت
اللّهم إن كنت تعلم أنّي هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن يُعينني[4] على
١٠٣/و كل شدّة، فلا/ تحملنّ عليّ هذه المصيبة. فما برحنا أن كشف الثوب عر
وجهه، فطعم وطعمنا[5]. وعاش بعد ذلك. ذكر هذه الحكاية عياض وابر
القطان.

قال ابن القطان: ورُوِيَ أيضاً ـ عن أنس ـ رضي الله عنه أر
رسول الله ﷺ قال للفُريعة[6]: «**إن ابنك إبراهيم قد مات**». قالت: ومات ي
رسول الله. قال: «**نعم**» فقالت: الحمد لله! اللهم إنّكَ تعلم أنّي قد هاجرت
إليك، وإلى نبيّك... وذكر بقية الحديث.

قال: فأحياه الله تعالى عند ذلك. فأكل وطعم بين يدي رسول الله ﷺ
وهو إبراهيم بن نبيط.

---

(١) في الشفاء: فانطلق معه إلى الوادي...
(٢) في الشفاء: قالت.
(٣) في الشفاء: بدون ترضية.
(٤) في الشفاء: رجاء أن تعينني.
(٥) الشفاء: ١/٤٤٩ ـ ٤٥٠.
(٦) الفريعة: فريعة بنت معوّذ بن عفراء الأنصاري، أخت الربيع بنت معوّذ، صحابية مجابة الدعوة، حديثها في الرخصة في الغناء وضرب الدّفّ في العرس.
● أ ـ الإصابة: ٤/٣٨٦ ـ ٣٨٧، تر: ٨٧٢.
● ب ـ الاستيعاب: ٤/١٩٠٣، تر: ٤٠٦٧.

قال عياض وابن القطان: ونحو من ذلك ما روى وكيع[1] عن فهد[2] بن عطية أن النبيّ ﷺ أُتي بصبي قد شبّ[3] ولم يتكلّم. فقال: **«من أنا؟»** قال: رسول الله ﷺ[4].

وما[5] رُوِيَ عن معرض[6] عن معيقيب قال: رأيت ـ من النبيّ ﷺ عجباً ـ حين جيء بصبي يوم ولد فقال: **«من أنا؟»** قال: رسول الله ﷺ. قال: وهو حديث مبارك اليمامة، ويعرف بحديث شاصوبة: اسم راويه، وفيه قال النبيّ ﷺ: **«صدقت بارك الله فيك يا غلام»**[7] ثم إنّ الغلام لم يتكلم بعد[8] حتى شبّ، فكان يُسمّى مبارك اليمامة[9].



---

(١) أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح محدّث العراق، ولد سنة ١١٩، سمع هشام بن عروة، والأعمش، وابن عون، وابن جريج، والأوزاعي، وخلقاً كثيراً. وأخذ عنه ابن المبارك، وأحمد، ويحيىٰ بن معين، وإسحٰق، وخلق سواهم، توفي وكيع سنة ١٩٧.
● تذكرة الحفاظ: ١/٣٠٦ ـ ٣٠٩، تر: ٢٨٤.

(٢) في الشفاء: وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية...

(٣) في الشفاء: قد شبّ لم يتكلم قط...

(٤) في الشفاء: بلا تصلية.

(٥) في الشفاء: ورُوِيَ عن معرّض.
● الإصابة: ٣/٤٤٥، تر: ٨١٣٣.

(٦) معرّض بن معيقيب اليمامي جاء عنه حديث في المعجزات وأعلام النبوّة، وأبوه معيقيب أسلم قديماً بمكة، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وأقام بها حتّى قدم على النبيّ ﷺ بالمدينة، وتوفي في خلافة عثمان، وقيل في سنة أربعين.
● الاستيعاب: ٤/١٤٧٨ ـ ١٤٧٩، تر: ٢٥٥٩.

(٧) في الشفاء: «يا غلام» ناقصة.

(٨) في الشفاء: لم يتكلم بعدها حتّى شبّ.

(٩) الشفاء: ١/٤٤٨ ـ ٤٤٩.

باب في آياته ﷺ في شفاء المرضى، وذوي العاهات، وبركة دعائه

فمن آياته ﷺ الباهرة، وبركاته الظاهرة، أنّ قتادة[1] بن النعمان رضي الله عنه أصيبت عينه يوم أحد، حتّى وقعت على وجنته، فردّها رسول الله ﷺ، فكانت أحسن عينيه. ذكره ابن إسحٰق، وابن أبي شيبة[2] وغيرهما.

قال ابن القطان: وقد رُوِيَ أنّ رجلاً من ولد قتادة بن النعمان، وفد على عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى فقال: ممّن الرجل؟ فقال: [من الطويل]

أنا ابن الذي سالت على الخدّ عينه ... فرُدّت بكف المصطفى أحسن[3] الرّدّ
وعادت[4] كما كانت لأول أمرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما[5] رد[6]

---

(١) أبو عمرو قتادة بن النعمان بن يزيد الأوسي الظفري الأنصاري، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأصيبت عينه يوم أحد، وكان قريب عهد بعرس، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن عندي امرأة أحبّها، وإن هي رأت عيني خشيت أن تقذرني، فردّها رسول الله ﷺ، فاستوت، وكانت أقوى عينيه وأصحهما. وكانت راية بني ظفر معه يوم الفتح، وكان من فضلاء الصحابة الأنصار، توفي سنة ثلاث وعشرين وهو ابن خمس وستين سنة.

● الاستيعاب: ٣/١٢٧٤ ـ ١٢٧٧، تر: ٢١٠٧.

(٢) ● أ ـ السيرة النبوية لابن هشام: ق٢:٨٢.

● ب ـ المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة: ٨/٤٨٩، كتاب المغازي رقم ٢٧.

(٣) في الروض الأنف: فردّت بكف المصطفى أيّما ردّ.

(٤) في الروض الأنف: فعادت كما كانت لأوّل أمرها. . .

(٥) في الروض الأنف: فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدّ.

(٦) الروض الأنف: ٦/٣٣.

وروى النسائي عن عثمان بن حنيف[(١)] أنّ أعمى قال: يا رسول الله؛ ادع الله أن يكشف لي عن بصري. قال: «**فانطلق. فتوضّأ؛ ثم صلّ ركعتين ثم قل: اللهم إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبي محمد نبي الرحة، يا محمد، إني أتوجه بك**[(٢)] **إلى ربّك أن يكشف عن بصري. اللهم فشفعه**[(٣)] **فيّ**».

قال: فرجع وقد كشف الله عن بصره[(٤)].

قال عياض: وذكر العقيلي عن حبيب[(٥)] بن فديك ويقال فريك أنّ أباه ابيضّت عيناه، فكان لا يبصر بهما شيئاً، فنفث رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر، فرأيته يدخل الخيط في الإبرة، وهو ابن ثمانين سنة[(٦)].

ونفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم حنين[(٧)] فبرئت[(٨)].

وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ[(٩)] بن عفراء، فجاء يحمل يده فبصق

---

(١) أبو عمرو عثمان بن حنيف بن واهب الأوسي الأنصاري، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وتولّى مسح سواد العراق لعمر، وولاّه علي على البصرة، ثم سكن الكوفة، وبقي إلى زمن معاوية عام واحد وأربعين.
- الاستيعاب: ١٠٣٣/٣، تر: ١٧٦٩.

(٢) في الأصل: أتوجه إليك إلى ربّك.

(٣) في (د) و(ر): اللهم شفعه في.

(٤) لم أجد الحديث في سنن النّسائي، ووجدته في المستدرك على الصحيحين: م٧٠٧/٧ رقم ١٩٢٩.

(٥) حبيب بن فديك: أبو فديك حبيب بن فديك، ويقال: فويك، روت بنت أخيه أنّ رسول الله ﷺ دعا له وهو أعمى مبيضّة عيناه. فأبصر، وكان يُدخل الخيط في الإبرة، وهو ابن الثمانين.
- أ ـ الاستيعاب: ٣٢٢/١، تر: ٤٧٥.
- ب ـ الإصابة: ٣٠٨/١، تر: ١٥٩٦.

(٦) في الشفاء: «سنة» ساقطة.

(٧) في (د) و(ر)، والشفاء: خيبر.

(٨) الشفاء: ٤٥٣/١.

(٩) معوّذ بن عفراء: معوّذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث، وعفراء أمّه، شهد بدراً مع أخويه: معاذ، وعوف، وأمّهم عفراء بنت عبيد بن ثعلبة ومعوذ هو الذي قتل أبا جهل يوم بدر، ثم قاتل حتّى قُتل شهيداً، قتله أبو مسافع.
- الاستيعاب: ١٤٤٢/٤، تر: ٢٤٧٣.

عليها رسول الله ﷺ، وألصقها فلصقت، رواه ابن وهب.

ومن روايته أيضاً أنّ خبيب[1] بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله ﷺ بضربة على عاتقه حتّى مال شقه فردّه رسول الله ﷺ ونفث عليه حتّى صحّ.

وأتته امرأة من خثعم، معها صبي به بلاء، لا يتكلم؛ فأُتي بماء فمضمض فاه، وغسل يديه، ثم أعطاها إيّاه، وأمرها بسقيه ومسّه[2] به، فبرىء[3] الغلام، وعقل عقلاً يفُضُل عقول الناس.

قلت: وقد نقله ابن القطان بسياق أطول من هذا الحديث، خرّجه ابن أبي شيبية، وذكر عياض، وابن القطان، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنّ امرأة جاءت بابن لها به جنون، فمسح ﷺ[4] صدره، فثعّ ثعّة، فخرج من وجوفه مثل الجرو الأسود؛ فشفي.

قلت: وذكره ابن أبي شيبة والترمذي[5].

---

(١) خبيب بن يساف. ويقال: خبيب بن إساف بن عنبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي، شهد بدراً، وأحداً، والخندق، وبقية المشاهد مع رسول الله ﷺ. وهو الذي قتل أمية بن خلف يوم بدر، وتوفي في خلافة عثمان بن عفان.
● الاستيعاب: ٤٤٣/٢، تر: ٦٣٣.

(٢) في الأصل و(د): ومسّها به، وفي (ر): ومسّها فبرىء... والإصلاح من الشفاء.

(٣) في الشفاء: برأ الغلام. برىء: من المرض بُرءاً من باب سَلِمَ. وبَرَأ من المرض من باب قطع. فهما لغتان.

(٤) في الشفاء: بدون تصلية.

(٥) عدت إلى الترمذي فلم أجد له أثراً، ووجدته عند:
● أ ـ أبي نعيم في «دلائل النبوة» ٤٦٥/٢ ـ ٤٦٦.
● ب ـ الدّارمي أبي محمد عبدالله، في سننه: ١١/١ ـ ١٢، رقم: ٣٩٥. وفيها: وخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فسعى. دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، بعناية: محمد أحمد دهمان، ونشرته دار إحياء السنة النبوية.
● ج ـ المصنّف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة، ٤٣٦/٧. كتاب الفضائل، باب ما أعطى الله تعالى محمداً ﷺ، رقم: ١١٧.

قال عياض وابن القطان: وعن طاوس قال: لم يؤت النّبيّ ﷺ بأحد به مسّ فصكّ في صدره إلا ذهب.

والمسّ: الجنون.

قال عياض: وكانت في كفّ شرحبيل[1] الجعفي [سلعة[2]][3] تمنعه القبض على السّيف وعنان الدابة؛ فشكاها للنّبيّ ﷺ، فما زال يطحنها بكفّه حتى رفعها، ولم يبق لها أثر.

وقوله: فثعّ ثعّة بالثّاء المثلثة والعين المهملة معناه: قاء قيئة.

١٠٤/ظ

قاله الزّبيدي/.

وسألته جارية طعاماً، وهو يأكل، فناولها من بين يديه، ـ وكانت قليلة الحياء؛ وقالت[4]: إنّما أريد من الذي في فيك؛ فناولها[5] من الذي في فيه؛ ولم يكن ﷺ[6] يُسأل شيئاً فيمنعه. فلما استقرّ في جوفها، أُلقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشدّ حياء منها[7].

وأما إجابة دعائه فمعلوم ضرورة متواتر. وقد جاء[8] عن حذيفة[9]

---

(١) شرحبيل: ويقال: شراحبيل، وهو شرحبيل بن عبدالرحمٰن الجعفي، وقال العسكري: شرحبيل بن أوس، روى له ابن السكن حديث «من أعيت عليه التجارة فعليه بعمان». وذكر البغوي عن محمد بن إسماعيل قال: شرحبيل أو عبدالرحمٰن بن شرحبيل سكن البصرة.
- أ ـ الاستيعاب: ٢/٦٩٧، تر: ١١٦٣.
- ب ـ الإصابة: ٢/١٤٤ ـ ١٤٥، تر: ٣٨٧٢.

(٢) السّلعة: ـ بكسر السّين وفتحه ـ: غُدّة تظهر بين الجلد واللحم تتحرك إذا حُرّكت. وقد تكون من حمصة إلى بطيخة.

(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) في الشفاء: فقالت.

(٥) في الشفاء: فناولها ما في فيه.

(٦) في الشفاء: بلا تصلية.

(٧) الشفاء: ١/٤٥٤ ـ ٤٥٥، باختصار وتصرف في تقديم وتأخير.

(٨) في الشفاء: وقد جاء في حديث حذيفة. . .

(٩) أبو عبدالله حذيفة بن اليمان، واليمان لقب، واسم أبيه حُسيل بن جابر. شهد حذيفة،=

رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دعا لرجل أدركت الدعوة، ولده وولد ولده[1]، ودعا ﷺ بعز الإسلام بعمر، أو بأبي جهل، فاستجيب له في عمر رضي الله عنه.

قال ابن مسعود: ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر بن الخطاب[2]. وتقدم دعاؤه[3] في الاستسقاء[4] وغيره. قال: وقال لأبي قتادة: «**أفلح وجهك، اللهم بارك له في شعره وبشره**»، فمات وهو ابن سبعين سنة، وكأنه ابن خمس عشرة سنة.

وقال للنابغة[5]: «**لا يفضض الله فاك**»؛ فما سقطت له سنّ، وفي

= وأبوه حسيل، وأخوه صفوان، غزوة أحد، وفيها استشهد أبوه قتله أحد المسلمين يحسبه من المشركين. وقُتل صفوان وسعيد ابناه في صفين مع علي بوصية منه أن يكونا مع علي. وكان حذيفة صاحب سرّ رسول الله ﷺ، ومن كبار الصحابة، وكان عمر يسأله عن المنافقين، وكلما مات أحد ينظر إليه عمر فإذا لم يشهد الجنازة حذيفة لم يشهدها عمر، توفي حذيفة في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين.

● الاستيعاب: ٣٣٤/١ ـ ٣٣٥، تر: ٤٩٢.

(١) الشفاء: ٤٥٥/١.

(٢) ● أ ـ صحيح البخاري: ١٤/٥، باب مناقب عمر بن الخطاب.
● ب ـ صحيح البخاري: ٦٠/٥، باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) في الأصل و(د): وتقدم دعاءه، وفي (ر): تقدم دعائه.

(٤) صحيح البخاري: ٣٤/٢ ـ ٣٥، باب الاستسقاء في المسجد الجامع.

(٥) أبو ليلى النابغة الجعدي، وقد اختلف في اسمه، قيل: قيس بن عبدالله، وقيل: حبان بن قيس، وإنما قيل له النّابغة ـ فيما يقولون ـ لأنه قال الشعر في الجاهلية، ثم أقام نحواً من ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثم نبغ فيه بعد، فقاله، فسُمّي النّابغة. وفد على رسول الله ﷺ، وأنشد قوله في قصيدته الرائية: [الطويل]

أتيتُ رسول الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتاباً كالمجرّة نيراً

ولما وصل إلى:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدّرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له الرسول ﷺ: أجدت، لا يفضض الله فاك، فعاش مائة وعشرين سنة. سكن الكوفة التي توفي بها، وذلك في حوالي سنة خمسين، وكفّ بصره في آخره عمره.

● أ ـ الاستيعاب: ١٥١٤/٤ ـ ١٥٢٢، تر: ٢٦٤٨.
● ب ـ الأعلام: ٥٨/٦.

رواية: فكان أحسن الناس ثغراً؛ إذا سقطت له سنّ نبتت له أخرى، وعاش عشرين ومائة[1]، وقيل: أكثر من هذا.

ودعا لابن عباس[2] فقال: اللهم فقهه في الدين، وعلّمه التأويل، فسمّي بعد الحَبْر وترجمان القرآن[3].

ودعا لعلي رضي الله عنه[4] أن يكفى الحرّ والقُرّ؛ فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف، وفي الصيف ثياب الشتاء، ولا يصيبه حرّ ولا برد[5].

وروينا في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قالت أمّي: يا رسول الله، خادمك أنس؛ ادع الله له. قال: «**اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما[6] أتيته[7]**».

ومن رواية عكرمة[8] قال أنس: فوالله، إنّ مالي لكثير؛ وإنّ ولدي وولد ولدي ليعادّون اليوم على نحو المائة. وفي رواية[9]: وقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطاً[10] ولا ولد ولدٍ[11].

---

(١) في الشفاء: وعاش عشرين ومائة سنة.

(٢) في الشفاء: ودعا لابن عباس: اللهم...

(٣) الشفاء: ٤٥٨/١.

(٤) في الشفاء: بلا ترضية.

(٥) الشفاء: ٤٥٩/١.

(٦) في البخاري: فيما أعطيته.

(٧) صحيح البخاري: ٩٣/٨، باب دعوة النبيّ ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة الولد.

(٨) عكرمة بن عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، هرب يوم الفتح إلى اليمن فلحقت به امرأته أمّ حكيم، وأتت به إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه، واستعمله الرسول ﷺ على هوازن، ووجهه أبو بكر إلى عمان عند ارتدادهم فظهر عليهم، ثم وجهه إلى اليمن، ثم لزم الشام مجاهداً، فاستشهد يوم اليرموك سنة ثلاث عشرة وعمره اثنتان وستون سنة.

- أ ـ الاستيعاب: ١٠٨٢/٣ ـ ١٠٨٥، تر: ١٨٣٨.
- ب ـ الأعلام: ٤٤/٥.

(٩) في الشفاء: وفي رواية: ما أعلم أحداً أصاب من رخاء العيش ما أصبت، ولقد دفنت...

(١٠) السقط: ما سقط من بطن أمّه قبل مدة تمام حمله، وأوان ولادته.

(١١) الشفاء: ٤٥٦/١.

ولفظ أبي نعيم في الحلية: عن أنس رضي الله عنه قال: قالت أمّ سليم لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ادع لأنس، فقال: «**اللهم أكثر ماله، وولده وبارك له فيهم**».

قال أنس: ولقد دفنت من صلبي سوى ولد ولدي خمسة وعشرين ومائة، وإنّ أرضي لتثمر في السنة مرّتين، وما في البلد شيء يثمر غيرها[1].

قال عياض: ودعا ﷺ لفاطمة رضي الله عنها أن لا يجيعها الله فما جاعت بعد[2].

ومن عظيم آياته وكرامته على ربه سبحانه ما جاء في الحديث المشهور أنّ الطفيل بن عمرو[3] رضي الله عنه سأل النبيّ ﷺ آية لقومه؛ فقال: «**اللهم نوّر له**».

فسطع نور بين عينيه؛ فقال: يا رب أخاف أن يقولوا: مُثلة؛ فتحوّل إلى أطراف سوطه[4]؛ فكان يضيء في الليلة المظلمة؛ فسمي ذا النور ـ الحديث. وهو حديث طويل[5].

ومن آياته ﷺ الباهرة ما ورد في الحديث المشهور من رواية ابن

---

(١) لم أجد هذا الأثر في الحلية. ووجدت الحديث في صحيح الترمذي مع بعض الاختلاف. وليس فيه كلام أنس عن نفسه. انظر: صحيح الترمذي: ٥/٦٨٢، رقم: ٣٨٢٩، كتاب المناقب، باب مناقب لأنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) في الشفاء: ودعا لفاطمة ابنته الله أن لا يجيعها؛ قالت: فما جعت بعد.
● الشفاء: ١/٤٥٩.

(٣) ذو النور الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص الدوسي. أسلم وصدّق النبيّ ﷺ بمكّة ثم رجع إلى قومه فلم يزل مقيماً معهم حتّى هاجر الرسول ﷺ، ثم قدم عليه وهو بخيبر ومعه ثمانون أو تسعون ممّن تبعه من قومه، فلم يزل مع رسول الله ﷺ حتّى قبض، ثم كان مع المسلمين حتّى قُتل شهيداً باليمامة عام أحد عشر.
● الاستيعاب: ٢/٧٥٧ ـ ٧٦٢، تر: ١٢٧٤.

(٤) في الشفاء: فتحوّل طرف سوطه.

(٥) الشفاء: ١/٤٥٩.

مسعود في دعائه ﷺ على النفر من قريش حين وضعوا السّلا[1] على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم، وسمّاهم. قال: فلقد رأيتهم قُتلوا يوم بدر[2].

ودعا على الحكم بن أبي العاصي[3] وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبيّ ﷺ[4]؛ فرآه فقال: **«كذلك كن»**، فلم يزل يخلج إلى أن مات.

ودعا على محلِّم بن جثّامة[5] فمات لسبع. فلفظته الأرض، ثم وُرّيَ فلفظته مرّات فألقوه بين صُدّين[6] ورضموا عليه بالحجارة. والصّدّ: جانب الوادي[7].

---

(١) في الأصل، (ر): السّلى. والسّلاَ: غشاء رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه من بطن أُمّه ملفوفاً به.

(٢) صحيح البخاري: ٥٧/٥، باب ما لقي النبيّ ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة.

(٣) الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، عمّ عثمان بن عفان، ووالد مروان، كان من مسلمة الفتح، أخرجه الرسول ﷺ من المدينة لأنه كان يفشي أسراره، وطرده عنها، فنزل الطائف مع ابنه مروان، فلم يزل بالطائف حتّى تولّى الخلافة عثمان فردّه إلى المدينة، وتوفي بها سنة اثنتين وثلاثين. وقد كُفّ بصره.
● الاستيعاب: ٣٥٩/١ ـ ٣٦٠، تر: ٥٢٩.

(٤) في الشفاء: أي لا، فرآه؛ فقال...

(٥) محلّم بن جثامة بن قيس الليثي، ذهب في سرية إلى إضم فتلا قوامع عامر بن الأضبط فحيّ السرية بتحية الإسلام، فحمل عليه محلم وقتله، وسلبه، فلما قدموا المدينة أخبروا الرسول ﷺ الخبر. فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ۝٩٤﴾ [النساء: ٩٤]. وروى أنه توفي بعد سبعة أيام، فدفنوه فلفظته الأرض، فقال الرسول ﷺ: **«إن الأرض لتقبل أو تُجن من هو شر منه، ولكن الله أراد أن يريكم آية في قتل المؤمن»**... وقيل: إن الآية نزلت في غيره، ومعلوم أن قتله كان خطأً لا عمداً.
● الاستيعاب: ١٤٦١/٤ ـ ١٤٦٢، تر: ٢٤٢٣.

(٦) في (د): في القَدين.

(٧) الشفاء: ٤٦٠/١ ـ ٤٦١.

قلت: وهذا لفظ عياض. وقصّة محلِّم مستوفاة في السيرة لابن إسحٰق[1] وغيره.

قلت: وروى ابن ماجة[2] وابن حبّان[3] في صحيحه[4] واللفظ لابن ماجة عن عمرو بن أخطب[5] رضي الله عنه قال: استسقى رسول الله ﷺ

---

(١) ● أ ـ السيرة النبوية لابن هشام: ٦٢٨/٢.
● ب ـ جمهرة أنساب العرب: ص ١٨١.
● ج ـ دلائل النبوّة للبيهقي: ٣٠٥/٤ ـ ٣٠٨.
● د ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ٢٢٠/٢ ـ ٢٢١، لأبي الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعميري [ت: ٧٣٤] تح، د. محمد العيد الخطراوي ـ محيي الدين ستو ـ مكتبة التراث المدينة المنوّرة ـ دار ابن كثير دمشق بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ ـ ١٩٩٢.

(٢) ابن ماجة: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، صاحب السنن والتفسير والتاريخ، ولد سنة تسع ومائتين [٢٠٩] سمع أهل بلده، ثم ارتحل إلى العراقين، ومكة، والشام، ومصر. وألّف كتابه «السنن» الذي يشتمل على ألف وخمسمائة باب، وفيها أربعة آلاف حديث. وتوفّي في رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين [٢٧٣].
● تذكرة الحفّاظ: ٦٣٦/٢، تر: ٦٥٩.

(٣) أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبّان التميمي البستي، سمع الحسين بن إدريس الهروي، وأبا عبدالله النّسائي، وأبا بكر بن خزيمة، وأمماً لا يحصون من مصر إلى خراسان. توفي في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة [٣٥٤] وهو في عشر الثمانين.
● تذكرة الحفّاظ: ٩٢٠/٣ ـ ٩٢٤، تر: ٨٧٩.

(٤) الإحسان بترتيب ابن حبان، ١٥١/٩، رقم: ٧١٢٨، كتاب أخباره ﷺ عن مناقب الصحابة... وروى الحديث أبو عيسى الترمذي في صحيحه: ٥٩٤/٥، رقم: ٤٦٢٩، كتاب المناقب، باب في آيات إثبات نبوّة النّبيّ ﷺ وما قد خصّه الله عزّ وجلّ به.

(٥) عمرو بن أخطب: أبو زيد الأنصاري الخزرجي المدني الأعرج، من مشاهير الصحابة الذين نزلوا البصرة. وبها مسجد يعرف به. روى عن رسول الله ﷺ أحاديث، حدّث عنه ابنه بشير، وأنس بن سيرين، وجماعة، وحديثه في الكتب الصحّاح سوى البخاري، غزا مع رسول الله ﷺ ثلاث غزوات، توفي في خلافة عبدالملك بن مروان.
● أ ـ الاستيعاب: ١١٦٢/٣، تر: ١٨٨٩.
● ب ـ سير أعلام النبلاء: ٤٧٣/٣ ـ ٤٧٤، تر: ١٠٠.

فأتيته بإناء فيه ماء، وفيه شعرة فرفعتها، فنظر إليّ ﷺ فقال: **«اللّهم جمّله»** قال الراوي: فرأيته وهو ابن ثلاث وتسعين وما في رأسه ولحيته شعرة بيضاء[1].

وروى أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، واللفظ لأبي داود: عن عروة[2] اليارقي[3] رضي الله عنه: أنّ النّبيّ ﷺ أعطاه ديناراً ليشتري به أضحية، أو شاة، فاشترى شاتين، فباع إحداهما بدينار، وأتاه بشاة ودينار، فدعا له بالبركة/ في بيعه، فكان[4] إذا اشترى ثوباً يربح[5] فيه[6]. ١٠٥/و

وقال ﷺ لأبي طلحة وقد أخبره بوفاة ولده واغتساله من زوجه، لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما. فقال رجل من الأنصار فرأيت له تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن.

رواه البخاري ومسلم[7]. والولد المتوفي لأبي طلحة هو أبو عمير[8]

---

(١) بحثت عن الحديث في سنن ابن ماجة فلم أجده، ووجدته في «المصنّف في الأحاديث والآثار»: ٤٣٧/٧، كتاب الفضائل، لابن أبي شيبة، باب ما أعطى الله محمداً ﷺ، رقم: ١٢٠ ـ دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٤ ـ ١٩٩٤.

(٢) عروة بن عياض بن أبي الجعد اليارقي، ويارق في الأزد، يقال: إنّ اليارق جبل نزله بعض الأزديين فنسبوا إليه. استعمل عمر بن الخطاب عروة على الكوفة قاضياً، وذلك قبل أن يستقضي شُريحاً، ويعد عروة من الكوفيين. روى عنه ابن أبي حازم، والشعبي وغيرهما.
● الاستيعاب: ١٠٦٥/٣ ـ ١٠٦٦، تر: ١٨٠٢.

(٣) في الأصل: البارقي.

(٤) في أبي داود: فكان لو اشترى، وفي الشفاء: فكان لو اشترى التراب ربح فيه.

(٥) في أبي داود وابن ماجة: اشترى تراباً يربح.

(٦) ● أ ـ سنن أبي داود: ٢٥٦/٣، رقم: ٣٣٨٤ـ كتاب البيوع ـ باب في المضارب يخالف.
● ب ـ صحيح الترمذي: ٥٥٩/٣، رقم: ١٢٥٨، كتاب البيوع، باب ٣٤.
● ج ـ سنن ابن ماجة: ٨٠٣/٢، رقم: ٢٤٠٢، كتاب الصدقات، باب الأمين يتجر فيه فيربح.

(٧) ● أ ـ صحيح البخاري: ١٠٤/٢ ـ ١٠٥، باب من يظهر حزنه عند المصيبة.
● ب ـ صحيح مسلم: ١٦٩٠/٣، رقم: ٢١٤٤، كتاب الآداب ـ باب استحباب تحنيك المولود.

(٨) أبو عمير بن أبي طلحة الأنصاري، واسم أبي طلحة: زيد بن سهل، وهو أخو أنس بن مالك لأمه، مات أبو عمير على عهد رسول الله ﷺ وهو فطيم.
● الاستيعاب: ١٧٢١/٤ ـ ١٧٢٢، تر: ٣١٠٨.

الذي قال له النّبيّ ﷺ: «**يا أبا عمير ما فعل النُغيّر**[1]».

وروى البخاري والنسّائي عن جرير رضي الله عنه قال: كنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنّبيّ ﷺ، فضرب بيده على صدري، حتّى رأيت أثر يده على صدري وقال: «**اللّهم ثبّته واجعله هادياً مهدياً**»[2]. قال: فما وقعت على فرس بعدُ[3].



(١) في (ر): النقير. والنغير: تصغير النغر، هو طائر صغير جمعه نغران.

● أ ـ صحيح البخاري: ٣٧/٨، باب الانبساط إلى الناس.

● ب ـ صحيح مسلم: ١٦٩٢/٣ ـ ١٦٩٣، رقم: ٢١٥٠. كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه...

(٢) في (د): جابر.

(٣) ● أ ـ صحيح البخاري: ٢٩/٨، باب التّسبم والضّحك.

● ب ـ سنن النّسائي، عدت إلى سنن النّسائي الصغرى فلم أجد الحديث، ولعله موجود في السنن الكبرى الذي لم أتمكن من الحصول عليه. والحديث أورده أبو نعيم في دلائل النبوّة: ٤٥٤/٢، رقم: ٣٧٩. كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: ١٩٢٥/٤، رقم: ١٣٥، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل جرير، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: ٣٦٥/٤.

باب في كراماته وعظيم بركاته، وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره ﷺ

فمن ذلك أنُه ﷺ نخس جمل جابر ـ وكان قد أعيا، فنشط حتّى ما كان يملك زمامه[1].

وفي البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: غزوت مع رسول الله ﷺ فتلاحق بي رسول الله ﷺ وأنا على ناضح لنا قد أعيا، فلا يكاد يسير، فقال لي: ما لبعيرك؟ قلت: قد أعيا. قال: فتخلّف رسول الله ﷺ فزجره، ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قدّامها يسير. فقال لي: كيف ترى بعيرك؟ قال: قلتُ: بخير، قد أصابته بركتك ـ الحديث ـ[2].

وفي رواية مسلم: فنخسه فوثب، فكنت بعد ذلك أحبس خطامه لأسمع حديثه ﷺ، فما أقدر الحديث[3].

وصنع مثل ذلك بفرس لجعيْل[4] الأشجعي؛ خفقها ﷺ بمخفقة معه، وبرّك عليها، فلم يملك رأسها نشاطاً، وباع من بطنها باثنيْ عشر ألفاً[5].

---

(١) الشفاء: ٤٦٢/١.

(٢) صحيح البخاري: أورد الحديث في عدة مواضع، مع اختلاف في بعض الألفاظ، وزيادة ونقص.
- أ ـ ١٥٧/٣، باب الشفاعة في وضع الدين.
- ب ـ ٨١/٣، باب شراء الدّواب والحمير.
- ج ـ ٢٤٨/٣، باب إذا اشترط البائع ظهر الداية إلى مكان مسمّى جاز.

(٣) صحيح مسلم: ١٢٢٣/٣، رقم: ٧١٥. كتاب المساقاة، باب بيع البعير واستثناء ركوبه.

(٤) جُعيْل: جعيل ـ بالتصغير ـ بن زياد الأشجعي الكوفي ـ وقيل: جعيل بن ضميرة. روى عنه عبدالله بن أبي الجعد حديثاً حسناً في أعلام النبوة.
- أ ـ الاستيعاب: ٢٤٦/١، تر: ٣٣٠.
- ب ـ الإصابة ٢٣٩/١، تر: ١١٧١.

(٥) الشفاء: ٤٦٣/١.

قلت: والحديث مخرّج في النسائي[(١)].

قال أبو الفضل: حدّثنا القاضي أبو[(٢)] علي عن شيخه أبي القاسم بن المأمون قال: كانت عندنا قصعة من قصاع النبيّ ﷺ، فكنا نجعل فيها الماء للمرضى، فيستشفون بها[(٣)].

وبصق[(٤)] ﷺ في بير في دار أنس، فلم يكن في المدينة بئر أعذب منها.

ومرّ على ماء، فسأل عنه، فقيل له: اسمه بَيْسان، وماؤه ملح، فقال: بل هو نُعمان وماؤه طيب. فطاب[(٥)].

وكان لأم مالك عكة[(٦)] تهدي فيها للنبيّ ﷺ سمناً؛ فأمرها[(٧)] أن لا تعتصرها ثم دفعها إليها، فإذا هي[(٨)] مملوءة[(٩)]؛ فيأتيها بنوها يسألونها الأُدم،

---

(١) سنن النّسائي: ٣٤٣/٧، رقم: ٤٦٥٢. كتاب البيوع. البيع يكون فيه الشرط فيصحَ البيع والشرط.

(٢) القاضي أبو علي: حسين بن محمد بن فيرة بن حيّون المعروف بابن سكرة الصدفي، من أهل سرقسطة، رحل إلى المشرق ما بين سنتي ٤٨١ ـ ٤٩٠، كان إماماً زاهداً، محدثاً، كثير الرواية، لم يكن بشرق الأندلس في وقته مثله في تقييد الحديث وضبطه، والعلو في روايته. توفي شهيداً عام أربعة عشر وخمسمائة [٥١٤].

● أ ـ بغية الملتمس، ص: ٢٦٩، تر: ٦٥٥، لأحمد بن يحيىٰ الضبي [٥٩٩] دار الكاتب العربي ١٩٦٧.

● ب ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٩٠/٢ ـ ٩٣ رقم: ٤٨، لأبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني [ت: ١٠٤١]، تح: الدكتور إحسان عبّاس، دار صادر ـ بيروت، لبنان، ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨.

(٣) الشفاء: ٤٦٣/١.

(٤) في الشفاء: بزق في بئر كانت دار أنس، فلم يكن بالمدينة أعذب منها.

(٥) الشفاء: ٤٦٤/١.

(٦) العكة ـ بفتح العين وكسرها ـ: وعاء من جلد يوضع فيه السّمن غالباً.

(٧) في الشفاء: فأمرها النبيّ ﷺ أن لا تعصرها.

(٨) في الأصل: فإذا هو.

(٩) في الشفاء: مملوءة سمناً.

وليس عندهم شيء[1] فتعمد إليها، فتجد فيها سمناً؛ تقيم أُدمها حتّى عصرتها.

وكان ﷺ يتفُل[2] في أفواه الصّبيان[3] فيجزيهم ريقه إلى الليل.

ومن ذلك بركة يده ﷺ[4] فيما لمسه وغرسه لسلمان[5] حين كاتبه مواليه حسبما قدمناه في[6] كتاب البزار أنّ النخل أطعم من عامه إلاّ واحدة[7]، كان غرسها غيره فقلعها ﷺ وغرسها[8] فأطلعت من عامها[9].

وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها ﷺ[10] على لسانه، فوزنه منها لمواليه أربعين أوقية، وبقي عنده مثلها[11]. هكذا نقله أبو الفضل[12].

وقد قدمنا هذا المعنى في باب إسلام سلمان رضي الله عنه.

---

(١) في الأصل: وليس عندهم شيئاً.

(٢) في الأصل: يثفل. التفل: شبيه بالبزق، وهو أقل منه، أوله البزق ثم التفل ثم النفث ثم النفخ وتفل من باب نصر وضرب. مختار الصحاح، مادة: تفل.

(٣) في الشفاء: الصبيان المراضع.

(٤) في الشفاء: بدون تصلية.

(٥) في الشفاء: ولسلمان رضي الله عنه.

(٦) في الشفاء: وفي كتاب البزار وفي (د) و(ر): ففي كتاب البزار.

(٧) في الشفاء: إلا الواحدة، فقلعها رسول الله ﷺ وغرسها فأطعمت من عامها.

(٨) في (د): فغرسها.

(٩) كشف الأستار عن زوائد البزّار على الكتب الستة، ٢٦٨/٣ ـ ٢٦٩، تر: ٢٧٢٦، للحافظ نورالدين الهيثمي تح: حبيب الرحمٰن الأعظمي مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤.

(١٠) في الشفاء: بدون تصلية.

(١١) في الشفاء: وبقي عنده مثل ما أعطاهم.

(١٢) الشفاء: ٤٦٤/١ ـ ٤٦٥.

وذكر أبو نعيم في حليته، عن عميرة بنت مسعود[1] رضي الله عنها: أنّها دخلت هي وأخواتها وهن خمس على رسول الله ﷺ فبايعنه، ووجدنه وهو يأكل[2] قديداً فمضغ لهنّ قديدة ثم ناولهنّ إياها، فأقتسمنها، فمضغت كلّ واحدة منهن قطعة.

قال: فلقين الله ما وجدن في أفواههنّ خلوفاً، ولا اشتكين من أفواههنّ شيئاً[3].

قال أبو الفضل رحمه الله: وفي حديث حنش بن عقيل[4]: سقاني رسول الله ﷺ شربة من سويق، شرب أولها، وشربت آخرها، فما برحت أجد شبعها إذا جعت، وريّها إذا عطشت، وبردها إذا ظمئت.

١٠٦/ظ وأعطى قتادة بن النعمان، وصلّى معه العشاء في ليلة مظلمة/ مطيرة، عرجونا وقال: **«انطلق به؛ فإنّه سيُضيء ذلك من بين يدك عشراً ومن خلفك عشراً؛ فإذا دخلت بيتك فسترى سواداً فاضربه حتّى يخرج، فإنّه الشيطان»**. فانطلق فأضاء له العرجون حتّى دخل بيته، ووجد السواد، فضربه حتّى خرج[5].

قلت: ومن بركته ﷺ في هذا الباب، ما رواه البخاري في صحيحه في شأن أُسيد بن حضير[6] ....

(١) عميرة بنت مسعود الأنصارية، ذكرها أبو نعيم، وأبو موسى من طريقه، ثم من طريق أبي عروبة الحرّاني، وأورد الحديث الذي ذكر الثعالبي بنصه.
● الإصابة: ٤/٣٧٠، تر: ٧٩١.

(٢) في الحلية: ووجدنه يأكل قديداً.

(٣) حلية الأولياء: ٢/٧٠، تر: ١٥١.

(٤) حنش بن عقيل أحد بني نفيلة بن مليك أخي غفار.
● الإصابة: ١/٣٥٨، تر: ١٨٥٢.

(٥) الشفاء: ١/٤٦٦.

(٦) أبو عيسى أسيد بن حضير بن سمّاك بن عتيك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، ممّن=

وعباد[1] بن بشر[2] رضي الله عنهما خرجا من عند النّبيّ ﷺ في ليلة مظلمة، فإذا نور بين أيديهما حتّى تفرّقا، فتفرق النور معهما[3].

قال أبو الفضل عياض: ومنها دفعه لعكاشة[4] جزْل[5] حطب، وقال: **«اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر»**، فعاد في يده سيفاً صارماً طويل القامة، أبيض، شديد المتن، فقاتل به، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الرّدة، وكان هذا السيف يُسمى «العون»[6].

= شهد العقبة الثانية، أول مشاهده أحد والمشاهد بعدها، كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وحديثه في استماع الملائكة قراءته حين نفرت فرسه صحيح. توفي في شعبان سنة عشرين، وحمله عمر بن الخطاب من بني الأشهل حتّى وضعه بالبقيع. رضي الله عنه.

● الاستيعاب: **١/٩٢ ـ ٩٤، تر: ٥٤.**

(١) أبو بشر عبّاد بن بشر بن وقش بن عبدالأشهل الأنصاري، أسلم على يد مصعب بن عمير بالمدينة. وشهد بدراً، وأحداً، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وكان من فضلاء الصحابة، وروى أنس بن مالك أنّ عصاه كانت تضيء له، إذ كان يخرج من عند النبيّ ﷺ إلى بيته ليلاً، وكان شاعراً. قتل شهيداً يوم اليمامة، وهو ابن خمس وأربعين سنة، وذلك في سنة اثنتي عشر رضي الله عنه.

● الاستيعاب: **٢/٨٠١ ـ ٨٠٤، تر: ١٣٥٤.**

(٢) في (ر): عباد بن بشير.

(٣) في (د): بينهما.

● صحيح البخاري: **٥/٤٤**، باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما.

(٤) أبو محصن عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي، من فضلاء الصحابة، شهد بدراً وأبلى فيها بلاءً حسناً، كما شهد الخندق، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ. روى عن النبيّ ﷺ قوله: **«يدخل الجنّة من أمّتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم»**. اللهم اجعلنا منهم. توفي عكاشة في خلافة أبي بكر شهيداً في الرّدة، قتله خويلد الأسدي، وذلك في عام اثني عشر.

● الاستيعاب: **٣/١٠٨٠ ـ ١٠٨١، تر: ١٨٣٧.**

(٥) في الشفاء: جذْل حطب. والجدل: عود غليظ، أو أصل من أصول الشجر.

(٦) الشفاء: **١/١٦٦.**

ودفع لعبد[1]الله بن جحش يوم أحد[2] عسيب نخل؛ فرجع في يده سيفاً.

ومنه بركته في درور الشياه الحوافل[3] باللبن الكثير، كقصة شاة أمّ معبد، وأعنُز معاوية بن ثور[4]، وشاة أنس، وغنم حليمة[5] مرضعته وشارفها[6]، وشاة عبدالله بن مسعود؛ وكان لم ينز عليها فحل؛ وشاة المقداد.

ومن ذلك تزويده أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكأه، ودعا فيه، فلما حضرتهم[7] الصلاة نزلوا فحلّوه، فإذا فيه[8] لبن طيب وزبدة في فمه. رواه حماد بن سلمة[9].

ومسح وجه قتادة بن ملحان[10] فكان لوجهه بريق حتّى كان يُنظر في

---

(١) في الشفاء: ودفعه لعبدالله...

(٢) في الشفاء: وقد ذهب سيفه ـ عسيب نخلٍ...

(٣) في الشفاء: الحوائل.

(٤) معاوية بن ثور بن عبادة، وفد على النبيّ ﷺ وهو شيخ كبير، ومعه ابن له يقال له: بشر، فقال معاوية للنّبيّ ﷺ: يا نبيّ الله، بأبي أنت وأمّي! امسح وجه ابني، فمسح رسول الله ﷺ وجه الابن، وأعطاه أعنزاً سبعاً عفراً، وبرّك عليه.
● الاستيعاب: ٣/١٤١٣، تر: ٢٤٣٠.

(٥) حليمة السعدية: أمّ النبيّ ﷺ من الرضاع حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وأبو ذؤيب هو عبدالله بن الحارث، جاءت يوم حنين إلى رسول الله ﷺ، فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه، روت عن النّبيّ ﷺ. وروى عنها عبدالله بن جعفر.
● الاستيعاب: ٤/١٨١٢ ـ ١٨١٣، تر: ٣٣٠٠.

(٦) الشارف من الدواب: المسنّ، ومن الأشياء: القديم العتيق.

(٧) في النسخ المعتمدة من الأنوار: فلما حضرتهما الصلاة، نزلا فحلاه...

(٨) في الشفاء: فإذا به لبن طيب وزبدة في فمه، من رواية حمّاد بن سلمة.

(٩) الشفاء: ١/٤٦٦ ـ ٤٦٧.

(١٠) قتادة بن ملحان القيسي، له صحبة، روى عنه ابنه عبدالملك بن قتادة، يعد قتادة من البصريين.
● الاستيعاب: ٣/١٢٧٤، تر: ٢١٠٦.

وجهه كما ينظر في المرآة[1].

وأخذ قبضة من تراب يوم حنين، ورمى بها في وجوه الكفّار، وقال: شاهت الوجوه، فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم.

وشكا إليه أبو هريرة[2] النّسيان، فأمره ببسط ثوبه، وغرف بيده فيه؛ ثم أمره بضمّه[3] إليه ففعل؛ فما نسي شيئاً بعد.

قال أبو الفضل: وما يُروى عنه في هذا كثير.

وضرب صدر جرير بن عبدالله ودعا له؛ وكان ذكر[4] أنُّه لا يثبت على الخيل فصار من أفراس العرب وأثبتهم[5].



(١) الشفاء: ٤٦٨/١.

(٢) في الشفاء: أبو هريرة رضي الله عنه...

(٣) في الشفاء: ثم أمره بضمه ففعل.

(٤) في الشفاء: وكان ذكر له أنه لا يثبت.

(٥) الشفاء: ٤٦٩/١ ـ ٤٧٠.

باب في ذكر بعض ما اطلع عليه ﷺ من الغيوب ممّا كان أو[1] ما يكون

قال أبو الفضل عياض رحمه الله تعالى: وقد خرّج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم أصحابه ﷺ ممّا وعدهم به من الظهور على أعدائه، وفتح مكة، وبيت المقدس، واليمن، والشام، والعراق، وظهور الأمن حتّى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة، لا تخاف إلا الله، وأنّ المدينة ستُغزى، وتفتح خيبر على يدي عليّ في غد يومه، وما يفتح الله على أمتّه من الدنيا، ويؤتون من زهرتها، وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر، وما يحدث بينهم من الفتن[2]، والاختلاف، والأهواء، وسلك[3] سبيل من قبلهم، وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة، وأنّها ستكون لهم أنماط[4]، ويغدو واحدهُم[5] في حُلّة ويروح في أخرى، وتوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى، ويسترون بيوتهم كما تُستر الكعبة. ثم قال آخر الحديث: «**وأنتم اليوم خيرٌ منكم يومئذٍ، وأنّهم إذا مشوا المطيطاء[6] وخدمتهم بنات فارس والرُّوم ردّ الله بأسهم بينهم، وسلّط شرارهم على خيارهم، وقتالهم التُّرك[7]، والخزر[8]، والرّوم[9]، وذكر أنّ الرّوم ذات قرون إلى آخر الدهر، وذهاب[10] الأمثل**

(١) في (د): ممّا كان وما يكون.
(٢) في الشفاء: من الفتون.
(٣) في الشفاء: وسُلوك.
(٤) أنماط: جمع نمط، وهو البساط.
(٥) في الشفاء: أحدهم.
(٦) المطيطاء: مشية فيها مدّ اليدين، والمراد به التّبختُر.
(٧) في الشفاء: الفرس.
(٨) الخزر: ـ بالتحريك ـ بلاد الترك.
● مراصد الاطلاع: ٤٦٥/١.
(٩) في الشفاء: وذهاب كسرى وفارس حتّى لا كسرى ولا فارس بعده، وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده.
(١٠) في الشفاء: وبذهاب.

فالأمثل من النّاس، وتقارب الزّمان، وقبض العلم، وظهور الفتن والهرج»[١].

وقال: «**ويل للعرب من شرّ قد اقترب، وأنه زُوِيت**[٢] **له الأرض فأُرِي مشارق**[٣] **الأرض ومغاربها، وسيبلغ ملك أمّته ما زوي له منها، فكان كذلك**[٤]، **[وأخبر بذهاب كسرى وفارس حتّى لا كسرى ولا فارس، وقيصر حتّى لا قيصر بعده. فكان الأمر كما أخبر ﷺ. وقد امتدّ ملك أمته]**[٥] **في المشارق والمغارب ما بين**[٦] **أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه ـ وذلك ما لم تملكه أمّة من الأمم، ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك»**[٧].

وأُخبر بملك بني أمية، وولاية معاوية[٨]، ووصّاه، وخروج ولد/ لعبّاس بالرايات السّود. وقال: يُقتل عثمان، وهو يقرأ المصحف، وأنّه سيقطر دمه على قوله سبحانه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾][٩] وأخبر بقتل عليّ وقال له: «**إنّ أشقاها الذي يخضب هذه من هذه**» أي لحيته من رأسه... وأنّ الفتن لا تظهر ما دام عمر حيّاً، وأنّ عمّاراً[١٠] تقتله الفئة

١٠٧/و

---

١) الهرج: القتل. أو اختلاط الناس بعضهم ببعض.
٢) زُويت: جُمعت وضم بعضها إلى بعض حتّى يطّلع على جميعها.
٣) في الشفاء: مشارقها ومغاربها.
٤) في الشفاء: وكذلك كان؟
٥) في الشفاء: ما بين الحاصرتين ساقط.
٦) في الشفاء: ممّا بين.
٧) الشفاء: ٤٧٢/١ ـ ٤٧٤.
٨) معاوية: أبو عبدالرحمٰن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، وأمّه هند بنت عتبة بن ربيعة، كان هو وأبوه وأخوه يزيد بن مسلمة الفتح. كان أبيض طويلاً، ذُمّ يوماً عند عمر فقال: دعونا من ذمّ فتى قريش من يضحك في الغضب، توفي في رجب سنة ستين وعمره سبع وسبعون سنة.
- أ ـ الاستيعاب: ٤١٦/٣ ـ ٤٢٢، تر: ٢٤٣٥.
- ب ـ سير أعلام النّبلاء: ١١٩/٣، تر: ٢٥.

٩) في الأصل، و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط. البقرة: ١٣٧.
١٠) أبو اليقظان عمّار بن ياسر بن مالك العنسي، كان ممّن هاجر إلى الحبشة، وصلّى إلى القبلتين، ثم شهد بدراً، والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، ثم شهد اليمامة، وفيها=

الباغية وقال[1] لقزمان[2] وقد أبلى: «**إنّه من أهل النار بقتل نفسه**».

وقال: في جماعة فيهم أبو هريرة، وسُمرة بن جندب، وحذيفة: «**آخركم موتاً في النار**». فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتاً؛ هرم وخرف، فاصطلى بالنار فاحترق فيها.

وقال في حنظلة[3]: الغسيل سلوا زوجه عنه[4]، فإنّي رأيت الملائكة تغسّله؛ فسألوها فقالت: إنّه خرج جنباً، وأعجله الحال عن الغسل.

قال أبو سعيد[5]: فوجدنا رأسه يقطر ماء...

وأخبر أنّ فاطمة رضي الله عنها أول أهله لحوقاً به، وأنذر بالرّدة، وأنّ الخلافة بعده ثلاثون[6]، ثم تكون ملكاً، فكانت ذلك بمدة الحسن بن علي[7]

= قُطعت أُذنه. قُتل شهيداً في صفين مع عليّ كرّم الله وجهه سنة سبع وثلاثين، وعمره يزيد على تسعين سنة.

● الاستيعاب: ١١٣٥/٣ ـ ١١٤١، تر: ١٨٦٣.

(١) في الشفاء: وقال في قزمان. وقد أبلى مع المسلمين: إنّه من أهل النار؛ فقتل نفسه.

(٢) أبو الغذيق قزمان بن الحرث حليف بني ظفر، كان شجاعاً، قتل يوم أحد ستة أو سبعة من المشركين حتّى أصابته الجراحة، فقيل له: هنيئاً لك بالجنة، فقال: جنة من حرمل، والله ما قاتلنا إلاّ على ألاّ حساب، فقتل نفسه سنة ثلاث للهجرة.

● الإصابة: ٢٣٥/٣، تر: ٧١٠٨.

(٣) حنظلة بن أبي عامر الراهب الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف، واسم أبيه عمرو بن صيفي، خرج من المدينة إلى مكة، ثم لحق بهرقل هارباً، فمات كافراً. وأما ابنه حنظلة فآمن واستشهد يوم أحد، قتله أبو سفيان بن حرب، وقال: حنظلة بحنظلة، يشير إلى ابنه حنظلة المقتول ببدر كافراً... وعُرف الشهيد حنظلة بالغسيل. لأنّه قد ألمّ بأهله ثم أعجله الخروج فاستشهد وهو جنب، فأخبر رسول الله ﷺ بأن الملائكة غسلته.

● الاستيعاب: ٣٨٠/١ ـ ٣٨٢، تر: ٥٤٩.

(٤) في الشفاء: سلوا زوجته عنه.

(٥) هو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه. وقد تقدمت ترجمته.

(٦) في الشفاء: ثلاثون سنة.

(٧) أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب حفيد الرسول ﷺ، وُلد في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وتوفي بالمدينة المنوّرة سنة تسع وأربعين. ودُفن بالبقيع، ولا خلاف بين العلماء بأن الحسن قد سلّم الخلافة لمعاوية حياته لا غير، ؛

رضي الله عنه، وأخبر بشأن أويس القرني[1]. وقال: «**يوشك أنّ يكثر فيكم العجم، يأكلون فيئكم، ويضربون رقابكم**».

وقال: «**إنّ هذا الأمر [بدأ]**[2] **نبوة ورحمة، ثم [يكون]**[1] **رحمة وخلافة ثم يكون ملكاً عضوضاً**[3]**، ثم يكون عتوّاً وجبروتاً وفساداً في الأرض**»[4].

وأخبر بظهور القدرية[5]، والرافضة[6]، وسبّ آخر هذه الأمة أوّلها، وقلة الأنصار، حتّى يكونوا كالملح في الطعام، فلم يزل أمرهم يتبدّد حتّى لم تبق لهم جماعة.

وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم، والمُخَدج[7] الذي فيهم، وأنّ قريشاً والأحزاب لا يغزونه أبداً. وأنّه هو ﷺ يغزوهم. قال: «**هذا الكلام في غزوة الأحزاب**» فكان كذلك. وقال لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد.

= تكون له من بعده [خطب أمام معاوية بديهة فقال: «أمّا بعد، أيّها الناس، فإنّ الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإنّ لهذا الأمر مدّة، والدنيا دُوَلٌ، وإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾»] [الأنبياء: ١٠٩ ـ ١١١].

● الاستيعاب: ٣٨٣/١ ـ ٣٩٢، تر: ٥٥٥.

١) أويس القرني: أبو عمرو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني المرادي اليماني، القدوة الزاهد، خير التابعين، وسيّدهم، بشهادة النبيّ ﷺ له. أدرك زمن الرسالة ولم ير الرسول ﷺ لاشتغاله ببر أمّه. وفد على عمر وروى عنه وعن علي، توفي سنة خمس وثمانين للهجرة رضي الله تعالى عنه.

● أ ـ سير أعلام النبلاء: ١٩/٤ ـ ٣٣، تر: ٥.

● ب ـ حلية الأولياء: ٧٩/٢، تر: ١٦٢.

٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

٣) عضوضاً: سلطنة خالية من الرحمة والشفقة على الرعية. فكأنهم يعضون بالنواجذ فيه حرصاً على الملك ويعضّ بعضهم بعضاً بسبب الحكم والسلطة.

٤) في الشفاء: وفساداً في الأمّة.

٥) القدرية: فرقة سُمّيت بذلك لإثباتهم للعبد قدرة.

٦) الرافضة: التّاركون لحبّ جلّ الصحابة.

٧) الخدج: الناقص، ومخدج اليد: ناقص اليد.

قال أبو هريرة: فذهب القوم يعني ماتوا، وبقيت أنا ورجل، فقُتل مرتداً يوم اليمامة.

وأعلم بالذي غلّ خرزاً[1] من خِرز اليهود، فوجدت في رحله. وبالذي غلّ الشّملة[2]، وحيث هي، وناقته حيث ضلّت، وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها[3].

وبشأن كتاب حاطب[4] إلى أهل مكة، وبقصة عمير بن وهب[5] مع صفوان حين سارّه وشارطه على قتل النبيّ ﷺ، فلما جاء عمير قاصد لقتله، وأطلعه رسول الله ﷺ على السّر والأمر أسلم. وحسُن إسلامه.

وأخبر بالمال الذي ترك عمّه العباس عند أمّ الفضل[6] بعد أن كتمه.

---

(١) غلّ خرزاً: غلّ من الغلول أي السرقة خفية، وأغل الرجل: خان في المغنم وغيره والخرز واحدها الخرزة التي تنظم في سلك ليتزيّن بها.

(٢) الشّملة: كساء صغير يشتمل به الإنسان.

(٣) الخطام: الزمام.

(٤) أبو عبدالله حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، حليف قريش، شهد حاطب بدراً والحديبية، وشهد الله له بالإيمان في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ وكان حاطب كتب إلى أهل مكة يخبرهم بأن النبيّ ﷺ يريد غزوهم. فنزل جبريل بذلك على رسول الله ﷺ، فبعث في طلب المرأة التي تحمل الكتاب، فاعتذ حاطب، وفي سنة ستّ بعثه رسول الله ﷺ إلى المقوقس، فأتاه بهدية من عنده، كم بعثه أبو بكر إليه فصالحه، حتّى دخل عمرو بن العاص مصر فاتحاً سنة عشرين في خلافة عمر. توفي حاطب سنة ثلاثين بالمدينة وعمره خمس وستون سنة.

● الاستيعاب: ٣١٢/١ ـ ٣١٥، تر: ٤٥٧.

(٥) أبو أمية عمير بن وهب بن خلف الجمحي، من أبطال قريش، وشيطاناً من شياطينها قدم المدينة ليقتل الرسول ﷺ، باتّفاق مع صفوان بن أمية، فأخبره الرسول ﷺ بم جرى بينه وبين صفوان بمكة، فأسلم، وشهد شهادة الحق، وشهد أحداً، وفتح مكة وعاش إلى صدر خلافة عثمان.

● الاستيعاب: ١٢٢١/٣ ـ ١٢٢٣، ١٩٩٧.

(٦) أمّ الفضل: لبابة بنت الحارث الهلالية، أخت ميمونة زوج النبيّ ﷺ، ويقال: إنّها أوّل امرأة أسلمت بعد خديجة، فكان رسول الله ﷺ يزورها، ويقيل عندها، ولدت أمّ الفضل لزوجها العبّاس بن عبدالمطلب ستّة رجال لم تلد امرأة مثلهم وهم الفضل، وعبدالله، وعبيدالله، ومعبد، وهيثم، وعبدالرحمٰن، وأم حبيبة.

● الاستيعاب: ١٩٠٧/٤ ـ ١٩٠٩، تر: ٤٠٨٠.

فقال: ما علمه غيري وغيرها، فأسلم[١].

قلت: وقد ذكر ابن القطان هذا الحديث بكماله فقال: رُوِيَ عن عبدالله بن الزبير[٢] رضي الله عنهما أن الذي أسر العباس يوم بدر أبو اليسر[٣] كعب بن عمرو[٤]، أحد بني سلمة، فقال له رسول الله ﷺ: **«كيف أسرته يا أبا اليسر؟»** فقال: أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ولا بعد. هيئته كذا. فقال رسول الله ﷺ: **«لقد أعانك عليه ملك كريم»**، قال: وبات رسول الله ﷺ ساهراً، فقالوا: يا رسول الله لقد بتّ الليلة ساهراً. قال: **«سمعت حسّ العباس في وثاقه»**. قال: فأطلق من وثاقه، فنام رسول الله ﷺ. ثم قال رسول الله ﷺ للعبّاس: **«أفْد نفسك وابني أخيك عقيلاً، ونوفلاً[٥]، وحليفك عقبة بن عمرو[٦] فإنّك ذو مال»**. فقال: يا

---

(١) الشفاء: ٤٧٥/١ ـ ٤٨٣، بتصرف واختصار.

(٢) أبو بكر عبدالله بن الزبير بن العوّام القرشي الأسدي، هاجرت أمّه أسماء بنت أبي بكر مكة وهي حامل به، فولدته بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة. وهو أوّل مولود في الإسلام من المهاجرين بالمدينة، كان فصيحاً، أطلس: ـ أسود كالحبشي ـ لا لحية له ولا شعر، بُويع له بالخلافة سنة أربع وستين، وقُتل شهيداً سنة ثلاث وسبعين وهو ابن اثنين وسبعين عاماً.
- الاستيعاب: ٩٠٥/٣ ـ ٩١٠، تر: ١٥٣٥.

(٣) أبو اليسر: كعب بن عمرو بن عبّاد الأنصاري السَلمي، شهد العقبة، وبدراً، كان قصيراً، أسر العباس الطويل الضخم الجميل يوم بدر، كما انتزع راية المشركين من يد عزيز بن عمير يوم بدر، شهد صفين مع علي، وتوفي سنة خمس وخمسين.
- الاستيعاب: ١٧٧٦/٤، تر: ٣٢٢١.

(٤) في الأصل: عمر، وفي (د): عمير، والتصحيح من (د)، وكتب السير والتراجم.

(٥) أبو الحارث نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي أسر يوم بدر، وفداه العباس ثم أسلم وهاجر، وشهد فتح مكة، وحنيناً، والطائف. تُوفي بالمدينة سنة خمس عشرة في خلافة عمر. ودفن بالبقيع، وصلّى عليه الخليفة عمر.
- الاستيعاب: ١٥١٢/٤ ـ ١٥١٣، تر: ٢٦٤٢.

(٦) أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري. يعرف بأبي مسعود البدري، لأنه يسكن بدراً، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، تُوفي سنة اثنتين وأربعين، رضي الله تعالى عنه. يُفهم مما ذكر الثعالبي أنّه أسر يوم بدر، ولا نعلم أنّ أحداً من غير المكيّين شهد بدراً وأسر.
- أ ـ الاستيعاب: ١٠٧٤/٣ ـ ١٠٧٥، تر: ١٨٢٧.
- ب ـ الإصابة: ٤٩٠/٢، تر: ٥٦٠٦.

رسول الله إنّي كنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني. فقال: **«الله أعلـ بإسلامك، إن يك ما تذكر حقاً فالله يجزيك بذلك. فأمّا ظاهر أمرك فقا كان علينا، فأفد نفسك»** وقد كان رسول الله ﷺ أخذ منه عشرين أوقية مر ذهب. فقال يا رسول الله أحسبها من فدائي فقال: **«لا. ذلك شي أعطاناه الله منك»** قال: فإنّه ليس لي مال. قال: **«فأين المال الذي وضعت عند أمّ الفضل، وقلت لها: هذا لكِ ولبنيك إن حدث فيّ حدث، فإنّي لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا؟»**

١٠٨/ظ وكان العباس رضي الله عنه قد ترك لها مالاً جسيماً/ فقال: يا ابر أخي من أخبرك؟ قال: **«الله عزّ وجلّ»**. قال: أنا أشهد أنّك صادق، وأنّي قد تركت عندها ما لم يطلع عليه بشر. ولقد علمت أنّه لم يطلعك عليها إلا عالم السّرائر، فأنا أشهد أنّك عبدالله ورسوله، وأن لا إلٰه غيره، وكفرت بما سواه، وأمر ابني أخيه فأسلما.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه.

قال أبو الفضل ـ رحمه الله ـ: وأخبر ﷺ بأنّه سيقتل أبيّ بر خلف[١]، فقتله يوم أحد، وبأنّ عتبة[٢] بن أبي لهب يأكله كلب الله، فكاد

---

(١) أُبي بن خلف بن وهب من بني لؤي، أحد جبابرة قريش أدرك الإسلام، وكان مر المستهزئين بالرسول ﷺ قبل الهجرة، وفي غزوة أحد هجم على الرسول ﷺ وهو يقول: يا محمد لا نجوتُ إن نجوتَ، فعطف عليه النبيّ ﷺ فطعنه بحربة في عنق فكانت القاضية عليه، إذ مات ببطن رابغ، متأثراً بتلك الضربة.
- أ ـ دلائل النبوّة للبيهقي: ٢٥٨/٣.
- ب ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ١٥٧/٢.

(٢) عتبة بن أبي لهب: أسلم عتبة وأخوه يوم الفتح، وشهد مع الرسول ﷺ حنيناً والطائف، ولم يخرجا من مكة، وكان عتبة زوجاً لرقية، وأخوه عتيبة زوجاً لأ كلثوم، بنتي الرسول ﷺ، وقال لهما أبوهما أبو لهب: رأسي ورؤوسكما حرام إن لـ تُطلقا ابنتي محمد ﷺ، ففعلاه.
- أ ـ الاستيعاب: ١٠٣٠/٣، تر: ١٧٦٦.
- ب ـ الإصابة: ٤٥٥/٢ ـ ٤٥٦، تر: ٥٤١٣.

كما قال، فأكله الأسد من بين أصحابه[1].

وأخبر عن مصارع أهل بدر فكان كما قال.

وقال في الحسن: «**إنّ ابني هذا سيّد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين**». وأخبر بقتل أهل مؤتة[2] يوم قتلوا، وبينهم وبينه مسيرة شهر أو أزيد. وبموت النّجاشي يوم مات، وهو بأرضه. فكان كذلك جاء الخبر بموته في الوقت الذي عيّنه ﷺ. وأخبر فيروز[3] بموت كسرى[4]، وقد تقدّم استيعاب ذلك. وأخبر أبا ذر بعيشه وحده، وموته وحده. وأخبر بقتل الحسين[5] بالطّف[6] وأخرج بيده تربة وقال: «**فيها مضجعه**».

وقال في زيد بن صوحان[7] يسبقه عضو منه إلى الجنّة فقطعت يده

---

(١) ذكر البيهقي أن الذي أكله الأسد هو لهب بن أبي لهب، وكان يسُبّ النبيّ ﷺ ويدعو عليه، فقال النبيّ ﷺ: «**اللهم سلّط عليه كلبك**». وكان أبو لهب يبعث بولده مع غلمانه ووكلائه إلى الشام للتجارة ويقول: إنّ ابني أخاف عليه دعوة محمد، وكانوا إذا نزلوا المنزل ألزقوه إلى الحائط، وغطّوا عليه الثياب والمتاع، ففعلوا ذلك به زماناً، فجاء سبع فنشله فقتله، وعلّق البيهقي على هذا الخبر بقوله: وأهل المغازي يقولون: عتبة بن أبي لهب، وقال بعضهم: عتيبة. وما ذكره البيهقي أصحّ، لأنّ عتبة عاش إلى الفتح، وشهد غزوتي حنين والطائف، كما رأينا ذلك في ترجمته.
● دلائل النبوّة للبيهقي: **٢/٣٣٨**.

(٢) مؤتة: قرية من قرى البلقان في حدود الشام، فيها وقعت الغزوة المشهورة.
● مراصد الاطلاع: **٣/١٣٣٠**.

(٣) فيروز: رسول عامل كسرى إلى الرسول ﷺ بالمدينة المنوّرة. قال عياض: فلمّا حقّق فيروز القصة أسلم.

(٤) كسرى: لقب لكل من يتولّى الملك والسلطة بالفرس، مثل القيصر بالنسبة للروم.

(٥) أبو عبدالله الحسين بن علي، وُلد في الخامس من شعبان سنة أربع من الهجرة، وقتل شهيداً في العاشر من المحرم سنة إحدى وستين بكربلاء بالمكان المعروف «بالطف» بالقرب من الكوفة. ● الاستيعاب: **١/٣٩٢ ـ ٣٩٩، تر: ٥٥٦**.

(٦) في (د): «بطف» وفي (ر): بالظبية.

(٧) أبو سليمان زيد بن صوحان بن حجر العبدي، أصيبت يده يوم جلولاء، ثم قُتل شهيداً في يوم الجمل مع الإمام علي، كان فاضلاً ديّناً، سيّداً في قومه هو وإخوته.
● الاستيعاب: **٢/٥٥٥ ـ ٥٥٧، تر: ٨٥٢**.

في الجهاد. وقال لسُراقة[1]: «**كيف بك إذا لبست سُوارَيْ كسرى!**» فلما أُتي بهما إلى عمر ألبسهما إياه، وقال: «**الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة**». وقال لعمر في سهيل بن عمرو[2]: «**عسى أن يقوم مقاماً يسرّك يا عمر**». فكان كذلك. قام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت النّبي ﷺ خطب بنحو خطبته وقوّى بصائرهم. وقال لخالد[3] حين وجّهه لأُكَيْدر[4]: «**إنك تجده يصيد البقر**». فوُجدت هذه الأمور كلّها في حياته،

---

(١) أبو سفيان سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني، كان ينزل قديداً. روى عنه ابن عباس، وجابر، وسعيد بن المسيب، وابنه محمد. توفي سنة أربع وعشرين في صدر خلافة عثمان.
- **الاستيعاب: ٢/٥٨١ ـ ٥٨٢، تر: ٩١٦.**

(٢) أبو زيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري، كان أحد الأشراف في الجاهلية، أُسر يوم بدر، وكان خطيب قريش، فقال عمر: أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً أبداً، فقال ﷺ: «**دعه فعسى أن يقوم مقاماً محموداً**»، وهو الذي تولّى الصلح بالحديبية باسم قريش. أسلم سهيل يوم الفتح، ثم سكن المدينة. [ولما ماج أهل مكة يوم موت النبيّ ﷺ وارتدّ من ارتدّ من العرب، قام خطيباً، وحثّ الناس على البقاء على الإسلام، وقال: إنّه سيمتد امتداد الشمس في طلوعها إلى غروبها]. توفي بالشام بالطاعون عام ثمانية عشر.
- **الاستيعاب: ٢/٦٦٩ ـ ٦٧٢، تر: ١١٠٦.**

(٣) أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، كان أحد الأشراف في الجاهلية، أسلم في السنة الثامنة من الهجرة مع عمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة، وشهد فتح مكة، وحنيناً، وكان ممّن شهد مؤتة. وقال: اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما صبرت في يدي إلا صفيحة يمانية، أمّره أبو بكر على الجيوش، ففتح الله على يديه اليمامة، وغيرها، كما قتل على يديه أكثر أهل الردة منهم مسيلمة الكذاب، ومالك بن نويرة. توفي بحمص سنة إحدى وعشرين.
- **الاستيعاب: ٢/٤٢٧ ـ ٤٣١، تر: ٢٠٣.**

(٤) أكيدر من عبدالملك الكندي، ملك الجندل في الجاهلية، وجّه إليه النبيّ ﷺ خالد بن الوليد في جيش قوامه ٤٢٠ فارساً، وذلك في سنة تسع من الهجرة فلما قارب حصنه رآه في نفر من أصحابه فأسره، وقدم به المدينة وأقر بدفع الجزية، ولكنه نقض العهد بعد موت النبيّ ﷺ، فبعث أبو بكر خالداً إليه، فقتله وفتح دومة الجندل وذلك في عام اثني عشر.
- **أ ـ الاستيعاب: ٢/٤٢٨.**
- **ب ـ الأعلام: ١/٣٤٥.**

وبعد موته، كما قال ﷺ، إلى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم، وبواطنهم، واطّلع عليه من أسرار المنافقين، حتّى إنّ بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن أحد عنده يخبره لأخبرته حجارة البطحاء[1].

وأعلم بصفة السّحر الذي سحره به لبيد بن الأعصم[2]. وكونه في مشط ومشاقه في جفّ طلع[3] نخلة. ذكروا أنّه ألقي في بئر ذروان[4] فكان كما قال، ووجد على تلك الصفة. وإعلامه قريشاً بأكل الأرضة ما في الصحيفة التي تظاهروا بها على بني هاشم، وقطعوا بها أرحامهم، وأنها أبقت فيها كل اسم الله، فوجدوها كما قال ﷺ.

ووصفه لكفار قريش بيت المقدس، حين كذّبوه، في خبر الإسراء، ونعته إيّاهم نعت من عرفه، وإعلامهم بعيرهم التي مرّ عليها في طريقه، وإخبارهم بوقت وصولها؛ فكان كلّه كما قال ﷺ. إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعدُ.

وبحسب هذا الباب أن يكون ديواناً مفرداً وحده، وفيما أشرنا إليه من نُكتِ الأحاديث التي ذكرناها كفاية، وأكثرها في الصحيح، وعند الأئمة[5].

قال أبو الفضل عياض: والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره، وهذه المعجزات[6] من جملة معجزاته المعلومة على القطع

---

(١) البطحاء: أصل البطحاء المسيل الواسع فيه دقائق الحصى، فيطلق على المكان الذي يضاف إليه، كبطحاء مكة، وبطحاء ابن زهر قريب من المدينة، فيه مسجد النبيّ ﷺ.
- مراصد الاطلاع: ٢٠٣/١.

(٢) لبيد بن الأعصم: يهودي من بني زريق، كان يقول بخلق التوراة وعنه أخذ المعتزلة قولهم بخلق القرآن.
- أ ـ الكامل لابن الأثير: ٧٥/٧.
- ب ـ السيرة النبوية لابن هشام: ١٦٢/٢.

(٣) جفّ طلع: الجفّ: كل ما خلا جوفه، وجفّ طلع: وعاء الطلع الذي عليه كالغشاء.

(٤) بئر ذروان: في صحيح مسلم بئر ذي أروان، وهي بئر بالمدينة ليهود بني زريق.
- مراصد الاطلاع: ٥٨٥/٢.

(٥) الشفاء: ٤٨٣/١ ـ ٤٨٨، بتصرف واختصار.

(٦) في الشفاء: وهذه المعجزة.

الواصل إلينا خبرها على التواتر، لكثرة رواتها، واتّفاق معانيها على الاطلاع على الغيب[1].

قلت: وقد ذكر أبو الفضل هذه الآيات المعجزات على سبيل الاختصار، وسيأتي ذكر كثير منها على الكمال إن شاء الله تعالى.

روينا عن أبي داود بسنده إلى حذيفة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً[2]، فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدّثنا[3] به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء. وأنّه ليكون منه الشيء [فأعرفه][4] فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إنّه إذا رآه عرفه[5]. ثم قال حذيفة[6]: ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا؟ والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا، يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلاّ قد/ سمّاه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته[7]. ١٠٩/و

وقال أبو ذر رضي الله تعالى عنه: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرّك طائر جناحيه في السّماء إلاّ ذكرنا به[8] علماً.

ومن هذا الباب ما ذكره ابن إسحٰق أنّ الحارث بن أبي ضرار[9] والد

(١) الشفاء: ١/٤٧٠.

(٢) في سنن أبي داود: قائماً.

(٣) في سنن أبي داود: إلاّ حدّثه، حفظه...

(٤) في سنن أبي داود: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٥) سنن أبي داود: ٤/٩٤، رقم: ٤٢٤٠، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها.

(٦) في سنن أبي داود: ثم قال حذيفة بن اليمان: والله ما أدري...

(٧) سنن أبي داود: ٤/٩٥، رقم: ٤٢٤٣، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها.

(٨) في (د) و(ر): إلاّ ذكرنا منه علماً.

(٩) أبو مالك الحارث بن أبي ضرار بن خبيب الخزاعي، والد جويرية أمّ المؤمنين، جاء ليفدي ابنته المأسورة فأنبأه الرسول ﷺ بما فعل قبل وصوله إليه، فأعلن إسلامه في الحال، وأسلم معه ابنان له وعدد من قومه.
● الإصابة: ١/٢٨١، تر: ١٤٢٧.

جويرية[1] أمّ المؤمنين رضي الله عنها، لما أسرت ابنته جويرة، أقبل بالفدية. فلما كان بالعقيق[2] نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء فرغب[3] بعيرين منها، فغيّبهما في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى النبيّ ﷺ فقال: يا محمد أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها فقال النبيّ[4] ﷺ: **«فأين البعيران اللذان غيّبت[5] في العقيق في شعب كذا وكذا»**. فقال الحارث: أشهد أن لا إلـٰه إلا إلـٰه وأنّك رسول الله، فوالله ما اطّلع على ذلك إلاّ الله[6]، فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له[7].

فصل

ومن هذا الباب ما رويناه في حلية النووي عن وابصة[8] بن معبد أنّه أتى النبيّ ﷺ فقال: **«جئت تسأل عن البر والإثم»**. قلت: نعم. فقال: **«استفت قلبك. البرّ ما اطمأنّت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردّد في الصّدر، وإن أفتاك النّاس وأفتوك»** حديث رويناه

---

(1) جويرة بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك زوج النّبيّ ﷺ، سباها في غزوة بني المصطلق سنة خمس، وكان اسمها برّة فسمّاها ﷺ «جويرة» وتزوّجها، وجعل مهرها قضاء كتابتها لثابت بن قيس بن شماس، وكانت وقعت في سهمه، فكاتبته، تُوفيت في ربيع الأول سنة خمسين رضي الله عنها.
● الاستيعاب: ١٨٠٤/٤ ـ ١٨٠٥، تر: ٣٢٨٢.

(2) العقيق: كل مسيل ماء شقه السيل في الأرض، فأنهره ووسّعه، وفي ديار العرب أعقّة: منها عقيق المدينة، فيه عيون ونخل، وفيه دُوَرٌ وقصور ومنازل وقرى.
● مراصد الاطلاع: ٩٥٣/٢.

(3) في السيرة النبوية لابن هشام: فرغب في بعيرين...

(4) في السيرة النبوية لابن هشام: فقال: رسول الله ﷺ...

(5) في السيرة النبوية لابن هشام: غيبت بالعقيق.

(6) في السيرة النبوية لابن هشام: إلاّ الله تعالى.

(7) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٩٥/٤.

(8) أبو شداد وابصة بن معبد بن مالك بن عبيد الأسدي. سكن الكوفة، ثم تحوّل إلى الرقة، وبها توفي، وله عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ منها: أنّه أمر رجلاً يصلّي خلف الصف أن يُعيد الصّلاة.
● الاستيعاب: ١٥٦٣/٤/٤، تر: ٢٧٣٧.

في مسند أحمد يعني ابن حنبل والدّارمي[١] وغيرهما[٢].

قلت: ونقله ابن القطان وفيه فقال لي: من قبل أن أسأله يا وابصـ جئتَ تسألني عن البر والإثم؟ قلت: إي والذي بعثك بالحقّ، إنّه للذي جئت أسألك عنه، فقال: **«إنّ البرّ ما انشرح به صدرك، والإثم ما حاك في نفسك»** ـ وقد رُوِيَ بألفاظ أُخَر.

قال ابن القطان: ومن ذلك ما رُوِيَ عن ابن عبّاس أنّ النبيّ ﷺ صالح أهل خيبر على كل صفراء وبيضاء، وعلى كل شيء إلاّ أنفسهـ وذراريهم، فأتي بابني أبي الحقيق[٣] فقال: **«أين أنيتكما التي كانت تستعا منكما في أعراس المدينة؟»** فقالا: إنّك أخرجتنا وأجليتنا فأنفقناها. فقال **«انظرا ما تقولان؟ فإنكما إن كذبتما استبحت بذلك دماءكما وذريتكما»** قالا: نعم. فدعا ﷺ رجلاً من الأنصار فقال: **«اذهب إلى مكان كذا وكذ فانظر نخلة في رأسها رقعة، فانزع الرقعة واستخرج تلك الآنية التي بها** فانطلق حتّى جاءه بها فضرب أعناقهما ـ وذكر بقية الحديث.

---

(١) الدارمي: أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمٰن بن الفضل التميمي الدارمي السمرقندي وُلد سنة إحدى وثمانين ومائة [١٨١]، سمع النضر بن شميل، ويزيد بن هارون ووهب بن جرير، وطبقتهم، بخراسان، والحرمين، والشام، والعراق، ومصر وحدّث عنه، مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، خارج سننه، وعبدالله بن أحمد بر حنبل، وآخرون، توفي يوم التروية سنة خمس وخمسين ومائتين [٢٥٥].
● تذكرة الحفاظ: ٢/٥٣٤ ـ ٥٣٦، رقم: ٥٥٢.

(٢) ● أ ـ مسند الإمام أحمد: ٢٢٧/٤.
● ب ـ سنن الدارمي: ٤١٥/٢، رقم: ٢٧٨٩، كتاب الرقائق: ٧٣، باب في البـ والإثم.
● ج ـ حلية النووي «الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار» للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيىٰ النووي تح: أحمد راتب حموش، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ دا الفكر ـ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٣) ابنا أبي الحقيق: هما: أبو رافع سلام، وكنانة، وكانت صفية بنت حيي تحت كنانة بر الربيع أبي الحقيق، فسباها رسول الله ﷺ، وأعتقها، وجعل عتقها صداقها
● أ ـ السيرة النبوية لابن هشام: ٢٨٦/٣و ٣٥١.
● ب ـ الكامل لابن الأثير: ٢١٧/٢.

قال ابن القطان وأبو سعيد النيسابوري: وروي أنّ جرير[1] بن عبدالله البجلي اتفق مع عبدة[2] بن مسهر على أن يضمرا مسائل يسألان عنها النبيّ ﷺ عند قدومهما عليه، ففعلا، وكان ممّا أضمر عبدة رؤيا رآها. ثم وفدا على النبيّ ﷺ في وفد بجيلة[3] فأعلمهما بما أضمراه، وذلك أنّ عبدة بن مسهر دنا من رسول الله ﷺ فقال: إن كنت نبيّاً كما تزعم فأخبرني عمّا جئت أسألك عنه، أو عن ما أضمرت؟ وعن ما أبصرت؟ فقال النبيّ ﷺ: «**أما ما أضمرت فسيفك الحسام وابنك الهمام، وفرسك عصام[4]، ورأيت في المنام، عند مختلف الظلام، كأن ابنك خرج يتعزل[5] فلقيه بنو ثعل[6]، على سفح الجبل مع إحدى نساء بني دول[7]، فقتله مالك بن بجرة[8]. فأمّا فرسك فستجده، وأما ابنك فاحتسبه، وأما سيفك فهو عند ابن مسعدة[9]. فاجعل فرسك ربيطة في الجهاد، وسيفك عدة**

---

(1) في (د): وروى ابن جرير.

(2) عبدة بن مسهر البجلي، أخرج له أبو سعيد النيسابوري في كتابه «شرف المصطفى» حديثاً طويلاً من طريق الشعبي.
- الإصابة: ٤٣٤/٢، تر: ٥٢٨٥.

(3) بجيلة: بنو بجيلة قبيلة من أنمار بن أراش، من كهلان من القحطانية، وبجيلة أمّهم غلب عليهم اسمها. قال ابن إسحٰق: جرير بن عبدالله سيد قبيلة بجيلة، وكان يقال له: يوسف الأمة لحسنه. وفيه قيل: [من الرجز]

لولا جرير هلكت بجيلة   نعم الفتى وبئست القبيلة

- نهاية الأرب: ١٧١.

(4) في (ر): عمام.

(5) في (ر): يعتزل، وفي (د): ينعزل.

(6) بنو ثعل: بطن من طيّء، من القحطانية، وهم معروفون بالإجادة في الرمي.
- نهاية الأرب: ١٨٠، رقم: ٦٣٩.

(7) بنو دول: قبيلة بني حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل: بنو الدول بن حنيفة، وهم أهل اليمامة، أصحاب نخل وزرع. جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٣٠٩ و٤٦٩.

(8) مالك بن بجرة: لم أعثر على ترجمته فيما قرأت.

(9) ابن مسعدة: عبدالله بن مسعدة بن قيس الفزاري، وقيل: عبدالله بن مسعدة بن مسعود الفزاري، يُعرف بصاحب الجيوش، لأنّه كان أميراً عليها في غزوة الروم لمعاوية.
- الاستيعاب: ٩٨٧/٣، تر: ١٦٥٧.

للأعاد، وإن أدركت الردة، فلا تتبعنّ كندة[1]، ولا تنقضنّ الميثاق، ولا تغدر بالجار».

وروى أبو نعيم في الحلية عن صهيب رضي الله عنه، أنّه لمّا أقبل مهاجراً إلى النبيّ ﷺ، اتّبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته، وانتثل ما في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش، لقد علمتم أنّي من أرماكم رجلاً، وأيم الله، لا تصلون إليّ حتّى أرمي بكل سهم معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي/ ما بقي في يدي[2] منه شيء، ثم افعلوا بي ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على ما لي وثيابي بمكة. قالوا: نعم. فدلهم على ذلك. فلما قدم على النبيّ ﷺ المدينة قال: **«ربح البيع أبا يحيىٰ! ربح البيع أبا يحيىٰ!»** وفي رواية: فقلت لهم: احفروا تحت أسكفة الباب، فإنّ تحتها أواني من ذهب، فقدمت على النبيّ ﷺ قبل أن يتحول من قباء. فلما رآني قال: **«يا أبا يحيىٰ ربح البيع ثلاثاً!»** فقلت: يا رسول الله ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلاّ جبريل عليه السلام قال: ونزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾[3] الآية[4].

١١٠/ظ

قال ابن القطان وذكر أنّ الجارود العبدي[5] قدم على رسول الله ﷺ

---

(١) كندة: قبيلة من كهلان، وكندة أبوهم، وإنّما سمي كندة لأنه كند أباه أي كفر نعمته، وبلاد كندة باليمن. وكان لهم ملك بالحجاز واليمن، ومنهم امرؤ القيس بن عابس الكندي الشاعر، له صحبة.
● أ ـ نهاية الأرب: ٣٦٦، تر: ١٤٩٩.
● ب ـ الاستيعاب: ١٠٤/١، رقم: ٧٢.

(٢) في الأصل: ما بقي في يده...

(٣) البقرة: ٢٠٧.

(٤) ● أ ـ حلية الأولياء: ١٥١/١ ـ ١٥٢.
● ب ـ هذه الفقرة من «وروى أبو نعيم» إلى الآية ساقطة في (ر).

(٥) الجارود العبدي: أبو غياث الجارود بشر بن عمر بن المعلّى بن العلاء، كان سيّداً في بني عبدالقيس رئيساً، قدم على رسول الله ﷺ في سنة عشر في وفد عبدالقيس، وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه، قتل بنهاوند مع النّعمان بن مقرن سنة إحدى وعشرين.
● الاستيعاب: ٢٦٢/١ ـ ٢٦٤، تر: ٣٤٥.

ومعه سلمة بن عياض[1] الأسدي، وكان حليفاً له في الجاهلية. وقد كان الجارود قال لسلمة بن عياض: إنّ خارجاً خرج بتهامة يزعم أنّه نبي، فهل لك أن تخرج إليه؟ فإن رأيناه خيراً دخلنا فيه، فإنه إن كان نبيّاً فللسابق إليه فضله، وأنا أرجو أن يكون النّبيّ الذي بشّر به عيسى ابن مريم ـ وكان الجارود نصرانياً، وقرأ الكتب، ثم قال لسلمة: ليضمر كل واحد منّا على ثلاث مسائل يسأله عنها، لا يخبر بها صاحبه، فلعمري لئن أخبره بها أنّه لنبيّ يوحى إليه، ففعلا. فلما قدما على رسول الله ﷺ قال له الجارود: بم بعثك ربّك يا محمد؟ قال: «**بشهادة أن لا إلـه إلاّ الله، وأنّي عبدُالله ورسوله، والبراءة من كل ندّ ووثن يُعبد من دون الله، وإقام الصّلاة، وإيتاء الزكاة بحقّها. وصوم شهر رمضان بإصالة حجّ البيت بغير إلحاد، ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦﴾**»[2].

قال الجارود: إن كنت يا محمد نبيّاً، فأخبرنا عمّا أضمرنا عليه حين أبْدأنا. فخفق[3] رسول الله ﷺ خفقة كأنها سنة، ثم رفع رأسه، وتحدّر العرق عنه، فقال: «**أمّا أنت يا جارود، فإنّك أضمرت على أن تسألني عن دماء الجاهلية، وعن حلف الجاهلية، وعن المنيحة. أمّا وإنّ دم الجاهلية موضوع، وحلفها مشدود ولم يزد الإسلام إلاّ شده، ولا حلف في الإسلام. ألا وإنّ أفضل الصّدقة أن تمنح أخاك ظهر دابّة، أو لبن شاة، فإنها تغدو برفد وتروح بمثله**».

«**وأمّا أنت يا سلمة، فإنّك أضمرت على أن تسألني عن عبادة الأصنام،**

---

(١) سلمة بن عياض الأسدي وفد على النبيّ ﷺ هو والجارود العبدي، وأخبرهما بما جاءا يسألان عنه قبل أن يسألاه، فأسلما، وحسن إسلامهما، وأنشد سلمة: [من الطويل]

رأيتك يا خير البرية كلها ... نشرت كتاباً جاء بالحق معلما
شرعت لنا فيه الهدى بعد رجعنا ... عن الحق لما أصبح الأمر مظلما

● الإصابة: ٦٧/٢، تر: ٣٣٩١.

(٢) فصلت: ٤٦.

(٣) في (ر): فخفقن.

وعن يوم السباسب[1] وعن عقل الهجين. **أمّا عبادة الأصنام فإنّ الله عزّ وجلّ يقـــول:** ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾»[2].

«وأمّا يوم السباسب فقد أعقب الله منه ليلة خير من ألف شهر، فاطلبوها في العشر الأواخر من شهر رمضان، ليلة بلجة سمحة لا ريح فيها تطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها».

«وأما عقل الهجين فإنّ المؤمنين إخوة تتكافأ دماؤهم، يجير أقصاهم على أدناهم، أكرمهم عند الله أتقاهم». فقالا: نشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّك عبدالله ورسوله. ثم قالا: يا رسول الله، ادع الله لنا أن يجمع ألفة قومنا، فقال: **«اللهم أجمع لهم ألفة قومهم، وبارك لهم في برّهم وبحرهم».**

فقال الجارود: يا رسول الله، أيُّ المال اتّخذ ببلادي؟ قال: **«وما بلادك؟»**

قال: ماؤها وعاء، ونبتها شفاء، وريحها صباء، ونخلها أغداء.

قال: **«عليك بالإبل فإنّها حمولة، وإنّ الجمل يكون عوداً والناقة دوداً».**

قال سلمة: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فأيّ مال أتّخذ ببلادي؟ وقال: **«وما بلادك؟».**

---

(١) يوم السّباسب: كان عيداً لقوم من العرب في الجاهلية، وكانوا يحيون فيه بالريحان. قال النّابغة:

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيّون بالريحان يوم السباسب

● تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور علي جواد الطاهر، ٨/٤٠٩، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، شركة الرابطة للطبع والنشر المحدودة، بغداد، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣.

(٢) الأنبياء: ٩٨.

قال: ماؤها سياح، ونخلها ضوّاخ، وتلاعها[1] فياح.

قال: «**عليك بالغنم، فإنّ ألبانها جمال، وأصوافها أثاث، وأولادها بركة، ولك الأكيلة والرّبا**»[2].

فانصرفا إلى قومهما مسلمين.

فقال الجارود: [من الطويل]

أبـلـغ رسـول /الله عـنّـي رسـالـة ... بأني حنيف حيث كنت من الأرض ١١١/و
شـهـدت بـأنّ الله حـق وسـامـحـت ... حصاة فؤادي بالسّماحة في النهض
وأنـت أمـيـن الله فـي كـل خـلـقـه ... على الوحي من بين القضيضة والقض
فـإلاّ تـكـن داري بـيـثـرب فـيـكـم ... فإنّي لكم عند الإقامة والخفض
أصالح من صالحت من ذي عداوة ... وأبغض من أمسى على بعضكم يغضي
وأدُنـي الـذي والـيـتـه وأحـبّـه ... وإن كان في فيه العلاقم من عض
أذبّ بـسـيـفـي عـنـكـم وأجـيـبـكـم ... إذا ما دعوتم في الوفاء وفي النقض
وأجـعـل نـفـسـي دون كـل مـلـمـة ... لكم جنّة تقي ومن دونكم عرضي

قال سلمة: [من الطويل]

رأيـتـك يـا خـيـر الـبـريـة كـلـهـا ... نشرت كتاباً جاء بالحق معلما
شرعت لنا فيه الهدى بعد جورنا ... عن الحق لما أصبح الأمر مظلما
فنوّرت بالقرآن ظلما حنادس[3] ... وأطفأت نار الكفر لمّا تضرما
وكـنـت لـنـا غـيـثاً مـريـعـاً ورحـمـة ... وكنت لأهل العلم بالله معلما
تـعـالـى عـلـوّ الله فـوق سـمـائـه ... وكان مكان الله أعلى وأكرما

قال ابن القطان: **ومن آياته ﷺ ما رواه عبدالله بن عمرو** وقال: سمعت

---

(١) في الأصل: وثلاعها فياح.
(٢) في (د): الريا.
(٣) في (د) و(ر): حندس.

رسول الله ﷺ[1] حين خرجنا معه إلى الطائف[2] فمررنا بقبر، فقال رسول الله ﷺ: **«هذا قبر أبي[3] رغال. وكان بهذا الحرم يدفع عنه، فلما خرج عنه أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان، فدُفن فيه، وآية ذلك أنّه دفن معه غصن من ذهب، لو أنكم فتشتم[4] عنه أصبتموه معه»**. فابتدر الناس فاستخرجوا الغصن. وهذا حديث صحيح رواه أبو داود[5].

فصل

ومن آياته ﷺ في هذا الباب، وصدق خبره، ما ذكره ابن إسحـٰق: أنّ سعد بن معاذ رضي الله عنه انطلق معتمراً فدخل[6] على أمية[7] بن خلف[8]، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام، فمرّ بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد:

---

(١) في سنن أبي داود: يقول حين خرجنا معه...

(٢) الطائف: كانت تُسمى قديماً «وجّ» وسميت الطائف لما أطيفت عليها الحائط، وهي ناحية ذات نخل وأعناب ومزارع وأودية، وهي على ظهر جبل غزوان، وبها عقبة، مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط إلى مكة.
● مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: ٢/٨٧٧.

(٣) أبو رغال: قسيّ بن منبه بن النّبيت بن يقدم من بني إياد، كان دليل الحبشة لما غزو الكعبة، فهلك فيمن هلك منهم، ودفن في «المغمّس» وقبره معروف بين مكة والطائف، يُرجم إلى اليوم. قال جرير: [من الوافر]
إذا مات الفرزدق فارجموه ... كما ترمون قبر أبي رغال
وكان هلاك أبي رغال نحو سنة خمسين قبل الهجرة.
● الأعلام: ٦/٤١.

(٤) في سنن أبي داود: نبشتم.

(٥) سنن أبي داود: ٣/١٨١ ـ ١٨٢، رقم: ٣٠٨٨، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب نبش القبور.

(٦) في صحيح البخاري: فنزل.

(٧) أمية بن خلف بن وهب، من بني لؤي، أحد جبابرة قريش وساداتهم في الجاهلية. هو الذي عذّب بلالاً الحبشي عند ظهور الإسلام. أسره عبدالرحمـٰن بن عوف يوم بدر، فلما رآه بلال صاح بالمسلمين يحرّضهم على قتله. فقتلوه.
● الأعلام: ١/٣٦٢.

(٨) في صحيح البخاري: أمية بن خلف أبي صفوان.

انتظر حتى إذا انتصف النهار، وغفل الناس انطلقت فطُفت. فبينا سعد يطوف إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فقال[1]: أنا سعد، [فقال: سعد][2] يطوف بالكعبة آمنا، وقد أويتم محمداً وأصحابه، فقال: نعم. فتلاحيا بينهما. فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنّه سيد أهل الوادي، ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعنّ متجرك بالشام. قال: فجعل أمية يقول[3]: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، وجعل يمسكه فغضب سعد، فقال: دعنا عنك. فإنّي سمعت[4] رسول الله ﷺ يقول: إنّه قاتلك. قال: إياي؟ قال: نعم. قال: والله ما يكذب محمد، إذا حدّث، فرجع إلى امرأته، فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربيّ؟ قالت: وما قال[5] لك؟ قال: زعم أنه سمع محمداً يقول: إنّه قاتلي. قالت: فوالله ما يكذب محمد. قال: فلمّا خرجوا إلى بدر وجاء الصّريخ. قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: نعم[6]. وأراد أن لا يخرج. فقال له أبو جهل: أنت[7] من أشراف الوادي فسر معنا يوماً أو يمين، فسار معهم، فقتله الله [تعالى ببدر][8]. وقد خرّجه البخاري[9].

ومن آياته وصدق خبره ﷺ ما ذكره ابن إسحٰق وغيره: أنّ أبيّ بن خلف[10] كان يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد إنّ عندي العوذ فرساً أعلفه كل يوم فَرْقاً[11] من ذرة أقتلك عليه.

---

(١) في صحيح البخاري: فقال سعد: أنا، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة...
(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٣) في صحيح البخاري: يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسك...
(٤) في صحيح البخاري: سمعت محمداً ﷺ يزعم: إنّه قاتلك.
(٥) في صحيح البخاري: وما قال؟ قال: زعم أنّه سمع محمداً يزعم...
(٦) في صحيح البخاري: قال: فأراد ألاّ يخرج.
(٧) في صحيح البخاري: إنّك من أشراف الوادي.
(٨) في صحيح البخاري: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٩) صحيح البخاري: ٢٤٩/٤ ـ ٢٥٠، باب علامات النبوّة في الإسلام.
(١٠) أبي بن خلف: تقدمت ترجمته.
(١١) الفرَقُ: بفتح الراء وإسكانها ـ مكيال يسع ستة عشر رطلاً، وقيل: اثني عشر رطلاً.

فيقول رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله». فلمّا كان يوم أحد وأسند ﷺ/ في شعب[١] أدركه أبيّ بن خلف وهو يقول: أين[٢] محمد؟ لا نجوتُ إن نجا[٣].

١١٢/ظ

فقال القوم[٤]: أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ: «دعوه»، فلما دنا، تناول رسول الله ﷺ الحربة من يد الحارث بن الصّمة[٥].

يقول بعض القوم فيما ذكر[٦]. فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض بها انتفاضة تطايرنا منه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض [بها][٧]، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ[٨] منها عن فرسه مراراً. فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم. قال: قتلني والله[٩]! قالوا: أذهب[١٠] الله فؤادك! والله إن بك بأس، قال: إنه[١١] قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليّ لقتلني، فمات عدوّ الله بسرف[١٢]، وهم قافلون إلى مكة.

---

(١) في (د) والسيرة النبوية لابن هشام: في الشعب.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: أي محمد.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: لا نجوتُ إن نجوتَ.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: يا رسول الله: أيعطف عليه رجل من؟
(٥) أبو سعد الحارث بن الصمة بن عمرو... بن النجار، كان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين صهيب، وكان ممّن خرج إلى بدر فانكسر بالرّوحاء فرده رسول الله ﷺ، وضرب له بسهمه وأجره، وشهد أحداً، ثم شهد بئر معونة فاستشهد يومئذٍ رضي الله تعالى عنه.
● الاستيعاب: ٢٩٢/١ ـ ٢٩٣، تر: ٤١١.
(٦) في ابن هشام: فيما ذكر لي.
(٧) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٨) تدأدأ: تقلّب عن فرسه فجعل يتدحرج.
(٩) في ابن هشام: قتلني والله محمدٌ! قالوا له: ذهب والله فؤادك!
(١٠) في الأصل و(ر): ذهب الله فؤادك.
(١١) في ابن هشام: قال: إنّه قد كان قال لي بمكة...
(١٢) سرف: موضع على ستّة أميال من مكة، وفي سرف بني رسول الله ﷺ بميمونة بنت الحارث.
● معجم البلدان: ٢١٢/٣.

والشعراء[١]: ضرب من الذبّاب[٢].

ومن آياته ﷺ ما رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: جعل رسول الله ﷺ يُرينا مصارع القوم ليلة بدر، هذا مصرع فلان إن شاء الله، فما أناط[٣] أحد عن الموضع الذي قال رسول الله ﷺ[٤].

قال ابن القطان: ومن ذلك ما رُوِيَ عن أنس رضي الله عنه في الكاتب الذي ارتدّ بعد أن قرأ سورة البقرة، وآل عمران، فهرب إلى أهل الكتاب، وأهلكه الله تعالى عندهم، فقال فيه النبيّ ﷺ: «**إنّ الأرض لا تقبله**». فمات، فدفن فلم تقبله الأرض.

قال الراوي: فقدمت المدينة التي مات فيها، فوجدته منبوذاً، فسألت ما شأن هذا؟ فقالوا: دفناه مراراً فلم تقبله الأرض. ذكره غير واحد. واللفظ لابن أبي شيبة.

قلت: وقد روينا هذا الحديث في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رجل نصرانياً، فأسلم، وقرأ البقرة، وآل عمران، فكان يكتب للنبيّ ﷺ فعاد نصرانياً، فكان يقول: ما يدري محمد إلاّ ما

---

(١) في ابن هشام: والشّعراء: ذباب له لدغ، والشُّعر: ذباب زرق تقع على الإبل والحمير فتتأذى بها كثير.

(٢) ● أ ـ السيرة النبوية لابن هشام: ٨٤/٢.
● ب ـ الشفاء: ١٥١/١ ـ ١٥٢، وبينهما خلاف.

(٣) في صحيح مسلم: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ ماط أحدهم: تباعد.

(٤) ● أ ـ صحيح مسلم: ١٤٠٤/٣، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر.
● ب ـ صحيح مسلم: ٢٢٠٢/٤ ـ ٢٢٠٣، كتاب الجنة صفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوّذ منه.
ونلاحظ أنّ الثعالبي قد جمع بين الروايتين فأخذ من كل واحدة منهما ما يراه مناسباً للسياق، والروايتان معاً عن أنس بن مالك، والثانية تقول: إنّ عمر أنشأ يحدّثنا عن أهل بدر...

كتبت له. فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض.

فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه[1]، لما هرب منهم، نبشوا عن[2] صاحبنا فألقوه فحفروا فأعمقوا له[3] في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أنّه ليس من الناس فألقوه، وقد نقله البغوي في مصابيحه عن البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه، أنّ رجلاً كان يكتب للنبيّ ﷺ فارتدّ عن الإسلام، ولحق بالمشركين. فقال النبيّ ﷺ: «**إنّ الأرض لا تقبله**». فأخبر أبو طلحة أنّه أتى الأرض التي مات فيها. فوجده منبوذاً، فقال: ما شأن هذا؟ فقالوا: دفناه مراراً فلم تقبله الأرض[4].

ورُوِيَ أنّ النبيّ ﷺ قال يوم أحد: «**أما إنّ المشركين لن يصيبوا مثلها منّا حتّى يفتحهم الله**». وفي رواية: «**حتّى يفتح الله علينا مكّة**»، وقد رواه التّرمذي[5].

قلت: وفي صحيح البخاري عن سليمان بن صرد[6] رضي الله عنه يقول: سمعت النبيّ ﷺ حين أجلى الله تعالى[7] الأحزاب عنه يقول: «**الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم**»[8].

---

(١) في صحيح البخاري: نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم...

(٢) في (د): ونبشوا على صاحبنا.

(٣) في صحيح البخاري: وأعمقوا له في الأرض.

(٤) ● أ ـ صحيح البخاري: ٢٤٦/٤، باب علامات النبوّة في الإسلام.
● ب ـ صحيح مسلم: ٢١٤٥/٤، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.
● ج ـ مصابيح السنة: ١٠٢/٤، رقم: ٤٦١٣، فصل في المعجزات، كتاب الفضائل والشمائل.

(٥) لم أجد الحديث في الترمذي ووجدته في صحيح البخاري: ١٤١/٤، باب غزوة الخندق مع اختلاف.

(٦) أبو مطرف سليمان بن صرد بن الجون الخزاعي، اسمه في الجاهلية يسار، فسماه رسول الله ﷺ سليمان. كان خيّراً فاضلاً، سكن الكوفة، وابتنى بها داراً وشهد مع علي صفين، توفي سنة خمس وستين.
● الاستيعاب: ٦٤٩/٢ ـ ٦٥١، تر: ١٠٥٦.

(٧) في صحيح البخاري، حين أجلي الأحزاب عنه.

(٨) صحيح البخاري: ١٤١/٥، باب غزوة الخندق.

ومن آياته الباهرة ما رواه البخاري وغيره ـ واللفظ للبخاري ـ عن عبيدالله بن أبي رافع[1] قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير، والمقداد. فقال: «**انطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخ**[2] **فإنّ بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها**». قال: فانطلقنا تعادي بنا خيلنا، حتّى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب؟ قالت: ما معي كتاب، قلنا: لنخرجنّ الكتاب أو لتلقينّ الثياب[3]، قال: فأخرجته من عقالها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة[4] يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ الحديث[5].

وفي بعض طرق هذا الحديث، فقلنا لها: أين الكتاب الذي معك؟ قالت: ما معي كتاب! فانتحى بها بعيرها، فابتغيناه في رحلها، فما وجدنا شيئاً.

فقال صاحباي: ما نرى معها كتاباً. فقلت: لقد علمتما/ ما كذب رسول الله ﷺ لنا. ١١٣/و

ثم حلف عليّ: والذي يحلف به لتخرجنّ الكتاب أو لأجرّدنّك،

---

(١) أبو عبدالله عبيدالله بن أبي رافع، مولى النبيّ ﷺ، كان عبيدالله يكتب لعلي، وسلمان، وهو من إصبهان، أصابه سبياً بعض من كلب، وبيع من يهودي بوادي القرى، فكاتب اليهودي، وأعانه النبيّ ﷺ حتّى عتق، وتحرّر.
● الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢/٣١١ ـ ٣١٢.

(٢) روضة خاخ: عدد الرياض التي ببلاد العرب كثيرة، والمعروف منها مائة وست وثلاثون، وإنّما سميت روضة لاستيراضة الماء فيها، وأراض الحوض إذا اجتمع فيه الماء، روضة خاخ قد ذكرها الشاعر بقوله: [من الوافر]

ولها مربع بروضة خاخ ... ومصيف بالقصر قصر قباء

● معجم البلدان: ٣/٨٨.

(٣) في صحيح البخاري: لنلقين الثياب.

(٤) في صحيح البخاري: إلى ناس بمكة من المشركين. وفي رواية أناس.

(٥) صحيح البخاري: ٥/١٨٤، باب غزوة الفتح وما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة.

فأهوت إلى حجرتها وهي محتجزة بكساء فأخرجت الكتاب.

وفي كتاب ابن إسحٰق فالتمسوه[1] في رحلها فلم يجدوا شيئاً فقال لها علي بن أبي طالب: إنّي أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، ولتخرجنّ[2] الكتاب أو لنكشفنّك. فلمّا رأت الجدّ منه، قالت: أعرض[3] عنّي، فأعرض فحلّت قرون رأسها. فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ[4] [الحديث][5].



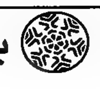
(١) في السيرة النبوية لابن هشام: فالتمسا في رحلها...

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: ولتخرجنّ لنا هذا الكتاب...

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: قالت: أعرض، فأعرض...

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٩٩/٢، وفيها: بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما، فقال: أدركا امرأة قد كتب معها حاطب...

(٥) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

 باب في آياته ﷺ في عصمة الله له الواقية، وكفاية إذاية من أراد إذايته ﷺ

قال الله تعالى في حق نبيّه وصفوته من خلقه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾[2].

وقال جلّت عظمته: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾[3] قيل: بكاف محمداً أعداءه وقيل: غير هذا.

وقال: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥﴾[4].

وقال: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[5].

وروينا في جامع أبي عيسى محمد بن سورة التّرمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبيّ ﷺ يُحرس حتّى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم: «**يا أيّها الناس، انصرفوا قد عصمني**[6] **ربّي عزّ وجلّ**»[7].

قال ابن العربي في شرحه لأسماء الله الحسنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ معناه: يجعل بينك وبينهم حجاباً يمنع من وصول مكروههم إليك كعصام القربة الذي يمنع سيلان الماء منها.

---

(١) المائدة: ٦٧.
(٢) الطور: ٤٨.
(٣) الزمر: ٣٦.
(٤) الحجر: ٩٥.
(٥) الأنفال: ٣٠.
(٦) في صحيح الترمذي: عصمني الله.
(٧) صحيح الترمذي: ٢٥١/٥، رقم: ٣٠٤٦، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة.

قال: ولعلمائنا في الآية تأويلات: أصحّها أنّ العصمة في كل مكروه، وأنّ الآية نزلت بعد أن شُجّ وجهه، وكسرت رباعيته ﷺ، وقيل: إنّه أراد من القتل خاصة. والأول أصحّ.

وقد كان ﷺ أُتي ببعض هذه العصمة بمكة. في قوله: «**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**» ثم كملت له العصمة بالمدينة، فعُصم من الناس كلهم.

وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنّه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد[1]، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العِضاة، فنزل رسول الله ﷺ[2] تحت شجرة، فعلّق بها سيفه. قال جابر: فنمنا نومة، ثم إذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس. فقال رسول الله ﷺ: «**إنّ هذا اخترط[3] سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا**»[4]. فقال لي:من يمنعك مني؟ قلت: «**الله**». فها هو ذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ[5].

وفي رواية في البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: كنّا مع النبيّ ﷺ بذات الرقاع. فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبيّ ﷺ، فجاء رجل من المشركين، وسيف النّبيّ ﷺ معلق بشجرة[6]، فاخترطه، فقال: تخافني؟ فقال[7]: «**لا**». قال: فمن يمنعك منّي؟ قال: «**الله عزّ وجلّ**»[8]، فتهدّده

---

(١) نجد: الأرض العريضة التي أعلاها تهامة، واليمن، وأسفلها العراق، والشام، وهي نجد دعدة، ونجد برق، ونجد خال، وعفر الخ...
- مراصد الاطلاع: ١٣٥٨/٣.

(٢) في صحيح البخاري: وتفرق الناس في العضاه، يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة...

(٣) اخترط السيف: استله من غمده وأخرجه من قرابه ليضرب به.

(٤) صلتا: يقال: أصلت السيف جرّده من غمده.

(٥) ● أ ـ صحيح البخاري: ١٤٦/٥ ـ ١٤٧، باب غزوة ذات الرقاع ـ واللفظ له ـ.
● ب ـ صحيح مسلم: ١٧٨٦/٤ ـ ١٧٨٧، رقم: ٨٤٣. كتاب الفضائل، باب توكله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس.

(٦) في صحيح البخاري: معلق بالشجرة.

(٧) في صحيح البخاري: قال: لا...

(٨) في صحيح البخاري: قال: الله، فتهدده...

أصحاب النبيّ ﷺ[1].

وقال ابن إسحٰق في غزوة ذات الرقاع[2]: حدّثني عمرو بن عبيد[3] عن الحسن، عن جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما[4]: أنّ رجلاً من بني محارب[5] [يقال به غورث[6] قال لقومه من غطفان[7] ومحارب][8]: ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى. وكيف تقتله؟ قال: أفتك به. قال: فأقبل

---

(١) صحيح البخاري: ١٤٧/٥، باب غزوة ذات الرقاع.

(٢) ذات الرقاع: روى البخاري عن طريق أبي موسى الأشعري قال: خرجنا مع النبيّ ﷺ في غزاة، ونحن ستة بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت ذات الرقاع لما كنّا نعصب من الخرق على أرجلنا.

● صحيح البخاري: ١٤٥/٥، باب غزوة ذات الرقاع.

(٣) أبو عثمان عمرو بن عبيد البصري، المتكلّم الزاهد، وصفه الحسن البصري للذي سأله عنه فقال: لقد سألت عن رجل كأنّ الملائكة أدّبته، وكأن الأنبياء ربّته، ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن، ولا باطناً أشبه بظاهر منه. وكانت ولادته في سنة ثمانين للهجرة، ووفاته سنة أربع وأربعين ومائة.

● وفيات الأعيان: ٤٦٠/٣، تر: ٥٠٣.

(٤) في السيرة النبوة لابن هشام: بلا ترضية.

(٥) بنو محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، بطن من هيب بن بهثة من سليم.

● نهاية الإرب: ٣٧٠، تر: ١٥٢٩.

(٦) غورث بن الحارث ذكره صاحب الإصابة، وأورد له الحديث الذي ذكره الثعالبي، وزاد فيه أنّ النبيّ ﷺ قال له: بعد أن سقط السيف من يده: **«من يمنعك منّي؟»** قال: كن خير آخذ، قال: **«لا أو تُسلم»**، قال: لا. قال: **«لا أو تسلم»**، قال: لا، ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلّى سبيله فجاء إلى أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس. ومن هذه الجملة الأخيرة تمسّك من قال بإسلامه.

● الإصابة: ١٨٨/٣ ـ ١٨٩، تر: ٦٩٢٣.

(٧) بنو غطفان، بطن من قيس عيلان، من العدنانية، وهو بطن متّسع كثير الشعوب والبطون ومنازلهم بنجد مما يلي وادي القرى، وجبلي طيّء: أجأ، وسلمى، ثم تفرّقوا في الفتوحات الإسلامية، واستولى على مواطنهم هناك قبائل طيّ.

● نهاية الأرب: ٣٤٨، تر: ١٤٢٢.

(٨) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، وسيف رسول الله ﷺ في حجره، فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟ وكان محلّى بفضة، فيما قال ابن هشام. قال: «**نعم**»[1]. قال: فأخذه فاستلّه ثم جعل يهُزّه، ويهم به فيُكبته الله؛ ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ وفي يدي السيف[2]؟ قال: «**لا/ يمنعني الله منك**». ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ فردّه عليه[3].

١١٤/ظ

قال عياض: وقد رويت هذه القصة في الصحيح. وأنّ غورث بن الحارث صاحب هذه القصة، وأنّ النبيّ ﷺ عفا عنه، فرجع إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير النّاس.

وقد حيكت مثل هذه الحكاية أنّها جرت له ﷺ يوم بدر، وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجته، فتبعه رجل من المنافقين. وذكر مثله.

وقد رُوِيَ أنّه وقع له مثلها في غزوة غطفان، بذي أمر[4] مع رجل اسمه دعثور[5] بن الحارث وأنّ الرجل أسلم، فلما رجع إلى قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له: أين ما كنت تقول [وقد أمكنك][6]؟ قال[7]: إنّي نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري، وسقط السّيف، فعرفت أنّه ملك، وأسلمت.

وفي رواية الخطابي: أنّ غورث بن الحارث[8] المحاربيّ أراد أن يفتك

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: جملة «قال: نعم» ساقطة.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: أما تخافني؟ قال: لا.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٠٥/٢.
(٤) ذو أمر ـ بلفظ الفعل من الأمر ـ: موضع بثر، غزوة لرسول الله ﷺ، قيل: هو من ناحية النخل بنجد من ديار غطفان ـ والأَمَرُ: حجارة تُجعل كالأعلام.
● مراصد الاطلاع: ١١٦/١. في الأصل، و(ر): أمد ـ بالدال ـ.
(٥) دعثور بن الحارث الغطفاني، كان شجاعاً مسوداً في قومه غطفان، أسلم بعد أن عفا عنه ﷺ.
● الإصابة: ٤٧٤/١، تر: ٢٣٩٦.
(٦) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٧) في الشفاء: فقال...
(٨) في غريب الحديث للخطابي: أنّ عويرث أو غويرث بن الحارث...

بالنّبيّ ﷺ فلم يشعر به إلاّ وهو قائم على رأسه[1] منتضياً سيفه، فقال: «**اللهم اكفنيه بما شئت**»، فانكبّ لوجهه[2] من زلّخة زلّخها بين كتفيه وندر سيفه[3]، من يده.

والزُّلخة: وجع الظهر. وقيل في قصته غير هذا.

قال عياض وابن القطان: ورُوِيَ أنّ النبيّ ﷺ كان إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها، فأتاه أعرابي، فاخترط سيفه، ثم قال: من يمنعك منّي؟ قال[4]: «الله». فرُعِدت يد الأعرابي وسقط[5] سيفه، وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه.

قال عياض: قيل إنّ النبيّ ﷺ كان يخاف قريشاً، فلما نزلت هذه الآيـــــة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ الآية[6].

استلقى [رسول الله ﷺ][7] ثم قال: «**من شاء فليخذلني**».

وذكر عبد[8] بن حميد أنّ[9] حمّالة الحطب[10]، كانت تضع العضاه

---

(١) في غريب الحديث للخطابي: ومعه السيف قد سلّه من غمده فقال:...
(٢) في غريب الحديث للخطابي والشفاء: فانكبّ من وجهه.
(٣) غريب الحديث للخطابي: ٣٠٧/١ ـ ٣٠٨.
(٤) في الشفاء: فقال: الله.
(٥) في (د): وسقطت سيفه.
(٦) المائدة: ١١.
(٧) في (د) والشفاء: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٨) أبو محمد عبد بن حميد بن نصر، اسمه عبدالحميد فخُفف، رحل على رأس المائتين في شبيبته، فسمع يزيد بن هارون، وابن أبي فديك، وعبدالرزاق، وغيرهم، وحدّث عنه بكر بن المرزبان، وإبراهيم بن خزيم الشاشي، وخلق كثير، كان ثقة، توفي سنة تسع وأربعين ومائتين.
● تذكرة الحفاظ: ٥٣٤/٢، تر: ٥٥١.
(٩) في الشفاء: قال: كانت حمالة الحطب...
(١٠) حمالة الحطب: أم جميل العوراء بنت حرب، أخت أبي سفيان، وزوجة أبي لهب، وكان ابن العربي يسميها في أحكامه «العوراء أم قبيح» تحمل العضاة والشوك فتطرحه بالليل على طريق النبيّ ﷺ وأصحابه، ولذلك سميت حمالة الحطب، ويمكن حمل=

وهي جمر على طريق رسول الله ﷺ فكأنما يطأها كثيباً أهيل[1].

وذكر ابن إسحـٰق عنها أنها لمّا بلغها نزول: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[2] وذكرها بما ذكرها الله تعالى مع زوجها من الذّمّ ـ أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد[3] معه أبو بكر، وفي يدها فهر[4] من حجارة[5]. فلما وقفت عليه[6] لم تر إلاّ أبا بكر رضي الله عنه. وأخذ الله ببصرها عن نبيّه ﷺ، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ قد[7] بلغني أنّه يهجوني، والله لو وجدته لضربته[8] بهذا الفهر[9].

وذكر عياض وابن القطان: أنّ الحكم بن أبي العاصي قال: تواعدنا على النبيّ ﷺ، حتّى إذا رأيناه، سمعنا صوتاً خلفنا ما ظننا أنّه بقي بتهامة[10] أحد؛ فوقعنا مغشيّاً علينا، فما أفقنا حتّى قضى صلاته، ورجع إلى أهله. ثم تواعدنا ليلة أخرى، فجئنا حتّى إذا رأيناه جاءت الصفا

= ذلك على المجاز كما قال سعيد بن جبير: حمالة الخطايا والذنوب، إذ كانت تمشي بالنّميمة بين الناس فتشعل في قلوبهم نار العداوة والبغضاء.

● الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٥/٢٣٤، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي [ت: ٦٧١]، الطبعة الثالثة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٦٧م.

(١) أهيل. سائلاً يقال: أهيل الرمل وانهال إذا سال.

(٢) المسد: ١.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: في المسجد عند الكعبة، ومعه...

(٤) الفهر: حجر على مقدار ملء الكف.

(٥) في الشفاء: من الحجارة، فلما وقفت عليهما...

(٦) في السيرة النبوة لابن هشام: عليهما، أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلاّ أبا بكر، فقالت:...

(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: فقد بلغني...

(٨) في السيرة النبوية لابن هشام وفي الشفاء: لضربت بهذا الفهر فاه.

(٩) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٣٥٥ ـ ٣٥٦.

(١٠) تهامة: تساير البحر، منها مكة المكرمة، قال الأصمعي: إذا خلفت عمان مصعداً فقد أنجدت فلا تزال منحدراً حتّى تنزل في ثنايا ذات عرف، فإذا فعلت ذلك فقد اتهمت إلى البحر، وإنّما سُمي الحجاز حجازاً لأنّه حجز بين تهامة ونجد.

● معجم البلدان: ٢/٦٣.

والمروة، فحالت بيننا وبينه[1].

قالا: وعن عمر: تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة[2] ليلة، قتل رسول الله ﷺ، فجئنا منزله، فتسمعنا[3] له، فافتتح فقرأ: ﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾[4]، فضرب أبو جهم على عضد عمر، وقال: انج، وفرّا هاربين؛ فكان[5] من مقدّمات إسلام عمر.

قال أبو الفضل عياض: ومنه العبرة المشهورة، والكفاية التامّة، عندما أخافته قريش، وأجمعت على قتله، وبيّتوه؛ فخرج عليهم من بيته، فقام على رؤوسهم، وقد ضرب الله[6] على أبصارهم، وذرّ التراب على رؤوسهم، وخلص منهم. وحمايته على رؤيتهم في الغار، بما هيّأ الله من الآيات[7] حسبما تقدّم.

فصل

في قصة سراقة وما فيها من الآيات وعصمة الله تعالى وإكرامه لنبيه ﷺ

روينا في صحيح البخاري عن سراقة بن مالك بن جعشم قال:

---

(١) في الشفاء: فحالت بيننا وبينه. وعن عمر رضي الله عنه...

(٢) أبو جهم حذيفة بن غانم القرشي العدوي، أسلم عام الفتح، كان من مشيخة قريش، عالماً بالنسب، وهو من المعمرين، حضر بناء الكعبة مرّتين: مرّة في الجاهلية حين بنتها قريش، ومرة حين بناها عبدالله بن الزبير، وهو أحد الأربعة الذين دفنوا عثمان بن عفان.
● الاستيعاب: ٤/١٦٢٣ ـ ١٦٢٤، تر: ٢٨٩٩.

(٣) في الشفاء: فسمعنا له، فافتتح وقرأ:...

(٤) الحاقة: ١ ـ ٨.

(٥) في الشفاء: فكانت من مقدمات إسلام عمر رضي الله عنه.

(٦) في الشفاء: وقد ضرب الله تعالى...

(٧) الشفاء: ١/٤٨٨ ـ ٤٩٤، باختصار وتصرف في التقديم والتأخير.

جاءتنا[1] رسل كفّار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ، وأبي بكر رضي الله عنه[2] ديّة كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينا[3] أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج، أقبل رجل منهم، حتّى قام علينا ونحن جلوس، فقال يا سراقة: إنّي رأيت آنفاً أسودة بالسّاحل، أراها محمداً وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له/ إنّهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقا[4] بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي، وهي من وراء أكمة، فتحبسها عليّ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزجة الأرض، وخفضت عاليه، حتّى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها تُقرِّب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقمت فأهويت بيدي[5] إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام، واستقسمت بها: أضرّهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزلام، تقرّب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض حتّى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار[6] ساطع في السماء، مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتّى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم، أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت[7]: إنّ قومك جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني شيئاً، ولم يسألاني إلاّ أن قال: «**أخف عنّا**»، فسألته أن

١١٥/و

(١) في صحيح البخاري: جاءنا.
(٢) في صحيح البخاري: بدون ترضية.
(٣) في صحيح البخاري: فبينما.
(٤) في صحيح البخاري: انطلقوا...
(٥) في صحيح البخاري: فأهويت يدي...
(٦) في صحيح البخاري: عثمان في رواية له.
(٧) في صحيح البخاري: فقلت له: إنّ قومك...

يكتب لي كتاب أمْن، فأمر عامر بن فُهيرة[1] فكتب لي[2] في رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله ﷺ ـ الحديث ـ[3].

قلت: هذا لفظ البخاري. وفي رواية للبخاري عن أنس رضي الله عنه أنّ أبا بكر رضي الله عنه التفت فإذا هو بفارس[4] لحقهم، فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت رسول[5] الله ﷺ فقال: «**اللهم اصرعه، فصرعه عن فرسه**»[6]، ثم قامت تحمحم، فقال يا نبيّ الله: مرني بما شئت، فقال[7]: «**قف مكانك، لا تتركنّ أحداً يلحق بنا**»، فكان أول النهار جاهداً على نبيّ الله ﷺ، وكان آخر النهار مسلحة له ـ الحديث ـ[8].

قال السّهيلي وابن القطان رُوي أنّ أبا جهل لام سراقة على رجوعه بلا شيء. فقال سراقة[9]: [من الطويل]

أبا حكم والله لو كنت شاهدا ... لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه

علمت ولم تشكك بأنّ محمدا ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

عليك بكفّ القوم عنه فإنّني ... أرى أمره يوماً ستبدو معالمه

بأمر يودّ الناس فيه بأسرهم ... بأنّ جميع الناس طرّا يسالمه[10]

---

(١) أبو عمرو عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، أسود اللون، أسلم وهو مملوك للطفيل بن عبدالله فاشتراه أبو بكر فأعتقه، كان يرعى الغنم في ثور، يروح بها على رسول الله ﷺ وأبي بكر في الغار، وكان رفيقهما في هجرتهما إلى المدينة. وشهد بدراً، وأحداً، ثم قتل شهيداً يوم بئر معونة، وهو ابن أربعين سنة، ذلك في سنة أربع من الهجرة، قتله عامر بن الطفيل.

● الاستيعاب: ٧٩٦/٢ ـ ٧٩٧، تر: ١٣٣٨.

(٢) في صحيح البخاري: فكتب في رقعة من أديم...

(٣) صحيح البخاري: ٧٦/٥ ـ ٧٧، باب هجرة النبيّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

(٤) في صحيح البخاري: فإذا هو بفارس قد لحقهم...

(٥) في صحيح البخاري: فالتفت نبيّ الله ﷺ.

(٦) في صحيح البخاري: فصرعه الفرس، وفي رواية له: فصرعه فرسه.

(٧) في صحيح البخاري: قال: فقف مكانك.

(٨) صحيح البخاري: ٧٩/٥، باب هجرة النبيّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

(٩) في الروض الأنف: فقال: ـ وكان شاعراً ـ.

(١٠) الروض الأنف: ٢١٧/٤.

وفي الحديث من قول سراقة أنه قال يا محمد: قد علمت أنّ هذا عملك، فادع الله أنّ ينجيني ممّا أنا فيه، فوالله لأعمينّ على من ورائي من الطلب. فهذه كنانتي فخذ منها سهماً فإنك ستمرّ على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: **«لا حاجة لي في إبلك»**، ودعا له، فانطلق راجعاً إلى أصحابه[1] ـ ذكره البرقي.

وفي حديث البخاري ومسلم: فجعل لا يلقي أحداً إلاّ قال: **«قد كفيتم ما هـٰهنا»**[2]. فلا يلقى أحداً إلاّ ردّه[3].

قال عياض: وقيل[4]: إنّه قال لهما: أراكما دعوتما عليّ، فادعوا لي فنجا، فوقع[5] في نفسه ظهور النبيّ ﷺ.

وفي خبر آخر: أنّ راعياً عرف خبرهما، فخرج يشتدّ، ليعلم[6] قريشاً؛ فلما ورد مكة ضرب على قلبه، فما يدري ما يصنع؛ وأُنسي ما خرج له حتّى رجع إلى موضعه.

قال عياض: وجاءه ـ فيما ذكر ابن إسحـٰق وغيره ـ أبو جهل بصخرة وهو ساجد، وقريش ينظرون، ليطرحها عليه، فلزقت بيده، ويبست يداه إلى عنقه، وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه، ثم سأله أن يدعو له؛ ففعل؛ فانطلقت يداه[7].

١١٦/ظ قلت: قد تقدم هذا، فيما/ نلقناه عن ابن إسحـٰق، وفيه فيبست يداه[8].

---

(١) صحيح مسلم: ٢٣١١/٤، رقم: ٢٠٠٩، كتاب الزهد والرقائق، مع اختلاف في بعض الكلمات.

(٢) في صحيح البخاري: كفيتم ما هنا.

(٣) ● أ ـ صحيح البخاري: ٢٤٦/٤، باب علامات النبوّة في الإسلام ـ واللفظ له ـ.
● ب ـ صحيح مسلم: ٢٣١٠/٤، كتاب الزهد والرقائق.

(٤) في الشفاء: وقيل: بل قال لهما.

(٥) في الشفاء: ووقع في نفسه...

(٦) في الشفاء: يعلم قريشاً.

(٧) الشفاء: ٤٩٦/١.

(٨) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٩٩/١.

ونقل ابن القطان نحو ما ذكره عياض.

قلت: **ومن آياته ﷺ في عصمة الله تعالى له** ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفّر[1] محمد وجهه بين أظهركم؟[2] فقيل: نعم. فقال: واللات والعزّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ رقبته، ولأعفرنّ[3] وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو[4] فيما زعم ليطأ على رقبته. قال: [فما][5] فجئهم إلاّ وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه. فقيل له: ما لك؟[6] قال: إنّ بيني وبينه لخندقاً[7] من نار وهَوْلاً وأجنحة[8]. فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا منّي لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**»[9].

قال ابن القطان: وتصوّر لأبي جهل فحل بموطن آخر في قصة الأراشي. وذلك أنّ أبا جهل اشترى من رجل أراشي طارىء بمكة إبلاً، فلواه بثمنها، ومطله، فاستجار بقريش في ناديهم، فأحالوه على النبيّ ﷺ استهزاء واستخفافاً بحقّه الكريم، فقصده الأعرابي، فمضى معه ﷺ، ودقّ الباب على أبي جهل، فخرج مسلوب العقل، طائش اللّبّ، فقال: أهلاً بأبي القاسم. فقال: «**أعط هذا حقّه**». قال: نعم. فأعطاه من فوره. فلامته قريش على ذلك، فقال لهم: إنّي رأيت ما لم تروا والله ـ ما هو إلاّ أن ضرب

---

(١) يعفّر: يسجد ويلصق وجهه بالتراب.
(٢) في صحيح مسلم: قال: فقيل: نعم...
(٣) في صحيح مسلم: أو لأعفرنّ.
(٤) في صحيح مسلم: وهو يصلّي فيما زعم...
(٥) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٦) في صحيح مسلم: فقال:...
(٧) في (د): لخندق.
(٨) أجنحة: جمع مفردها الجناح: ما يطير به الطائر ونحوه، وفي القرآن الكريم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فاطر: ١].
(٩) صحيح مسلم: ٢١٥٤/٤، رقم: ٢٧٩٧. كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب قوله: إنّ الإنسان ليطغى، أن رآه واستغنى.

عليّ بابي، وسمعت صوته، فمُلئت رعباً، ثم خرجت فرأيت ـ والله ـ على رأسه فحلاً ثنياً، فاتحاً فاه، لو أبيت لالتقمني.

قلت: والقصة في ابن إسحٰق[1].

قال عياض: وذكر السّمرقندي أنّ رجلاً من بني المغيرة[2] أتى النبيّ ﷺ ليقتله، فطمس الله على بصره، فلم ير النبيّ ﷺ، وسمع قوله، فوجع إلى أصحابه ولم يرهم حتّى نادوه[3].

ومن ذلك: ما ذكره ابن إسحٰق وغيره: في قصته، إذ خرج ﷺ إلى بني قريظة[4] في أصحابه، فجلس إلى جدار بعض آطامهم[5]، فانبعث عمر بن جحاش[6] أحدهم ليطرح عليه رحى، فقام النّبيّ ﷺ فانصرف إلى المدينة، وأعلمهم بقصتهم.

هذا لفظ عياض[7].

ونص ما في السيرة لابن إسحٰق، قال ابن إسحٰق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير، يستعينهم في ديّة الرجلين اللذين عمر بن أمية[8]

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٨٩/١ ـ ٣٩٠، وبينهما خلاف.

(٢) بنو المغيرة: بطن من لؤي بن غالب، من قريش، وبنو المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، وكان لمخزوم من الولد عمرو وعامر وعمران، ومنهم خالد بن الوليد، وأبو جهل، وأخوه العاص، ومنهم سعيد بن المسيّب التابعي المشهور.
● جمهرة أنساب العرب، لابن حزم: ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٣) الشفاء: ٤٩٦/١.

(٤) بنو قريظة: من يهود خيبر.

(٥) الآطام: جمع أطم، وهو الحصن هنا.

(٦) في (د) والشفاء: عمرو.

(٧) ● أ ـ الشفاء: ٤٩٧/١.
● ب ـ السيرة النبوية لابن هشام: ٥٦٣/٢.

(٨) أبو أمية عمرو بن أمية بن خويلد الضمري، مشهور بالشجاعة، شهد مع المشركين بدراً، وأحداً، ثم أسلم، وحضر غزوة بئر معونة، فأسرته بنو عامر، وأطلقه عامر بن الطفيل، توفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة خمسين.
● الاستيعاب: ١١٦٢/٣ ـ ١١٦٣، تر: ١٨٩٢.

فلما أتاهم قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا[1]: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمر بن جحاش. فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله عنهم، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السّماء، بما أراد القوم، فقام، وخرج راجعاً إلى المدينة. فلما استلبث النّبيّ ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه؛ فقال: رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحابه ﷺ، حتّى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر.

وأمر ﷺ بالتّهيّء لحربهم والسير إليهم، ثم سار بالناس حتّى نزل بهم، فتحصنوا منه في الحصون، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم، على أنّ لهم ما حملت/ الإبل من أموالهم. ففعل، فخلوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت ١١٧/و له ﷺ، خاصّة، يضعها حيث شاء، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين[2].

وفي صحيح البخاري عن عمر رضي الله عنه قال: كانت أموال بني النّضير ممّا أفاء الله على رسوله ممّا لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، ينفق على أهله منها نفقة سنة[3] ثم يجعل ما بقي في السّلاح والكرع عدة في سبيل الله[4].

---

(١) في الأصل: فقال: إنكم.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/١٩٠ - ١٩٢، وبينهما خلاف كما أورد ملخصاً عنها في القسم الأول: ٥٦٣.

(٣) في صحيح البخاري: نفقة سنته.

(٤) صحيح البخاري: ٦/١٨٤، كتاب التفسير، سورة الحشر.

فصل

ومن عصمة الله تعالى له ما ذكره عياض وغيره

قال عياض: ويروى أنّ شيبة بن عثمان[1] الحجبيّ أدرك[2] النبيّ ﷺ يوم حنين، وكان حمزة قد قتل أباه وعمه؛ فقال: اليوم أدرك ثأري من محمّد. فلما اختلط الناس أتاه من خلفه، ورفع سيفه ليصبّه عليه؛ قال: فلما دنوت منه ارتفع إليّ شواظ[3] من النار[4] أسرع من البرق، فولّيت هارباً؛ وأحسّ بي النبيّ ﷺ فدعاني، ووضع[5] يده على صدري، هو أبغض الخلق إليّ، فما رفعها إلاّ وهو أحبّ الخلق إليّ؛ وقال لي: «**ادن فقاتل**»، فتقدمت أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي، ولو لقيت أبي في تلك الساعة لأوقعت به[6].

قلت: وقد ذكر ابن إسحٰق قصة شيبة. وفيه: فبادرت[7] برسول الله ﷺ لأقتله، فأقبل شيء حتى تغشّى فؤادي، فلم أطق ذلك[8]، وعلمت أنّه ممنوع منّي[9].

قال السّهيلي: وقد ذكر هذا الخبر أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة[10] في

---

(١) أبو عثمان شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، القرشي العبدري المكي شهد حنيناً مع المشركين، فقذف الله في قلبه الإيمان في ذلك اليوم، وقاتل مع رسول الله ﷺ، وكان ممّن صبر معه، وأصبح من خيار المسلمين. توفي في آخر خلافة معاوية سنة تسع وخمسين.
● الاستيعاب: ٧١٢/٢ ـ ٧١٣، تر: ١٢٠٥.

(٢) في الشفاء: أدركه يوم حنين.

(٣) شواظ: لهب.

(٤) في الشفاء: من نار.

(٥) في الشفاء: فوضع.

(٦) في الشفاء: به دونه، ٤٩٩/١.

(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: فأدرت برسول الله ﷺ...

(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: فلم أطق ذاك.

(٩) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٤٤/٢.

(١٠) أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب، صاحب التاريخ الكبير، توفي سنة تسع وسبعين ومائتين، عمره أربع وتسعون سنة.
● تذكرة الحفّاظ: ٥٩٦/٢، تر: ٦١٩.

تاريخه. قال: قال شيبة: اليوم آخذ بثأري، فجئت رسول[1] الله ﷺ من خلفه، فلما هممت به، حال بيني وبينه خندق من نار، وسور من حديد. قال: فالتفت إليّ رسول[1] الله ﷺ، وتبسّم، وعرف الذي أردت، فمسح صدري وذهب عنّي[2] الشيطان أو كما قال[3]. وذهب عني بعض ألفاظ الحديث[4].

قلت: ومن عصمة الله تعالى له ﷺ ما ذكره في سيرة ابن إسحٰق أنّ فضالة[5] بن عمير الملوّح الليثي [قال][6] أراد قتل النّبي ﷺ، وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه. قال رسول الله ﷺ: «**أفضالة؟**»، قال: نعم فضالة يا رسول الله[7]، «**ماذا كنت تحدّث به نفسك؟**» قال: لا شيء، كنت أذكر الله؛ قال: فضحك النبيّ ﷺ، ثم قال: «**استغفر الله**»، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه. فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده على صدري[8] حتّى ما من خلق [الله][9] شيء أحبّ إليّ منه.

قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدّث إليها. فقالت: هلمّ إلى الحديث، قلت: لا. وانبعث فضالة يقول: [الكامل]

قالت هلمّ إلى الحديث قلت لا ... يأبى عليكِ الله والإسلام
لو ما رأيت محمدًا وقبيله ... بالفتح يوم تكسّرَ الأصنام
لرأيتِ[10] دين الله أضحى بيننا ... والشّرك يغشى وجهه الإظلام[11]

---

(١) في الروض الأنف: النّبيّ ﷺ.
(٢) في الورض الأنف: وذهب عنّي الشك.
(٣) في الأصل: أذهب.
(٤) الروض الأنف: ٢/٢٠٧.
(٥) فضالة بن عمير بن الملوّح الليثي، أسلم يوم الفتح، وأنشد شعراً، لما شاهد كسر الأصنام في فتح مكة.
● الإصابة: ٣/٣٠٧، تر: ٦٩٩٤.
(٦) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟
(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: عن صدري.
(٩) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(١٠) في الأصل و(د): لرأيت الله دين الله...
(١١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٤١٧.

ومن ذلك خبر عامر بن الطفيل[1] وأربد بن قيس[2] حين وفدا على النبيّ ﷺ.

وكان عامر قال لأربد: أنا أشغل عنك[3] وجه محمد فاضربه أنت. فجعل عامر يكلّم النبيّ ﷺ، وأربد لا يفعل شيئاً. فلما كلّمه في ذلك، قال له: والله ما هممت أن أضربه إلاّ وجدتك بيني وبينه أفأضربك؟ ذكر هذا الحديث ابن إسحٰق[4] وغيره. وفيه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**اللهم أكفني عامر بن الطفيل**»/ فأهلكهما الله سبحانه في مرجعهما [ذلك][5] أما عامر فأصابه الطاعون في عنقه في الطريق فقتله الله به. ١١٨/ظ

وأمّا أربد فبعث الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.

ومن ذلك خبر عمير بن وهب قال ابن إسحٰق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير[6] عن عروة بن الزبير قال: جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية، بعد مصاب أهل بدر، من قريش في الحجر بيسير. وكان عمير بن وهب من شياطين قريش، وكان ممّن يؤذي رسول الله ﷺ

---

(١) أبو علي عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، من بني عامر بن صعصعة: فارس قومه، وأحد فتّاك العرب، وشعرائهم، وساداتهم في الجاهلية، ولد ونشأ بنجد، أدرك الإسلام، فوفد على الرسول ﷺ بالمدينة بعد فتح مكة، يريد الغدر به، فدعاه إلى الإسلام فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة، وأن يجعله ولي الأمر بعده، فردّه. وعاد خنقاً. فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه. وذلك في سنة إحدى عشرة للهجرة.
- الأعلام: ٤/٢٠.

(٢) أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر، أخو لبيد الشاعر لأمه، وهو الذي أراد قتل رسول الله ﷺ مع عامر بن الطفيل، فدعا عليه فرماه الله تعالى بصاعقة فمات.
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص: ٢٨٥.

(٣) في الأصل: عنه.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٦٨/٢.

(٥) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٦) محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام، روى عنه عبيدالله بن أبي جعفر ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري وغيرهما.
- كتاب الجرح والتعديل: ٢٢١/٧، رقم: ١٢٢١.

أصحابه، ويلقون منه غيّاً[1]، وهم بمكة. وكان ابنه وهب[2] في أسارى بدر، فذكر أصحاب القليب[3]، فقال صفوان: والله ما في العيش خير بعدهم؛ فقال له عمير: صدقت والله. أما والله لولا دين عليّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد، حتّى أقتله، فإنّ لي قبلهم علة ابني أسير في أيديهم. قال: فاغتنمها صفوان، وقال: عليّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني [شيء][4] ويعجز عنهم؛ فقال له عمير: فاكتم عليّ[5] شأني وشأنك. قال: أفعل. قال: ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسُمّ، ثم انطلق حتّى قدم المدينة؛ فبينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه[6] في نفر من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوّهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب[7] قد أناخ على باب المسجد متوشّحاً السّيف، فقال: هذا الكلب عدوّ الله عمير بن وهب[8]، ما جاء إلاّ لشرّ، وهذا الذي حرّش بيننا، وحزرنا للقوم يوم بدر، ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ.

فقال عمر: يا نبيّ الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: عناء.
(٢) وهب بن عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، أسلم مع أبيه عمير الذي جاء إلى المدينة متظاهراً بأنّه يريد فداء ابنه الأسير في بدر، وهو يقصد الغدر بالرسول ﷺ، فأعلمه الرسول بنيته، فأسلم وحسن إسلامه، وأمر ابنه فأسلم، وأطلق صراحه بلا فدية، توفي وهب بالشام.
- أ ـ الإصابة: ٦٤٣/٣، تر: ٩١٧٠.
- ب ـ الاستيعاب: ١٥٦١/٤ ـ ١٥٦٢، تر: ٢٧٣٣.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: والله إن في العيش بعدهم خير؛ قال له عمير...
(٤) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: فاكتم شأني وشأنك.
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: بلا ترضية.
(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: حين أناخ...
(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: والله ما جاء...

متوشحاً سيفه؛ قال: «**فأدخله علي**»، قال: فأقبل عمر حتّى أخذ بحمال سيفه في عنقه، فلبّبه بها، وقال لرجال[1] ممّن كانوا معه من الأنصار. ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه[2] هذا الخبيث. فإنّه غير مأمون؛ ثم دخل به على رسول الله ﷺ. فلما رآ رسول الله ﷺ، وعمر آخذ بحمالة سيفه[3]، قال: «**أرسله يا عمر، أدن يا عمير**»؛ فدنا ثم قال: أنعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «**قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام[4] تحية أهل الجنة**»؛ قال: أما والله إن كنت[5] يا محمد بها لحديث عهد؛ قال: «**فما جاء بك يا عمير؟**» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه؛ قال: «**فما بال السيف في عنقك؟**» قال: قبّحها الله من سيوف! وهل أغنت شيئاً! قال: «**أصدقني ما الذي جئت له؟**» قال: ما جئت إلاّ لذلك؛ قال: «**بل عقدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتّى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بدينك، وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك**».

قال عمير: أشهد أنّك رسول الله، قد كنّا يا رسول الله نكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السّماء. وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلاّ أنا وصفوان، فوالله إنّي لأعلم[6] ما أتاك به إلاّ الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق. ثم تشهد بشهادة الحق. فقال رسول الله ﷺ: «**فقّهوا أخاكم في دينه؛ وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره**»، ففعلوا. ثم قال: يا رسول الله، إنّي كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد

---

(١) في (د): لرجل ممن كان معه، وفي الأصل: لرجال ممّن كان معه.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: واحذروا عليه من هذا الخبيث...
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: بحمالة سيفه في عنقه...
(٤) في الأصل: بالإسلام.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد...
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: فوالله إنّي لا أعلم ما أتاك به إلا الله.

الأذى لمن كان على دين الله[1]، وأنا أحبّ أن تأذن لي، فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله[2] وإلى الإسلام، لعلّ الله يهديهم/ وإلاّ آذتيهم في دينهم ١١٩/و كما كنت أوذي أصحابك في دينهم؟ قال: فأذن له رسول الله ﷺ، فلحق بمكة، وكان صفوان[3] حين خرج عمير بن وهب، يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام، تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتّى قدم راكب، فأخبره عن إسلامه، فحلف لا يكلّمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً. فلما قدم عمير مكة قام[4] يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه أذى شديداً. فأسلم على يده ناس كثير[5].



(١) في السيرة النبوية لابن هشام: على دين الله عزّ وجلّ.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: فادعوهم إلى الله تعالى.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: وكان صفوان بن أمية...
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: قام بها يدعو إلى الإسلام.
(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٦١/١ ـ ٦٦٣.

باب جامع لآيات شتّى

روى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم. عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل[1] في أصحاب له جلوس وقد نُحرت جزورة. فقال أبو جهل: أيّكم يقوم إلى سلى جزور بني فلان فيأخذه، فيضعه في كتفي محمد إذ سجد؟ فانبعث أشقى القوم[2] عقبة بن أبي معيط فأخذه. فلما سجد النبيّ ﷺ وضعه بين كتفيه. فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض. وأنا قائم أنظر. لو كانت لي منعة طرحته[3] على ظهر رسول الله ﷺ، والنبيّ ﷺ ساجد[4]، ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة. فجاءت، وهي جويرة، فطرحته عنه. ثم أقبلت عليهم تسبّهم[5].

فلما قضى النبيّ ﷺ صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم. وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً. وإذا سأل سأل ثلاثاً[6]. قال: «**اللهم! عليك بقريش، اللهم! عليك بقريش! اللهم عليك بقريش!**» ثلاثاً. فلمّا سمعوا صوته ذهب عنهم الضِّحْكُ وخافوا دعوته. ثم قال: «**اللهم. عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة**[7] **بن ربيعة**[8]**، وعقبة بن أبي معيط، وأمية بن**

---

(١) في صحيح مسلم: وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نُحرت جزور بالأمس...

(٢) في صحيح مسلم: فانبعث أشقى القوم فأخذه...

(٣) في صحيح مسلم: طرحته عن ظهر...

(٤) في الأصل، و(د): ساجداً ما يرفع رأسه...

(٥) في صحيح مسلم: تشتمهم.

(٦) في صحيح مسلم: ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات.

(٧) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، من زعماء قريش في الجاهلية، كان شديد الأذى للنبيّ ﷺ وللمؤمنين به. ولما كانت وقعة بدر حضرها مع المشركين، ونحر تسع ذبائح لإطعام رجالهم فقتل في بدر.
- الأعلام: ٣/٢٦٤.

(٨) في صحيح مسلم: والوليد بن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط [وذكر السابع ولم أحفظ].

خلف، فوالذي بعث محمداً[1] بالحق! لقد رأيت الذين سمّى صرعى يوم بدر. ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر»[2].

وفي رواية: «**اللهم عليك الملأ من قريش**»[3].

وفي رواية: «**فأقسم بالله لقد رأيتهم صرعى على بدر، قد غيّرتهم الشمس وكان يوماً[4] حاراً**».

وروى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، أنّها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ فقال: «**لقد لقيت من قومك، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة[5]. إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل[6] بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت**».

فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلاّ بقرن الثعالب[7] فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني. فنظرت فإذا فيها جبريل عليه

---

(١) في صحيح مسلم: بعث محمداً ﷺ.

(٢) في صحيح مسلم: قال أبو إسحاق: الوليد بن عقبة غلط في هذا الحديث.

- أ ـ صحيح مسلم: ١٤١٨/٣ ـ ١٤١٩، رقم: ١٧٩٤. كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبيّ ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.
- ب ـ صحيح البخاري: ٥٧/٥، باب ما لقي النبيّ ﷺ بمكة.

(٣) صحيح البخاري: ٥٧/٥، باب ما لقي النبيّ ﷺ بمكة.

(٤) صحيح مسلم: ١٤٢٠/٣، رقم: ١٧٩٤، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبيّ ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

(٥) يوم العقبة: العقبة: منزل في طريق مكة، بعد واقعة وقبل البقاع لمن يريد مكة، وهو ماء لبني عكرمة.

- معجم البلدان: ١٣٤/٤.

(٦) عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، كان وجهاً من وجوه ثقيف، أرسلته قبيلته مع خمسة من رجالهم إلى رسول الله ﷺ ليعلنوا إسلامهم، فأسلموا وحسن إسلامهم، وانصرفوا إلى قومهم ثقيف. فأسلمت بأسرها.

- أ ـ الإصابة: ٣٠٧/١، تر: ١٥٩٠.
- ب ـ الإصابة: ٤٣٢/٢، تر: ٥٢٦٨.
- ج ـ الاستيعاب: ١٠٠٧/٣، تر: ١٧٠٦.

(٧) قرن الثعالب: مكان يبعد على مكة بمرحلتين، وهو قرن المنازل، ميقات أهل نجد.

- معجم البلدان: ٣٣٢/٤.

السلام[1]. فناداني، فقال: إنّ الله[2] قد سمع قول قومك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال، وسلّم عليّ[3]، فقال: يا محمد! إنّ الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال. وقد بعثني ربك إليك لتأمرني[4] بما شئت. إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال له رسول الله ﷺ: **«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»**[5].

فصل

ومن آياته ﷺ ما رواه مسلم عن أبي هريرة [رضي الله عنه أنه قال: يقولون: إن أبا هريرة][6] **أكثر**[7]. **والله الموعد الحديث** وفيه: ولقد قال رسول الله ﷺ[8]: **«أيّكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لن ينسى شيئًا»**[9]، فبسطت بردة علي، حتى فرغ من حديثه. ثم جمعتها إلى صدري. فما نسيت بعد ذلك[10] شيئاً حدّثني به! ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدّثت شيئًا أبداً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾[11] إلى آخر الآيتين[12].

---

(١) في صحيح مسلم: بدون تسليم.
(٢) في صحيح مسلم: فقال: إنّ الله عزّ وجلّ.
(٣) في صحيح مسلم: ثم قال:...
(٤) في صحيح مسلم: لتأمرني بأمرك، فما شئت.
(٥) صحيح مسلم: ٣/١٤٢٠ ـ ١٤٢١، رقم: ١٧٩٥ ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب ما لقي النبيّ ﷺ من أذى...
(٦) في (د) ما بين الحاصرتين ساقط.
(٧) في صحيح مسلم: إنّ أبا هريرة قد أكثر...
(٨) في صحيح مسلم: ولقد قال رسول الله ﷺ يوماً: أيكم...
(٩) في صحيح مسلم: لن ينسى شيئاً سمعه...
(١٠) في صحيح مسلم: فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً.
(١١) البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٩.
(١٢) صحيح مسلم: ٤/١٩٤٠، رقم: ٢٤٩٢. كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه.

١٢٠/ظ

ومن آياته ﷺ ما ذكره ابن القطان وغيره: أنه ﷺ لم يكن له ظل لأنه كان نوراً كلّه.

قال ابن القطان وكما ذكر عن أنس رضي الله عنه قال: شهدت يوم دخول رسول الله ﷺ المدينة فلم أر يوماً أحسن ولا أضوأ منه. وعنه أيضاً أنه قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كلّ شيء - وذكر هذين الحديثين ابن أبي خثيمة، وخرّجهما أبو داود، والتّرمذي، ذكرهما البغوي في مصابيحه عن أنس[1].

كما رُوِيَ عن حمزة الأسلمي[2] قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء فتفرقنا، فأضاءت أصابعي، حتّى جمعوا عليها ظهرهم، وإنّ أصابعي لتضيء.

وذكر ابن القطان عن صلة بن زفر[3] قال: قلت لحذيفة رضي الله عنه: كيف عرفت المنافقين على عهد رسول الله ﷺ، ولم يعرفهم أصحاب النبيّ ﷺ، أبو بكر ولا عمر؟ قال: إنّي كنت أسير خلف رسول الله ﷺ ذات ليلة، فنام على راحلته، فسمعت ناساً منهم يقولون: لو طرحناه عن

---

(١) عدت إلى ابن أبي خثيمة، وأبي داود فلم أجد الحديثين فيهما، ووجدتهما في:
- أ - صحيح الترمذي: ٥/٥٨٨ - ٥٨٩، رقم: ٣٦١٨، كتاب المناقب، باب في فضل النبيّ ﷺ.
- ب - ومصابيح السنة للبغوي: ٤/١٣٣، رقم: ٤٦٦٧ - ٤٦٦٨، كتاب الفضائل والشمائل، باب الهجرة.

(٢) أبو صالح حمزة بن عمرو الأسلمي، وفي الإصابة: حمزة بن عمر، يعد في أهل الحجاز، توفي سنة إحدى وستين، وهو ابن إحدى وسبعين سنة، قال للرسول ﷺ: أجد لي قوة على الصيام في السفر، فهل عليّ جناح؟ فقال رسول الله ﷺ: هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن، ومن أحبّ أن يصوم فلا جناح عليه.
- أ - الاستيعاب: ١/٣٧٥، تر: ٥٤٢.
- ب - الإصابة: ١/٣٥٤، تر: ١٨٢٧.

(٣) صلة بن زفر العبسي الكوفي، تابعي كبير، ثقة، فاضل، مخرّج له في كتب السنّة كلها يروي عن علي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وحدّث عنه أيوب السختيان، وأبو إسحٰق، وغيرهما كثير. توفي في زمن مصعب بن الزبير على العراق.
- سير أعلام النبلاء: ٤/٤١٧، تر: ٢١٠.

راحلته، فاندفقت[1] عنقه واسترحنا منه. فسرت بينه وبينهم. وجعلت أقرأ وأرفع رأسي، فانتبه النبيّ ﷺ فقال: «**من هذا؟**» فقلت: حذيفة. فقال: «**ومن هؤلاء خلفك؟**» فقلت: فلان وفلان، حتّى عددتهم. قال: «**وسمعت ما قالوا؟**» قلت: نعم، ولذلك سرت بينك وبينهم.

قال: «**فإنّ هؤلاء فلاناً وفلاناً منافقون فلا تخبرنّ أحداً**» ـ وهذا الحديث ذكره ابن السّكن.

قلت: وقد صحّ عنه ﷺ أن عينيه تنامان ولا ينام[2] قلبه[3].

وروينا في جامع التّرمذي عن أبي عثمان[4]، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: صلّى رسول الله ﷺ العشاء ثم انصرف، فأخذ بيد عبدالله بن مسعود حتى خرج به إلى بطحاء مكة، فأجلسه، ثم خطّ عليه خطاً، ثم قال: «**لا تبرح[5] من خطك، فإنّه[6] سينتهي إليك رجال فلا تكلمهم، فإنّهم لا يكلمونك**». قال: ثم مضى رسول الله ﷺ، حيث أراد. فبينا أنا جالس في خطّي، إذ أتاني رجال كأنّهم الزّط[7]. أشعارهم وأجسامهم لا أرى عورة ولا أرى قِشْراً، وينتهون إليّ، لا يجاوزون الخط، ثم يصدرون إلى رسول الله ﷺ ـ حتّى إذا كانوا[8] من آخر الليل جاءني رسول الله ﷺ وأنا

---

(١) في الأصل: فاندبقت عنه.

(٢) في الأصل: ينوم.

(٣) صحيح البخاري: ٢٣١/٤، باب كان النبيّ ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه.

(٤) أبو عثمان عبدالرحمٰن بن ملّ النهدي البصري، أدرك زمن النبيّ ﷺ، وارتحل في زمن عمر، فسمع منه، ومن ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأسامة بن زيد، وجماعة. وروى عنه قتادة، وخالد الحذاء، وداود بن أبي هند، وغيرهم، شهد اليرموك، وصحب سلمان اثنتي عشرة سنة، توفي سنة مائة أو بعدها بقليل.

● تذكرة الحفاظ: ٦٥/١ ـ ٦٦، تر: ٥٦.

(٥) صحيح الترمذي: لا تبرحنّ خطك.

(٦) في الأصل: فإنّي سينتهي...

(٧) الزُّطُّ: جيل من السودان، من أهل السنة.

(٨) في صحيح الترمذي: حتّى إذا كان من آخر الليل لكن رسول الله ﷺ قد جاءني وأنا جالس، فقال: أراني منذ الليلة ثم دخل علي في خطي...

جالس، فدخل عليّ في خطّي، فتوسّد فخذي فرقد. وكان ﷺ إذا رقد نفخ. فبينا أنا قاعد ورسول الله ﷺ متوسّد فخذي إذا أنا برجال عليهم ثياب بيض، الله أعلم ما بهم من الجمال ـ فانتهوا إليّ، فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ، وطائفة منهم عند رجليه، ثم قالوا بينهم: ما رأينا عبداً[1] قط مثل ما أوتي هذا النبيّ، إنّ عينيه[2] تنامان وقلبه يقظان، اضربوا له مثلاً، مثل سيّد بنى قصراً، ثم جعل مأدبة، فدعا الناس إلى طعامه وشرابه، فمن أجاب[3] أكل من طعامه، وشرب من شرابه، ومن لم يجبه عاقبه، أو قال: عذّبه، ثم ارتفعوا، واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك. فقال: **«سمعت ما قال هؤلاء، وهل تدري من هم[4]؟»** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **«هم الملائكة، فتدري ما المثل الذي ضربوا؟»** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **«المثل الذي ضربوا: الرحمٰن تبارك وتعالى بنى الجنّة، ودعا إليها عباده، فمن أجابه، دخل الجنة، ومن لم يجبه عاقبه، أو قال[5]: عذّبه»**.

قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه[6].

وقد روى البخاري عن جابر رضي الله عنه نحو هذا. قال: جاءت ملائكة إلى النبيّ ﷺ وهو نائم[7] فقالوا: إنّ لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً[8]، قال بعضهم: إنّه نائم، وقال بعضهم: إنّ العين نائمة والقلب

---

(١) في الأصل: عبد.
(٢) في الأصل و(د): عينه تنامان.
(٣) صحيح الترمذي و(د): فمن أجابه...
(٤) صحيح الترمذي و(د): وهل تدري من هؤلاء؟
(٥) صحيح الترمذي و(د): ومن لم يجبه عاقبه أو عذّبه.
(٦) صحيح الترمذي: ١٤٥/٥ ـ ١٤٦، رقم: ٢٨٦١ ـ كتاب الأمثال ـ باب ما جاء في مثل الله لعباده.
(٧) في صحيح البخاري: فقال بعضهم: إنّه نائم، وقال بعضهم: إنّ العين نائمة والقلب يقظان...
(٨) في صحيح البخاري: فقال...

يقظان. فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار، وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل، ولم يأكل[(١)]، وقالوا: أوّلوها له يفقهها[(٢)].

قال بعضهم: إنّه نائم وقال بعضهم: إنّ العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنّة/ والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً[(٣)] فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً[(٣)] فقد عصى الله. ومحمد فرّق بين الناس[(٤)].

١٢١/و

ومن آياته ﷺ ما ذكره ابن القطان. قال: رُوِيَ عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: بينا نحن عند رسول الله ﷺ، إذا بامرأة يهودية قد وقفت علينا، وهي تبكي، وترثي ولداً لها، وهي تقول: [الرمل]

بأبي أفديك يا نور الحلك	ليت شعري أيّ شيء ختلك
غبت عنّي غيبة موحشة	أترى ذيب يهود أكلك
إن تكن ميتاً فما أسرع ما	كان في مرّ الليالي أجلك
أو تكن حيّاً فلا بدّ لمن عا	ش أن يرجع من حيث سلك
قد ثوى يوسف في الجبّ وقد	كان مملوكاً لقوم فملك
فعسى من سرّ يعقوب به	ورعى يوسف أن يلطف لك

فقال لها رسول الله ﷺ: «**يا هذه ما لك؟**» قالت: كان لي ولد يلعب بين يدي، فما أدري الأرض ابتلعته أم الرياح اختطفته؟ فقال لها ﷺ: «**يا هذه أرأيت إن جمعت بينك وبينه أتؤمنين بي؟**» قالت: أي وربّ الأشياخ الكرام إبراهيم وإسحٰق ويعقوب. قال: فتوضأ رسول الله ﷺ ودعا، فإذا بالطفل واقف بين يدي أمّه. فقال له النبيّ ﷺ: «**أخبرني بقصتك يا غلام**». قال: يا

(١) في صحيح البخاري: ولم يأكل من المأدبة، فقالوا...
(٢) في الأصل: يفقها.
(٣) في صحيح البخاري: ﷺ.
(٤) صحيح البخاري: ١١٤/٩ ـ ١١٥، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

نبيّ الله! كنت ألعب بين يدي أمّي، فاختطفني عفريت كافر، فلمّا دعوت صلّى الله عليك، سلط الله عليه عفريتاً مؤمناً أشدّ منه وأعظم خلقاً، فاختطفني، وانتزعني منه، فها أناذا واقف بين يديك ﷺ، فقالت المرأة: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأنّك محمد رسول الله، وذكر هذه الآية أبو محمد السّالمي[١].

فصل ومن آياته ﷺ ما رواه البخاري ومسلم عنه ﷺ أنّه قال: لا تقوم السّاعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها[٢] أعناق الإبل ببصرى[٣].

قال القرطبي في تذكرته: فقد خرجت نار عظيمة، وكان بدأها زلزلة عظيمة، وذلك ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الأخيرة سنة أربع وخمسين وستمائة إلى ضحى النهار يوم الجمعة، فسكنت وظهرت النار بقريظة عند قاع التّنعيم[٤] بطرف[٥] الحرة، ترى في صورة البلد

---

(١) أبو محمد السالمي: كعب بن عُجْرة - بضم العين وسكون الجيم - بن أمية بن عدي البلوي، صحابي، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وفيه نزلت الآية الكريمة: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦] نزل الكوفة، وتوفيّ بالمدينة في سنة إحدى وخمسين أو اثنتين أو ثلاث، عن خمس وسبعين سنة.

● أ - الاستيعاب: ٣/١٣٢، تر: ٢١٩٧.

● ب - لباب اللباب في تحرير الأنساب: ٢/٥، رقم: ٢٠٢٤. لجلال الدين السيوطي، تح: محمد أحمد عبدالعزيز، وأشرف أحمد عبدالعزير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٢) في صحيح مسلم: تضيء أعناق الإبل ببصرى.

(٣) ● أ - صحيح البخاري: ٩/٧٣، باب خروج النار.

● ب - صحيح مسلم: ٤/٢٢٢٧ - ٢٢٢٨، رقم: ٢٩٠٢. كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتّى تخرج نار من أرض الحجاز.

(٤) قاع التنعيم: القاع: ما انبسط من الأرض، ليس فيها تطامن ولا ارتفاع. والتنعيم: موضع بمكة في الحلّ، على فرسخين منها، منه يحرم المكيّون بالعمرة، وسُمي بذلك لأنّ جبلاً عن يمينه يقال له نعيم، والآخر عن شماله يقال: ناعم، والوادي نعمان.

● معجم البلدان: [٢/٤٩]، [٤/٢٩٨].

(٥) في (ر): فطرف الحرّة.

العظيم كأعظم ما يكون من البلدان عليها سور محيط بها، عليه شراريف كشراريف الحصون وأبرج ومواذن، ويرى[1] رجال يقودونها، لا تمر على جبل إلاّ دكته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك[2] نهر أزرق له دويّ كدوي الرعد، يأخذ الجبال والصخور بين يديه، وينتهي إلى البحرة[3]، محط الركب العراقي، فاجتمع من ذلك ردم. صار كالجبل العظيم، وانتهت النار إلى قرب المدينة، وكان يلي المدينة ـ ببركة النبيّ ﷺ ـ نسيم بارد. ويشاهد من هذا النار غليان كغليان البحر. وانتهت إلى قرية من قرى اليمن فأحرقتها.

قال القرطبي: قال لي بعض أصحابنا: ولقد رأيتها صاعدة في الهواء من حجر[4] مسيرة خمسة أيام من المدينة.

قال القرطبي: وسمعت أنّها رئت من مكة، ومن جبال بُصرى، ثم نشأ من هذه النار نار أخرى أرضية بحرم المدينة، أحرقت جميع الحرم، حتّى أنّها أذابت الرصاص التي العمد عليها، فوقعت، ولم يبق غير السور واقفاً[5].

قلت: ولمّا ذكر ابن القطان هذا الحديث قال: فقد كان هذا منذ عامين اثنين، ونحوهما ظهرت نار بأحد، استفاض خبرها، وعظم أمرها، وطال مكثها، لا تضطرم في غير الحجارة، يظهر فيها شبه أعناق الإبل/ وحصون ذات شرفات ـ أخبرني بذلك غير واحد [من الحجيج] ممّن شاهدها وأمرها مشهور.

١٢٢/ظ



(١) في (د): ويروى: رجال...
(٢) في التذكرة: نهر أحمر ونهر أزرق.
(٣) البحرة: من قرى البحرين لعبدالقيس.
● مراصد الاطلاع: ١٦٧/١.
(٤) حجر: مدينة باليمامة، وأمّ قراها، وأصلها الحنيفية، ولكل قوم منها خطة كالبصرة.
● مراصد الاطلاع: ٣٨٢/١.
(٥) التذكرة وأحوال الموتى وأمور الآخرة: ٨٢٠/٢ ـ ٨٢١.

باب في حديث أمّ معبد وما اشتمل عليه من عجائب الآيات

ولمّا هاجر النبيّ ﷺ وتبعه سراقة حسبما قدمناه، ورجع سراقة يخفي خبر رسول الله ﷺ، ويقول للناس: كفيتم ما هٰهنا، فعمي على كفار مكة خبره لا يدرون أين توجّه.

قال ابن إسحٰق: قالت أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما: فمكثنا ثلاث ليال، وما ندري[1] أين توجّه[2] رسول الله ﷺ، حتّى أقبل رجل من الجنّ من أسفل مكة، يتغنّى بأبيات من الشّعر[3]، غناء العرب. وإنّ الناس ليتبعونه[4] ويسمعون صوته ولا يرونه، حتّى خرج من أعلى مكة وهو يقول: [من الطويل]

جزى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه ... رفيقين حلاّ خيمتيْ أمّ معبد
هما نزلا بالبرِّ ثمّ ترحّلا[5] ... فأفلح من أمسى رفيقَ محمد
فيا لقصيٍّ[6] ما زَوى الله عنكُمُ ... به من فعال لا يجارى[7] وسؤدد[8]

---

(١) في (د) و(ر): ما ندري...
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: أين وجه...
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: من شعر، غناء العرب، وإنّ الناس ليتبعونه، يسمعون صوته، وما يرونه.
(٤) في (د) ليتبعون صوته، ولا يرونه...
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: ثم تروّحا.
(٦) بنو قصي: بطن من قريش من العدنانية، واسم قصي، زيد، وقيل: يزيد، وسُمي كذلك لأنّ أمّه فاطمة بنت سعد لمّا تأيّمت من كلاب بن مرة، وقصي في حجرها، تزوجها ربيعة من حزام العذري، وسار بها إلى الشام فحملته معها، فنشأ مع أخواله بني كلب في باديتهم، وتقصّى فسمي قصياً، وكان سيد قريش ورئيسهم.
- نهاية الأرب: ص/٣٥٧ ـ ٣٥٨، تر: ١٤٥٩.
(٧) في الروض الأنف: لا يجازى.
(٨) في الروض الأنف: ورد بعد البيت الذي يليه وفي السيرة النبوية لابن هشام: سقط هذا البيت.

لِيَهنِ بني كعب[1] مكان فتاتهم[2] ومقعَدُها للمؤمنين بِمرصَد[3]
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنّكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حافل[4] فتحلّبتْ له بصريح ضرَّة الشّاة مزبد
فغادرها رهْناً لديها لحالب[5] يُردّدها في مصدرٍ ثم مَوْرِد

فروي أن حسّان بن ثابت لما بلغه شعر الجني وما هتف به قال يجيبه: [من الطويل]

لقد خاب قوم زال[6] عنهم نبيّهم وقد سُرَّ[7] من يسري إليهم ويغْتَدي
ترحّل عن[8] قوم فضلّتْ عقولُهم وحلّ على قوم بنور مُجدَّدَ
هداهم به بعد الضلالة ربُّهم وأرشدهم من يتبع[9] الحقّ يَرْشُد
وهل يستوي ضُلالُ قوم تسفّهوا عَمًى وهداةٌ يهتدون بمهتد[10]
لقد نزلتْ منه على أهل يثربٍ رِكابُ هدًى حلّت عليهم بأسْعُد
نبيٌّ يرى ما لا يرى النّاسُ حوله ويتلو كتابَ الله في كلّ مسجد[11]
وإن قال في قوم[12] مقالةَ غائبٍ فتصديقُه في اليوم أو في ضحى الغد

---

(١) بنو كعب: بطن من خزاعة من بني مزيقيا، من الأزد من القحطانية، وهم عدة بطون.
● نهاية الأرب: ٣٦٤، تر: ١٤٨٣.
(٢) في الروض الأنف: مقام فتاتهم.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٨٧/١.
(٤) في الروض الأنف: بشاة حائل.
(٥) في الروض الأنف: لديها بحالب.
(٦) في (ر): غاب عنهم...
(٧) في الأصل: وقد من يسري... وفي (د): وقدّس من يسرى.
(٨) في الأصل: ترحّل من قوم...
(٩) في (د) و(ر): من يبتغ الحقّ...
(١٠) في الروض الأنف: ورد عجز البيت هكذا: عمايتهم، هاد بها كل مهتد.
(١١) في الروض الأنف: في كل مشهد.
(١٢) في الروض الأنف: وإن قال في يوم مقالة غائب...

لـيَـهْـنِـىءِ أبـا بـكـر سـعـادةُ جَـدِّه   بـصُـحـبـتـه مَـن يُـسعِـدِ اللهُ يَـسْـعَـد[1]

قلت: ذكر هذه الأبيات وجواب حسان، جماعة منهم السّهيلي، وأبو الربيع الكلاعي، وابن القطان، وغيرهم. وسأذكر بقية القصة عنهم بكمالها، إن شاء الله تعالى، وبعضهم يزيد على بعض، وألفاظهم متقاربة.

قالت أسماء[2] رضي الله عنها: فلما سمعنا قول الجني عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ، وأنّ وجهه إلى المدينة[3].

قال أبو الربيع: وقد روينا بالإسناد من طرق: أنّ أمّ معبد هذه امرأة من بني كعب من خزاعة، وأن رسول الله ﷺ، حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة، هو وأبو بكر، ومولاه عامر بن فهيرة، ودليلهم عبدالله بن أريقط[4]، مرّوا على خيمتي أمّ معبد، وكانت امرأة برزة جلدة، تحتبي وتقعد بفناء خيمتها لتسقي وتطعم، فسألوها: تمراً ولحماً، يشترونه منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك.

وكان القوم مرملين مسنتين فقالت: والله[5] لو كان عندنا شيَء ما أعوزكم القرى. فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة. فقال: «**ما هذه الشاة يا أمّ معبد**»/ قالت شاة: خلفها الجهد عن الغنم، فقال: «**هل بها من لبن؟**» قالت: هي أجهد من ذلك. قال: «**أتأذنين لي أن أحلبها؟**» قالت:

١٢٣/و

---

(١) ● أ ـ الروض الأنف: ٤/٢٢٠ ـ ٢٢٥.
● ب ـ السيرة النبوية لابن كثير: ٢/٢٥٥.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما: فلما سمعنا قوله، عرفنا...

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٤٨٨.

(٤) عبدالله بن أريقط: ويقال: أريقد ـ بصيغة التصغير ـ الليثي ثم الديلي، دليل النبيّ ﷺ وأبي بكر، لما هاجر إلى المدينة، وكان على دين قومه، ولم يذكره في الصحابة إلاّ الذهبي في التجريد.
● الإصابة: ٢/٢٧٤، تر: ٤٥٢٦.

(٥) في الأصل: ذكر «والله» مرتين.

نعم. بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها. فدعا رسول الله ﷺ بالشاة، فاعتقلها، ومسح ضرعها. وذكر اسم الله وقال: «**اللهم بارك لها في شاتها**». قال: فتفاجّت، ودرّت، واجترّت، ودعا بإناء يربض الرّهط، فحلب فيه ثجّاً حتّى علاه البهاء.

وعند السهيلي: حتّى ملأه، فسقاها، فشربت، حتّى رويت، وسقى أصحابه، حتّى رووا، وشرب ﷺ آخرهم. فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل، حتى أراضوا، ثم حلب فيه ثانياً بعد بدء، حتّى ملأ الإناء، ثم غادره عندها. ثم ارتحلوا عنها، فقلّ ما لبث أن جاء زوجها أبو معبد[1] يسوق أعنزاً عجافاً، فلمّا رأى اللبن عجب وقال: من أين هذا اللبن يا أمّ معبد!؟ والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت. قال: لا والله إلا أنّه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، قال: صفيه لي يا أمّ معبد؟ قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوفاءة أبلج الوجه، حسن الخلق، لم يعبه ثجله، ولم يزر به صعله، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثافة أحور، أزجّ، أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعليه[2] البهاء أجمل الناس من بعيد، وأحلاه وأحسنه[3] من قريب، حلو المنطق، فصل، لا نزر، ولا هدر، كأنّ منطقه خرزات نظم ينحدرن، ربعة، لا ييأس من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفّون به، إن قال نصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند.

فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه. ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

---

(١) أبو معبد الخزاعي، زوج أمّ معبد الخزاعية، كان يسكن قديداً، وتوفي قبل موت النبيّ ﷺ، له رواية عن رسول الله ﷺ.
- أ ـ الاستيعاب: ١٧٥٩/٤، تر: ٣١٧٦.
- ب ـ الإصابة: ١٨٠/٤ ـ ١٨١، تر: ١٠٦١.

(٢) في (د) و(ر): وعلاه البهاء.

(٣) في (د): وسناه...

وعند ابن القطان: ولو كنت وافقته لا التمست أن أصحبه ولأفعلنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

ثم أسلمت أمّ معبد بعد ذلك وزوجها، وهاجرا.

تفسير غريب الحديث: قال السّهيلي: قولها: ودعا بإناء يربض الرهط: أي يشبع الجماعة حتّى يربضوا[1] وقولها: ظاهر الوضاءة: أي ظاهر الحسن، والجمال.

قال ابن القطان: ومنبلج الوجه: أي مشرقه وقيره.

وقولها: لم يعبه ثجله: الثجله عظم البطن واسترخاء أسفله. والوسيم: تُزيد به الحسن والجمال، وكذلك القسيم. والدّعج: السّواد في العين. قال عياض: والأدعج: الشّديد سواد الحدقة، وفي حديث هند بن أبي هالة[2] أزجّ الحاجبين. قال عياض: الحاجب الأزجّ: المقوّس الطويل[3] الوافر[4] وأهدب الأشفار أي طويلها.

قال ابن القطان: والأحور: الشديد سواد أُصُول أهداب العين خِلقة ـ والصّعل: صغر الرأس، وفي عنقه سطع: أي طويل. قولها[5]: ربعة لا ييأس من طول. يبيّنه قول غيرها ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد.

قال أبو الفضل في الشفاء: ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلاّ طاله ﷺ[6]. وهذه إحدى معجزاته وباهر آياته ﷺ.

وفي حديث غيرها: رجل الشعر. إذا افترّ ضاحكاً افتر عن مثل

---

(١) الروض الأنف: ٢٢٦/٤.
(٢) أبو هالة: زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، قبل أن يتزوجها الرسول ﷺ وقد توفي قبل البعثة.
(٣) في الشفاء: الوافر الشعر.
(٤) الشفاء: ٢١٠/١.
(٥) في الأصل: قوله ربعة.
(٦) الشفاء: ٨٣/١.

سني البرق، وعن مثل حبّ الغمام، وإذا تكلم رىء كالنور يخرج من ثناياه، أحسن الناس عنقاً، ليس بمطهر ولا مكلثم. متماسك البدن. انتهى من الشفاء[1] وسيأتي لوصفه ﷺ مزيد بيان في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

قلت: تأمّل قولها: له رفقاء يحفّون به، إن قال نصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود. فهذه كانت أحوال الصحابة رضي الله عنهم، مع سيدنا محمد ﷺ، وهذا نحو ما وقع في الصحيح من حسن طاعتهم، ومحبّتهم لنبيهم رضي الله عن جميعهم.

فقد خرّج البخاري ـ في صحيحه ـ من حديث عروة بن مسعود[2] الثقفي حين بعثته[3] قريش عام الحديبية قال: فجعل عروة يرمق أصحاب النّبيّ ﷺ/ بعينه قال: فوالله ما تنخّم رسول الله ﷺ نخامة إلاّ وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ، كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون النظر إليه، تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أيا قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد[4] محمداً، والله إن تنخم نخامة إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم. فدلك بها وجهه وجلده، وإذا

١٢٤/ظ

---

(١) الشفاء: ١/٨٣ ـ ٨٤.

(٢) أبو مسعود عروة بن مسعود بن معتّب بن مالك الثقفي، كان يُشبَّه بالمسيح عليه السلام في صورته، أسلم بعد انصراف رسول الله ﷺ من الطائف، حيث اتبع أثره فأدركه قبل أن يصل إلى المدينة، وسأل رسول الله ﷺ أن يأذن له بالرجوع إلى قومه، فقال له: إنهم قاتلوك، فقال يا رسول الله: أنا أحبّ إليهم من أبصارهم، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام، فلما عرفوا منه إسلامه رموه بالنبل من كل مكان، فأصابه سهم فقتله. وقال فيه عمراً شعراً يرثيه.

● الاستيعاب: ٣/١٠٦٦ ـ ١٠٦٧، تر: ١٨٠٤.

(٣) في الأصل: حين بعثه قريش.

(٤) في (د): يرى.

أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يجدّون[(١)] النظر إليه تعظيماً له[(٢)] ـ الحديث ـ[(٣)].

قال ابن القطان وقولها: محفود: أي مخدوم. ومحشود: أي معد له مجمع ـ لا عابس: أي ليس لعابس الوجه. ولا مفنّد: أي ليس فيه أثر هرم. والفند: الهرم.

قال السّهيلي: وفي حديث آخر: أنّ آل أمّ معبد، كانوا يؤرخون بذلك اليوم[(٤)] الذي دخل عليهم فيه النّبيّ ﷺ ويسمونه: يوم الرجل المبارك، يقولون: فعلنا كيت وكيت قبل أن يأتينا الرجل المبارك، أو بعد ما جاءنا[(٥)] الرجل المبارك، ثم إنّ أمّ معبد أتت المدينة بعد ذلك ومعها ابن صغير قد بلغ[(٦)] السّعي، فمرّ في المدينة على مسجد النّبيّ[(٧)] ﷺ وهو يكلّم الناس على المنبر، فانطلق إلى أمّه يشتدّ، فقال لها: يا أمّتاه إنّي رأيت اليوم الرجل المبارك، فقالت له: يا بني[(٨)] هو رسول الله ﷺ[(٩)].



---

(١) في (ر): وما يحدين النظر...

(٢) في صحيح البخاري: تعظيماً له ﷺ.

(٣) صحيح البخاري: ٣/٢٥٤ ـ ٢٥٥، باب، الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

(٤) في الروض الأنف: يؤرخون بذلك اليوم ويسمونه...

(٥) في الروض الأنف: وبعد ما جاء الرجل المبارك، ثم إنّها أتت المدينة بعد ذلك بما شاء الله، و...

(٦) في الأصل: قد أبلغ السعي.

(٧) في الروض الأنف: على مسجد رسول الله ﷺ.

(٨) في الروض الأنف: يا بني ـ ويحك ـ هو رسول الله ﷺ.

(٩) الروض الأنف: ٤/٢٢٧.

باب في كتب[1] النبيّ ﷺ إلى هرقل وغيره يدعوهم إلى الإسلام وما في ذلك من باهر الآيات، والإعلام بنبوّته ورسالته عليه الصلاة والسلام

روينا في صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنّ أبا سفيان بن حرب أخبره أنّ هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ـ وكانوا تجاراً بالشام ـ في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ[2] فيها أبا سفيان بن حرب وكفّار قريش. فأتوه وهو بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الرّوم، ثم دعاهم، ودعا ترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنّه نبيّ، قال أبو سفيان قلت: أنا أقربهم نسباً قال: أدنوه منّي، وقرّبوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إنّي سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذّبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً لكذبت عليه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول، منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس اتّبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتدّ أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا. ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.

قال: ولو تمكنّي كلمة[3] أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا

(١) في (ر): في كتاب.

(٢) يشير بهذا إلى صلح الحديبية الواقع في آخر السنة السادسة للهجرة.

(٣) في صحيح البخاري: ولم تمكني كلمة... ورواية مسلم أوضح حيث تقول: قال: فوالله! ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه...

وبينه سجال، ينال منّا، وننال منه. قال: ماذا يأمركم به[1]؟ قلت: يقول: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة.

فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه، فذكرت أنّه فيكم ذو نسب، وكذلك الرّسل، تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله؟ فذكرت أن لا. فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله/ لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله. ١٢٥/و

وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا. فقلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا. فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على النّاس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أنّ ضعفاءهم اتّبعوه ـ وهم أتباع الرسل ـ وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون. وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتدّ أحد سخطة لدينه، بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا. وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد[2]. وعند مسلم ـ وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب[3].

وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا. وكذلك الرّسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنّه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق، والعفاف. فإن كان ما تقول

(١) في صحيح البخاري: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به...

(٢) في صحيحي البخاري ومسلم: جملة «لا يسخطه أحد» ساقطة.

(٣) بشاشة القلوب: انشراح الصّدر، واللطف بالشخص عند قدومه وإظهار السرور لرؤيته.

حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم. فلو أنّي أعلم[1] أخلص إليه، لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه[2].

وفي رواية أخرى للبخاري: وسألتك ماذا يأمركم[3] به؟ فزعمت أنّه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عمّا كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة، والصدق والعفاف والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة. قال: وهذه صفة نبيّ. قد كنت أعلم أنّه خارج، ولكن لم أظن أنه منكم ـ الحديث[4].

قال أبو سفيان ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بُصْرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: «**بسم الله الرحمـٰن الرحيم من عبد[5] الله رسول الله إلى هرقل عظيم الرّوم، سلام على من اتّبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسْلِم[6] تسْلَم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرّتين وإن تولّيت فإن عليك إثم الأريسيين[7]، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون**»[8].

---

(١) في صحيحي البخاري ومسلم: اعلم أني أخلص إليه...

(٢) ● أ ـ صحيح البخاري: ١/٥ ـ ٦، واللفظ له ـ والحديث لم يبوّب له، وفي رواية: باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.
● ب ـ صحيح مسلم: ٣/١٣٩٣ ـ ١٣٩٥، رقم: ١٧٧٣، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبيّ ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام.

(٣) في صحيح البخاري: بماذا يأمركم؟

(٤) صحيح البخاري: ٤/٥٧، باب دعاء النبيّ ﷺ إلى الإسلام والنبوّة.

(٥) ● أ ـ في صحيح البخاري: من محمد عبدالله ورسوله، وفي رواية له: من محمد بن عبدالله.
● ب ـ وفي صحيح مسلم: من محمد رسول الله...

(٦) وفي صحيح مسلم: أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرّتين، فإن تولّيت...

(٧) الأريسيون: الفلاحون، والزّراع والأكّارون.

(٨) آل عمران: ٦٤.

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصّخب، وارتفعت الأصوات وأُخرجنا. فقلت لأصحابي: لقد أَمِر أَمْر ابن أبي كبشة[1] إنّه ليخافه[2] ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أن سيظهر، حتّى أدخل الله عليّ الإسلام.

وكان ابن الناطور صاحب إيلياء، أسقفاً على نصارى الشام، يحدّث: أنّ هرقل حين قدم إيلياء، أصبح يوماً خبيث النفس. فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك.

قال ابن الناطور[3]: وكان هرقل جزّاء[4] ينظر في النّجوم. فقال لهم حين سألوه: إنّي رأيت الليلة حين نظرت في النجوم[5] إنّ ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلاّ اليهود فلا يهمنّك شأنهم.

واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم، أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان، يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل، قال: اذهبوا فانظروا مختتن[6] هو أم لا؟ فنظروا إليه، فحدّثونه أنّه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم مختتنون[7]. فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمّة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى

---

(١) ابن أبي كبشة: يريد بابن أبي كبشة محمداً ﷺ. واختلف في السبب الذي كانت قريش من أجله تقول للنبيّ ﷺ ابن أبي كبشة، فقيل: إنّه كان له جدّ من قبل أمّه، وهو أبو قيلة، وقيلة أمّ وهب بن عبد مناف بن زهرة، وهو من بني غبشان من خزاعة، يدعى أبا كبشة، كان يعبد الشّعري، ولم يكن أحد من العرب يعبد الشعري غيره، خالف العرب في ذلك، فلما جاءهم النّبيّ ﷺ بخلاف ما كانت العرب عليه، قالوا: هذا ابن أبي كبشة. وقيل: إن أباه من الرضاعة الحارث بن عبدالعزّى بن رفاعة السّعدي زوج حليمة السعدية، كان يدعى أبا كبشة، فنسبوه إليه.

● الاستيعاب: ١٧٣٨/٤ ـ ١٧٣٩، تر: ٣١٤٣.

(٢) في صحيح البخاري: إنّه يخاف ملك بن الأصفر...

(٣) في (ر): ابن الناظر.

(٤) في (ر): جزاء، وفي (د): حذّاء.

(٥) في صحيح البخاري: نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر...

(٦) في صحيح البخاري: فانظروا أمختتن هو أم لا؟

(٧) في صحيح البخاري: هم يختتنون.

صاحب له برومة[1] - وكان هرقل - نظيره في العلم - وصار هرقل إلى حمص[2]، فلم يرم حمص حتّى أتاه كتاب صاحبه[3] يوافق رأي هرقل، على خروج النّبيّ ﷺ وأنّه[4] نبيّ، فأذن[5] لعظماء الرّوم في دسكرة[6] له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغُلّقت، ثم اطّلع، فقال: يا معشر الرّوم هل لكم[7] في الفلاح والرّشد، وأن يثبت ملككم فتتابعوا[8] هذا النبيّ؟ فحاصوا[9] حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلّقت/ فلما رأى هرقل نفرتهم، ويئس من الإيمان. قال: ردّوهم عليّ. وقال: إنّي قلت مقالتي آنفاً، اختبرت[10] بها شدّتكم على دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحببت، فسجدوا له ورضوا عنه. فكان ذلك آخر شأن هرقل. رواه صالح[11] بن كيسان ويونس[12]

١٢٦/ظ

(١) في صحيح البخاري: برومية.

(٢) حمص: بلد مشهور كبير مسور يقع بين دمشق وحلب في نصف الطريق يسمى باسم من أحدثه، وهو حمص بن مكنف العمليقي، وبها قبر خالد بن الوليد وابنه عبدالرحمٰن وغيرهما من الصحابة الكرام.

● مراصد الاطلاع: ٤٢٥/١.

(٣) في صحيح البخاري: أتاه كتاب من صاحبه يوافق...

(٤) في الأصل: وأنّى.

(٥) في صحيح البخاري: فأذن هرقل لعظماء الروم.

(٦) الدّسكرة: بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم، فيها الشراب والملاهي، يكون للملوك.

(٧) في (د): هل لك في الفلاح.

(٨) في (د): وفي بعض روايات البخاري: فتبايعوا هذا النبيّ؟

(٩) في (ر): فصاحوا صيحة حمر الوحش.

(١٠) في صحيح البخاري: أختبر بها شدّتكم على دينكم، فسجدوا له ورضوا عنه.

(١١) الحافظ صالح بن كيسان المدني. لقي جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ. كان مؤدب أولاد عمر بن عبدالعزيز. توفي بعد أربعين ومائة وهو ابن مائة ونيف وستين سنة.

● أ - تذكرة الحفاظ: ١٤٨/١ - ١٤٩، تر: ١٤٢.

● ب - طبقات الحفاظ، للسيوطي، ٧٠ - ٧١، تر: ١٣٧.

(١٢) أبو بكر يونس بن بكير بن واصل الشيباني الكوفي الجمال، صاحب المعازي، توفي سنة تسع وتسعين ومائة.

● تذكرة الحفاظ: ٣٢٦/١ - ٣٢٧، تر: ٣١٠.

ومعمر[1] عن الزهري[2].

تفسير غريب هذا الحديث قوله ﷺ: **«فإن تولّيت فإنما عليك إثم الأريسيين»**.

قال المازري[3]: قد اضطرب في معنى هذه اللفظة. وأمثل ما أحفظ في ذلك أنّ المراد بها الأكّارون[4] فيكون المعنى على هذا عليك إثم رعاياك[5].

قال عياض: في إكماله، ويعضد هذا التأويل الذي أختاره، أنّه قد جاء منصوصاً في الحديث، ذكره أبو عبيد[6] في كتاب الأموال، وقال فيه: إن لم تدخل في الإسلام فأعط الجزية، ثم قال: وإلاّ فلا تحُل بين الفلاحين وبين الإسلام.

---

(١) أبو عروة معمر بن راشد الأزدي الحراني البصري، نزيل اليمن. قال عبدالرزاق كتبت عن معمر عشرة آلاف حديث. وكان أول من صنّف باليمن. توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة.
- أ ـ تذكرة الحفاظ: ١٩٠/١ ـ ١٩١، تر: ١٨٤.
- ب ـ طبقات الحفاظ: ٨٨/١ ـ ٨٩، تر: ١٧٤.

(٢) صحيح البخاري: ٧/١ ـ ٨، كيف كان بدء الوحي.

(٣) المازري: أبو عبدالله محمد بن علي بن عمر التميمي، ولد بمازر بجزيرة صقلية سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة [٤٥٣هـ] له عدة تآليف منها: «المعلم بفوائد مسلم» الذي حققه فضيلة الشيخ الأستاذ الفاضل محمد الشاذلي النيفر سنة ١٩٨٨ في ثلاثة أجزاء. ويعد المازري من كبار علماء المذهب المالكي، توفي بالمهدية بتونس سنة ست وثلاثين وخمسمائة [٥٣٦هـ].
- كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطيني، ٢٧٧.

(٤) في (ر): المراد بها الأكثرون.

(٥) المعلم بفوائد مسلم: ٢٨/٣ ـ ٢٩ للإمام أحمد أبي عبدالله محمد بن علي بن عمر المازري، تح: الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر تونس ـ المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ـ المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، دار الحكمة، الجماهيرية الليبية.

(٦) أبو عبيد: القاسم بن سلام البغدادي اللغوي الفقيه، مولده بهراة، وكان أبوه رومياً، توفي بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين [٢٢٤].
- تذكرة الحفاظ: ٤١٧/٢ ـ ٤١٨، تر: ٤٢٣.

وفي رواية ابن وهب: وأثمهم عليك ـ وقوله: لقد أَمِرَ أمر ابن أبي كبشة: معناه عظم، وأبو كبشة من أجداده ﷺ من قبل أمّه. وقيل أبو كبشة: أبوه من الرّضاعة. وهو الحارث بن عبدالعزّى[1] وقوله عليه الصلاة والسلام: أسلم تسلم: من محاسن الكلام وبليغه وإيجازه واختصاره وجمع بقوله تسلم: نجاة الدنيا من الحرب والخزي بالجزية، وفي الآخرة من العذاب. والحزّاء: المتكهّن. والاسقف: قيل مأخوذ من السقف.

قال السّهيلي: وقد رُوِيَ أنّ هرقل وضع كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب إليه في قصبة من ذهب، تعظيماً له، وأنّهم لم يزالوا يتوارثونه كابراً عن كابر، في أرفع صوان، وأعزّ مكان، حتّى كان عند أذفونش[2] الذي تغلّب على طليطلة[3] وما حولها[4] من بلاد الأندلس. ثم كان عند ابن ابنته المعروف بالسّليطين[5].

حدّثني بعض أصحابنا أنه أخبره[6] من سأله رؤيته من قواد المسلمين،

---

(١) في الأصل: العزّ.

(٢) الأذفونش بن فرذلند بن غرسية بن شانجة بركه [Sancho Abarca] وهو الفونسو السادس، ملك قشتالة، وموحد مملكتي قشتالة وليون، وهو الذي احتل طليطلة سنة ٤٧٨هـ ـ ١٠٨٥م، وبها توفي سنة ٥٠٢هـ.
● أ ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي، ٥٠/٤ ـ ٥٢، دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان.
● ب ـ في التاريخ العباسي والأندلسي، للدكتور أحمد مختار العيادي، ٤٧٠، دار النّهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ١٩٧٢.

(٣) طليطلة: مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس، وتقع على شاطىء نهر باجة، تمتاز بموقع مرتفع، يصعب على المرء ارتقاؤه. وكانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم.
● مراصد الاطلاع: ٨٩٢/٢.

(٤) في الروض الأنف: وما أخذ أخذها من بلاد الأندلس.

(٥) في (د): بالسلفيطين. السّليطين: تصغير سلطان بن ردمير، حفيد الأذفونش ملك قشتالة، وهو ابن أراكلة [uraca] بنت الفونسو السادس، فهو إذن الفونسو السابع [٥٢٠ ـ ٥٣٤].
● البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي، ٨٦/٤.

(٦) في الروض الأنف: أنه حدّثه من سأله رؤيته من قواد أجناد المسلمين كان يعرف بعبدالملك بن سعيد قال: فأخرجه إلي فاستعبرته وأردت...

كان يعرف بابن سعد قال: فأخرجه إليّ فاستعبرت وأردت تقبيله، وأخذه بيدي فمنعني. من ذلك صيانة له، وظناً[1] عليّ به ـ ويقال: هِرَقْلٌ وهِرْقِلٌ[2].

قلت: وقد حدّثني بعض الأطباء ممّن كان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه، وكان يقرب من الملوك، أنّ كتاب النبيّ ﷺ بيد ملوك النَّصارى الكائنين بجزيرة الأندلس، وأنّ ملوكهم يتوارثونه ويعظمونه، وغلب على ظني أنّ المخبر لي رآه.



(١) في الروض الأنف: وضنا به علي.
(٢) الروض الأنف: ٧/٣٦٥.

ﷺ باب في ذكر بعثه ﷺ
إلى مقوقس ملك الإسكندرية وما فيه من الآيات

قال ابن القطان رُوِيَ عن مجاهد قال: قال حاطب بن أبي بلتعة: بعثني رسول الله ﷺ إلى مقوقس، ملك الإسكندرية، فقدمت مصر، وكان ملكها يومئذٍ لي صديقاً، وكنت نحوت قبله، فجوّزني وسرّحني إليه، فانتهيت إليه، وهو في غرفة جالس ينظر إلى سفن في البحر، فرفع الرسول الذي معي عصى فيها كتاب، فلم أنشب أن دعي بي فدخلت عليه. فإذا هو رجل به النقرس، شاحب اللون، حسن الوجه، ضئيل الخلق. فقال بلسان عربي من أنت؟ فقلت: رسول رسول الله ﷺ، فقال: والله إنّك إذاً لعظيم الشأن، فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه، ثم أقبل على جلسائه وضحك، وقال: كتب إليّ صاحبك يتودّدني على دينه، فما منعه إذ كان رسول الله أن يسأل ربّه أن يسلّط عليّ البحر فيغرقني، فيكفي مؤونتي. قلت: فما منع عيسى عليه السلام. وهو كما قلت، إذ أخذه اليهود ـ كما زعمت ـ فربطوه في حبل، وحلقوا وسط رأسه، وجعلوا عليه إكليل شوك، وجعلوا في عنقه الخشبة، ثم طعنوه بالحربة حتّى مات بزعمك. فما منعه أن يسأل ربّه أن ينجيه منهم، ويهلكهم، فيُكفي مؤونتهم، ويظهر هو وأصحابه عليهم.

وما منع يحيىٰ بن زكرياء عليه السّلام، حين سألت امرأة فاجرة الملك أن يقتله فقتله/، وبعث إليها برأسه، أن يسأل ربّه أن ينجيه ويهلك الملك، فأقبل على جلسائه وقال: إنّه لحكيم، ولا يخرج الحكيم إلاّ من عند الحكمة. قالوا: صَدق الملك. قالوا[1]: رأينا ما رأيت فقال لي: اجلس، فحدّثنا من حكمه، فسألني عن بدء أمره، وشأنه وشأن قومه، وإخراجهم

١٢٧/و

(١) في (د) و(ر): قد رأينا.

إيّاه، وحربهم حتّى انتهت[1] إلى الهدنة، فقال: كيف فعل سائرهم من العرب؟ قلت: دخل في دينه أكثرهم، وهو يقاتل من بقي، فإذا انقضى ما بينه وبين قومه عاد إليهم.

قال: فما رأيه في عيسى؟ قلت: يقول: هو عبد الله ورسوله وكلمته. قال: فمتى صحبته؟ قلت: [من][2] أوّل من صحبه فعاد فقرأ كتاب رسول الله ﷺ مرة أخرى، ثم أمر لي بمنزل حسن، حتى إذا كان بعد [العشاء بساعة، أرسل إليّ، فدخلت عليه، وليس عنده أحد، فقال: اجلس يا حنيف فحدّث، وسأل، وقال ألا ترى؟][2] قلت: بلى. قال: والله إن بها قسيس ولا راهب، ولا عالم إلاّ وهو يعلم أنّ صاحبك رسول الله لإبان زمانه، وصفاته، وصفات أصحابه، وليأخذن مجلسي هذا، وإن شئت أريتك صفة الرجل الذي يأخذه. قلت: قد شئت. فأخرج الصفة، رجلاً عظيم الهامة، واسع الجبين قليل الشعر، عريض الصدر، واسع الفم، قصير الذّراعين، عظيم الكفّين والقدمين، فقال: ما تعرف هذا؟ قلت: لا والله. قال: فاعرفه، ثم رجعت إلى منزلي، فجاءني شيخ من جلسائه لم يكن يطرف عني. فقال: أشهد أنّ صاحبك رسول الله وأنا لاحق معك، والملك مجوّزك، ومهد لصاحبك، وباعث معك فتياناً يجيزونك، فقل له: ابعث معي شيخاً، فسأقول أنا أخرج معك، فألحق بصاحبك. ومكثت أياماً، ثم جوزني فأحسن، وأهدى لرسول الله ﷺ بهدية، ثم أرسل معي فتياناً.

فقلت: ابعث معي شيخاً. قال ذلك الشيخ: أنا أخرج معه فأجوّزه ثم أرجع. قال: وأنت فاخرج معه. فلمّا كان الليل بعث إلى ذلك الشيخ، فقال: تخرج معه يا فلان قال: نعم. قال: قد عرفت ما أردت، وأنا والله وددت أنّ نفسي تطيب فأخرج معك. فإذا قدمت على الرجل الصالح، فاقرأ عليه السّلام. قال: فخرج معي لا والله لا يفتر أن يسألني عمّا ينبغي أن

---

(١) في (د) و(ر): انتهيت.

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

يعمل، ويستقرؤوني القرآن، فأقرئه وأعلمه، حتّى إذا كنّا ببعض الطريق أصابه البطن، فقدمنا أيلة فأخذه الموت. فقال: إذا أنا متّ، فاصنع بي كم يصنع بموتاكم، وانظر الذّهب الذي في الخرْج[1] فهو لرسول الله ﷺ فغسلته وكفنته، ثم قدمت على رسول الله ﷺ فأخبرته وصلّى عليه وترحّم.



(١) الخُرج: وعاء من شعر أو جلد ذو عدلين، يوضع على ظهر الدابة لوضع الأمتعة م جمع خِرَجة وأخراج [شواري أو زنبيل بالعامية عندنا بالجزائر].
● المعجم الوسيط: مادة: خرج.

باب في ذكر بعثه ﷺ إلى كسرى

روى أبو سعيد النّيسابوري بسنده إلى عبدالرحمٰن[1] بن عبدالقاريء أنّ رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، وتشهّد ثم قال: «**أمّا بعد، فإنّي أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم، فلا تختلفوا عليّ، كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى**».

فقال المهاجرون: يا رسول الله: والله لا نختلف عليك أبداً، فمرنا، وابعثنا، فبعث شجاع[2] بن وهب إلى كسرى، فخرج حتّى قدم على كسرى وهو بالمدائن[3]، فاستأذن عليه، فأمر كسرى بإيوانه أن يزيّن، ثم أذن لعظماء فارس، ثم أذن لشجّاع، فلما دخل عليه، أمر كسرى بكتاب رسول الله ﷺ أن يقبض منه. قال شجاع: لا حتّى أدفعه أنا كما أمرني

---

1) أبو محمد عبدالرحمٰن بن عبدالقاري، والقارة هم بنو الهون بن خزيمة، أخو أسد وكنانة. ولد أبو محمد على عهد رسول الله ﷺ. ليس له من سماع ولا له رواية، كان مع عبدالله بن الأرقم على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب، وهو من جلّة تابعي المدينة وعلمائها، توفي سنة إحدى وثمانين وهو ابن ثمان وسبعين.
- الاستيعاب: ٨٣٩/٢، تر: ١٤٣٣.

2) أبو وهب شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب... ابن خزيمة الأسدي، حليف لبني عبد شمس. شهد هو وأخوه عقبة بدراً، والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ. هاجر إلى الحبشة، الهجرة الثانية، بعثه رسول الله ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني، وإلى جبلة بن الأيهم الغسّاني، واستشهد شجاع يوم اليمامة وهو ابن بضع وأربعين سنة.
- الاستيعاب: ٧٠٧/٢، تر: ١١٩٤.

3) المدائن جمع مدينة وسميت بذلك لأنها كانت مدناً، كل واحدة منها إلى جنب آخر، وهي في وقتنا هذا بلدية صغيرة في الجانب الغربي من دجلة، وفي الجانب الشرقي من الإيوان وقبر سلمان الفارسي. وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، يقصدهما الناس للزيارة.
- مراصد الاطلاع: ١٢٤٣/٣.

رسول الله ﷺ. قال كسرى: ادنه. فدنا، فناوله الكتاب، ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى كسرى عظيم فارس فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه وصاح وغضب، ومزّق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه، وأمر[1] بشجّاع بن وهب فأخرج، فلمّا رأى ذلك، قعد على راحلته، ثم سار، ثم قال: والله ما أبالي إذا أدّيت كتاب رسول الله ﷺ. فلمّا ذهب عن كسرى سورة الغضب بعث إلى شجّاع/ أن يدخل عليه فلم يوجد فطلب إلى الحيرة، فسبق، فلما قدم شجاع على النبيّ ﷺ أخبره بما كان من أمر كسرى، وتمزيقه للكتاب، فقال ﷺ: **«مزّق كسرى ملكه»**.

١٢٨/ظ

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: فلما قرأه كسرى مزّقه. قال: فدعا عليهم النبيّ ﷺ أن يُمزَّقوا كلّ ممزّق[2].

وقال أبو سعيد النيسابوري: ورُوِيَ في بعض الكتب: أنّ كسرى كان في مسير له ليلاً فهوّم على مركبه، وطال ذلك حتّى استثقل، فمال. فخاف من وراءه من قوّاده سقوطه فأتاه رجل منهم فأيقظه، فانتبه مذعوراً لرؤيا رآها، قطعها عليه الموقظ له، وقال: رأيت قائلاً يقول: إنكم غيّرتم فغيّر [مّا][3] بكم، ونقل الملك إلى أحمد.

ورويت هذه الرؤيا في موضع آخر، وأنّ كسرى عرض على الله عزّ وجلّ فقال له: أسلم ما بيدك لصاحب الهراوة. فكان يتوقع حادث

---

(١) في الأصل: أمر شجاع.

(٢) صحيح البخاري: ٦/١٠، باب كتاب النبيّ ﷺ إلى كسرى وقيصر. وفيه أنّ الذي بعث الرسول ﷺ هو عبدالله بن حذافة السّهمي. فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزّقه...

(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

تحدث حتّى كتب النعمان[1] بن المنذر إليه[2] بظهور النبيّ ﷺ.

ورُوِيَ أنّ كسرى خلا يوماً للذّته ولهوه، وأمر أن لا يبلغ إليه أمر يسوءه، ولا يوصل إليه كتاب من أحد، من عمّاله، ليأمن على سروره. قالوا: فبينا هو كذلك، إذ سمع صوت البريد، فسأل عنه، فقالوا: كتاب عامل السّواد[3]، فتعلّق قلبه به، وقال لهم: ما أدري إلا أنّ قلبي متعلق بما ورد به، حتى أعلمه، هذا أعظم عليّ ممّا أنا فيه، فأوصلوا الكتاب. فقرأه فإذا كتاب العامل إليه، يخبره فيه بأنّ الفرات أتى بمدّ، لم يسمع بمثله، وأنّه فاض وغرّق زروع النّاس ومنازلهم، وأفسد ثمارهم، فغصّه ما نال رعيته، من الضرر، في أموالهم، وما نال جنوده بذهاب الخراج الذي كان يجبى من السّواد، فسهّل عليه وزراؤه ذلك، وسيّبوا للجنود أموالاً كثيرة من وجوه. ثم عاد إلى لهوه. ثم سمع صوت بريد آخر، فسأل عنه، فقالوا: كتاب العامل على إرمينية[4]، فتعلّق به قلبه، ثم أمر بإيصال الكتاب إليه، فإذا فيه: إنّ الجنود شغّبوا على عاملهم فقتلوه، واستباحوا ما قبله من المال، وجاهروا بالمعصية، فغمّه ذلك أيضاً، ثم سهّل عليه وزراؤه الأمر، وتضمّنوا إصلاح تلك الناحية. بغير جند ينفذه، حتى يعود الجند إلى الطاعة. وعاد إلى لهوه. ثم سمع صوت بريد آخر، فسأل عنه، فقالوا:

---

(١) النعمان بن المنذر: أبو قابوس، النعمان الثالث بن المنذر الرابع، من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية. كان داهية، مقداماً، مدحه النابغة الذبياني، وحسان بن ثابت، وحاتم الطائي، وغيرهم. بنى مدينة النعمانية على ضفة دجلة اليمن، وهو صاحب يومي البؤس والنعيم. كان أحمر الشعر، قصيراً، تولّى الملك نحو سنة ٥٩٢، وتوفي حوالي سنة ٦٠٨م. قبل الهجرة.
● الأعلام للزركلي: ١٠/٩.

(٢) في الأصل: كتب النعمان بن المنذر بظهور النبيّ ﷺ إليه.

(٣) السّواد: رستاق من رساتيق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب، وسميّ سواداً، لخضرته بالنخل والزرع.
● مراصد الاطلاع: ٧٥٠/٢.

(٤) إرمينية: اسم لصقع واسع عظيم في جهة الشمال من العراق.
● مراصد الاطلاع: ٦٠/١.

كتاب العامل على بعض إرمينية، فتعلق به قلبه، وأمر بإيصال الكتاب إليه، فإذا هو كتاب النعمان بن المنذر يخبره بأنّ خارجاً نجم بأرض تهامة، يخبر بأنّه رسول [الله ﷺ][1] إلى أهل السّماء والأرض، كافة، فأفضعه ذلك وأكبره، وعلم أنّه الذي كان يتوقعه ويراه في منامه.

قلت: وكسرى هذا الذي مزّق كتاب النبيّ ﷺ، هو الذي أخبر النبيّ ﷺ به باذان بأنّ الله وعده أن يقتل كسرى، فكان الأمر كذلك، فقتله ولده شيرويه، ومزّق الله ملك فارس على يدي أصحاب النبيّ ﷺ. وقد تقدم هذا المعنى في أول الكتاب، في قصة باذان. وروى مسلم في صحيحه، عن أنس رضي الله عنه، أنّ نبيّ الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النّجاشي، وإلى كل جبّار، يدعوهم إلى الله تعالى الحديث ـ[2].

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما[3] أنّ رسول الله ﷺ، بعث بكتابه إلى كسرى، مع عبدالله بن حذافة السّهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزّقه، فحسبت أنّ ابن المسيب. قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ، أن يمزّقوا كل ممزّق[4]. رواه أيضاً أبو داود والنّسائي[5].



(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) صحيح مسلم: ١٣٩٧/٣، رقم: ١٧٧٤. كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبيّ ﷺ إلى الكفار يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ.
(٣) في الأصل: رضي الله عنه.
(٤) صحيح البخاري: ١٠/٦، باب كتاب النبيّ ﷺ إلى كسرى، وقيصر.
(٥) عدت إلى سنني أبي داود والنّسائي فلم أجد الحديث فيهما.

باب في بعثه ﷺ إلى النجاشي

قال أبو سعيد النيسابوري، قال محمد بن سلمة[١]، قال محمد بن إسحٰق، لما بعث رسول الله ﷺ عمر بن أمية الضمري إلى النجاشي، في شأن جعفر[٢] بن أبي طالب، وأصحابه[٣] رضي الله عنهم أجمعين، وكتب معه كتاباً:

«**بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى النّجاشي أصحمة، ملك الحبشة. سلام عليك. فإنّي/ أحمد إليك الله، الملك، القدّوس، السلام، المؤمن، المهيمن، وأشهد أنّ عيسى ابن مريم روح الله، وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول، الطيبة، الحصنة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه، ونفخه، كما خلق آدم بيده، ونفخه، وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإنّي رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمّي جعفراً، ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاءوك فأقرهم، ودع التّجبّر. وإنّي أدعوك إلى الله، وجنودك. فقد بلّغت، ونصحت، فاقبل نصيحتي. والسلام على من اتبع الهدى**».

١٢٩/و

فكتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمٰن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة بن أبحر.

سلام عليك، يا نبيّ الله، من الله ورحمة الله وبركاته. الله لا إلٰه إلا هو الذي هداني للإسلام.

---

(١) أبو عبدالله محمد بن سلمة الحرّاني، الإمام المفتي. روى عن خاله خالد بن أبي يزيد، وابن إسحٰق، وروى عنه ابن حنبل، وخلق كثير، توفي سنة اثنتين وتسعين ومائة [١٩٢].

● تذكرة الحفاظ: ٣١٦/١، تر: ٢٩٦.

(٢) أبو عبدالله جعفر بن أبي طالب الهاشمي، كان أشبه الناس خلقاً وخلقاً برسول الله ﷺ، هاجر إلى الحبشة، وقدم منها حين فتح رسول الله ﷺ خيبر، فتلقاه واعتنقه وقال: ما أدري بأيهما أنا أشدّ فرحاً بقدوم جعفر، أم بفتح خيبر؟ وكان قدومه مع أصحابه من أرض الحبشة في السنة السابعة من الهجرة. ثم غزا غزوة مؤتة سنة ثمان فاستشهد فيها.

● الاستيعاب: ٢٤٢/١ ـ ٢٤٥، تر: ٣٢٧.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٧٧/٢، وبينهما خلاف.

أما بعد: فإنّه قد بلغني كتابك يا رسول الله، فيما ذكرت من أمر عيسى لا يزيد على ما ذكرت، فإنه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، وأشهد أنك رسول الله، صادق مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأصحابه، وأسلمت على يديه، لله رب العالمين. وبعثت إليك بابني، وإنّي لا أملك إلاّ نفسي، فإن شئت أن آتيك فعلت، فإنّي أشهد أنّ ما تقوله حق. والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

قلت: وذكر ابن عباس رضي الله عنهما، وابن جبير[1]، ومجاهد، أن قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾[2].

نزل بسبب وفد بعثهم النجاشي إلى رسول الله ﷺ ليروه، ويعرفوا حاله، فقرأ النبيّ ﷺ عليهم القرآن فبكوا وآمنوا، ورجعوا إلى النجاشي فآمن، ولم يزل مؤمناً حتّى مات، فصلّى عليه النبيّ ﷺ.

ورُوِيَ أنّ نعش النجاشي كُشف للنبيّ ﷺ فكان يراه من موضعه بالمدينة. وجاء الخبر بعد مدّة أنّ النجاشي دفن في اليوم الذي صلّى فيه النبيّ ﷺ.

---

(١) سعيد بن جبير الوالبي الكوفي. المقرىء،الفقيه أحد الأعلام، كان أسود اللون، أبيض الرأس،واللحية. قتله الحجاج بن يوسف، في شعبان سنة خمس وتسعين وله تسع وأربعون سنة. قال ميمون بن مهران: مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض رجل إلا وهو يحتاج إلى علمه. ولما أتي به إلى الحجاج قال: أنت شقي بن كسير، قال: أنا سعيد بن جبير، قال: لأقتلنك، قال: أنا إذن كما سمّتني أمّي.

● تذكرة الحفّاظ: ٧٦/١ ـ ٧٧، تر: ٧٣.

(٢) المائدة: ٨٢ ـ ٨٥.

قال أبو صالح[1]: كانوا سبعة وستين رجلاً. وقال ابن جبير: كانوا سبعين عليهم ثياب الصوف، وكلهم صاحب صومعة اختارهم النجاشي.

قلت: وحديث صلاة النبيّ ﷺ على النجاشي صحيح، رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ نعى لهم النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه، وقال: «**استغفروا لأخيكم**»[2].



(١) أبو صالح السمان ذكوان المدني، مولى جويرية الغطفانية، كان يجلب الزّيت والسمن إلى الكوفة. سمع أبا هريرة، وعائشة، وابن عباس، وغيرهم. قال الأعمش: سمعت من أبي صالح ألف حديث. توفي سنة إحدى ومائة [١٠١].

● تذكرة الحفاظ: ٨٩/١ ـ ٩٠، تر: ٧٨.

(٢) ● أ ـ صحيح البخاري: ١١١/٢، باب الصلاة على الجنائز بالمصلّى والمسجد.

● ب ـ صحيح مسلم: ٦٥٧/٢، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة.

باب في كَتْبِه النّبيّ ﷺ
إلى أكثم[1] بن صيفي

قال ابن القطان يُروى أنّ أكثم بن صيفي كان من حكماء العرب، وعاش ثلاثمائة سنة، ولم تكن العرب تفضّل عليه أحداً في الحكمة. فلما سمع برسول الله ﷺ، بعث إليه، حبيشاً ابنه. فقال: يا حبيش إنّي منهضك إلى هذا الرجل، فاحفظ ما يقول لك، فإنّك إن وهِمت، أو نسيت، أو أخطأت، فَسُدتْ رسالتك، وجشّمتني رسولاً غيرك. وكتب معه إلى النبيّ ﷺ: باسمك اللهم من العبد إلى العبد، أمّا بعد، فأبلغنا ما بلغك، فقد أتانا عنك خبر ما ندري ما أصله، فإن كنت أرِيت فأرنا، وإن كنت عُلِّمت[2] فأشركنا في كنزك.

فكتب إليه رسول الله ﷺ: «**بسم الله الرحمـٰن الرحيم. من محمد رسول الله، إلى أكثم بن صيفي. سلام الله، أحمد إليك الله. إنّ الله أمرني أن أقول لا إلـٰه إلاّ الله. وآمر الناس بها. والخلق خلق الله. والأمر كلّه لله. خلقهم، وأماتهم، وهو ينشرهم، وإليه المصير. آذنتكم بإيذان المرسلين. لتُسألنَ عن النّبأ العظيم، ولتعلمنّ نبأه بعد حين**»[3].

---

(١) أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث التميمي، وفي حقّه نزلت الآية الكريمة: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠] قصد المدينة المنوّرة بمائة من قومه يريدون الإسلام فتوفي في الطريق، وذلك في السنة التّاسعة من الهجرة.

● الأعلام: ٣٤٤/١.

(٢) في مجموعة الوثائق السياسية: وإن كنت عُلّمت فعلمنا، وأشركنا في خيرك. والسلام.

(٣) أورد الكتاب محمد حميد الله في كتابه: «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النّبوي والخلافة الراشدة، ص: ٢٥٥، دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة: ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥.

فلما جاءه الكتاب، قال لابنه: ما رأيت؟ قال: رأيته يأمر[١] بمكارم الأخلاق، وينهى عن/ لئامها. فجمع بني تميم[٢]، ثم قال: لا تحضروني سفيهاً، فإنّه من يسمع يخل، ولكن إنسان رَأْيٌ في نفسه، وإنّ السّفيه واهن الرأي، وإن كان قويّ البدن، لا خير فيمن لا عقل له، يا بني تميم كبرت سنّي، فإن رأيتم منّي حسناً فذاك، وإن كرهتم منّي شيئاً فقوّموني للحق استقم. إنّ ابني قد جاءني، وقد شافه هذا الرجل، فرآه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن لئامها، يدعو إلى أن يعبد[٣] الله وحده، لا شريك له.

١٣٠/ظ

وقد علم ذوو الرأي: أنّ الفضل فيما يدعونا إليه، يأمر الناس بخلع الأوثان، وترك الحلف بالنيران، ويذكر أنّه رسولٌ وأنّ قبله رسالة لهم كتاب. وقد كان أسقف نجران[٤] يحدّث بصفاته وشمائله، وكذلك سفيان بن مجاشع، فكونوا في أمره أوّلاً، ولا تكونوا آخراً. واسبقوا تشرفوا وتكونوا سنام العرب. واتبعوه طائعين قبل أن تأتوه كارهين. فإنّي أرى أمراً ليس بالهوينا، ولا يترك مصعداً إلاّ قعده. ولا مضرباً إلاّ ضربه. إنّ هذا الذي يدعونا إليه هذا الرجل لو لم يكن ديناً، لكان في العقل حسناً، أطيعوا واتّبعوا أمري، أسأل لكم أشياء، لا تنزع منكم أبداً، أصبحتم أكثر العرب عدداً، وأوسَعَهم بلداً، وإنّي والله لأرى أمراً لا يتّبعه

---

(١) في الأصل: رأيته يأمركم بمكارم الأخلاق.

(٢) بنو تميم من طانجة، وطانجة من عدنان من القحطانية، كانت منازلهم بأرض نجد تمتدّ من هنالك إلى البصرة واليمامة، ثم تفرقوا في الحواضر، ولم تبق منهم باقية وهم عدة بطون.

● نهاية الأرب: ١٧٨، تر: ٦٢٩.

(٣) في (د) و(ر): أن يعبدوا الله وحده.

(٤) أسقف نجران: اسمه حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل، والأسقف من منازل النّصرانية كالشمّاس، والقُس، والمطران، والبطريق.

● أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٢١٠/١، تر: ١٠٨. الحسن عز الدين بن الأثير، تح: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ علول أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤.

ذليل إلاّ عزّ. ولا يعاديه عزيز إلاّ ذلّ. اتّبعوه تزدادوا مع عزّكم عزّاً، فإنّه أمر له ما بعده.

فمن سبق إليه فهو السابق يقتدي إليه الثاني. فاصرموا أمركم. إنّ الصّريمة قوّة، والاختلاط عجز.

فقال مالك بن نويرة[1]. خرف شيخكم، فقال أكثم بن صيفي: ويل للشّجيّ[2] من الخليّ. ويلك يا مالك، إنّك هالك، إنّ الحق إذا قام رفع القاعد، وإذا قعد صرع القائم، وإيّاك أن تكون منهم، قرّبوا لي بعيري أركبه، فدعا براحلته ليركبها، فمنعه بنوه وبنو أخيه.

فقال أكثم: لهفي على أمر لم أدركه ولم يسبقني.

وقد ذكر ابن السّكن والماوردي: أكثم هذا في الصحابة. فهو على هذا مؤمن مع هذه العجائب من الحكم في حقّ نبيّنا [محمد][3] ﷺ.

وقريب من هذا المعنى، ما ذكره ابن إسحٰق، فيما رواه عن الزّهري في عرض النبيّ ﷺ نفسه على القبائل لينصروه وإبايتهم عليه، قال: فلما صدر الناس ورجعت بنو عامر[4] إلى شيخ لهم قد كان أدركه[5] السّن، حتّى لا يقدر أن يوافي معهم الموسم[6]. فكانوا إذا رجعوا حدّثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلمّا قدموا عليه ذلك العام، سألهم عما كان في موسمهم

---

(١) أبو حنظلة مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، فارس، شاعر أسلم، وولاه الرسول ﷺ صدقات قومه بني يربوع. وفي خلافة أبي بكر ارتدّ فتوجه إليه خالد بن الوليد. بجيش فقبض عليه وقتله.
● الإصابة: ٣/٣٥٧، تر: ٧٦٩٦.

(٢) مثل يضرب لسوء مشاركة الرجل صاحبه، والخليّ من كان خالياً من الهمّ، والشجيّ الحزين المشغول البال، فالخليّ لا يساعد الشّجي على ما به ويلومه.

(٣) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.
بنو عامر: عدة بطون من العدنانية، والقحطانية.

(٤) ● نهاية الأرب: ٣٠٠ ـ ٣٠٣، ١١٨٠ ـ ١١٩٥.

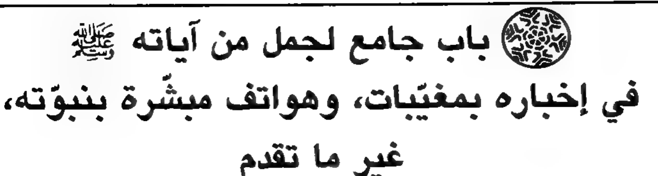
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: قد كانت أدركته السّنّ.

(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: المواسم.

فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بني عبدالمطلب، يزعم أنّه نبيّ، يدعونا أن نتبعه[1]، ونقوم معه، ونخرج [به][2] إلى بلادنا. فوضع الشيخ يده[3] على رأسه وقال: يا بني عامر هل لها من تلاف[4] والذي نفس فلان بيده ما تقوّلها إسماعليّ قط. وإنّه[5] لحقّ، فأين رأيكم كان عنكم؟[6].



(١) في السيرة النبوية لابن هشام: أن نمنعه.
(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال...
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: هل لذناباها من مطلب [هذا مثل يضرب لما فات، وأصله من ذنابي الطائر إذا أفلت من الحبالة فطلبت الأخذ به].
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: وإنّها لحقّ.
(٦) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٢٥/١.



باب جامع لجمل من آياته ﷺ في إخباره بمغيّبات، وهواتف مبشّرة بنبوّته، غير ما تقدم

فمن ذلك ما رُوِيَ أنّ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما قاما سنين يطلبان أويساً القرني، فلما كان في السنة التي مات فيها عمر رضي الله عنه صعد على جبل أبي قبيس فنادى بأعلى صوته: يا أهل حجيج اليمن، أفيكم أُويس القرني؟ فقام شيخ فقال: لا أدري من أويس ولكن لي ابن أخ يقال له أويس، وهو[1] أخمل ذكراً، وأهون أمراً[2] من أرفعه إليك يا أمير المؤمنين، وإنّه ليرعى إبلنا، بإزاء عرفات. قال: فركب عمر وعلي رضي الله عنهما إلى عرفات، فإذا هو قائم يصلّي إلى شجرة، وإبله حوله ترعى. فسلّما عليه، فخفّف أويس الصلاة، ثم قال لهما: وعليكما السّلام ورحمة الله وبركاته. فقالا: من الرجل؟ قال: راعي إبل وأجير قوم. قالا: لسنا نسألك عن الرعاية، ما اسمك؟ قال: عبدالله. قالا: قد علمنا أنّك عبدالله، فما اسمك الذي سمّتك به أمّك؟ قال/: يا هذان ماذا تريدان منّي؟ قالا: وصف لنا محمد ﷺ أويساً القرني، فقد عرفنا الصّهوبة والسهولة، وأخبرنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء، فأوضحها لنا، فإن كانت بك فأنت هو. قال: فأوضح منكبه، فإذا اللمعة هناك، فابتدرا يقبّلانه. وقالا: نشهد أنّك أويس القرني، فاستغفر لنا، فقال: ما أخص باستغفاري نفسي، ولا أحداً من ولد آدم، ولكن من في البرّ والبحر، من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات. ثم قال: يا هذان قد عرّفكما الله حالي فمن أنتما؟ فقال له علي رضي الله عنه: أمّا هذا فعمر بن الخطاب أمير المؤمنين، وأما أنا: فعلي بن أبي طالب، فاستوى أويس قائماً ثم قال: السلام عليك يا أمير

١٣١/و

(١) في (ر): وهو إذن أخمل ذكراً...

(٢) في الأصل: وأهون أمر.

المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وأنت يا ابن أبي طالب فجزاكما الله خيراً عن هذه الأمّة.

قالا: وأنت فجزاك الله خيراً عن نفسك. ثم قال له عمر رضي الله عنه: مكانك رحمك الله حتّى أدخل مكّة، فأتي بنفقة وكسوة، وهذا المكان ميعاد بيننا. قال: يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك، ولا أراك بعد اليوم تعرفني. ما أصنع بالنفقة وما أصنع بالكسوة، أما ترى نعلي مخصوفتين، متى تراني أبليهما. أما تراني قد أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلها، إنّ بين يدي وبين يديك عقبة كؤوداً لا يتجاوزها إلاّ ضامر مخفّ مهزول، فخفف يرحمك الله. فلما سمع عمر رضي الله عنه كلام أويس ضرب بيده الأرض، ونادى بأعلى صوته ألا ليت أمّ عمر لم تلده ألا من يأخذ الإمارة بما فيها! قال: ثم سلّم على عمر، وانصرف بأبله ناحية، وانصرف عمر وعلي رضي الله عنهما إلى مكة. ذكر هذه الحكاية الجوزي[1] في المورد العذب.

قال ابن القطان: رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بينما هو في مسجده وحوله أصحابه رضي الله عنهم، إذ أقبل أعرابي فأناخ ناقته بباب المسجد، ثم عقلها، ثم دخل المسجد يتخطّى الناس، وإذا هو رجل مديد القامة، عظيم الهامة، معتجز بعمامة، حتّى مثل بين يدي النبيّ ﷺ، فأسفر قناعه، ثم ذهب ليتكلم، فارتُجّ عليه، ثم فعل ذلك مرات. فلما رآه النبيّ ﷺ قد أدركه الروع، لها عنه بالحديث، ليذهب عنه بعض الذي أصابه ـ وقد كسا الله سبحانه نبيّه ﷺ مهابة وجلالة. فلما ذهب عنه الروع، قاله النبيّ ﷺ قل: «**لله أنت ما أنت قائل**» فقال: [من الخفيف].

---

(١) الجوزي: أبو إسحٰق إبراهيم بن موسى التّوزي الجوزي، البغدادي، الإمام، الحجة، المحدّث. توفي سنة ثلاث وثلاثمائة.

- سير أعلام النبلاء: ٢٣٤/١٤، تر: ١٣٧.

ربّ يوم يعيي[1] الألدّ المداري شره حاضر يروع الرجالا
جئته فانجلا ولو قام فيه[2] مسحل الجنّ ما أطاف المقالا

فاستوى رسول الله ﷺ جالساً، وكان متّكئاً فقال: «**أنت أهيب بن سماع؟**» ـ ولم يره قبل ذلك ـ فقال: أنا أهيب بن سماع، الأبيّ الدّفاع، قال: «**أنت الذي فَنِي جلّ قومك بالغارات، ولم ينفضوا رؤوسهم من العقوبات، إلاّ منذ سنوات؟**» قال: أنا ذاك. قال: «**أفتذكر الأزمة التي أخذت قومك، امتنعت السّماء، وانقطعت الأنواء حتّى أنّ الضيف لينزل بقومك، وما بالغنم عرق[3] ولا عزر[4] فيقرون الضبّ المكون، كأنّك قلت في طريقك لتسألني عن حلّ ذلك ـ وحرجه، لا حرج على مضطرّ ومن مكارم[5] الأخلاق برّ الضيف**». قال: فقال: والله لا أطلب أثراً بعد عين، والله لكأنك شريكي في سرّي، أشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وأشهد أنّك رسول الله، ثم [قال][6] يا رسول الله: زدني شرحاً أزدك إيماناً. فقال له رسول الله ﷺ: «**أتذكر إذ أتيت صنمك في/ الظهيرة، فعترت له العتيرة؟**» قال: نعم، بأبي أنت وأمّي، إنّ الحارث بن أبي ضرار المصطلقي جمع لك جموعاً، وكان لي صديقاً، وأراد أن يدهمك بالمدينة، فاستعان بي على حربك ـ وكان لي صنم يقال له واقب، فلما كان بالظهيرة رقبت[7] خلوته وقممت ساحته، ثم عترت له العتيرة، فإنّي لأستخيره في أمري، وأستشيره في حربك، إذ

١٣٢/ظ

(١) في (ر): يفيني.
(٢) في (ر): ولو جئته فانجلا، وسلّم قام فيه.
(٣) عرق، يعرق عرقاً ـ العظم: أكل ما عليه من اللحم نهشاً بأسنانه، ويقال: عرقته السنون، والخطوب: نالت منه. ويقال: فلان معروق: إذا كان قليل اللحم.
(٤) في (د): عذر.
(٥) وفي (د) و(ر): ومن كرم الأخلاق.
(٦) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٧) في الأصل: وقبتُ.

سمعت منه صوتاً، قفّ منه شعري، واشتدّ منه فرقي، ووليت عنه وهو يقول: [من الرجز]

أهـيـب مـالـك تـجـزع   لا تـنـازعـنـي وارجـع
واسـمـع مـقـالاً يـنـفـع   جـاءك مـالا يـدفـع
نـبـي صـدق أروع   فـأقـدم إلـيـه وأسـرع
تـأمـن وبـال الـمـصـرع

قال: فانصرفت إلى أهلي، ولم أطلعْ[1] أحداً على أمري، فلما كان من غد رقبت خلوته وقممت ساحته. ونفضت الغبار عن رأسه، وعترت له العتيرة، ثم حشوتها بدمها، فبينما أنا أستشيره[2] في أمري، وأستخيره في حربك، إذ سمعت منه صوتاً هائلاً، [فسمعته وهو][3] يقول: [من الرجز]

أيـن تـولـي يـا لـهـث[4]   إعـن بـقـولـي واكـتـرث
هـذا نـبـي قـد بـعـث   يدعو إلى غير[5] الخبث
وغـيـر سـورة الـرفـث   [فـاركـب إلـيـه واسـتـحـث
تـلـق بـه غـيـر الـرفـث[6]][7]

فولّيت عنه وأنا أقول: [من الرجز]

يـا عـجـبـاً مـمّـا يـقـول واقـب   أهـازلاً فـي قـولـه أم لاعـب

---

(١) في الأصل: ولم أطلع على أحد أمري.
(٢) في الأصل: استشره في أمري، وأستخيره في حربك.
(٣) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٤) في (ر): يا لهيث.
(٥) في الأصل: إلى خير الخبث.
(٦) في (د): المرفث.
(٧) في (ر): ما بين الحاصرتين ساقط.

أو صادقاً في قوله أو كاذب يا ليت شعري والعجاب عاجب
أحاضر هذا النبيّ أم غائب

فلما كان من الغد ركبت ناقتي وتنكبت الطريق حتّى أتيتك، فأبنْ لي سراجك، واشرح لي منهاجك. فأسلم وحسن إسلامه. وقال: [من البسيط]

جبتُ الفلاة على حرف مبادرة خطّارة تصل إلا رقال بالخبب
سارت ثلاثاً فوافت[1] بعد ثالثة ذات المناهل أهل النخل والكرب
فيها النبيّ الذي لاحت براهنُه[2] من معشر سبقوا في ذروة الحسب
حلو الشمائل ميمون نقيبته محض الضّرائب حياد[3] عن الكذب
لا ينثني وسعير الحرب مُضرمة تجيش بالنبل والأرماح والقضب
والحرب حامية والهام دامية والموت يختطف الأرواح عن كثب

ومن هذا الباب ما ذكر من باهر آياته وعظيم كراماته ﷺ ما ذكره الخرائطي[4] ونقله ابن القطان واللفظ له. قال: رُوِيَ عن سعيد بن جبير: أنّ رجلاً من بني تميم يقال له رافع بن عمير قال: إنّي لأسير برمل عالج، ذات يوم إذ فجأني النّوم فقلت: [أعوذ][5] بعظيم هذا الوادي من أذى الجن. فرأيت في منامي رجلاً شاباً بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي، فانتبهت مذعوراً، ونظرت فلم أر شيئاً، ثم غفوت فرأيت مثل رؤياي

(١) في (ر): فرابت.
(٢) في الأصل و(د): براهينه. والوزن به لا يستقيم.
(٣) في (د): حياذ.
(٤) الخرائطي: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر، السّامري الخرائطي من أعيان الثقات، حسن الأخبار، مليح التصانيف توفي في يافا بفلسطين في ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثلاثمائة [٣٢٧].
● سير أعلام النبلاء: ٢٦٧/١٥، تر: ١١٥.
(٥) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

الأولى، فانتبهت مذعوراً، ورأيت ناقتي تضطرب، وإذا برجل شاب كالذي رأيت في المنام، بيده حربة، ورجل شيخ يمسك يده يُردعه عنها، وهو يقول: [من الكامل]

يا مالك بن مهلهل بن دثار   مهلاً فدى لك مئزري وإزاري
عن ناقة الإنسيّ لا تَعرضْ لها   واختر بها ما شئت من أثواري
فلقد بدا لي منك ما لم أحتسب   ألا رعيت قرابتي وذماري
تسمو إليه بحربة مسمومة   تبّا لفعلك يا أبا العياري

فقال الشاب: [من الكامل]

أردت أن تسمو وتَخفِض قدرَنا   في غير موجبة أبا العيزار
ما كان منكم سيد فيما مضى   إنّ الخيار هم بنو الأخيار
فاقصد لقصدك يا معيكد إنّما   كان المجيرُ مهلهل بن دثار/ ١٣٣/و

قال: فبينما هما كذلك، إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش. فقال الشيخ للفتى: خذ يا ابن أخي أيّها شئت فداء لناقة الإنسي. فأخذ ثوراً وانصرف، ثم التفت إليّ الشيخ وقال: يا هذا إذا نزلت وادياً فخفت هوله فقل: أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي. ولا تعذ بأحد من الجنّ، فقد بطل أمرها. فقلت: من محمد؟ قال: نبي عربي لا شرقيّ ولا غربي، بعث يوم الاثنين. قلت: أين مسكنه؟ قال: يثرب ذات النخل. فركبت راحلتي حتّى لحقت بالمدينة فرآني النبيّ ﷺ، فحدّثني بحديثي قبل أن أذكره له فأسلمت.

قال ابن جبير: كنّا نُرى أنّه الذي نزل فيه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ۝٦﴾[1].

❊ ❊ ❊

(١) الجن: ٦.

فصل

ومن هذا الباب ما رُوِيَ عن عدي[1] بن حاتم رضي الله عنه

قال كان لي عسيف[2] من كلب يقال له حابس[3] بن دغّنة، فبينا[4] أنا ذات يوم بفنائي إذا أنا بالكلبي مروع الفؤاد [فقال: دونك إبلك. فقلت: ما هاجك؟ وكنت على دين النصرانية قال: إنّي لمفكر وأنا في بطن وادٍ معشّب مسرور بخصب الوادي][5] إذ طلع شيخ من شعب جبل كان تجاهي[6]، رأسه رخمة، فانحدر عما يزل عنه العقاب، وهو مترسل غير منزعج، حتّى استقرت قدماه في الحضيض[7] وأنا أكبر ما أرى فقال: [من الرجز]

يا حابس بن دغنة بن حابس لا تعرضن[8] قلبك للوساوس

---

(١) أبو طريف عدي بن حاتم بن عبدالله الطائي، كان خطيباً، حاضر الجواب، سيداً شريفاً، فاضلاً كريماً، قدم على النبيّ ﷺ في شعبان من سنة سبع، وقال الواقدي: في سنة عشر، فأسلم وحسن إسلامه، وكان ﷺ يوسع له في مجلسه، ويجلسه إلى جنبه. شهد مع علي صفين، والنهروان، توفي بالكوفة سنة سبع وستين وهو ابن مائة وعشرين سنة [١٢٠].
● الاستيعاب: ١٠٥٧/٣ ـ ١٠٥٩، تر: ١٧٨١.

(٢) عسيف: راعٍ وخادم، عسف يعسف على فلان ولفلان: عمل له. ويقال: عسف ضيعتهم: يرعاها ويقوم بها.
● المعجم الوسيط: مادة: عسف.

(٣) حابس بن دغنة الكلبي، له رواية وصحبة.
● الاستيعاب: ٢٧٩/١، تر: ٣٧٧.

(٤) في (د) و(ر): فبينما.

(٥) في (ر): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٦) في (د): كأن رأسه رخمة.

(٧) في الأصل: كتب على الطرة: قال الزبيدي: الحضيض قرار الأرض عند سفح الجبل وجمعه أحض.

(٨) في الأصل: لا تعرض.

واحذر مهاوي الظلام الدامس   هذا سنا النور بكف القابس
فاترك سبيل المعشر الأراجس   واجنح إلى الحقّ ولا تدانس

ثم غاب، فروّحت إبلي، ثم سرحتها إلى غير ذلك الوادي، فاضطجعت، فإذا راكب قد ركضني فاستيقظت فإذا صاحبي يقول: [من الرجز]

يا حابس اسمع ما أقول ترشد   ليس ضلول جائر كمرشد
ولا تتركن[1] نهج الطريق الأقصد   قد نسخ الدين[2] لدين أحمد[3]

قال: فأغمي ـ والله ـ علي، ثم أفقت، فروحت إبلي، ثم جزت على بطون الأودية، وأرعيت إبلي الظواهر، على اقشعرارها. فإنّي لمستند إلى جذل شجرة، إذا كلام من الجذل كهيئة الرعد، فأضغيت فإذا هو يقول: [من الرجز]

يا حابس اسمع ما أقول تسلم   من حرّ [نار][4] جاحم مضطرم
إنك إن أطعتني لم تندم   هذا أمين ذي الجلال الأعظم
يدعو إلى نهج السبيل الأقوم   محمد فارحل إليه واعلم
فالفوز في ظل الجواد الأكرم

فقد امتحن الله قلبي للإسلام[5]، ثم فارقني فكان آخر عهدي به. ذكره ابن القطان.

قلت: ثم هدى الله سبحانه بعد هذا عديّ بن حاتم رضي الله عنه.

---

(١) في (د) و(ر): لا تتركن.
(٢) في (د): بدين أحمد.
(٣) أورد ابن حجر في الإصابة هذا الخبر: ٢٧١/١ ـ ٢٧٢، تر: ١٣٥٣.
(٤) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٥) في (د): قلبي إسلام.

فصل

ومن آياته ﷺ ما ذكره ابن القطان ويعقوب ابن أبي شيبة ـ واللفظ لابن القطان. قال: رُوِيَ لمّا وفد قيس[1] بن نُشبة[2] ابن أبي عامر السّلمي على رسول الله ﷺ ـ وكان قد قرأ الكتب[3]. قال للنبيّ ﷺ: إنّه لم يبعث الله سبحانه نبيّاً قط إلاّ من أشرف قومه، وقد علمنا ذلك منك، ولكن أتأذن لي فأسألك عمّا يُسأل عنه الأنبياء؟ قال: **«نعم»**. قال: أتعرف كحل؟ قال: **«هي السّماء»**. قال: أتعرف فحل؟ قال: **«نعم هي: الأرض»**. قال: فلمن هما؟ قال: **«لله، وله الأمر من قبل ومن بعد»**. فأسلم قيس وأنشد يقول: [من الكامل]

تـابـعـت ديـن مـحـمـد ورضـيـتـه ... كـلّ الـرضـى لأمـانـة ولـديـن[4]
ذاك امـرؤ نـازعـتـه قـول الـهـدى ... وعـقـدت فـيـه يـمـنـيـه بـيـمـيـنـي
وقـد كـنـت آمـلـه وأنـظـر دهـره ... فـالله قـدّر أنّـه يـهـديـنـي
أعـنـي ابـن آمـنـة الـنـبـي ومـن بـه ... أرجـو الـسّـلامـة من عـذاب الـهـون
أهلي الفداء لما تقلّ[5] النعل من ... عفّ الخلائق من طاهر ميمون/ ١٣٤/ظ

فكان النبيّ ﷺ يُسميه حبر[6] بني سليم، فكان إذا فقده يقول: ما فعل حبركم يا بني سليم؟

---

(١) قيس بن نشبة ـ بضم النون وسكون الشين ـ السّلمي، جاء إلى النبيّ ﷺ بعد الخندق، فقال: إنّي رسول من ورائي من قومي، وهم لي مطيعون وإنّي سائلك عن مسائل لا يعلمها إلاّ من يوحى إليه، فسأله، فأجابه، فأسلم ورجع إلى قومه فأسلموا، وحسن إسلامهم. وتوفي قيس حوالي سنة عشرين للهجرة.
- الإصابة: ٣/٣٦٠ ـ ٣٦١، تر: ٧٢٤٢.
- الأعلام: ٦/٦١.

(٢) في (ر): نشيمة.
(٣) في (د): الكتاب قال النبيّ ﷺ.
(٤) في الأصل: ودين.
(٥) في (د): لما أثقل وفي (ر): لما نقل.
(٦) في (ر): خبر بني سليم.

فصل

ومن آياته ﷺ ما ذكر في سبب إسلام عثمان بن عفان رضي الله عنه [تعالى]

[قال ابن القطان: رُوِيَ عن عمرو[١] بن عثمان قال][٢]: كان سبب إسلام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فيما يُحدّثنا به عن نفسه، قال: بينا أنا ذات يوم بفناء الكعبة، في رهط من قريش، أتينا فقيل لنا: إنّ محمداً أنكح عتبة بن أبي لهب رقية[٣] ابنته، وكانت ذات جمال، فداخلني الأسف ألاّ أكون سُبقت، ثم انصرفت إلى منزلي فإذا خالتي [سعدى][٤] بنت كريز ـ وكان لها علم تتكهّن لقومها ـ فلما رأتني قالت: [من الرجز]

أبشر وحيّيت ثلاثاً وترا ... ثم ثلاثاً وثلاثاً أخرى
ثم بأخرى كي تتمّ عشرا ... لقيت خيراً ووقيت شرا
نكحت والله حصاناً زهرا ... وأنت بكر ولقيت بكرا
وافيتها بنت عظيم قدرا ... بنت نبي قد أطاب ذكرا

فعجبت من قولها، وقلت: ما تقولين يا خالة. فقالت: [من الرجز]

---

(١) عمرو بن عثمان بن كعب القرشي التيمي، من مهاجرة الحبشة، وأمه من بني ليث بن بكر. استشهد بالقادسية في خلافة عمر، وتحت قيادة سعد بن أبي وقاص، وليس له عقب.
● الاستيعاب: ١١٩٤/٣، تر: ١٩٣٨.

(٢) في الأصل و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) ولدت رقية بنت رسول الله ﷺ، وعمر أبيها ثلاث وثلاثون سنة، تزوّجها عتبة بن أبي لهب، وتزوّج أختها زينب عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت سورة أبي لهب، قال لهما أبوهما وأمهما: فارقا ابنتي محمد ﷺ. ففارقاهما، فتزوج عثمان رقية، وولدت له عبدالله وبه يُكنَى عثمان. وتوفيت رقية يوم وقعت بدر في السنة الثانية.
● الاستيعاب: ١٨٣٩/٤ ـ ١٨٤٣، تر: ٣٣٤٣.

(٤) في (ر): ما بين الحاصرتين ساقط.

أيـا ابـن أخـتـى أيـا عـثـمـان لـك الـجـمـال ولـك الـبـيـان
هـذا نـبـي مـعـه الـبـرهـان أرسـلـه بـحـقّـه الـدّيّـان
وجـاءه الـتّـنـزيـل والـفـرقـان فـاتّـبـعـه لا يـخـتـانـك الأوان

قال: قلت: إنّك لتذكرين ما قد وقع ذكره ببلدنا، فانعيته لي. قالت: إنّ رسول الله ﷺ هو ابن عبدالله مصباح، وقوله صلاح. وذكر من سجعها ما ذكر.

قال: فوقع كلامها بقلبي، وكان لي ليس مجلس بأبي بكر[1] رضي الله عنه، فجلست إليه فرآني مفكراً، فسألني، فأخبرته بمقالة خالتي، فقال: ويحك يا عثمان، والله إنّك لرجل حازم. وبسط القول، في ذمّ الأوثان، وعبادتها، وشأن الإسلام. قال: فوالله ما كان بأسرع أن مرّ رسول الله ﷺ، فلما رآه أبو بكر قام إليه، فسارّه في أذنه فجاء إليّ رسول الله ﷺ فقال: «**يا عثمان، أجب الله إلى جنّته، فإنّي رسول الله إليك، وإلى جميع خلقه**». فوالله ما تمالكت حين سمعت قوله أن أسلمت، وشهدت أن لا إلـٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، ثم لم ألبث أن تزوّجت رقية بنت رسول الله ﷺ.

وكان يقال: أحسن زوجين رآهما إنسان، رقية وعثمان ـ رضي الله عنهما.

وقد ذكرنا ما فيه الكفاية لمن نوّر الله قلبه بالإيمان، وسلك به مسالك أهل العرفان، من عظيم آياته ﷺ، وباهر معجزاته.

ولنرجع إلى نقل المهمّ من كلام ابن إسحٰق، وغيره، على وجه الاختصار، فنذكر من سيرة سيّدنا محمد ﷺ، ما تنشرح لذكره الصّدور، ويستولي عليه اليقين والنور.

ولله درّ القائل: [الطويل]

---

(١) في (د): وكان مجلس بأبي بكر.

تعلّق بأذيال النبيّ ولذ به | تفز بجزيل الأجر يا طالب الهدى
وهل سيّد السّادات إلاّ نبيّنا[1] | أتى رحمة للعالمين وسيدا
أضاءت قلوب السّالكين بنوره | فيا حبّذا قلبا يُحبّ محمدا
وما ذكر خير الخلق إلاّ مطهر | لأدناس[2] قلب قد أضرّ بها الصّدا
وأيّ سناء مثل نور محمد | به أشرقت أرجاء قلب من اقتدى[3]



(١) في (د): إلا نبيا.
(٢) في (د): ورد هذا العجز هكذا: من أدناس قلب قد أضمر به المدى الصدى.
(٣) في (د): ورد هذا البيت هكذا:
وأيّ سني مثل نور محمد | أضاءت به أرجاء قلب من اهتدى

باب في قيام النبيّ ﷺ بالليل وهو بمكة

قال ابن إسحٰق: حدّثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أنّه حُدّث أنّ أبا سفيان بن حرب، وأبا[1] جهل بن هشام، والأخنس بن شريق[2]، الثقفي[3]، خرجوا ليلة يستمعون من رسول الله ﷺ وهو يصلّي من الليل في بيته، فأخذ كلّ رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان/ صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتّى إذا طلع الفجر، تفرّقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا، ثم انصرفوا، حتّى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كلّ رجل منهم محلّه، كأوّل مرّة، ثم جمعهم الطريق أيضاً فتلاوموا، ثم انصرفوا حتّى إذا كانت الليلة الثالثة، عادوا، وأخذ كلّ رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون حتّى إذا طلع الفجر، تفرّقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتّى نتعاهد ألاّ نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرّقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق، أخذ عصاه، ثم خرج حتّى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء، أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها، ولا ما يراد بها.

١٣٥/و

قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتّى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال يا أبا الحكم: ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا

---

(١) في (د): وأبو جهل بن هشام.
(٢) في (ر): والأخنس بن شريك.
(٣) الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة. كنيته أبو ثعلبة.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٣١٥/١.

فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، قالوا: منّا نبي يأتيه الوحي من السماء؟ فمتى ندرك هذا والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدّقه، فقام عنه الأخنس وتركه.

قال ابن إسحٰق: ثم إنّ كفار قريش عدوا على من أسلم واتّبع رسول الله ﷺ من أصحابه، يعذّبونهم ويفتنونهم[1].

قال السّهيلي: قوله[2]: تحاذينا على الرُّكب، وقع في الجمهرة: الجاذي المقعي على قدميه[3]. وربما جعلوا الجاذي والجاثي سواء[4].



(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٣١٥/١ ـ ٣١٧، وبينهما خلاف.
(٢) في الروض الأنف: فلما تحاذينا...
(٣) في الروض الأنف: قال: وربما...
(٤) الروض الأنف: ٢١٥/٣.

باب في ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحٰق: ولما رأى النبيّ ﷺ، ما يصيب أصحابه من البلاء، و[ما][(١)] هو فيه من العافية، بمكانه من الله سبحانه، ثم من عمّه أبي طالب، وأنّه لا يقدر أن يمنعهم، قال لهم: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنّ بها ملكاً، لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتّى يجعل الله لكم فرجاً ممّا أنتم فيه**». فخرج عند ذلك المسلمون، من أصحابه ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً بدينهم إلى الله سبحانه، (فكانت[(٢)] أول هجرة كانت في الإسلام). فكان أوّل من خرج من المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه، معه امرأته، رقية، ابنة رسول الله ﷺ، ثم تتابعوا. فكان جميع من لحق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين [سوى][(٣)] أبنائهم الذين خرجوا بهم. صغاراً أو ولدوا بها. ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان عمار بن ياسر فيهم ـ يشك فيه[(٤)] ـ فيهم جعفر بن أبي طالب، والزبير بن العوّام، وعبدالرحمٰن بن عوف، وغيرهم، رضي الله عنهم أجمعين.

قالت أمّ سلمة رضي الله عنها: لمّا نزلنا أرض الحبشة، جاورنا فيها خير جار النّجاشي، أمنّا على ديننا، وعبدنا الله سبحانه، لا نُؤذَى، ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم، أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين[(٥)]، وأن يهدوا للنّجاشي هدايا ممّا

(١) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) في (د): فكان أول هجرة.

(٣) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٢١ ـ ٣٣٠، باختصار وبينهما خلاف.

(٥) في الأصل: جليدين.

يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم[1]، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلاّ أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن ربيعة[2]، وعمرو بن العاصي[3]، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا لكل بطريق هديته قبل أن تكلّما النّجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه[4]، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما [قبل أن يكلّمهم][5].

قالت: فخرجا حتّى قدما على النّجاشي، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار. فلم يبق من بطارقته بطريق إلاّ دفعا إليه هديته، قبل أن يكلما النجاشي. وقالا لكل بطريق منهم: إنّه قد ضوى[6] إلى بلد الملك/ منّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم[7]، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم، أشراف قومهم، ليردهم إليهم[8]. فإذا كلّمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم فإن قومهم أعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم. ثم إنّهما قرّبا هداياهما إلى النّجاشي فقبلها

١٣٦/ظ

(١) الأدم: اسم جمع: الجلود.
(٢) عبدالله بن ربيعة: أبو عبدالرحمٰن بن أبي ربيعة ـ على خلاف الأنوار ـ ابن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، وكان اسمه في الجاهلية «بحيرة» فسماه رسول الله ﷺ، عبدالله، أسلم يوم الفتح، وكان من أحسن قريش وجهاً.
● الاستيعاب: ٨٩٦/٣ ـ ٨٩٧، تر: ١٥٢٨.
(٣) أبو عبدالله عمرو بن العاص بن وائل السّهمي القرشي، أسلم في السنة الثامنة قبل الفتح ولاّه رسول الله ﷺ على عمان؛ فلم يزل بها حتّى قبض. ثم عمل لعمر، وعثمان، ومعاوية توفي سنة ثلاث وأربعين.
● الاستيعاب: ١١٨٤/٣ ـ ١١٩١، تر: ١٩٣١.
(٤) في الأصل: هداه.
(٥) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٦) ضوى: لجأ ولصق، وأتى ليلاً.
(٧) في (د): فارقوا دين قومهم ليردّوهم، ولم يدخلوا في دينكم.
(٨) في (د): ليردوهم علينا.

منهما. ثم كلّماه، فقالا له: أيها الملك، إنّه قد ضوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء، فارقوا[1] دين قومهم، ولم يدخلوا دينك[2]، جاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم، من آبائهم وأعمامهم[3]، وعشائرهم، لتردهم إليهم[4] فهم أعلم بما عابوا عليهم.

قالت: فقالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك، قومهم [أعلم][5] بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما ليردّاهم[6] إلى بلادهم، وقومهم.

قال: فغضب النجاشي ثم قال: لاها الله[7]، إذا لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتّى أدعوهم، فأسألهم عمّا يقول هذان في أمْرِهم.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فدعاهم، فلمّا جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبيّنا ﷺ، كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما جاءوا ـ وقد دعا النّجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله. سألهم، فقال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه[8] قومكم؟ ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟

قالت: فكان الذي كلّمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك، كنّا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش،

---

(١) في الأصل: فرّقوا دين قومهم.
(٢) في (د) و(ر): ولم يدخلوا في دينك.
(٣) في الأصل: عمائهم.
(٤) في (د) و(ر): لتردهم عليهم، وفي الأصل: لتردهم عليه.
(٥) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٦) في الأصل و(د): ليرُدّوهم...
(٧) في الأصل: لاها لله...
(٨) في (ر): فارقتم به.

ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي الضعيف، فكنّا على ذلك، حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه، وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله سبحانه، لنوحّده، ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدّماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله، ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة، والصّيام.

قالت فعدّد عليه أمور الإسلام. فصدقناه، وآمنا به، على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، ولم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا. فعدا علينا قومنا، فعذّبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردّونا إلى عبادة الأوثان، من عبادة الله، وأن نستحل ما كنّا نستحل من الخبائث. فلما قهرونا، وظلمونا، وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا[(١)] نظلم عندك أيّها الملك.

قالت: فقال له النجاشي: هل معك ممّا جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ؟ فقرأ عليه صدر ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

قالت: فبكى ـ والله ـ النجاشي حتّى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتّى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم. ثم قال النجاشي: إنّ هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة[(٢)] واحدة. انطلقا، فلا والله ما أسلمهم إليكما أبداً. ولا يكاد.

---

(١) في (د): أن لا نظلم عندك.

(٢) المشكاة: الكوة غير النافذة ـ وقيل: الحديدة التي يعلق عليها القنديل، يريد: إنّ القرآن والتوراة والإنجيل كلام الله تعالى وإنهما من شيء واحد.

قالت: فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاصي: والله لآتينّه غداً، عنهم، بما أستأصل به خضراءهم[1].

قالت: فقال له عبدالله بن أبي ربيعة ـ وكان أبقى الرجلين فينا ـ لا تفعل، فإنّ لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا؟ قال: والله لأخبرنّه أنّهم يزعمون أنّ عيسى ابن مريم عبد.

قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال: أيّها الملك: إنّهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً. فأرسل إليهم فاسألهم عمّا[2] يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه.

١٣٧/و قالت: ولم ينزل[3] بنا مثلها قط، فاجتمع القوم/ ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبيّنا ﷺ، كائناً في ذلك ما هو كائن.

قالت: فلمّا دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟

قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبيّنا ﷺ. نقول: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته، ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب النّجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود.

قالت: فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال. فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي ـ والشّيوم: الآمنون. من سبّكم غرم، ثم

(١) خضراءهم: شجرتهم التي منها تفرّعوا.
(٢) في الأصل: عن ما.
(٣) في الأصل: ولم يزل بنا مثلها قط.

من سبّكم غرم، ثم من سبّكم غرم. ما أحبّ أن لي ديراً من ذهب ـ والدير بلسان الحبشة: الجبل[1].

قلت: هذا الحديث رواه ابن إسحٰق عن الزّهري. قال ابن إسحٰق. وحدّثني جعفر بن محمد عن أبيه قال: اجتمعت الحبشة، فقالوا للنجاشي: إنّك قد فارقت ديننا، وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيّأ لهم سفناً، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتّى تلحقوا حيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا، ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم؛ ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة، وصفّوا له، فقال: يا معشر الحبشة، ألست أحقّ النّاس بكم؟ قالوا: بلى؛ قال: فكيف سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة؛ قال: فما لكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أنّ عيسى عبد، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله؛ ـ تعالى الله عن قولهم ـ قال: فقال النجاشي: ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أنّ عيسى لم يزد على هذا شيئاً ـ وإنّما يعني على ما كتب، فرضوا وانصرفوا. فبلغ ذلك النبيّ ﷺ. فلما مات النجاشي، صلّى عليه، واستغفر له[2].

قلت: وروينا في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نعى لهم النجاشي، صاحب الحبشة، في اليوم الذي مات فيه ـ فقال: **«استغفروا لأخيكم»**[3].

وفي رواية في البخاري عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ صفّ بهم في المصلّى فصلّى عليه وكبّر أربعاً[4].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٥٨/١ ـ ٣٦٢، وبينهما خلاف.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٣٤/١ ـ ٣٤١، وبينهما خلاف.

(٣) صحيح البخاري: ١١١/٢، باب الصلاة على الجنائز بالمصلّى والمسجد.

(٤) المصدر السابق.

وفي رواية للبخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أنّ رسول الله ﷺ صلّى على أصحمة النجاشي فكبّر أربعاً[(١)].

قلت: وأصحمة معناه بالعربية عطية ـ وقولهما: ضوى إليك فتية معناه أووا إليك قاله السّهيلي[(٢)].

وذكر السّهيلي: أن موت النجاشي كان في رجب سنة تسع[(٣)].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيد[(٤)] بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور[(٥)].

قلت: وهذا الحديث، خرّجه أبو داود[(٦)]. قال ابن إسحٰق: ولمّا قدم عمرو بن العاصي وعبدالله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ وردهما النجاشي بما يكرهون، وأسلم عمر بن الخطاب رضي الله، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ، وبحمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه حتّى عازّوا قريشاً. فكان عبدالله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتّى أسلم عمر بن الخطاب. فلما أسلم قاتل قريشاً حتّى صلّى عند الكعبة، وصلّينا معه. وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ [إلى الحبشة[(٧)]][(٨)].

---

(١) صحيح البخاري: ١١٢/٢، باب التكبير على الجنائز أربعاً.
(٢) الروض الأنف: ٢٥٦/٣.
(٣) الروض الأنف: ٢٦٢/٣.
(٤) أبو روح يزيد بن رومان الأسدي، مولى آل الزبير بن العوام، عالم بالمغازي، ثقة. من أهل المدينة، أحاديثه في الصحاح الستة، توفي بالمدينة المنوّرة سنة ثلاثين ومائة [١٣٠].
● الأعلام: ٢٣٤/٩.
(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٤٢/١.
(٦) سنن أبي داود: ٢١٢/٣، رقم: ٣٢٠٤. كتاب الجنائز، باب في الصلاة على المسلم يموت في بلاد الشرك.
(٧) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٨) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٤٢/١.

قال ابن إسحـٰق: ولما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا فيها أمناً وقراراً، وأنّ النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم. وأنّ عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة بن عبدالمطلب مع رسول الله/ﷺ، وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً، يتعاقدون فيه على بني هاشم، وبني المطلب، على أن لا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، ولا يناكحوهم، فكتبوا الصحيفة، ثم علّقوها في جوف الكعبة، توكيداً للعهد، على أنفسهم، فكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة[١] ويقال: النضر بن الحارث، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلّت بعض أصابعه[٢] وقال في موضع آخر بعد هذا منصور. فشلّت يده[٣]، ولم يذكر النضر.

١٣٨/ظ

قلت: وهذه من آياته ﷺ.

ومن آياته هنا في هذا الباب إجابة دعوته في عمر رضي الله عنه على ما ذكره ابن إسحـٰق أنّ عمر لما سمع خبّاب بن الأرت[٤] يقرىء ختنه سعيد بن زيد وأخته فاطمة[٥] بنت الخطاب سورة طه، وهي مكتوبة في

(١) منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٣٥٠/١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٥٠/١، وبينهما خلاف.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٧٧/١، وفيها: وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة...

(٤) أبو عبدالله، خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي، كان عبداً في الجاهلية يصنع السيوف، فأعتقته امرأة من خزاعة، فهو تميمي النسب، خزاعي بالولاء، زهري بالحلف، من المهاجرين الأولين، شهد بدراً، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، نزل الكوفة وبها مات سنة سبع وثلاثين عن ٦٣ سنة، وصلّى عليه الإمام عليّ كرّم الله وجهه.
● الاستيعاب: ٤٣٧/٢ ـ ٤٣٩، تر: ٦٢٨.

(٥) فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبدالعزّى القرشية العدوية أخت عمر، أسلمت قديماً قبل زوجها سعيد بن زيد، وأخيها عمر.
● الاستيعاب: ١٨٩٢/٤، تر: ٤٠٥٦.

صحيفة، غضب. وقال لختنه وأخته: إنّكما تابعتما محمداً على دينه وبطش بختنه، فقامت إليه أخته فاطمة لتكفه عن زوجها فضربها فشجّها. فلما فعل ذلك قالا له: نعم. قد أسلمنا، وآمنا بالله، وبرسوله، فاصنع ما بدا لك؟ ولما رأى عمر ما بأخته من الدم. ندم، وارعوى، وقال لأخته: أعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون آنفاً، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد؟ - وكان عمر كاتباً. فلما قال ذلك قالت أخته: إنّا نخشاك عليها؛ قال: لا تخافي عليها، وحلف ليردنّها إليها إذا قرأها. فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له: يا أخي، إنّك نجس، على شركك، فإنّه لا يمسها إلاّ طاهر، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها «طٰه» فقرأها. فلما قرأ منها صدراً، قال: ما أحسن هذا الكلام! فلما سمع ذلك خباب، خرج وكان مختفياً في بعض البيت.

فقال يا عمر: والله إنّي لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيه ﷺ: فإنّي سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر، فقال له عمر عند ذلك: فدلّني يا خباب على محمد حتّى آتيه فأسلم؛ فقال له خبّاب: هو في بيت عند الصّفا، في نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشّحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ، وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلمّا سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فنظر من خلل الباب، فرآه متوشّحاً السّيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال حمزة: فأذن له، فإن كان يريد خيراً بذلناه له، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه. فقال رسول الله ﷺ: **«ائذن له»**، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتّى لقيه في الحجرة، فأخذ بحجزته[1] أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة، وقال: **«ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتّى ينزل الله بك قارعة؟»** فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله؛ قال: فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب

---

(١) الحجزة: موضع شد الإزار.

النبيّ ﷺ أنّ عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزّوا في أنفسهم، حين أسلم عمر، وبإسلام حمزة، وعرفوا أنّهما سيمنعان رسول الله صلّى الله عليه [وسلم][1] وينتصفون بهما من عدوهم.

فهذا حديث [الرواة][1] من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أسلم[2].

قلت: وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر رضي الله عنه[3].

ثم ذكر ابن إسحٰق رواية أخرى في سبب إسلامه: أنّ عمر قال: جئت أريد الطواف بالكعبة، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلّي، وقد جعل الكعبة بينه وبين الشام، فكان مصلاّه بين الركن الأسود وبين الركن اليماني. قال: فقلت: حين رأيته، والله لو أنّي استمعت لمحمد الليلة، حتى أسمع ما يقول! فقلت: لئن دنوت منه أسمع أخشى أن أروّعه، فجئت من قبل الحجر، فدخلت تحت ثياب الكعبة/ فجعلت[4] أمشي رويداً، ورسول الله ﷺ قائم يصلّي، يقرأ القرآن، حتّى قمت في قبلته، مستقبله، ما بيني وبينه إلاّ ثياب الكعبة. قال: فلما سمعت القرآن رقّ له قلبي، فبكيت ودخلني الإسلام. فلم أزل قائمًا في مكاني، حتّى قضى رسول الله ﷺ صلاته، ثم انصرف، فتبعته، فلما سمع حسّي عرفني، فظن أنّي تبعته لأوذيه، فنهمني[5]، ثم قال: «**ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه السّاعة؟**» قلت: جئت لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله؛ قال: فحمد الله رسولُ الله، وقال: «**قد هداك الله يا عمر**»، ثمّ مسح صدري، ودعا لي بالثبات، ثم انصرفت عن رسول الله ﷺ[6].

١٣٩/و

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٤٤/١ ـ ٣٤٦، وبينهما خلاف.
(٣) صحيح البخاري: ١٤/٥، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي، رضي الله عنه.
(٤) في (د): فجئت.
(٥) نهمني: زجرني.
(٦) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٤٧/١ ـ ٣٤٨، وبينهما خلاف.

قال السّهيلي وأبو الربيع: وذكر محمد بن عبدالله بن سنجر الحافظ زيادة في إسلام عمر قال: نا[1] أبو المغيرة[2] قال: حدّثنا صفوان[3] بن عمرو: قال: حدّثني شريح بن عبيد[4] قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرّض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه، فاستفتح سورة «الحاقة»، فجعلت أتعجّب من تأليف القرآن قال: فقلت: هذا والله شاعر، كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾، قال: فقلت: كاهن، علم ما في نفسي، قال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢﴾، إلى آخر السورة[5].

قال: فوقع الإسلام في قلبي كلّ موقع، وقال عمر حين أسلم [البسيط]

الحمد لله ذي[6] المنّ الذي وجبت ... له علينا أيادي[7] ما لها غِيَر

وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا ... صدق الحديث نبي عنده الخبر

وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى ... ربّي عشية قالوا: قد صبا عمر

---

(١) في الروض الأنف: حدّثنا أبو المغيرة، قال: نا صفوان...

(٢) أبو المغيرة: عبدالقدوس بن الحجّاج الخولاني الحمصي، محدّث الشام، روى عن الأوزاعي، وصفوان بن عمرو، وطبقتهما، وروى عنه الإمام أحمد، والبخاري، وأبو محمد الدارمي، وغيرهم. توفي بحمص سنة اثنتي عشرة ومائتين [٢١٢].
- طبقات الحفاظ: ١/٣٨٦، تر: ٣٨٥.

(٣) صفوان بن عمرو السّلمي، ويقال: الأسلمي، شهد أحداً، ولم يشهد بدراً، وقال ابن الكلبي، بل شهدها مع إخوته الثلاثة: ثقف، ومالك، ومدلاج، وهم حلفاء بني عبد شمس.
- أ ـ الاستيعاب: ٢/٧٢٤، تر: ١٢١٩.
- ب ـ الإصابة: ٢/١٨٩، تر: ٤٠٨٢.

(٤) شريح بن عبيد الحضرمي الشّامي أبو الصلت، روى عن عقبة بن عامر، وفضالة بن عبيد، ومعاوية.
- الجرح والتعديل: ٤/٣٣٤، رقم: ١٤٤٦.

(٥) الحاقة: ٤٠ ـ ٥٢.

(٦) في (د): الحمد لله ذو المنّ...

(٧) في الروض الأنف: أيادٍ...

وقد ندمت على ما كان من زلل … بظلمها[١] حين تُتلى عندها السّور
لمّا دعت ربّ[٢] هذا العرش جاهدة … والدمع من عينها عجلان يبتدر
أيقنت أنّ الذي يدعوه خالقها … وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
فقلت: أشهد أنّ الله خالقنا … فكاد يسبقني من عبرة درر
نبي صدق أتى بالحق من ثقة … وافي الأمانة ما في عوده خور

روى هذه الأبيات يونس عن ابن إسحٰق[٣].

قال السّهيلي: وقول أخت عمر لا يمسّه إلا المطهرون. والمطهرون في هذه الآية هم الملائكة، وهو قول مالك[٤] في الموطأ[٥] ولكنّه وإن كان الملائكة ففي وصفهم بالطهارة مقروناً بذكر المسّ ما يقتضي أن لا يمسّه إلاّ طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين. فقد تعلق الحكم بصفة التّطهير، ولكنه حكم مندوب إليه وليس محمولاً على الفرض. وكذلك ما كتب به رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم[٦] وأن لا يمسّ القرآن إلاّ طاهر ليس[٧] على الفرض أيضاً، وإن كان الفرض فيه أبين منه في الآية لأنه جاء بلفظ النهي

---

(١) في (د): بظلها.
(٢) في الروض الأنف:
لما دعت ربّها ذا العرش جاهدة … والدّمع من عينها عجلان يبتدر
أيقنت أنّ الذي تدعوه خالقها … فكاد تسبقني من عبرة درر
فقلت أشهد أن الله خالقنا … وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
(٣) الروض الأنف: ٣/٢٧٧ ـ ٢٧٨.
(٤) تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك للسيوطي: ١/١٥٧ ـ ١٥٨، الأمر بالوضوء لمن مسّ القرآن. مطبعة الاستقامة بالقاهرة. المكتبة التجارية الكبرى ـ بمصر.
(٥) في الروض الأنف: واحتج بالآية الأخرى التي في سورة عبس، ولكنّهم وإن كانوا الملائكة...
(٦) أبو الضحاك عمرو بن حزم بن زيد الخزرجي الأنصاري، أول مشاهده الخندق، واستعمله الرسول ﷺ على أهل نجران وهو ابن سبع عشرة سنة ليفقههم في الدين ويأخذ صدقاتهم، وذلك سنة عشر، توفي بالمدينة سنة إحدى وخمسين.
● الاستيعاب: ٣/١١٧٢ ـ ١١٧٣، تر: ١٩٠٧.
(٧) في الروض الأنف: ليس على الفرض وإن كان...

عن مسّه على غير طهارة. ولكن في كتابه إلى هرقل بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ...﴾[1] الآية، دليل على ما قلناه.

وقد ذهب داود[2] وأبو ثور[3] وطائفة ممّن سلف[4] إلى إباحة مسّ المصحف على غير طهارة، واحتجوا بما ذكرنا من كتابه إلى هرقل[5].

قلت: والمسألة تحتاج إلى بحث وكلام أكثر من هذا. وظاهر إطلاق أهل المذهب لفظ المنع يخالف ما ذكره السّهيلي من النّدب والله أعلم. قال: السّهيلي: وفي حديث[6] عمر فنهمني معناه زجرني. والنّهيم: زجر الأسد[7].

فصل

في بقية الكلام في الصّحيفة وما فيها من الآيات الباهرة

قال ابن إسحٰق: ولما اجتمعت قريش على أمر الصحيفة انحازت عنهم بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شعبه، واجتمعوا إليه. وقال أبو طالب الأبيات:/ [الطويل] ١٤٠/ظ

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) أبو سليمان داود بن علي الأصبهاني البغدادي، الفقيه المجتهد، رئيس أهل الظاهر. ولد سنة مائتين، سمع القعنبي، وسليمان بن حرب، ومسدداً وغيرهم. كان بصير بالحديث ناسكاً ورعاً، وكان يحضر مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان، توفي في رمضان سنة سبعين ومائتين [٢٧٠].

● تذكرة الحفاظ: ٥٧٢/٢ ـ ٥٧٣، تر: ٥٩٧.

(٣) أبو ثور: إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي، كان أحد أئمة الدنيا، فقهاً، وعلماً، وورعاً، وفضلاً. توفي في صفر سنة أربعين ومائتين [٢٤٠].

● تذكرة الحفاظ: ٥١٢/٢ ـ ٥١٣، تر: ٥٢٨.

(٤) في الروض الأنف: ممّن سلف منهم الحكم بن عتيبة، وحماد بن أبي سليمان إلى إباحة...

(٥) ● الروض الأنف: ٢٧٣/٣ ـ ٢٧٤.

(٦) في الروض الأنف: وفي حديث إسلام عمر: فنهمه رسول الله ﷺ أي زجره...

(٧) ● الروض الأنف: ٢٧٩/٣ ـ ٢٨٠.

ألا أبلغا عنّي على ذات بيننا لؤيا وخصّا من لؤيّ بني كعب
ألم تعلموا أنّا وجدنا محمدا نبياً كموسى خطّ في أول الكتب
وأنّ عليه في العباد محبة ولأخير ممّن خصّه الله بالحبّ
وأنّ الذي لصقتم من كتابكم لكم كائن نحساً راغية السّقب[1]
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذّنب
فلسنا وربّ البيت نُسلم أحمدا لضرّاء من عضّ الزّمان ولا كرب
ولمّا تبن منّا ومنكم سوالف وأيد أترّت بالقساسية الشهب[2]
أليس أبونا هاشم شدّ أزره؟ وأوصى بنيه بالطّعان وبالضرب
ولسنا نملّ الحرب حتّى تملّنا ولا نشتكي ما ينوب من النّكب
ولكننا أهل الحفائظ والنُّهى إذا طار أرواح الكماة من الرعب

فأقاموا على ذلك سنتين، أو ثلاث[3]، ورسول الله ﷺ يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ، ويرشدهم.

قوله: ولأخْيَر من خصّه الله بالحب. هو أفعل التفضيل: لا أحد أخير ممّن خصّه الله بالحبّ.

وقدره السّهيلي فقال: كأنّه قال: لا خير أخير ممّن خصّه الله بالحبّ[4].

والقساسيّة: السّيوف نسبها إلى قِساس، وهو معدن حديد. وقيل: اسم للجبل الذي فيه المعدن.

قال السّهيلي: قوله كراغية السّقب: يريد ولد النّاقة التي عقرها قدار،

---

(١) في الأصل: وأن الذي لصقتم ومن كتابكم.
(٢) أترَتْ: قطعت. والقساسية: سيوف تنسب إلى قساس. وهو جبل لبني أسد فيه معدن الحديد. والسوالف: صفحات الأعناق.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٥٢/١ ـ ٣٥٣، وبينهما خلاف.
(٤) الروض الأنف: ٣٠١/٣.

فرغى ولدها فصاح برُغائه كل شيء له صوت. فهلكت ثمود عند ذلك، فضربت العرب ذلك مثلاً في كل هلكة[1].

قال ابن إسحٰق: ثم إنّه قام في نقض تلك الصحيفة نفر من قريش، ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو[2] بن الحارث، وكان ذا شرف في قومه، فمشى إلى زهير[3] بن أبي أمية، وكانت أمّه عاتكة[4] بنت عبدالمطلب، فقال، يا زهير: أقد رضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث قد علمت، لا يباعون، ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم؟ أمّا أنا أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبداً. فقال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنّما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها. قال: وقد وجدت رجلاً. قال: من هو؟ قال: أنا قال له زهير: أبغنا ثالثاً.

فذهب إلى المطعم بن عدي[5] فقال: يا مطعم: أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد؟ قال: ويحك! فما أصنع؟

---

(١) الروض الأنف: ٣/٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٢) هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن نصر بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري. من المؤلفة قلوبهم.
- الإصابة: ٣/٦٠٥ ـ ٦٠٦، تر: ٨٩٧٢.

(٣) زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، أخو أم سلمة أم المؤمنين، مذكور في المؤلفة قلوبهم.
- أ ـ الاستيعاب: ٢/٥٢٠، تر: ٨١٨.
- ب ـ الإصابة: ٢/٥٥٢، تر: ٢٨٢٢.

(٤) عاتكة بنت عبدالمطلب بن هاشم، عمّة الرسول ﷺ، وقد اختلف في إسلامها فقيل: أسلمت بمكة وهاجرت إلى المدينة المنوّرة، وهي صاحبة الرؤيا المشهورة في وقعة بدر.
- الإصابة: ٤/٣٥٧ ـ ٣٥٨، تر: ١٩٨.
- الاستيعاب: ٤/١٨٨٠، تر: ٤٠٢٥.

(٥) المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، رئيس بني نوفل في الجاهلية وقائدهم في حرب الفجار، وهو الذي أجار رسول الله ﷺ عند انصرافه عن أهل الطائف، توفي قبل بدر بسنتين وله بضع وتسعون سنة.
- الأعلام: ٨/١٥٦.

إنّما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانياً قال: من هو؟ قال: أنا. قال: أبغنا ثالثاً؟ قال: قد فعلت. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية. قال: أبغنا رابعاً. فذهب إلى أبي البختري[1] بن هشام فقال له: نحواً ممّا قال لمطعم بن عدي. قال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم. قال: مَن هو؟ قال: زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وأنا معك. قال: أبغنا خامساً. فذهب إلى زمعة بن الأسود[2]، فكلّمه وذكر له قرابتهم، فأجابه إلى ذلك، واتّعدوا ليلاً بأعلى مكة، فاجتمعوا هناك، وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى يُنقضوها. قال زهير بن أبي أمية: أنا أبدأكم فأكون أول من تكلم. فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلّة فطاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة: أنأكل الطعام، ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون، ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتّى تنشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة، فقال أبو جهل: ـ وكان في ناحية المسجد ـ كذبت والله لا تشقّ.

فقال زمعة: أنت والله أكذب. ما رضينا كتابها حيث كتبت. وقال أبو البختري: صدق زمعة. أنت والله أكذب. ما رضينا ما كتب فيها، ولا نقر به. وقال المطعم: صدقتما، وكذب/ من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها، وممّا كتب فيها. وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك، فقال أبو جهل: هذا أمر قضي[3] بليل، تُشُوور فيه، بغير هذا المكان، وقام المطعم إلى الصحيفة

١٤١/و

---

(١) أبو البختري: العاص بن هاشم، ويقال ابن هشام، ابن الحارث بن أسد بن عبدالعُزّى، من زعماء قريش في الجاهلية لم يعرف عنه إذاء للنّبي ﷺ، بل كان في بدء الدعوة يكفُّ الناس عنه. قتل في غزوة بدر كافراً. وهو أحد من قام في نقض الصحيفة.
- أ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ١١٧.
- ب ـ الأعلام: ١١/٤.

(٢) زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعُزّى، قتل كافراً ببدر مع أخيه عقيل.
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ١١٨.

(٣) في (د): قد قضي بليل.

ليشُقها فوجد الأرضة قد أكلتها، إلاّ باسمك اللّهم. وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة، فشلت يده.

قال ابن هشام: فذكر بعض أهل العلم، أنّ رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: «**يا عمّ، إنّ الله قد سلّط الأرضة على صحيفة قريش، فلمّا**[1] **تدع فيها اسماً هو لله إلاّ أثبتته فيها، ونفت منها القطيعة والظلم والبهتان**». فقال: أربّك أخبرك بهذا؟ قال: «**نعم. فوالله ما يدخل عليك أحد**». ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إنّ ابن أخي أخبرني بكذا وكذا. فهلمّ صحيفتكم فإن كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا، فقال القوم: رضينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ.

فزادهم ذلك شراً. فعند ذلك صنع الرّهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا.

قال ابن إسحٰق: فلما مزّقت الصحيفة وبطل ما فيها فقال أبو طالب، فيما كان من أمر القوم الذين قاموا في نقض الصحيفة: [الطويل]

ألا هل أتى بحريّنا صنع ربّنا	على نأيهم والله بالنّاس أورد
فنخبرهم[2] أنّ الصحيفة مزّقت	وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
فمن ينش من حضّار مكة عزّه	فعزّتنا في بطن مكة أتلد[3]
نشأنا بها والناس فيها قُليل[4]	فلم ننفكك نزداد خيراً ونحمد
ونطعم حتّى يترك الناس فضلهم	إذا جعلت أيدي المفيضين تُرعَد
وكنّا قديماً لا نقرّ ظلامة	وندرك ما شئنا ولا نتشدّد
جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا[5]	على ملأ يهدي لحزم ويُرشد

---

(١) في (د) و(ر): وابن هشام: فلم تدع...

(٢) في (د): فتخبرهم، وفي السيرة النبوية لابن هشام: فيخبرهم.

(٣) في (د) والسيرة النبوية لابن هشام: أتلد ـ بالتاء ـ.

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: قلائل.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: تبايعوا.

قعود[1] لدى حطم الحجون كأنّهم مقاولة بل هم أعزّ وأمجد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا على مهل وسائر الناس رقّد
هم رجعوا سهل بن[2] بيضاء راضيا وسرّ أبو بكر بها ومحمد[3]

قال السّهيلي: قوله[4]: ألا هل أتي بحرينا يعني الذين بأرض الحبشة نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه[5].

وقوله: والله بالنّاس أرود: أي أرفق - ومنه رويدك أي رفقاً[6].

وقوله[7]: إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد: يعني المفيضين بالقدح في الميسر[8].

والأقيال في لغة اليمن: الملوك الذين دون التّبابعة، واحدهم قيل، وأصله قيّل، مثل سيّد ثم خفف.

قلت: وقول أبي طالب: نشأنا بها والناس فيها قليّل الأبيات نظير قول عمرو بن الحارث[9] الجرهمي لما خرج من مكة هو ومن معه من جرهم

---

(1) في السيرة النبوية لابن هشام: قعوداً.
(2) هو سهل بن وهب بن ربيعة بن عامر بن مالك بن ضبّة، الحارث بن فهر. وبيضاء أمّه، واسمها دعد بنت جحدم. وسهل إخوان: سهيل وصفوان وهم جميعاً بنو بيضاء.
● جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ١٧٧.
(3) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٧٧/١ - ٣٧٩، وبينهما خلاف.
(4) في الروض الأنف: وقول أبي طالبَ ألا قد أتى بحرينا...
(5) الروض الأنف: ٣٥٦/٣.
(6) الروض الأنف: ٣٥٨/٣.
(7) في الروض الأنف: وقوله فيها.
(8) في الروض الأنف: ٣٦٠/٣.
(9) عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو بن غالب الجرهمي، من ملوك قحطان في الحجاز، في العصر الجاهلي القديم، تولّى مكة بعد خروج أبيه منها، ولم تطل مدته، مات بمكة وهو أحد المعمّرين القدماء.
● معجم الشعراء للمزرباني أبي عبيدالله محمد بن عمران: ١٠، تح: عبدالستّار أحمد فرّاج، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٧٣٩هـ - ١٩٦٠م.

إلى اليمن، وحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة، وملكها حزناً شديداً. فقال عمرو في ذلك [الطويل]:

كأن لم يكن بيْن الجحون إلى الصّفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى كنّا نحن أهلها فأزالنا ... صروف الليالي والجدود العواثر
وكنّا ولاّة البيت من بعد نابت[1] ... نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
فأخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك يا للنّاس تجري المقادر
فسحّت دموع العين تبكي لبلدة ... بها حرام أمن وفيها المشاعر
وتبكي لبيت ليس يؤذي حمامه ... يظل به أمناً وفيه العصافر[2]

وذكر بقية الأبيات. وإنّما أذكر من سائر ما أنقله ما يليق بالكتاب من غير تطويل.

١٤٢/ظ وقال عمرو بن الحارث أيضاً يذكر ساكني مكة بعدهم/ [البسيط]:

يا أيّها الناس سيروا إن قصركم[3] ... أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطيّ وأرخوا من أزمتها ... قبل الممات وقضوا ما تقضّونا
كنّا أناساً كما كنتم فغيّرنا[4] ... دهر فأنتم كما كنّا تكونونا[5][6]

قال ابن هشام: هذا ما صحّ له منها، وحدّثني بعض أهل العلم بالشعر أنّ هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب[7].

---

(١) نبت بن إسماعيل، أمّه جرهمية، لم يكثر أولاد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام، فغلبت جرهم على ولاية البيت.
(٢) العصافر: جمع عصفور، حذفت الياء للوزن والضرورة.
(٣) قصركم: نهايتكم وغايتكم.
(٤) في معجم الشعراء: فغيّركم.
(٥) في معجم الشعراء: تصيرونا.
(٦) معجم الشعراء للمرزباني: ١٠.
(٧) السيرة النبوية لابن هشام: ١/١١٥ ـ ١١٦، وبينهما خلاف.

باب في إسلام الطفيل بن عمرو وما أظهر الله سبحانه له على يدي نبيه من الآيات الظاهرة، والأنوار السّاطعة

قال ابن إسحٰق: رحمه الله تعالى ـ فكان رسول الله ﷺ على ما يرى من قومه، يبذل لهم النّصيحة، ويدعوهم إلى النجاة. وجعلت كفار قريش ـ حين منعه الله تعالى منهم ـ يحذّرونه الناس، ومن قدم من العرب. فكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدّث أنّه قدم مكة، ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل إنّك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل[1] بنا، وإنّا نخشى عليك وعلى قومك، ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه، ولا تسمعنّ منه شيئًا. قال: فوالله ما زالوا بي حتّى عزمت أن لا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه، حتّى حشوت في أذني كرسفاً، حين غدوت إلى المسجد فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلّي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريباً، فأبى الله إلاّ أن يسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلاماً حسناً. قال: فقلت في نفسي واثكل أمّي، والله إنّي لرجل لبيب شاعر، وما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول: فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتّبعته، حتّى إذا دخل بيته، دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إنّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوّفونني أمرك حتّى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلاّ أن يسمعني قولك، فسمعت قولاً حسناً، فأعرض عليّ أمرك.

قال: فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت

(١) أعضل بنا: اشتد أمره علينا.

شهادة الحق. وقلت: يا نبي الله، إنّي امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم، فداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه؛ قال: فقال: **«اللّهم اجعل له آية»**. قال: فخرجت إلى قومي، حتّى إذا كنت بثنية، تطلعني على الحاضر، وقع نور بين عيني، مثل المصباح، قال: فقلت: اللهم في غير وجهي، إنّي أخشى، أن يظنوا أنّها مثلة، وقعت في وجهي لفراق دينهم.

قال: فتحوّل، فوقع في رأس سوطي. قال: فجعل النّاظرون يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق، وأنا أهبط إليهم من الثنية قال[1] حتّى جئتهم فأصبحت فيهم. فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً، فقلت: إليك عني يا أبت، فلست منك ولست مني؟ قال: لم يا بني؟! قال: قلت: أسلمت وتابعت دين محمد. قال: أي بني، فديني دينك؟ قال: فقلت: فاذهب فاغتسل، وطهّر ثيابك، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم. قال: ثم أتتني صاحبتي، فقلت: إليك عنّي، فلست منك ولست منّي؛ قالت: ولم بأبي أنت وأمي؟! قال: فقلت: فرّق بيني وبينك الإسلام، وتابعت دين محمد. قالت: فديني دينك؛ قال: فقلت: فاذهبي إلى حنا ذي الشّرى.

١٤٣/و قال ابن هشام ويقال حِمى ذي/ الشرى فتطهري منه. وكان ذو الشرى صنماً لدوس، وكان الحنى حمىً حموه له، به وشل من ماء يهبط من جبل.

قال: فقلت بأبي أنت وأمّي، أتخشى على الصّبية من ذي الشرى شيئاً.

قال: قلت: لا أنا ضامن [لذلك][2]، قال: فذهبت، فاغتسلت، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام، فأسلمت، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام، فابطأوا علي، ثم جئت رسول الله ﷺ.

---

(١) في (د) حتّى قال جئتهم.

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

فقلت له: يا نبي الله، ادع عليهم. فقال: «**اللهم أهد دوساً**»[1] ـ الحديث[2] ـ فأسلم من شاء الله منهم، واستشهد الطفيل رضي الله عنه باليمامة.



(1) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٨٢/١ ـ ٣٨٤، وبينهما خلاف.

(2) صحيح مسلم: ١٩٥٧/٤، رقم: ٢٥٢٤، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار، وأسلم، وجهينة، وأشجع، ومزينة، وتميم، ودوس، وطيّء.

باب في خروج الأعشى[1] يريد الإسلام

قال ابن هشام: حدّثني خلاد بن قرة بن خالد السّدوسي وغيره من مشائخ بكر بن وائل من أهل العلم: أنّ أعشى بني قيس بن ثعلبة ـ خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام ـ فقال يمدح رسول الله ﷺ: [الطويل]

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وبتّ كما بات السّليم مسهّدا
وما ذاك من عشق النّساء وإنّما ... تناسيت قبل اليوم خلة[2] مهددا[3]
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن ... إذا أصلحت كفّاي عاد فأفسدا
كهولاً وشباناً فقدت وثروة ... فلله هذا الدهر كيف ترددا
وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع[4] ... وليداً وكهلاً حين شبت وأمردا
وأبتذل العيس[5] المراقيل تغتلي ... مسافة ما بين النّجير فصرخدا
ألا أيّها ذا السّائلي أين يمّمت ... فإن لها في أهل يثرب موعدا

---

(١) الأعشى: أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل الوائلي، المعروف بأعشى قريش، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، كان كثير الوفود على الملوك من العرب، والفرس، غزير الشعر، عاش عمراً طويلاً، أدرك الإسلام ولم يسلم لشقاوته، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في آخر عمره، مولده ووفاته في قرية «متفوحة» باليمامة، قرب مدينة الرياض، وفيها داره وقبره. توفي سنة سبع للهجرة.
- أ ـ معجم الشعراء للمزرباني: ٣٢٥.
- ب ـ الأعلام: ٨/٣٠٠.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: صحبة.

(٣) في (ر): مهدهداً. [ومهدد: اسم امرأة].

(٤) اليافع: الذي قارب الاحتلام.

(٥) العيس: الإبل البيض تخالطها حمرة. المراقيل: من الإرقال وهو السرعة في السير. تغتلي: يزيد بعضها على بعض في السير. النّجير: مكان في حضرموت باليمن. صرخد: موضع بالجزيرة العربية.

فإن تسألي عنّي فيا رب سائل خفيّ عن الأعشى به حيث أصعدا
أجدّت برجليها النّجاء[1] وراجعت يداها خنافاً ليّناً غير أحردا
وفيها إذا ما هجّرت عجرفية إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا
وآتيت[2] لا أرثي لها من كلالة ولا من حفيّ حتّى تلاقي محمدا
متى[3] ما تناخي عند باب ابن هاشم تراح[4] وتلقى من فواضله ندا
نبي[5] يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمري في البلاء وأنجدا
له صدقات ما تغبّ ونائل وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدّك لم تسمع وصاة محمد نبي الإله حين أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التّقى ولاقيت بعد الموت من قد تزوّدا
ندمت على أن لا تكون كمثله فترصد للموت[6] الذي كان أُرصدا
فإيّاك والميتات لا تقربنّها ولا تأخذن سهماً[7] حديداً[8] لتفصدا
وذا النّصب المنصوب لا تنسكنّه ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تقربن حرّة كان سرها عليك حراماً فانكحن أو تأبّدا
وذا[9] الرّحم القربى فلا تقطعنّه لعاقبة ولا الأسير المقيدا
وسبّح على حين العشيات والضّحى ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تسخرن[10] من بائس ذي ضرارة ولا تحسبنّ المال للمرء مخلدا/ ١٤٤/ظ

---

(١) النجاء: السرعة.
(٢) في (د) والسيرة النبوية لابن هشام: وآليت لا آوي لها... ومعناه لا أشفق ولا أرحم.
(٣) في الأصل: حتّى.
(٤) في (د): تراجى، وفي (ر) وابن هشام: ترجي.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: نبياً.
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: فترصد للأمر.
(٧) في (د): بسهما.
(٨) في (ر): سهما حديد.
(٩) في الأصل: وذو الرحم القربى...
(١٠) في السيرة النبوية لابن هشام: ولا تسخرا.

قال ابن هشام: فلما كان الأعشى بمكة، أو قريباً منها، اعترضه بعض المشركين، من قريش، فسأله عن أمره، فأخبره أنّه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم، فقال له: يا أبا بصير، إنّه يحرّم الزنا؛ فقال الأعشى: والله إنّ ذلك لأمر ما لي فيه من أرب.

فقال يا أبا[1] بصير: فإنّه يحرم الخمر. فقال الأعشى: أمّا هذه فوالله إنّ في النفس منها لعلالات، ولكني منصرف فأتروّى منها عامي هذا، ثم آتيه فأسلم، فانصرف فمات في عامه، ذلك ولم يعد إلى رسول الله ﷺ[2].

قلت: وتحريم الخمر إنّما كان بالمدينة.

قال السّهيلي والكلاعي: وهذه غفلة من ابن هشام، ومن قال بقوله، فإنّ الناس مجمعون على أنّ الخمر [لم][3] ينزل تحريمها إلاّ بالمدينة بعد أن مضت بدر، وأحد، وحرّمت في سورة المائدة، وهي من آخر ما أنزل[4].

وفي الصحيحين من ذلك قصّة حمزة حين شربها ـ الحديث بطوله معروف ـ فإن صحّ خبر الأعشى، وما ذكر له في الخمر، فلم يكن هذا بمكة، وإنّما كان بالمدينة، وفي القصيدة ما يدل على هذا، وهو قوله: فإنّ لها في أهل يثرب موعداً[5].

قلت: هذا كلام السّهيلي وأبي الربيع الكلاعي. قال السّهيلي: وقد ألفيت للقالي رواية عن أبي حاتم عن أبي عبيدة[6]. قال لقي الأعشى

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: فقال له يا أبا بصير.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٨٦/١ ـ ٣٨٨.
(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٤) في الروض الأنف: من آخر ما نزل.
(٥) الروض الأنف: ٣٧٩/٣ ـ ٣٨٠، وبينهما خلاف.
(٦) أبو عبيدة: معمر بن المثنى التميمي البصري اللغوي الحافظ، صاحب التصانيف، روى=

عامر بن الطفيل في بلاد قيس وهو مقبل إلى رسول الله ﷺ، فذكر له: أنه يحرم الخمر، فرجع فهذا أولى بالصواب[1].

وقوله: ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا: المعنى: اغتماض ليلة أرمد.

وقوله: تناسيت قبل اليوم خلة مهدداً: فعلل من المهد، ولولا قيام الدليل على أنّ الميم أصلية لحكمنا بأنه مفعل، لأنّ الكلمة الرباعية إذا كان أولها ميماً أو همزة[2] فمحملها على الزيادة إلاّ أن يقوم دليل على أنها أصلية، والدليل في[3] هذه الكلمة ظهور التضعيف في الدّال، إذ لو كانت الميم زائدة لما ظهر التضعيف، ولقلت فيه مهدّ كما تقول: مردّ[4] ومفرّ في كل ما وزنه مفعل وإنما ضوعف الدال في مهدد لتلحق ببناء جعفر.

وقوله: إذا خلت حرباء الظهيرة أصيداً: الأصيد[5] المائل العنق ـ ولما كانت الحرباء تدور بوجهها مع الشّمس كيْفما دارت، كانت في وسط النهار[6]، وفي أول الزوال، كالأصيد، وذلك أحرً ما تكون الرّمضاء. يصف ناقته بالنشاط، وقوة المشي في ذلك الوقت.

وقوله: خنافاً ليّناً في العين. خنفت الدابة[7] تخنف بيديها في السّير إذا مالت بهما نشاطاً وناقة خنوف.

= عن هشام بن عروة، وأبي عمرو بن العلاء، وغيرهما، وروى عنه علي بن المديني، وعمر بن شيبة، وخلق كثير، توفي سنة عشر ومائتين [٢١٠].

● تذكرة الحفاظ: ٣٧١/١ ـ ٣٧٢، تر: ٣٦٧.

(١) الروض الأنف: ٣٨٠/٣.

(٢) في الأصل: إذا كان أولها ميماً وهمزة، فمحملها على الزيادة وكذا في (د): فمحملها.

(٣) في الروض الأنف: والدليل على هذه الكلمة...

(٤) في الروض الأنف: كما تقول: مردّ ومكرّ ومفرّ في كل ما وزنه مَفْعَل من المضاعف، وإنما الدال في مهدد ضوعفت ليلحق ببناء جعفر.

(٥) في الروض الأنف: والأصيد.

(٦) في الروض الأنف: في وسط السماء في أول الزوال...

(٧) في الروض الأنف: خنفت الناقة...

وقوله[1]: غير أحرداً: أي تفعل ذلك من غير حرد في يديها أي أعوجاج.

والنجير، وصرخد: بلدان. والغور: ما انخفض من الأرض، والنجد: ما ارتفع منها.

قلت: وقوله: ولا تقربنّ حرّة كان سرّها عليك حراماً: السرّ هنا الوطء.

وقوله: فانكحنّ أو تأبّداً: التّأبّد: التعزّب يريد أو ترهّب لأن الرّاهب أبداً عزب. فقيل: متأبّد مشتق من لفظ الأبد.

قال السّهيلي: وفي القصيدة زيادة لم تقع في رواية ابن هشام وهو قوله في وصف الناقة.

فأمّا إذا ما أذلجت فترى لها رقيبين نجماً لا يغيب وفرقدا

وقع هذا البيت بعد قوله: ليّناً غير أحرداً ـ وبعد قوله في صفة النبيّ ﷺ: أغار ـ لعمري ـ في البلاد وأنجدا.

به أنقذ الله الأنام من العمى وما كان فيهم من يريع إلى هدى[2][3]

قلت: وقد تقدّمت قصة الأراشي نقلناها بواسطة[4] من ابن القطان فأغنى عن إعادتها، والله أسأله أن يهدينا[5] وإياكم بمنّه ورحمته.



(١) في الروض الأنف: وقوله: ليّناً غير أحردا...
(٢) في الروض الأنف وفي (د): إلى الهدى.
(٣) الروض الأنف: ٣/٣٨١ ـ ٣٨٧، بتصرف .واختصار.
(٤) في (ر): بواسطة ابن القطان.
(٥) في الأصل: أن يهدنا وإياكم.

قال ابن إسحٰق: حدّثني أبي إسحٰق بن يسار قال: كان ركانة أشد قريش، فخلا يوماً برسول الله /ﷺ، في بعض شعاب مكة، فقال له رسول الله ﷺ: **«ألا تتقي الله، وتقبل ما أدعوك إليه؟»** قال: لو أنّي أعلم أنّ الذي تقول حقّاً لاتّبعتك. ١٤٥/و

قال: فقال رسول الله ﷺ: **«أفرأيت إن صرعتك، أتعلم أنّ ما أقول حقّ؟»** قال: نعم؛ قال: **«فقم حتّى أصارعك»**. قال: فقام ركانة إليه، فصارعه، فلما بطش به رسول الله ﷺ، أضجعه، لا يملك من نفسه شيئاً، ثم قال: عد يا محمد، فعاد فصرعه، قال: فقال: يا محمد، إنّ هذا العجب، أتصرعني! فقال رسول الله ﷺ: **«وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه، إن اتّقيت الله، واتبعت أمري»**، قال: ما هو؟ قال: **«أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني»**؛ قال: ادعها؟ فدعاها، فأقبلت، حتّى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ. فقال لها: **«ارجعي مكانك»**. قال: فرجعت إلى مكانها.

قال: فذهب ركانة إلى قومه قال: يا بني عبدمناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فوالله ما رأيت أسحر منه قطّ، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع[(١)].

قلت: ثم منّ الله تعالى على ركانة بالإسلام بعد هذا.

قال أبو عمر[(٢)] بن عبدالبر رحمه الله تعالى في كتاب الصحابة رضي الله عنهم: كان ركانة ممّن أسلم عام الفتح وطلّق امرأته سهيمة[(٣)] بنت

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٩٠/١ ـ ٣٩١، وبينهما خلاف قليل.

(٢) في (د): قال أبو عمر رحمه الله تعالى.

(٣) سهيمة بنت عويمر، وقيل: عمير المزنية، زوج ركانة بن عبد يزيد، أو ركانة بن يزيد.
- أ ـ الاستيعاب: ١٨٦٦/٤، تر: ٣٣٩١.
- ب ـ الإصابة: ٣٣٧/٤، تر: ٥٩٨.

عويمر بالمدينة البتة. فسأله رسول الله ﷺ ما أردت بها؟ يستخبره عن نيّته - فقال: أردت واحدة - فردّها عليه النبيّ ﷺ على تطليقتين.

ومن حديث ركانة عن النبيّ ﷺ أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ لكل دين خلقاً وخلق هذا الدين الحياء**». وتوفي ركانة في أول خلافة معاوية[1].

قلت: وهذه عادتي غالباً، إن شاء الله، فيمن ذكر بعداوة لرسول الله ﷺ، ثم أسلم بعد ذلك أي أنبه على إسلامه، وحسن خاتمته، ليلاً يسبق إلى النفوس اعتقاد بغضه، وعداوته.

وينبغي لمن يؤلف في السّير والغزوات أن يسلك هذا المسلك في التبيين.

وبالجملة فكل من كان بمكة وما حولها، معادياً لرسول الله ﷺ، فإنّه أسلم عام الفتح، فلم يبق بعد الفتح مظهر كفر بها، بل دخل الناس في دين الله أفواجاً، وآمنوا بالله، ورسوله طوعاً، وكرهاً.

فصل

ومن آياته وعجائب كراماته ﷺ ما ذكره أبو الربيع الكلاعي عن الواقدي، عن يزيد بن رومان، قال: بينا رسول الله ﷺ جالساً في المسجد معه رجال من أصحابه، إذا أقبل رجل من بني زبيد[2]، يقول: يا معشر قريش كيف تدخل عليكم المادة[3] أو يجلب إليكم جلب، أو يحُلّ تاجر بساحتكم، وأنتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم؟ يقف على الحلق[4]

(١) ● أ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٥٠٧/٢.
● ب - الروض الأنف: ٣٨٩/٣ - ٣٩٠.

(٢) بنو زبيد: بطن من سعد العشيرة، من القحطانية، وهم عدة بطون من العدنانية والقحطانية.
● نهاية الأرب: ٢٤٨ - ٢٤٩، تر: ٩٤٢ - ٩٤٦.

(٣) في (د): المائدة.

(٤) في (د): على الخلق حلقة حتّى... وفي (ر): على الحلق حلقة حتّى...

حلقة حلقة حتّى انتهى إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال له رسول الله ﷺ: **«ومن ظلمك؟»** فذكر له أنّه قدِم بثلاثة أجمال كانت خير إبله، فساومه بها أبو جهل ثلث أثمانها، ثم لم يسمها من أجله سائم، قال: فأكسد عليّ سلعتي وظلمني. قال رسول الله ﷺ: **«وأين جمالك؟»** قال: هي هذه بالحزورة[1]. فقام رسول الله ﷺ معه، وقام أصحابه، فنظر إلى الجمال فرأى جمالاً فرها فساوم الزّبيدي حتّى ألحقه برضاه، فأخذها رسول الله ﷺ فباع جملين منها بالثمن، وأفضل بعيراً باعه، وأعطى أرامل بني عبدالمطلب ثمنه. وأبو جهل جالس في ناحية من السّوق، لا يتكلم، ثم أقبل إليه رسول الله ﷺ، فقال **«يا عمرو: إياك أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الأعرابي فترى منّي ما تكره؟»** فجعل يقول: لا أعود يا محمد، لا أعود يا محمدا! فانصرف رسول الله ﷺ، وأقبل عليه أمية[2] بن خلف، ومن حضر من القوم، فقالوا: ذللت في يدي محمد؟ فإمّا أن تكون تريد أن تتبعه، وإمّا رعب دخلك منه.

قال: لا أتبعه أبداً، إنّ الذي رأيتم منّي لما رأيت معه/ لقد رأيت رجالاً عن يمينه وشماله معهم رماح يشرعونها إليّ، لو خالفته لكانت إياها أي لأتوا على نفسي. ١٤٦/ظ



(١) الحزورة: سوق بمكة وقد دخلت في المسجد لمّا زيد فيه، وباب الحزورة معروفة من أبواب المسجد الحرام، والعامة تقول: باب عزورة، بالعين.

● مراصد الاطلاع: ١/٤٠٠.

(٢) في الأصل: أمية بن أبي خلف.




باب في وفد النّجاشي وذكر خشوعهم وإيمانهم

قال ابن إسحٰق: ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً، وقريباً من ذلك النّصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه، وكلّموه، وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم، حول الكعبة. فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ، عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله تعالى، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به، وصدّقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمرهم. فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيّبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم، ترتادون لهم، لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده، حتّى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال! ما نعلم ركباً أحمق منكم. أو كما قالوا لهم ـ فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً، ويقال: إنّ النفر من النصارى من أهل نجران، فالله أعلم أيّ ذلك كان، فيقال ـ والله أعلم ـ فيهم نزلت هذه الآيات: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1].

قال ابن إسحٰق: وقد سألت ابن شهاب الزّهري عن هذه الآيات فيمن نزلت؟[2] فقال لي: ما زلت أسمع من علمائنا أنّهن نزلن[3] في النّجاشي وأصحابه ـ والآيات من المائدة قول الله عزّ وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ إلى قوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[4][5].

---

(١) القصص: ٥٢ ـ ٥٥.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: فيمن أنزلن.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: أنهن أنزلن في النجاشي وأصحابه، والآيات من سورة المائدة.

(٤) المائدة: ٨٢ ـ ٨٣.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٩١/١ ـ ٣٩٢، مع اختلاف بينهما يسير.

باب في سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحٰق: وكان العاصي بن وائل[1] السّهمي - فيما بلغني - إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول[2]: **«دعوه فإنّما هو رجل أبتر، لا عقب له، لو قد مات انقطع ذكره، واسترحتم منه»**.

فأنزل الله تعالى[3] في ذلك من قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[4] ما هو خير من الدنيا وما فيها[5].

قلت: قال عكرمة[6] وغيره: مات ولد النبيّ ﷺ، فقال أبو جهل: بتر محمد، فنزلت السورة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[7]: أي المقطوع المبتور من رحمة الله. والشاني: البغيض.

---

(١) العاص بن وائل بن هاشم السّهمي القرشي، أحد الحكام في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، يعد من المستهزئين، خرج يتنزّه مع أبنائه، ونزل في إحدى الشّعاب، فلما وضع قدمه على الأرض صاح، فطافوا به ولم يروا شيئاً، وانتفخت رجله حتّى صارت مثل عنق الجمل، فمات، فقالوا: لدغته الأرض.
- الأعلام: ١١/٤.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: قال: دعوه فإنما هو رجل أبتر، لا عقب له، لو مات لانقطع.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ ما هو خير لك من الدنيا...

(٤) الكوثر: ١.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٩٣/١.

(٦) أبو عبدالله عكرمة الحبر العالم، البربري ثم المدني الهاشمي، مولى عبدالله بن عباس، روى عن مولاه، وعائشة، وأبي هريرة، وغيرهم، وروى عنه زهاء ثلاثمائة، منهم أكثر من سبعين تابعياً. خرج إلى المغرب فأخذ عنه أهلها. كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، توفي في اليوم الذي توفي فيه كثير عزّة، فقيل: مات أعلم الناس، وأشعر النّاس. وذلك في سنة سبع ومائة، بالمدينة [١٠٧].
- تذكرة الحُفاظ: ٩٥/١ ـ ٩٦، تر: ٨٧.

(٧) الكوثر: ٣.

قال الداودي[1]: كل شانيء للنّبي ﷺ فهو أبتر، ليس له يوم القيامة حميم ولا شفيع يطاع.

وخرّج مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: بينما[2] رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسّماً، فقال[3]: «**نزل عليّ آنفاً، سورة فقرأ** ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ إلى آخرها. ثم قال: **أتدرون ما الكوثر؟**» قلنا[4]: الله ورسوله أعلم.

قال: **فإنّه نهر وعدنيه ربّي**[5]**، عليه خير كثير، فهو، حوض ترد عليه أمّتي يوم القيامة** ـ الحديث[6].

جعلنا الله من الواردين عليه، الشّاربين منه، بفضله وإحسانه.

قال السّهيلي: ومما جاء في معنى الكوثر ما رواه ابن أبي نجيح[7] عن عائشة[8] رضي الله عنها قالت: الكوثر نهر في الجنّة، لا يدخل أحد إصبعيه في أذنيه إلاّ سمع خرير ذلك النّهر، وقع هذا الحديث في السيرة من رواية

---

(١) الداودي: هذه النسبة إلى مذهب داود بن علي الظاهري، وإلى من اسمه داود من الآباء، فمن الذين نسبوا إلى المذهب ـ وهم كثير ـ: أبو القاسم عبيدالله بن علي بن الحسن بن محمد بن حزم النخعي الكوفي الداودي، كان فقيه الداودية في عصره بخراسان.

● لباب اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي: ٣١٠/١، رقم: ١٥٤٢.

(٢) في صحيح مسلم: بينا.

(٣) في صحيح مسلم: فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله! قال: أنزلت.

(٤) في صحيح مسلم: فقلنا...

(٥) في صحيح مسلم: ربّي عزّ وجلّ عليه خير كثير، هو حوض...

(٦) صحيح مسلم: ٣٠٠/١، رقم: ٤٠٠. كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة.

(٧) أبو يسار عبدالله بن أبي نجيح الثقفي المكي، الإمام الثقة المفسر، كان جميلاً، فصيحاً، هو مفتي مكة بعد عمرو بن دينار، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة [١٣١].

● سير أعلام النبلاء: ١٢٥/٦ ـ ١٢٦، تر: ٣٨.

(٨) في الروض الأنف: عن عائشة قالت...

يونس، رواه الدّارقطني مرفوعاً إلى النبيّ ﷺ من طريق مالك بن مغول[(١)]، عن الشعبي[(٢)]، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها[(٣)]. قالت: قال لي[(٤)] رسول الله ﷺ: «**إنّ الله أعطاني نهراً، يقال له الكوثر، لا يشاء أحد من أمّتي أن يسمع خريره[(٥)] إلاّ سمعه[(٦)]**». قلت: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ قال: «**أخلي إصبعيك في أذنيك وشدّي، فالذي تسمعين[(٧)] فيها هو من خرير الكوثر[(٨)]**»/. ١٤٧/و



(١) أبو عبدالله مالك بن مغول بن عاصم البجلي الكوفي، الإمام الثقة، المحدّث، توفي سنة تسع وخمسين ومائة [١٥٩].
● سير أعلام النبلاء: ١٧٤/٧ ـ ١٧٦، تر: ٥٦.

(٢) الشعبي: أبو عمرو عامر بن شراحبيل الشعبي الهمداني الكوفي، علاّمة التّابعين. كان إماماً، حافظاً، فقيهاً، متقناً، توفي سنة ثلاث ومائة [١٠٣] وولد سنة تسع عشرة.
● تذكرة الحفاظ: ٧٩/١ ـ ٨٨، تر: ٧٦.

(٣) في الروض الأنف: بلا ترضية.

(٤) في الروض الأنف: قال رسول الله ﷺ...

(٥) في الروض الأنف: خرير ذلك الكوثر إلاّ سمعه، فقلت...

(٦) في الأصل: إلاّ سمعته.

(٧) في الروض الأنف: فيهما.

(٨) الروض الأنف: ٤٠٨/٣، علّق الأستاذ عبدالرحمٰن الوكيل على الحديثين بالهامش بقوله: حديث ابن أبي نجيح منقطع. وحديث الدارقطني مرفوع.

باب في ذكر حديث الإسراء وما فيه من عظيم الآيات وعجائب الكرامات

روينا في صحيح مسلم عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أُتيت بالبراق - وهو دابّة، أبيض، طويل، فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه. قال: فركبته، حتّى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته[1] بالحلقة التي تربط بها[2] الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد، فصلّيت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل[3]، بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل[4]: اخترت الفطرة**».

قال: «**ثم عرج بنا إلى السّماء. فاستفتح جبريل، فقيل: مَن أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لنا. فإذا أنا بآدم ﷺ[5] فرحّب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السّماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام. فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: و[6]قد بعث إليه. قال[7]: ففتح لنا، فإذا أنا بابني[8] الخالة عيسى ابن مريم ويحيىٰ بن زكرياء [عليهما السلام[9]][10] فرحبا [بي][10] ودعوا لي بخير**».

(١) في الأصل: فربضته.
(٢) في صحيح مسلم: يربط بها...
(٣) في صحيح مسلم: جبريل عليه السلام...
(٤) في صحيح مسلم: جبريل صلّى الله عليه وسلم.
(٥) في (د): صلّى الله على نبينا وعليه.
(٦) في صحيح مسلم: بلا «واو».
(٧) في صحيح مسلم: بدون «قال».
(٨) في (د): بابن الخالة.
(٩) في صحيح مسلم: صلوات الله عليهما.
(١٠) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

«ثم عرج بنا[(١)] إلى السّماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: مَن أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد[(٢)]، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: و[(٣)]قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف عليه السّلام[(٤)]، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن، فرحّب [بي][(٥)] ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل[(٦)] قيل: و[(٨)]من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: و[(٨)]قد بعث إليه، ففُتح لنا. فإذا[(٧)] بإدريس عليه السلام[(٨)]، فرحّب [بي][(٥)] ودعا لي بخير. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾[(٩)].
ثم عرج بنا إلى السّماء الخامسة، فاستفتح جبريل فقيل[(١٠)]: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بهارون عليه السلام[(١١)]، فرحّب [بي][(١٢)] ودعا لي بخير».

«ثم عرج بنا إلى السّماء السّادسة. فاستفتح جبريل [عليه السلام][(١٣)] [فقيل[(١٤)]][(١٥)] من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال:

(١) في صحيح مسلم: عرج بي.
(٢) في صحيح مسلم: ﷺ.
(٣) في صحيح مسلم: بلا «واو».
(٤) في صحيح مسلم: ﷺ إذا هو...
(٥) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط. وكذا في صحيح مسلم.
(٦) في صحيح مسلم: عليه السلام.
(٧) في صحيح مسلم: فإذا بإدريس مُرحّب.
(٨) في صحيح مسلم: بلا تسليم.
(٩) مريم: ٥٧.
(١٠) في صحيح مسلم: قيل - بلا فاء -.
(١١) في صحيح مسلم: ﷺ.
(١٢) في الأصل و(ر) وصحيح مسلم: ما بين الحاصرتين ساقط.
(١٣) في (د) و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.
(١٤) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(١٥) في (ر) وصحيح مسلم: قيل من هذا؟ - بلا فاء -.

محمد ﷺ[1] قيل: وقد بعث إليه. قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بموسى عليه السلام[2]، فرحّب [بي][3] ودعا لي بخير».

«ثم عرّج بنا[4] إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال محمد ﷺ[5] قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام، مسنداً[6] ظهره إلى البيت المعمور. وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه».

«ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، فإذا[7] ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها[8] كالقِلال. قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي، تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها [قال][9]: فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى عليه السلام[10]، فقال: ما فرض ربّك على أمّتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فسله التّخفيف. فإنّ أمتّك لا يطيقون ذلك، فإنّي قد بلوت بني إسرائيل، وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب! خفف على أمّتي، فحطّ عني خمساً، فرجعت إلى موسى [عليه السلام][11]. فقلت: حطّ عني خمساً. قال: إنّ أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك، فسله[12] التخفيف قال: فلم أزل أرجع بين ربّي تبارك وتعالى وبين موسى

---

(١) في (د) و(ر)، وصحيح مسلم: بدون تصلية.

(٢) في صحيح مسلم: ﷺ.

(٣) في الأصل و(ر) وصحيح مسلم: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) في صحيح مسلم: ثم عرج إلى السماء.

(٥) في (د): بدون تصلية.

(٦) في (ر): مسند.

(٧) في صحيح مسلم: وإذا ورقها...

(٨) في الأصل: وإذا تمرها ـ بالتاء ـ.

(٩) في صحيح مسلم: ما بين الحاصرتين ساقط.

(١٠) في صحيح مسلم: ﷺ.

(١١) في صحيح مسلم: والأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(١٢) في صحيح مسلم: فاسأله...

عليه السلام، حتّى قال: يا محمد: إنّهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فتلك[1] خمسون صلاة».

«ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت عشراً. ومن همّ بسيّئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، وإن عملها[2] كتبت سيئة واحدة».

«قال: فنزلت حتّى انتهيت إلى موسى[3]، فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربّك فسله[4] التخفيف، فقال رسول الله ﷺ؛ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتّى استحييت منه[5]».

وفي رواية أخرى لمسلم فراجعت/ ربي فقال: **«هي [خمس][6] وهي خمسون، لا يبدل القول لديّ. وفيه ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابد[7] اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك[8]».** ١٤٨/ظ

«قلت: والجنابد: جمع جنبدة وهي القباب».

«وفي بعض طرف حديث أنس في صحيح مسلم. قال: فلما علونا السماء الدنيا، فإذا رجل عن يمينه أسود، وعن يساره أسودة[9]، قال: فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى. قال: فقال: مرحباً بالنبي

---

(١) في صحيح مسلم: فذلك.
(٢) في صحيح مسلم: فإن عملها...
(٣) في صحيح مسلم: ﷺ.
(٤) في صحيح مسلم: فاسأله...
(٥) صحيح مسلم: ١٤٥/١ ـ ١٤٧، رقم: ١٦٢. كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السمٰوات وفرض الصلوات.
(٦) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٧) في (د) وصحيح مسلم: جنابذ ـ بالذال ـ.
(٨) صحيح مسلم ١٤٩/١، رقم: ١٦٣. كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السمٰوات، وفرض الصلوات.
(٩) أسودة: أسودة جمع سواد، كزمان وأزمنة، وتجمع أسودة على أساود. والسواد: الشخص، وقيل: الجماعات.

الصالح، والابن الصالح. قال: قلت: يا جبريل! من هذا؟ قال: هذا آدم[1]، وهذه الأسودة عن يمينه، وعن شماله نسم[2] بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النّار، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى[3]».



(١) في صحيح مسلم: قال: هذا آدم ﷺ...

(٢) نسم بنيه: أرواح بني آدم.

(٣) صحيح مسلم، ١٤٨/١، رقم: ١٦٣. كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السمٰوات وفرض الصلوات.

باب من آيات الإسراء

وذكر ابن إسحٰق عن أم[١] هانىء بنت أبي طالب في مسرى رسول الله ﷺ قالت: لمّا صلّى بنا رسول الله ﷺ الصبح قال: «**يا أم هانىء، لقد صلّيت معك العشاء الآخرة، كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس، فصلّيت فيه، ثم قد صلّيت صلاة الغداة معكم الآن، كما ترين**»، ثم قام ليخرج، فأخذت بطرف ردائه فقال له: يا رسول الله لا تحدّث[٢] بهذا الناس فيكذّبوك ويؤذوك.

قال: «**والله لأحدّثنّهموه**». قالت: فقلت لجارية لي حبشية: ويحك! اتّبعي رسول الله ﷺ حتّى تسمعي ما يقول للناس، وما يقولون له.

فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الناس أخبرهم، فعجبوا، وقالوا: ما آية ذلك يا محمد؟ فإنّا لم نسمع بمثل هذا قط؛ قال: «**آية ذلك أنّي مررت بعير بني فلان، بوادي كذا وكذا فأنفرهم حسّ الدابة، فندّ لهم بعير، فدللتهم عليه، وأنا موجّه إلى الشام. ثم أقبلت حتّى إذا كنت[٣] بضجنان[٤] مررت بعير بني فلان، فوجدت القوم نياماً، ولهم إناء فيه ماء، قد غطوا عليه بشيء، فكشفتُ غطاءه وشربتُ ما فيه، ثم غطيتُ عليه كما كان؟**»

---

(١) أم هانىء: اختلف في اسمها قيل: هند، وقيل: فاختة بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم وأمها فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أخت علي، وعقيل، وجعفر، وجمانة، وزوجها هبيرة بن وهب من بني مخزوم، هرب إلى نجران بعد فتح مكة. أما أم هانىء، فقد أسلمت وحسن إسلامها وذلك في عام الفتح وقيل قبل ذلك وفي الأنوار ما يشير إلى أن إسلامها كان قبل الإسراء والمعراج.

● الاستيعاب: ٤/١٩٦٣ ـ ١٩٦٤، تر: ٤٢٢٢.

(٢) في الأصل: ألا تحدث بهذا.

(٣) في (ر) يضحنان ـ بالحاء ـ.

(٤) ضجنان: ـ بالتحريك ـ جبل بناحية تهامة، قال الواقدي: بين ضجنان ومكة خمسة وعشرون ميلاً.

● مراصد الاطلاع: ٢/٨٦٥.

«وآية ذلك أنّ عيرهم الآن تصوب من البيضاء[1]، ثنية التنعيم[2]، يقدمها جمل أورق[3]، عليه غرارتان: إحداهما سوداء والأخرى برقاء[4]».

قالت: فابتدر القوم الثنية، فكان أول ما لقيهم الجمل، كما وصف لهم ﷺ، فسألوهم عن الإناء، فأخبروهم[5] أنهم وضعوه مملوءاً ماء. ثم غطوه، ثم انتبهوا فلم يجدوا فيه ماء - وسألوا الآخرين، وهم بمكة، فقالوا: صدق والله، لقد أُنفرنا في الوادي الذي ذكر وندّلنا بعير، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه، حتّى أخذناه[6].

قال ابن القطان: وعن شداد بن أوس[7] رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ في وصف مسراه قال: ثم انصرف بي فمررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا.

وقد أضلوا بعيراً لهم، قد جمعه فلان، فسلمت عليهم، فقال بعضهم: هذا صوت محمد، ثم أتيت أصحابي - الحديث -.

وقد عزي تخريجه للبيهقي[8][9]، وذكر ابن إسحٰق أنّ النبيّ ﷺ، لما

---

(١) البيضاء: عقبة قرب مكة.

(٢) ثنية التنعيم: موضع على فرسخين من مكة، منه يُحرم المكيون بالعمرة.
● مراصد الاطلاع: ١/٢٧٧.

(٣) الأورق: الذي لونه بين الغبرة والسواد.

(٤) البرقاء: التي فيها ألوان مختلفة.

(٥) في الأصل: فأخبروه.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٤٠٢ - ٤٠٣، وبينهما خلاف.

(٧) أبو يعلى شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر، شقيق حسان بن ثابت الأنصاري. كان شداد ممّن أوتي العلم والحلم، نزل الشام بناحية فلسطين، وهناك مات سنة ثمان وخمسين [٥٨] وهو ابن خمس وسبعين سنة.
● الاستيعاب: ٢/٦٩٤ - ٦٩٥، تر: ١١٥٨.

(٨) البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، ولد في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة [٣٨٤] سمع خلقاً كثيراً بخراسان، ومكة، وبغداد، والكوفة، من كتبه «دلائل النبوة»، و«السنن الكبير»، و«السنن الصغير»، وغيرها. توفي في عاشر جمادى الأولى من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.
● تذكرة الحفّاظ: ٣/١١٣٢ - ١١٣٥، تر: ١٠١٤.

(٩) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ٢/٣٥٤ - ٣٥٧، باب الإسراء برسول الله ﷺ.

أخبر قريشاً بمسراه، وإتيانه بيت المقدس، في ليلة، عجبوا من ذلك وأخبروا أبا بكر رضي الله عنه بذلك.

فقال لهم: والله لئن كان قاله لقد صدق. ثم أقبل حتّى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أحدّثت هؤلاء أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: «**نعم**». قال: يا نبي الله. فصفه لي، فإني قد جئته.

قال الحسن: فقال رسول الله ﷺ: رفع لي حتّى نظرت إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر، ويقول أبو بكر صدقت، أشهد أنك رسول الله قال: حتّى إذا انتهى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**فأنت يا أبا بكر الصّدّيق فيومئذٍ سمّاه الصّديق**»[١].

قلت: وروينا في صحيح البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «**لمّا كذّبتني قريش، قمت في الحجر، فجلّى[٢] الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه**»[٣].

١٤٩/و وروينا في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال/ رسول الله ﷺ: «**لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس، لم أثبتها فكُربت كربة ما كربت مثلها[٤] قط**». قال: «**فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني[٥] عن شيء إلاّ أنبأتهم به**» ـ الحديث ـ[٦].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٩٨/١ ـ ٣٩٩، وبينهما خلاف.

(٢) في صحيح البخاري: فجلالي.

(٣) صحيح البخاري: ٦٦/٥، باب حديث الإسراء، وقول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾.

(٤) في صحيح مسلم: مثله.

(٥) هكذا وردت الجملة «ما يسألوني» في الأصل، و«د»، وصحيح مسلم، وفي (ر): ما يسألني.

(٦) صحيح مسلم: ١٥٦/١ ـ ١٥٧، رقم: ١٧٢. كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجّال.

باب منه في جمل من عجائب الإسراء وما رآه ﷺ من آيات ربّه الكبرى، وذكر قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾[1] الآية

ففي قوله سبحانه: ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ إبهام على جهة التفخيم والتعظيم.

قال عياض: ولما كان ما كاشفه عليه[2] الصلاة والسّلام من ذلك الجبروت، وشاهده من عجائب الملكوت، لا تحيط به العبارات، ولا تستقلّ بحمل [سماع[3] أدناه] العقول، رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية، الدالة على التّعظيم. فقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾[4]. وهذا النوع من الكلام يسميه أهل النقد والبلاغة بالوحي والإشارة، وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز[5].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾[6].

قال جماعة: معناه لقد رأى الكبرى من آيات ربه أي ممّا يمكن أن يراها.

وقال آخرون: المعنى لقد رأى بعضاً من آيات ربه الكبرى.

وقال ابن عباس وابن مسعود: رأى رفرفاً أخضر من الجنّة قد سدّ الأفق.

---

(١) النجم: ١٠.
(٢) في الشفاء: عليه السلام.
(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين غير واضح.
(٤) النجم: ١٠.
(٥) الشفاء: ١/٥١.
(٦) النجم: ١٨.

زاد الثعلبي[1] وقيل: رأى المعراج وما رأى في تلك الليلة في مسراه: في عوده وبدئه دليله قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾، الآية[2].

قال عياض وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾[3] انحصرت[4] الأفهام عن تفصيل ما أوحى، وتاهت الأحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى.

قال وقد اشتملت هذه الآيات على إعلام الله [تعالى][5] بتزكية جملته عليه الصلاة[6] والسلام، وعصمتها من الآفات، في هذا المسرى، فزكّى فؤاده ولسانه وجوارحه. فقلبه[7]، بقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[8] ولسانه بقوله تعالى[9]: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾.[10] وبصره بقوله[11] تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[12][13].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري

---

(١) الثعلبي: أبو إسحٰق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي المفسر. له عدة مؤلفات: منها: الكشف والبيان في تفسير القرآن، وعرائس المجالس، في قصص الأنبياء، وكان الثعلبي صحيح النقل، موثوقاً به، أوحد زمانه في علم التفسير، له اشتغال بالتاريخ. توفي عام سبعة وعشرين وأربعمائة [٤٢٧].
- أ ـ تذكرة الحفاظ: ١٠٩٠/٣. بدوم رقم.
- ب ـ وفيات الأعيان: ٧٩/١، تر: ٣١.

(٢) الإسراء: ١.

(٣) النجم: ١٨.

(٤) في الشفاء: انحسرت، وفي (ر): الحضرة.

(٥) في الأصل، و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٦) في الشفاء: عليه السلام.

(٧) في الشفاء: فزكّى قلبه بقوله: ما كذب الفؤاد. . .

(٨) النجم: ١١.

(٩) في الشفاء: ولسانه بقوله: وما ينطق. . .

(١٠) النجم: ٣.

(١١) في الشفاء: وبصره بقوله: ما زاغ البصر.

(١٢) النجم: ١٧.

(١٣) الشفاء: ٥١/١ ـ ٥٢.

رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لما فرغت ممّا كان في بيت المقدس أُتي بالمعراج، ولم أر شيئاً قط أحسن منه، وهو الذي يمدّ إليه ميتكم عينيه إذا حُضر، فأصعدني صاحبي فيه، حتّى انتهى بي، إلى باب من أبواب السّماء، يقال له باب الحفظة، عليه ملك من الملائكة، يقال له إسماعيل، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك، تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك**».

قال: يقول رسول الله ﷺ: حين حدّث بهذا الحديث ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[1].

قال: فلما دخل بي. قال: من هذا يا جبريل؟ قال: محمد. قال: أو قد بُعث إليه؟ قال: نعم. قال: فدعا بخير. [وقاله][2].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعض أهل العلم، عمّن حدّثه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**تلقتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا، فلم يلقني ملك إلاّ ضاحكاً مستبشراً، يقول خيراً ويدعو به، حتّى لقيني ملك من الملائكة، فقال مثل ما قالوا، ودعا بمثل ما دعوا به، إلاّ أنّه[3] لم يضحك، ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره**»، فقلت لجبريل: «**يا جبريل، من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت منهم؟**» قال: فقال لي جبريل: أما إنّه لو كان ضحك إلى أحد قبلك، أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك، لضحك إليك، ولكنه لا يضحك، هذا مالك صاحب النار.

قال رسول الله ﷺ: فقلت لجبريل، وهو من الله بالمكان الذي وصف لكم ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾[4] «**ألا تأمره أن يريني النار؟**» قال: بلى، يا مالك،

---

(١) المدثر: ٣١.
(٢) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٣) في الأصل: إلاّ أنّهم.
(٤) التكوير: ٢١.

أر محمداً النّار. قال: فكشف عنها غطاءها، ففارت، وارتفعت، حتّى ظننت لتأخذنّ ما أرى. قال: فقلت لجبريل: «**مره فليردها إلى مكانها**». قال: فأمره، فقال لها: أخبتي، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه.

فما شبّهت رجوعها إلا[1] وقوع الظل حتّى إذا دخلت من حيث خرجت، ردّ عليها غطاءها. وقال أبو/ سعيد الخدري في حديثه عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «**لمّا دخلت السماء الدنيا، رأيت بها رجلاً جالساً تعرض عليه أرواح بني آدم، فيقول لبعضها ـ إذا عرضت عليه خيراً ويُسرّ به، ويقول: روح طيبة خرجت من جسد طيّب. ويقول لبعضها إذا عرضت عليه: أفّ، ويعبس بوجهه، روح خبيثة، خرجت من جسد خبيث**». قال: قلت: «**من هذا يا جبريل؟**، **قال: هذا أبوك آدم، تعرض عليه أرواح ذرّيته، فإذا مرت به روح المؤمن منهم، سرّ بها، وقال: روح طيّبة، خرجت من جسد طيّب، وإذا مرّت به روح الكافر منهم، أفّف منها، وكرهها، وساءه ذلك، وقال: روح خبيثة خرجت من جسد خبيث قال: ثم رأيت رجالاً، لهم مشافر كمشافر الإبل، في أيديهم قطع من نار، كالأفهار[2] يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم**».

١٥٠/ظ

قلت: «**من هؤلاء يا جبريل؟**» قال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً.

قال: ثم رأيت رجالاً، لهم بطون لم أر مثلها قط، بسبيل آل فرعون، يمرّون عليهم، كالإبل المهيومة[3]، حين يعرضون على النار، يطؤونهم لا يقدرون على أن يتحوّلوا من مكانهم ذلك.

قال: قلت: «**من هؤلاء يا جبريل؟**» قال: هؤلاء أكلة الرّبا.

قال: ثم رأيت رجالاً، بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غثّ منتن، يأكلون من الغثّ المنتن، ويتركون السّمين الطيب.

---

(١) في (د): إلى وقوع الظل.

(٢) الأفهار: جمع فهر وهو حجر على مقدار ملء الكف.

(٣) المهيومة: العطاش، وفي التنزيل: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝٥٥﴾ [الواقعة: ٥٥].

قال: قلت: «**من هؤلاء يا جبريل؟**» قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحلّ الله لهم من النّساء، ويذهبون إلى ما حرّم الله عليهم منهنّ.

قال: ثم رأيت نساء معلقات بثديّهن، قال: فقلت: «**من هؤلاء يا جبريل؟**» فقال: هؤلاء اللائي أدخلن على الرّجال من ليس من أولادهم[1].

فصل

في تفسير بعض ألفاظ الحديث

فمن ذلك سدرة المنتهى: قال ابن عطية[2]: قيل لها سدرة المنتهى لأنّها إليها ينتهي علم كل عالم، ولا يعلم ما وراءها صعود إلاّ الله عزّ وجلّ. وقيل: سميت بذلك: لأنها إليها ينتهي من مات على سنّة النبيّ ﷺ.

قال ابن عطية: وهم المؤمنون حقّاً من كل جيل.

قلت: قال السّهيلي: وفي تفسير ابن سلام عن بعض السلف: إنّما[3] سميت سدرة المنتهى: لأن روح المؤمن يُنتهى به إليها، فيصلي[4] عليه هناك الملائكة المقرّبون. قال ذلك في تفسير علّيين[5].

قال عياض: وفي تفسير ابن مسعود[6] في سدرة المنتهى: إليها ينتهي

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٤٠٤ ـ ٤٠٦، بينهما خلاف.

(٢) ابن عطية: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمـٰن المحاربي الغرناطي المفسر الفقيه، تولّى قضاء المرية، وكان كثير الغزوات في جيوش الملثمين، له «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». توفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة [٥٤٢].
- أ ـ تذكرة الحفّاظ: ١٢٩٤/٤.
- ب ـ الأعلام: ٥٣/٤.

(٣) في (د): إنّه سميت سدرة المنتهى لأنّ أرواح المؤمنين ينتهي به...

(٤) في الروض الأنف: فتصلّى...

(٥) الروض الأنف: ٤٣٤/٣.

(٦) في (د) والشفاء، وفي حديث ابن مسعود.

ما يُعرج به من الأرض فيُقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيُقبض منها ـ الحديث ـ.

وفي رواية أبي هريرة من طريق الرّبيع بن أنس[1] فقيل لي: هذه سدرة المنتهى يخرج من أصلها ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ﴾[2] وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً، وإنّ ورقة منها مظلة الخلق. فغشيها[3] نور، وغشيتها الملائكة. الحديث[4].

قال السّهيلي: وفي مسند الحارث بن أبي أسامة[5]، وذكر سدرة المنتهى فقال: لو غطيت بورقة من ورقها هذه الأمّة لغطتهم[6].

وفي صحيح البخاري ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، وإذا نبقها مثل قلال[7] هجر ـ الحديث ـ[8].

قال السّهيلي: وكان آدم عليه السلام، في السّماء الدنيا، لأنه تعرض

---

(1) الربيع بن أنس بن زياد البكري، الخراساني، المروزي، البصري، سمع أنس بن مالك، وأبا العالية الرياحي وأكثر عنه، والحسن البصري، وغيرهم. وأخذ عنه الأعمش، وأبو جعفر الرازي، وابن المبارك، وغيرهم. سجن بمرو ثلاثين سنة، وتحيّل ابن المبارك حتّى دخل عليه فسمع منه، توفي سنة [١٣٩].
● سير أعلام النبلاء: ١٦٩/٦، تر: ٧٩.

(2) محمد: ١٥.

(3) في الأصل: فغشّها.

(4) الشفاء: ٢٣٩/١، وبينهما خلاف.

(5) أبو محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي البغدادي، الحافظ، صاحب المسند ولد سنة [١٨٦]. وتوفي يوم عرفة سنة [٢٨٢].
● تذكرة الحفّاظ: ٦١٩/٢ ـ ٦٢٠، تر: ٦٤٦.

(6) الروض الأنف: ٤٣٣/٣ ـ ٤٣٤.

(7) هجر: مدينة هي قاعدة البحرين. وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وقيل: قرية كانت من قرى المدينة تعمل بها القلال وخربت.
● مراصد الاطلاع: ١٤٥٢/٣.

(8) صحيح البخاري: ٦٨/٦، باب المعراج.

عليه أرواح ذريته البرّ والفاجر. فكان في السّماء الدّنيا، بحيث يرى الفريقين، لأنّ أرواح أهل الشقاء لا تلج في السّماء، ولا تفتح لهم أبوابها كما قال الله تعالى[1].

والإبل المهيومة هي العطاش[2] والهيام: شدة العطش.

ورأى ﷺ أكلة الرّبا منتفخة بطونهم لأنّ العقوبة مشاكلة للذنب، فآكل الرّبا يربو بطنه، كما أراد أن يربو مالُه. وإنّما جُعلوا بطريق آل فرعون ويمرّون عليهم غدوّاً وعشياً. لأن فرعون أشدّ الناس عذاباً.



(١) الروض الأنف: ٣/٤٥٠.

(٢) في الأصل: هي العاطش.

باب في ذكر بعض ما رآه ﷺ ليلة الإسراء من آيات ربّه الكبرى، وصفة الجنّة

قال ابن القطان: وممّا رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما[1] عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**لما أُسري بي إلى/ السمٰوات، رأيت عجائب[2] من عجائب الله تعالى**». ١٥١/و

ثم ذكر اختراقه ﷺ للحجب، حجاباً بعد حجاب، وجبريل عليه السلام معه.

قال ﷺ: «**فلم أزل كذلك من حجاب إلى حجاب، حتّى جاوز بي سبعين حجاباً، غلظ كلّ حجاب مسيرة خمسمائة عام. ثم دلي لي رفرف أخضر، يغلب ضوؤه ضوء الشمس، فالتمع بصري، ووُضعت على ذلك الرفرف، ثم وصل بي إلى العرش، فلما رأيت العرش اتضع لي كل شيء عند العرش، ثم إنّ الله سبحانه وتعالى، بحوله وقوته، وتمام نعمته، قرّبني إلى سند العرش، فرأيت أمراً عظيماً، لا تناله الألسن، فسألت الله عزّ وجلّ، أن يمنّ عليّ بالثبات، حتّى استتمّ به نعمته، فمنّ الله عليّ، وقوّاني لذلك وتدلّى لي قطرة من العرش فوقعت على لساني، فما ذاق الذّائقون شيئاً قط أحلى منها، فأنبأني الله بها نبأ الأولين والآخرين، ونوّر قلبي، وغشّى نور عرشه بصري**». ثم قال: بعد كلام طويل ـ «**قال لي**» ـ يعني جبريل ـ: انطلق يا محمد إلى الجنّة حتّى أريك مالك فيها، وما أعدّ الله لك فيها، فتعرف إلى ما يكون معادك بعد الموت، فتزداد بذلك في الدنيا زهادة إلى زهادتك فيها، وتزداد رغبة في الآخرة إلى رغبتك فيها. قلت: «**نعم**». فسرت مع جبريل عليه السلام، بحمد ربي يسير بي أسرع من السّهم والريح، حتّى وصلنا بإذن الله إلى الجنّة، فلمّا دخلتها، هدأت نفسي، وذهب روعي، وثاب إليّ فؤادي، وكلّمت جبريل عليه السلام، وأنشأت أسأله عما رأيت في علّيين، ثم طاف بي في الجنة بإذن الله، فما ترك منها مكاناً إلاّ رأيته وأخبرني عنه. فرأيت القصور، من الدّر، والياقوت،

(١) في الأصل: رضي الله عنه.

(٢) في (ر): عجائباً.

والزّبرجد، والأشجار من الدهر الأحمر، وقضبانها من اللؤلؤ، عروقها من الفضة، راسخة في المسك[1]، فلأنا أعرف بكل درجة، وبيت، وقصر، وغرفة، وخيمة، وثمرة في الجنة منّي، بما في مسجدي هذا.

ثم انتهيت إلى سدرة المنتهى، لأنّه ينتهي إليها كل ملك مقرب، ونبي مرسل، فرأيت شجرة، فنظرت إليها فإذا ساقها في كثافة لا يعلمها إلاّ الله سبحانه، وإنّ أغصانها لأكثر من تراب الأرض، وأنّ الورقة الواحدة لتغطي الدنيا كلها، وعليها من أصناف ثمار الجنّة ضروب شتّى، وطعوم شتّى. فقلت يا جبريل: «**ما هذه؟**» قال شجرة لك، ولأزواجك، ولأولادك، ولكثير من أمتك، تحت هذه الشجرة مُلْك كبير، وعيش عظيم، في يوم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. ورأيت نهراً يخرج من أصلها ماء أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، على رضراض درّ وياقوت ومسك أذفر، في بياض الثلج. فقال لي جبريل عليه السلام: هذا الكوثر الذي أعطاك الله عزّ وجلّ، وهو التّسنيم، يخرج من تحت العرش إلى دور أمّتك وقصورهم، وغرفهم، يمزجون به أشربتهم من العسل واللبن وذلك قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾[2]. ثم انطلق بي يطوف في الجنة، حتّى انتهيت إلى شجرة من الجنة، لم أر في الجنة مثلها، فلما وقفت تحتها، رفعت رأسي فإذا أنا لا أرى شيئاً من خلق ربي غيرها، لعظمها، وتفرّق أغصانها. ووجدت منها ريحاً طيّبة، لم أشمّ في الجنة ريحاً أطيب منها. فقلّبت بصري فيها، فإذا أوراقها حلل طرائف من ثياب أهل الجنة، من بين أبيض، وأحمر، وأصفر، وأخضر، وثمارها أمثال القلال العظام، من كل ثمرة، خلقها[3] الله تعالى في السمٰوات والأرض، في ألوان شتّى، وريح شتى، فعجبت من تلك الشجرة، وما رأيت من حسنها! فقلت: يا جبريل: «**ما هذه الشجرة؟**» فقال: هذه التي ذكر الله تعالى فيما أنزل عليك قوله عزّ وجلّ:

(١) في (د): في المسلك.
(٢) المطففين: ٢٨.
(٣) في (د) و(ر): خلق الله.

﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾[1]. هذه طوبى، وهي لك يا رسول الله ولكثير من أمتك، ورهطك، لك في ظلّها مقيل، لا فصم فيها، ولا صدع، وفي جوفه سبعون ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف دار، في كل دار سبعون ألف بيت، في كل بيت خيمة من درّة بيضاء، لها أربعة آلاف باب يُرى باطن تلك الخيام من ظاهرها، وظاهرها من باطنها، وفي أجوافها سرر من ذهب، لذلك الذهب/ شعاع كشعاع الشمس، تحار الأبصار دونها، وهي ١٥٢/ظ مكللة بالدّرّ والجوهر، وعليها فرش، بطائنها من استبرق، وظاهرها من نور يتلألأ، فوق السّرر حلي كثير، لا أطيق وصفه لكم، وهو فوق وصف الواصفين، تقصر عنه الألسن، وأماني القلوب. وحلي النّساء على حدة، وحلي الرّجال على حدة، قد ضرب عليها الحجاب، دون الستور في كل قصر منها، وفي كل دار شجر كبير، سوقها الذهب وأغصانها الجوهر، وثمارها مثل القلال، في كل خيمة منها الأزواج من حور العين، لو دلّت إحداهنّ[2] كفّا من السّماء لأذهب نور كفّها ضوء الشمس. فكيف بوجهها[3]، لا يوصفن إلاّ وهنّ فوق ذلك جمالاً، ولكل واحدة منهنّ، سبعون ألف غلام، وهم خدمها سوى خدم زوجها، والخدم في النظافة كما قال الله سبحانه في كتابه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾[4] وقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾[5].

في تلك القصور من النعم، والغضارة، والبهجة، والسرور، والشرف، والكرامة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من أصناف الخير والنعم. كل ذلك مفروغ معدّ ينتظر به صاحبه، من أولياء الله تعالى. فتعاظمني كثرة ما رأيت. فقلت: **«يا جبريل وفي الجنّة مثل هذا؟»** قال: نعم يا رسول الله، في كل قصر من الجنة مثل ما رأيت، وقصور

(١) الرعد: ٢٩.
(٢) في الأصل: إحداهما.
(٣) في الأصل: بوجهه.
(٤) الإنسان: ١٩.
(٥) الطور: ٢٤.

كثيرة أفضل ممّا رأيت، ظاهرها وباطنها وأكثر حتّى قلت: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[1].

ثم انطلق بي يطوف في الجنة فما تركت[2] مكاناً إلاّ رأيته بإذن الله، ثم أخرجني من الجنّة، فمررت بالسمٰوات[3] ننحدر من سماء إلى سماء، فرأيت آدم، ونوحاً، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، فسلّمت عليهم كلهم، فتلقوني بالتحية والبشر، وقالوا لي: ما صنعت يا نبي الرحمة، وإلى [أين][4] انتُهي بك؟ فأخبرتهم. ففرحوا بذلك واستبشروا وحمدوا الله على ذلك، وسألوا لي [منه][5] المزيد، والرحمة والفضل. ثم جُزت مع صاحبي وأخي جبريل عليه السلام لا يفوتني ولا أفوته، حتّى دلاّني مكاني من الأرض الذي حملني منه. وكل ذلك في ليلة، ثم انصرف بي إلى مضجعي ـ الحديث ـ.

فصل

قال عياض: وذكر البزّار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما أراد الله تعالى أن يعلّم رسوله الأذان، جاءه جبريل عليه السلام[6]، بدابة يقال لها البراق، فذهب يركبها، فاستصعبت عليه، فقال لها جبريل: اسكني، فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد ﷺ، فركبها، حتّى أتى بها إلى الحجاب الذي يلي الرحمٰن تعالى، فبينا هو كذلك، إذ خرج ملك من الحجاب، فقال رسول الله ﷺ: «**يا جبريل، من هذا؟**» فقال[7]: والذي بعثك بالحق نبياً، إنّي لأقرب الخلق مكاناً، وإنّ هذا الملك ما رأيته

(١) الصافات: ٦١.
(٢) في الأصل: فما رأيت، وفي (د): فما ترك.
(٣) في (د): بالسماء وننحدر، وفي (ر): نتحدّر.
(٤) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٥) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٦) في الشفاء: بدون تسليم.
(٧) في الشفاء: قال...

منذ خلقت قبل ساعتي هذه. فقال الملك: الله أكبر، الله أكبر. فقيل له: من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا أكبر، أنا أكبر. ثم قال الملك: أشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله. فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا الله لا إلـٰه إلاّ أنا.

وذكر مثل هذا في بقية الأذان، إلاّ أنّه لم يذكر جواباً عن قوله: حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، وقال: ثم أخذ الملك بيد محمد، فقدّمه، فأمّ أهل السّماء، فيهم آدم ونوح.

قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه أكمل الله[1] لمحمد ﷺ الشّرف على أهل السمٰوات والأرض.

قال عياض[2] ـ رحمه الله تعالى ـ ما في هذا الحديث [أي][3] وفي غيره من ذكر الحجاب، فهو في حق المخلوق، لا في حقّ الخالق سبحانه[4]، فهم المحجوبون، والبارىء جلّ اسمه منزّه عمّا يحجبه. إذ الحجب إنّما تحيط/ بمقدّر محسوس. ولكنه حجبه على أبصار[5] خلقه وبصائرهم، وإدراكاتهم، بما شاء، ومتى يشاء كقوله سبحانه[6]: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[7].

١٥٣/و

فقوله في هذا الحديث[8]: من وراء الحجاب، وإذا خرج ملك من الحجاب، يجب أن يقال إنّه حجاب حجب[9] به من وراءه من ملائكته،

---

(١) في الشفاء: أكمل الله تعالى...

(٢) في الشفاء: قال القاضي ـ رضي الله عنه ـ: ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو...

(٣) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) في الشفاء: «سبحانه» غير وارد.

(٥) في (ر): عن أبصار قومه...

(٦) في الشفاء: كقوله تعالى.

(٧) المطففين: ١٥.

(٨) في الشفاء: فقوله في هذا الحديث: «الحجاب»...

(٩) في الأصل: حجبت به من ورائه.

عن الاطلاع على ما دونه، من سلطانه، وعظمته، وعجائب ملكوته، وجبروته، ويدل[(١)] عليه قول جبريل: عن الملك الذي خرج من ورائه: إنّ هذا الملك ما رأيته منذ خلقت، قبل ساعتي هذه، فدلّ على أن هذا الحجاب لم يختص بالذات المقدسة[(٢)]. ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى. قال: إليها ينتهي علم الملائكة، وعندها يجدون أمر الله سبحانه[(٣)]، لا يجاوزها علمهم.

وأما قوله الذي يلي الرّحمٰن فيحمل على حذف المضاف أي يلي عرش الرحمٰن سبحانه[(١)]، أو أمراً ما من عظيم آياته أو مبادىء حقائق معارفه، ممّا هو أعلم به كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[(٤)] أي أهلها[(٥)].

قال عياض: ثم اختلف السّلف والعلماء، هل كان إسراء بروحه [أو بجسده[(٦)] أو إسراء بجسده][(٧)] إلى بيت المقدس. وما بعده إسراء بروحه على ثلاثة أقوال[(٨)].

أقول والحقّ من ذلك، والصحيح ـ إن شاء الله تعالى ـ أنّه إسراء بالجسد والرّوح في اليقظة في القصة كلها. وعلى هذا معظم السلف والمسلمين، وعليه تدل الآية، وصحيح الأخبار والاعتبار، ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلاّ عند الاستحالة. وليس في الإسراء بجسده، وحال يقظته، استحالة. إذ لو كان مناماً لقال بروح عبده، ولم يقل بعبده.

ولو كان مناماً لما كان فيه آية، ولا معجزة، ولما استبعده الكفّار، ولا كذّبوه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم، وافتتنوا به، إذ مثل هذا من المنامات

---

(١) في (د): فيدل عليه جبريل.
(٢) في الشفاء: «المقدسة» غير واردة.
(٣) في الشفاء: «سبحانه» غير وارد.
(٤) يوسف: ٨٢.
(٥) الشفاء: ٢٤٢/١ ـ ٢٤٤.
(٦) في (ر): هل كان إسراء بروحه أو إسراء بجسده.
(٧) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٨) في الشفاء: وفيه: هل كان إسراء بروحه أو جسده؟ على ثلاث مقالات.

لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلاّ وقد علموا أنّ خبره إنّما كان عن جسمه، وحال يقظته[١].

قال ابن عطية: جُلُّ[٢] العلماء على أنّ الإسراء كان بشخصه ﷺ.

وهذا هو الصحيح، وهو الذي عليه الجمهور - ولو كانت مناماً ما أمكن قريشاً التشنيع، ولا فُضّل أبو بكر بالتّصديق، ولا قالت له أمّ هانىء: لا تحدّث الناس بهذا فيكذّبوك إلى غير هذا من الدلائل.

قلت: وفي المسألة قول رابع أنّ الإسراء تكرّر فكان يقظة وكان مناماً.

قال السّهيلي: ذهبت طائفة[٣] منهم شيخنا القاضي أبو بكر بن العربي[٤] إلى تصديق المقالتين، وتصحيح الحديثين، وأنّ الإسراء كان مرّتين إحداهما: في نومه، توطئة[٥] له، وتيسيراً عليه، كما كان بدء نبوّته الرّؤيا الصادقة. والمرة الثانية: في يقظته، ببدنه ﷺ. ورأيت للمهلّب[٦] في شرح البخاري: حكاية هذا القول عن طائفة من العلماء، أنّ الإسراء كان مرّة في نومه، ومرّة في يقظته ببدنه ﷺ.

قال السّهيلي: وهذا القول هو الذي يصح، وبه تتفق معاني الأخبار، ورواة الحديثين حُفّاظ، فلا يستقيم الجمع بين الرّوايات إلاّ أن يكون الإسراء مرّتين. فقد ذكر في الحديث أنّه لقي إبراهيم في السّماء السادسة، وفي حديث آخر في السّماء السابعة[٧].

---

(١) الشفاء: ٢٤٨/١، بتصرف.

(٢) في الأصل: جعل وفي (ر): وجُلُّ.

(٣) في الروض الأنف: طائفة ثالثة.

(٤) في الروض الأنف: رحمه الله.

(٥) في الروض الأنف: وتوطئة له...

(٦) أبو القاسم المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبدالله الأسدي الأندلسي، كان أحد الأئمة الفصحاء، الموصوفين بالذكاء، تولّى قضاء المرية، وتوفي في شوال سنة خمس وثلاثين وأربعمائة [٤٣٥].

● سير أعلام النبلاء: ٥٧٩/١٧، تر: ٣٨٤.

(٧) الروض الأنف: ٤١٧/٣ - ٤١٨، وبينهما خلاف.

قلت: وهذا أولى ما يقال، وبه يقع الجمع بين الروايات، أنّه لقي إبراهيم عليه السلام في السّماء السادسة، ومرّة في السابعة. وكذلك ما وقع مما هو في هذا المعنى.

وقد نقل ابن القطان عن أبي سعيد - يعني النّيسابوري - أنّ للنّبيّ ﷺ إسراءات منها في اليقظة، ومنها في المنام.

قلت: ومقامه ﷺ لعليّ، ومنصبه الكريم النّبوي فوق ما تعطيه العبارات، وتحيط به الإشارات. وإذا كان الأولياء رضي الله عنهم، يُخبرون عن عجائب من طيّ[1] الأرض، والمشي على الماء، واختراق الهواء، ونحو ذلك بأجسادهم، وهم إنّما وصلوا إلى ذلك بواسطة وبركة اتّباعه ﷺ، فما بالك بمن جعله الله سبحانه أصلاً للخيرات/ وبركة ورحمة لأهل الأرض والسّمٰوات.

١٥٤/ظ

وذكر عياض في الشفاء عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا قاعد ذات يوم، إذا دخل جبريل عليه السلام**[2]، **فوكز بين كتفيّ، فقمت إلى شجرة فيها مثل وكري الطائر، فقعد في واحدة**[3]، **وقعدت في أخرى، فنمت حتّى سدّت الأفق**[4]، **ولو شئت لمست السماء [وإذا]**[5] **أنا أقلّب طرفي، ونظرت جبريل كأنّه حلس لاطىء**[6] **فعرفت فضل علمه بالله عليّ، وفُتح لي باب السّماء، ورأيت النور الأعظم، ولطّ دوني**[7] **الحجاب، وفوقه**[8] **الدّر والياقوت، ثم أوحى الله ما شاء أن يوحي**[9]».

وأمّا إسراؤه ﷺ بسرّه وقلبه، وما شاهده من عجائب ربّه فذلك بحر

---

(١) في الأصل: من وطيّ الأرض.
(٢) في الشفاء: بلا تسليم.
(٣) في الأصل: في وحدة.
(٤) في الشفاء: الخافقين. ولو شئت لمسست السّماء.
(٥) في (د) و(ر)، والشفاء: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٦) في الأصل: كأنّه حلس باطىء. الحلس: كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردعة، ويبسط في البيت. لاطىء: لاصق بالأرض.
(٧) لطّ دوني الحجاب: أرخي بينه وبين النور حجاب: ستره عنه.
(٨) في الشفاء: وفرجه الدرّ والياقوت. ثم أوحى الله إلى ما شاء...
(٩) الشفاء: ٢٤١/١ - ٢٤٢.

نور، لا يحدّه أحد بذهنه، ولا يتسوّر عليه بفهمه، بل ذلك أمر لا يوصل إليه بالعقول، وإنّما وظيفة الباحث عنه الوقوف مع المنقول. وإذا كان أحد أفراد أولياء الله تعالى عند استغراقه في الذكر، ودخوله في خلوة الذكر، واستيناسه بربّه، وانجياشه إليه بقلبه، يرى من كراماته، وعجائب ملكوته، ما لا يُعبّر عنه بلسان، ولا يكاد يخطر بقلب إنسان، فكيف بمن طهّر الله قلبه من حظّ الشّيطان، وملأه بالحكمة والإيمان، وجعله إماماً لأهل العرفان.

ولما تكلم الشيخ ابن أبي جمرة رضي الله عنه على حديث الإسراء قال: في الحديث دليل لأهل الصّوفة حيث يقولون: فلان مقامه في سَماء[1] الدنيا. وفلان مقامه في الثانية ثم كذلك إلى قاب قوسين أو أدنى. يعنون بذلك ما رزقوا من قوة الإيمان واليقين، فكاشفوا بأسرارهم. ذلك المعالم، كل منهم بحسب قوة إيمانه ويقينه، ولهم فيما نحن سبيله أدلّ دليل. لأنّ النبيّ ﷺ لم يسر به حتّى مُلىء حكمة وإيماناً[2]، ثم لمّا أن مُنّ عليه بذلك، سُري به من سماء إلى سماء إلى قاب قوسين أو أدنى. وهم الوارثون له ﷺ، فلهم في ذلك نسبة، لكن بينهم وبين النبيّ ﷺ في ذلك فرق. وهو أنّه ﷺ له الخصوصية. لكونه سري بذاته المكرمة، وتكلّم بلسان فمه، ورأى بعيني رأسه، على ما قاله ابن عباس، وسمع الخطاب بأذن رأسه، وأذن قلبه، وغيره من الوارثين له لم يصلوا هناك إلاّ بأسرارهم، ولم يروا إلاّ بأعين قلوبهم.

وممّا يبيّن هذا ويوضّحه: ما حكي عن بعض فضلائهم: أنّه لمّا أن مُنّ عليه بقوة الإيمان واليقين، واتّباع سنة هذا النبيّ[3] الكريم على ربّه، صاحب هذا المقام العظيم ﷺ في كل حركاته وسكناته، وأنفاسه سري بسره، من سماء إلى سماء إلى قاب قوسين أو أدنى. ثم نودي هنا سري بذات محمد السنية حيث سري بسرك. انتهى كلام ابن أبي حمزة رضي الله

---

(١) في (د) و(ر): في السّماء الدنيا.

(٢) في الأصل: حكمة وإيمان.

(٣) في (د) و(ر): هذا السّيد الكريم.

عنه وهو من فرسان هذا الشان حالاً ومقالاً، كتابه يشهد له، آثاره تُنبيك عن أخباره، حتّى كأنّك بالعين تراه.

قال ابن القطان وقد ذكر أبو سعيد هنا من عجائب[1] ما رآه ﷺ في السمٰوات والجنّة، والنار، ما يتضاءل له كل ما كتبناه، والمنصب النّبوي الكريم، والمحل الرّسالي[2] العظيم، قابل لكل علاء، وفضل الله يؤتيه من يشاء ـ والله ذو الفضل العظيم.

جعلنا الله وإيّاكم من الفائزين، المتّبعين لسيّدنا محمد خاتم النّبيين، صلّى الله/ عليه وعلى آله أجمعين صلاة ندّخرها[3] ليوم الدين. ١٥٥/و

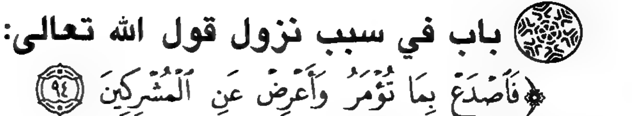


(١) في الأصل: من عجاب...

(٢) في الأصل: الراسلي.

(٣) في (ر): نذخرها.

باب في سبب نزول قول الله تعالى:



﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾(1) وآية صدق وعد الله فيهم

قال ابن إسحٰق: فأقام رسول الله ﷺ على أمر الله صابراً محتسباً، مؤدياً إلى قومه النصيحة، على ما يلقى منهم من التكذيب، والأذى، والاستهزاء.

وكان عظماء المستهزئين ـ كما حدّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر، كانوا ذوي(2) أسنان وشرف في قومهم: أحدهم: الأسود بن المطلب(3)، فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «**اللهم أعم بصره، وأثكله. والأسود بن عبد يغوث**(4)**، والوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والحارث بن الطلاطلة**»(5). فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله ﷺ

---

(1) الحجر: ٩٤ ـ ٩٥.

(2) في (د): ذي أسنان.

(3) الأسود بن المطلب بن أسد. أصيب له ثلاثة من ولده في غزوة بدر، وهم: زمعة، وعقيل، والحارث بن زمعة، وكانت قريش منعت أن يبكي على قتلاهم حتى لا يشمت بذلك أعداؤهم، وكان الأسود يحب أن يبكي على قتلاه. فسمع نائحة في الليل، فقال لغلامه: اذهب وأعلمني هل بكت قريش على قتلاها، فإنّ جوفي قد احترق!؟ فذهب ورجع فقال: إنّما هي امرأة أخلت بعيراً لها فقال: [من الوافر]

تبكي أن يضل لها بعير ... ويمنعها من النوم السّهود
فلا تبكي على بكر ولكن ... على بدر تصاغرت الخدود
فبكي إن بكيت على عقيل ... وبكي حارثا أسد الأسود
وبكيهم ولا تسمّي جميعًا ... وما لأبي حكيمة من نديد

مات الأسود كافراً، وقد عمي في آخر حياته.

- أ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ١٢٩.
- ب ـ كتاب المغازي للواقدي: ١٢٣/١.

(4) الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، خال رسول الله ﷺ وشقيق آمنة بنت وهب، مات بسبب قروح خرجت من رأسه.

- جمهرة أنساب العرب: ١٢٩ و٤٤١.

(5) الحارث بن الطلاطلة: الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، والطلاطلة، اسم=

الاستهزاء، أنزل الله سبحانه: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾[١].

فحدّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء؛ أنّ جبريل أتى النبيّ ﷺ وهم يطوفون بالبيت، فقام، وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه، فمرّ به الأسود بن المطلب، فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومرّ به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه، فاستسقى بطنه فمات منه جبناً[٢]، ومرّ به الوليد بن المغيرة. فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله فانتقض به [فقتله، ومرّ به العاص بن وائل، فأشار إلى أخمص رجله، فخرج على حمار له. يريد الطائف، فربض به][٣] على شبرقة فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتله، ومرّ به الحارث بن الطلاطلة، فأشار إلى رأسه، فامتخض قيحاً فقتله[٤].

قال الكلاعي، والسّهيلي: وروى غير ابن إسحٰق أنّه لما نزلت: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ نزل جبريل عليه السلام، فحنى ظهر الأسود بن عبد يغوث الزُّهري، فقال له رسول الله ﷺ: «**خالي، خالي**»، فقال له جبريل عليه السلام[٥]: خلّه عنك، ثم حناه حتّى قتله[٦].



= أمّه، ومعناها الداهية. ويقول ابن هشام: الحارث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن لؤي، من خزاعة.
- أ ـ السيرة النبوية لابن هشام: ٤٠٩/١.
- ب ـ الروض الأنف: ١٧/٤.

(١) الحجر: ٩٤ ـ ٩٦.
(٢) الجبن: انتفاخ البطن من داء.
(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط. الشبرقة: شجرة عالية، ويقلد الخيل وغيرها بعودها للعين.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٠٨/١ ـ ٤١٠، وبينهما خلاف.
(٥) في الروض الأنف: فقال له جبريل: خلّ عنك.
(٦) الروض الأنف: ١٧/٤ ـ ١٨.

باب في ذكر
وفاة خديجة رضي الله عنها ووفاة أبي طالب

قال ابن إسحٰق: ثم إنّ خديجة[1] رضي الله عنها وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب، بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق على الإسلام، يسكن[2] إليها. وبهلك عمّه أبي طالب وكان له عضداً[3] وناصراً على قومه، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين[4].

وخرّج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث[5] المسيب بن حزْن[6] قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أميّة[7] بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «**أي عمّ**[8]**! قل: لا إلـٰه إلاّ الله كلمة أحاجّ لك بها عند الله**».

وفي رواية: «**أشهد لك بها عند الله**». فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب! أترغب عن ملّة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: خديجة بنت خويلد وأبا طالب...

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: يشكو إليها.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: وحرزا في أمره، ومنعة و...

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٤١٦/١.

(٥) في صحيح مسلم: من حديث سعيد بن المسيّب.

(٦) أبو سعيد المسيّب بن حزن بن أبي وهب، ابن مخزوم القرشي المخزومي. هاجر مع أبيه حزن، وكان المسيب ممّن بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان، وشهد فتوح الشام.
- أ ـ الاستيعاب: ١٤٠٠/٣، تر: ٢٤٠٧.
- ب ـ الإصابة: ٤٢٠/٣، تر: ٧٩٩٦.

(٧) عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، أخو أمّ سلمة، وأمّه عاتكة بنت عبدالمطلب، كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، ثم هاجر إليه فلقيه بالطريق عام الفتح فأعرض عنه. وتشفّعت له أخته لأبيه أمّ سلمة، فأسلم وحسن إسلامه، وشهد فتح مكة، والطائف، وحنيناً، ورمي يوم الطائف بسهم فقتله.
- الاستيعاب: ٨٦٨/٣ ـ ٨٦٩، تر: ١٤٧٤.

(٨) في صحيح مسلم: يا عم...

يعرضها عليه، ويعودان[1] لتلك المقالة حتّى قال أبو طالب آخر ما كلّمهم: هو على ملّة عبدالمطلب، وأبى أن يقول: لا إلـه إلاّ الله.

فقال رسول الله ﷺ: «**أما والله لأستغفرنّ لك ما لم أُنه عنك**»[2].

وفي رواية أبي هريرة قال أبو طالب[3]: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنّما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك/ فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[4] الآية[5]. ١٥٦/ظ

قال السّهيلي وأبو الربيع الكلاعي: حكي عن هشام بن السائب الكلبي أو ابنه، أنّه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جمع إليه وجوه قريش، فأوصاهم. فقال: يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب، فيكم السّيد المطاع، وفيكم المقدام[6] الشّجاع، والواسع الباع، [واعلموا أنّكم][7] لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلاّ أحرزتموه، ولا شرفاً إلاّ أدركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، [والناس لكم حزب، وعلى حربكم ألب][8]. وإنّي أوصيكم بتعظيم هذه البنية، فإنّ فيها مرضاة للرّبّ، وقواماً للمعاش[9]، صلوا أرحامكم، ولا تقطعوها، فإنّ في صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة[10] في العدد،

---

(١) صحيح مسلم: ويعيد له...

(٢) ● أ ـ صحيح مسلم، واللفظ له، ١/٥٤، رقم: ٢٤. كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع.
● ب ـ صحيح البخاري: ٥/٦٥ ـ ٦٦، باب قصة أبي طالب.

(٣) في الأصل: قال أبي طالب.

(٤) القصص: ٥٦.

(٥) صحيح مسلم: ١/٥٥، رقم: ٢٥. كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت...

(٦) في (د) والروض الأنف: المقدّم.

(٧) في الأصل و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٨) في الأصل و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٩) في الروض الأنف: وثباتاً للوطأة.

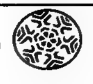
(١٠) في الروض الأنف: وسعة في العدد.

واتركوا البغي، والعقوق، ففيها هلكت القرون قبلكم، أجيبوا الدّاعي، وأعطوا السائل، فإنّ فيهما شرف الحياة [والممات][1] عليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، فإنّ فيهما محبّة في الخاص[2] ومكرمة في العام، وأوصيكم[3] بمحمد خيراً، فإنّه الأمين في قريش، والصّديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أصيكم به، وقد جاءكم[4] بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان، مخافة الشّنآن. وأيم الله لكأني[5] أنظر إلى صعاليك[6] العرب، وأهل البر في الأطراف، والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت صناديد[7] قريش ورؤوسها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها[8] أرباباً، وإذا أعظمهم عليه، أحوجهم إليه، وأبعدهم منه، أحظاهم عنده، قد محّضته العرب وِدادها[9]، وأعطته قيادها. دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاّة، ولحزبه حماة. والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلاّ رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلاّ سعد، ولو كان لنفسي مدة، ولأجلي تأخير، لكفيت عنه الهزاهز[10]، ولدافعت عنه الدّواهي، ثم هلك[11].



---

(١) في الأصل و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) في (د): محبّة للخاص.
(٣) في الروض الأنف: وإنّي أوصيكم...
(٤) في الروض الأنف: وقد جاء بأمر...
(٥) في الروض الأنف: كأنّي...
(٦) صعاليك: جمع صعلوك، وهو الفقير.
(٧) في الروض الأنف: رؤساء قريش وصناديدها...
(٨) في الأصل: وضعفائها.
(٩) في الروض الأنف: وأصفت له فؤادها، وأعطته...
(١٠) الهزاهز جمع: هزهزة: الفتنة يهتزّ فيها الناس ويبتلون.
● المعجم الوسيط: مادة: هز.
(١١) الروض الأنف: ٤/٣٠ ـ ٣١.

 باب في ذكر خروج النّبيّ ﷺ إلى الطائف، وذكر ملك الجبال، ومرور نفر الجنّ به، وما في ذلك من الآيات

قال ابن إسحٰق: ولما هلك أبو طالب ونالت قريش من النبي[1] ﷺ ما لم تكن تنال منه في حياته[2]، خرج ﷺ إلى الطّائف وحده، يلتمس النّصرة من ثقيف، والمنعة بهم[3]، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به، من الله سبحانه. فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من أشرافهم، فجلس إليهم، ودعاهم إلى الله سبحانه، وكلّمهم بما جاءهم له من نصرته، والقيام معه. ردّوا عليه قوله، وامتنعوا من قبول ما دعاهم إليه، فقام عنهم ﷺ، وقد يئس من خيرهم، وأغروا به سفهاءهم، فأسمعوه ما يكره، وجعلوا يصيحون به، حتّى اجتمع عليه النّاس، وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظلّ حبلة من عنب ـ والحبلة: الكرمة. فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، فلما اطمأنّ صلّى الله عليه وسلم قال فيما ذكر لي:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوّتي، وقلّة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهّمني؟ أم إلى عدوّ ملّكته أمري؟... إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدّنيا والآخرة من أن ينزل[4] فيّ غضبك، أو يحلّ عليّ سخطك، لك العتبى حتّى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: من رسول الله ﷺ.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: في حياة عمّه أبي طالب، فخرج...
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: بهم من قومه...
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: من أن تنزل بي غضبك...

فلما رآه ابنا ربيعة، وما لقي تحرّكت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً/ يقال له: عدّاس[١]، فقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب وضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له: يأكل منه، ففعل عدّاس ثم أقبل [به][٢] حتّى وضعه بين يدي النبيّ ﷺ، ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال: «**بسم الله**» ثم أكل، فنظر عدّاس في وجهه، ثم قال: والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «**ومن أيّ البلاد أنت يا عدّاس؟ وما دينك؟**» قال: نصراني، وأنا من أهل نينوى[٣]؛ فقال له رسول الله ﷺ: «**أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متّى؟**» قال له عدّاس: وما يدريك ما يونس بن متّى؟ قال رسول الله ﷺ: «**ذاك أخي! كان نبياً وأنا نبي**»، فأكبّ عدّاس على رسول الله ﷺ يقبّل رأسه ويديه وقدميه.

١٥٧/و

قال: يقول ابنا ربيعة: أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عدّاس قالا له: ويلك يا عدّاس! مالك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيّدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلاّ نبي؛ فقالا له: ويحك يا عدّاس، لا يصرفنّك عن دينك، فإنّ دينك خير من دينه[٤].

وقد خرّج البخاري ومسلم من حديث عائشة، رضي الله عنها، أنّها قالت للنبيّ ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشدّ عليك من يوم أحد؟ فقال[٥]: «**لقد لقيت من قومك، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت**

---

(١) عدّاس: من أهل نينوى، قرية من قرى الموصل، قال للنبيّ ﷺ لما سمع منه ورأى: أشهد أنّك عبدالله ورسوله.
● الإصابة: ٤٦٦/٢، تر: ٥٤٦٨.

(٢) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) نينوى: قرية يونس بن متّى عليه الصلاة والسلام بالموصل، تقابلها من الجانب الشرقي.
● مراصد الاطلاع: ١٤١٤/٣.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٤١٩/١ ـ ٤٢١، وبينهما خلاف.

(٥) في صحيح البخاري: قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت.

نفسي على ابن عبد ياليل[1] بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت على[2] وجهي وأنا مهموم، فلم أستفق إلاّ وأنا بقرن الثعالب[3] فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث إلي ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال: فسلّم عليّ[4] فقال: يا محمد، ذلك لك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبيّ ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشر به شيئاً». وقد تقدّم هذا الحديث[5].

وفي انصراف رسول الله ﷺ من الطائف راجعاً إلى مكة، حين يئس من خير ثقيف، مرّ به النّفر من الجنّة الذين ذكر تعالى في كتابه، ورسول الله ﷺ بنخلة[6]، قد قام من جوف الليل يصلّي، فمرّ به أولئك النّفر من الجن، في ذكر ابن إسحـٰق، فقال: وهم ـ فيما ذكر لي ـ سبعة نفر من جنّ أه نصيبين[7]، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته، ولّوا إلى قومهم منذرين،

---

(١) ابن عبد ياليل: نفر من ثقيف، وهم إخوة ثلاثة: سادة ثقيف وأشرافهم: عبد ياليل ومسعود، وحبيب.
● عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، للحافظ اليعمري: **٢٣١/١**.

(٢) في صحيح البخاري: فانطلقت وأنا مهموم على وجهي...

(٣) قرن الثعالب: هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، وعلى مرحلتين من مك وأصل القرن كلّ جبل ينقطع من جبل كبير.
● صحيح مسلم: **١٤٢٠/٣**، تعليق: **٤**.

(٤) في صحيح البخاري: ثم قال...

(٥) ● أ ـ صحيح البخاري، واللفظ له، **١٣٩/٤ ـ ١٤٠**.، باب إذا قال أحدكم: آمي والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه.
● ب ـ صحيح مسلم: **١٤٢٠/٣ ـ ١٤٢١**، كتاب الجهاد والسير، باب ما ل النبيّ ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

(٦) نخلة: وادٍ في الحجاز، بينه وبين مكة مسيرة ليلتين.
● معجم البلدان: **٢٧٨/٥**.

(٧) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من موصل إلى الشام، و كثيرة المياه. وبها جامع كبير حسن العمارة.
● مراصد الاطلاع: **١٣٧٤/٣**.

آمنوا، وأجابوا إلى ما سمعوا، فقصّ الله سبحانه خبرهم على نبيه ﷺ قال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[1].

ثم قال: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾[2] إلى آخر القصّة من خبرهم في هذه السورة[3].

قال السّهيلي: وهؤلاء النّفر الذين ولّوا إلى قومهم منذرين ـ جاء في الحديث أنّهم كانوا من جنّ نصيبين.

وفي التفسير إنّهم كانوا يهوداً، ولذلك قالوا: من بعد موسى، ولم يقولوا: من بعد عيسى ذكره ابن سلام.

وكانوا سبعة، وقد ذكروا بأسمائهم في التّفاسير، والمسندات وهم: شاصر، وماصر، ومنشي، وماشي[4]، والأحقب[5] فهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد.

وقد روي في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ الآية[6].

عن حجّاج بن علاط[7] السّلمي: أنّه قدم مكة[8]: فأجنّهم الليل بواد

---

(١) الأحقاف: ٢٩ ـ ٣١.
(٢) الجن: ١.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٢٢/١، وبينهما خلاف قليل.
(٤) في الروض الأنف: ولاشي.
(٥) في الروض الأنف: الأحقاب.
(٦) الجن: ٦.
(٧) أبو كلاب وأبو محمد الحجاج بن علاط السلمي، ثم البهزي، معدود من أهل المدينة التي بنى بها داراً ومسجداً يعرف به، شهد مع رسول الله ﷺ خيبر، وكان كثير المال، وابنه نصر هو الذي نفاه عمر بن الخطاب من المدينة حين سمع امرأة تنشد: [من البسيط]
هل من سبيلٍ إلى خمر فأشربها ... أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج
● الاستيعاب: ٣٢٥/١ ـ ٣٢٦، تر: ٤٨٢.
(٨) في الروض الأنف: قدم مكة في ركب...

مخوف موحش، فقال له الركب: قم خذ لنفسك أماناً. ولأصحابك، فجعل يطوف بالركب ويقول: أعيذ نفسي وأعيذ صحبي... من كل جنّي بهذا النقب... حتّى أؤوب سالماً وركبي... فسمع قارئاً يقرأ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟﴾... الآية[1].

١٥٨/ظ فلما قدم مكة، أخبر[2] كفار قريش بما سمع/ فقالوا: صبأت يا أبا كلاب، إنّ هذا يزعم محمد أنه أنزل عليه، قال: والله لقد سمعته، وسمعه هؤلاء معي، ثم أسلم وحسن إسلامه، وهاجر إلى المدينة وابتنى بها مسجداً، فهو يعرف به[3].

قلت: وممّا يلحق بهذا الباب، ممّا لم نذكره أول الكتاب، ما ذكره ابن القطان رحمه الله تعالى. قال: رُوِيَ عن عبدالله[4] بن أبي بكر قال: خرج زرارة[5] في أربعين من بني النّجار ساخطين لدين يهود، والتماثيل التي يعبدون وغيرها، حتّى جاوزوا المشرق، لا ينزلون على راهب، ولا عالم، إلاّ سألوه: أهدنا إلى دين يُعبد به رب السماء والأرض، وخالقهما وخالق كلّ شيء؟ فلا يبقى من الأحبار والرّهبان، ولا من يأتوه أحد إلاّ دعاهم إلى دينه، كلّ ذلك يقولون: لا نريد شيئاً من هذا، حتّى أتوا راهباً.

فقال: إن كان أحد يعرف ما تريدون فراهب ميفعة[6]، فتوّجهوا إليها،

---

(١) الرحمٰن: ٣٣.
(٢) في الروض الأنف: خبّر.
(٣) الروض الأنف: ٢/٣٠٣ ـ ٣٠٧، وبينهما خلاف.
(٤) عبدالله بن أبي بكر: سمي أبيه عبدالله بن أبي بكر الصديق، شهد مع رسول الله ﷺ الطائف فرمي بسهم، رماه به أبو محجن الثقفي، فدمل جرحه حتّى انتفض به فمات منه في أول خلافة أبيه في شوال سنة إحدى عشرة، وكان إسلامه قديماً، ولم يسمع له بمشهد سوى الفتح، وحنيناً، والطائف.
● الاستيعاب: ٣/٨٧٤ ـ ٨٧٥، تر: ١٤٨٤.
(٥) زرارة بن قيس بن الحارث بن فهر بن ثعلبة بن النجار الأنصاري، الخزرجي. قتل شهيداً يوم اليمامة.
● الاستيعاب: ٢/٥١٨، تر: ٨١٢.
(٦) ميفعة: قرية من أرض البلقاء بالشام، وميفعة أيضاً في ديار حمدان باليمن.
● مراصد الاطلاع: ٣/١٣٤٤.

فإذا هو في جبل: شيخ كبير، سقط حاجباه على عينيه من الكبر، فعصّب عصابة على وجهه، فنظر إلى رجال أدم، فقال: ما جاء من بلدكم إليّ أحد مثلكم، فماذا[1] تريدون؟ فأخبروه بما يريدون، وبما يتسخّطون، قال: نعم. أنتم تريدون الحنيفية السّهلة، دين إبراهيم، وجهوا [كذا] إلى بلدكم الذي خرجتم منه، فإنّه قد خرج صاحبكم، من تلقاء أرض العروض قالوا: فولوا، قد فرحوا فدعا أبا أمامة[2]، وهو الذي كان يسأله، وهو رئيسهم، قال: أنت رأس هؤلاء القوم؟ قال: نعم. قال: فما لك لم تسألني عن تصديق ما أخبرتك؟ قال: فأنا أسألك، قال: معك رجل مصاب عينه، والطاعون يصيبه في عينه الصحيحة، فيقبض، والموت مفرغ في أصحابك، ولن يقدم المدينة غيرك، فأدرك أصحابه، فأخبرهم، فكتبوا وصاياهم، وعهدوا إليه، وأصيب صاحبه في عينه فقبض، فدفنه، ثم أفرغ الموت فيهم، فيدفنهم في كلّ مرحلة، ويرتحل حتّى قدم المدينة، ليس معه أحد، ممّن خرج معه، فيأتي إلى كلّ دار فيقول: نعاء فلان، وهذا عهده، وتركته، فلمّا فرغ من جميعهم، صار إلى داره وبنيه فأناخ، فتلقّاه بناته، فحططن عن راحلته، فقال: أهل عندكم من خبر كان بعدي؟ قالوا: نعم، بعث رجل من قريش، وهو بمكة، مستخف، وقد خرج إليه أمس رفاعة[3] بن رافع، ومعاذ بن عفراء[4]، فقال: ردّوا على الرّاجلة ما نزعتم عنها.

---

(١) في (د): فما تريدون؟

(٢) أبو أمامة: أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن النجار الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة الأولى والثانية، وهو أحد النقباء، أول من أدخل الإسلام إلى المدينة مع ذكوان بن عبدالقيس، توفي في شوال على رأس تسعة أشهر من الهجرة.

● الاستيعاب: ٤/١٦٠٠ ـ ١٦٠١، تر: ٢٨٥٠.

(٣) أبو معاذ رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري الزّرقي، أمّه أمّ مالك بنت أبي ابن سلول. شهد رفاعة بدراً، وأحداً، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، كما شهد مع علي الجمل وصفين، وتوفي في أول خلافة معاوية.

● الاستيعاب: ٢/٤٩٧ ـ ٤٩٩، تر: ٧٧٤.

(٤) معاذ بن عفراء: معاذ بن الحارث بن رفاعة، ونسب معاذ إلى أمّه عفراء بنت عبيد بن ثعلبة. شهد بدراً، وأحداً، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ويروى أنّ معاذ بن=

فركب حتّى أدرك صاحبيه بالرّوحاء، من الغد، فأتوا النبيّ ﷺ فبايعوه وأسلموا.

قلت: وقد ذكر هذه الحكاية الحربيّ[1].

قال ابن القطان: ورُوِيَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قال لجلسائه يوماً: هل فيكم أحد وقع إليه رئيّ في أمر رسول الله ﷺ في الجاهلية؟ فقال طفيل بن زيد[2] الحارثي: كان المأمون بن معاوية الحارثي على ما بلغك[3] تأتيه عُقاب، فتصرّ[4] فيقول: يكون كذا وكذا، فنجده كما يقول... وكان نصرانياً ـ وكان يخرج إلينا كل يوم أحد وعليه برنس أسود، فيخطب، فأقبلت العقاب يوم عروبة[5]، في أول النّهار فصرّت ثم نهضت، فلما تعالت الشمس، خرج علينا في ثياب بيض، فصعّد بصره في السّماء، ثم ردّه إلى الأرض، ثم رمى به شرقاً وغرباً، ثم قال: «**نهار يحول، وليل يزول**»، وذكر بعض أسجاعه، واعتباره بآيات الله تعالى، وإقراره بالوحدانية، والمعاد، والجزاء. قال: فنهض إليه عظيم الأساقفة، فقال: أنشدك الله في النصرانية، فوالله لئن سمعت العرب بقولك، لا

= الحارث ورافع بن مالك الزّرقي أول من أسلم من الأنصار بمكة، توفي في خلافة علي بن أبي طالب.

● الاستيعاب: **١٤٠٨/٣ ـ ١٤١٠**، تر: **٢٤٢١**.

(١) الحربي: أبو يعقوب إسحٰق بن الحسن بن ميمون، البغدادي الحربي، الإمام الحافظ الصدوق. وُلد سنة نيف وتسعين ومائة، وتوفي في شوال سنة أربع وثمانين ومائتين.

● سير أعلام النبلاء: **٤١٠/٣**، تر: **١٩٨**.

(٢) طفيل بن يزيد الحارثي، عاش عمراً طويلاً، فقد ذكر ابن الأثير أنّه أتت عليه مائة وستون سنة عندما سأله عمر بن الخطاب.

● أ ـ أسد الغابة: **٤٥٨/٢**، تر: **٢٦٠٨**.

● ب ـ الإصابة: **٢٢٤/٢**، تر: **٤٢٤٩**.

(٣) في أسد الغابة: على ما بلغك من كهانته وعلمه.

(٤) تصرّ: تصيح.

(٥) يوم عروبة: يوم الجمعة.

يجتمع علينا منهم اثنان. فقال: إليك عنّي. فقال: **«كيف أنت إذا ظهر العبد الأمين. بخير دين، يا ليت أنّي ألحقه، وليتني لا أسبقه، إنّ فؤادي يمقه، أفلح من يصدقه»**.

قلت له: وأين يخرج؟ قال: نحو تهامة، قلت: ومتّى؟ قال: إذا جاء الحق لم يكن فيه خفاء، ثم جاءت العقاب، فوقعت بين يديه، فصرّت صرّاً شديداً، فقال: وقد فعلت، ثم طارت، فلم يلبث أن مات/. ١٥٩/و

قال ابن القطان: ومن ذلك ما يذكر عن جدل[1]، وكان من حضرموت، وكان أبواه قد يئسا من الولد، فبشّرت به أمّه في المنام، وأمرت أن تسميه جدلاً باسم أبيه، فأخذها المخاض وزوجها يكيد بنفسه، فولدته[2]، فظنوه جارية، إذ لم يبد لذكره حجم، من البرد، فلهوا عنه، واستشغلوا بمصابهم ثم تذكرت له بعد ثلاث وظنّته مات، وإذا بكلبة ترضعه، وإذا به ذكر فسمّته جدلاً باسم أبيه.

ونشأ متوحشاً يألف صخرة في الوادي، ثم صار لما بلغ الحلم، يخبرهم بالعجائب، فيكون ما يقول، وأنّه برز إليهم ذات يوم فقال: إنّ لكل أوّل آخر، وللأمور مصادر، وليس ينجو الحاذر الحاذر. فقالوا: أوصنا فقال: ظهرت العلامة، بالمبعوث من تهامة، إلى يوم القيامة. قالوا: ومن هو المبعوث؟ قال: فتى من سرّ البطاح، يدعو إلى النجاح، ويهدي إلى الإسلام، ويرفض الأصنام، فاز من والاه، وخاب من عاداه. قالوا: وما يقوم يوم القيامة؟ قال: ذلك يوم الدّين والحساب، والثواب والعقاب، قالوا: فقدت عقلك. قال: لا. قلت: قولاً ينفع، ووعظت لو أنّ وعظاً يزع. ثم اضطجع لجنبه فمات، فدفنوه تحت الصخرة.

قال ابن القطان: ورُوِيَ أنّ كاهناً كان في عنس[3]، أحذق كُهّانهم،

---

(١) في (د): جذل.

(٢) في (د): فولدت.

(٣) عنس: مخلاف باليمن، والعنس في اللغة: الناقة الصلبة، تسمّى بذلك إذا تمّت سنّها=

فجاء ناس من همذان[1]، يختصمون في قتيل، فقال: يا معشر همذان، كذب الجان، وخان الزمان، وبعث إنسان، قالوا: ما هذا؟ قال: كلام جليل، أصبح الحيّ بالمسيل، يختصمون في قتيل، وقد بعث الرسول. قالوا: ومن هو؟ قال: رجل من حيّ مضر، معه حق أزهر، قالوا: أين هو؟ قال: بواد تهام، بين الكهل والغلام، ودخل فجاء بعده مبعث رسول الله ﷺ.

قال ابن القطان: وكما رُوِيَ أنّ بريدة بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبد مناف قال: نزلت باليمن على رجل من أبناء ملوكها. قال: فأقبلت عجوز من لهب، من أعلم كهّانهم، يقال لها: الجدّالة بنت ملك، فلما رأتني معه، قالت: يا بريدة بن الحارث، جدّ لأمر حادث من مرسل مبعوث، بدين موروث، آخذ بالمرصاد، وزجر كل مارد، صحّت المقالة، ووضحت الدّلالة، وماتت الجدّالة، ثم سقطت فماتت، فسألته، فقال: ما أخبرتنا كذباً قط، فلمّا رجعتُ، وجدتُ رسول الله ﷺ يدعو إلى الله عزّ وجلّ، فأسلمت.

وكما ذكر: أنّه، بحضرموت شيخ أعمى، كاهن يقال له: حجّار بن المنتفق، فاختصم إليه رجال في مال، فقال لهما: ارجعا إلى أرضكما، فإنّه سيأتي المحقّ منكما آت، يخبره بشيء، يخبرني به، فمن أتاه منكما فالحقّ له، فرجعا إلى أرضهما، فبقيا أيّاماً، وأتاه أحدهما، واسمه هادية. فقال له: أتاني آت، في ليلة كذا وكذا، فقال لي: سجعاً من جملته: ائت حجّاراً،

= واشتدت قوّتها. والمخلاف في اصطلاح الحديث: الولاية، أو المحافظة، أو المديرية، وتسمّى في القديم بالكورة، والمخلاف.

● أ ـ معجم البلدان: ١٦١/٤.

● ب ـ المعجم الوسيط: مادة: عنس.

(١) همذان: مدينة منيعة عتيقة من بلاد فارس، وهي أعذبها ماء، وأطيبها هواء، وكان فتحها على يد المغيرة بن شعبة سنة أربع وعشرين على رأس ستّة أشهر من قتل عمر بن الخطاب.

● معجم البلدان: ٤١٠/٤.

فقصّ عليه أخباراً، يفدك اعتباراً، ويوضح لك مناراً. فقال: قد حكم لك يا هادية!

ولكن قبل أن تجيش تهامة، بأهل الزّعامة، وتختص يثرب بالكرامة، فاركب عنساً أمونا، وعش حرّاً كريماً. فلم أعرف تأويله إلاّ بعد ثلاثين سنة [وصلّى الله على سيدنا محمد ـ خاتم النّبيّين[1] ـ على آله وصحابته أجمعين][2].



(١) في (د) ما بين مطتين ساقط.

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

 باب ذكر عرض رسول الله ﷺ نفسه المكرمة على قبائل العرب ليؤمنوا به، وينصروه، وذكر جمل من آياته ﷺ

قال ابن إسحٰق: فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم، على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ، ويخبرهم أنّه نبي مرسل.

قال ربيعة بن عباد[1]: كان رسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، يقول: «**يا بني فلان، إنّي رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه، وأن تؤمنوا بي، وتصدّقوني، وتمنعوني/ حتّى أبيّن عن الله ما بعثني**»، وخلفه رجل أحول، وهو أبو لهب، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله، وما دعا إليه، قال لهم أبو لهب: يا بني فلان، لا تطيعوه، ولا تسمعوا منه[2].

١٦٠/ظ

قال أبو الربيع: ذكر الواقدي بإسناد له عن عامر بن سلمة[3] الحنفي. ـ وكان قد أسلم في آخر عمر رسول الله ﷺ ـ أنه قال: نسأل الله عزّ وجلّ ـ أن لا يحرمنا الجنّة، لقد رأيت رسول الله ﷺ جاءنا ثلاثة أعوام، ولاء بعكاظ، وبمجنّة[4]، وبذي المجاز، يدعونا إلى الله عزّ وجلّ ثناؤه،

---

(١) ربيعة بن عباد الدّيلي ـ بكسر العين وتخفيف الباء ـ من بني الديل بن بكر بن كنانة، يُعدّ في أهل المدينة، وعمّر طويلاً. توفي في خلافة الوليد بن عبدالملك.
- أ ـ الإصابة: ٥٠٩/١، تر: ٢٦١٠.
- ب ـ الاستيعاب: ٤٩٢/٢ ـ ٤٩٣، تر: ٧٦٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٢٢/١ ـ ٤٢٣، وبينهما خلاف.

(٣) عامر بن سلمة بن عامر البلوي الأنصاري، شهد بدراً، وقيل فيه: عمرو بن سلمة.
- أ ـ الإصابة: ٥٠٩/٢، تر: ٢٦١٠.
- ب ـ الاستيعاب: ٧٩١/٢، تر: ١٣٢٩.

(٤) مجنّة: اسم سوق للعرب كانت في الجاهلية، قيل: بمر الظهران قرب جبل يقال له: الأصغر. كانت تقوم في العشر الأواخر من ذي القعدة، وقبلها من أوله: عكاظ. وقيل: مجنة: بلد على أميال من مكة.
- مراصد الاصلاع: ١٢٣١/٣.

أن نمنعه، حتّى يبلغ رسالات ربّه، ويشترط لنا الجنّة، فما استجبنا له، ولا رددنا جميلاً، لقد فحشنا عليه، وحلم عنّا.

قال عامر: فرجعنا في أول عام، فسألنا هوذة[1] بن علي[2]: هل كان في موسمكم هذا خبر؟

فقلت: رجل من قريش، يطوف على القبائل، يدعوهم إلى الله وحده، وإلى أن يمنعوه حتّى يبلّغ رسالة ربّه، ولهم الجنّة.

فقال هوذة: من أيّ قريش هو؟ قلت: من أوسطهم نسباً، من بني عبدالمطلب.

قال هوذة: أهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب؟ قلت: هو. قال: أما إن أمره سيظهر على ما هٰهنا. قلت: هٰهنا فقط من بين البلدان؟ قال: وغير ما هٰهنا. ثم وافيت السنة الثانية، ثم قدمت. فقال هوذة: ما فعل الرّجل؟ فقلت: رأيته على حاله في العام الماضي قال: ثم وافيت[3] السنة الثالثة، وهي آخر ما رأيته ﷺ، وإذا بأمره قد أمر، وإذا ذكره قد كثر في النّاس، وأسمع أنّ الخزرج تبعته. ثم قدمت. فقال لي هوذة: ما فعل الرجل؟ فقلت: رأيت أمره، ورأيت قومه عليه أشدّاء. فقال هوذة: هو الذي قلت لك، ولو أنّا اتّبعناه كان خيراً لنا، ولكنّا نظنّ بملكنا. وكان قومه قد توجّوه وملّكوه.

قال عامر: فمرّ بي سليط بن عمرو العامري[4]، حين بعثه

---

(١) في النّسخ المعتمدة: هودة ـ بالدال غير المعجمة ـ.

(٢) وهودة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي صاحب اليمامة ـ بنجد شاعر بني حنيفة وخطيبها قبل الإسلام وفي العهد النبوي، كتب إليه رسول الله ﷺ: «**أسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك**». فأجابه مشترطاً أن يكون له معه بعض الأمر، فلم يجبه، وقال: باد، وباد ما في يديه! ولم يعش بعد ذلك غير قليل، إذ مات في سنة ثمان للهجرة.

● الأعلام: ١١١/٩.

(٣) في (د): في السنة الثالثة.

(٤) سليط بن عمرو بن عبد شمس ـ القرشي العامري: أخو سهيل بن عمرو، من=

رسول الله ﷺ إلى هوذة ـ فضيّفتُه، وأكرمتُه، وأخبرني من خبر هوذة [أنه][1] لم يُسلم. قال: فأخبرتُ سليطاً خبري لهوذة، فأخبر[2] سليط رسولَ الله ﷺ. وأسلم عامر بن سلمة، ومات هوذة بن علي، سنة ثمان من الهجرة، كافراً على نصرانيته، والعياذ بالله، نجّانا الله من سخطه بمنّه.

قال أبو الربيع: ودعا رسول الله ﷺ بني عبس[3] إلى الإسلام، فلم يقبلوا. قال أبو وابصة العبسي[4] ـ فيما ذكر الواقدي ـ: جاءنا رسول الله ﷺ في منزلنا[5] [بمنى][1] فدعانا إلى الله، فوالله ما استجبنا له، وما خير لنا. وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسي[6]، فقال لنا: أخاف بالله، لو صدّقنا هذا الرجل وحملناه حتّى نُحلّ به وسط رحالنا لكان الرأي. فقال له القوم: من بين العرب نفعل هذا؟ قال: نعم من بين العرب، فأحلف بالله ليظهرنّ أمره، حتّى يبلغ كلّ مبلغ. فقال له القوم: دعنا منك، لا تعرّضنا لما لا قبل لنا به، وطمع رسول الله ﷺ في ميسرة فكلّمه. فقال ميسرة: ما أحسن كلامك! وأنوره! ولكنّ قومي يخالفونني، وإنّما الرجل بقومه، فانصرف رسول الله ﷺ، وخرج القوم صادّين إلى أهليهم، فقال

= المهاجرين الأولين، هاجر الهجرتين، شهد بدراً، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى هوذة بن علي وإلى ثمامة بن أثال الحنفيين، وهما رئيسا اليمامة. وذلك في سنة ستّ أو سبع. قتل سليط سنة أربع عشرة.
- الاستيعاب: ٦٤٥/٢ ـ ٦٤٦، تر: ١٠٤٠.

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) في (د): فأخبروه. وفي الأصل: أخبره.
(٣) بنو عبس: بطن من غطفان، من العدنانية، وهم بنو عبس بن بغيض، كذلك.
- نهاية الأرب: ٣١٣، تر: ١٢٤٢.

(٤) أبو وابصة العبسي: لم أقف على ترجمة له.
(٥) في الأصل: في منزلتنا، وفي (د): في منزلها.
(٦) ميسرة بن مسروق العبسي، من بني هدم بن عوذ بن قطيعة بن عيسى، من شجعان الصحابة، شهد حجة الوداع، تولى قيادة جيش قوامه أربعة آلاف، زحف به إلى أرض الرّوم، وهو أول جيش دخل بلاد الروم، توفي بعد العشرين من الهجرة.
- الإصابة: ٤٦٩/٣ ـ ٤٧٠، تر: ٨٢٨١.

لهم[1] ميسرة: ميلوا بنا إلى يهود، نسائلهم عن هذا الرجل، فمالوا إلى يهود، فأخرجوا سفراً لهم، فوضعوه، ثم درسوا ذكر النبيّ الأمّي العربي، يركب الحمار، ويجتزي بالكسرة، وليس بالطويل، ولا بالقصير، ولا بالجعد ولا بالسّبط، في عينيه حمرة، مشرب اللون قالوا: فإن كان هذا الرجل هكذا فأجيبوه، وادخلوا في دينه، فإنّا نحسده ولا نتّبعه، ولنا منه في مواطن بلاء عظيم. ولا يبقى في العرب أحد إلاّ اتبعه، أو قتله، فكونوا ممّن يتّبعه.

فقال ميسرة: والله يا قوم، ما بقي شيء، إنّ هذا الأمر بيّن. فقال القوم: نرجع إلى الموسم ونلقاه، ورجع القوم إلى بلادهم فأبى ذلك عليهم رجالهم، فلم يتّبعه أحد منهم، فلما قدم رسول الله/ﷺ المدينة ١٦١/و مهاجراً، وحجّ حجّة الوداع، لقيه ميسرة فعرفه، فقال يا رسول الله، ما زلت حريصاً على اتّباعك، مذ رأيتك، أنخت بنا، حتّى كان ما كان، وأبى الله عزّ وجلّ إلاّ ما ترى، من تأخّر إسلامي، وقد مات عامّة النفر الذين كانوا معي، فأين مدخلهم؟ فقال رسول الله ﷺ: **«من مات على غير الإسلام فهو في النار»**. فقال ميسرة: الحمد لله الذي تنقّذني من النّار، فأسلم، فحسن إسلامه، وكان له عند أبي بكر رضي الله عنه مكان.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني الزّهري: أنّ النبيّ ﷺ أتى بني عامر[2] بن صعصعة، فدعاهم إلى الله سبحانه، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم: يقال له بيحرة[3]، والله لو أنّي أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به

---

(١) في الأصل: فقال له ميسرة...

(٢) بنو عامر: بطن من عامر بن صعصعة، من هوازن، من العدنانية، وهم بنو عامر بن عوف بن مالك بن سعد، وبنو عامر عدة بطون من العدنانية والقحطانية.
- نهاية الأرب: ص٣٠٠ ـ ٣٠٣، تر: ١١٨٠ ـ ١١٩٥.

(٣) بيحرة بن فراس بن عبدالله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.
- السيرة النبوية لابن هشام: ٤٢٤/١.

العرب. ثم قال له: أرأيت إن نحن اتّبعناك[1] على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: **«الأمر إلى الله يضعه حيث شاء»**[2]. قال: فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك؛ فأبوا عليه. فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كانت أدركته السّن، لا يقدر على أن يوافي معهم الموسم، فكانوا إذا رجعوا إليه، حدّثوه بما يكون في ذلك الموسم. فلما قدموا عليه ذلك العام، سألهم عمّا كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بني عبدالمطلب، يزعم أنّه نبيّ، يدعونا إلى أن نمنعه، ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا قال: فوضع الشيخ يديه على رأسه، ثم قال: يا بني عامر هل لها من تلاف، هل لذناباها[3] من مطلب؟ والذي نفس فلان بيده ما تقوّلها إسماعيلي قط، وإنّها لحقّ، فأين رأيكم كان عنكم؟[4].

قلت: وقد تقدّم كلام ابن إسحٰق، ولكنا أعدناه لفائدة زائدة، وهذه عادتنا في تكرار[5] ما تكرّر، يكون إن شاء الله لزيادة فائدة.

قال أبو الربيع: وزاد الواقدي، أنّ رسول الله ﷺ لما قام عن بني عامر، وانصرف إلى راحلته، ليركبها أتى بيحرة ورجلان[6] معه، فنخسوا به راحلته حتّى سقط عنها، ويقال: قطعوا بطان راحلته، فقامت امرأة منهم، يقال لها ضباعة[7] بنت قرط، وكانت قد أسلمت، فصاحت ببني عامر،

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: بايعناك على أمرك.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: حيث يشاء.

(٣) هذا مثل يُضرب لما فات، وأصله من «ذنابي الطائر» إذا أفلت من الحبالة، فطلبت الأخذ به.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٢٤/١ ـ ٤٢٥، وبينهما خلاف.

(٥) في الأصل: في تكرّر.

(٦) في (ر): ورجلين معه.

(٧) ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، خطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها، فقال: حتّى أستأمرها، فقيل للنبيّ ﷺ: إنّها كبرت،

فقالت: أيؤذى محمد وأنا شاهد؟ فقام إليهم غطريف[1]، وعطفان ابنا سهيل، وعروة[2] بن عبدالله بن سلمة بن قشير، فضربوهم حتّى هزموهم، فقال رسول الله ﷺ ـ حين رآهم صنعوا ما صنعوا ـ: «**اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء الآخرين**». فأسلم الذين بارك عليهم جميعاً، ومات الذين لعنهم وهم كفّار[3].

وذكر الواقدي أيضاً من حديث جهم بن أبي جهم: أنّ رسول الله ﷺ وقف على بني عامر يدعوهم إلى الله، فقام رجل منهم فقال: عجباً لذلك ـ والله ـ أعياك قومك ثم أعياك أحياء العرب كلها حتّى تأتينا وتتردد علينا مرة بعد مرة، والله لأجعلنّك حديثاً لأهل الموسم، ونهض إلى رسول الله ﷺ، وكان جالساً، فكسر الله عزّ وجلّ ساقه، فجعل يصيح من رجله، وانصرف رسول الله ﷺ عنه.

وحدّث الواقدي بإسناد ذكره: أن رسول الله ﷺ أتى غسّان في منازلهم، بعكاظ، وهم جماعة كبيرة، فجلس إليهم ﷺ، فدعاهم إلى الله

= فأتاها، فقالت: وفي النبيّ تستأمرني؟ ارجع فزوّجه. فرجع فسكت النبيّ ﷺ. وكانت ضباعة من أجمل نساء العرب، وأعظمهنّ خلقة، وكانت تغطي جسدها بشعرها. أسلمت بمكة.

- أ ـ الاستيعاب: ٤/١٨٧٤ ـ ١٨٧٥، تر: ٤٠١٨.
- ب ـ الإصابة: ٤/٣٥٣ ـ ١٨٥٤، تر: ٦٧٣.

(١) في النسخ المعتمدة «غظيف» والإصلاح من دلائل النّبوة لأبي نعيم، وحياة الصحابة، للكاندهلوي: غطريف وغطفان، ابنا سهل.

(٢) في الأصل، و(ر): عوزت.

(٣) أورد أبو نعيم في الدلائل: أسماء الذين نصروا الرسول ﷺ، وهم ثلاثة: غطريف، وغطفان، وعروة، قال: فأسلم الثلاثة، فقتلوا شهداء. كما أورد أسماء الذين آذوا الرسول ﷺ وهم: بيحرة بن فراس، وحزن بن عبدالله، ومعاوية بن عبادة. قال: فهلكوا لعناً.

- أ ـ دلائل النبوة لأبي نعيم: ١/٢٨٨ ـ ٢٩٠، رقم: ٢١٥.
- ب ـ حياة الصحابة: ١/٩٥ ـ ٩٧، لمحمد يوسف الكاندهلوني، تح: الشيخ نايف العباس، ومحمد علي دولة، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق.

عزّ وجلّ، أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، قال: «**وأن تمنعوني، حتّى أبلّغ رسالات ربيّ، ولكم الجنة**» فقال رجل منهم: هذا والله، يا قوم، الذي تذكره النّصارى في كتبها والذي يقولون: يجيء من الأنبياء نبيّ اسمه أحمد، فتعالوا نؤمن به، ونتّبعه فنكون [من أنصاره وأوليائه، فإنهم يزعمون أنّه يظهر على ما بلغ الخفّ والحافر، فيجتمع لنا شرف الدنيا][1] مع ما يكون بعد الموت، قال القوم: فنكون نحن أول العرب دخل في هذا الدين، فتنصب لنا العرب قاطبة، ويبلغ ملوك بني الأصفر، فيخرجوننا من ديارهم، ولكنا نقف عنه، وننظر ما تصنع العرب، ثم ندخل فيما يدخل فيه الناس. فقال الرجل: يا محمد: أبى عليّ عشيرتي أن يتّبعوا قولي فيك، ولو/ أطاعوني لرشدوا. فقال رسول الله ﷺ: «**إنّ هذه القلوب بيد الله عزّ وجلّ**»، فانصرف عنهم. ثم عاد بعد ذلك إليهم، فدعاهم إلى الإسلام فقالوا: نرجع إلى من وراءنا[2] ثم نلقاك قابلاً، فرجعوا، فوفد منهم نفر إلى الحارث بن أبي شمر[3]، فذكروا له أمر رسول الله ﷺ، فقال لهم الحارث: إيّاكم أن يتّبعه رجل منكم، إذن يبيد ملكي من الشام، ويتّهمني هرقل. قال: فأمسكوا عن ذكر رسول الله ﷺ.

١٦٢/ظ

قال السّهيلي وأبو الربيع الكلاعي: ذكر قاسم بن ثابت، والخطابي واللفظ للقاسم بن ثابت، من حديث علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنّه قال: لما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه، وأبو بكر الصّديق، رضي الله عنه، وكان أبو بكر رجلاً نسّابة، ومقدّماً، في كل خير. فدفعنا[4] إلى مجلس عليهم السّكينة والوقار، فتقدّم أبو

---

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط، وفي (د): تقديم: «أوليائه على أنصاره».

(٢) في الأصل: من وراتنا.

(٣) الحارث بن أبي شمر الغساني، من أمراء غسان، في أطراف الشام، كانت إقامته بغوطة دمشق، أدرك الإسلام، فأرسل إليه النبيّ ﷺ كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، مع شجاع بن وهب، ومات عام الفتح في السنة الثامنة للهجرة.

● الأعلام: ١٥٧/٢.

(٤) في الروض الأنف: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم. . .

بكر فسلّم[1] فقال: ممّن القوم؟ قالوا: من شيبان[2] بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى النبيّ ﷺ، فقال: بأبي أنت وأمّي هؤلاء غرر في قومهم، وفيهم مفروق بن عمرو[3] وهانىء بن قبيعة[4]، والمثنى[5] بن حارثة[6] والنّعمان بن شريك[7]. وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالاً ولساناً، وكان له غديرتان تسقطان على تريبتيه[8]، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر. فقال له أبو بكر ـ رضي الله عنه[9]: كيف العدد فيكم؟ قال له مفروق: إنا لنزيد على الألف، ولن يغلب[10] ألف من قلّة. فقال له أبو بكر: فكيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: علينا الجهد. ولكل قوم جد. فقال أبو بكر: فكيف الحرب[11]

---

(١) في الروض الأنف: قال علي: وكان أبو بكر مقدماً في كل خير، فقال...

(٢) شيبان: بنو شيبان: بطن من بكر بن وائل، من العدنانية، وهم بنو شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر، وهناك بنو شيبان من القحطانية وهم بنو شيبان بن عوف من بني زهير...
- نهاية الأرب: ٣٨٣، تر: ١١١٤ ـ ١١١٦.

(٣) مفروق بن عمرو بن قيس بن مسعود الشيباني، شاعر، وفارس، واسمه النعمان، واشتهر بمفروق، توفي حوالي سنة ثمان للهجرة.
- الأعلام: ٢٠٢/٨.

(٤) هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود الشيباني، أحد الشجعان الفصحاء في أواخر العصر الجاهلي. توفي بالكوفة.
- الأعلام: ٥٢/٩.

(٥) في الروض الأنف: ومثنى...

(٦) المثنى بن حارثة الشيباني، أسلم سنة تسع من الهجرة مع وفد قومه. كان شجاعاً، شهماً، بطلاً، ميمون النقيبة، حسن الرأي والإمارة، أبلى في حروب العراق بلاء لم يبلغه أحد، قتل شهيداً سنة أربع عشرة قبل القادسية.
- الاستيعاب: ١٤٥٦/٤ ـ ١٤٥٧، تر: ٢٥١٤.

(٧) النعمان بن شريك الشيباني، له وفادة وصحبة.
- الإصابة: ٥٦٢/٣، تر: ٨٧٤٣.

(٨) التريبة: واحدة الترائب وهي عظام الصدر.

(٩) في الروض الأنف: بدون ترضية.

(١٠) في الروض الأنف: ولن تغلب.

(١١) في الروض الأنف: كيف الحرب.

بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنّا لأشدّ ما نكون غضباً لحين نلقى، وإنّا لأشدّ ما نكون لقاء حين نغضب، وإنّا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسّلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرّة، ويديل علينا، لعلّك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: أوقد بلغكم أنّه رسول الله؟ فها هو ذا. فقال مفروق: قد بلغنا أنّه يذكر ذلك فإلى مَا تدعو إليه يا أخا قريش؟ فتقدّم رسول الله ﷺ فقال: «**أدعو إلى شهادة أن لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّي رسول الله، وأن تؤوني، وتنصروني فإنّ قريشاً قد تظاهرت على أمر الله، وكذّبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد**».

فقال مفروق: وإلى مَا تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾[١].

فقال مفروق: إلى مَا تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[٢].

وقال[٣] مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد[٤] أفك قوم كذّبوك، وظاهروا عليك. وكأنّه أراد أن يشركه في الكلام هانىء بن قبيصة. فقال: وهذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانىء: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى أنّ تركنا ديننا، واتّباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا، ليس له أول ولا آخر، زلة في الرأي، وقلّة نظر في العاقبة، وإنّما تكون الزّلة مع

(١) الأنعام: ١٥١.

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) في الروض الأنف: فقال...

(٤) في الروض الأنف: والله لقد أفك قوم كذّبوك.

العجلة، وإنّ وراءنا[1] قوماً، نكره أن نعقد عليهم عقداً، ولكن ترجع ونرجع، وننظر[2] وتنظر. وكأنّه أحبّ أن يشركه في الكلام المثنّى بن حارثة[3]. فقال: وهذا المثنّى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا [فقال المثنى][4]: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة في تركنا ديننا واتّباعنا إياك، لمجلس جلسته إلينا، ليس له أول ولا آخر وإنّا إنّما نزلنا بين صريي[5] اليمامة والسّماوة فقال رسول الله ﷺ/: **«ما هذان الصّريان؟»** **فقال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه[6] غير مغفور، وعذره غير مقبول.** ١٦٣/و

وأما ما كان من مياه العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول. وإنّما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألا نحدث حدثاً، ولا نؤوي محدثاً، وإنّي أرى أن هذا الأمر[7] الذي تدعوننا إليه هو ممّا تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك، وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا.

فقال رسول الله ﷺ: **«ما أسأتم في الرّد، إذ أفصحتم بالصّدق، وإنّ دين الله لن ينصره إلاّ من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلاّ قليلاً، حتّى يرزقكم[8] الله أرضهم، وديارهم، وأموالهم، ويفرشكم نساءهم، أتسبّحون الله وتقدّسونه؟»**.

فقال النّعمان بن شريك: اللهم لك ذا. فتلا رسول الله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[9].

---

(١) في الروض الأنف: ومن ورائنا قوم...
(٢) في الروض الأنف: وتنظر وننظر.
(٣) في الروض الأنف: المثنى، فقال...
(٤) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٥) في الأصل: نزلنا ابن صربي اليمامة والسمامة وفي الروض الأنف: بين صريان اليمامة.
(٦) في الروض الأنف: صاحبيه.
(٧) في الروض الأنف: وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه.
(٨) في الروض الأنف: حتّى يورثكم الله أرضهم وأموالهم...
(٩) الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.

ثم نهض النبيّ ﷺ فأخذ بيدي فقال: «**يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها! بها يدفع الله بأس**[1] **بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم**».

قال: ثم دُفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتّى بايعوا النبيّ ﷺ، وكانوا صدقاً[2] صبراً[3] رضي الله عنهم ـ وصلّى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً.



(١) في الأصل: بأمر بعضهم... وفي (ر): يدفع الله بعضهم عن بعض.
(٢) في الروض الأنف: وكانوا صدقاء صبراء.
(٣) الروض الأنف: ٦١/٤ ـ ٦٤.

باب بدء إسلام الأنصار وذكر العقبة الأولى

قال السّهيلي: لم يكن الأنصار اسماً لهم[1] حتّى سماهم الله به في الإسلام وهم بنو الأوس، والخزرج[2]. والأوس: هي العطية أو العوض. والخزرج: الرّيح الباردة. وقال بعضهم: هي الجنوب خاصة.

قال ابن إسحٰق: فكان نبيّ الله ﷺ، كلما اجتمع له الناس بالموسم، أتاهم فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، ولا يسمع بقادم له اسم وشرف، إلا تصدّى له، ودعاه إلى الله عزّ وجلّ، وعرض عليه ما عنده، فقدم سويد[3] بن صامت حاجّاً أو معتمراً، فتصدّى له رسول الله ﷺ، ودعاه إلى الله عزّ وجلّ، وإلى الأسلام. فقال له سويد: فلعلّ الذي معك مثل الذي معي.

فقال رسول الله ﷺ: «**وما الذي معك؟**» قال: مجلة لقمان، يعني حكمة لقمان.

فقال رسول الله ﷺ: «**أعرضها عليّ**»، فعرض عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «**إنّ هذا الكلام[4] حسن، والذي معي[5] أفضل من هذا،**

---

(١) في الروض الأنف: في الجاهلية حتّى...
(٢) الروض الأنف: ٦٨/٤، وفيه تقديم معنى الخزرج على الأوس.
(٣) سويد بن الصامت بن حوط بن حبيب بن عوف بن عمرو الأوسي، وأمّه ليلى بنت عمرو النجارية، أخت سلمى بنت عمرو، أمّ عبدالمطلب بن هاشم، لقي سويد النّبي ﷺ بسوق ذي المجاز من مكة، وذلك في أول المبعث، ودعاه إلى الله، ثم انصرف إلى قومه وهو شيخ كبير، فقتلته الخزرج. وكان شاعراً محسناً، كثير الحكم في شعره.
● الاستيعاب: ٦٧٧/٢ ـ ٦٧٨، تر: ١١١٦.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: إن هذا لكلام حسن.
(٥) في الأصل: الذي معي أفضل ـ بسقوط الواو ـ.

قرآن أنزله الله عليّ، هو هدى ونور» فتلا رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه. وقال: إنّ هذا القول حسن ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتلته الخزرج فكان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم[١].

قال السّهيلي: المجلة: الصحيفة[٢].

قال ابن إسحٰق: فلما أراد الله إظهار دينه، وإعزاز نبيه[٣]، وإنجاز موعده، خرج ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النّفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما[٤] يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة، لقي رهطاً من الخزرج، أراد الله بهم خيراً، فقال لهم ﷺ: **«من أنتم؟»** قالوا: نفر من الخزرج. فقال[٥]: **«أمن موالي يهود؟»** قالوا: نعم... قال: **«أفتجلسون[٦] أكلمكم؟»** قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

قال: وكان ممّا صنع الله بهم في[٧] الإسلام، أنّ يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك، وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكان إذا كان بينهم شيء، قالوا لهم: إنّ نبياً مبعوث الآن، قد أظلّ زمانه، نتّبعه فنقتلكم معه قتل عاد، وإرم. فلما كلم رسول الله /ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله سبحانه. ١٦٤/ظ

قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون[٨] والله إنّه النّبيّ الذي توعّدكم به

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٢٥/١ ـ ٤٢٧، وبينهما خلاف.
(٢) الروض الأنف: ٦٦/٤، وفيه: فصل: وذكر مجلة لقمان، وهي الصحيفة.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: صلّى الله عليه وسلم، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه...
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: كما كان يصنع.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: وفي (د) و(ر): قال...
(٦) في الأصل: أتجلسون وفي ابن هشام: أفلا تجلسون؟
(٧) في الأصل: صنع الله بهم الإسلام.
(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: تعلموا.

اليهود فلا يسبقنكّم إليه، فأجابوه فيما دعاهم(١)، وصدّقوه، وقبلوا منه، ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا: إنّا قد تركنا [قومنا](٢) ولا قوم، بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم. وعسى(٣) أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدّين، فإن يجمعهم الله عليك، فلا رجل أعزّ منك. ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، قد آمنوا وصدّقوا(٤).

قال ابن إسحٰق: وهم ـ فيما ذكر لي ـ ستّة نفر: فمن الخزرج، ثم من بني النّجار: أسعد بن زرارة، وهو أبو أمامة، وعوف بن الحارث(٥)، وهو ابن عفراء. ومن بني زريق: رافع بن مالك(٦). ومن بني سلمة: قطبة بن عامر(٧) [وعقبة(٨) بن عامر](٩) بن نابي، وجابر بن عبدالله بن رياب رضي الله عنهم. فلما قدموا المدينة ذكروا لقومهم رسول الله ﷺ، ودعوهم

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: فيما دعاهم إليه بأن صدقوه...

(٢) في الأصل: تركنا قوم ولا قوم...

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: فعسى...

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٢٨/١ ـ ٤٢٩.

(٥) عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث الأنصاري، شهد مع أخويه: معاذ، ومعوذ، بدراً وفيه استشهد مع أخيه معوذ، وكان عوف ممّن شهد العقبتين...
- الاستيعاب: ١٢٢٥/٣ ـ ١٢٢٦، تر: ٢٠٠٢.

(٦) أبو مالك رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن رزيق، الزرقي الخزرجي الأنصاري شهد العقبتين، وبدراً، وقتل شهيداً يوم أحد.
- الاستيعاب: ٤٨٤/٢، تر: ٧٣٨.

(٧) أبو زيد قطبة بن عامر بن حديدة الخزرجي الأنصاري، شهد العقبتين، وبدراً وبقية المشاهد مع رسول الله ﷺ، وجُرح يوم أحد تسع جراحات، وكانت معه راية بني سلمة يوم الفتح، رمى بحجر يوم بدر بين الصّفين، ثم قال: لا أفر حتّاً يفرّ هذا الحجر. توفيّ في خلافة عثمان.
- الاستيعاب: ١٢٨٢/٣، تر: ٢١١٦.

(٨) عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي. شهد العقبة الأولى وبدراً، وبقية المشاهد مع رسول الله ﷺ. قتل يوم اليمامة شهيداً.
- الاستيعاب: ١٠٧٤/٣، تر: ١٨٢٥.

(٩) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

إلى الإسلام، حتّى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيها ذكر[(١)] رسول الله ﷺ، حتّى إذا كان العام المقبل، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر[(٢)] رجلاً، فيهم الستّة غير جابر، فلقوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى فبايعوه بيعة النّساء وذلك قبل أن تفترض الحرب[(٣)].

قال ابن إسحٰق: وذكر ابن شهاب الزّهري عن أبي إدريس الخولاني[(٤)] أنّ عبّادة بن الصامت[(٥)] حدّثه أنّه قال: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإنّ وفّيتم فلكم الجنّة، فإن غشيتم من ذلك شيئاً فأُخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفّارة له، وإن سترتم عليه في الدنيا إلى يوم القيامة، فأمركم إلى الله سبحانه إن شاء عذّب وإن شاء غفر[(٦)].

قلت: وهكذا رواه البخاري في صحيحه، وله طرق[(٧)].

قال ابن إسحٰق: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ

(١) في الأصل و(د): وفيها ذكر من رسول الله...

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: اثني عشر رجلاً.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٢٩/١ ـ ٤٣٣، وبينهما خلاف.

(٤) أبو إدريس الخولاني: عائذ بن عبدالله بن عمرو، ولد عام حنين، وقيل: يوم حنين، سمع عبادة بن الصامت، وحذيفة بن اليمان وغيرهما، كان قاضياً بدمشق. وبها توفي أيام عبدالملك بن مروان.

● الاستيعاب: ١٥٩٤/٤ ـ ١٥٩٥، تر: ٢٨٣٤.

(٥) عبادة بن الصامت: أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس... الأنصاري الخزرجي السلمي، شهد العقبتين وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، بعثه عمر إلى الشام قاضياً ومعلماً، فأقام بحمص، ثم انتقل إلى فلسطين، وبها توفي، ودفن ببيت المقدس، وذلك في سنة أربع وثلاثين للهجرة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

● الاستيعاب: ٨٠٧/٢ ـ ٨١٠، تر: ١٣٧٢.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام: ٧٦/٢.

(٧) صحيح البخاري: ٧٠/٥، باب وفود الأنصار إلى النبيّ ﷺ بمكة، وبيعة العقبة.

مصعب بن عمير[١]، وأمره أن يُقرئهم القرآن، ويعلّمهم الإسلام، ويفقّههم في الدين. فكان مصعب رضي الله عنه يُسمّى المقرىء بالمدينة[٢].
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.



(١) أبو عبدالله مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري، من أجلة الصحابة وفضلائهم، هاجر إلى الحبشة في أول من هاجر إليها، ثم شهد بدراً، وكانت راية رسول الله ﷺ بيده يوم بدر ويوم أحد، فلما قتل شهيداً في أحد أخذها منه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.
● الاستيعاب: ٤/١٤٧٣ ـ ١٤٧٥، تر: ٢٥٥٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٤٣٤، وبينها خلاف طفيف.

باب ذكر إسلام سعد بن معاذ وأُسيْد بن حضير على يدي مُصعب بن عمير

ذكر ابن إسحٰق عمّن سمّى من شيوخه: أنّ أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر[1]، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر فجلسا به، واجتمع إليهما رجال ممّن أسلم. فلما سمع بذلك سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وهما يومئذٍ سيد قومهما، بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه.

قال سعد لأسيد: لا أبا لك! انطلق إلى هذين الرّجلين اللذين أتيا دارينا ليُسفّها ضعفاءنا، فازجرهما، وانههما، عن أن يأتينا دارينا. فإنّه لولا أنّ أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت، كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدماً.

فأخذ أسيد حربته، ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه، قد جاءك، فأصدق الله فيه؛ قال: فوقف عليهما متشتّماً. فقال: ما جاء بكما إلينا؟ تسفّهان ضعفاءنا، اعتزلانا، إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، ثم ركّز حربته، وجلس إليهما، فكلّمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن؛ فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام، قبل أن يتكلّم، في إشراقه و/تسهّله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدّين؟ قالا له: تغتسل وتطهّر ثيابك[2] ثم تتشهّد شهادة

١٦٥/و

---

(١) بنو ظفر: بطن من بني النبيت، من الأوس، من القحطانية، وظفر اسمه كعب بن الخزرج بن عمرو. ومنهم قتادة بن النعمان الذي أصيبت عينه بأحد فردّها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه.

● نهاية الأرب: ٢٩٨، تر: ١١٧٤.

(٢) في (د): ثوبيك.

الحقّ، ثم تصلي. ففعل ذلك، ثم قام فركع ركعتين. وقال لهما: إنّ ورائي رجلاً إن اتّبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن: سعد بن معاذ. ثم أخذ حربته فانصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلف بالله، لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلّمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدّثت أنّ بني حارثة[1]، قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنّهم عرفوا أنّه ابن خالتك ليخفروك.

فقام سعد مغضباً مبادراً، تخوّفاً للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، وقال: والله ما أراك أغنيت شيئاً؟ ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف سعد أنّ أسيداً إنّما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتّماً، ثم قال أسعد بن زرارة: يا أبا أمامة أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت مني هذا؟ أتغشانا في دارنا[2] بما نكره؟.

وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير، أي مصعب جاءك سيد من وراءه من قومه، إن يتّبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان قال: فقال مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ فقال سعد: أنصفت. ثم ركّز الحربة، وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قال: فعرفنا والله في وجهه الإسلام، قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهّله. ثم قال لهما: كيف

---

(١) بنو حارثة: بطن من الأوس، من الأزد، من القحطانية، وهم بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو النبيت. منهم رافع بن خديج، والبراء بن عازب.

● نهاية الأرب: ٢٠٧، تر: ٧٤٣.

(٢) في الأصل: في دارينا.

تصنعون إذا أنتم أسلمتم، ودخلتم في هذا الدّين؟ قالا: تغتسل. فتطهّر، وتطهّر ثوبيك، ثم تتشهّد شهادة الحق، ثم تصلّي ركعتين. قال: فقام واغتسل، وطهّر ثوبيه، ثم تشهّد[1] شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، ثم أقبل عامداً إلى نادي قومه، ومعه أسيد بن حضير. فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف عليهم قال: يا بني عبدالأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيّدنا، أفضلنا رأياً، وأيمننا نقيبة؛ قال: فإنّ كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام، حتّى تؤمنوا بالله ورسوله. قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبدالأشهل رجل ولا امرأة إلاّ مسلماً ومسلمة.

ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو النّاس إلى الإسلام، حتّى لم تبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيها رجال ونساء مسلمون، إلاّ ما كان من دار بني أمية[2] بن زيد وخطمة[3]، ووائل[4]، وواقف، وهم من الأوس. فإنّه تأخّر إسلامهم[5].

---

(١) في الأصل: ثم تشهّد الشهادة.

(٢) بنو أمية بن زيد: بطن من الأوس، من الأزد، من القحطانية، وهم أمية بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس.
● نهاية الأرب: ص٨٤، تر: ٢١١.

(٣) بنو خطمة ـ بفتح الطاء ـ: حي من الأوس، من القحطانية، وهم بنو عبدالله بن جشم بن مالك بن الأوس.
● نهاية الأرب: ص٢٢٩، تر: ٨٤٤.

(٤) بنو وائل، وواقف: بطنان من الأوس، من الأزد، من القحطانية.
● نهاية الأرب: ص٣٩٤ ـ ٣٩٥، تر: ١٦٤٣ و١٦٤٩.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٤٣٥ ـ ٤٣٧، بينهما خلاف. وقد ذكر ابن هشام أنّ السبب الذي جعل هذه البطون يتأخّر إسلامها، هو أبو قيس بن الأسلت، وكان شاعراً لهم، قائداً مطاعاً، فوقف بهم عن الإسلام، حتّى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدر، وأحد، والخندق، ورأى انتشار الإسلام، وانتصاراته، فأسلم، وأسلمت معه تلك البطون.
● السيرة النّبوية لابن هشام: ١/٤٣٧ ـ ٤٣٨.

 ذكر العقبة الثانية على وجه الاختصار

قال ابن إسحٰق: ثم إنّ مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار، من المسلمين[١] مع حجّاج قومهم، من المشركين، حتّى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة، من أواسط[٢] أيّام التّشريق، حين أراد الله بهم ما أراد، من كرامته، والنّصر لدينه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله[٣].

قال كعب بن مالك: فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها. بتنا مع قومنا في رحالنا، حتّى إذا مضى ثلث الليل، خرجنا لميعاد رسول الله [صلى الله][٤] عليه وسلم، نتسلّل مستخفين، حتّى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون[٥] رجلاً، ومعنا امرأتان، ننتظر رسول الله ﷺ، حتّى جاءنا، ومعه عمّه العبّاس بن عبدالمطلب، وهو يومئذٍ على دين قومه، إلاّ أنّه أحبّ أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثّق له. فلما جلس، كان أول متكلم العبّاس بن عبدالمطلب/ ١٦٦/ظ فقال: يا معشر الخزرج ـ قال: وكانت العرب إنّما يسمون هذا الحيّ من الأنصار: الخزرج، خزرجها وأوسها ـ: إنّ محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممّن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزّ من قومه، ومنعة في بلده، وإنّه قد أبى إلاّ الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممّن خالفه، فأنتم وما تحمّلتم له من ذلك؛ وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنّه في عزّ ومنعة، من قومه وبلده.

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتّى.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: من أوسط.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٣٨/١.
(٤) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٥) في الأصل: ثلاث وسبعون رجلاً.

قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلّم يا رسول الله ﷺ، فخذ لنفسك ولربّك ما أحببت. قال: فتكلّم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغّب في الإسلام. ثم قال: **«أبايعكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»**. فأخذ البرّاء بن معرور[1] بيده ثم قال: نعم، فوالذي بعثك بالحقّ، لنمنعنّك ممّا نمنع منه أزرنا[2]. فبايعنا يا رسول الله، [ﷺ][3]، فنحن والله أهل الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر.

قال كعب: وقد قال رسول الله ﷺ: **«أخرجوا إليّ منكم، اثني عشر نقيباً [يكونون على قومهم، بما فيهم»**، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً][4] تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

فمن الخزرج: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع[5]، وعبدالله بن رواحة، ورافع بن مالك، والبراء بن معرور، وعبدالله بن عمرو[6] ابن حرّام، وعبادة بن الصامت، وسعد بن عبادة، والمنذر بن

---

(١) أبو بشر البراء بن معرور بن صخر بن خنساء الأنصاري، الخزرجي السلمي، كان سيد الأنصار وكبيرهم، وهو أول من استقبل القبلة إلى الكعبة للصلاة، وأول من أوصى بثلث ماله، توفي في حياة الرسول ﷺ.
● الاستيعاب: ١٥١/١ ـ ١٥٣، تر: ١٧٠.

(٢) أُزرنا: نساءنا ـ والمرأة قد يكنى عنها بالإزار، كما يكنى بالإزار عن النفس.

(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

(٥) سعد بن الرّبيع بن عمرو بن أبي زهير الخزرجي الأنصاري، شهد العقبتين، وبدراً، وكان أحد النقباء، وقتل يوم أحد شهيداً. وخلف سعد بنتين وأعطاهما الرسول ﷺ الثلثين، وكان ذلك أول بيان للآية. ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [النساء: ١١].
● الاستيعاب: ٥٨٩/٢ ـ ٥٩١، تر: ٩٣١.

(٦) أبو جابر عبدالله بن عمرو بن حرّام بن ثعلبة الأنصاري، شهد العقبة، وكان نقيباً، وشهد بدراً، وقتل يوم أحد شهيداً، وهو أول قتيل من المسلمين يومئذٍ.
● الاستيعاب: ٩٥٤/٣ ـ ٩٥٦، تر: ١٦١٥.

عمرو[١].

ومن الأوس: أسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة[٢]، ورفاعة بن عبد المنذر[٣].

قال ابن هشام: وأهل العلم يعدّون فيهم أبا الهيثم بن التّيهان، ولا يعدون رفاعة.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبدالله بن أبي بكر: أنّ رسول الله ﷺ قال للنّقباء: «**أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي**». قالوا: نعم.

قال: فلما بايعنا رسول الله ﷺ، صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته[٤] قط يا أهل الجباجب ـ والجباجب: المنازل ـ هل لكم في محمد والصّباء معه، قد أجمعوا على حربكم.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «**هذا أزبّ العقبة هذا ابن أرنب**»[٥].

قال ابن هشام: ويقال ابن أُزيب ـ أتسمع أي عدو الله، أما[٦] والله لأفرغنّ لك.

---

(١) المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة الخزرجي الأنصاري، أحد النقباء الاثني عشر، شهد بدراً، وأحداً، قتل شهيداً يوم بئر معونة، وكان أمير تلك السرية، وذلك بعد أحد بأربعة أشهر أو نحوها، وكان يكتب في الجاهلية بالعربية.
● الاستيعاب: ١٤٤٩/٤ ـ ١٤٥١، تر: ٢٤٩٤.

(٢) أبو عبدالله سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك الأوسي الأنصاري، كان يقال له «سعد الخير»، شهد العقبة، وقتل يوم بدر شهيداً.
● الاستيعاب: ٥٨٨/٢ ـ ٥٨٩، تر: ٩٢٢.

(٣) أبو لبابة رفاعة بن عبدالمنذر بن زنير بن زيد الأوسي الأنصاري، شهد العقبة، وكان نقيباً، وشهد بدراً، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ.
● الاستيعاب: ٥٠٠/٢، تر: ٧٧٨.

(٤) في (د): بأنفذ صوت قط.

(٥) في (د): هذا ابن الأرنب.

(٦) في النسخ المعتمدة: أمّ والله. . . والإصلاح من ابن هشام.

ثم قال رسول الله ﷺ: «**ارفضّوا إلى رحالكم**». فرجعنا إلى مضاجعنا. فلما أصبحنا، غدت علينا جلّة قريش في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج إنّه قد بلغنا أنكم قد جئتكم إلى صاحبنا، تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه[1] على حربنا.

قال: فانبعث من هناك [من][2] مشركي قومنا، يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه.

قال: وصدقوا، لم يعلموا[3] ـ [انتهى][4].



(١) في الأصل: تبايعوه...

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٣٩/١ ـ ٤٤٨، وبينهما خلاف.

(٤) في الأصل و(د): ما بين الحاصرتين ساقط.

باب في إذن الله سبحانه بالقتال والأمر بالهجرة

قال ابن إسحاق: وكان النبيّ ﷺ قبل بيعة العقبة، لم يؤذن له بقتال، وإنّما أمر بالدّعاء إلى الله تعالى، والصبر على الأذى، والصفح على الجاهل. فلما عتت قريش على الله تعالى، وكذّبوا نبيّه، وعذّبوا من عبده ووحّده من المؤمنين، أذن الله لرسوله في القتال، والامتناع والانتصار ممّن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أوّل آية أنزلت في إذنه له في الحرب فيما بلغني عن عروة بن الزبير، وغيره من العلماء: قول الله عزّ وجلّ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾[1].

فلما أذن الله له في الحرب، وبايعه هذا الحيّ من الأنصار، على الإسلام، والنّصرة له، ولمن اتبعه، وآوى إليهم، من المسلمين، بالخروج إلى المدينة، والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم/ من الأنصار، وقال: **«إنّ الله قد جعل لكم إخواناً وداراً، تأمنون بها»**، فخرجوا [أرسالاً، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربّه][2] [سبحانه في الخروج من مكة، والهجرة][3] إلى المدينة[4]. وأوعب أصحابه رضي الله عنهم إلى المدينة هجرة، رجالهم، ونساؤهم، ولم يتخلّف معه ﷺ بمكة أحد، إلاّ من حبس، أو فُتِن، إلاّ علي بن أبي طالب وأبو بكر رضي الله عنهما.

١٦٧/و

(١) الحج: ٣٩ ـ ٤١.
(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٣) في الأصل و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٦٧/١ ـ ٤٦٨. وبينهما خلاف.

وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له ﷺ، **«لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً»**، فيطمع أبو بكر أن يكونه.

ولما رأت[1] قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم، بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً، وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج النبيّ ﷺ إليهم، وعرفوا أنّه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا في دار[2] الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلاّ فيها، وتشاوروا في أمر النبيّ ﷺ فاعترضهم إبليس، لعنه الله تعالى، في هيئةِ شيخ جليل، فوقف على باب الدّار، فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتّعدتّم له، فحضر معكم يسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً، ونصحاً، فقالوا له: أجل، فأُدخل، فدخل معهم. فقال بعضهم لبعض: إنّ هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، وإنّا والله ما نأمنه من الوثوب علينا بمن قد اتّبعه فأجمعوا فيه رأياً. فقال بعضهم: أحبسوه، وأغلقوا عليه باباً. فقال الشيخ النجدي: لعنه الله، والله ما هذا لكم برأي. لئن حبستموه ليخرجنّ أمرُه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليه، فينتزعوه منكم، ثم يكاثروكم به، حتّى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا غيره، فتشاوروا.

فقال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا، ثم لا نبالي أين ذهب.

فقال الشيخ النجدي: ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرّجال، فلا آمنه أن يحلّ على حيّ من العرب، فيغلب عليهم بذلك، ويتابعوه، ويسير بهم إليكم، ثم يفعل بكم ما أراد. أديروا فيه رأياً غير هذا.

---

(١) في (د): ولما رأى قريش.

(٢) دار الندوة: هي دار أحدثها قصي بن كلاب بمكة، يجتمع فيها الزّعماء للتشاور، وجعلها بعده لابنه عبد الدار، وهي اليوم مضافة إلى المسجد الحرام.
● مراصد الاطلاع: ٥٠٨/٢.

فقال أبو جهل: إنّ لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا: فما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً، نسيباً، وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل جميعاً. فلم تقدر بنو عبدمناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل، فعقلناه.

فقال الشيخ النّجدي: القول ما قال الرجل، هذا هو الرأي، ولا رأي غيره، فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبريل عليه السلام النبيّ ﷺ. فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه.

فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «**نم على فراشي، وتسجّ**[1] **بردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم**». وكان النبيّ ﷺ ينام في برده ذلك. إذا أراد أن ينام.

قال ابن إسحـٰق: فحدّثني يزيد بن زياد[2] عن محمد بن كعب القرضي قال: اجتمعوا له وفيهم: أبو جهل. فقال ـ وهم على بابه ـ: إنّ محمداً يزعم أنّكم إن تابعتموه على أمره، كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان [له][3] فيكم [ذبح، ثم بعثتم][4] من بعد موتكم، فجعلت لكم نار

---

(١) تسجّى بالثوب: غطّى به جسده ووجهه.
(٢) يزيد بن زياد بن أبيه، استعمله على سجستان أخوه سلم بن زياد الذي كان والياً على خراسان، فغدر أهل كابول ونكثوا، فسار إليهم يزيد في جيش فاقتتلوا وانهزم يزيد، وقتل من جيشه الكثير.
● الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٩٧/٤.
(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٤) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

تحرقون فيها. فخرج عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من تراب، في يده، ثم قال: «**نعم أنا أقول/ ذلك، أنت أحدهم**». وأخذ الله على أبصارهم عنه، فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التّراب على رؤوسهم، وجعل يتلو الآيات من [يـس][1] ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾، إلى قوله: ﴿فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾[2]. حتّى فرغ ﷺ من الآيات، ولم يبق منهم رجل إلاّ وقد وضع عل رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد.

١٦٨/ظ

فأتاهم آت، ممّن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هـٰهنا؟ فقالوا: محمد. قال: خيّبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلاّ وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، فأنزل [الله تعالى][3] في ذلك: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[4].



(١) في الأصل، و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) يٓس: ١ ـ ٩، وفي (د) و(ر): إلى قوله: وجعلنا من بين أيديهم سدّى ومن خلفهم سدّى فأغشيناهم فهم لا يبصرون.
(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٤) الأنفال: ٣٠.
● السيرة النبوية لابن هشام: ١/٤٨٠ ـ ٤٨٤، وبينهما خلاف.



باب في هجرة النبيّ ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه وما أظهر الله سبحانه في ذلك السفر المبارك من الآيات، وعجائب الكرامات

روى البخاري وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: بينا[1] نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر، في نحر الظهيرة. قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً، في ساعة لم يكن يأتينا فيها. فقال له أبو بكر[2]: فدى له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلاّ أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل فقال النبيّ ﷺ لأبي بكر: **«أخرج من[3] عندك»**، فقال أبو بكر: إنّما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله. قال: **«فإنّه قد[4] أذن لي في الخروج»**.

فقال أبو بكر: الصحبة[5] بأبي أنت يا رسول الله. فقال[6] رسول الله ﷺ: **«نعم»**. قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين. قال رسول الله ﷺ: **«بالثمن»**. قالت عائشة: فجهزناهما أحثّ الجهاز، فصنعنا[7] لهما سفرة في جراب، فقطّعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سمّيت «ذات النطاقين» [قالت][8]، ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكانا[9] فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر، وهو غلام شابّ ثقف لقن،

---

(١) في صحيح البخاري: بينما.
(٢) في صحيح البخاري و(ر): فقال أبو بكر...
(٣) في (د): «من» ساقطة.
(٤) في صحيح البخاري: فإنّي قد أذن لي...
(٥) في صحيح البخاري: الصحابة.
(٦) في صحيح البخاري: قال...
(٧) في صحيح البخاري: وصنعنا لهما...
(٨) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٩) في صحيح البخاري: فكمنا فيه، وفي (د): فكأنما فيه...

فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش[1] كبائت فلا يسمع أمراً يكادان به إلاّ وعاه، حتّى يأتيهما بخبر ذلك، حين يختلط الظلام. ويرعى عليهما عامر بن فهير مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حتّى تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل: وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتّى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث[2]، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً[3] من بني الدّيل وهو من بني عبد بن عدي هادياً خرّيتاً.

والخرّيت: الماهر بالهداية. قد غمس حلفاً في آل العاصي بن وائل السّهمي وهو على دين كفار قريش فأمّناه، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال [فأتاهما][4] براحلتيهما صبح ثلاث ليال[5]، وانطلق معهما عامر بن فهيرة، والدليل، وأخذ بهم طريق السّاحل[6]، ثم ذكر حديث سراقة وقد تقدم. وذكرنا حديث أمّ معبد، وما في ذلك من عظيم الآيات وباهر الكرامات. وكذا حديث الغار وما فيه من عظيم الآيات.

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: حدّثني أبو بكر رضي الله عنه قال: كنت مع النبيّ ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين. قلت: يا رسول الله لو أنّ أحدهم رفع قدميه لرآنا [قال: «**ما ظنّك باثنين الله ثالثهما**» ـ وفي رواية: لو أنّ أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا][7] الحديث[8].

---

(١) في صحيح البخاري: مع قريش بمكة.
(٢) في (ر): الثلاثة.
(٣) رجلاً من بني الديل: هو عبد الله بن أريقط بن الديل بن بكر بن عبدمناة.
(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من (د).
(٥) في صحيح البخاري: «ليال» ساقطة.
(٦) في صحيح البخاري: طريق السواحل.
(٧) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٨) صحيح البخاري ٤/٥، باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر عبدالله بن أبي قحافة التميمي ٧٥/٥ ـ ٧٦، باب هجرة النبيّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٨٣/٥، باب هجرة النبيّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

١٦٩/و

قال السّهيلي وغيره: والغار/ في جبل ثور، في غربي مكة[١].

وذكر قاسم بن ثابت[٢] فيما شرح من الحديث أنّ رسول الله ﷺ لما دخله، وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الراءة: وهي شجرة معروفة فحجبت عن الغار أعين الكفار[٣].

قال ابن عطية: ولما خرج المشركون، جعلوا يقصّون الأثر، فلما انتهوا إلى الغار، طمس عليهم الأثر.

ويروى أنّ العنكبوت نسجت على باب الغار. ويروى أنّ الحمامة عشّشت عند باب الغار[٤].

وروى البخاري من حديث عروة بن الزبير أنّ النّبيّ[٥] ﷺ، لقي الزبير، في ركب من المسلمين، كانوا تجاراً، قافلين من الشام، فكسا الزّبير رسول الله ﷺ وأبا بكر بثياب[٦] بيض، وسمع المسلمون بالمدينة، بخروج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كلّ غداة إلى الحرّة، فينتظرونهم، حتّى يردهم حرّ الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم، أوفى رجل من اليهود[٧] على أطم من آطامهم، لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ، وأصحابه، مبيّضين، يزول بهم السّراب، فلم يملك اليهودي أن قال: بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدّكم الذي تنتظرونه[٨]. فثار المسلمون إلى السلاح فتلقّوا رسول الله ﷺ بظهر الحرّة فعدل بهم ذات اليمين حتّى نزل بهم في بني

---

(١) الروض الأنف: ٢٠٨/٤، وفيه: حديث الغار وهو غار في جبل ثور.
(٢) في الروض الأنف: وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل...
(٣) الروض الأنف: ٤١٠/٤.
(٤) المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ١٨٥/٨ لابن عطية الأندلسي.
(٥) في صحيح البخاري: أنّ رسول الله ﷺ.
(٦) في صحيح البخاري: ثباب بيض...
(٧) في صحيح البخاري: من يهود.
(٨) في صحيح البخاري: تنتظرون.

عمرو بن عوف[1]، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للنّاس، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممّن لم يرَ رسول الله ﷺ يحيّـي أبا بكر، حتّى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتّى ظلّل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بضع عشرة ليلة، وأسّس المسجد الذي أسّس على التقوى، وصلّى فيه رسول الله ﷺ، ثم [ركب][2] راحلته، فسار يمشي معه الناس حتّى بركت عند باب[3] مسجد الرسول ﷺ، وهو يصلي فيه يومئذٍ رجال من المسلمين، وكان مربداً للتّمر لسهيل[4] وسهل[5] غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة[6]. فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «**هذا إن شاء الله المنزل**». ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتّخذه مسجداً فقالا[7]: بل نهبه لَك يا رسول الله، ثم بناه مسجداً[8] ـ الحديث ـ هذا لفظ البخاري.

وذكر ابن إسحٰق أنّ النبيّ ﷺ كلّما مرّ بملأ من الأنصار دعوه إلى النزول عندهم.

---

(١) بنو عمرو بن عوف: بطن من الخزرج من الأزد من القحطانية وهم بنو عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج.
- نهاية الأرب: ٣٤٢، تر: ١٣٨٩.

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) في صحيح البخاري: عند مسجد.

(٤) سهيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ. شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب.
- الاستيعاب: ٦٦٨/٢، تر: ١١٠١.

(٥) سهل أخو سهيل، لم يشهد بدراً وشهد غيرها وتوفي قبل أخيه.
- الاستيعاب: ٦٦٣/٢، تر: ١٠٨٥.

(٦) سعد بن زرارة: أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة، النجاري الخزرجي الأنصاري، كان عقيبياً نقيباً، شهد العقبتين، وبايع فيهما، توفي قبل غزوة بدر.
- الاستيعاب: ٨٠/١ ـ ٨٢، تر: ٣٠.

(٧) صحيح البخاري: فقالا: لا، بل نهبه لك...

(٨) صحيح البخاري: ٧٧/٥ ـ ٧٨، باب هجرة النبيّ ﷺ إلى المدينة.

وقالوا: أقم عندنا يا رسول الله في العدد والعدّة والمنعة، فيقول ﷺ: «خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة» ـ يعني ناقته ﷺ إذا مرّت بدار بني عدي[(١)] بن النجار وهم أخواله ﷺ، دنيا أمّ عبدالمطلب، سلمى[(٢)] بنت عمرو، إحدى نسائهم اعترضه سليط بن قيس[(٣)] في رجال من بني عديّ بن النّجار. فقالوا: يا رسول الله، هلّم إلى أخوالك إلى العدد، والعدّة، والمنعة. قال: «خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة». فخلوا سبيلها فانطلقت، حتّى إذا أتت دار بني مالك[(٤)] بن النّجار[(٥)]، بركت على باب مسجده ﷺ، فلما بركت ورسول الله ﷺ لم ينزل، وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع له زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرّة، فبركت فيه، ثم تحلحلت[(٦)]، وزمّت[(٧)]، ووضعت جرانها[(٨)]، فنزل عنها رسول الله ﷺ واحتمل أبو أيوب خالد بن زيد[(٩)] رحله، فوضعه في بيته،

---

(١) بنو عدي بن النجاري: بطن من بني النجار، وهم بنو عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، منهم أنس بن مالك، وحسّان بن ثابت، وجماعة كثيرة ممّن شهدوا بدراً وغيرها.
- نهاية الأرب: ٣٢٢، تر: ١٢٧٨.

(٢) أم عبدالمطلب: سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار من الأنصار.
- جمهرة أنساب العرب: ١٤.

(٣) سليط بن قيس بن عمرو بن عبدالله بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري النجاري، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، روى عنه ابنه عبدالله. وقتل شهيداً.
- أ ـ الاستيعاب: ٢/٦٤٦، تر: ١٠٤١.
- ب ـ الإصابة: ٢/٧٢، تر: ٣٤٢٥.

(٤) بنو مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة، بطن من الخزرج، من الأزد.
- جمهرة أنساب العرب: ٣٤٧.

(٥) في الأصل: ملك.

(٦) تحلحلت: تحرّكت.

(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: ورزمت. يقال: ررمت الناقة إذا أقامت في الكلال.

(٨) الجران: ما يصيب الأرض من صدر الناقة وباطن حلقها.

(٩) في النسخ المعتمدة: يزيد، وفي كل المصادر التي عدت إليها زيد.

ونزل عليه رسول الله ﷺ حتّى بنى مسجده، ومساكنه، وعمل فيه رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار. فارتجز المسلمون وهم يبنونه ويقولون: لا عيش إلاّ عيش الآخرة، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة.

١٧٠/ظ ودخل عمّار بن ياسر وقد أثقلوه باللبِن. فقال: يا رسول الله، قتلوني/ يحملون عليّ ما لا يحملون.

قالت أمّ سلمة رضي الله عنها، فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته بيده ويقول: «**ويح ابن سمية! ليسوا بالذين يقتلونك، إنّما تقتلك [الفئة]**(١) **الباغية**». وهذه من آياته ﷺ.

وذكر ابن إسحٰق: أنّ إنساناً آذى عمّاراً بكلمة، فغضب له رسول الله ﷺ ثم قال: «**ما لهم ولعمّار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار؟**»

قال السّهيلي: وأمّا بيوته ﷺ تسعة: بعضها من جريد مطيّن بالطين وسقفها جريد ـ وبعضها من حجارة مرضومة، بعضها على بعض مسقفة بالجريد.

قال الحسن بن أبي الحسن: كنت أدخل بيوت النبيّ ﷺ، وأنا غلام مراهق فأنال السّقف بيدي. وكان لكل بيت حجرة. وكانت حجره(٢) ﷺ كسيّة(٣) من شعر، مربوطة في خشب عرعر، وكان سريره ﷺ خشبات مشدودة بليف(٤).

فصل

قال السّهيلي: قال ابن إسحٰق في غير رواية ابن هشام في حديث طويل [ثابت](٥) اختصرته.

---

(١) الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٤٩٥/١ ـ ٤٩٧، وبينهما خلاف.
(٢) في (د): وكانت حجرته.
(٣) في (ر): أكسيت.
(٤) في الروض الأنف: بالليف.
● الروض الأنف: ٢٦٧/٤ ـ ٢٦٨.
(٥) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

إنّ أبا بكر حين هاجر مع النبيّ ﷺ خلف بناته بمكة، فلما قدموا المدينة، أرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، وأبا رافع[1] مولاه، وأرسل أبو بكر: [عبدالله][2] بن أريقط فقدموا مكّة، فخرجوا بسودة[3] بنت زمعة، وبفاطمة، وبأمّ كلثوم[4]، قالت عائشة: وخرجت أمّي معهم. فلمّا كنّا بقديد، نفر البعير الذي كنت عليه أنا وأمي أمّ رومان[5] في محفّة، فجعلت أمّي تنادي: وابنيّتاه واعروساه.

وفي رواية يونس عن ابن إسحٰق قالت عائشة: فسمعت قائلاً يقول: ولا أرى أحداً، ألقي خطامه، فألقيته من يدي، فقام البعير يستدير به، كأنّ إنساناً تحته يمسكه ثم هبط البعير من الثنية، فسلّم الله تعالى. فقدمنا على رسول الله ﷺ وهو يبني المسجد وأبياتاً لهم.

قلت: وهذه بركة من بركاته ﷺ، وآية من آياته ﷺ [وعلى آله[6]][7].

---

(١) أبو رافع: مولى رسول الله ﷺ، اختلف في اسمه: قيل: إبراهيم، وقيل: أسلم، وقيل: هرمز، وقيل: ثابت، كان قبطياً، مملوكاً للعبّاس عمّ الرّسول ﷺ، فوهبه له، فلما أسلم العباس، بشر أبو رافع رسول الله ﷺ بذلك فأعتقه، توفي في خلافة عثمان وقيل في خلافة علي.
- الاستيعاب: ١٦٥٦/٤ ـ ١٦٥٧، تر: **٢٩٤٨**.

(٢) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ تزوّجها الرسول ﷺ بمكة بعد موت خديجة، وقبل العقد على عائشة، توفيت في آخر خلافة عمر.
- الاستيعاب: ١٨٦٧/٤، تر: **٣٣٩٤**.

(٤) أمّ كلثوم: بنت رسول الله ﷺ، ولدت قبل فاطمة، تزوّجها عثمان بن عفان بعد أختها رقية، كانت تحت عتبة بن أبي لهب، فلم يبن بها حتّى بعث النبيّ ﷺ ففارقها بأمر من أبيه وأمّه، توفيّت في سنة تسع، وصلّى عليها أبوها، رسول الله ﷺ.
- الاستيعاب: ١٩٥٢/٤ ـ ١٩٥٣، تر: **٤٢٠١**.

(٥) أمّ رومان ـ بضم الراء وفتحها ـ بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس، زوجة أبي بكر الصديق، وأمّ عائشة، توفّيت في سنة ستّ للهجرة، فنزل الرسول ﷺ قبرها، واستغفر لها وقال: اللهم لم يخف عليك ما لقيت أمّ رومان فيك وفي رسولك.
- الاستيعاب: ١٩٣٥/٤ ـ ١٩٣٧، تر: **٤١٥٢**.

(٦) الروض الأنف: ٢٠٣/٤ ـ ٢٠٤.

(٧) في الأصل: صلّى الله عليه وسلم وآله. وفي (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

باب في إسلام عبدالله بن سلام

قد قدمنا ذكر إسلامه من طريق ابن إسحٰق والآن أذكره من طريق البخاري لما فيه من زيادة الفائدة.

روينا في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه: أن عبدالله بن سلام بلغه مقدم النبيّ ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إنّي سائلك عن ثلاث: لا يعلمهنّ إلاّ نبيّ: ما أول أشراط السّاعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنّة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه[1] وإلى أمه؟ قال: أخبرني بهنّ جبريل آنفاً ـ فقال عبدالله بن سلام: ذلك عدوّ اليهود من الملائكة ـ.

قال: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأمّا أول طعام يأكله أهل الجنّة فزيادة كبد الحوت. وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد**»، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد. قال: أشهد أن لا إلـه إلا الله، وأنّك رسول الله. قال يا رسول الله، إنّ اليهود قوم بهت فسلهم عنّي[2]. فجاءت اليهود فقال رسول الله ﷺ: «**أيّ رجل عبدالله فيكم؟**» قالوا: خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا. فقال النبيّ ﷺ: «**أرأيتم إن أسلم عبدالله بن سلام؟**» قالوا: أعاذه الله عزّ وجلّ[3] من ذلك.

فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبدالله بن سلام[4]، فقال: أشهد أن لا إلـه إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله. قالوا: شرّنا وابن

(١) في صحيح البخاري: أو إلى أمه؟ قال: أخبرني به جبريل آنفاً ـ قال ابن سلام.

(٢) في صحيح البخاري: قبل أن يعلموا بإسلامي، فجاءت اليهود، فقال النبيّ ﷺ: أي رجل عبدالله بن سلام فيكم؟

(٣) في صحيح البخاري: «عزّ وجلّ» غير وارد.

(٤) في صحيح البخاري: «ابن سلام» غير وارد.

شرّنا، وتنقصوه، فقال[1]: هذا كنت أخاف يا رسول الله[2].

وفي رواية للبخاري: فلما جاء نبيّ الله ﷺ جاءه عبدالله بن سلام، رحمه الله[3] فقال: أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم عنّي قبل أن يعلموا أنّي قد أسلمت[4]/ قالوا: فيّ ما ليس فيّ، فأرسل نبيّ الله ﷺ إليهم، فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«يا معشر اليهود[5] اتّقوا الله، فوالله الذي لا إلـه ألاّ هو، إنكم لتعلمون أنّي رسول الله حقاً، وأنّي جئتكم بحقّ، فأسلموا»** قالوا: ما نعلمه، ثم أعاد عليهم ﷺ مقالته[6] ثلاث مرات. ١٧١/و

قال: **«فأيّ رجل فيكم عبدالله بن سلام؟»** قالوا: ذلك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: فرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا[7] لله ما كان ليسلم قال: **«أفرأيتم[8] إن أسلم؟»** قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم.

قال: **«يا ابن سلام أخرج عليهم»** [فخرج][9] فقال:[10] يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إلـه إلاّ هو إنّكم لتعلمون أنّه[11] رسول الله، وأنّه جاء بحق قالوا: كذبت. فأخرجهم رسول الله ﷺ[12].

---

(١) في صحيح البخاري: قال...

(٢) صحيح البخاري: ٥/٨٨ ـ ٨٩، باب قول النبيّ ﷺ: اللهم امضِ لأصحابي هجرتهم.

(٣) في صحيح البخاري: «رحمه الله» غير وارد.

(٤) في صحيح البخاري: قبل أن يعلموا أني قد أسلمت. قالوا: فيّ ما ليس فيّ، فأرسل نبيّ الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه...

(٥) في صحيح البخاري: ويلكم، اتقوا الله.

(٦) في الأصل: مقالة ـ بسقوط الضمير ـ.

(٧) في النسخ المعتمدة من الأنوار: حاش.

(٨) في (د): جملة: أفرأيتم: ذكرها مرة واحدة. وفي صحيح البخاري: كرّر الجملة: «أفرأيتم إلى ما كان ليسلم»، ثلاث مرات.

(٩) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(١٠) في (ر): قال.

(١١) في الأصل: أني...

(١٢) صحيح البخاري: ٥/٨٠، باب هجرة النبيّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة.



باب في ذكر ما أكرم الله به الإسلام، وذكر بدء الأذان وتبيين الأحكام

قال ابن إسحٰق: ولمّا اطمأنّت برسول الله ﷺ داره، وأظهر الله دينه، وسرّه ما جمع إليه من المهاجرين، والأنصار، من أهل ولايته.

قال أبو قيس صرمة بن أنس أخو بني عديّ بن النّجار: يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام، وما خصّهم الله به من نزول رسول الله ﷺ عليهم: [الطويل]

ثوى في قريش بضع عشرة حجة	يُذكّر لو يلقى صديقاً مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه	فلم يرَ من يؤوي ولم يرَ داعيا
فلمّا أتانا أظهر الله دينه	فأصبح مسروراً بطيبة راضيا
وألفى صديقاً واطمأنّت به النّوى	وكان له عوناً من الله باديا
يقصّ لنا ما قال نوح لقومه	وما قال موسى إذ أجاب المناديا
فأصبح لا يخشى من الناس واحدا	قريباً ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الأموال من جلّ ما لنا	وأنفسنا عند الوغى والتّئاسيا
ونعلم أنّ الله لا شيء غيره	ونعلم أنّ الله أفضل هاديا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم	جميعاً وإن كان الحبيب المصافيا
أقول إذا أدعوك في كلّ بيعة	تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا
أقول إذا جاوزت أرضاً مخوفة	حنانيك لا تظهر عليّ الأعاديا
فوالله ما يدري الفتى كيف يتّقي	إذا هو لم يجعل له الله واقيا

قال ابن إسحٰق: وكان أبو قيس هذا رضي الله عنه رجلاً قد ترهّب في الجاهلية، لبس المسوح وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة، وتطهّر من

الحائض، وهمّ بالنصرانية، ثم أمسك عنها ودخل بيتاً له، واتخذه مسجداً، لا تدخله عليه طامث، ولا جنب. وقال: أعبُد ربّ إبراهيم حين فارق الأوثان، وكرهها، حتّى قدم رسول الله ﷺ [المدينة][1] فأسلم، فحسن إسلامه، وهو شيخ كبير، وكان قوّالاً بالحق، معظماً لله في جاهليته، يقول أشعاراً في ذلك حساناً.

وهو الذي يقول: [الطويل]

يقول أبو قيس وأصبح غاديا ... ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا

فأوصيكم[2] بالله والبرّ والتّقى ... وإعراضكم، والبرّ بالله[3] أوّل

وإن قومكم سادوا فلا تحسدنّهم[4] ... وإن كنتم أهل الرئاسة فاعدلوا

وإن نزلت إحدى الدّواهي بقومكم ... فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا/ ١٧٢/ظ

وإن ناب غرم فادح فارفدوهم[5] ... وإن حمّلوكم في الملمّات فاحملوا[6]

وإن أنتم[7] أمعرتم فتعفّفوا ... وإن كان فضل الخير فيكم فافضلوا[8]

قال السّهيلي: الإمعار: الفقر[9].

قال ابن إسحٰق: فلمّا اطمأنّ رسول الله ﷺ بالمدينة، واجتمع إليه إخوانه، من المهاجرين، واجتمع أمر الأنصار، استحكم أمر الإسلام،

---

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) في النّسخ المعتمدة من الأنوار: أوصيكم.
(٣) في (د): والبر لله.
(٤) في (د): فلا تحسدونهم.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: فارفقوهم... وما حمّلوكم...
(٦) في (د) و(ر): هذا البيت ساقط.
(٧) في (د): إن أنتم.
(٨) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٥١٠ ـ ٥١٢، وبينهما خلاف.
(٩) الروض الأنف: ٤/٣٩١.

فقامت الصلاة، وفرضت الزكاة، والصيام، وقامت الحدود، وفرض الحلال والحرام، وكان رسول الله ﷺ حين قدم المدينة إنّما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها. فهمّ ﷺ أن يجعل بوقاً كبوق اليهود الذين يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه. ثم أمر بالنّاقوس، فنحت ليضرب به للصلاة. فبينما هم على ذلك رأى عبدالله بن زيد[1] النّداء، فأتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إنّه طاف بي هذه الليلة طائف، مرّ بي رجل، عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً في يده. فقلت: يا عبدالله، أتبيع هذا النّاقوس؟ قال: وما تصنع به! قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة؟ قال: أفلا أدلّك على خير من ذلك؟ قال: قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر. الله أكبر إلى آخر كلمات الأذان.

فقال رسول الله ﷺ: **«إنّها لرؤيا حقّ، إن شاء الله. فقم مع بلال، فألقها عليه، فليؤذن بها، فإنّه أندى صوتاً منك»**[2].

قال ابن هشام: وذكر ابن جريج[3] عن عطاء عن عبيد[4] الله بن عمير الليثي أنّ النبيّ ﷺ ائتمر وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة، فرأى

---

(١) أبو محمد عبدالله بن زيد بن ثعلبة الحارثي الخزرجي الأنصاري، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكانت معه راية بني الحارث يوم الفتح، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين عن أربع وستين سنة. وصلّى عليه الخليفة عثمان.
● الاستيعاب: **٩١٢/٣ ـ ٩١٣، تر: ١٥٣٩.**

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: **٥٠٨/١ ـ ٥٠٩**، وبينهما خلاف.

(٣) أبو الوليد عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الرومي الأموي، أحد الأعلام ولد بمكة سنة ثمانين، وأدرك صغار الصحابة، توفي في ذي الحجة سنة خمسين ومائة.
● تذكرة الحفّاظ: **١٦٩/١ ـ ١٧١، تر: ١٦٤.**

(٤) في (ر): عبدالله أبو عاصم عبيدالله بن عمير الليثي، وفي الاستيعاب، وتذكرة الحفّاظ، وسير أعلام النبلاء: عبيد بن عمير... ولد على عهد رسول الله ﷺ، وهو قاص أهل مكة، وتوفي سنة أربع وسبعين.
● أ ـ الاستيعاب: **١٠١٨/٣، تر: ١٧٣٦.**
● ب ـ تذكرة الحفّاظ: **٥٠/١، تر: ٢٨.**
● ج ـ سير أعلام النبلاء: **١٥٦/٤ ـ ١٥٧، تر: ٥٦.**

عمر بن الخطاب في المنام لا تجعلوا النّاقوس، بل أذّنوا بالصلاة[١]، فذهب عمر إلى النبيّ ﷺ ليخبره بالذي رأى وقد جاء النبيّ[٢] الوحي بذلك فما راع[٣] عمر إلاّ بلال يؤذن فقال رسول الله ﷺ حين أخبره بذلك: **«قد سبقك بذلك الوحي»**[٤].

قال عبدالحق[٥] في الأحكام: حديث رؤيا عبدالله بن زيد الآذان صحيح. وكذلك آذان بلال.

قلت: قد روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة، وليس ينادي بها أحد، فتكلّموا يوماً في ذلك. فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى. وقال بعضهم: بل قرناً مثل قرن اليهود. فقال عمر: أو لا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة. فقال رسول الله ﷺ: **«يا بلال قم فناد بالصلاة»** فنادى بالصلاة[٦].

قلت: وقد سمع النبيّ ﷺ الآذان ليلة الإسراء على ما رواه أبو بكر البزار، كما قدمنا.

قال السّهيلي: فتلبّث الوحي حتّى أُري عبدالله بن زيد الآذان في الرؤيا، فوافقت رؤياه ما سمعه ﷺ، ورآه ليلة الإسراء، فلذلك قال: إنّها لرؤيا حق، إن شاء الله. وعلم حينئذٍ أن مراد الله تعالى بما رآه وأسمعه في السماء أن يكون سنّة في الأرض[٧].

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: للصلاة...

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: صلّى الله عليه وسلم.

(٣) في الأصل: فلمّا راع...

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٠٩/١.

(٥) أبو محمد عبد الحق بن عبدالرحمٰن بن عبدالله الأزدي الإشبيلي، يعرف بابن الخرّاط، وُلد سنة عشر وخمسمائة [٥١٠]. وتوفي ببجاية سنة إحدى وثمانين وخمسمائة [٥٨١].
- تذكرة الحفّاظ: ١٣٥٠/٤ ـ ١٣٥٢، تر: ١١٠٠.

(٦) ● أ ـ صحيح البخاري: ١٥٧/١، باب بدء الأذان.
- ب ـ صحيح مسلم: ٢٨٥/١، كتاب الصلاة، باب بدء الأذان.

(٧) الروض الأنف: ٣٨٣/٤.

قال السّهيلي: وفي مسند الحارث أن رسول الله ﷺ قال: «**أوّل من أذّن بالصلاة جبريل عليه السلام، أذّن بها في سماء الدنيا**» فسمعه عمر وبلال [فسبق عمر بلالاً إلى النبيّ ﷺ فأخبره فقال: سبقك عمر][1].

قال السّهيلي: وظاهر الحديث أنّ عمر سمع ذلك في اليقظة ـ فالله أعلم ـ وكذلك رؤيا عبدالله بن زيد في الأذان رآها وهو بين النائم واليقظان. قال: ولو شئت قلت: كنت يقظاناً[2][3] رضي الله عنهم أجمعين.



(١) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) في الأصل و(د): ولو شئت قلت: يقظان.
(٣) الروض الأنف: ٣٨٧/٤، وبينهما خلاف.



باب في نصر الله تعالى لنبيه ﷺ على طوائف اليهود والمنافقين ونصارى نجران، وكشف سرائرهم، وفي إجابة دعوته في نقل حمّى المدينة، وما في ذلك من الآيات، وباهر المعجزات له ﷺ، وشرف/

١٧٣/و

قال ابن إسحٰق: ثم إنّ أحبار يهود نصبت لرسول الله ﷺ العداوة، بغياً وحسداً، لما خصّ الله به العرب، من بعثه رسوله منهم، وانضاف إليهم رجال، من المنافقين، إلاّ أنّ الإسلام قهرهم. وقد قدمنا ما روته صفية رضي الله عنها قالت: سمعت عمّي أبا ياسر يقول لأبي حيي ابن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم؛ والله. قال: أتعرفه وتثبّته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته، والله ما بقيت. وكان هذان الأخوان الشقيان من أشدّ اليهود عداوة لأهل الإسلام، حتّى قتلهما الله على يدي نبيّه، عليه الصلاة والسلام. وكانت أحبار اليهود يستفتحون بالنبيّ ﷺ على الذين كفروا من مشركي العرب، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحقّ[١].

قال ابن إسحٰق: وكان ممّن تعوّذ بالإسلام، ودخل فيه، مع المسلمين، وأظهره، وهو منافق من أحبار يهود جماعة منهم: زيد[٢] بن اللّصيت[٣]، وهو الذي قال: حين ضلّت ناقة رسول الله ﷺ: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السّماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ قال هذه الكلمة في سرّ. فقال رسول الله ﷺ: إنّ قائلاً قال يزعم محمد أنه يأتيه خبر السّماء وهو لا يدري أين ناقته؟ وإنّي ـ والله ـ لا أعلم إلاّ ما علّمني الله، وقد دلّني الله عليها، فهي[٤] في هذا الشعب، قد حبستها شجرة، بزمامها.

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٥١٣ ـ ٥١٩، وبينهما خلاف.
(٢) زيد بن اللّصيت: من زعماء يهود بني قينقاع وأحبارهم.
(٣) في الأصل: زيد اللّصيت.
(٤) في (د): وهي.

فذهب رجال من المسلمين، فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ[١]، وكما وصف.

ولما قدم النبيّ ﷺ المدينة حكّمته اليهود في رجل وامرأة زنيا بعد الإحصان. وقالوا: إن حكم فيهما بعملكم[٢] وهو التّجبية[٣]، فأتْبعوه، فإنّه ملك، وإن حكم بالرّجم، فهو نبي، فاحذروه على ما بأيديكم أن يسلبوكموه. فأتوه بهما. فقال لهم النبيّ ﷺ: «**يا معشر يهود: أخرجوا إليّ علماءكم**»، فأخرجوا له عبد الله بن صوريا[٤] فقالوا: هذا أعلم من بقي بالتوراة.

فخلا به النّبيّ ﷺ، وقال له: «**يا ابن صوريا أأنشدك بالله وأذكرك بأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أنّ الله قد حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟**» قال: اللّهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنّهم ليعرفون أنك لنبي مرسل، ولكنّهم يحسدونك، فأمر ﷺ برجمهما[٥].

وقدم على النبيّ ﷺ وفد نصارى نجران، ستّون راكباً، منهم ثلاثة نفر، إليهم يؤول أمرهم: العاقب أميرهم، وذو رأيهم، واسمه عبد المسيح، والسّيد واسمه الأيهم؛ وأبو حارثة[٦] أسقفهم، وحبرهم، وإمامهم، وصاحب مدارستهم[٧]، فكان ملوكهم، قد شرّفوه، وموّلوه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، فلما وجّهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران. وجلس

---

(١) في (د): وصف كما وصف.
(٢) في (د) و(ر): بعلمكم...
(٣) التجبية: الجلد بحبل من ليف مطليّ بقار، ثم تسود وجوههما، ثم يحملان على حمارين، وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين.
● السيرة النبوية لابن هشام: ١/٥٦٤.
(٤) في النسخ الثلاث المعتمدة عبدالله بن صورا.
(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٥٦٤ ـ ٥٦٥، وبينهما خلاف.
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: ابن علقمة أحد بني بكر بن وائل.
(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: وصاحب مدراسهم.

أبو حارثة على بغلته، موجّهاً[1] وإلى جنبه[2] أخ له يقال له: كوز، فعثرت بغلة أبي حارثة، فقال كوز: تعس الأبعد! يدعو بذلك على النبيّ ﷺ. فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست! قال: ولم يا أخي؟ فقال: إنّه للنّبيّ الذي كنّا ننتظر، فقال له كوز: فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع هؤلاء القوم، شرّفونا وموّلونا وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه. فلو فعلت، نزعوا منّا كل ما ترى فأضمر عليها منه أخوه كوز، حتّى أسلم بعد ذلك، فهو كان يحدّث عنه هذا الحديث[3].

وفي نصارى نجران، أنزل الله تعالى، صدر سورة آل عمران، إلى بضع وثمانين آية. فافتتح السّورة بتنزيهه، وتوحيده سبحانه إلى قوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ/ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[4]. ١٧٤/ظ

فدعاهم الله سبحانه إلى النّصف وقطع عنهم الحجّة. فلما أُتي النبيّ[5] ﷺ الخبر من الله سبحانه، وفصل القضاء بينه وبينهم، بما أمر به، من ملاعنتهم، إن ردّوا ذلك عليه ـ دعاهم إلى ذلك. فقالوا[6]: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا. ثم نأتيك بما نريد أن نفعل، فيما دعوتنا إليه. فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم. فقالوا: يا

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: موّجهاً إلى رسول الله ﷺ وإلى جنبه أخ له...

(٢) في الأصل و(ر): موجهاً إلى جنبه أخ له...

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٧٣/١ ـ ٥٧٤، وبينهما خلاف.

(٤) آل عمران: ٦١ ـ ٦٤.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: رسول الله ﷺ.

(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: فقالوا له:...

عبد المسيح ما ترى[1]؟ فقال: والله يا معشر النّصارى لقد علمتم أنّ محمداً لنبيّ مرسل، ولقد جاءكم من خبر صاحبكم بالحق، ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيّاً[2] قط فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وإنّه الاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلاّ إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه، من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل، ثم انصرفوا إلى بلادكم. فأتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا أن لا نلاعنك، وأن نبقى على ديننا، وصالحوه على أموال، وقالوا له: ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه ليحكم بيننا في أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضى، فبعث معهم أبا[3] عبيدة بن الجراح[4] رضي الله عنه[5].

قال ابن إسحٰق: ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة، قدمها، وهي أوبأ أرض الله من الحمّى، فأصاب أصحابه سقم حتّى جهدوا.

قالت[6] عائشة رضي الله عنها: فكان بلال إذا تركته[7] الحمّى اضطجع بفناء البيت ثم رجع عقيرته وقال: [الطويل]

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة ... بفخّ، وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنّة؟ ... وهل يبدون لي شامة وطفيل؟

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: ماذا ترى.
(٢) في الأصل، و(ر): ما لاعن قوم نبي قط.
(٣) في الأصل: كلمة «أبا» ساقطة.
(٤) أبو عبيدة عبدالله بن عامر بن الجرّاح بن هلال، الفهري القرشي، ممّن هاجر إلى الحبشة الثانية، شهد بدراً والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، كان نحيفاً طوالاً، من كبار الصحابة وفضلائهم، توفي في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة بالأردن، وصلّى عليه معاذ بن جبل، وهو ابن ثمان وخمسين سنة.
● الاستيعاب: ١٧١٠/٤ ـ ١٧١١، تر: ٣٠٧٨.
(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٨٣/١ ـ ٥٨٤، وبينهما خلاف.
(٦) في (د): وقالت عائشة.
(٧) في الأصل: إذا تركه الحمّى.

فأخبرت النبيّ ﷺ بما سمعت. فقال النبيّ ﷺ: «**اللهم حبّب إلينا المدينة كما أحببت [إلينا][1] مكّة، وأشدّ، وبارك لنا في مدّها، وصاعها. وانقل وباءها إلى مهيعة**». و«مهيعة»: الجحفة[2].

قوله: بفخ بالخاء المعجمة قاله في الجمهرة وهو موضع خارج مكة.

والأذخر: نبات معروف رقيق له رائحة عطرة[3].

قال السّهيلي: عن أبي نصر[4]: إنّ أهل الحجاز يسمّون الثمام: الجليل. ومجنّة: سوق من أسواق العرب بين عكاظ: وذي المجاز، وكلّها أسواق.

وأمّا شامة، وطفيل، فقال الخطابي: في كتاب [الأعلام][5] في شرح البخاري: كنت أحسبهما جبلين، حتّى مررت بهما، ووقفت عليهما، فإذا هما عينان من ماء.

وقوله ﷺ: «**وبارك لنا في صاعها، ومدّها**» يعني الطّعام الذي يكال بالصّاع، والمدّ. ولذلك قال في حديث آخر: «**كيلوا طعامكم، يبارك لكم فيه**».

وشكا إليه قوم سرعة فناء طعامهم، فقال: «**أتهيلون أم تكيلون؟**»

---

(١) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٨٨/١ ـ ٥٨٩، وبينهما خلاف.

(٣) أورد الإمام البخاري في صحيحه هذا الحديث في: ٨٤/٥، باب مقدم النبيّ ﷺ وأصحابه المدينة.

(٤) أبو نصر: عبيدالله بن سعيد بن حاتم الوائلي البكري السجزي، علم السنة. نزيل الحرم، ومصر، سمع بخراسان، والحجاز، والشام، والعراق. توفي بمكة في المحرم سنة أربع وأربعين وأربعمائة.

● تذكرة الحفاظ: ١١١٨/٣ ـ ١١١٩، تر: ١٠٠٥.

(٥) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

فقالوا[1] له: بل نهيل[2]. فقال: «**كيلوا ولا تهيلوا**».

وقوله: «**وانقل وباءها إلى مهيعة**»، وهي الجحفة.

قال السّهيلي: أمّا مهيعة، فقد اشتدّ الوباء فيها، بسبب هذه الدعوة، حتّى قيل: إن الطائر يمرّ بغدير خُمّ فيسقم، وغدير خمّ [فيها][3] ويقال: إنّها ما ولد فيها مولود فيبلغ[4] الحلم. وهي أرض نجعة لا تسكن، ولا يقام فيها إقامة دائمة، فيما بلغني ـ والله أعلم ـ[5].

❋ ❋ ❋

تمَّ بعون الله الجزء الثاني من الأنوار ويليه الجزء الثالث وأوله «كتاب السير والغزوات».



---

(١) في الأصل: فقال...

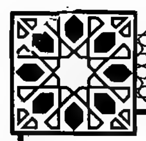
(٢) نُهيل: هال فلان الرمل ونحوه يهيله هيلاً: دفعه وأرسله دون أن يرفع عنه يده، وأهال مبالغة في هاله. يقال: هلت الماء وأهلته إذا صببته وأرسلته.

● المعجم الوسيط: مادة: نهل.

(٣) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) في الروض الأنف: فبلغ الحلم.

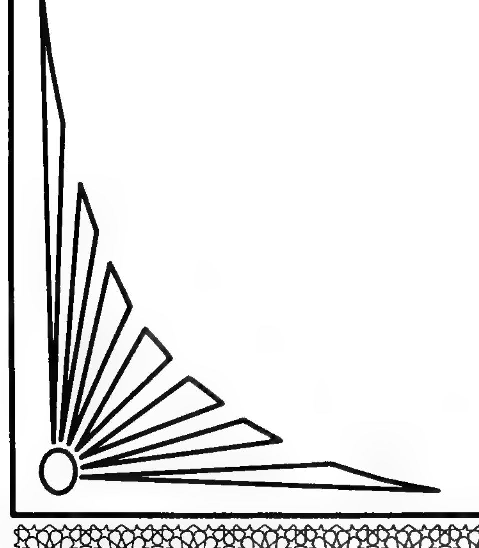
(٥) الروض الأنف: ٥/٦٤ ـ ٤٩.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كتاب السير والغزوات

وما اشتمل عليه من باهر الآيات والمعجزات



باب في ذكر غزوة بدر الكبرى
وما وقع فيها من الآيات، وعظيم الكرامات

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن مسلم الزّهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبدالله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، وغيرهم من علمائنا.

عن ابن عبّاس، كل قد حدثني بعض الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر.

قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان/ مقبلاً من الشام، ندب المسلمين إليهم، وقال: «**هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعلّ الله ينفلكموها**». فانتدب النّاس، فخفّ بعضهم وثقل بعض، وذلك أنهم لم يظنوا أنّ رسول الله ﷺ يلقى حرباً. ١٧٥/و

وكان أبو سفيان، حين دنا من الحجاز، يتحسّس[١] الأخبار، ويسأل من لقي من الرّكبان، تخوّفاً، حتّى أصاب خبراً من بعض الرّكبان: أنّ محمداً استنفر أصحابه إليك، فحذر عند ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكّة يستنفر قريشاً إلى أموالهم، ويخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة.

وكانت عاتكة بنت عبدالمطلب قد رأت ـ قبل قدوم ضمضم مكّة بثلاث ـ رؤيا أفزعتها، فقالت لأخيها العبّاس: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا، لقد أفظعتني[٢]، خفت أن يدخل على قومك منها شرّ ومصيبة، فاكتم عنّي ما أحدّثك.

---

(١) التحسّس: أن تتسمّع الأخبار بنفسك، والتجسّس أن تبحث عن الأخبار بغيرك.

(٢) أفظعتني: اشتدّت عليّ.

فقال لها: وما رأيتِ؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له، حتّى وقف بالأبطح[١]، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غدر[٢] لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مَثُلَ به بعيره على ظهر أبي قبيس، فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي، حتّى إذا كانت بأسفل الجبل، ارْفَضَّتْ[٣]، فما بقي بيت من بيوت مكّة ولا دار إلاّ دخلتها منها فلقة.

قال العبّاس: والله إنّ هذه لرؤيا! وأنت فاكتميها، ولا تذكريها لأحد، ثم خرج العبّاس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة، وكان له صديقاً، فذكرها له، واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث، حتّى تحدّثت به قريش. قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل في رهط من قريش قعود يتحدّثون برؤيا عاتكة، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبِلْ إلينا. فلما فرغت أقبلت حتّى جلست معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبدالمطلب، متى حدثت فيكم هذه النّبية؟ قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرّؤيا التي رأت عاتكة؛ قال: فقلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبدالمطلب، أما رضيتم أن يتنبّأ رجالكم حتّى تتنبّأ نساؤكم! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا[٤] في ثلاث، فسنتربّص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقّاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب. قال العباس: فوالله ما كان منّي إليه كبير إلاّ أني جحدت ذلك، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً. قال: ثم تفرّقنا، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبدالمطلب إلا أتتني فقالت: آقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في

---

(١) الأبطح: كلّ سبيل فيه دقاق الحصى، والأبطح يضاف إلى مكة، وإلى منى، لأنّ مسافته منها واحدة، وربما كان إلى منى أقرب، وهو المحصّب.
● مراصد الاطلاع: ١٧/١.

(٢) يا آل غدر: إن تخلّفتم فأنتم غدر لقومكم.

(٣) ارفضّت: تفتّتت.

(٤) في (د): ألا انفروا.

رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك[1] غِيَرٌ لشيء ممّا سمعت؟ قال: قلت: قد والله فعلت، ما كان منّي إليه كبير، وآيم الله لأتعرض له، فإن عاد لأكفينّه. قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب، أُرى أني قد فاتني منه أمر أحبّ أن أدركه قال: فدخلت المسجد فرأيته، والله إني لأمشي نحوه أتعرّضه ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً، حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد. قال: قلت في نفسي: ما له لعنه الله؟! أكلُّ هذا فرقاً مني أن أشاتمه؟ قال: فإذا هو قد سمع ما لم أسمع؛ صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي، واقفاً على بعيره قد جدّع بعيره[2] وحوّل رحله وشقّ قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللّطيمة[3]، اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى[4] أن تدركوها، الغوث الغوث. قال: فشغلني عنه وشغله عنّي. ما جاء من الأمر، فتجهّز الناس سراعاً، وقالوا: أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي[5]، والله ليعلمنّ غير ذلك، فكانوا بين رجلين: إمّا خارج، وإمّا باعث مكانه رجلاً، وأوعبَتْ[6] قريشٌ/ فلم يتخلّف من أشرافها أحد إلاّ أبا لهب[7] بن عبدالمطلب، قد تخلّف وبعث مكانه العاصي بن هشام. ولمّا فرغوا من جهازهم وأجمعوا السّير، ذكروا الذي

١٧٦/ظ

---

(١) في الأصل: عندك شيء غير...

(٢) جذع بعيره: قطع أنفه.

(٣) اللطيمة: العير التي تحمل الطيب، وبزّ التجار.

(٤) في الأصل: ألا أرى...

(٥) ابن الحضرمي: عمرو بن عبدالله بن عباد، قتله بسهم واقد بن عبدالله التميمي في سرية عبدالله بن جحش الأسدي في آخر يوم من رجب.

- السيرة النبوية لابن هشام: ٦٠٢/١ ـ ٦٠٣.

(٦) أوعبت قريش: خرجت كلها للغزو.

(٧) أبو لهب: عبدالعزى بن عبدالمطلب بن هاشم، كان غنياً، أحمر الوجه، أحول، لقب بأبي لهب. مات بعد غزوة بدر بأيام.

- الأعلام للزركلي: ١٣٤/٤.

بينهم وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فخافوهم وقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا، فكاد ذلك يثنيهم، فتبدي لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، وكان من أشراف بني كنانة، فقال: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهون، فخرجوا سراعاً. وخرج رسول الله ﷺ لثماني ليال خلون من شهر رمضان في أصحابه. ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار، وكان أبيض، وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان، إحداهما مع علي رضي الله عنه، والأخرى مع بعض الأنصار، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النّجار، وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ، فسلك رسول الله ﷺ طريقه من المدينة إلى مكة، حتّى إذا كان قريباً من الصفراء ـ وهي قرية بين جبلين ـ أحسّ به أبو سفيان، فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها، وترك بدراً بيسار، ثم ارتحل رسول الله ﷺ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذافران، ثم نزل، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار النّاس، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فقال وأحسن، ثم قام عمر رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال لرسول الله ﷺ: امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل [لموسى][1]: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[2]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون ـ فوالذي بعثك بالحق نبياً، لو سرت بنا إلى برك[3] الغماد لجالدنا معك من دونه حتّى تبلغه. فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له به، ثم قال رسول الله ﷺ: «**أشيروا عليّ**»، وإنّما يريد الأنصار، فقال له سعد بن معاذ: والله لكأنّك إيانا تريد يا رسول الله؟ قال: أجل، قال: فقد آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) المائدة: ٢٤.

(٣) برك الغماد: موضع بناحية اليمن، وقيل هو أقصى حجر.

● مراصد الاطلاع: ١٨٧/١.

عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً، وإنّا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء، لعلّ الله يريك فينا ما تقرّ به عينك، فسر على بركة الله. فسُرّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشّطه ذلك، ثم قال: «**سيروا وأبشروا، فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم**».

ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذافران، حتّى نزل قريباً من بدر، فركب هو ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه حتّى وقفا على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم. قال الشيخ: لا أخبركما حتّى تخبراني ممّن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إذا أخبرتنا أخبرناك**» قال: فذاك بذاك؟ قال: «**نعم**» قال الشيخ: فإنه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقني الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ؛ وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به قريش. فلما فرغ من خبره قال: ممّن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نحن [من][1] ماء**» ثم انصرف عنه.

قال: يقول الشيخ: ما من ماء؟ أمِنْ ماء العراق؟

قال ابن هشام: يقال: الشيخ/ سفيان الضّمري. ١٧٧/و

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزّبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه، فأصابوا راوية لقريش، فيهم أسلم، غلام بني[2] الحجاج وأبو سيار غلام [بني][3] العاصي، فأتوا بهما

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) في الأصل: بن.

(٣) في (د): ما بين الحاصرتين ساقط.

فسألوهما [و][(١)] رسول الله ﷺ قائم يُصلّي، فقالا: نحن سقاة قريش، فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما، فلمّا أذلقوهما[(٢)] قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما، وسلّم رسول الله ﷺ من صلاته وقال: **«إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما. صدقا والله، إنّهما لقريش! أخبراني عن قريش»** قالا[(٣)]: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، فقال لهما رسول الله ﷺ: **«كم القوم؟»** قالا: كثير؟ قال: **«ما عدّتهم؟»** قالا: ما ندري؛ قال: **«كم تنحرون كل يوم؟»** قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. قال رسول الله ﷺ: **«القوم ما بين التسع مائة والألف»**، ثم قال لهما: **«فمن فيهم من أشراف قريش؟»** قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري، وحكيم بن حزام[(٤)]، ونوفل بن خويلد[(٥)]، والحارث بن عامر[(٦)] بن نوفل، وطعيمة بن عدي[(٧)]، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل، وأمية بن خلف، ونبيه[(٨)] ومنبّه ابنا

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) أذلقوهما: بالغوا في ضربهما.

(٣) في الأصل: قال.

(٤) أبو خالد حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي، ابن أخي خديجة أم المؤمنين، كان عالماً بالأنساب ـ أسلم بعد الفتح، وعمر طويلاً، له في كتب الحديث أربعون حديثاً، توفي بالمدينة عام أربعة وخمسين، وعمره مائة وعشرون سنة.
● الإصابة: ٣٤٩/١، تر: ١٨٠٠، الأعلام: ٢٩٨/٢.

(٥) نوفل بن خويلد بن أسد القرشي، كان أشد قريش شجاعة وأذى للمسلمين، قرن أبا بكر وطلحة بن عبيدالله حين أسلما في حبل، فكانا يسميان القرنين، قتله عليّ يوم بدر.
● الأعلام: ٣٢/٩.

(٦) الحارث بن عامر بن نوفل، من بني نوفل بن عبد مناف، قتله خبيب بن إساف يوم بدر.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٧٠٩/١.

(٧) طعيمة بن عدي بن نوفل القرشي، من بني نوفل بن عبد مناف، قتله علي يوم بدر.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٧٠٩/١.

(٨) نبيه ومنبّه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة القرشيان، قتلا في غزوة بدر، قتل الأول حمزة وسعد بن أبي وقّاص. وقتل الثاني أبو اليسر أخو بني سلمة.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٧١٢/١ ـ ٧١٣.

الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود[1]. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «**هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها**».

وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجحفة[2] رأى جهيم بن الصلت[3] بن محزمة بن عبدالمطلب بن عبد مناف رؤيا، فقال: إني رأيت فيما يرى النّائم وإنّي لبين النائم واليقظان، إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتّى وقف، ومعه بعير له؛ ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم[4] ـ يعني أبا جهل ـ، وأمية بن خلف، وفلان، وفلان، فعدّد رجالاً ممّن قتل يوم بدر من أشراف قريش. ثم رأيته ضرب في لبّة بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي[5] خباء من أخبيته[6] في العسكر إلاّ أصابه نضح من دمه. قال: فبلغت أبا جهل فقال: وهذا أيضاً نبي آخر من بني المطلب! سيعلم غداً من المقتول إذا التقينا.

قال ابن إسحاق: ولمّا رأى أبو سفيان أنّه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم، ورجالكم وأموالكم، فقد سلمَتْ

---

(١) عمرو بن عبد ودّ العامري من بني لؤي من قريش، الفارس المشهور في الجاهلية، قتله علي في غزوة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة، وعمره يتجاوز الثمانين.
- أ ـ جمهرة أنساب العرب: ١٦٨.
- ب ـ الأعلام: ٢٥١/٥.

(٢) الجحفة: كانت قرية كبيرة على أربع مراحل من مكة، وهي ميقات أهل الشام، ومصر، والمغرب، وسميت الجحفة لأنّ السيل جحفها، وكان اسمها «مهيعة»، وبينها وبين البحر ستة أميال وبينها وبين غدير خم ميلان.
- مراصد الاطلاع: ٣١٥/١.

(٣) جهيم بن الصلت بن محزمة بن عبدالمطلب بن عبد مناف، أسلم عام فتح خيبر، وأعطاه الرسول ﷺ من خيبر ثلاثين وسقاً.
- أ ـ الاستيعاب: ٢٦١/١، تر: ٣٤٦.
- ب ـ جمهرة أنساب العرب: ٧٣.

(٤) في (د): يعني عدو الله أبا جهل.

(٥) في الأصل: بقت.

(٦) في (د): من أخبية العسكر.

لكم فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتّى نرد بدراً ـ وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كلّ عام ـ فنقيم عليه ثلاثاً ننحر الجزر، ونطعم الطعام، وتعزف علينا القيان، فامضوا.

وقال الأخنس بن شريق ـ وكان حليفاً لبني زهرة[1] ـ: يا بني زهرة، قد نجّى الله أموالكم، فارجعوا واجعلوا بي جبنها، لا ما يقول هذا ـ يعني أبا جهل ـ. فأطاعوه ورجعوا فلم يشهدها زهري واحد، ولم يكن من قريش بطن إلاّ وقد نفر منهم ناس، إلاّ بني عديّ، لم يخرج منهم رجل واحد. قال: وبعث الله السمّاء ـ وكان الوادي دهشاً[2] ـ فأصاب النبي ﷺ وأصحابه من الماء ما لبّدهم الأرض ولم يمنعهم من السير، وأصاب كفار قريش منه لم يقدروا على أن يرتحلوا معه.

فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء، حتّى إذا جاء أدنى ماء بدر نزل به، فقال له الحباب[3] بن المنذر بن الجموح: يا رسول الله، أرأيتَ هذا المنزل؟ أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخّر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**» قال: يا رسول الله، فإنّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتّى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزله، ثم تغوّر ما وراءه من القُلُب، ثم/ نبني عليه حوضاً فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون[4]، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد أشرت بالرّأي**». فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتّى أتى أدنى ماء إلى القوم، نزل عليه ثم أمر بالقُلُب فغُوّرت، وبنى حوضاً على

١٧٨/ظ

---

(١) بنو زهرة بن كلاب بن مرّة، بطن من كلاب، من قريش، من العدنانية، منهم سعد بن أبي وقاص وعبدالرحمٰن بن عوف، وآمنة أمّ النبي ﷺ.
● نهاية الأرب: ٢٥٤، تر: ٩٦٦.

(٢) الدهش: كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملاً.

(٣) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب، أبو عمرو الأنصاري السلمي، شهد بدراً وأحداً، وكل المشاهد مع رسول الله ﷺ، توفي في خلافة عمر.
● الاستيعاب: ٣١٦/١، تر: ٤٥٨.

(٤) في النسخ المعتمدة: ولا يشربوا.

القليب الذي نزل عليه فملىء ماء، ثم قذفوا فيه الآنية.

وقال سعد بن معاذ: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعدّ عندك ركائبك، ثم نلقى عدوّنا، فإن أعزّنا الله وأظهَرَنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوام يا رسول الله ما نحن بأشدّ لك حبّاً منهم، ولو ظنوا أن نلقى حرباً ما تخلّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى رسول الله ﷺ عليه خيراً ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه[1].

قلت: روينا في صحيح [مسلم][2] من حديث أنس رضي الله عنه قال: ثم أنشأ عمر رضي الله عنه يحدّثنا عن أهل بدر، فقال: إنّ رسول الله ﷺ يرينا مصارع أهل بدر بالأمس، يقول: «**هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله**». قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق! ما أخطؤوا الحدود التي حدّ رسول الله ﷺ. قال: فجُعلوا في بئر، بعضهم على بعض، فانطلق رسول الله ﷺ حتّى انتهى إليهم فقال: «**يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان! هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني الله حقاً**».

قال عمر: يا رسول الله! كيف تكلّم أجساداً لا أرواح فيها؟ قال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردّوا عليّ شيئاً**»[3].

وفي رواية لأنس في مسلم: فانطلقوا حتّى نزلوا بدراً، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا مصرع فلان**» ويضع يده على الأرض «**هاهنا هاهنا**». قال: فما ماط[4] أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ[5].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٠٦/١ ـ ٦٢١، وبينهما خلاف.
(٢) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٣) صحيح مسلم: ٢٢٠٢/٤ ـ ٢٢٠٣، رقم: ٢٨٧٣ .كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار، وإثبات عذاب القبر، والتعوّذ منه.
(٤) فما ماط أحد: فما تباعد أحد.
(٥) صحيح مسلم: ١٤٠٤/٣، رقم: ١٧٧٩. كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر.

قال أبو سعيد النيسابوري: قال عطية بن سعد[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان لواء المشركين يوم بدر مع أبي جهل، فساروا، حتّى إذا كانوا بطرف الشعب بعث عتبة بن ربيعة غلاماً له نحو مغرب الشمس ظليعة، فسار في الوادي[2]، حتّى إذا كان في وجه الصبح بعث النبي ﷺ الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فقال لهما: «**سيرا، فإنكما**[3] **ستلقيان ظليعة للمشركين غلاماً لعتبة بن ربيعة، فأئتياني به**»، فسارا حتّى إذا كانا بالوادي أصابا العبد في وجه الصبح، فأسراه وأتيا به النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للغلام: «**أخبرني عن قومي**» فقال: كيف تسألني وقد بعثت إليّ عن بينة فأخذتني، فاسأل الذي أخبرك عنّي فليخبرك عن قومك؟ فضحك رسول الله ﷺ وقال: «**أما إنّه يصدقني عن قومي إذا أخبرني**». ثم قال له العبد: سل عمّا شئت، قال: «**من أرسلك؟**» قال: عتبة بن ربيعة. ثم ذكر له عدداً من أشراف الكفّار.

قال ابن إسحاق: ثم إنّ قريشاً ارتحلت حين أصبحت، فأقبلت، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوّب من الكثيب إلى الوادي قال:

«**اللّهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادّك وتكذّب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أَحِنْهُمُ**[4] **الغداة**» **فأجاب الله دعوته.**

قال: فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتّى وردوا حوض النبي ﷺ، فيهم حكيم بن حزام، فقال رسول الله ﷺ: «**دعوهم**»، فما شرب منه يومئذ أحد إلاّ قتل إلاّ ما كان من حكيم بن حزام، فإنّه لم يُقتل،

---

(١) عطية بن سعيد، وفي النسخ المعتمدة ـ سعد ـ أبو محمد الأندلسي المغربي القفصي، رحل إلى الشام، والعراق، وخراسان، طلباً للحديث. حدّث بصحيح البخاري بمكة، وبها توفي عام ثمان وأربعمائة [٤٠٨].
● تذكرة الحفاظ: ١٠٨٨/٣ ـ ١٠٨٩، تر: ٩٨٩.

(٢) في الأصل: في الواد.

(٣) في الأصل: فكأنّما.

(٤) أحنهم: أهلكهم.

ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه، فكان إذا اجتهد في يمينه قال: والذي نجّاني من يوم بدر.

فلّما اطمأنّت قريش بعثوا عمير بن وهب/ الجمحيّ فقالوا: احزر لنا أصحاب محمد. قال: فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم، فقال: هم ثلاث مائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، ولكن أمهلوا حتّى انظر للقوم كمين أو مدد. قال: فضرب في الوادي حتّى بَعُدَ فلم ير شيئاً فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئاً، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا[1] تحمل المنايا، نواضح[2] يثرب تحمل الموت الناقع[3]، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلاّ سيوفهم، والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يُقتل رجل منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فروا رأيَكم. فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس، فأتى عتبة بن ربيعة يسأله الرجوع بالنّاس وتَرْكَ القتال، فوافقه على ذلك، فغضب أبو جهل وأبى، وحرّش على القتال، وأفسد على الناس الرأي. فحميت الحرب، وتزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض.

١٧٩/و

وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتّى يأمرهم، وقال: «**إنِ اكتنفتم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل**»[4].

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة، صبيحة سبع عشرة من رمضان.

قلت: وفي صحيح البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال حدّثني أصحاب محمّد ﷺ ممّن شهد بدراً: أنهم كانوا عدّة[5] أصحاب

---

(١) البلايا: جمع بلية، وهي الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تُسقى حتّى تموت.

(٢) النواضح: الإبل التي يستسقى عليها الماء.

(٣) الناقع: الثابت البالغ في الإفناء.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٢١/١ ـ ٦٢٦، وبينهما خلاف.

(٥) في الأصل: كانوا عدوة.

طالوت[1] الذين أجازوا معه النهر، بضعة عشر وثلاثمائة[2].

قال أبو سعيد النيسابوري: قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق: خرجت قريش وهم تسعمائة وخمسون مقاتلاً، ومعهم مائتا فرس يقودونها.

قلت: وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لمّا كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وسبعة[3] عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مدّ يده[4] فجعل يهتف بربّه: «**اللهم أنجز[5] لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذا العصابة من أهل الإسلام لا تُعْبَدُ في الأرض**» فما زال يهتف بربه، ماداً يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتى[6] أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك! فإنّه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾[7] فأمدّه الله عزَّ وجلَّ بالملائكة[8]... الحديث.

---

(1) طالوت: أورد القرآن الكريم قصته في سورة البقرة في الآيات: ٢٤٦ إلى ٢٥١، وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل في زمانه وأعلمهم، فأمر الله نبّيه صمويل أن يأمر طالوت بالمسير إلى جالوت ليقاتله، فخرج ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر الصابرون المخلصون الذين امتثلوا لأمره من بين بقية الجيش، حين قال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ﴾.

● قصص القرآن: ١٤٩ ـ ١٦١، للشيخ محمد أحمد جاد المولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

(2) صحيح البخاري: ٥/٩٤، باب عدة أصحاب بدر.

(3) في صحيح مسلم: وتسعة عشر رجلاً.

(4) في صحيح مسلم: مدّ يديه.

(5) في صحيح مسلم: اللهم آت ما وعدتني، اللهم..

(6) في صحيح مسلم: فأتاه أبو بكر.

(7) الأنفال: ٩.

(8) صحيح مسلم: ٣/١٣٨٣ ـ ١٣٨٤، رقم: ١٧٦٣، كتاب الجهاد والسّير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

وسيأتي بقيته عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال ابن إسحاق: ثم عدّل رسول الله ﷺ صفوف أصحابه، ورجع إلى العريش يسأل ربّه إنجاز وعده، فخفق ﷺ خفقة ثم انتبه، فقال: «**يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع**» يريد الغبار[1].

قلت: قال صاحب سلاح المؤمن: وعن عليّ رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ أنظر ما صنع، فجئت فإذا هو ساجد يقول: «**يا حيّ يا قيوم**»، ثم رجعت إلى القتال، ثم جئت فإذا هو ساجد لا يزيد على ذلك، ثم ذهبت إلى القتال، ثم جئت فإذا هو ساجد يقول ذلك، ففتح الله عليه. رواه النّسائي والحاكم في المستدرك على الصحيحين، واللفظ للنّسائي[2].

قال ابن إسحاق: ثم إنّ رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال: «**شاهت الوجوه**» ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه فقال: «**شدّوا**»، فكانت الهزيمة، فقُتل من قُتل من صناديد قريش وأسر من أسر من أشرافهم[3].

قلت: وذكر أبو سعيد النيسابوري: أنّ جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: خذ/ قبضة من التّراب، فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم، فما من المشركين أحد إلاّ أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فنزلوا مدبرين. ١٨٠/ظ

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي بكر: أنّه حدّث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني رجل من بني غفار[4] قال: أقبلت أنا

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٢٦/١ ـ ٦٢٧، وبينهما خلاف.
(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣٤٤/١، تر: ٨٠٩، كتاب الصلاة.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٢٨/١.
(٤) بنو غفار: بطن من جاسم من العماليق، وهم بنو غفار بن جاسم بن عمليق، كانت منازلهم بنجد.
● نهاية الأرب: ٣٤٨، رقم: ١٤٢٤.

وابن عمّ لي حتّى صعدنا في جبل يُشرفنا على بدر، ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدّبرة، فننتهب مع من ينتهب. قال: فبينا نحن في الجبل إذ دنت سحابة، فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: «أقدِمْ حيزوم»، فأمّا ابن عمّي فانكشف قناع قلبه، فمات مكانه. وأمّا أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت.

وحدّث أبو أسيد[1] مالك بن ربيعة رضي الله عنه ـ وكان شهد بدراً ـ قال بعد أن ذهب بصره: لو كنت اليوم ببدر، لأريتكم الشّعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشكّ ولا أتمارى.

وقال أبو داود[2] المازني رضي الله عنه ـ وكان شهد بدراً ـ قال: إنّي لأتّبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنّه قد قتله غيري[3].

وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينا[4] رجل من المسلمين يومئذ يشتدّ في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة[5] السوط فوقه، وصوتَ الفارس يقول: «أقدم حيزوم»، فنظر إلى المشرك أمامه فنخر مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السّوط، فاخضرّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدّث بذلك رسول الله ﷺ،

---

(١) أبو أسيد: مالك بن ربيعة بن البدن بن عامر الأنصاري الساعدي، شهد بدراً وأحداً وبقية المشاهد مع رسول الله ﷺ، توفي بالمدينة سنة ستين، وهو آخر من مات من البدريين.

● الاستيعاب: ١٣٥١/٣ ـ ١٣٥٢، تر: ٢٢٦٦.

(٢) أبو داود المازني: اختلف في اسمه قيل، عمرو وقيل: عمير بن عامر بن مالك بن خنساء بن النجار. شهد بدراً وأحداً.

● أ ـ الاستيعاب: ١٦٤٣/٤ ـ ١٦٤٤، تر: ٢٩٣٧.

● ب ـ الإصابة: ٥٨/٤، تر: ٣٧٢.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٣٣/١ ـ وبينهما خلاف.

(٤) في صحيح مسلم: بينما رجل من.

(٥) في صحيح مسلم: إذ سمع ضربة بالسوط.

فقال: «**صدقتَ. ذلك من مدد السّماء الثالثة**». فقتلوا يومئذ سبعين[1] وأسروا سبعين. . . الحديث[2].

قال السّهيلي: وقوله: «أقدم حيزوم» هو بضمّ الدّال، أي أقدم الخيل، وحيزوم: اسم فرس جبريل عليه السلام، وهو فيْعول من الحزم. والحيزوم أيضاً أعلى الصدر، فيجوز أيضاً أن يكون سُمي به لأنه صَدْرٌ لخيل الملائكة ومتقدم عليها[3].

قلت: وكذا ذكره غيره أنّ حيزوم اسم فرس جبريل عليه السلام.

وذكر أبو سعيد النّيسابوري في كتابه «شرف المصطفى» ﷺ، عن خارجة[4] بن إبراهيم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام: «**مَنِ القائلُ من الملائكة: أقدم حيزوم؟**» فقال جبريل: ما كلّ أهل السّماء أعرفه.

قال أبو سعيد النيسابوري: وقال سهل بن عمرو: لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بلق، بين السماء والأرض، معلّمين، يقتلون ويأسرون.

وروى رافع بن خديج[5] عن أبي بردة بن نيار[6] رضي الله عنه قال:

---

(١) في الأصل: سبعون.

(٢) صحيح مسلم: ١٣٨٤/٣ ـ ١٣٨٥، رقم: ١٧٦٣، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم.

(٣) الروض الأنف: ١٣٨/٥ ـ ١٣٩.

(٤) خارجة بن إبراهيم بن محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس.
- كتاب المغازي للواقدي: ٧٧/١.

(٥) أبو عبدالله رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد الأنصاري النجاري، ردّه رسول الله ﷺ يوم بدر لأنه استصغره وأجازه يوم أحد، فشهدها والخندق وأكثر المشاهد، مات سنة أربع وسبعين [٧٤] وهو ابن ست وثمانين سنة.
- الاستيعاب: ق٤٧٩/٢ ـ ٤٨٠، تر: ٧٢٧.

(٦) أبو بردة بن نيار واسمه هاني بن نيار، شهد العقبة الثانية مع السبعين. وشهد بدراً=

جئت يوم بدر بثلاثة أرؤس، فوضعتهنّ بين يدي النّبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، أمّا رأسان فأنا قتلتهما، وأمّا الثالث فإني رأيت رجلاً أبيض طويلاً ضربه، فأخذت أنا رأسه. فقال ﷺ: «**ذلك فلان من الملائكة**».

وكان السّائب بن أبي حبيش[١] يحدّث في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: والله ما أسرني أحد من الناس. فيُقال[٢]: فمن؟ فيقول: لما انهزمَتْ قريش انهزمْتُ معها، فأدركني رجل طويل على فرس أبيض، بين السّماء والأرض، فأوثقني رباطاً، وجاء عبدالرحمٰن بن عوف فوجدني مربوطاً، فكان عبدالرحمٰن ينادي: من أسر هذا؟ فليس يزعم أحد أنّه آسرني، حتّى انتهى إلى رسول الله ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا ابن حبيش، من أسرك؟**» فقلت: لا أعرفه، وكرهت أن أخبره بالذي رأيت، فقال رسول الله ﷺ: «**آسره ملك من الملائكة، اذهب يا ابن عوف بأسيرك**»، فذهب بي عبدالرحمٰن بن عوف، وتأخر إسلامي حتّى كان/ ما كان.

١٨١/و

وقال حكيم بن حزام: لقد لقينا يوم بدر، وقد وقع بوادي خاضر بخار من السماء قد سدّ الأفق، فإذا الوادي يسيل نملاً، فوقع في نفسي أنّ هذا شيء من السماء أيّد به محمد ﷺ، فما كانت إلاّ الهزيمة.

وروي عن أبي واقد الليثي[٣] أنه قال: إني لأتبع يوم بدر رجلاً من

= وأحداً وسائر المشاهد، وكانت معه راية بني حارثة في غزوة الفتح، توفي في أول خلافة معاوية بعد شهوده مع علي حروبه كلها.

● الاستيعاب: ق٤، ص١٦٠٨ ـ ١٦٠٩، تر: ٢٨٦٩.

(١) السائب بن أبي حبيش بن أسد بن عبد العزّى بن قصي القرشي الأسدي، وهو الذي قال فيه عمر بن الخطاب: ذلك رجل لا أعلم فيه عيباً. وما أحد بعد رسول الله ﷺ إلاّ وأنا أقدر أن أعيبه.

● الاستيعاب: ق٢، ص٥٧٠، تر: ٨٨٦

(٢) في الأصل: فقال: فمن.

(٣) أبو واقد الليثي: من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن مدركة بن إلياس بن مضر. شهد بدراً مع النبي ﷺ وكان قديم الإسلام، وكان معه لواء بني ليث وضمرة

المشركين لأضربه، فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنّ غيري قد قتله.

ورُوي أنّ رجلاً قصيراً جاء بالعبّاس بن عبدالمطلب أسيراً، فقال العبّاس: يا رسول الله، إنّ هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح[1] من أحسن الناس وجهاً على فرس أنثى ما أراه، فقال الأنصاري: بل أنا أسرته يا رسول الله، فقال له رسول الله ﷺ: «**اسكت، فقد أيدك الله بملك كريم**». وكان الأنصاري يُعرف بأبي اليسر كعب بن عمرو.

ورُوي عن العباس بن عبدالمطلب أنّه قيل له: كيف آسرك أبو اليسر وهو رجل قصير؟ وكان العباس رجلاً[2] طويل القامة من أشبه الناس بعبدالمطلب، فقال العبّاس: لقد عظُم في عيني حتّى صار أكبر من الخندمة[3].

وروى أبو أمامة[4] بن سهل بن حنيف قال: قال لي أبي: لقد رأيتنا في يوم بدر وإنّ أحدنا ليشير بكفّه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده، قبل أن يصل إليه السيف.

= وسعد بن بكر يوم الفتح. جاور بمكة سنة، وتوفي بها ودفن في مقبرة المهاجرين سنة ثمان وستين [٦٨] وهو ابن خمس وسبعين سنة.

● الاستيعاب، ق٤، ١٧٧٤، تر: ٣٢١٤.

(١) رجل أجلح: قويّ شديد. والمجالح: الأسد.

● المعجم الوسيط: مادة: جلح.

(٢) في الأصل: رجل.

(٣) الخندمة: اسم جبل بمكة.

● معجم ما استعجم للبكري، م٥١٢/١.

(٤) أبو أمامة: سهل بن حنيف بن واهب، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ثم صحب علياً حين بويع له، واستخلفه عليّ حين خرج من المدينة إلى البصرة، ثم شهد معه صفين، وولاه على فارس... توفي سهل بالكوفة سنة ثمان وثلاثين، وصلّى عليه عليّ.

● الاستيعاب: ٦٦٢/٢ ـ ٦٦٣، تر: ١٠٨٤.

وقال ابن أبي داوة[1]: حدّثني رجل من بني سعد[2] بن بكر قال: أبصرت يوم بدر رجلاً بين يدي منهزماً، فقلت: أَلْحَقُه أستأسره، فتدلّى من جرف، فلحقته فإذا رأسه قد زايله ساقطاً، فما رأيت قربه أحداً.

وقال أبو بكر بن سليمان[3] بن خيثمة: سمعت مروان[4] بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر، فجعل الشيخ يكره ذلك حتّى ألحّ عليه.

فقال حكيم: التقينا فاقتتلنا، فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل الحصاة في الطّست، وقبض النبي ﷺ القبضة فرمى بها فانهزمنا.

وقال عبدالله[5] بن ثعلبة: سمعت نوفل بن معاوية[6] الدّيلي يقول:

---

(١) ابن أبي داوة: لم أعثر على ترجمة له.

(٢) بنو سعد بطن من بكر بن وائل من العدنانية، وهم بنو سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر.
- نهاية الأرب: ٢٦٣، تر: ١٠١٣.

(٣) أبو بكر بن سليمان: ابن أبي خيثمة، أحد الفقهاء العشرة المشهورين بالمدينة والذين دعاهم إليه عمر بن عبدالعزيز حين وُلّي على المدينة، وقال لهم: إنّما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعواناً على الحقّ، لا أريد أن أقطع أمراً إلاّ برأيكم، أو برأي من حضر منكم فخرجوا من عنده يجزونه خيراً.
- الكامل في التاريخ: ٥٢٦/٤ سنة ٨٧.

(٤) أبو عبدالملك مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية... القرشي الأموي. ولد على عهد رسول الله ﷺ سنة اثنتين من الهجرة، وقال مالك ولد مروان يوم أحد. تولى الخلافة بعد موت معاوية بن يزيد ومات في رمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستّين.
- الاستيعاب: ١٣٨٧/٣ ـ ١٣٩٠، تر: ٢٣٧٠.

(٥) عبدالله بن ثعلبة الأنصاري: ابن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمّارة البلوي، حليف لبني عوف بن الخزرج من الأنصار. شهد بدراً هو وأخوه بحّاث.
- الاستيعاب: ٨٧٦/٣، تر: ١٤٧٧، الإصابة: ٢٨٥/٢، تر: ٤٥٧٥.

(٦) نوفل بن معاوية: ابن عمرو الديلي، عمّر طويلاً، عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام كذلك، أول مشاهده مع النبي ﷺ فتح مكة. وكان أسلم قبل حجّ مع أبي

انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع كوقع الحصا في الطاس، في أفئدتنا ومن خلفنا، فكان ذلك من أشدّ الرعب علينا. قال: وقد كان قباث بن أشيم[1] الكناني يقول: حضرت مع المشركين بدراً، وإنّي لأنظر إلى قلّة أصحاب محمد ﷺ في عيني وكثرة من معنا من الخيل والرجال، فانهزمت فيمن انهزم، فلقد رأيتُني وإنّي لأنظر إلى المشركين في كل وجه وإنّي لأقول في نفسي: ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلاّ النّساء. ثم مضيت حتّى دخلت مكة، فلما كان بعد الخندق قلت: لو قدمت المدينة فنظرت ما يقول محمد، وقد وقع في قلبي الإسلام، فقدمت المدينة فسألت عن رسول الله ﷺ فقالوا: هو ذاك في ظل المسجد مع ملإٍ من أصحابه، فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم، فسلّمت فقال: «**يا قبّاث بن أشيم، أنت القائل يوم بدر: ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلاّ النساء؟**» فقلت: أشهد أنّك رسول الله، وأنّ هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد، وما ترمرمت به، إلاّ شيئاً حدّثت به نفسي، فلولا أنّك نبي ما أطلعك الله عليه، هلمَّ أبايعْك. فعرض عليّ الإسلام فأسلمت.

وحدّث حكيم بن حزام قال: كان عقبة بن أبي معيط بمكة والنبي ﷺ مهاجراً بالمدينة يقول [البسيط]:

يا راكب الناقة القصوى تهاجرنا ... عمّ قليل تراني[2] راكب الفرس

= بكر سنة تسع ومع النبي ﷺ سنة عشر، سكن المدينة وبها توفي في زمن يزيد بن معاوية.

● الاستيعاب: ق٤، ص١٥١٣، تر: ٢٦٤٤.

(١) قباث بن أشيم: ابن عامر بن الملوّح الكناني، ويقال الليثي، والتميمي، سكن دمشق، قال له عبدالملك بن مروان: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ قال: بل رسول الله ﷺ أكبر منّي وأنا أسنّ منه، ولد رسول الله ﷺ عام الفيل. ووقفت بي أمي على روث الفيل وأنا أعقله.

روى عنه عامر بن زياد الليثي، وأبو الحويرث، فرواية عامر عنه مرفوعة في فضل صلاة الجماعة.

● الاستيعاب: ١٣٠٣/٣ ـ ١٣٠٤، تر: ٢١٦٥.

(٢) بالأصل: أتراني.

أعلّ[1] رمحي فيكم ثم أنهله والسيف يأخذ فيكم كلّ ملتبس

فقال النبي ﷺ ـ وقد بلغه قولَه ـ: «**اللهم كُبَّه لمنخريه واصرعْه**».
قال: فجمح به فرسه يوم بدر، فأخذه عبدالله[2] بن مسلمة العجلاني، فأمر به رسول الله ﷺ عاصم[3] بن ثابت/ فضرب عنقه صبراً. ١٨٢/ظ

قال ابن إسحاق: وقاتل عكّاشة بن محصن رضي الله عنه يوم بدر بسيفه حتّى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جزلاً[4] من حطب[5]، فعاد سيفاً في يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدة، فقاتل به حتّى فتح الله تبارك[6] وتعالى على المسلمين. وكان ذلك السيف يسمّى العون، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتّى استشهد في قتال أهل الرّدّة[7].

---

(١) في (ر): أعدّ بدل أعلّ.
(٢) عبدالله بن سلمة: في النسخ المعتمدة: عبدالله بن مسلمة ـ وفي المصادر الأخرى ـ عبدالله بن سلمة بن مالك بن الحارث بن عدي بن الجد بن العجلان البلوي الأنصاري. شهد بدراً، وقتل يوم أحد شهيداً قتله عبدالله بن الزبعري.
- أ ـ الاستيعاب: ٩٢٣/٣ ـ ٩٢٤، تر: ١٥٦٣.
- ب ـ الإصابة: ٣٢١/٢، تر: ٤٧٢٧.

(٣) عاصم بن ثابت: أبو سلمان عاصم بن ثابت بن أبي أفلح بن أوس الأنصاري. شهد بدراً، وهو الذي حمته الدبر ـ وهي ذكور النحل ـ من المشركين أن يجيزوا رأسه يوم الرجيع، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت [من الطويل]:
لعمري لقد شانت هذيل بن مدرك أحاديث كانت في خبيب وعاصم
أحاديث لحيان صلّوا بقبحها ولحيان ركّابون شرّ الجرائم
- أ ـ الاستيعاب: ٧٧٩/٢ ـ ٧٨١، تر: ١٣٠٣.
- ب ـ أسد الغابة: ٨/٣، تر: ٢٦٦٣.

(٤) في ابن هشام: جذلاً. والجذل: أصل الشجرة.
(٥) في ابن هشام: فقال: قاتل بها يا عكاشة، فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزّه، فعاد سيفاً.
(٦) في ابن هشام: حتّى فتح الله تعالى على المسلمين.
(٧) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٣٧/١.

قال السّهيلي: أما سيف عكاشة الذي كان جزلاً من حطب، فقد قيل: إنّه لم يزل متوارثاً عند آل عكاشة[1].

وقد روي مثل قصة[2] عكاشة في السيف عن عبدالله بن جحش. وسيأتي ذكرها في غزوة أحد[3] إن شاء الله تعالى [انتهى][4].

فصل

في مقتل أبي جهل فرعون هذه الأمة

روينا في صحيح مسلم، عن عبدالرحمٰن بن عوف، رضي الله عنه أنّه قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثة أسنانهما، فتمنّيت[5] أن لو كنت بين أضلع منها، فغمزني أحدهما فقال: يا عمّ! هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخْبِرْتُ أنّه يسبّ رسول الله ﷺ. والذي نفسي بيده! لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتّى يموت الأعجل [منّا][6]! قال: فتعجبّت لذلك. قال[7]: فغمزني الآخر فقال مثلها. قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول[8] في الناس. وفي رواية: يرفل في الناس. وعند البخاري: يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه. قال: فابتدراه فضرباه بسيفيهما[9] حتّى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «**أيكما قتله؟**»

---

(١) يقال عكاشة: بالتشديد والتخفيف، وهو من عكش على القوم إذا حمل عليهم العكّاشة والعكاش: العنكبوت.

(٢) في الروض الأنف: مثل قول عكاشة.

(٣) الروض الأنف: ١٧٢/٥.

(٤) في الأصل، و(ر) ما بين الحاصرتين ناقص.

(٥) في صحيح مسلم: تمنيت.

(٦) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٧) في صحيح مسلم كلمة: «قال» ساقطة.

(٨) يزول: يتحرك وينزعج ولا يستقر على حالة ومكان، والزّوال: القلق.

(٩) في النسخ المعتمدة: بسيفهما.

فقال كلّ واحد منهما: أنا قتلته[1]، قال: **«هل مسحتما سيفيكما؟»**[2] قالا: لا، فنظر في السيفين فقال: **«كلاكما قتله»**. وقضى بسلبه لمعاذ[3] بن عمرو بن الجموح. والرجلان: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء[4].

وفي رواية البخاري، عن عبدالرحمٰن بن عوف رضي الله عنه، قال: إنّي لفي الصفّ يوم بدر، إذ التفتُّ، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السّنّ، فكأني لم آمن[5] مكانهما، إذ قال لي أحدهما سرّاً من صاحبه: يا عمّ أرني أبا جهل؟ فقلت: يا ابن أخي، وما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه، فقال لي الآخر سرّاً من صاحبه مثله. قال: فما سرّني أنّي بين رجلين[6] بمكانهما[7]، فأشرت إليهما، فشدا عليه مثل الصقرين حتّى ضرباه. وهما: ابنا عفراء[8].

وروينا في صحيح البخاري، ومسلم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من ينظر لنا ما صنع أبو جهل؟»** فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتّى برد. قال: فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؟ فقال: وهل فوق رجل قتلتموه أو قال: قتله قومه؟[9].

---

(١) في صحيح مسلم: أنا قتلت.
(٢) في النسخ المعتمدة: بسيفكما.
(٣) معاذ بن عمرو بن الجموح بن يزيد السّلمي الخزرجي الأنصاري، شهد العقبة، وبدراً، مع أبيه عمرو الذي قتل بأحد شهيداً، أما معاذ فتوفي في خلافة عثمان.
● الاستيعاب: ١٤١٠/٣ ـ ١٤١١، تر: ٢٤٢٢.
(٤) صحيح مسلم: ١٣٧٢/٣، رقم: ١٧٥٢، كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل.
(٥) في صحيح البخاري: لم آمن بمكانهما.
(٦) في (د): ما بين الرجلين.
(٧) في صحيح البخاري: مكانهما.
(٨) صحيح البخاري: ١٠٠/٥، باب فضل من شهد بدراً.
(٩) ● أ ـ صحيح البخاري: ٩٥/٥، باب قتل أبي جهل.
● ب ـ صحيح مسلم: ١٤٢٤/٣، رقم: ١٨٠٠ .كتاب الجهاد والسير، باب قتل أبي جهل.

وذكر ابن عقبة، وأبو سعيد النيسابوري، أنّ رسول الله ﷺ أقبل حتّى وقف على القتلى فالتمس فيهم أبا جهل فلم يجده، حتّى عرف ذلك في وجه رسول الله ﷺ فقال: «**اللّهم لا يعجزن فرعون هذه الأمة**»، فسعى له الرّجال حتّى وجده عبدالله بن مسعود مصروعاً بينه وبين المعركة غير كبير.

قال أبو سعيد النيسابوري: وقال عنبسة[1] بن الأزهر عن أبي إسحاق: لما جاء رسولَ الله ﷺ البشيرُ يوم بدر بقتل أبي جهل، استحلفه بالله الذي لا إلـٰه إلاّ هو: «لقد رأيته قتيلاً؟» فحلف له، فخرّ رسول الله ﷺ ساجداً.

وفي رواية ابن إسحاق قال: فمرّ عبدالله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يُلتمس في القتلى. قال عبدالله بن مسعود فوجدته بآخر رمق/ فوضعت رجلي على عنقه ـ وقد كان آذاني بمكة ولكزني ـ فقلت له: هل أخزاك الله يا عدو الله؟. ١٨٣/و

وفي رواية: قال: فقال لي أبو جهل: لقد ارتقيت يا رويع[2] الغنم مرتقاً صعباً. قال: ثم احتززت رأسه، ثم جئت به رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، هـذا رأس عـدوّ الله أبي جـهـل؛ فـقـال رسـول الله ﷺ: «**آلله[3] الذي لا إلـٰه غيره؟**». قال: وكانت يمين رسول الله ﷺ. قال: قلت: نعم والله الذي لا إلـٰه إلا غيره. قال: ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ، فحمد الله[4].

قال السّهيلي: وقوله ﷺ: «**آللَّهِ الذي لا إلـٰه غيره**» بالخفض عند سيبويه[5] وغيره، لأنّ الاستفهام عوض من الخافض عنده. وإذا كنت مخبِراً

---

(١) عنبسة بن الأزهر الشيباني الكوفي، قاضي جورجان، قال أبو محمد عبدالرحمٰن الرازي: سألت أبي عنه فقال: لا بأس به، يُكتب حديثه ولا يحتجّ به.
● الجرح والتعديل: ٤٠١/٦، رقم: ٢٢٤١.

(٢) في (د) والسيرة النبوية لابن هشام: يا رويعي الغنم.

(٣) في (د): والله الذي لا إله غيره.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٣٥/١ ـ ٦٣٦، بينهما خلاف.

(٥) سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري، إمام النحو، طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية فبرع فيها وساد أهل عصره، قال إبراهيم بن=

قلت: اللَّهَ، بالنّصب[1] عند المبرد[2]. وأجاز سيبويه الخفض أيضاً، لأنّه قسم.

قال السّهيلي: ولا يجوز إضمار حروف الجرّ إلاّ [في][3] مثل هذا الموضع، أو ما كثر استعماله جدّاً، كما روي أنّ رؤبة[4] كان يقول إذا قيل له: كيف أصبحت؟: «خير[5] عافاك الله»[6].

فصل

في بقية الكلام في شأن بدر وموت أبي لهب

قال أبو الربيع الكلاعي والسّهيلي: ذكر قاسم بن ثابت في دلائله: أنّ قريشاً لما[7] توجّهت إلى بدر، مرّ هاتف من الجنّ على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون، وهو يُنشد بأنفذ صوت ولا يُرى شخصه [الطويل]:

= الحربي: سمي سيبويه لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين، بديع الحسن. توفي سنة ثمانين ومائة [١٨٠].

● سير أعلام النبلاء: ٨/٣٥١ ـ ٣٥٢، تر: ٩٧.

(١) في الروض الأنف: لا يجيز المبرد غيره.

(٢) المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري، نزيل بغداد، الإمام في النحو واللغة. ولد يوم الإثنين في عيد الأضحى سنة عشر ومائتي [٢١٠] وتوفي يوم الإثنين الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائتين [٢٨٦].

● وفيات الأعيان: ٤/٣١٣ ـ ٣٢٢، تر: ٦٣٦.

(٣) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) أبو محمد رؤبة بن العجاج، والعجاج لقب، واسمه أبو الشعثاء عبدالله بن رؤبة البصري التميمي السعدي، وكان هو وأبوه راجزين مشهورين، لكل منهما ديوان رجز. توفي رؤبة سنة خمس وأربعين ومائة [١٤٥] وقال الخليل بن أحمد بعد دفن رؤبة: اليوم دفنا الشعر واللغة والفصاحة.

● وفيات الأعيان: ٢/٣٠٣ ـ ٣٠٥، تر: ٢٣٨.

(٥) في (ر): خيراً.

(٦) الروض الأنف: ٥/١٤٤.

(٧) في الروض الأنف: حين.

أزار الحنيفيون بدراً وقيعة سينفض منها ركن كسرى وقيصرا
أبادت رجالاً من لؤي وأبرزت خرائد يضربن التّرائب حسّرا
فيا ويح من أمسى عدوّ محمد لقد جار[1] عن قصد الهوى وتحيّرا

فقال قائلهم، من الحنيفيون؟ فقالوا: هو[2] محمد وأصحابه، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف. ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين[3] بمصائب قريش.

قلت: وقد نقل أبو سعيد النيسابوري هذه الأبيات وهذا الكلام بأتمّ من هذا.

قال أبو سعيد: ولما توجّه المشركون إلى بدر، كان فتيان ممّن تخلّف عنهم سُمَّاراً بذي طوى، ولا ينامون حتّى يذهب صدر الليل، يتناشدون الأشعار ويتحدثون فيما بينهم، كذلك ليلةً إذ سمعوا صوتاً قريباً منهم ولا يرون القائل، رافعاً صوته يتغنّى [الطويل]:

أزار الحنيفيون بدراً مصيبة سينقضّ منها ركن كسرى وقيصرا
أرنّت لهم صمّ الجبال وأفزعت قبائل ما بين[4] الوتير وخيبرا
أساخت[5] جبال الأخشبين[6] وجرّدت حرائر[7] يضربن التّرائب حسّرا

---

(١) في (د): جاز.
(٢) في الروض الأنف: هم.
(٣) الروض الأنف: ٥/٢٢٤ ـ ٢٢٥.
(٤) الوتير: اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة، وقال الأصمعي: الوتيرة الأرض، ولم يحدّها.
● معجم البلدان، ج٥، ص٣٦٠.
(٥) في (د): أساخ.
(٦) الأخشبان: جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى، وهما واحد، أحدهما أبو قبيس والآخر قيقعان، ويقال بل هما أبو قبيس، ويسميان الجبجبان أيضاً. وقيل: هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى.
● مراصد الاطلاع: ١/٤٢.
(٧) في (د): فرائد.

ألا ويح من أمسى عدوّ محمد لقد ذاق ذلاً في الحياة وخُسّرا

فسمعوا الصوت ولا يرون أحداً، فخرجوا فزعين حتّى أتوا الحجر، فوجدوا مشيخة جلّة سمّاراً[1] فأخبروهم الخبر، فقالوا لهم: إن كان ما تقولون حقاً فإنّ محمداً وأصحابه يسمّون الحنيفية، فما بقي أحد من الفتيان الذين كانوا بذي طوى إلاّ وعك، فما مكثوا إلاّ ليلتين أو ثلاثاً حتّى قدم الحيسمان[2] الخزاعي بخبر أهل بدر.

قلت: قال ابن إسحاق: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبدالله الخزاعي، فقالوا له: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبيه، ومنبّه، وأبو البختري، فلما جعل يُعدّد أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد عند الحجر: والله إن يعقل هذا فسلوه عنّي؟ قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: ها هو ذاك جالس[3] في الحجر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

قال ابن إسحاق: وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعبّاس بن/ عبدالمطلب، وكان الإسلام[4] قد دَخَلَنا أهلَ البيت، فأسلم العبّاس وأسلمت أمّ الفضل، وكان العبّاس يكتم إسلامه، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر كبته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوّة وعزّاً، وكنت أنحت الأقداح في حجرة

١٨٤/ظ

(١) سقط حرف (الراء) من سمار في الأصل.

(٢) الحيسمان بن إياس بن عبدالله بن إياس الخزاعي، كان شريفاً في قومه، ثم أسلم فحسن إسلامه. هو أول من قدم مكّة بمقتل من قتل من قريش ببدر.
- وذكر في الجمهرة أنه الحيسمان بن عبد عمرو بن ضبيعة بن عمرو بن زمّان بن عدي بن عمرو بن عامر بن لحيّ.
- أ ـ الإصابة، ج١، ص٣٦٦، تر: ١٨٩٧.
- ب ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٢٣٩.

(٣) في الأصل، و(د): جالساً.

(٤) في (د): وكل الإسلام.

زمزم، فوالله إنّي لجالس فيها أنحت أقداحي وعندي أمّ الفضل جالسة، وقد سَرَّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجرّ رجليه بشر، حتّى جلس على طنب[1] الحجر، فكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان[2] بن الحارث بن عبدالمطلب قد قدم، فقال أبو لهب: هلمّ إليّ، فعندك لعمري الخبر. قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي، كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلاّ أن لقينا لقوم، فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا، وايّم الله، مع ذلك ما لمت الناس، لقد لَقِيَنا رجال بيض على خيل بلق، بين السماء والأرض، والله ما تليق[3] شيئاً ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة. قال: وثاورته[4] فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك عليّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً.

قال: فقامت أمّ الفضل إلى عمودٍ من عمد الحجرة، فأخذته فضربته به ضربة شديدة فلعت[5] في رأسه شجّة منكرة، وقالت: أستضعفتَه أن غاب

---

(١) طنب الحجرة: طرفها.

(٢) أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي ابن عمر الرسول ﷺ، كان شاعراً، وإياه قصد حسّان بقوله [من الوافر]:

ألا أبلغ أبا سفيان عني ... مغلغلة قد برح الخفاء

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

● ثم أسلم وحسن إسلامه، ويقال إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ حياء منه. توفي بالمدينة سنة عشرين.

● الاستيعاب: ١٦٧٣/٤ ـ ١٦٧٧، تر: ٣٠٠١.

(٣) ما تليق: ما تبقى.

(٤) وثاورته: وثبت إليه.

(٥) فلعت: شقّت.

عنه سيده، فقام مولياً ذليلاً. فوالله ما عاش إلاّ سبع ليال حتّى رماه الله بالعدسة[1] فقتلته[2].

قال أبو الربيع: ذكر محمد بن جرير الطبري في تاريخه[3]: أنّ العدسة: قرحة كانت العرب تتشاءم منها، ويرون أنها تعدي أشدّ العدوى، فلما أصابت أبا لهب تباعد عنه بنوه، وبقي بعد موته ثلاثاً لا تُقْرَبُ جنازته ولا يُحاول دفنه، فلما خافوا السّبّة في تركه حفروا له، ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتّى واروه.

وقال ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه: إنّهم لم يحفروا له، ولكن أسندوه إلى حائط، وقذفوا عليه الحجارة من خلف الحائط حتّى واروه.

وقد ذكر أبو سعيد الحكاية وقال: تركوه في بيته حتّى أنتن، وحينئذ ضمّوه إلى جدار وقذفوا عليه الحجارة حتّى واروه.

وروى البخاري في صحيحه: أن أبا لهب رآه بعض أهله في المنام بشرّ خيبة، أي: حالة، فقال: ما لقيتُ بعدكم راحة، غير أنّي سقيت في مثل هذه ـ وأشار إلى النقرة بين السبابة والإبهام ـ بعتقي ثويبة[4]. وثويبة هذه أرضعت رسول الله ﷺ[5].

قال أبو الربيع: روى غير البخاري أنّ الذي رأى أبا لهب من أهله

---

(١) العدسة: قرحة قاتلة كالطاعون.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٦٤٤ ـ ٦٤٧، وبينهما خلاف.

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ١/٥٤٨، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٤) ثويبة: جارية أبي لهب، أرضعت رسول الله ﷺ، كما أرضعت عمّه حمزة، أعتقها أبو لهب بعدما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكان يرسل إليها بكسوة وصلة حتّى ماتت بعد فتح خيبر.
- الاستيعاب: ١/٢٨.

(٥) صحيح البخاري: ٩/١٢، باب وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم، ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب.

هو أخوه العبّاس بن عبدالمطلب، وأنّه قال: مكثت حولاً بعد موت أبي لهب لا أراه في نوم، ثم رأيته في شرّ حال، فقال: ما لقيتُ بعدكم راحة، إلاّ أن العذاب يخفّف عنّي كلّ يوم اثنين [وذلك أنّ رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين](١) فبشّرت أبا لهب بمولده ثويبة مولاته، فقالت له: أشعرت أنّ آمنة ولدت غلاماً لأخيك عبدالله؟ فقال لها: اذهبي فأنت حرّة، فنفعه ذلك وهو في النار، كما نفع أخاه أبا طالب ذبُّه عن رسول الله ﷺ(٢).

قلت: وقد أظهر الله سبحانه عذاب عدوّ الله أبي جهل في الدنيا:

حدّث أبو عمرو بن عبدالبر في كتاب «التّمهيد» بسنده عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: خرجت مرّة فمررت بقبر من قبور الجاهلية، فإذا رجل خرج من القبر يتأجّج ناراً، في عنقه سلسلة، ومعي إداوة من ماء، فلما رآني قال: يا عبدالله اسقني. قال: فقلت: عرّفني، فدعاني باسمي، أو كلمة تقولها العرب: يا عبدالله. إذ خرج رجل من القبر فقال: يا عبدالله لا تسقه فإنّه كافر، ثم أخذ السلسلة فاجتذبه فأدخله القبر/ هذا حديث ابن عبدالبر ولم يسمّه(٣) وسمّاه غيره. ١٨٥/و

ذكر الوائلي الحافظ(٤) في كتاب الإبانة له من حديث ملك بن مغول عن نافع(٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما أنا أسير بجنبات بدر،

---

(١) في (د) ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) الروض الأنف: ٥/١٩٠ ـ ١٩٢.

(٣) في (د) و(ر): ولم يسمّه.

(٤) الوائلي الحافظ: أبو النصر السنجي عبيدالله بن سعيد بن حاتم بن أحمد الوائلي البكري، نزيل مصر والحرم، صاحب «الإبانة الكبرى» توفي بمكة في المحرم سنة أربع وأربعين وأربعمائة [٤٤٤].
● طبقات الحفاظ للسيوطي: ٤٢٨، تر: ٩٧٠.

(٥) نافع مولى ابن عمر: أبو عبدالله نافع العدوي المدني، الإمام العلم، حدّث عن ابن عمر، وعائشة، وأبي هريرة، وأمّ سلمة، وحدّث الأئمة: الأوزاعي، ومالكاً، والليث. قال البخاري: أصحّ الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر. أو قال عبيدالله بن عمر: =

إذ خرج رجل من الأرض في عنقه سلسلة يمسك طرفها أسود، فقال: يا عبدالله اسقني. فقال ابن عمر: لا أدري، أعَرفَ اسمي أو كما يقول الرجل: يا عبدالله؟ فقال لي الأسود: لا تسقه[1] فإنّه كافر، ثم اجتذبه فدخل الأرض. قال ابن عمر: فأتيت النّبي ﷺ فأخبرته، فقال: «**أو قد رأيته؟ ذلك عدوّ الله أبو جهل بن هشام، وهو عذابه إلى يوم القيامة؟**».

وفي أمر بدر أنزل الله هذه الآية: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ [وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ][2]﴾ الآية[3].

قال ابن إسحاق: فذكر لي أنّهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة لا ينكرونه، حتّى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان نكص على عقبيه، فأوردهم ثم أسلمهم[4].

ونكص معناه رجع. ولما نكص قال له الحارث بن هشام[5] أو عمير بن وهب: أين أيْ سراقة[6]، ومثل عدوّ[7] الله فذهب.

= بعث الخليفة عمر بن عبدالعزيز نافعاً إلى أهل مصر يعلمهم السنن، توفي سنة سبع عشرة ومائة [١١٧هـ].

● تذكرة الحفاظ: ٩٩/١ ـ ١٠٠، تر: ٩٢.

(١) في الأصل: لا تسقيه.

(٢) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) الأنفال: ٤٨.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٦٣/١.

(٥) أبو عبدالرحمٰن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو المخزومي القرشي. أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وشهد حنيناً فأعطاه الرسول ﷺ مائة من الإبل كما أعطى المؤلفة قلوبهم، خرج إلى الشام مجاهداً ومرابطاً، توفي في طاعون عمواس سنة اثنتي عشرة [١٢].

● الاستيعاب: ٣٠١/١ ـ ٣٠٤، تر: ٤٤٠.

(٦) في (د): سراقة، وفي (ر): أي سراق.

(٧) مثل عدوّ الله: لطىء بالأرض واختفى، وهو من الأضداد، يكون الماثل: القائم، ويكون الماثل: اللاطىء بالأرض.

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت رضي الله عنه [البسيط]:

قومي الذين هم آوَوْا نبيَّهم ... وصدّقوه وأهل الأرض كفار
إلاّ خصائص أقوام هم سلف[1] ... للصالحين مع الأنصار أنصار
مستبشرين بقسم[2] الله قولهم ... لمّا أتاهم كريم الأصل مختار
أهلاً وسهلاً ففي أمن وفي سعة ... نعم النبي ونعم القسم والجار
فأنزلوه بدار لا يَخاف[3] بها ... من كان جارَهم داراً هي الدار
وقاسموه[4] بها الأموال إذ قدموا ... مهاجرين وقسم الجاحد النّار
سرنا وساروا إلى بدر لحينهم ... لو يعلمون يقين العلم ما سار[وا][5]
دلاّهم بغرور ثم أسلمهم ... إنّ الخبيث لمن والاه[6] غرّار
وقال: إنّي جار لكم فأوردهم ... شرّ الموارد فيه الخزي والعار
ثم التقينا فولّوا عن سراتهم ... [من منجدين][7] وفيهم فرقة غار[وا][8]

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ عند الفتح عبدالله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله عزَّ وجلَّ على رسوله، وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة.

قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر ـ حين سوّينا على رقية بنت رسول الله ﷺ ـ أنّ زيد بن حارثة قد قدم. قال: فجئته وهو واقف بالمصلّى

(١) في (د): سلفوا.
(٢) القسم: الحظ والنصيب.
(٣) في (د): لا تخاف.
(٤) في الأصل: وقاسموا.
(٥) في الأصل و(ر): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٦) في الأصل: ولاّه، وفي (د): ولّى غدّار.
(٧) في (ر) ما بين الحاصرتين ساقط.
(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: ومنهم فرقة.
بالأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٦٤٢/١ ـ ٦٤٤، وبينهما خلاف.

قد غشيه الناس، وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزمعة بن الأسود، وأبو البختري العاصي بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبّه ابنا الحجاج.

قال: قلت: يا أبتِ، أحقٌّ هذا؟ قال: نعم، والله يا بني. ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين، وفيهم عقبة بن أبي معيط، والنّضر بن الحارث، حتّى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء أمر بقتل النضر بن الحارث، فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم أمر بقتل عقبة بن أبي معيط.

ونقل النّيسابوري عن الواقدي قال: لما بلغ النّجاشي مقتل قريش ببدر وما أظفر الله عزَّ وجلَّ به نبيّه ﷺ، خرج في ثوبين ثم جلس على الأرض، ثم دعا جعفر[1] بن أبي طالب وأصحابه وقال: أيّكم يعرف بدراً؟ فأخبروه، فقال النّجاشي: أنا عارف بها، قد رعيت الغنم في جوانبها/ من السّاحل على بعض مياهها، ولكنّي أردت أن أتثبّت منكم، قد نصر الله تعالى رسوله ﷺ ببدر، فاحمدوا الله على ذلك الحديث. ١٨٦/ظ

وقد ذكر السّهيلي فقال: وقد روي أنّ وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى النجاشي أرسل إلى المسلمين الذين عنده، وهم جعفر وأصحابه، فلما دخلوا عليه إذا هو قد لبس المسوح وقعد على الرّماد والتراب، فقالوا له: [ما هذا][2] أيّها الملك؟ فقال: إنّا نجد في الإنجيل: أن الله سبحانه إذا أحدث لعبده نعمة وجب على العبد أن يحدث لله تواضعاً، وإنّ الله قد أحدث إلينا وإليكم نعمة عظيمة، وهي أنّ النبي ﷺ بلغني أنّه التقى هو وعدوّه بواد يقال له: بدر، كثير الأراك، كنت أرعى فيه الغنم على سيدي رجلٍ من بني[3] ضمرة، وأن الله سبحانه قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه[4].

---

(١) في (ر): دعا بجعفر بن أبي طالب.

(٢) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) بنو ضمرة: بطن من كنانة من العدنانية، وهم بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، منهم عمرو بن أمية الضمري البدري، صاحب رسول الله ﷺ.
● نهاية الأرب: ٢٩٣، تر: ١١٥٨.

(٤) الروض الأنف: ٣/٢٦٠، وبينهما خلاف.

قال أبو الربيع: وكان سهيل بن عمرو قد قام في قريش خطيباً عندما استنفرهم أبو سفيان للعير فقال: يا آل غالب أتاركون أنتم محمداً والصّباة من أهل يثرب يأخذون عيركم وأموالكم؟ من أراد مالاً فهذا مالي، ومن أراد قوّة فهذه قوة، فلما أسر يوم بدر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، انزع ثنيّتي سهيل بن عمرو يدلعْ لسانُه، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً، فقال رسول الله ﷺ: **«لا أمثّل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً، إنّه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمّه»**. فكان كما أخبر النبي ﷺ بعد ذلك فحسن إسلامه، فكان له مقام محمود في تثبيت أهل مكّة بعد وفاة النبي ﷺ.

وذكر ابن إسحاق من جملة الأسرى: أبو عزة[(١)] عمرو بن عبدالله[(٢)]، كان محتاجاً ذا بنات، فقال: يا رسول الله ﷺ، لقد عرفتَ ما لي من مال، وإنّي لذو حاجة وذو عيال، فامنن عليّ، فمنّ عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً، فقال أبو عزة في ذلك يمتدح[(٣)] رسول الله ﷺ، ويذكر فضله في قومه [الكامل]:

مَنْ مُبَلِّغٌ عنّي الرّسول محمداً ... بأنّك حق والمليك حميدُ
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى ... عليك من الله العظيم شهيدُ[(٤)]
وأنت امرؤ بُوّئت فينا مباءة[(٥)] ... لها درجات سهلة وصعودُ

---

(١) أبو عزة عمرو بن عبدالله بن عثمان الجمحي القرشي، أسر يوم بدر فامتنّ عليه رسول الله ﷺ على أن لا يظاهر عليه أحداً، ولكنه لم يف بعهده فحضر أحداً وأُسِر، فقال: يا رسول الله مُنَّ عليَّ، فقال النبي ﷺ: **«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، لا ترجع إلى مكة تمسح عارضيك وتقول: خدعت محمداً مرتين»**. فأمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه وذلك في سنة ثلاث.
- الأعلام: ٥/٢٥١.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: ابن عثمان بن أهيب بن خذافة بن جمح، كان محتاجاً ذا بنات فكلّم رسول الله ﷺ فقال...

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: يمدح.

(٤) في الأصل: شهيداً.

(٥) بوئت فينا مباءة: نزلت فينا منزلة.

فـإنّـك مَـنْ حـاربـتَـه لـمـحـارَبٌ شـقـي ومَـنْ سـالـمـتَـه لـسـعـيـدُ
ولـكـن إذا ذكّـرت بـدراً وأهـلـه تـأوّب[1] ما بـي حـسـرة وقـعـود[2]

ثم إنّ أبا عزّة لم يف بالعهد، فقتله النبي ﷺ في غزوة أحد. وله قال النبي ﷺ: **«لا يُلدغ المؤمن من جحر مرّتين»**[3].

وقال طالب[4] بن أبي طالب وهو على شركه، يمدح النبي ﷺ ويبكي أصحاب القليب ـ وإنّما أذكر من ذلك ما يخص سيدنا محمداً ﷺ ـ [الطويل]:

فيا أخوينا عبد شمس ونوفلاً[5] فدى لكما لا تبعثوا بيننا حربا
ولا تصبحوا من بعد ودّ وألفة[6] أحاديث فيها كلكم يشتكي النّكبا
فما إن جنينا في قريش عظيمة سوى أن حمينا خير من وطىء التّربا
أخا ثقة في النّائبات مُرزّءاً كريماً ثناه[7] لا بخيلاً ولا ذربا[8]

---

(١) تأوّب: رجع.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١/٦٦٠.

(٣) صحيح مسلم: ٤/٢٢٩٥، رقم: ٢٩٩٨، كتاب الزهد والرقائق، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.

(٤) طالب بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي، شقيق علي، وجعفر، وعقيل، وأمّ هانىء، وأمّهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي من المهاجرات المبايعات.
- جمهرة أنساب العرب: ١٤.

(٥) عبد شمس ونوفل من أبناء عبد مناف بن قصي الذي ترك أربعة أولاد: عمرو وهو هاشم، والمطلب، وعبد شمس، ونوفل، وأمّ الثلاثة، عاتكة بنت مرّة السلمية، وأم نوفل واقدة من بني مازن بن صعصعة، خلف عليها هاشم بعد أبيه، وكانت العرب تسمي هذا النكاح نكاح المقت.
- جمهرة أنساب العرب: ١٤.

(٦) في (د): أدّ وألقة.

(٧) في الأصل: تثاه، وفي (ر): نشاه.

(٨) الذرب: الفاسد، ومنه يقال ذربت معدته إذا تغيّرت.

يُطيف به العافون يغشون بابه يؤوبون[1] بحراً لا نزوراً[2] ولا صربا[3]

(١) في السّيرة النبوية لابن هشام: يؤمنون.
(٢) النزور: القليل، والصّرب، المنقطع، وفي السيرة النبوية لابن هشام: سرباً - بالسّين.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٦/٢ - ٢٧، وبينهما خلاف.

باب في غزوة أحد
وما قوع فيها من الآيات

روى البخاري ومسلم عن سعد[1] بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان[2] كأشدّ القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد ـ يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام ـ[3].

١٨٧/و قال ابن إسحاق: ولما استشهد حنظلة بن أبي عامر الغسيل/ فقال رسول الله ﷺ: **«إنّ صاحبكم ـ يعني حنظلة ـ لتغسّله الملائكة، فاسألوا أهله: ما شأنه؟»** فسئلت صاحبتُه عنه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة[4].

فقال رسول الله ﷺ: **«لذلك غسّلته الملائكة»**[5].

قال ابن إسحاق: حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان، رضي الله عنه قال: أصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أحد، حتّى وقعت على وجنته، فردّها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسنَ عينيه وأَحَدَّهما[6].

---

(١) في الأصل، و(ر): سعيد.
(٢) في صحيحي البخاري ومسلم: يقاتلان عنه.
(٣) ● أ ـ صحيح البخاري: ١٢٤/٥، باب غزوة أحد.
● ب ـ صحيح مسلم ـ واللفظ له: ١٨٠٢/٤، رقم: ٢٣٠٦، كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ، يوم أحد.
(٤) الهاتفة: الصيحة، قال ابن هشام: ويقال الهائعة، وجاء في الحديث: خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها.
(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ٧٥/٢، وبينهما خلاف.
(٦) السيرة النبوية لابن هشام: ٨٢/٢، وبينهما خلاف.

قال السّهيلي: روي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما[(١)] قال: أصيبت عين رجل منّا يوم أحد، وهو قتادة بن النعمان، حين[(٢)] وقعت على وجنته، فأتينا به رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله[(٣)]، إن لي امرأة أحبّها، وأخشى إن رأتني أن تقذرني، فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردّها إلى موضعها. وقال: «**اللّهم اكسها[(٤)] جمالاً**» فكانت أحسنَ عينيه وأَحَدَّهما نظراً، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى.

وقد وفد على عمر بن عبدالعزيز[(٥)] رجل من ذرّيته، فسأله عمر: من أنت؟ قال[(٦)] [من الطويل]:

أنا ابن الذي سالت على الخدّ عينه ... فرُدّت بكفّ المصطفى أيّما ردٍّ
فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسن ما عينٍ ويا حسن ما خدٍّ

فقال عمر بن عبدالعزيز[(٧)] [من البسيط]:

تلك المكارم لا قعبان[(٨)] من لبن ... شيبا بماء فعاد بعد أبوالا

فوصله عمر وأحسن جائزته.

قال السّهيلي: وقد روي أنّ عينيه جميعاً سقطتا، فردّهما النّبي ﷺ. رواه محمد[(٩)] بن أبي عثمان[(١٠)]، عن مالك بن أنس، عن محمد بن[(١١)]

---

(١) في الروض الأنف: بدون ترضية.
(٢) في الروض الأنف: حتّى.
(٣) في الروض الأنف: يا رسول الله غير وارد.
(٤) في الروض الأنف: اللهم أكسب جمالاً.
(٥) في الروض الأنف: رحمه الله.
(٦) في الروض الأنف: فقال.
(٧) في الروض الأنف: رضي الله عنه.
(٨) القعب: قدح ضخم غليظ.
(٩) محمد بن أبي عثمان الطيالسي أبو مروان الأموي.
(١٠) في الروض الأنف: أبو مروان الأموي عن مالك.
(١١) أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالرحمٰن أبي صعصعة المازني الأنصاري المدني. =

عبدالله بن أبي صعصعة[1]، عن أبي سعيد، عن أخيه قتادة بن النعمان رضي الله عنه[2] قال: أصيبت عيناي[3] فسقطتا على وجنتيّ، فأتيت بهما النبي ﷺ، فأعادهما[4] مكانهما، وبصق فيهما فعادتا تبرقان.

قال الدارقطني: هذا حديث غريب[5] عن مالك، تفرّد به عمّار[6] بن نصر، وهو ثقة، رواه الدارقطني عن[7] الحربي[8]، عن عمّار بن نصر[9].

قال السّهيلي وأبو الربيع: ذكر الزّبير: أن سيف عبدالله بن جحش انقطع يوم أحد، فأعطاه رسول الله ﷺ عرجوناً، فعاد في يده سيفاً قائمه منه، فقاتل به، فكان يسمى ذلك السيف العرجون، ولم يزل بعدُ يُتوارث،

= روى عنه مالك، وابن عيينة، وابن إسحاق، ووثّقه، توفيّ سنة تسع وثلاثين ومائة [١٣٩هـ].

● إسعاف المبطأ برجال الموطأ، للسيوطي: ٢٥.

(١) في الروض الأنف: عن أبيه عن أبي سعيد.

(٢) في الروض الأنف: بدون ترضية.

(٣) في الروض الأنف: يوم أحد فسقطتا.

(٤) في الروض الأنف: النبي ﷺ مكانهما.

(٥) في الروض الأنف: هذا الحديث غريب.

(٦) أبو ياسر عمار بن نصر السعدي المروزي روى عن جرير بن عبدالحميد، ووكيع بن الجراح وغيرهما، قال محمد بن عبدالرحمٰن الرازي: سمع منه أبي أبو حاتم محمد الرازي ببغداد، وقال فيه: إنّه صدوق.

● الجرح والتعديل: ٣٩٤/٦، تر: ٢١٩٧.

(٧) أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي البغدادي، أحد الأعلام، ولد سنة ثمان وتسعين ومائة [١٩٨] كان رأساً في العلم والزهد، والفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، توفي سنة خمس وثمانين ومائتين [٢٨٥].

● تذكرة الحفّاظ: ٥٨٤/٢ ـ ٥٨٦، تر: ٦٠٩.

(٨) في الروض الأنف: عن إبراهيم الحربي عن عمار بن نصر السعدي أبو ياسر المروزي.

(٩) الروض الأنف: ٣٣/٦ ـ ٣٤، باختصار.

حتّى بيع من بُغاء[1] التّركي بمائتي دينار. وهذا نحو من حديث عكّاشة بن محصن الذي تقدّم، إلاّ أنّ سيف عكاشة كان يُسمّى العون[2].

[فصل][3]

في فضل الشهداء
وما جاء فيهم من عظيم الآيات

روينا في الموطأ عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى: أنّه بلغه أنّ عمرو بن الجموح[4] وعبدالله بن عمرو، الأنصاريّين ثم السّلميّين، كانا قد حفر السّيل قبرهما، وكان قبرهما مما يلي السّيل، وكانا في قبر واحد، وهما ممّن استشهد يوم أحد، فحُفر عنهما ليغيَّرا، من مكانهما فوُجِدا لم يتغيرا[5]، كأنما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على

---

(١) بغاء التركي: قائد من قادة الأتراك الذين استولوا على خلفاء بني العباس في الطور الثاني من خلافتهم، وصفهم الشاعر بقوله [مشطور الرجز]:

خليفة في قفص … بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له … كما تقول الببغا

قتله المعتز سنة أربع وخمسين ومائتين [٢٥٤] بحيلة، وتخلص منه بكمين نصبه له ليلاً.

- أ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ١٨٦/٧ سنة ٢٥٤.
- ب ـ تاريخ الإسلام الديني والثقافي والاجتماعي لحسن إبراهيم حسن: ٨/٣ ـ ٩، الطبعة السابعة، ١٩٦٤، مكتبة النهضة المصرية.

(٢) الروض الأنف: ٤٥/٦، بينهما خلاف.

(٣) في الأصل و(د) ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) عمرو بن الجموح بن زيد حرام بن كعب الأنصاري السلمي الخزرجي، شهد العقبة وبدراً، وقتل يوم أحد شهيداً، ودفن هو وعبدالله بن عمرو بن حرام في قبر واحد، وكانا صهرين، وفيه قال الرسول ﷺ: **«والذي نفسي بيده، إن منكم من لو أقسم على الله لأبَره، منهم عمرو بن الجموح، ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته»**.

- الاستيعاب: ١١٦٨/٣ ـ ١١٧١، تر: ١٩٠٣.

(٥) في الموطأ: فوجدا لم يغيرا.

جرحه، فدفن وهو كذلك، فأميطت يده على جرحه[1] ثم أرسلت فرجعت كما كانت. وكان بين أحد ويوم حفر عنهما ستّ[2] وأربعون سنة[3].

قال أبو عمر في التمهيد: حديث مالك هذا يتّصل من وجوه صحاح بمعنى متقارب. وعبدالله بن عمر هذا هو والد جابر [بن عبدالله][4] وعمرو بن الجموح هو ابن عمّه.

ثم أسند أبو عمر عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لما أراد معاوية أن يجري العين بأحد نودي بالمدينة: من كان له قتيل فليأت قتيله. قال جابر: فأتيناهم فأخرجناهم رطاباً ينثنون[5]، فأصابت المسحاة إصبع رجل منهم فانفطرت دماً.

قال أبو سعيد الخدري: لا ينكر بعد هذا منكر أبداً. وفي رواية: فاستخرجهم يعني معاوية بعد ستّ وأربعين سنة تنثّى[6] أطرافهم/.

١٨٨/ظ

قال أبو عمر: الذي أصابت المسحاة إصبعه هو حمزة رضي الله عنه: ثم أسند عن جابر قال: رأيت الشهداء يُخرجون على رقاب الرّجال، كأنّهم رجال نوّم، حتّى إذا أصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبعثت[7] دماً[8].

---

(١) في الموطأ: عن جرحه.

(٢) في الأصل: ستة وأربعون سنة، وفي (ر): ست وأربعين سنة.

(٣) تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك: ٣١٣/١، لجلال الدين السيوطي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م.

(٤) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٥) في (د) و(ر) والتمهيد: يتثنون.

(٦) في (د) و(ر): تتثنى.

(٧) في الأصل: فانبعث دماً.

(٨) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأناشيد: ٢٣٩/١٩ ـ ٢٤٢، لأبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي، تح: مجموعة من الأساتذة بالمغرب الأقصى. حقق هذا الجزء ١٩ سعيد أحمد أعراب، نشر الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

وروى الترّمذي، والنّسائي، عن النبي ﷺ أنّه قال: الشهيد[1] لا يجد ألم القتل إلاّ كما يجد أحدكم ألم القرصة[2].

وفي مختصر الطبري لأبي عبدالله محمد النحوي[3] قال: وقد نهى الله عزَّ وجلَّ أن يقال لمن يقتل في سبيل الله أموات، وأعلم سبحانه أنّهم أحياء ولكن لا شعور لنا بذلك، إذ لا نشاهد باطن أمرهم.

وذكر ابن إسحاق في جملة شهداء أحد: حنظلة الغسيل، وأن النبي ﷺ قال فيه: «**إن صاحبكم**» يعني حنظلة «**لتغسّله الملائكة، فاسألوا أهله: ما شأنه؟**» فسئلت صاحبته فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة، فقال ﷺ: «**لذلك غسّلته الملائكة**»[4].

قال السّهيلي: وفي غير السيرة ـ قال: رأيت الملائكة تغسله في صحاف الفضة بماء المزن بين السماء والأرض.

قال السّهيلي: وذكر غير ابن إسحاق أنّه التمس في القتلى فوجدوه

---

(١) صحيح الترّمذي: «**ما يجد الشهيد من مس القتل إلاّ كما يجد من مسّ القرصة**».
وفي سنن النسائي: «**الشهيد لا يجد مسّ القتل إلاّ كما يجد أحدكم القرصة يقرصها**».

(٢) ● أ ـ صحيح الترمذي: ١٩٠/٤، رقم: ١٦٦٨، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط.
● ب ـ سنن النسائي، بشرح السّيوطي: ٥ ـ ٣٤٣/٦، رقم: ٣١٦١، كتاب الجهاد، باب ٣٤، ما يجد الشهيد من الألم.

(٣) محمد بن عبدالله بن محمد بن لبّ المعروف بابن الصائغ الأموي المرّي، درّس علوم العربية بالقاهرة إلى أن صار يقال له «أبو عبدالله النحوي». كان ماهراً في العربية واللغة، قيّماً بالعروض، ينظم نظماً وسطاً. توفي بالطاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة، أو سنة خمسين وسبعمائة.
● أ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي: ١٤٣/١، تر: ٢٣٨، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم.
● ب ـ الدرر الكامنة، لابن حجر: ١٠٣/٤، تر: ٣٨١٥، تح: محمد سيد جاد الحق.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٧٥/٢، بينهما خلاف.

يقطر رأسه ماء، وليس بقربه ماء، تصديقاً لما قاله النبي ﷺ[1].

قلت: والآثار في فضل الشهداء كثيرة جداً، فلنكتف[2] منها بما ذكرناه ولنصرف القول لما قصدنا من جمع آيات النبي.



(١) الروض الأنف: ٤٦٣/٥ ـ ٤٦٤، بينهما خلاف.

(٢) في النسخ المعتمدة: فلنكتفي.

[باب][1] في خروج النبي ﷺ خلف المشركين وفي إخباره بمغيب، فكان كما أخبر ﷺ

قال ابن إسحاق وغيره: لما رجع النبي ﷺ من أحد أذن مؤذنه بالخروج في طلب العدوّ مرهِباً لهم، فخرج هو ﷺ في أصحابه في طلب العدوّ حتّى انتهوا إلى حمراء[2] الأسد، وقد همّ الكفّار بالرجوع لقتال المسلمين، فأبى لهم صفوان بن أمية، وخاف من المسلمين، فرجعوا، فقال ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم قد همّوا بالرجعة: **«والذي نفسي بيده لقد سوّمت [لهم][3] حجارة لو صُبّحوا بها»** يعني بالمدينة **«لكانوا كأمس الذّاهب»**.

وأخذ رسول الله ﷺ في وجهه ذلك قبل رجوعه إلى المدينة معاويةَ بن المغيرة بن أبي العاصي جدّ عبدالملك[4] بن مروان لأمّه، وأبا عزّة الجمحي، وكان رسول الله ﷺ أسره ببدر ثم منّ [عليه][5]، وقد تقدّم ذكر ذلك. ولجأ معاوية إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسولَ الله ﷺ، فأمّنه على أنّه إن وُجِد بعد ثلاث قُتِل، فقام بعدها وتوارى، فبعث النبي ﷺ زيد بن حارثة وعمار بن ياسر، وقال: **«إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا»** فوجداه فقتلاه.

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة المنورة.
- مراصد الاطلاع: ١/٤٢٤.

(٣) في (د) ما بين الحاصرتين ساقط. ومعنى الجملة: جعلت لها علامة يعرف بها أنها من عند الله.

(٤) عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، من أعاظم الخلفاء الأمويين ودهاتهم، نشأ في المدينة، فقيهاً، واسع العلم، تولى الخلافة بعد أبيه عام ٦٥ فضبط الأمور. أول من سك الدنانير في الإسلام، وفي أيامه نقلت الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية. توفي سنة ٨٦ وميلاده في سنة ٢٦.
- الأعلام للزركلي: ٤/٣١٣.

(٥) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

وأمّا أبو عزّة[1]، فأمر النبي ﷺ بضرب عنقه، فقال: يا رسول الله أقلني؛ فقال رسول الله ﷺ: «**والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول: خدعت محمداً مرّتين، اضرب عنقه يا زبير**» فضرب عنقه.

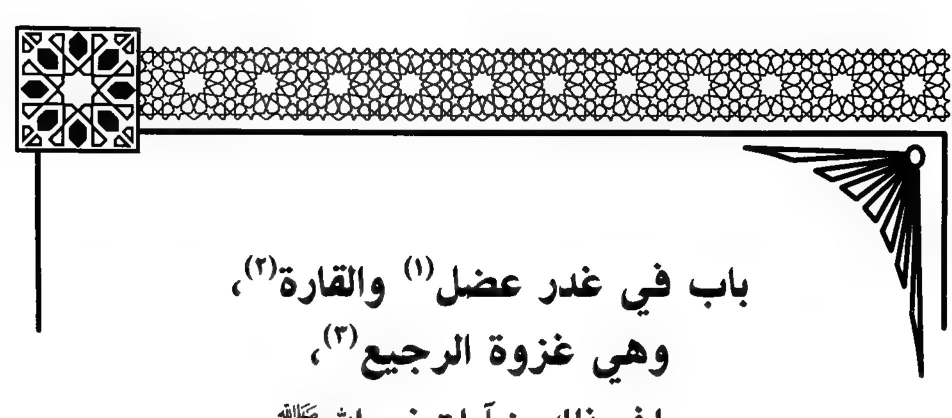
وكان أبو عزة في مسيره هذا ينشد الأشعار ويحرّض الكفّار ويشجعهم على قتال المسلمين، فأخذه الله ببركة نبيه ﷺ.

قال ابن هشام: وبلغني عن سعيد بن المسيب أنّه قال له رسول الله ﷺ: «**إنّ المؤمن لا يلدغ من جحر مرّتين**»[2].



(١) في السيرة النبوية لابن هشام: كان رسول الله ﷺ قد أسره ببدر، ثم مَنَّ عليه.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/١٠١ ـ ١٠٤، وبينهما خلاف.



باب في غدر عضل[1] والقارة[2]، وهي غزوة الرجيع[3]، وما في ذلك من آيات نبي الله ﷺ وكرامات أصحابه رضي الله عنهم أجمعين

١٨٩/و قال ابن إسحاق: ولما انقضى/ أمر أحد قدم إلى النبي ﷺ رهط من عضل والقارة من مزينة[4]، فقالوا: يا رسول الله، إنّ فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يعلموننا شرائع الإسلام، فبعث معهم ستة من أصحابه، وهم: مرثد بن أبي مرثد[5] حليف حمزة بن عبدالمطلب، وأمّره

---

(١) عضل: بطن من بني الهوان، من مضر، وهم بنو عضل بن الهون.
- نهاية الأرب: ٣٢٩، تر: ١٣١٣.

(٢) القارة: عضل والقارة من الهون بن جزيمة بن مدركة.
قال ابن هشام: ويقال: الهون ـ بضم الهاء.
- السيرة النبوية لابن هشام: ١٦٩/٢.

(٣) الرجيع: ماء لهذيل قرب الهوّة بين مكة والطائف.
- مراصد الاطلاع: ٦٠٦/٢.

(٤) بنو مزينة: بطن من طانجة من العدنانية، وهم بنو عثمان وأوس ابني عمرو بن اد ابن طانجة ومزينة أمهما، عرفوا بها. منهم كعب زهير بن أبي سلمى، ناظم القصيدة المعروفة بانت سعاد.
- نهاية الأرب: ٣٧٥، تر: ١٥٥١.

(٥) مرثد بن أبي مرثد الغنوي: اسم أبي مرثد كنّاز بن حصين، شهد مرثد وأبوه بدراً، وكانا حليفين لحمزة بن عبدالمطلب، وشهد مرثد كذلك أحداً، وقتل يوم الرجيع شهيداً.
- الاستيعاب: ١٣٨٣/٣ ـ ١٣٨٦، تر: ٢٣٦٤.

عليهم، وخالد بن البكير[1]، وعاصم بن ثابت، وخبيب بن عدي[2] وزيد بن الدثنة[3]، وعبدالله بن طارق[4]، فخرجوا معهم، حتّى إذا كانو على الرجيع ـ ماء لهذيل ـ استصرخوهم عليهم، فأمّا مرثد وخالد وعاصم فقاتلوا حتّى قُتلوا، وأَسَروا زيد بن الدثنة، وخبيباً، وعبدالله بن طارق، ث انفلت منهم عبدالله فقاتلهم حتّى قتل، ولما قتل عاصم أرادت هذيل أخا رأسه ليبيعوه من سلافة[5] بنت سعد ـ امرأة من المشركين ـ كانت نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد: لئن قَدِرَتْ على رأس عاصم لتشربنّ في قحف الخمر، فمنعته الدّبر[6]، فلما حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتّى يمسي

---

(١) خالد بن البكير بن عبد ياليل بن عبد ناشب. شهد هو وإخوته: إياس، وعاقل وعامر بدراً، وقتل خالد يوم الرّجيع في صفر سنة أربع من الهجرة، وعمره أربع وثلاثون سنة.
● الاستيعاب: ٤٢٦/٢، تر: ٦٠١.

(٢) خبيب بن عدي الأنصاري: من بني جحجبي بن عوف بن كلفة بن عوف الأنصاري شهد بدراً، وأسر يوم الرجيع، وقتله عقبة بن الحارث، وكان خبيب قتل الحارث بن عامر يوم بدر.
● الاستيعاب: ٤٤٠/٢ ـ ٤٤٢، تر: ٦٣٢.

(٣) زيد بن الدّثنة بن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاري البياضي، شهد بدراً وأحداً، وأسر يوم الرجيع وقتل في سنة ثلاث للهجرة.
● الاستيعاب: ٥٥٣/٢، رقم: ٨٤٧.

(٤) عبدالله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوي، حليف لبني ظفر من الأنصار، شهد بدراً، وأحداً، وقتل عبدالله رمياً بالحجارة، قبره بالظهران، وقد ذكره حسان في شعر الذي يرثي به أصحاب الرجيع، فقال [من الكامل]:
وابن الدثنة وابن طارق منهم   وافاه ثَمَّ حِمامُه المكتوب
وأول القصيدة:
صلّى الإله على الذين تتابعوا   يوم الرجيع فأُكْرِموا وأُثِيبو
● الاستيعاب: ٩٢٨/٣ ـ ٩٢٩، تر: ١٥٨١.

(٥) سلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية، وهي أمّ بني طلحة؛ مسافع، والجلاس، وكلاب.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٦٢/٢.

(٦) في الأصل: كتب على الهامش: الدبر: جماعة النحل. والقحف: ـ بكسر القاف وسكون الحاء ـ العظم الذي فوق الدماغ.
● مختار الصّحاح، مادة: قحف.

فتذهب عنه فنأخذه، فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به، وقد كان عاصم أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمسّ مشركاً أبداً، تنجّساً.

فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أنّ الدّبر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن. كان عاصم نذر أن لا يمسّه مشرك ولا يمسّ مشركاً أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته.

ثم إنّ هذيلاً باعوا خبيباً وزيد بن الدثنة من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة.

قال ابن إسحاق: فأمّا خبيب فحبس في بيت ماوية[1]، فكانت تخبر بعدما أسلمت، قالت: لقد اطلعت عليه يوماً وإنّ في يده لَقِطْفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، ووالله ما أعلم في أرض الله عنباً يأكل. هذا حديث ابن إسحاق، وتبعه عليه أبو سعيد النّيسابوري، وأبو الربيع الكلاعي[2].

وروينا في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عشرةً عيناً، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جدّ عاصم بن عمر[3] بن الخطاب رضي الله عنه[4]، حتّى إذا كانوا بالهدأة

---

(١) ماوية: أو مارية مولاة حجير بن أبي إهاب التميمي، حليف بني نوفل، هي التي حبس في بيتها خبيب بن عدي أسلمت ماوية بعد ذلك.
● الاستيعاب: ٤/١٩١١، تر: ٤٠٨٩.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/١٦٩ ـ ١٧٢، وبينهما خلاف.

(٣) عاصم بن عمر بن الخطاب بن نوفل القرشي العدوي أبو عمر، أمه جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلع أخت عاصم بن ثابت الأنصاري، كان اسمها عاصية فسمّاها رسول الله ﷺ جميلة.
ولد عاصم قبل وفاة الرسول ﷺ بسنتين، وكان خيّراً، شاعراً، وهو جد عمر بن عبدالعزيز لأمّه، توفي بنحو أربع سنين قبل موت أخيه عبدالله، ورثاه بقوله:
وليت المنايا خلّفن عاصماً ... فعشنا جميعاً أو ذهبن بنا معا
● الاستيعاب: ٢/٧٨٢ ـ ٧٨٤، تر: ١٣١١.

(٤) في (د) و(ر)، وصحيح البخاري: بدون ترضية.

ـ بين عسفان ومكة ـ ذُكروا لحي من بني هذيل يقال لهم بنو لحيان[1]، فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم حتّى وجدوا مأكلهم التّمر في منزل نزلوه، فقالوا: تمر يثرب، فاتّبعوا آثارهم، فلمّا أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ألاّ يقتل منكم أحد، فقال عاصم بن ثابت: أيّها القوم، أمّا أنا فلا أنزل في ذمّة كافر، اللهم أخبر عنّا نبيك ﷺ، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً، وأنزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب، وزيد بن الدّثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيّهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، واللَّهِ لا أصحبكم، إنّ لي في هؤلاء إسوة ـ يريد القتلى ـ، فجرّوه وعالجوه فأبى أن يصحبهم، فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث[2] بن عامر بن نوفل خبيباً، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً حتّى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحدّ بها، فأعارته، فدرج بنيّ لها وهي غافلة حتّى أتاه، فوجدته مُجْلِسَه على فخذيه، والموسى بيده. قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله، ما كنت لأفعل ذلك. قالت: والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب في يده، وإنه لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمرة، وكانت/ تقول: إنّه لرزق رزقه الله خبيباً. ١٩٠/ظ فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحِلّ قال لهم: دعوني أصلّ[3]

---

(١) بنو لحيان: بطن من هذيل، ولحيان هذا هو أبو رهم سموا به، وكان له من الولد: طانجة ودامغة.

● جمهرة أنساب العرب، لابن حزم: ١٩٦.

(٢) بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف القرشي، وبنو الحارث بطن من قريش من العدنانية.

● نهاية الأرب: ٥٦، رقم: ٧٨.

(٣) في الأصل و(ر): أصلي.

ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، فقال: والله لولا أن تحسبوا أنّ ما بي جزع لزدت، اللّهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً. قال [من الطويل]:

فلست أبالي حين أُقتل مسلماً على أي جنب كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع

ثم قام إليه عقبة[1] بن الحارث [فقتله][2]. وكان خبيب هو سنّ لكل مسلم قُتل صبراً الصلاةَ. وأخبر النبي ﷺ أصحابه يوم أصيبوا خبرَهم، وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حدّثوا أنّه قتل، أن يؤتى شيء[3] منه يعرف، وكان قتل رجلاً من عظمائهم، فبعث الله لعاصم مثلَ الظلّة من الدّبر[4] فحمته من رسلهم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئاً[5] انتهى لفظ البخاري.

قال أبو الربيع: وذكر ابن عقبة أنّ خبيباً وزيداً قتلا في يوم واحد. قال: وذكر أنّ رسول الله ﷺ قال وهو جالس في ذلك اليوم الذي قتلا فيه: «**وعليكما**» أو «**وعليكم السلام. خبيب قتلته قريش**»، لا ندري أذكر ابن الدثنة معه أم [لا][2].

قال السّهيلي: وإنّما صارت صلاة خبيب للركعتين سنّة حسنة، والسنة إنّما هي أقوال من رسول الله ﷺ وأفعال وإقرار، لأنه فعلها في حياة النبي ﷺ فاستحسن ذلك من فعله، واستحسنه المسلمون، مع أن الصلاة

---

(١) عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي، أبو سروعة، أسلم يوم الفتح.
● الاستيعاب: ٣/١٠٧٢ ـ ١٠٧٣، تر: ١٨٢٢.
(٢) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٣) في (د) و(ر): بشيء.
(٤) الدّبر ـ بكسر الدال ـ: الزنابير، وبفتحها، صغار الجراد، ويقال للنحل أيضاً: دبر.
(٥) صحيح البخاري: ٥/١٠١ ـ ١٠٢، باب فضل من شهد بدراً، وبينهما خلاف.

خير ما خُتم به عمل العبد. وقد صلّى هاتين الركعتين أيضاً زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ، وذلك في حياته ﷺ.

ثم حدّث السّهيلي بسنده إلى الليث[1] بن سعد قال: بلغني أنّ زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلاً من الطائف، واشترط عليه الكريّ أن ينزله حيث شاء. قال: فمال به إلى خربة فقال له: انزل، فنزل فإذا في الخربة قتلى كثيرة. قال: فلما أراد أن يقتله قال له: دعني أصلّ[2] ركعتين، قال: صلّ، فقد صلّى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً، قال: فلما صلّيت أتاني ليقتلني. قال: فقلت: يا أرحم الرّاحمين. قال: فسمع صوتاً: لا تقتله. قال: فهاب ذلك، فخرج يطلب فلم ير شيئاً، فرجع إليّ، فناديته: يا أرحم الراحمين، فعل ذلك ثلاثاً، فإذا أنا بفارس على فرس، في يده حربة حديد في رأسها شعلة من نار، فطعنه بها فأنفذه فوقع ميتاً، ثم قال لي: لما دعوت المرّة الأولى «يا أرحم الراحمين» كنت في السماء السّابعة، فلما دعوت المرة الثانية «يا أرحم الراحمين» كنت في السماء الدنيا، فلما دعوت في المرة الثالثة «يا أرحم الراحمين» أتيتك[3].

قلت: وقد نقل غيره هذه الحكاية، وذكر أنّ الفارس ملك، [لا أدري][4] أقال: جبريل، أو غيره، الشّك منّي.



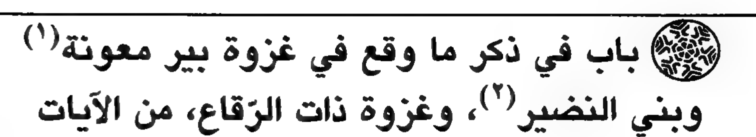
---

(١) أبو الحارث الليث بن سعد الأصبهاني الأصل، شيخ الديار المصرية وعالمها. قال عبدالله بن وهب: لولا الليث ومالك لضللنا، توفي ليلة الجمعة النصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومائة وله إحدى وثمانون سنة.
● تذكرة الحفّاظ: ٢٢٤/١ ـ ٢٢٦، تر: ٢١٠.

(٢) في الأنوار، والروض الأنف: أصلي، والتصحيح من مصنف عبدالرزاق: ٣٥٥/٥، وهو الصحيح لأنه جواب للطلب.

(٣) الروض الأنف: ١٩٢/٦ ـ ١٩٣.

(٤) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.



باب في ذكر ما وقع في غزوة بير معونة[1] وبني النضير[2]، وغزوة ذات الرّقاع، من الآيات

قال ابن إسحاق: ولما أصيب من أصيب من أصحاب النبي ﷺ ببير معونة كان فيمن أصيب عامر بن فهيرة رضي الله عنه، فكان عامر بن الطفيل الكافر يقول: مَنْ رجلٌ منهم لمّا قتل رأيته رفع بين السماء والأرض، حتّى رأيت السّماء دونه[3]؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة[4].

قال السّهيلي: هذه رواية البكّائي عن ابن إسحاق، وروى يونس بن بكير[5] بهذا الإسناد أنّ عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك فقال للنبي ﷺ[6]: من رجل يا محمد لما طعنته رفع إلى السماء؟ فقال: **«هو عامر بن فهيرة»**.

١٩١/و

وروى عبدالرزاق وابن المبارك أن عامر بن فهيرة/ التُمس في القتلى يومئذ ففُقد، فيرون أنّ الملائكة رفعته أو دفنته[7].

وذكر أبو سعيد النيسابوري أنّ عامر بن الطفيل قال لعمرو بن أمية الضّمري رضي الله عنه: هل تعرف أصحابك؟ قال: نعم، فطاف فيهم ـ يعني

---

(١) بئر معونة: بئر تقع بين أرض بني عامر، وحرّة بني سليم، بها غزوة للنبي ﷺ، قال حسّان بن ثابت [من الوافر]:

على قتلى معونة فاستهلي ... بدمع العين سحّاً غير نـزر

● مراصد الاطلاع، ج٣/١٢٩٢.

(٢) بنو النضير: حيّ من يهود خيبر من آل هارون أو موسى عليهما السلام، وقد دخلوا في العرب. ووقعت غزوة بني النضير على رأس سبعة وثلاثين شهراً من الهجرة.

● ١ ـ لسان العرب، حرف الراء، فصل النون، مادة نضر، ص٢١٤.

● ٢ ـ كتاب المغازي للواقدي، ج١/ ص٣٦٣.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: من دونه.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ١٨٦/٢، وبينهما خلاف.

(٥) في الروض الأنف: عنه بهذا...

(٦) في الروض الأنف: وقال ﷺ.

(٧) الروض الأنف: ٢٠٥/٦.

في القتلى ـ وجعل يسأله عن أنبائهم، فقال: هل تفقد من أحد؟ قال: أفقد مولى لأبي بكر رضي الله عنه يقال له عامر بن فهيرة، قال: كيف كان فيكم؟ قلت: كان من أفضلنا، وأول أصحاب نبيّنا ﷺ، قال: ألا أخبرك خبره؟ وأشار له إلى رجل وقال: هذا طعنه برمح، ثم انتزع رمحه فذهب الرجل علوّاً في السماء حتّى والله ما أراه. قال عمرو[1]: فقلت له: ذلك عامر بن فهيرة. وكان الذي قتله رجل من كلاب يقال له جبّار[2] بن سلمى، ثم أسلم جبّار بن سلمى، وقال: دعاني إلى الإسلام ما رأيته من مقتل عامر بن فهيرة ورفعه إلى السّماء.

فصل

ومما وقع في غزوة بني النضير من الآيات ما ذكر أبو سعيد النيسابوري وابن إسحاق واللفظ لأبي سعيد عن الواقدي، عن جماعة من شيوخه

قالوا: خرج رسول الله ﷺ إلى بني النّضير يكلمهم أن يعينوه في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو[3] بن أمية الضمري رضي الله عنه، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت، قد آن لك أن تزورنا وأن تأتينا، اجلس حتّى نطعمك، ورسول الله ﷺ مستند إلى بيت من بيوتهم، ثم خلا بعضهم إلى بعض، ثم تناجوا، فقال حيي بن أخطب: يا معشر يهود، قد جاءكم محمد في نفر من أصحابه لا يبلغون عشرة ـ وكان معه أبو بكر وعمر وعلي والزبير وطلحة وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة، فاطرحوا عليه حجارة من فوق هذا البيت الذي هو تحته فاقتلوه، فلن تجدوه أخلى من[4] الساعة، فإن هو قُتل تفرّق أصحابه، فلحق من كان معه من قريش

---

(١) في الأصلا و(د): عمر.

(٢) جبّار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب الكلابي.

● الاستيعاب: ق١، ص٢٢٩ ـ ٢٣٠، تر: ٣٠٧.

(٣) في الأصل، و(د): عمر.

(٤) في ((د) و(ر): أخلى منه الساعة.

بمكة وبقي من كان هاهنا من الأوس والخزرج، والأوس[1] حلفاؤكم، فما كنتم تريدون أن تصنعوا يوماً من الدّهر فمن الآن، فقال عمرو بن جحاش النّضري: أنا أظهر على هذا البيت فأطرح عليه صخرة، فقال لهم سلام بن مشكم: يا قوم أطيعوني هذه المرة وخالفوني الدّهرَ، والله لئن فعلتم [فإنه لنقض للعهد الذي بينكم وبينه، فلا تفعلوا، فوالله لئن فعلتم][2] الذي تريدون ليقومنّ لهذا الدين منهم قائم إلى قيام السّاعة فيستأصل يهود ويُظهر دينه.

وقد هيّأ عمرو بن جحاش الصّخرة ليرسلها على النبي ﷺ، فلما أشرف بها جاء نبيَّ الله الخبرُ ـ يعني الوحي ـ بما همّوا به، فنهض ﷺ سريعاً كأنه يريد حاجته، وتوجّه إلى المدينة، وجلس أصحابه يتحدثون وهم يظنون أنه قام يقضي حاجته، فلما يئسوا من ذلك قال أبو بكر: ما مقامنا هاهنا بشيء، لقد توجّه رسول الله ﷺ لأمر.

فقال حيي بن أخطب: عجّل أبو القاسم، كنّا نريد أن نقضي حاجته ونغذّيه.

وندمت يهود على ما صنعوا، فقال لهم كنانة بن صوريا: هل تدرون لم قام محمد؟ قالوا: لا والله ما ندري ولا تدري أنت، قال: بلى، والتّوراةِ إني لأدري، وقد أُخبر محمد بما هممتم به من الغدر، فلا تخدعوا أنفسكم، واللّهِ إنه لرسول الله حقّاً، وما قام إلاّ حتّى أُخبر بما هممتم به ـ يعني الوحي ـ وإنه آخر الأنبياء عليهم السّلام. كيف تطمعون أن يكون من بني هارون، فجعله الله عزَّ وجلَّ حيث شاء. إن في كتبنا والذي درسنا في التوراة التي لم تغير ولم تبدّل: أنّ مولده بمكة، وأنّ مهاجره يثرب، وصفته بعينها ما تخالف حرفاً ممّا في كتبنا، ولكأني أنظر إليكم ظاعنين/ تتثاغى صبيانكم، قد تركتم دياركم خلوفاً وأموالكم، وإنّما هي شرفكم، فأطيعوني

١٩٢/ظ

---

(١) في الأصل: والأوس حلفاءكم.

(٢) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

في خصلتين، قالوا: وما هما؟ قال: تسلمون وتدخلون مع محمد في دينه، فتأمنون على أموالكم وأولادكم وتكونون من علية أصحابه وتبقى بأيديكم أموالكم ولا تخرجون في دياركم، فقالو: لا نفارق التوارة وعهد موسى، قال: فإنّه مرسل إليكم أن اخرجوا من بلادي، فقولوا نعم، [فإنّه][1] لا يستحلّ لكم دماً ولا مالاً وتبقى أموالكم، إن شئتم بعتم وإن شئتم مسكتم، قالوا: أمّا هذا فنعم، قال: أما والله لولا أني أفضحكم لأسلمت، ولكن لا تعيّر شعثاء بإسلامي بعدي أبداً حتّى يصيبني ما أصابكم. وشعثاء ابنته.

فقال سلام بن مشكم: قد كنت لِما صنعتم[2] كارهاً، وهو مرسل: أن اخرجوا من دياري، فلا تعقّب يا حيي كلامَه وأنعم له بالخروج واخرجْ من بلاده، قال: أفعل، أنا أخرج.

فلما رجع رسول الله ﷺ المدينة تبعه أصحابه، فلقوا رجلاً خارجاً من المدينة فسألوه: هل لقيت رسول الله ﷺ؟ فقال[3]: نعم، لقيته داخلاً إلى المدينة، فلما انتهى أصحابه إليه وجدوه قد أرسل إلى محمد بن مسلمة[4] يدعوه، فقال أبو بكر: يا رسول الله، قمتَ ولم نشعر، فقال رسول الله ﷺ: «**همّت اليهود بغدري، فأخبرني الله عزَّ وجلَّ بذلك فقمت**» وجاء محمد بن مسلمة فقال له: «**اذهب إلى يهود بني النّضير فقل لهم: إنّ رسول الله ﷺ قد أرسلني إليكم برسالة**»، فأتاهم فقال: إنّ رسول الله ﷺ قد أرسلني إليكم برسالة، ولست أذكرها لكم حتّى أعرّفكم[5] شيئاً تعرفونه، فقالوا: ما هو؟ قال: أنشدكم بالتّوراة التي أنزل الله على قلب موسى، أتعلمون أنّي جئتكم قبل أن يُبعث محمد ﷺ وبينكم التّوارة فقلتم في مجلسكم ذلك: يا ابن

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط. وكتب مكانه كلاماً غير سليم [فإني... لأنه].
(٢) في (د): لم صنعتم.
(٣) في (د): قال.
(٤) محمد بن مسلمة: أبو عبدالرحمن محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن الأوس الأنصاري الحارثي. شهد بدراً والمشاهد كلها، وتوفي بالمدينة سنة ثلاث وأربعين.
● الاستيعاب: ١٣٧٧/٣، تر: ٢٣٤٤.
(٥) في (د): حتّى أعذركم.

مسلمة إن شئت أن نغديك غديناك وإن شئت أن نهوّدك هوّدناك، فقلت لكم: غدّوني[1] ولا تهوّدوني، فوالله لا أتهوّد أبداً، فغدّيتموني في صحفة لكم، كأنّي أنظر إليها، فقلتم لي: ما يمنعك من ديننا إلا أنه دين يهود، فكأنّك تريد الحنيفية التي سمعت بها، أما إنّ أبا عامر[2] الراهب ليس بصاحبها، وإنما صاحبها الضّحوك القتّال، في عينيه حمرة، ويأتي من قبل اليمن، يركب البعير، ويلبس الشملة، ويجتزي بالكسوة[3]، وسيفه على عاتقه، ينطق بالحكمة، والله ليكوننّ بقريتكم هذه سلب ومثل، قالوا: اللّهم نعم، قد قلنا ذلك وليس به، قال: قد فرغت، إن رسول الله ﷺ قد أرسلني إليكم يقول لكم: «**إنه قد انتقض العهد الذي جعلت لكم بما هممتم به من الغدر**»، وأخبرهم بما كانوا ارتأوا من الرأي، وظهور عمرو بن جحاش على البيت ليطرح الصّخرة، فأُسكِتوا، ولم يقولوا حرفاً. ويقول: «**اخرجوا من بلدي هذا، فقد أجّلتكم عشرة أيام، فمن رئي**» يعني بعدها «**ضربت عنقه**» وساق الحديث إلى أن قال حيي بن أخطب: إنّا لا نخرج، فليصنع محمد ما بدا له، فقال له سلام بن مشكم: يا حيي، مَنّتْكَ نفسُك الباطل، فلا تفعل، فوالله إنّك لتعلم ونعلم أنّه رسول الله، وأنّ صفته عندنا، وإذ لم نتّبعه وحسدناه حين خرجت النّبوة من بني هارون فتعال فلنقبل ما أعطانا من الأمر ونخرجْ من بلاده، فقد عرفتَ أنك خالفتني في الغدر به، فإذا كان أوان التّمر جئنا أو جاء من جاء منا، فأبى عليه... ثم ساق الحديث إلى حصر النبي ﷺ إياهم وقطعِه/ نخيلهم، فقالوا له: نحن نعطيك الذي سألت ونخرج من بلادك، فقال رسول الله ﷺ: «**لا أقبله اليوم، ولكن**

١٩٣/و

---

(١) في الأصل: غذوني.

(٢) أبو عامر: عبدالرحمٰن بن صيفي بن مالك بن أمية الأوسي، والد حنظلة الغسيل، ترهب في الجاهلية ولبس المسوح، فلما جاء الإسلام أبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام، وسمّاه الرسول ﷺ، «الفاسق».

- أ ـ الأعلام: ٢٤٨/٥.
- ب ـ السيرة النبوية لابن هشام: ٥٨٤/١ ـ ٥٨٥.

(٣) في الأصل: بالكسوة.

اخرجوا منها ولكم ما حملت الإبل، إلا الحلقة»[1]، فأبى حيي أن يقبل: فلما رأى ذلك يامين[2] بن عمرو[3] وأبو سعيد بن وهب[4]، قال أحدهما لصاحبه: والله إنّا لنعلم أنّه رسول الله حقاً، فما ننتظر أن نُسلِم فنأمن على دمائنا وأموالنا؟ فنزلا من الليل وأسلما وأحرزا أموالهما... وذكر بقية الحديث.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني بعض آل يامين: أنّ رسول الله ﷺ قال ليامين: «**ألم تر ما لقيت من ابن عمّك عمرو بن جحاش وما همّ به من شأني؟**»، فجعل يامين لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش، فقتله فيما يزعمون. ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها، فمكّن الله من أعدائه فأجلاهم رسول الله ﷺ وخلّوا له الأموال يضعها حيث شاء[5].

فصل

في غزوة ذات الرقاع

أُعيي جمل جابر رضي الله عنه، وتقدم ما في ذلك من آياته ﷺ، وأنه نخس الجمل فنشط حتّى كان يسبق الإبل. وقوله ﷺ: «**بعنيه**» فباعه منه

(١) الحلقة: السلاح كله، أو خاص بالدروع.

(٢) يامين بن عمرو: في الاستيعاب وابن هشام: يامين بن عمير بن كعب بن عمرو بن جحاش من يهود بني النضير، أسلم على ماله فأحرزه وحسن إسلامه، وهو من كبار الصحابة، كنيته أبو لهب.

- الاستيعاب: ١٥٨٩/٤، تر: ٢٨٢٣.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام بن عمير، أبو كعب بن عمرو بن جحاش.

(٤) أبو سعيد بن وهب، وفي الاستيعاب، والإصابة، وأسد الغابة: أبو سعد بن وهب النضري إخوة قريظة قال ابن إسحاق: لم يسلم من بني النضير سوى رجلين: يامين بن عمرو بن كعب، وأبي سعد بن وهب، فأحرزا أموالهما.

- أ ـ الاستيعاب: ١٦٦٨/٤ ـ ١٦٦٩، تر: ٢٩٩٢.
- ب ـ الإصابة: ٨٧/٤، تر: ٥١٩.
- ج ـ أسد الغابة: ١٣٧/٥، تر: ٥٩٤٣.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ١٩٠/٢ ـ ١٩٢، وبينهما خلاف.

أوقية، فلما بلغوا المدينة أتاه جابر بالجمل، فقال له النبي ﷺ: **«يا ابن أخي، خذ برأس جملك، فهو لك»** ودعا بلالاً فقال: **«اذهب بجابر فأعطه أوقية»**.

قال أبو سعيد: أوقية من ذهب. قال: فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً. قال: فوالله ما زال ينمني عندنا ويرى مكانه من بيننا حتّى أصيب أمس فيما أصيب لنا ـ يعني يوم[1] الحرّة ـ.

فصل

قال أبو سعيد [النيسابوري][2]: قال محمد بن عمر الواقدي: حدّثني إبراهيم بن جعفر[3] عن أبيه قال: لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سعدى[4]، فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها، فرجع

---

(١) يوم الحرّة: يشير به إلى وقعة الحرّة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية في سنة ثلاث وستين [٦٣] وأمير الجيش من قبل يزيد مسلم بن عقبة المرّي، وسموه لقبح صنيعه «مسرفاً» قدم المدينة فنزل الحرّة، وخرج إليه أهل المدينة يحاربونه فكسرهم، وقتل من الموالي ثلاثة آلاف وخمسمائة، ومن الأنصار ألفاً وأربعمائة، وقيل ألفاً وسبعمائة، ومن قريش ألفاً وثلاث مائة، ودخل جنده المدينة فنهبوا الأموال، وسبوا الذّرية، واستباحوا الفروج، وحملت منهم ثلاثمائة حرّة، وولدن، وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرّة، ثم أحضر الأعيان لمبايعة يزيد بن معاوية، فلم يرض إلاّ أن يبايعوه على أنهم عبيد يزيد بن معاوية فمن تلكّأ أمر بضرب عنقه.

● معجم البلدان: ٢/٢٤٩.

(٢) في الأصل و(ر) ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) إبراهيم بن جعفر بن محمود، قال الخطابي: وأراه ابن محمد بن مسلمة أحد الرواة الذين روى عنهم الواقدي في كتاب المغازي.

● أ ـ كتاب المغازي للواقدي: ١/١٨٤، ٢/٧٩٩.

● ب ـ غريب الحديث للخطابي: ١/٥٧٦.

(٤) عمرو بن سعدى القرظي، امتنع أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ ونجا بنفسه، وقال فيه الرسول ﷺ: **«ذلك رجل نجّاه الله بوفائه»** فلم يقتل.

● السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٢٣٨.

إلى بني قريظة[١]، فيجدهم في الكنيسة في صلاتهم، فنفخ في بوقهم، فاجتمعوا.

فقال الزبير بن باطا[٢]: يا عمرو أين كنت؟ منذ اليوم لم نرك. وكان لا يفارق الكنيسة، وكان يتألّه في اليهودية. قال: رأيت اليوم في القوم عبراً فاعتبرت بهم، رأيت دياراً خالية خراباً بعد ذلك العزّ والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع، وقد تركوا أموالهم وتملكّها غيرهم، وخرجوا خروج ذل. لا والتّوراةِ، ما سُلّط هذا على قوم لله بهم حاجة.

وقد أوقع ذلك بابن الأشرف[٣]، وأوقع بابن سنينية[٤] سيّدهم، وأوقع ببني قينقاع[٥] فأجلاهم وهم جدّ يهود، وكانوا أهل عدّة وسلاح ونجدة،

---

(١) بنو قريظة: من قبائل يهود يثرب خانوا عهد رسول الله ﷺ، فأعمل فيهم السيف إلا من آمن أو استنكر خيانتهم فخرج عنهم، كعمرو بن سعدى.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٢٣٨/٢ ـ ٢٣٩.

(٢) الزبير بن باطا: أبو عبدالرحمٰن، من علماء يهود بني قريظة وزعمائهم البارزين، مَنَّ رسول الله ﷺ عليه بشفاعة علي بن ثابت بن قيس فيه، ولكنه لما علم بقتل زعماء قومه ورجالهم قال: ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فقال: ألحقوني بهم، فقدمه ثابت فضربت عنقه.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٢٤٢/٢.

(٣) ابن الأشرف: كعب بن الأشرف، كان رجلاً من طيّء، ثم أحد بني نبهان، كانت أمّه يهودية من بني النضير فدان باليهودية، فكان سيّداً في أخواله، فناله الخزي والقتل بسبب الخيانة، وتحريض قريش، وهجاء الرسول والمسلمين، فقتل وهو حديث عهد بعرس.
● أ ـ الأعلام: ٧٩/٦.
● ب ـ السيرة النبوية لابن هشام: ٥١/٢.

(٤) ابن سنينة: تاجر يهوديّ من يهود بني حارثة. كان يبايع سكان المدينة.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٥٨/٢.

(٥) بنو قينقاع: من قبائل يهود يثرب، حذّرهم رسول الله ﷺ نقض العهد الذي بينه وبينهم فكانوا أول يهود نقضوا العهد، فحاصرهم الرسول ﷺ خمس عشرة ليلة، ثم أجلاهم عن المدينة.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٤٧/٢ ـ ٤٨.

فحصرهم ولم يخرج منهم أحد حتّى سباهم، فكُلّم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب. يا قوم قد رأيتم ما رأيتم، فأطيعوني وتعالوا نتّبع محمداً، فوالله إنّكم لتعلمون أنّه نبي، وقد بشرنا به علماؤنا أبو عمير بن التيهان[1] وأبو حرّاش، هما أعلم يهود، جاءا من بيت المقدس يتوكفان قدومه، فأمرانا باتّباعه، وأمرانا أن نقرئه منهما السلام، ثم ماتا على دينهما ودفنّاهما بحرّتنا هذه. فأُسكِت القومُ فلم يتكلم منهم متكلم، فأعاد هذا الكلام ونحوه وخوّفهم بالحرب والسّبي والجلاء.

فقال الزبير بن باطا[2]: فوالتوراة، لقد قرأت صفته في كتاب ناطا في التوراة التي أنزلت على موسى بن عمران عليه السلام، ليست في المثاني التي أحدثنا.

قال: فقال كعب بن أسد: فما يمنعك يا أبا عبدالرحمٰن من اتباعه؟

قال: أنت.

قال كعب: ولم؟ والتّوراةِ ما حلت بينك وبينه قط؟

قال الزبير: أنت صاحب عهدنا وعقدنا، فإن اتّبعته اتّبعناك، وإن أبيت أبينا.

فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فقال: أما والتوراةِ التي أنزلت على موسى يوم طور سيناء[3] إنّه للعز والشرف في الدنيا وإنّه لعلى منهاج موسى، فأبى لهم كعب وأصرّ[4] على اليهودية.

---

(١) أبو عمير الهيبان: من أحبار اليهود جاء من الشام إلى المدينة رجاء أن يحضر هجرة الرسول ﷺ إليها فيؤمن به، وعند حضور وفاته أوصى اليهود باتّباعه وتصديق نبوته، ولكنهم لم يعملوا بنصيحته إلاّ رجلين استدركا الأمر في آخر لحظة فنفعهما إيمانهما برسول الله ﷺ وكانا من النّاجين.

● السيرة النبوية لابن هشام: ٢١٣/١ ـ ٢١٤.

(٢) في النسخ المعتمدة من الأنوار: ابن باطيا.

(٣) طور سيناء: جبل بقرب أيلة، وهو جبل أضيف إلى سينين.

● مراصد الاطلاع: ٨٩٦/٢.

(٤) في (ر): وأسرّ على اليهوذية ـ بالذال ـ.

فصل

١٩٤/ظ

وذكر أبو سعيد هنا عن الواقدي/ أنّ أبا سفيان اتفق بمكة [مع][1] رجل من العرب على غدر النبي ﷺ، فقيل له: هو في بني عبد الأشهل، فعقل راحلته ثم أقبل يؤم النبي ﷺ، فقال نبي الله ﷺ: **«إنّ هذا الرجل يريد غدراً، والله حائل بينه وبين ما يريد»**، فوقف[2] فقال: أيّكم ابن عبدالمطلب؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أنا ابن عبدالمطلب»**، فذهب يحنأ على[3] رسول الله ﷺ كأنه يُسارُّه، فجذبه أسيد بن حضير[4] فقال له: تنحّ عن رسول الله ﷺ، وجبذ بداخلة إزاره فإذا بخنجر، فقبض على الخنجر فقال: يا رسول الله، هذا غادر، فسُقِطَ في يد الأعرابي وقال: دمي يا محمد، فأخذ أسيد يلبّبه[5]. ثم قال رسول الله ﷺ: **«أصدقني ما أنت؟ وما أقدمك؟ فإن صدقتني نفعك الصدق، وإن كذَبتني فقد أطلعت على ما هممت به»**، قال الأعرابي: وأنا آمِنٌ؟ قال رسول الله ﷺ: **«قد أمّنتك، فاذهب حيث شئت، وخير لك من ذلك»**. قال: وما هو؟ [قال][1]: **«تشهد أن لا إلـه إلاّ الله وأنّي رسول الله»**.

قال: فإني أشهد أن لا إلـه إلاّ الله، وأنّك رسول الله، والله ما كنت أَفرَقُ الرجال، فما هو إلا أن رأيتك ذهب عقلي وضعفت نفسي، ثم أطلعت على ما هممتُ به مما سبقت به الركبان ولم يعلمه أحد، فعرفت أنّك ممنوع وأنّك على حق، وأنّ حزب أبي سفيان وأصحابه حزب الشيطان.

فجعل النبي ﷺ يتبسّم. وأقام أياماً، ثم استأذن النبي ﷺ فخرج من عنده فلم يسمع له بذكر.

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) في الأصل: فوافق.

(٣) في (د): يحنأ على رأس رسول الله ﷺ.

(٤) في (ر): أسيد بن حمير.

(٥) في (د): يلبيه، وفي (ر): بلبيد.

فصل

قال النيسابوري: روي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: جاء غليب بن زيد الحارثي[1] بثلاث بيضات من بيض النّعام، فقال: يا رسول الله، وجدتُ هذه البيضات في مفحص نعام. قال رسول الله ﷺ: **«دونك يا جابر هذه البيضات فاعملها»**. قال: فعملتهنّ ثم جئت بالبيض في قصعة وجعلت أطلب خبزاً فلا أجده، وجعل النبي ﷺ وأصحابه يأكلون من ذلك البيض من غير خبز. قال جابر: فرأيت النبي ﷺ قد أمسك يده، وأنا أظن أنه قد انتهى إلى حاجته، والبيض في القصعة كما هو، ثم قام رسول الله ﷺ وأكل منه عامة أصحابه ﷺ. وهذه من جملة آياته وعظيم بركاته ﷺ.



(١) غليب بن زيد الحارثي. لم أعثر على ترجمة له.

باب في ذكر غزوة الخندق وهي الأحزاب وما أظهر الله تعالى فيها من الآيات وعجائب المعجزات

قال البخاري: قال موسى بن عقبة[1] كانت في شوال سنة أربع[2].

قال ابن إسحاق: كانت في حفر الخندق أحاديث[3] فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسوله[4] وتحقيق نبوّته، عاين ذلك المسلمون.

فمن[5] ما رواه جابر رضي الله عنه: أنّه اشتدّت عليهم في بعض الخندق كدية فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على[6] الكدية. فيقول من حضر[7]: فوالذي بعثه بالحق نبياً لانهالت حتى عادت كالكثيب، ما[8] تردّ فاساً ولا مسحاة[9].

---

(١) موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي، كنيته أبو محمد، مولى آل الزبير بن العوام، كان بصيراً بالمغازي النبوية، وهو أوّل من ألف فيها. كان الإمام مالك إذا سئل: مغازي من نكتب؟ قال: عليكم بمغازي موسى بن عقبة فهو ثقة. توفي سنة ١٤١.
- أ ـ الجرح والتعديل: ١٥٤/٨ ـ ١٥٥، تر: ٦٩٣.
- ب ـ سير أعلام النبلاء: ١١٤/٦ ـ ١١٨، تر: ٣١.

(٢) صحيح البخاري: ج٥، ص١٣٧، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: بلغتني، فيها...

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: رسوله ﷺ.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: فكان مما بلغني أن جابر بن عبدالله كان يحدّث أنّه اشتدت.

(٦) في الأصل: إلى تلك الكدية.

(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: فيقول من حضرها.

(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: لا ترد.

(٩) السيرة النبوية لابن هشام: ٢١٨/٢ ـ ٢١٩.

قلت: وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال[1]: كنّا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة، فجاءها النبي ﷺ، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «**أنا نازل**» ثم قام وبطنه معصوب[2] بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام/ لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل[3]، فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق[4]، فذبحت العناق وطحنت الشّعير حتّى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي ﷺ[5].

١٩٥/و

وفي رواية أخرى للبخاري عن جابر قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصاً، فانكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت إليّ جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن، فذبحتها وطحنت[6]، ففرغت إلى فراغي وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجئته فساررته فقلت: يا رسول الله، ذبحنا بهيمة لنا وطحنت[7] صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ فقال: «**يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سُوراً**[8]، **فحي هلا بكم**» فقال رسول الله ﷺ: «**لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء**». فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس، حتى جئت امرأتي فقالت: بك بك، فقلت: قد فعلت الذي قلتِ، فأخرجت له عجيناً، فبسق[9] فيه وبارك فيه؛

---

(١) في صحيح البخاري: فقال: إنّا يوم الخندق.
(٢) في الأصل: معصوباً.
(٣) في صحيح البخاري: أهيل وأهيم، فقلت...
(٤) العناق ـ بالفتح ـ الأنثى من ولد المعز والجمع أعنق وعنوق.
(٥) صحيح البخاري: ج٥، ص١٣٨، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.
(٦) في صحيح البخاري: وطحنت الشعير ففرغت.
(٧) في صحيح البخاري: في رواية له: وطحنّا صاعاً.
(٨) في الأصل: سؤر.
(٩) في صحيح البخاري: فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال.

ثم عمد إلى برمتنا فبسق وبارك ثم قال: «**ادع خابزة فلتخبز معك**[(١)]، **واقدحي من برمتكم، ولا تنزلوها**» وهم ألف. فأقسم بالله، لأكلوا[(٢)] حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو[(٣)].

قلت: وقد تقدم هذا الحديث، وأعدناه في محله تبركاً بذكره. وقد قدمنا قصة بنت بشير بن سعد، وما جعل الله بركة في تمرها حتى شبع منه أهل الخندق، وكان يسيراً. قالت: فصببت التمر في كفي النبي ﷺ فما ملأتهما... الحديث.

قال ابن إسحاق: وحدثت عن سلمان الفارسي رضي الله عنه[(٤)] أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق فغَلُظَتْ عليَّ[(٥)] [و][(٦)]رسول الله ﷺ قريب مني، فلما رآني أضرب وشدة المكان علي[(٧)]، نزل فأخذ المعول من يدي فضرب ضربة لمعت تحت المعول برقة. قال: ثم ضرب به الثانية[(٨)] فلمعت تحته برقة أخرى. قال: ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى[(٩)]، فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيتُ لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: «**أوَقد رأيتَ ذلك يا سلمان؟**» قال: قلت: نعم، قال: «**أما الأولى: فإن الله تعالى فتح عليَّ بها اليمن، وأما الثانية: فإن الله فتح عليَّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة: فإن الله فتح عليَّ بها المشرق**»[(١٠)].

---

(١) في صحيح البخاري: فلتخبز معي.

(٢) في صحيح البخاري: فأقسم بالله لقد أكلوا.

(٣) صحيح البخاري: ج٥/١٣٩، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: بلا ترضية.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: عليّ صخرة.

(٦) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.

(٧) في ابن هشام: ورأى شدّة المكان عليّ.

(٨) في ابن هشام: ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت.

(٩) في ابن هشام: فلمعت تحته برقة أخرى. قال: قلت: بأبي.

(١٠) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٢١٩.

قلت: وأنزل الله تعالى في قصة الأحزاب وما اتصل بها من أمر بني قريظة وغدرهم، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾.... إلى قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾[1].

واختصار ذلك: أن رسول الله ﷺ لما أجلى بني النضير من موضعهم إلى خيبر، اجتمعت جماعة منهم ومن غيرهم من اليهود، وخرجوا إلى مكة وإلى بني أسد ومن أمكنهم من أهل نجد وتهامة فاستنفروهم إلى المدينة، واتصل خبرهم بالنبي ﷺ، فحفر الخندق حول المدينة وحصنها، فوردت[2] الأحزاب وحصروا المدينة، وكانت قريظة قد عاهدوا النبي ﷺ أن لا يلحقه منهم ضرر، فلما تمكن الحصار وداخلهم بنو النضير، غدروا ونقضوا العهد، وضاق الحال على المؤمنين، ونجم النفاق، وساءت ظنون قوم، ورسول الله ﷺ مع ذلك يبشر ويعد النصر، فألقى الله عزَّ وجلَّ الرعب في قلوب الكافرين وتخاذلوا/ ويئسوا من الظفر، وأرسل الله تعالى عليهم ريحاً [وجنوداً لم تروها، فالريح][3] هي الصبا، [والجنود][3] الملائكة تسدد ذلك الريح وتفعل نحو فعلها وتلقي الرعب في قلوب الكفرة، وهي الجنود التي لم تر. فارتحل الكفرة وانقلبوا خائبين، وأنزل الله عذابه ببني قريظة الغادرين.

١٩٦/ظ

قال ابن إسحاق وغيره: ولما انصرف أهل الخندق قال رسول الله ﷺ: «**لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم**»[4] فكان الأمر كما أخبر رسول الله ﷺ، فلم تغزهم قريش بعد ذلك. وكان هو يغزوها ﷺ، حتى فتح الله تعالى عليه مكة[5].

---

(١) الأحزاب: ٩ ـ ٢٧.
(٢) في الأصل: فورت.
(٣) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.
(٤) في الأصل: تغزوهم.
(٥) صحيح البخاري: ج٥، ص١٤١، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.

قال ابن عطية رحمه الله تعالى: روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن المؤمنين قالوا يوم الخندق: يا نبي الله، بلغت القلوب الحناجر، فهل من شيء نقوله[1]؟ قال: **«نعم، قولوا: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا»** فقالوها، فضرب الله به وجوه الكفرة بالريح فهزمهم.

ومن آياته العظيمة الباهرة: صِدْقُ وعده لنبيه فيما أنزله في قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾[2].

قال ابن عطية: قالت فرقة من العلماء: لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق أعلمهم بأنهم سيحصرون، وأمرهم بالاستعداد لذلك، وأعلمهم بأنهم سينصرون بعد ذلك.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[3].

فكان جميع ذلك كما أخبر الله ورسوله جعلنا الله من خيار أمته، وأماتنا على ملته ومنهج شريعته بفضله وكرمه.

ولما فرغ رسول الله ﷺ، من أمر الأحزاب، أقبل إلى بني قريظة فمر بنفر من أصحابه بالصورين[4] قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: **«هل مر بكم أحد؟»** فقالوا: يا رسول الله، قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها راحلة وعليها قطيفة ديباج، فقال رسول الله ﷺ: **«ذلك جبريل بُعث إلى قريظة، يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم»** فنزل عليهم رسول الله ﷺ، وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم قال لهم كعب بن أسد صاحب عقدهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني أعرض عليكم أمراً،

---

(١) في الأصل: فهل من شيء تقوله.
(٢) الأحزاب: ٢٢.
(٣) الأحزاب: ٢٢.
(٤) الصورين: موضع بالمدينة المنوّرة.
● مراصد الاطلاع: ٨٥٧.

قالوا: ما هو؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنوا على دمائكم وأموالكم وأولادكم ونسائكم، فقالوا: لا نفارق حكم التوراة[1]، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فحكّم فيهم سعد بن معاذ.

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعد القرظي فمر بمحمد بن مسلمة فعرفه، فقال: اللهم لا تحرمني عثرات الكرام، فخلى سبيله، فذهب فلم يدر أين يتوجه من الأرض. وكان عمرو هذا قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ، فذُكر لرسول الله ﷺ فقال: «**ذلك رجل نجّاه الله بوفائه**».

ثم إن سعد بن معاذ حكم في بني قريظة: أن تُقتل الرجال وتُقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبعة أرقعة**»[2]. ثم حبسهم في دار بنت الحارث[3]، ثم خندق لهم رسول الله ﷺ خنادق، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق. واصطفى نبي الله ﷺ لنفسه من نسائهم، ريحانة[4] فعرض عليها الإسلام فامتنعت، فعزلها ﷺ ووجد في نفسه لذلك من أمرها، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال: «**إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرني**

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٢٣٤ ـ ٢٣٥، وبينهما خلاف.

(٢) الأرقعة: السموات.

(٣) أمّ ثابت رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد الأنصارية، ذكر ابن إسحاق أن بني قريظة لما حكم فيهم سعد بن معاذ حبسوا في دار رملة بنت الحارث امرأة من الأنصار من بني النجار. وهي من المبايعات لرسول الله ﷺ.
- الإصابة: ٣/٣٠٥، تر: ٤٣٢.

(٤) ريحانة بنت شمعون بن زيد بن خنافة من بني قريظة، وقيل من بني النضير، سرية رسول الله ﷺ. لمّا أسلمت عرض عليها رسول الله ﷺ أن يعتقها ويتزوّجها ويضرب عليها الحجاب فقالت: يا رسول الله تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك، فتركها. وماتت قبل وفاة رسول الله ﷺ سنة عشر.
- أ ـ الإصابة: ٤/٣٠٩، تر: ٤٤٦.
- ب ـ الاستيعاب: ٤/١٨٤٧، تر: ٣٣٥٠.

۱۹۷/و **بإسلام ريحانة»** فجاءه/ فقال: يا رسول الله، قد أسلمت ريحانة، فسره ذلك من أمرها.

وفي بني قريظة أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ [وهي حصونهم][1] وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾[2].

[فضربت أعناقهم][2] وفيهم عدو الله حيي بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ست مائة أو سبع مائة، والمكثر يقول: كانوا بين الثماني[3] مائة والتسع مائة.

وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه يومَ حكم فيهم جريحاً، أصابه سهم فقطع منه الأكحل[4]، فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرحه ومات منه شهيداً.

قال الحسن البصري: وكان سعد رجلاً بادناً، فلما حمله الناس وجدوا له خفة، وقالوا: ما حملنا جنازة أخف منه، فقال النبي ﷺ: **«إن له حملة غيركم، والذي نفس محمد بيده، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش»**.

وروى ابن إسحاق بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما[5] قال: لما دفن سعد ونحن مع النبي ﷺ، سبح رسول الله فسبح الناس معه، ثم كبر فكبر الناس معه. فقالوا: يا رسول الله مم سبحت؟ قال: **«لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه»**.

قال ابن هشام: ومجاز هذا الحديث قول عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: **«إن للقبر لضمة لو كان أحد ناجياً منها لكان سعد بن معاذ»**[6].

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) الأحزاب: ٢٦.
(٣) في الأصل: الثمانين المائة والتسع المائة.
(٤) الأكحل: وريد في وسط الذراع يفصد أو يحقن.
(٥) في الأصل: رضي الله عنه.
(٦) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٢٥١ ـ ٢٥٢، بينهما خلاف.

قال السهيلي: وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، ما انتفعت بشيء منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر وضَمَّتَه. فقال لها: «**يا عائشة، إن ضغطة القبر على المؤمنين**» أو قال: «**ضمة القبر على المؤمنين كضمة الأم الشفيقة يديها على رأس ابنها يشكو إليها الصداع، وصوت منكر ونكير[1] كالأكحل في العين، ولكن يا عائشة، ويل للشاركين، أولئك الذين يُضغطون في قبورهم ضغط البيض على الصخر**». ذكره أبو سعيد ابن الأعرابي[2] في كتاب «المعجم»[3].

فصل

في ذكر إسلام عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد رضي الله عنهما

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيد[4] بن أبي حبيب عن راشد[5]

---

(١) في الأصل: منكر ونكر.

(٢) أبو سعيد بن الأعرابي: أحمد بن محمد بن زياد بن بشر درهم البصري، صحب الجنيد، وانتقل إلى الحجاز، فكان شيخ الحرم المكي، كان ثبتاً، عارفاً، عابداً ربانياً، مولده سنة ستّ وأربعين ومائتين [٢٤٦]، وتوفي بمكة في ذي القعدة سنة أربعين وثلاثمائة [٣٤٠].

● تذكرة الحفاظ: ٨٥٢/٣ ـ ٨٥٣، تر: ٨٣٠.

(٣) الروض الأنف: ٣٢٣/٦.

(٤) في الأصل، و(ر): يزيد بن حبيب.

● أبو رجاء الأزدي، ولد في خلافة معاوية بعد الخمسين، يُعتبر من صغار التابعين، وصفه الليث بن سعد بالسيد العالم، وقال فيه محمد بن سعد: بأنه ثقة كثير الحديث، توفي سنة ثمان وعشرين ومائة [١٢٨].

● أ ـ سير أعلام النبلاء: ٣١/٦ ـ ٣٣، تر: ١٠.

● ب ـ كتاب المغازي للواقدي: ٧٤٥/٢.

(٥) راشد مولى حبيب بن أوس، وقال بعضهم: ابن أبي أوس، ثقة يروى عنه المصريون.

● الجرح والتعديل: ٤٨٦/٣ ـ ٤٨٧، تر: ٢٢٠٠.

حبيب[1] بن أبي أوس الثقفي عن حبيب بن أبي أوس. قال: حدّثني عمرو بن العاصي من فيه قال: لما انصرفنا مع الأحزاب، عن الخندق، جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون منّي، فقلت لهم: تعلمون[2] والله إنّي أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإنّي قد رأيت أمراً، فما ترون فيه؟ قالوا: وما رأيت[3]؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجّاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنّا عند النّجاشي، فإنّا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير[4]، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فأجمعوا ما نهدي[5] له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم، فجمعنا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية[6]، فلو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، قال: مرحباً بصديقي، أهديت لي[7] من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم أيّها الملك، قد أهديت لك أدماً كثيراً قال: ثم قرّبته إليه فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك، إنّي قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدوّ لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنّهَ قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: «مه»[8] بغضب، ثم مدّ يده

---

(١) حبيب بن أبي أوس الثقفي، صحابي، شهد فتح مصر.
● الإصابة: ٣٠٤/١، تر: ١٥٦٦.
(٢) في النسخ المعتمدة: تعلموا والله.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: وماذا رأيت؟
(٤) في (ر): إلا خيراً.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: ما نهديه له.
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: عمرو بن أمية الضمري.
(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: إليّ.
(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: قال: فغضب ثم مدّ يده.

فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت[١]: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه النّاموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟ قال: قلت: أيها/ الملك، أكذا هو؟ قال: ويحك يا عمرو، أطعني واتّبعه، فإنّه والله لعلى الحقّ، وليَظهرنّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده. ١٩٨/ظ

قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عمّا كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي، ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد ـ وذلك قبيل الفتح ـ وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام الميسم[٢]، وإنّ الرجل لنبيٌّ، أذهب والله فأسلم، فحتّى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلاّ لأسلم. قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله، إنّي أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا[٣] أذكر وما تأخّر، قال: فقال رسول الله ﷺ: **«يا عمرو بايِعْ، فإنّ الإسلام يجُبُّ ما كان قبله، وأنّ الهجرة تجُبُّ ما كان قبلها»**. قال: فبايعته ثم انصرفت.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني من لا أتّهم، أنّ عثمان[٤] بن طلحة كان معهما، أسلم حين أسلما[٥].

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: قلت له.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: المنسم.

(٣) في الأصل: ولا أذكره.

(٤) عثمان بن أبي طلحة عبدالله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي العبدري القرشي. شهد فتح مكة. فدفع إليه رسول الله ﷺ وإلى أخيه شيبة مفاتيح الكعبة، وقال لهما: **«خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلاّ ظالم...»** توفي عثمان في أول خلافة معاوية سنة اثنتين وأربعين.

● الاستيعاب: ١٠٣٤/٣، تر: ١٧٧١.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٧٦/٢ ـ ٢٧٨.

قال أبو الربيع: وذكر غير ابن إسحاق: أنّ النبي ﷺ قال حين رآهم: «رمتكم [مكّة][1] بأفلاذ كبدها».

قال السّهيلي: وقول خالد[2] «قد استقام الميسم» من رواه الميسم بالياء فهو[3] العلامة، ومن رآه المنسم بفتح الميم وبالنون فمعناه: استقام الطريق ووجبت الهجرة.

والمنسم: مقدم خفّ البعير، وكنّي به عن الطريق للتّوجه به فيه[4]. وكان في كتاب النبي ﷺ إلى النّجاشي ما تكلّم به عمرو بن أمية الضمري، فإنّه لما قدم عليه به قال له: يا أصحمة إنّ عليّ القول وعليك الاستماع، إنّك كأنّك في الرّقة علينا منّا، وكأنّا[5] بالثقة بك منك، لأنّا لم نظن بك خيراً قط إلاّ نلناه، ولم نخفك على شيء قطّ إلاّ أمنّاه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، ألاّ يحيل بيننا وبينك شاهد لا يردّ وقاض لا يجور، وفي ذلك وقع الحزّ وإصابة المفصل، وإلاّ أنت[6] في هذا النبي الأميّ كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرّق النبي ﷺ رسله إلى النّاس فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على من خالفهم عليه، لخير سالف وأجر ينتظر.

فقال النجاشي: أشهد بالله أنّه النبي الأميّ الذي ينتظره أهل الكتاب، وأنّ بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل. وأنّ العيان له ليس بأشفى من الخبر[7]، ولكن أعواني من الجيش قليل، فأنظرني حتّى أكثر الأعوان وألّين القلوب[8].

---

(١) في (د) ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) في الروض الأنف: وقول خالد له.
(٣) في الروض الأنف: فهي العلامة
(٤) الروض الأنف: ٣٨٦/٦.
(٥) في (ر): وكنّا.
(٦) في الروض الأنف: وإلاّ فأنت في هذا.
(٧) في الروض الأنف: من الخبر عنه.
(٨) الروض الأنف: ٣٨٧/٦.

قلت: وقد قدمنا كثيراً من هذا المعنى، وسيأتي له إن شاء الله مزيد بيان.

وربما كررنا القضية لزيادة فائدة[1] وفوائد. وربّما كررناها زيادة في التّوثق، حتّى يثلج الصدر بثبوت القضية.

قال أبو الربيع: وحدّث الواقدي بإسناده له قال: قال عثمان بن طلحة: لقيني رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة فدعاني إلى الإسلام، فقلت: يا محمد، العجب لك حيث تطمع أن أتبعك[2]!! قد خالفت قومك، وجئت بدين محدث، ففرّقت جماعتهم وأُلفتهم، وأذهبت بهاءهم، فانصرف. وكنّا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين والخميس، فأقبل يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فغلظت عليه ونلت منه، وحلم عنّي، ثم قال: «**يا عثمان، لعلّك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي، أضعه حيث شئتُ**».

فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ وذلّت، فقال رسول الله ﷺ: «**بل عمرت وعزّت يومئذ**» ودخل الكعبة، فوقعت كلمته منّي موقعاً ظننت أنّ الأمر سيصير إلى ما قال، فأردت الإسلام، وإذا قومي يزبرونني زبراً شديداً ويزرون برأيي، فأمسكت عن ذكره. فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة جعلت قريش تشفق من رجوعه عليها، فهم على ما هم عليه حتّى جاء النفير إلى بدر، فخرجت فيمن خرج من قومنا، وشهدت المشاهد كلها معهم على رسول الله ﷺ، فلمّا دخل/ رسول الله ﷺ مكة عام القضية، غيّر الله قلبي عما كان عليه، ودخلني الإسلام، وجعلت أفكر فما نحن عليه وما نعبد من حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع، وأنظر إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وعزوف أنفسهم عن الدنيا، فيقع ذلك مني فأقول: ما عَمِلَ القومُ إلاّ على الثواب لما يكون بعد الموت. وجعلت أحبّ النظر

١٩٩/و

---

(١) في (د) و(ر): فائدة أو فوائد.

(٢) في (د): أن نتبعك.

إلى رسول الله ﷺ، إلى أن رأيته خارجاً من باب بني شيبة[1]، يريد منزله بالأبطح، فأردت أن آتيه وآخذ بيده وأسلّم عليه، فلم يعزم لي على ذلك، وانصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، ثم عزم لي على الخروج إليه، فأدلجت إلى بطن يأجج[2]، فألقى خالد بن الوليد فاصطحبنا حتّى نزلنا الهدّة[3]، فما شعرنا إلاّ بعمرو بن العاصي فانقمعنا منه وانقمع منا، ثم قال: أين يريد الرجلان؟ فأخبرناه، فقال: وأنا أريد الذي تريدان، فاصطحبنا جميعاً حتّى قدمنا المدينة، فبايعته على الإسلام، وأقمت حتّى خرجت معه في غزوة الفتح ودخل مكّة، فقال لي: «**يا عثمان، ائت بالمفتاح**» فأتيته به، فأخذه مني ثم دفعه إليّ وقال: «**خذها تالدة خالدة، لا ينزعها منكم إلاّ ظالم. يا عثمان، إنّ الله استأمنكم على بيته، فكلوا ما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف**».

قال عثمان: فلما ولّيت، ناداني، فرجعت إليه فقال: «**ألم يكن الذي قلت لك؟**» فذكرت قوله لي قبل الهجرة بمكة: «**لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت**»، قلت: بلى، أشهد أنك رسول الله.

قال الواقدي: فهذا أثبت الوجوه في إسلام عثمان بن طلحة رضي الله عنه وأرضاه.



---

(١) بنو شيبة: بطن من عبد الدار، من قريش، من العدنانية، وهم حجبة الكعبة المعروفون بني شيبة إلى الآن، وهم بنو شيبة بن عثمان بن طلحة بن عبد الدار.
- نهاية الأرب: ٢٨٣، رقم: ١١١٧.

(٢) بطن يأجج: البطن: الموضع الغامض من الوادي، والبطون كثيرة، منها: بطن يأجج: مكان على ثمانية أميال من مكة.
- مراصد الاطلاع: ١٤٧٠/٣.

(٣) الهدة: موضع بين مكة والطائف.
- مراصد الاطلاع: ١٤٥/٤.

باب في غزوة بني المصطلق(1) وهي المريسيع(2) وما اتفق فيها من الآيات

روى النّيسابوري بسنده عن الواقدي، عن جويرية بنت الحارث، رضي الله عنها، قالت: أتانا النبي ﷺ ونحن على المريسيع، فأسمع أبي يقول: أتانا ما لا قِبَلَ لنا به. قالت: فكنت أرى من الناس والخيل والسّلاح ما لا أصف من الكثرة.

فلمّا رجعنا وأسلم وتزوجني رسول الله ﷺ، جعلت أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى، فعرفت أنّه رعب من الله عزَّ وجلَّ يلقيه في قلوب المشركين.

وكان رجل منهم قد أسلم فحسن إسلامه يقول: لقد كنا نرى رجالاً بيضاً على خيل بلق، ما كنّا نراهم قبل ولا بعد.

وكان النبي ﷺ أمر أصحابه أن يحملوا عليهم، فحملوا حملة رجل واحد، فما(3) أفلت منهم إنسان، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم، وسبى النبي ﷺ النّساء والذّريّة والشاء، وما قتل من المسلمين إلا رجل واحد.



(1) بنو المصطلق بطن من خزاعة، من الأزد، من القحطانية، واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن عامر بن لحي.
- نهاية الأرب: ص٧٢.

(2) المريسيع: ماء من ناحية قديد إلى السّاحل.
- مراصد الاطلاع: ٣/١٢٦٣.

(3) في الأصل: قلمّا.

باب في عمرة الحديبية وذكر بعض ما كان فيها من الآيات

روينا في صحيح البخاري عن البراء بن عازب، رضي الله عنه [قال: أ][1] تعدّون أنتم الفتح فتح مكّة؟ وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرّضوان يوم الحديبية، كنّا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بير، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فجلس[2] على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضّأ، ثم مضمض ودعا، ثم صبّه فيها، فتركناها غير بعيد، ثمّ إنّها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا[3].

٢٠٠/ظ وذكر ابن إسحاق وغيره: أنّ النبي ﷺ/ لمّا بلغ ثنية[4] المرار بركت به ناقته، فقال الناس: خلأت[5] القصوى[6]، فقال النبي ﷺ: «**ما خلأت، وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، والذي نفسي[7] بيده، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألون[8] فيها صلة الرحم، إلا أعطيتهم إياها**». ثم قال للناس: «**انزلوا**» قالوا[9]: يا رسول الله، ما بالوادي

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) في صحيح البخاري: فأتاها فجلس.

(٣) صحيح البخاري: ١٥٦/٥، باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾.

(٤) ثنية المرار: الثنية في الأصل: كل عقبة مسلوكة في جبل، وثنية المرار: هي مهبط الحديبية، وبعضهم يشدد الياء، وبعضهم ينطق بها مخفّفة.
● مراصد الاطلاع: ١٢٥٠/٣.

(٥) خلأت: بركت ـ والخلاء في الإبل بمنزلة الجران في الدواب.

(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: فقالت النّاس: خلأت الناقة، قال: ما خلأت.

(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: «**والذي نفسي بيده**» غير وارد.

(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: يسألونني.

(٩) في السيرة النبوية لابن هشام: قيل له يا رسول الله: ما بالوادي ماء تنزل عليه.

ماء يُنزل عليه، فأخرج سهم من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه في جوفه، فجاش بالرّواء حتّى ضرب الناس عنه بعطن[1].

قال ابن إسحاق في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[2] قال: هو صلح الحديبية.

وقال ابن هشام: يعني خيبر[3].

قال الزّهري: فما فتح في الإسلام [فتح][4] قبل الحديبية كان أعظم منه، إنّما كان القتال حيث اتّقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها، وآمن[5] النّاس، وكلّم [النّاس][4] بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلّم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلاّ دخل فيه. فلقد دخل في تينك السّنتين مثل من كان دخل[6] في الإسلام قبل ذلك وأكثر.

قال ابن هشام: والدليل على قول الزّهري أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبدالله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف[7].

قال أبو الربيع: ذكر ابن عقبة عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية، كلّمه بعض أصحابه قالوا: جهدنا، وفي الناس ظهر، فانحره لنا لنأكل من لحمه وندهن من شحمه ونحتذي من جلده.

---

(١) العطن: مبرك الإبل حول الماء.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٣١٠/٢.
(٢) الفتح: ٢٧.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: [قال ابن هشام: يعني خيبر] هذه الجملة غير واردة.
(٤) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: وآمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا.
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.
(٧) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٢٢/٢.

قال عمر: لا تفعل يا رسول الله، فإنّ الناس إن يكن فيهم بقية ظهر أمثل.

فقال رسول الله ﷺ: «**ابسطوا أنطاعكم وعباءكم**» ففعلوا، ثم قال: «**من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره**» فدعا لهم فيه بالبركة ثم قال لهم: «**قرّبوا أوعيتكم**» فأخذوا ما شاؤوا.

قال السّهيلي: وفي الحديث من غير السيرة: أن المسلمين حين حلقوا ذلك اليوم وهم بالحلّ قد مُنِعوا أن يدخلوا[1] الحرم، وجاءت الريح فاحتملت شعورهم حتّى ألقتها في الحرم، فاستبشَروا بقبول الله عمرتهم. ذكره أبو عمر[2].



(١) في الأصل: أن يدخل.

(٢) الروض الأنف: ٦/٤٩٣ ـ ٤٩٤، ويقصد بأبي عمر، هو ابن عبدالبر.

باب في ذكر ما وقع من الآيات في غزوة خيبر

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً، وكان إذا أتى قوماً ليلاً لم يقربهم حتّى يصبح. فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلمّا رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر**[١] **خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**»[٢].

قلت: فكان الأمر كما أخبر ﷺ.

قال أبو الربيع: ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية [مكث بها][٣] ذا الحجة منسلَخ سنة ستّ، وبعضَ المحرّم من سنة سبع، ثم خرج في بقية منه إلى خيبر غازياً، وكان الله وعده إياها وهو بالحديبية بقوله عزّ من قائل: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا [فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ[٤]][٥]﴾ [الآية] يعني بالمعجل، صلح الحديبية والمغانم الموعد بها فتح خيبر.

فخرج إليها رسول الله ﷺ مستنجزاً وعد ربّه سبحانه، واثقاً بكفايته.

قال ابن إسحاق: فسار ﷺ بجيشه حتّى نزل بواد يقال له الرّجيع،

---

(١) في صحيح البخاري: جملة «الله أكبر» غير واردة.

(٢) صحيح البخاري: ١٦٧/٥، باب غزوة خيبر.

(٣) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) الفتح: ٢٠.

(٥) في (د) و(ر) ما بين الحاصرتين ساقط.

فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدّوا أهل خيبر. وكانوا لهم مظاهرين، فبلغني أنّ غطفان لمّا سمعت بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر، جمعوا له ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه، حتّى إذا ساروا منقلة[1] سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسّاً ظنّوا أنّ القوم قد خالفوا/ إليهم، فرجعوا على أعقابهم، وأقاموا في أهليهم وأموالهم، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وبين أهل خيبر، وتدنّى[2] رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتحها حصناً حصناً.

٢٠١/و

قال: وشكا إليه ﷺ بعض أصحابه وقالوا: جهدنا يا رسول الله، فقال: **«اللهم إنّك قد عرفت حالهم، وأن ليست لهم قوة، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها غنى وأكثرها طعاماً وودكاً»**.

فغدا الناس ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه[3].

وحدّث النيسابوري بسنده عن الواقدي بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: وجدنا ـ والله ـ في حصن الصّعب من الأطعمة ما لم نكن نظنّ أنّه هنالك، من الشعير والتمر والسّمن والعسل والودك، ونادى منادي رسول الله ﷺ: **«كلوا وأعلفوا ولا تحملوا»** يقول: لا تخرجوا به إلى بلادكم. ووجد فيه من البزّ والآنية، يعني شيئاً كثيراً.

قال: وأخرجنا منه غنماً كثيراً وبقراً وحمراً، وأخرجنا منه آلة كثيرة للحرب ومنجنيقاً وعرّادات وعدّة. ظن اليهود أنّ الحصار يكون دهراً فجعل الله عزّ وجلّ خزيهم.

---

(١) منقلة: مرحلة.

(٢) تدنّى: أخذ الأدنى فالأدنى.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٣٣٠ ـ ٣٣٢، وبينهما خلاف.

وروى عبدالحميد عن أبيه عن جدّه: لقد أخرج من حصن الصّعب من البزّ عشرون عكماً[١] مخزومة من غليظ متاع اليمن، وألف[٢] وخمسمائة قطيفة[٣] كان يقال: ما بقي من المسلمين أحد إلاّ أخذ قطيفة[٣] قدم بها على أهله.

وذكر الواقدي: أنّ النبي ﷺ: أتي بمسك جمل ـ يعني جلد جمل[٤] ـ فإذا جلّه أسورة ذهب ودمالج الذهب وخلاخل الذّهب وقرضة الذهب، ونظم من جوهر وزمرّد، وخواتم من ذهب.

وروي: أنّه ﷺ لمّا صالح أهل الكثيبة أرسل إلى الأموال والمتاع والحلقة فقبضها، فوجد من الدّروع مائة درع، ومن السيوف أربعمائة سيف، وألف رمح، وخمسمائة قوس عربية بجعابها، يعني هذا من الكثيبة وحدها.

وذكر النّيسابوري: أنّ النبي ﷺ حاصر حصناً لهم يقال له البراز، فقاتلوا[٥] أشدّ القتال، حتّى أصاب النبل ثياب رسول الله ﷺ وعلقت به، فأخذ النبل فجمعه ثم أخذ لهم كفاً من حصباء فحصب به حصنهم، فرُجف الحصن بهم ثم ساخ في الأرض، فجاء المسلمون فأخذوا أهله أخذاً.

قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز انتهوا إلى حصنيهم[٦]: الوطيح والسّلالم، وكانا آخر حصون خيبر افتتاحاً، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة.

---

(١) العكم: العدل والثوب ما دام فيها المتاع.
● المعجم الوسيط، مادة: عكم.
(٢) في الأصل و(د): وألفاً.
(٣) في الأصل: قطيعة.
(٤) في (ر): جلد الجمل.
(٥) في الأصل: فقالوا.
(٦) في النسخ المعتمدة من الأنوار: إلى حصنهم.

قال جابر رضي الله عنه: فخرج مرحب اليهودي من حصنهم يرتجز ويقول [من الرجز]:

قد علمَتْ خيبرُ أنّي مرحبُ شاكي[1] السّلاح بطل مجرّب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب

فقال رسول الله ﷺ: **«من لهذا؟»** فقال محمد بن مسلمة: أنا والله، قال: **«فقم إليه. اللّهم أعنه عليه»** فقام إليه، فحمل مرحب على محمد بن مسلمة فضربه، فاتّقاه بالدّرقة، فوقع سيفه فيها فعضّت به فأمسكته، وضربه محمد بن مسلمة حتّى قتله. ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يقول: من مبارز؟ فخرج إليه الزّبير بن العوّام رضي الله عنه، فقالت أمّه صفية بنت عبدالمطلب: يقتل ابني يا رسول الله، قال: **«بل ابنكِ يقتله إن شاء الله»**، فخرج الزّبير فالتقيا جميعاً فقتله الزّبير، وبعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه برايته إلى بعض حصون خيبر [فقاتل ورجع ولم يك فَتْحٌ، وقد جهد][2]، ثم بعث من الغد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقاتل ثم رجع ولم يك فتح وقد/ جهد، فقال نبي الله ﷺ: **«لأعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورسولَه، يفتح الله على يديه، ليس بفرّار»**.

٢٠٢/ظ

قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله ﷺ عليًا وهو أرمد، فتفل في عينيه ثم قال: **«خذ هذه الراية فامض بها حتّى يفتح الله عليك»**. قال: فخرج بها يهرول، ونحن خلفه نتبع أثره، حتّى ركّز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن، قال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: يقول اليهودي: علوتم وما أُنزِل على موسى، أو كما قال. قال: فما رجع حتّى فتح الله على يديه.

(١) في الأصل و(ر): شاك السلاح. وفي (د): شك السلاح.

(٢) في (د) ما بين الحاصرتين ساقط.

وعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع علي رضي الله عنه حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول عليّ باباً عند الحصن فترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتّى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه[١].

قلت: وهكذا حكاه أبو الربيع والنيسابوري، وروينا في صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع الطويل. قال رضي الله عنه: ثم أرسلني رسول الله ﷺ إلى علي [ابن أبي طالب][٢] رضي الله عنه[٣] وهو أرمد، فقال: «**لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله**». قال: فأتيت علياً فجئت به أقوده وهو أرمد، حتّى أتيت رسول الله ﷺ، فبصق في عينيه فبرىء[٤]، وأعطاه الرّاية. وخرج مرحب مالك خيبر فقال:

قد علمت خيبر أنّي مرحب شاكي[٥] السّلاح بطل مجرّب
إذا الحروب أقبلت تلهّب

فقال علي بن أبي[٦] طالب رضي الله عنه:

أنا الذي سمّتني أمي حيدرة[٧] كليث غابات كريه المنظرة

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٣٣٢ ـ ٣٣٥، وبينهما خلاف.
(٢) في (د) و(ر) ما بين الحاصرتين ساقط.
(٣) في صحيح مسلم: بدون ترضية.
(٤) في صحيح مسلم: فبرأ. وفي (د): فبسق ـ بالسين ـ.
(٥) في الأصل و(ر): شاكُ السلاح.
(٦) في الأصل و(ر): «ابن أبي طالب رضي الله عنه» ناقص.
(٧) حيدرة: اسم للأسد، وكان علي سمي أسداً عند ولادته. وسمي الأسد حيدرة لغلظه، والحادر: الغليظ القوي.

أو فيهم بالصّاع كيل السّندرة[1]

قال: فضرب رأس مرحب فقتله. وكان الفتح على يديه[2].

روينا في صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: **«لأعطينّ هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»**. قال: فبات الناس يذكرون ليلتهم أيّهم يعطاها؟ فلما أصبح غدوا على رسول الله كلّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: **«أين علي بن أبي طالب؟»** رضي الله عنه[3]، فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: **«فأرسِلوا إليه»** فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرىء[4] حتّى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا؟ فقال: **«انفِذْ[5] على رسلك حتّى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله[6]. فواللَّهِ، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»**[7].

وذكر النيسابوري حديث البخاري، وزاد أنّ علياً رضي الله عنه شكا إلى النبي ﷺ شدّة الحرّ والقر، لقلة لباسه، فقال نبي الله ﷺ: **«اللهم لا يشتكي حرًا ولا قرًا»**.

---

(١) كتب على الهامش من الأصل: أضرب بالسيف رقاب الكفرة، كذا ذكره ابن هشام في شرحه لابن درد وسمّته أمه أسد باسم جدّه لأنها فاطمة بنت أسد، وحيدرة بمعنى أسد. والسندرة: مكيال واسع، وقيل، مأخوذ من السندرة وهي شجرة الصنوبر يعمل منها النبل والقسي.

(٢) صحيح مسلم: ١٤٤١/٣، رقم: ١٨٠٧، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها.

(٣) في صحيح البخاري: بلا ترضية.

(٤) في صحيح البخاري: فبرأ.

(٥) في صحيح البخاري: انفذ.

(٦) صحيح البخاري: من حق الله فيه.

(٧) صحيح البخاري: ١٧١/٥، باب غزوة خيبر.

قال علي رضي الله عنه: فما وجدت حرّاً ولا قرّاً حتّى كان يومي هذا.

وذكر الواقدي أنّ اليهود لما أيقنوا بالهلكة بعثوا ابن أبي الحقيق إلى النبي ﷺ: أن يصالحهم على حقن دمائهم وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر بذراريهم، ويخلُّون بينه ﷺ وبين ما كان لهم، من مال وأرض، وعلى الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة، وعلى البزّ إلاّ ثوباً على ظهر إنسان[1]، فقال رسول الله ﷺ: **«وبرئت ذمّة الله وذمّة رسوله ﷺ إن كتمتموني شيئاً»** فصالحوه على ذلك.

٢٠٣/و /وكذا روى مقسم[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صالح رسول الله ﷺ أهل خيبر على كل صفراء وبيضاء، وعلى كلّ شيء إلاّ أنفسهم وذراريهم. قال: فأتي بالربيع وكنانة ابني أبي الحقيق، وأحدهما عروس بصفية، فلما أتي بهما قال: **«أين آنيتكما التي كانت تستعار في أعراس المدينة؟»** قالا: أخرجْتَنا وأجليْتَنا فأنفقناها، فقال ـ يعني لبعض أصحابه ـ: **«اذهب إلى مكان كذا وكذا، إلى نخل كذا كذا فانظر نخلة في رأسها رقعة، فانزع الرقعة»** ففعل، فاستخرج ما أخفياه. قال: فقدمهما رسول الله ﷺ فضرب أعناقهما. وقد تقدم هذا الحديث.

قال ابن إسحاق: وكان من حديث الأسود الراعي ـ واسمه أسلم[3] ـ: أنه أتى النبي ﷺ وهو محاصر لبعض حصون[4] خيبر ومعه غنم كان فيها أجيراً لرجل من اليهود، فقال: يا رسول الله، اعرض عليّ الإسلام، فعرضه عليه فأسلم، فلما أسلم قال: يا رسول الله، إنّي كنت أجيراً لصاحب هذا

---

(١) في (د): الإنسان.

(٢) مقسم: مولى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وهو مقسم بن بحيرة أبو القاسم ـ صالح الحديث لا بأس به.

● الجرح والتعديل: ٨/٤١٤، تر: ١٨٨٩.

(٣) أبو سلمى أسلم الراعي الأسود، استشهد بخيبر.

● أسد الغابة: ١/٢١٤، تر: ١١٦.

(٤) في الأصل: الحصون.

الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها؟ قال: **«اضرب وجوهها، فإنها سترجع إلى ربّها»** أو كما قال.

فقام الأسود فأخذ حفنة من الحصباء فرماها في وجوهها وقال: ارجعي إلى صاحبك، فوالله لا أصحبك. وخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتّى دخلت الحصن، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله وما صلّى صلاة قط، فأُتي به رسول الله ﷺ فوضعه خلفه، وسجّي بشملة كانت عليه، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه، ثم أعرض عنه فقالوا: يا رسول الله، لم أعرضت عنه؟ فقال: **«إنّ معه الآن زوجتيه من الحور العين»**.

قال ابن إسحاق: أخبرني عبدالله بن أبي نجيح أنّه ذكر له أنّ الشهيد إذا ما أصيب نزلت زوجتاه عليه من الحور العين، تنفضان التّراب عن وجهه وتقولان: ترّب الله وجه من ترّبك، وقتل من قتلك[١].

فصل

ذكر النيسابوري عن موسى بن عقبة قال: أخبرني ابن شهاب... فذكر حديثاً: أنّ بني فزارة[٢] سألوا النبي ﷺ أن يعطيهم من مغانم خيبر، قالوا: وإن لم تعطنا قاتلناك، فقال لهم ﷺ: **«موعدكم خيفاء، ماء من مياه بني فزارة»**، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ رجعوا هاربين.

فرُوي عن رجل منهم قد أسلم فحسُن إسلامه، قال: لمّا نفرنا إلى أهلنا بخيفاء مع عيينة[٣] بن حصن، فلمّا كنّا بمكان يقال له: الخطام،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٥٨/٢ ـ ٣٥٩، وبينهما خلاف.

(٢) بطن من ذبيان، من غطفان، من القحطانية، وهم بنو فزارة بن ذبيان.
● نهاية الأرب: ٣٥٢، رقم: ١٤٤٠.

(٣) أبو مالك عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، أسلم بعد الفتح، وقيل قبله وهو من المؤلفة قلوبهم، وكان من الأعراب الجفاة، دخل على النبي ﷺ وعنده أمّ المؤمنين عائشة، فقال: من هذه؟ ـ وذلك قبل أن ينزل الحجاب ـ قال: **«هذه عائشة»**.

عَرَّسْنا من الليل ففزعنا، فقال عيينة: أبشروا، إنّه أرى[1] الليلة في النوم أنّي أعطيت ذا الرّقيبة ـ جبلاً بخيبر ـ وقد والله أخذت برقبة محمد. قال: فقدمنا خيبر فوجدنا رسول الله ﷺ قد فتحها وغنّمه الله ما فيها، فقال عيينة: أعطني ممّا غنمت من حلفائي، فإنّي انصرفت عنك وعن قتالك، ورجعت عنك بأربعة آلاف مقاتل.

فقال له رسول الله ﷺ: **«كذبت، ولكن الصياح الذي سمعت أنفرك إلى أهلك»** قال: أجزني، قال: **«لك ذو الرّقيبة»**[2] قال عيينة: ما ذو الرّقيبة؟ قال: **«الجبل الذي رأيت في النوم أنك أخذته»** فانصرف عيينة.

وهذه من عظيم آياته ﷺ. وقد تبيّن لك أن هذه القصص مشتملة على عظيم بركاته وباهر آياته، وإن لم ننصّ على كل فرد من أفرادها.

ولمّا رجع عيينة إلى أهله جاءه ابن عوف ـ يعني رجلاً من قومه ـ فقال له: ألم أقل لك: إنّك توضع في غير شيء؟ والله ليظهرنّ محمد على ما بين المشرق والمغرب، يهود كانوا يخبروننا بهذا، وقد سمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول: إنّا نحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بني هارون، وهو نبي مرسل، ويهود لا تطاوعني على هذا، ولنا منه ذبحان: واحد بيثرب وآخر بخيبر.

قيل لسلام: أيملك الأرض جميعاً؟/ قال: نعم والتّوراةِ التي نزلت على موسى، وما أحبّ أن تعلم يهود بقولي فيه. ٢٠٤/ظ

= قال: أفلا أنزل لك عن أمّ المؤمنين فتنكحها! فغضبت عائشة وقالت: من هذا؟ قال رسول الله ﷺ: **«هذا أحمق مطاع»** يعني في قومه.

تزوّج عثمان بن عفان ابنته، فدخل عليه يوماً فأغلظ له، فقال له عثمان: لو كان عمر ما أقدمت عليه بهذا. فقال: إنّ عمر أعطانا فأغنانا، وأخشانا فأتقانا.

● الاستيعاب: ١٢٤٩/٣، تر: ٢٠٥٥.

(١) في (د): إنّي أرى الليلة في النوم، وفي (ر): إني أرى ليلة في النوم.

(٢) في الأصل: ذا الرقيبة.
وذو الرقيبة: جبل مطلّ على خيبر.

● مراصد الاطلاع: ٦٢٦/٢.

 باب في غزوة مؤتة من أرض الشام وما فيها من عظيم الآيات

روى البخاري بسنده عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: أمّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «**إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة**».

قال عبدالله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه[1] فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية.

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه: أنّ النبي ﷺ، نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للنّاس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «**أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها[2] جعفر فأصيب، ثم أخذها[3] ابن رواحة فأصيب**» وعيناه[4] تذرفان «**حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتّى فتح الله عليهم**»[5]. ويعني بسيف الله: خالد بن الوليد رضي الله عنه.

وروى البخاري [رضي الله عنه][6] عن خالد بن الوليد رضي الله عنه، قال: لقد[7] انقطع في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي[8] في يدي إلاّ صفيحة يمانية[9].

---

(١) في صحيح البخاري: بلا ترضية.
(٢) في صحيح البخاري: ثم أخذ جعفر.
(٣) في صحيح البخاري: ثم أخذ ابن رواحة.
(٤) في الأصل: وعينه.
(٥) صحيح البخاري: ٥/١٨٢، باب غزوة مؤتة من أرض الشام.
(٦) في (د) و(ر) ما بين الحاصرتين ساقط.
(٧) في صحيح البخاري: قال: سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد دقّ في يده.
(٨) في صحيح البخاري: وصبرت في يدي صفيحة لي يمانية.
(٩) صحيح البخاري: ٥/١٨٣، باب غزوة مؤتة من أرض الشام.

قال أبو سعيد النيسابوري: قال العطّاف[1] بن خالد: لمّا أخذ خالد بن الوليد الراية عند مقتل ابن رواحة، بات تلك الليلة، فلما أصبح غداً، وقد جعل مقدّمته ساقةً، وساقتَه مقدمةً، وميمنتَه ميسرةً وميسرتَه ميمنةً، فأنكر الرّوم ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم، وقالوا: قد جاءهم مدد، فرعبوا وانكشفوا منهزمين، فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم قط.

وذكر عن عروة بن الزّبير نحوه، قال: فاصطلح الناس على خالد فهزم الله العدو.

وذكر عن جابر: أنّ المسلمين غنموا بعض أمتعة المشركين.

وذكر عن عوف بن مالك أنّه قال: كان يومئذ رجل من الرّوم يشتدّ على المسلمين، وهو على فرس أشقر، عليه سلاح مذهّب، وكان معنا رجل حميري، فلما رآه الحميريّ وما يفعل بالمسلمين كمن له خلف صخرة، فلما مرّ به الرّومي خرج عليه فعرقب فرسَه، فقعد الفرس على رجليه وخرّ عنه العلج، وشدّ عليه فعلاه بالسيف حتّى قتله.

وقال خزيمة[2] بن ثابت: حضرت مؤتة فبارزني رجل منهم فأصبته، وعليه بيضة له فيها ياقوتة، فأخذتها، فلما رجعنا إلى المدينة، أتيت بها النبي ﷺ، فنفلنيها، فبعتها زمان عثمان[3] بن عفان بمائة دينار فاشتريت بها حديقة لبني[4] خطمة.

---

(١) أبو صفوان العطاف بن خالد بن عبدالله بن العاص بن وابصة المخزومي المدني أحد الثقات، ولد سنة إحدى وتسعين، وموته قريب من وفاة مالك [١٧٩].
- سير أعلام النبلاء: ٨/٢٧٣ ـ ٢٧٤، تر: ٦٦.

(٢) أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمي الأنصاري الأوسي، يعرف بذي الشهادتين، جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وكانت راية خطمة بيده يوم الفتح. وكان مع علي يوم صفين، فقاتل حتّى قتل سنة سبع وثلاثين [٣٧] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقتل عماراً الفئة الباغية**».
- الاستيعاب: ٢/٤٤٨، تر: ٦٦٥.

(٣) في (ر): زمان عثمان بمائة دينار.

(٤) في (د): حديقة بن خطمة.

قلت: ولم ينقل ابن إسحاق هذا الذي حكاه العطّاف، ولكن قوله في الصحيح: حتّى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتّى فتح الله عليهم، وأنّ قطع تسعة أسياف، يقوي ما حكاه النيسابوري، والله أعلم. ولو لم يكن من الفتح إلاّ قتل رئيس الكفار مالك بن رافلة[1] لكان من أعظم الفتح، فكيف بقتل من سواه.

قال ابن إسحاق: وكان على ميمنة المسلمين قطبة بن قتادة[2]، رضي الله عنه، فحمل على مالك بن رافلة فقتله، فقال قطبة بن قتادة [المتقارب]:

طعنت ابن رافلة بن الإرا ... ش برمح مضى فيه ثم انحطم[3]
ضربت على جيده ضربة ... فمال كما مال غصن السّلم[4]
وسقنا نساء بني عمّه ... غداة رقوقين[5] سوق النّعم

قال ابن إسحاق: وقد كانت كاهنة من حدس[6]، حين سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلاً، قالت لقومها من حدس، وقومها بطن يقال لهم بنو غنم [من الرجز]:

٢٠٥/و

أنذركم قوماً خزراً ... ينظرون شزراً/
ويقودون الخيل تترى ... ويهريقون[7] دماء عكرا

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: مالك بن زافلة. وفي الأصل: ملك.
(٢) قطبة بن قتادة العذري... روى كعب بن مالك عن نفر من قومه قال: لما انكشف الناس، جعل قطبة بن قتادة يصيح: يا قوم يقتل الرجل مقبلاً خير من أن يقتل مدبراً.
● الإصابة: ٢٣٨/٣، تر: ٧١٢١.
(٣) انخطم: انكسر.
(٤) السّلم: شجرة العضاه الواحدة سلمة.
(٥) رقوقين: اسم مكان.
(٦) حدس: قبيلة من لخم: ولخم: قبيلة من اليمن من القحطانية.
● نهاية الأرب: ٣١٢، رقم: ٧٦٧.
(٧) في الأصل، و(د): يهرقون.

فأخذوا بقولها واعتزلوا من بين لخم، فلم تزل بعد أثرى حدس.

وكان الذين صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة، بطن من حدس، فلم يزالوا قليلاً بعد[١].

قال السّهيلي: ومؤتة[٢] ـ بهمز الواو ـ وهي قرية من أرض البلقاء، من الشام.

وأمّا الموتة بلا همز فضرب من الجنون[٣].

وقال ابن شهاب: فأخذ خالد الراية حتّى فتح الله على المسلمَين، فأخبر أنه قد كان فتح.

وشعر قطبة يدلّ على أنّه قد كان ثَمّ ظفرٌ ومغنم، لقوله:

وسقنا نساء بني عمّه … غداة رقوقين سوق النعم

وفي هذا الشعر أنّه قتل رئيساً منهم مالك بن رافلة[٤]. انتهى كلام السّهيلي.

قال ابن إسحاق وغيره: وكان جيش المسلمين ثلاثة آلاف، وكان هرقل في مائة ألف من الرّوم. وانضم إليه المستعربة من لخم[٥] وجذام، والقين، وبهرا[٦]، وبليّ[٧] في مائة ألف، عليهم رجل من بليّ، ثم أحد

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٣٨١ ـ ٣٨٢، بينهما خلاف.

(٢) في الروض الأنف: غزوة مؤتة وهي مهموزة الواو.

(٣) الروض الأنف: ٧/٣١.

(٤) الروض الأنف: ٧/٤١.

(٥) بنو لخم: قبيلة من كهلان، ولخم أخو جذام عمّ كندة، وكان للخميين ملك بالحيرة من العراق، وكان لبقاياهم ملك بإشبيلية من الأندلس، وهي دولة بني عباد.
- نهاية الأرب: ٣٦٧، رقم: ٣٦٧.

(٦) بنو بهراء: بطن من قضاعة من القحطانية، ومن بهراء جماعة من الصحابة، منهم المقداد بن الأسود.
- نهاية الأرب: ١٧٢، رقم: ٦٠٧.

(٧) بنو بليّ: بطن من قضاعة، من القحطانية، وهم بنو بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاعة، ومنهم جماعة من الصحابة المشاهير، منهم كعب بن عجرة، وسهل بن رافع، وأبو بردة بن نيار.
- نهاية الأرب: ١٧٠، رقم: ٦٠١.

إراشة، يقال له مالك بن رافلة[١].

قلت: وقتل من المسلمين نحو ثمانية، والمكثر يقول نحو اثني عشر[٢].

قال أبو الربيع: وذكر ابن عقبة رضي الله عنه[٣] أنّ النبي ﷺ قال بالمدينة لما أصيب الأمراء قبل أن يأتيه نعيهم: «**مرّ عليَّ، جعفر بن أبي طالب في الملائكة، يطير كما يطيرون له جناحان**».

قال: وقدم يعلى بن أمية على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة، فقال له رسول الله ﷺ: «**إن شئت فأخبرني وإن شئت فأخبرتك**» قال: فأخبرني يا رسول الله، فأخبره ﷺ خبرهم كلّه، ووصفه له، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره، وإنّ أمرهم لكما ذكرت، فقال ﷺ: «**إنّ الله تعالى رفع لي الأرض حتّى رأيت معتركهم**».

قال ابن إسحاق: وحدّثت أسماء بنت عميس امرأة جعفر، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه، دخل عليّ رسول الله ﷺ فقال: «**ائتني ببني جعفر**» فأتيته بهم، فشمّهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت[٤] ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «**نعم. أصيبوا هذا اليوم**». قالت: فقمت أصيح، واجتمع[٥] إليّ النّساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: «**لا تغفلوا[٦] عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنّهم قد شغلوا بأمر صاحبهم**»[٧].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٣٧٣ ـ ٣٧٥، بينهما خلاف.
(٢) في (ر): نحو عشرة.
(٣) في (د) و(ر): بلا ترضية.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: بأبي أنت وأمّي.
(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: واجتمعت إليّ النّساء.
(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: لا تغفلوا آل جعفر.
(٧) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٣٨٠ ـ ٣٨١، وبينهما خلاف.

وكان ممّا بُكي به أصحاب مؤتة[1] قول حسّان بن ثابت [رضي الله عنه][2] [من الطويل]:

تأوّبني ليلٌ بيثربَ أعسرُ ... وهمٌّ إذا ما نوّم الناس مُسْهِرُ
لذكرى حبيب هيّجَتْ لي عَبْرَةً[3] ... سَفوحاً وأسباب البكاء التّذكرُ
بلى[4] إنّ فقدان الحبيب بليةٌ ... وكم من كريم يُبتلى ثم يصبرُ
رأيت خيار المؤمنين تواردوا ... شعوباً وخلفاً بعدهم يتأخّرُ[5]
فلا يبعدنّ الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفرُ
وزيد وعبدالله حين تتابعوا ... جميعاً وأسبابُ المنيّة تخطرُ
غداةَ مَضَوْا[6] بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمونُ النقيبة أزهرُ
أغرُّ كضوء[7] البدر من آل هاشم ... أبيٌّ إذا سيم الظّلامة مجسرُ
فطاعن حتّى مال[8] غير موسّد ... بمعترك فيه قَناً[9] متكسّرُ
فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنانٌ وملتفُّ الحدائق أخضرُ
وكنّا نرى في جعفر من محمّد ... وفاءً وأمراً حازماً حين يأمرُ/ ٢٠٦/ظ
وما زال[10] في الإسلام من آل هاشم ... دعائمُ عزٍّ لا يَزُلْنَ[11] ومَفْخَرُ

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قول.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام، والأصل: بلا ترضية.
(٣) في ديوان حسّان: هيجت ثم عبرة.
(٤) في الأصل: على أنّ... وفي ديوان حسان: بلاء وفقدان.
(٥) في ديوان حسان: ورد عجز هذا البيت: شعوب وقد خلّفت فيمن يؤخّر.
والشّعوب: اسم للمنية، وهو بفتح الشين.
(٦) في الديوان: غداة غدوْا...
(٧) في الديوان: أغرّ كلون البدر...
(٨) في الديوان: فطاعن حتّى مات...
(٩) في الديوان: فيه القنا يتكسّر.
(١٠) في الديوان: فما زال، وكذا في السيرة النبوية لابن هشام.
(١١) في الديوان: لا ترام ومفخر.

هم جبل الإسلام والنّاس حولهم[1] رضام إلى طود يروق[2] ويُبْهِرُ

بهاليل منهم جعفر وابن أمّه علّيّ ومنهم أحمد المتخيّرُ

وحمزة والعبّاس منهُمْ ومنهُمُ عقيلٌ وماء العود من حيث يعصرُ

بهم تُفْرَجُ[3] اللأواء في كلّ مأزق عماس إذا ما ضاق[4] بالنّاس مصدرُ[5]

هم أولياء الله أنزل حكمه عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهّرُ[6]

قال السّهيلي: البهاليل جمع بهلول وهو الوضيء الوجه مع طول.

وقوله «في كل مأزق وعماس»: المأزق: المضيق من مضائق الحرب والخصومة، وهو من أزقت[7] الشيء إذا ضيّقته. والأعماس: الضّعيف البصر وحفره معمّسة، أي: مغطاة[8].



(١) في الديوان: والنّاس حوله.
(٢) في (ر): يرزق.
(٣) في الديوان: بهم تكشف اللأواء.
(٤) في الديوان: إذا ما خاف بالقوم.
(٥) في الديوان: هذا البيت والذي بعده ورداً قبل البيتين قبلهما.
(٦) ● أ ـ ديوان حسان بن ثابت: ٩٩/١٠٠.
● ب ـ السيرة النبوية لابن هشام: ٣٨٣/٢ ـ ٣٨٥.
(٧) في الأصل: من أزفة الشيء... وفي (د): من أذقت الشيء إذا ضيّقته والأغمس الضعيف البصر.
(٨) الروض الأنف: ٤٣/٧ ـ ٤٥.

باب في غزوة الفتح وما اشتملت عليه من الآيات وواضح البراهين والمعجزات

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الأخيرة ورجبها، ثم إنّ بني بكر[1] عَدَتْ على خزاعة[2]، وأعانتهم قريش بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً، وكانت خزاعة في عهد النبي ﷺ وعقده الذي عقده وشرطه في صلح الحديبية.

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين النبي ﷺ من العهد والميثاق بما استحلّوا من خزاعة، وكانت في عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم[3] الخزاعي حتّى قدم على النبي ﷺ المدينة ـ وكان ذلك ممّا هاج فتح مكة ـ فوقف على النبي عليه السلام وهو جالس في المسجد بين ظهري[4] الناس فقال [من الرجز]:

يا ربُّ إنّي ناشدٌ محمداً   حِلْفَ أبينا وأبيه الأتلدا[5]

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: ثم إنّ بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت.

(٢) خزاعة: قبيلة من الأزد من القحطانية، وكانت مواطنهم مكة ومرّ الظهران وما بينهما، وكانوا حلفاء قريش.

● نهاية الأرب: ٢٢٨، رقم: ٨٣٨.

(٣) عمرو بن سالم بن كلثوم الخزاعي، وفي أسد الغابة: عمرو بن سالم بن حضيرة بن سالم الشاعر.

● أ ـ الاستيعاب: ١١٧٥/٣ ـ ١١٧٦، تر: ١٩١٦.

● ب ـ أسد الغابة: ٧٢٢/٣، تر: ٣٩٢٤.

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: بين ظهراني الناس.

(٥) في الأصل: الأثلدا.

قـد كـنـتـم وُلْـداً وكـنّـا والـداً ... ثُـمَّـتَ أسـلَـمْـنـا فـلـم نـنـزع يـدا

فـانـصُـرْ هـداك الله نـصـراً أيّـدا ... وادعُ[1] عـبـاد الله يـأتـوا مـددا

فـيـهـم رسـول الله قـد تـجـرّدا ... إن سيـم خـسـفـاً وجـهـه تـربّـدا[2]

[في فيلق كالبحر يجري مزبدا][3] ... إنّ قـريـشـاً أخـلـفـوك الـمـوعـدا

ونـقـضـوا مـيـثـاقـك الـمـؤكـدا ... وجـعـلـوا لـي فـي كـداء[4] رُصَّـدا

وزعـمـوا أن لـسـتُ أدعـو أحـداً ... وهـم أذلّ وأقـل عـددا

هـم بـيّـتـونـا بـالـوتـيـر هُـجَّـدا ... وقـتّـلـونـا[5] ركّـعـاً وسـجّـدا

فقال رسول الله ﷺ: «**نُصِرتَ يا عمرو بن سالم**». ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء، فقال: «**إنّ هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب**». ثم إنّ رسول الله ﷺ أعلم الناس أنّه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيّيء، وقال: «**اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتّى نبغتها في بلادها**» فكان كذلك، أجاب الله دعوة نبيّه ﷺ.

فتجهّز النّاس. وكتب حاطب إلى قريش كتاباً يخبرهم بالذي عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم، ولم يكن ذلك منه على وجه نفاق.

وأتى رسولَ الله ﷺ الخبر من السّماء بما فعل حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزّبير بن العوّام فقال: «**أدرِكا امرأة[6] قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة**

---

(١) في الأصل، و(ر): وادعوا عباد الله.

(٢) تربّد: تغيّر إلى السّواد.

(٣) في النسخ الثلاث المعتمدة سقط صدر هذا البيت، وجعل عجزه صدراً للبيت الذي يليه والإصلاح من السيرة النبوية لابن هشام، وعيون الأثر لأبي الفتح اليعمري.

(٤) كداء: بوزن سحاب ـ ثنية بأعلى مكة عند المحصّب.

● مراصد الاطلاع: ١١٥١/٣.

(٥) في (د): وقتلنا.

(٦) واسم هذه المرأة «سارة» مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب، وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتلها في نفر سمّاهم يوم الفتح، فاستؤمن لها من رسول الله ﷺ فأمّنها، وعاشت إلى خلافة عمر. =

بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم» فخرجا حتّى أدركاها فاستنزلاها، فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي بن أبي طالب: أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ/، والله لَتُخرجِنَّ الكتابَ أو لتلقينّ الثياب، فلمّا رأت الجدّ منه قالت: أعرض عنّي، فأعرض، فحلّت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منه فدفعته إليه، فأتى به النبي ﷺ، فدعا حاطباً فقال: **«يا حاطب، ما حملك على هذا؟»** فقال: يا رسول الله، [أما والله][1] إنّي لمؤمن بالله ورسوله، ما غيّرت ولا بدّلت، ولكني كنت أمرءاً ليس لي في قريش من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم، وأردت أن أتخذ عندهم يداً، فصفح عنه النبي ﷺ وصدّقه في قوله، وقال لأصحابه: **«لا تقولوا لحاطب إلاّ خيراً»**[2].

٢٠٧/و

قال السّهيلي: وقد قيل: إنه كان في الكتاب: إن رسول الله[3] ﷺ قد توجّه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم، فإنه منجز له ما وعده[4].

قلت: وهكذا[5] نقل ابن عطية[6]، ولفظه: وروي أن حاطباً كتب: إن

= ● أ ـ الإصابة: ٣٢٣/٤، تر: ٥١٧.
● ب ـ عيون الأثر: ٢٣٩/٢.

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٨٩/٢ ـ ٣٩٩، وبينهما خلاف.
(٣) في الروض الأنف: أن النبيّ ﷺ.
(٤) الروض الأنف: ٨٦/٧.
(٥) في الأصل: وهاكذا.
(٦) أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي الأندلسي، القاضي، المفسر، الفقيه، ولد بغرناطة عام: ٤٨١، وتوفي بلورقة سنة ٥٤٢، تولّى قضاء المرية، وشارك في كثير من الغزوات في جيوش الملثمين ـ المرابطين ـ له: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» الذي ينقل عنه الشيخ عبدالرحمٰن الثعالبي، طبعته المملكة المغربية في ستة عشر مجلداً:
● أ ـ الأعلام للزركلي: ٥٣/٤.
● ب ـ بغية الملتمس: ٣٧٦.
● ج ـ قضاة الأندلس: ١٠٩.

رسول الله ﷺ يريد غزوكم في مثل الليل والسيل، وأقسم بالله، لو غزاكم وحده لنصر عليكم، فكيف وهو في جمع كثير[1].

وقد خرّج البخاري وغيره حديث[2] حاطب: وفيه أنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ [تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ]﴾[3]. . . الآيات[4].

وقد قدّمنا حديث حاطب، وكررناه هنا لزيادة فائدة، ولأنه محلّ سياقه. قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ، حتى نزل[5] مرّ الظهران[6] في عشرة آلاف من المسلمين، وقد عُمِّيت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو فاعل. فلما نزل رسول الله ﷺ بمرّ الظهران قال العبّاس بن عبدالمطلب: قلت: واصباحَ قريش! والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكّة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنّه لهلاك قريش إلى آخر الدّهر.

قال: فركبت بغلة النبي ﷺ البيضاء، وخرجت عليها، حتّى جئت الأراك[7]، فقلت: لعلي أجد بعض الحطّبة، أو صاحب لبن، أو ذا حاجة،

---

(١) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، لابن عطية: ٤٨٢/١٥ ـ ٤٨٣، تحقيق المجلس العلمي بتارودانت، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية: ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) في الأصل: حادث حاطب، وفي (ر): حديثاً.

(٣) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) ● أ ـ الممتحنة: ١ ـ ٤.

● ب ـ صحيح البخاري: ١٨٤/٥ ـ ١٨٥، باب غزوة الفتح وما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبيّ ﷺ.

● ج ـ صحيح البخاري: ٧٢/٤ ـ ٧٣، باب الجاسوس، وقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾.

التجسس: التبحّث.

(٥) في الأصل: من الظهران.

(٦) الظهران: وادٍ قريب من مكة، وعندها قرية يقال لها: مرّ الظهران.

● مراصد الاطلاع: ٩٠٦/٢.

(٧) الأراك: وادي الأراك يقع قرب مكّة.

● مراصد الاطلاع: ٤٩/١.

يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأمنونه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

قال: فوالله إنّي لأسير عليها إذ سمعت كلام أبي سفيان، وبديل بن ورقاء[1]، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً! قال: فعرفت صوته فقلت: أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: أبا الفضل؟ قلت: نعم، قال: ما لك؟ فداك أبي وأمّي؟ قلت: ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله! قال: فما الحيلة؟ فداك أبي وأمي؟ قلت: والله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك؟ قال: فركب خلفي ورجع صاحبه، فجئت به النبي ﷺ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني أضربْ عنقه، فقلت: يا رسول الله، قد آجرته، فقال النبي ﷺ: «**ويحك يا أبا سفيان، ألم يَأْنِ لك أن تعلم أنه لا إلـٰه إلاّ الله؟**» قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى[2] شيئاً بعد، قال: «**ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله؟**» قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أمّا والله هذه فإنّ في النفس منها حتّى الآن شيئاً، فقال له العبّاس: ويحك! أسلم، واشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك.

قال: فشهد شهادة الحق، فأسلم.

---

(١) بديل بن ورقاء بن عبد العزّى بن ربيعة الخزاعي، أسلم هو وابنه عبدالله، يوم الفتح بمرّ الظهران. شهد بديل وابنه عبدالله عزوات: حنيناً، الطائف، وتبوك. وكان رسول الله ﷺ أمره أن يحبس النّساء والأموال التي غنمها من حنين معه بالجعرانة حتّى يقدم عليه ففعل.
- أ ـ الاستيعاب: ١٥٠/١، تر: ١٦٧.
- ب ـ أسد الغابة: ٣٥٩/١، تر: ٣٨٣.

(٢) في الأصل: لقد أغنى شيء.

قال العباس: قلت: يا رسول الله إنّ أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: «**نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن**» فلّما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: «**يا عبّاس، احبسه بمضيق الوادي حتّى تمرّ به جنود الله تعالى فيراها**» فخرجتُ به حتّى/ حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني النبي ﷺ ٢٠٨/ظ أن أحبسه. قال: فمرّت القبائل على راياتها، كلّما مرّت قبيلة قال: يا عبّاس، من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: ما لي ولسليم؟ ثم تمرّ القبيلة فيقول: يا عبّاس، من هذه؟ فأقول: مزينة، فيقول: ما لي ولمزينة؟ حتّى نفدت القبائل، ما تمرّ قبيلة إلاّ سألني عنها. فإذا أخبرته بهم قال: ما لي ولبني فلان؟ حتّى مرّ رسول الله ﷺ في كتيبته[١] الخضراء. وإنّما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها.

قال ابن إسحاق: فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلاّ الحدق من الحديد.

قال: سبحان الله يا عبّاس، من هؤلاء؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار؟ قال: ما لأحد من هؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلْكُ ابن أخيك الغداة عظيماً. قال: قلت: يا أبا سفيان إنّها النبوة، قال: نعم إذن. قال: قلت: النّجاءَ[٢] إلى قومك، حتّى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميت[٣] الدّسم، قُبِّح من طليعة قوم[٤]، قال: ويلكم، لا تغرنّكم هذه من أنفسكم، فإنّه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله، وما

(١) في الأصل: في كتيبتها.
(٢) النجاء: السرعة.
(٣) الحميت: زق السمن، والدسم: الكثير الودك، والأحمس: شديد اللحم.
(٤) في (د): قبح من طليعة قومي.

تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرّق النّاس إلى دورهم وإلى المسجد، فلمّا انتهى رسول الله ﷺ إلى ذي طوى وقف[١] على راحلته معتجزاً[٢] بشقة برد حبرة حمراء، وإنّ رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح[٣].

وروى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه [قال][٤]: وصعد رسول الله ﷺ على الصّفا[٥]، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله، أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، فقال[٦] النبي ﷺ: **«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»** فقال الأنصار[٧] بعضهم لبعض: أمّا الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته.

قال أبو هريرة، وجاء الوحي، [وكان][٨] إذا جاء لا يخفى علينا، فإذا جاء[٩] فليس أحدٌ يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتّى ينقضي الوحي، فلما قضي[١٠] الوحي قال رسول الله ﷺ: **«يا معشر الأنصار»** قالوا: لبّيك رسول الله[١١]، قال: **«قلتم: أمّا الرجل فأدركته رغبة في قريته»** قالوا: قد كان ذاك، قال: **«كلاّ، إنّي عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم،**

---

(١) في الأصل: واقف عل راحلته.

(٢) الاعتجاز: التّعمّم بغير ذؤابة، والشّقة: النصف، والحبرة: نوع من ثياب اليمن.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: **٣٩٩/٢ ـ ٤٠٥**، وبينهما خلاف.

(٤) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٥) الصّفا: بالفتح والقصر ـ مكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي، ومن الصفا يبتدىء السعي بينه وبين المروة.
- مراصد الاطلاع: **٨٤٣/٢**.

(٦) في صحيح مسلم: ثم قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

(٧) في (د): فقالت الأنصاري بعضهم لبعض.

(٨) في (د) ما بين الحاصرتين ساقط.

(٩) في (د): فإذا جاء علينا الوحي فليس.

(١٠) في صحيح مسلم: فلمّا انقضى الوحي.

(١١) في صحيح مسلم: لبيك يا رسول الله.

فالمحيا[1] **محياكم والممات مماتكم»** فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله، ما الذي قلنا إلاّ الظنّ[2] بالله وبرسوله.

فقال رسول الله ﷺ: **«إنّ الله ورسوله يصدّقانكم ويعذرانكم»**. قال: فأقبل الناس إلى دار أبي سفيان، وأغلق الناس أبوابهم[3].

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة: أن لا يقاتلوا إلاّ من قاتلهم، إلاّ أنّه قد عهد في نفر سمّاهم: أمر بقتلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة، منهم[4] ابن خطل[5]، يعني لشدّة جرائمهم.

فنزل رسول الله ﷺ بأعلى مكّة، فلمّا اطمأن الناس خرج حتّى جاء البيت، فطاف سبعاً، ثم دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له فدخلها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفّ له النّاس في المسجد، فقال: **«لا إلـه إلاّ الله، وحده لا شريك له، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يُدّعى فهو تحت قدميّ هاتين...»** الحديث.

ثم قال ﷺ: **«يا معشر قريش، إنّ الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتَعَظُّمَها بالآباء. النّاس من آدم، وآدم من تراب»**. ثم تلا هذه الآية: «﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ

---

(١) في صحيح مسلم: «والمحيا محياكم».

(٢) في (د): إلاّ ضن بالله وبرسوله.

(٣) صحيح مسلم: ١٤٠٦/٣، رقم: ١٧٨٠، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة.

(٤) في (د): منهم من خطل.

(٥) ابن خطل: عبدالله بن هلال بن خطل الأردمي، كان يؤذي رسول الله ﷺ وقينتان له: فرتنا، وقريبة، كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر بقتلهم ولو وجدوا متعلقين بأستار الكعبة. فلما دخل المسلمون إلى مكة فرّ ابن خطل إلى الكعبة وتعلّق بأستارها فأخرجه أبو برزة الأسلمي من أستار الكعبة وضرب عنقه بين الركن والمقام.
- أ ـ كتاب المغازي للواقدي: ٨٢٥/٢.
- ب ـ عيون الأثر لليعمري: ٢٣٧.

﴿أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾»[1].

ثم قال: **«يا معشر قريش، ما ترون أني/ فاعل بكم؟»** قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»**[2]. ٢٠٩/و

قال السّهيلي: وقول هند: اقتلوا الحميت الدّسم. الحميت: الزّق، ونسبته إلى الضخم، والدّسم: السّمن.

وزاد[3] عبيد بن حميد[4] في حديثه: أنها قالت: يا آل غالب، اقتلوا الأحمق، فقال لها أبو سفيان: والله لَتُسْلِمِنّ أو لأضربنّ عنقكِ[5].

قال ابن إسحاق: ودخل رسول الله ﷺ الكعبة عام الفتح ومعه بلال، فأمره أن يؤذّن، وأبو سفيان بن حرب وعتّاب بن أسيد[6]، والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتّاب بن أسيد: لقد أكرم الله أسيد[7] أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه، فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنّه محق لاتّبعته، فقال أبو سفيان: أنا لا أقول شيئاً، لو تكلّمت لأخبرَتْه عنّي هذه الحصى، فخرج عليهم النبي ﷺ، فقال: **«قد علمت الذي قلتم»** ثم ذكر ذلك لهم؛ فقال الحارث وعتّاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما

---

(١) الحجرات: ١٣.
(٢) السيرة لابن هشام: ٤٠٩/٢ ـ ٤١٢، بينهما خلاف.
(٣) في الأصل: وزيد عبيد بن حميد، وفي الروض الأنف: وزاد عبد بن حميد.
(٤) عبيد بن حميد الكوفي الحذاء، مؤدب الأمين محمد بن هارون الرشيد، كان صاحب حديث، ونحو، وقرآن، وفضائل، عاش نيفاً وثمانين سنة، وتوفي سنة تسعين ومائة [١٩٠].
● تذكرة الحفاظ: ٣١١/١، تر: ٢٨٨.
(٥) الروض الأنف: ٩٤/٧.
(٦) عتّاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي، أبو عبدالرحمٰن وقيل أبو محمد، أسلم يوم الفتح، واستعمله النبي ﷺ على مكة حين خروجه إلى حنين وبقي أميراً على مكة حتى خلافة أبي بكر، ومات يوم مات أبو بكر الصدّيق في يوم واحد.
● الاستيعاب: ١٠٢٣/٣ ـ ١٠٢٥، تر: ١٧٥٦.
(٧) في (د): أكرم الله أسيد.

اطّلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك[١].

قال السّهيلي: وروينا بإسناد متّصل عن عبدالله بن أبي بكر قال: خرج رسول[٢] الله ﷺ على أبي سفيان وهو في المسجد، فقال في نفسه: ليت شعري بأيّ شيء غلبتني؟ فأقبل[٣] رسول الله ﷺ إليه حتّى ضرب بيده بين كتفيه وقال: **«بالله غلبتُك يا أبا سفيان»** فقال أبو سفيان: أشهد أنّك رسول الله[٤]. وهو في مسند الحارث بن أبي أسامة[٥].

قال السّهيلي: وأمّا أبو محذورة الجمحي، واسمه سلمة[٦]، فإنّه لمّا سمع الأذان وهو في فتية من قريش خارج مكة، أقبلوا يستهزؤون ويحكون صوت المؤذن غيظاً، فكان أبو محذورة من أحسنهم صوتاً، فرفع صوته مستهزئاً بالآذان، فسمعه النبي ﷺ فأمر به فمَثُلَ بين يديه وهو يظن أنّه مقتول، فمسح رسول[٧] [الله][٨] ﷺ ناصيته وصدره بيده، فقال: فامتلأ قلبي [والله][٩] إيماناً ويقيناً، علمت أنّه رسول الله [ﷺ][١٠]، فألقى عليه رسولُ[١١] الله ﷺ الأذان وعلّمه إياه وأمره أن يؤذن لأهل مكة وهو ابن ست عشرة سنة، فكان مؤذنهم حتّى مات، ثم عَقِبُه بعده يتوارثون الأذان كابراً عن كابر. وفي أبي محذورة يقول الرّاجز[١٢]:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٤١٣/٢.
(٢) في الروض الأنف: خرج النبي ﷺ على أبي سفيان وهو في المسجد، فلما نظر إليه أبو سفيان قال في نفسه.
(٣) في الروض الأنف: فأقبل النبي ﷺ حتّى ضرب بيده.
(٤) في الروض الأنف: من مسند الحارث.
(٥) الروض الأنف: ١٣٥/٧.
(٦) الروض الأنف: سلمة بن معير، وقيل: سمرة.
(٧) في الروض الأنف: النبي ﷺ.
(٨) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٩) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(١٠) في الأصل والروض الأنف ما بين الحاصرتين ساقط.
(١١) في الروض الأنف: النبي ﷺ.
(١٢) في الروض الأنف: يقول الشاعر.

أما وربّ الكعبة المستورة ... وما تلا محمدٌ من سورة
والنغمات من أبي محذورة ... لأفعلنّ فعلة مذكورة[1]

وأمّا ابنة أبي جهل[2] فقالت: حين سمعت الأذان على الكعبة وقولَ[3] المؤذن «أشهد أنّ محمداً رسول الله» قالت: عمري، لقد أكرمك الله ورفع ذكرك، فلما سمعت: «حي على الصلاة» قالت: أمّا الصّلاة فسنؤدّيها، ثم[4] قالت: إنّ هذا الأمر لَحَقٌّ، ولقد كان الملك جاء به أبي، ولكن كره مخالفة قومه ودين آبائه[5].

قلت: وقد قدّمنا كثيرا من آيات الفتح، كقصة الأصنام، وأنّه ﷺ ما أشار إلى صنم منها في وجهه إلاّ وقع لقفاه، ولا أشار لقفاه إلاّ وقع لوجهه، وكقصة فضالة بن عمير وما همّ به من غدر النبي ﷺ في الطواف، وأنّه ﷺ وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتّى ما من خَلْقِ الله شيءٌ أحبّ إليّ منه.

ولما أسلم عبدالله ابن الزّبعري[6] أنشد في مدح النبي ﷺ أبياتاً حساناً، فمنها قوله [من الكامل]:

---

(١) الروض الأنف: ٧/١٣٨ ـ ١٣٩.

(٢) ابنة أبي جهل: جويرة وقيل جميلة بنت عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومية أسلمت، وخطبها عليّ، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدوّ الله عند رجل واحد»**. فترك علي الخطبة، فتزوجها عتاب بن أبي أسيد فولدت له عبدالرحمٰن، فقتل يوم الجمل.
- الإصابة: ٤/٢٦٥، تر: ٢٥٠.

(٣) في الروض الأنف: فلما قال المؤذن.

(٤) في الروض الأنف: ولكن والله ما تحبّ قلوبنا من قتل الأحبّة ثم قالت.

(٥) الروض الأنف: ٧/١٣٨.

(٦) عبدالله بن الزبعري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي. كان أشعر قريش قاطبة، ومن أشدهم على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه بلسانه، فرّ إلى نجران يوم الفتح، ثم قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه، ومدحه بشعر كثير، وأمر له ﷺ بحلّة. توفي في خلافة عمر حوالي خمس عشرة للهجرة.
- أ ـ الاستيعاب: ٣/٩٠١ ـ ٩٠٤، تر: ١٥٣٣.
- ب ـ الأعلام: ٤/٢١٨.

يا خير من حملت على أوصالها[1] عيرانة[2] سرح اليدين غَشومُ
إنّي لمعتذر إليكَ من الذي أسأتُ إذ أنا في الضلال أهيمُ
فاليوم آمَنَ بالنبي محمد قلبي ومخطىءُ هذه محرومُ
مضت العداوةُ فانقضت أسبابُها ودعت أواصرُ بيننا وحُلومُ/ ٢١٠/ظ
فاغفرْ فدًى لك والديَّ[3] كلاهما زللي فإنّك راحم مرحومُ
وعليك مِنْ عِلْمِ المليك علامةٌ نورٌ أغرُّ وخاتمٌ مختومُ
أعطاك بعد محبّة برهانَه شرفاً وبرهانُ الإله عظيمُ
ولقد شهدتُ بأنّ دينك صادق حقّ وأنّك في العباد جسيمُ
واللّهُ يشهد أنّ أحمد مصطفى مستقبل في الصالحين كريمُ
قرم[4] علا بنيانه من هاشم فرعٌ تمكّن في الذرا وأرومُ[5]

قلت: ومن مستحسن الشعر ما أنشده أنس بن زنيم[6] الدّيلي[7] حيث يقول [الطويل]:

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبرَّ وأوفى ذمّة من محمدِ

---

(١) في (ر): على آصالها.
(٢) عيرانة: ناقة تشبه العير في شدته ونشاطه، والعير هنا: حمار الوحش.
سرح اليدين: خفيفهما.
غشوم: لا ترد عن وجهها.
(٣) في الأصل: فدى لك ولوالديّ.
(٤) في (ر): غرم.
القرم: السيد، وأصله الفحل من الإبل، والذّرا: الأعالي، والأروم: الأصول.
(٥) أورد ابن هشام في السيرة النبوية، أربعة عشر بيتاً من هذه القصيدة، وعلّق عليها في الأخير بقوله: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له، ٤١٩/٢ ـ ٤٢٠.
(٦) أنس بن زنيم بن عمرو بن عبدالله بن جابر الكناني الديلي، هجا رسول الله ﷺ فأهدر دمه فبلغه ذلك، فجاءه معتذراً، وأنشده أبياتاً مدحه بها، وكلمه فيه نوفل بن معاوية الدّيلي فعفا عنه.
● الإصابة: ٦٨/١ ـ ٦٩، تر: ٢٦٧.
(٧) في الأصل: الدأيلي.

أَحَثَّ علـى خيـر وأسبـغَ نـائـلاً إذا راح كالسّيف الصقيل المهنّدِ[1]

وقال يحيى بن عمران الخزاعي [الطويل]:

وقـد أنـشـأ الله السّحـاب بنصرنـا ركام سحاب الهيدب[2] المتراكبِ
وهِجْرَتُنا في أرضنا عندنا بها[3] كتابٌ أتى من خير مُمْلٍ وكاتبِ
ومن أجلنـا حلّـت بمكـة حرمة لندرك ثأراً بالسّيوف القواضبِ[4]

ولما فتح الله سبحانه على رسوله مكة، بعث ﷺ السرايا فيما حولها يدعون إلى الله تعالى.

قال النيسابوري: لما فتح رسول الله [ﷺ][5] مكة أتى جرم قبر فجلس إليه ـ وجلس الناس حوله ـ كهيئة المخاطب، ثم قام وهو يبكي، فاستقبله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان من أجرإ الناس عليه، فقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، ما الذي أبكاك؟ قال: **«هذا قبر أمّي، سألت ربّي عزَّ وجلَّ الزّيارة فأذن لي، وسألته الاستغفار فلم يأذن لي، فذكرتها وبكيت»** فلم يُر كان أكثر باكياً من يومئذ.

وروي أيضاً عن بريدة: أنّ رسول الله ﷺ زار قبر أمّه في ألف مقنّع في الحديد.

---

(١) أورد ابن هشام في السيرة النبوية: ٢/٤٢٤ هذين البيتين في قصيد فيها أربعة عشر بيتاً كما أورد البيت الأول ابن السبكي ونسبه إلى حسان بن ثابت حيث قال: وأصدق بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:
وما حملت من ناقة فوق كورها أعزّ وأوفى ذمّة من محمد
● طبقات الشافعية الكبرى: ٢/٢٨٢، لتاج الدين أبي نصر عبدالوهاب السبكي، تح: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٢) في الأصل: الهيذب.
● والهيدب: المتداني من الأرض.

(٣) في النسخ المعتمدة من الأنوار: عند بابها. والإصلاح من السيرة النبوية لابن هشام.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٤٢٨، وفيها: قال: بجيد بن عمران الخزاعي.

(٥) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

وروي أيضاً عنه: أنّ رسول الله ﷺ لما زار قبر أمّه بكى فاشتدّ بكاؤه[1]، فسئل عن ذلك فقال ﷺ: **«ذكرت ضعفها وشدّة عذاب الله، فبكيت لذلك»**. وقد قدمنا الكلام [مستوفى][2] في شأنها وشأن أبيه ﷺ، وأنّ الله أحياهما له وآمنا به.

قال النيسابوري: روي عن ذي[3] الجوشن الضبابي[4] قال: أتيت النبي ﷺ بعد أن فرغ من أهل بدر، فقال: **«يا ذا الجوشن، تكون من أهل هذا الأمر»** يعني من المسلمين.

[قال][5]: قلت[6]: لا، إنّي رأيت قومك أولعوا[7] بك، قال: **«وكيف بلغك عن مصارعهم ببدر؟»** قلت: قد بلغني، قال: **«وإنّي مهد لك»** قال: إن تغلبْ[8] على الكعبة وتقطعنيها، قال: **«لعلّك إن عشت ترى ذلك»**.

ثم قال لبلال: **«خذ حقيبة الرجل فزوّده من العجوة»** فلمّا أدبرتُ قال: **«أما إنّه[9] خير فرسان [بني عامر]»**.

قال: فوالله إني بموضعي[10] إذ أقبل راكب، فقلت: من أين؟

---

(١) في الأصل: فاشتد بكاءه.

(٢) في (ر) ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) أبو شمر ذو الجوشن الضبابي العامري، قيل اسمه أوس بن الأعور، وقيل: شرحبيل سكن الكوفة، كان شاعراً مطبوعاً محسناً.

● الاستيعاب: ٢/٤٦٧ ـ ٤٦٩، تر: ٧١٤.

(٤) في (ر): الضبائي.

(٥) في (ر) ما بين الحاصرتين ساقط.

(٦) في (ر): قلت لأني رأيت قومك أولعوا بك.

(٧) ولع به يولع ولعاً، وولوعاً: علق به شديداً، وولع له: لجّ في أمره وحرص على إيذائه.

● المعجم الوسيط: مادة: ولع.

(٨) في (د): قال: أتغلب.

(٩) في الأصل: أما إنّي.

(١٠) في الأصل: إنّي بموضع وفي (ر): إنّي بموضعي إذ أقبل الراكب.

قال:][1] من مكّة، قلت: ما فعل النّاس؟ قال: والله لقد غلب عليها محمد، قلت: هبلتني[2] أمّي، لو أسلمت يومئذ!! لو سألته الحيرة لأَقْطَعَنيها.

وصلّى الله على سيدنا محمد[3] خاتم النبيين وإمام المرسلين، وسلّم تسليماً.



(١) في (د) ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) هبل يهبل هبلاً: فقد عقله وتمييزه، وفي حديث أمّ حارثة: ويحك أهبلت: وهبلت الأمّ ولدها هبلاً: ثكلته.

● المعجم الوسيط: مادة: هبل.

(٣) في (د): وعلى آله وسلم تسليماً، وفي (ر) وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

باب في غزوة حنين[1]، وما اشتملت عليه من عظيم الآيات ومواهب النصر من رب الأرض والسموات

قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازن[2] برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوف[3] النّصري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلّها، واجتمعت نصر[4]، وجشم[5] كلّها، وسعد بن بكر[6] وناس من بني هلال[7]،

---

(١) حنين: واد قريب من مكة، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً، وهو الذي ذكره القرآن في قوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥]، وسمي الوادي بحنين بن نائلة، ويظن أنّه من العماليق.
● مراصد الاطلاع: ٤٣٢/١.

(٢) هوازن: «بنو هوازن» بطن من خزاعة من بني مزيقيا من الأزد من القحطانية، منهم عبدالله بن أبي أوفى الصحابي المعروف، وبنو هوازن كذلك بطن من قيس عيلان من العدنانية، وهؤلاء هم الذين أغار عليهم الرسول ﷺ.
● نهاية الأرب: ٣٩١، رقم: ١٦١٣ و١٦٣٤.

(٣) مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة، النّصري، كان رئيس المشركين يوم حنين، وكان شاعراً، أسلم، وحسن إسلامه. وقال حين إسلامه [من الكامل]:
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله   في النّاس كلّهم كمثل محمد
● أ ـ الاستيعاب: ١٣٥٦/٣ ـ ١٣٥٧، تر: ٢٢٩٠.
● ب ـ السيرة النبوية لابن هشام: ٤٤١/٢.

(٤) بنو نصر: بطن من أسد من خزيمة، من العدنانية، وبنو نصر كذلك بطن من هوازن من العدنانية، منهم مالك بن عوف.
● نهاية الأرب: ٣٨٣، رقم: ١٥٩٥ و١٥٩٦.

(٥) جشم: بنو جشم بطن من بكر بن هوازن من العدنانية، وهم كذلك بطن من تغلب بن وائل من القحطانية. وهناك عدّة بطون أخرى.
● نهاية الأرب: ٣٣٨ ـ ٣٣٩، رقم: ٧١٠ ـ ٧١٢.

(٦) سعد بن بكر: بنو سعد بطن من هوازن من العدنانية، وهم بنو سعد بن بكر بن هوازن، منهم حليمة السعدية وهم عدة بطون.
● نهاية الأرب: ٢٦٨، رقم: ١٠٣٥.

(٧) بنو هلال: بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية. ومنهم طوائف بإفريقيا من بلاد المغرب، وهم كذلك بطن من النخع من القحطانية.
● نهاية الأرب: ٣٩٢، رقم: ١٦٣٧، ١٦٣٨.

وفي بني جشم دريد بن الصمّة[1]، شيخ كبير ليس فيه شيء إلاّ التّيمّن برأيه ومعرفتِهِ بالحرب، وكان شيخاً مجرّباً/. فلما نزلوا بأوطاس[2] قال لهم: بأيّ واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نِعْمَ مجالُ الخيل: لا حزن ضرس، ولا سهل دهس. ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشّاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف النصري مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل له: هو هذا، فقال: يا مالك، إنّك قد أصبحت رئيس قومك، وإنّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، ويعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم؟ قال: ولم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله، ليقاتل عنهم، فقال له: راعي ضأن والله! وهل يردّ المنهزمَ شيء؟ إنّها إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك، فُضِحْتَ في أهلك ومالك.

٢١١/و

ثم قال دريد: ما فعلَتْ كعب وكلاب[3]؟ قالوا: لم يشهدها منهم[4] أحد، قال: غاب الحدّ والجدّ، لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب.

ثم قال: يا مالك، إنّك لم تصنع بتقديم البيضة ـ بيضة[5] هوازن ـ إلى نحور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعليا قومهم، ثم الْقَ

---

(١) دريد بن الصّمة الجشمي البكري، من هوازن، من الأبطال الشعراء المعمرين، كان سيد قومه وقائدهم قاد نحو مائة غزوة لم يهزم في واحدة منها، والصمة لقب أبيه معاوية بن الحارث.
● الأعلام: ١٦/٣.
(٢) أوطاس: واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين.
● مراصد الاطلاع: ١٣٢/١.
(٣) بنو كلاب: بنو كلاب: بطن من عامر بن صعصعة.
● نهاية الأرب: ٣٦٥، رقم: ١٤٨٩.
(٤) في (د): لم يشهد منها أحد.
(٥) في (د): البيضة هوازن.

الصّبّاء[1] على متون الخيل، فإن كان لك لحق بك مَنْ وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك، قال: والله لا أفعل، إنّك كبرت وكبر عقلك.

قال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني، يا ليتني فيها جذع[2] أخبّ فيها وأضع.

وروى ابن إسحاق بسنده: أنّ مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله، فأتوه وقد تفرّقت أوصالهم، فقال: ويلكم، ما شأنكم؟ فقالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فوالله ما ردّه ذلك عن وجهه لما أراده الله من سابق قضائه، ولما سمع بهم نبي الله ﷺ بعث إليهم عبدالله بن أبي حدرد[3] الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس ويقيم فيهم حتّى يعلم علمهم، ثم يأتيه فيخبرهم، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل عليهم فأقام فيهم، حتّى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب النبي ﷺ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل فأخبر رسول الله ﷺ الخبر، فأجمع رسول الله ﷺ إلى[4] السير إلى هوازن، فخرج إليهم في اثني عشر ألفاً[5].

وروى أبو داود عن سهل بن الحنظلية[6]: أنّهم ساروا مع النبي ﷺ

---

(١) الصباء: جمع صابىء وهم المسلمون عندهم لأنهم خرجوا من دينهم الجاهلي إلى دين الإسلام.

(٢) في (ر): يا ليتني فيها أجذع...

(٣) عبدالله بن أبي حدرد أبو محمد الأسلمي، واسم أبي حدرد سلامة بن عمير بن أبي سلامة. أول مشاهده الحديبية ثم خيبر وما بعدها، وقد أمّره رسول الله ﷺ على عدة سرايا، توفي سنة إحدى وسبعين وهو ابن إحدى وثمانين سنة.

● الاستيعاب: ٨٨٧/٣ ـ ٨٨٨، تر: ١٥٠٧.

(٤) في (د): أجمع رسول الله ﷺ السّير.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٣٧/٢ ـ ٤٤٠، بينهما خلاف.

(٦) سهل بن الحنظلية: الحنظلية اسم أمه، وهو سهل بن لربيه بن عمرو بن عدي بن زيد الأنصاري الأوسي، كان فاضلاً، كثير الصلاة والذكر، لا يجالس أحداً، وهو ممّن بايع تحت الشجرة، سكن الشام، وتوفي بدمشق في أول خلافة معاوية، ولا عقب له.

● الاستيعاب: ٦٦٢/٢، تر: ١٠٨٣.

يوم حنين فأطنبوا[1] السّير، حتّى كان عشية، فحضرت الصلاة مع[2] رسول الله ﷺ، فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله، إنّي انطلقت بين أيديكم حتّى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم[3]، بظعنهم ونعمهم وشائهم، اجتمعوا إلى حنين، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: **«تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله»**[4] فكانوا كذلك غنيمة للمسلمين ببركة سيدنا محمد ﷺ، كما أخبرنا سيّدنا ﷺ.

قال ابن إسحاق: وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط، إنّما ننحدر فيه انحداراً.

قال: وفي عماية الصّبح، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه[5] ومضائقه، قد أجمعوا وتهيّؤوا وأعدّوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلاّ الكتائب قد شدّوا علينا شدّة رجل واحد، فانشمر[6] النّاس راجعين لا يلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ [ذات اليمين، ثم قال: **«أيها الناس، هلمّ إليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبدالله»**، إلا أنه قد بقي مع رسول الله ﷺ][7] نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، وفيمن ثبت معه[8] من المهاجرين: أبو بكر، وعمر، ومن أهل بيته: عليّ، والعباس وأبو سفيان بن الحارث، وابنه[9]، والفضل بن

---

(١) في (ر): فاطلبوا.
(٢) في سنن أبي داود: عند.
(٣) في سنن أبي داود: بكرة آبائهم.
(٤) سنن أبي ادود: ٩/٣، رقم: ٢٥٠١، كتاب الجهاد، باب في فضل الحرس في سبيل الله تعالى.
(٥) الأحناء: الجوانب.
(٦) الاشمرار: الانفضاض والانهزام.
(٧) في الأصل ما بين الخاصرتين ساقط.
(٨) في (ر): وفيمن ثبت مع رسول الله ﷺ من.
(٩) ابنه: هو جعفر بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب. شهد غزوة حنين مع=

العباس[١]، وربيعة بن الحارث[٢]، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أم أيمن[٣]، ثم استشهد/ رحمه الله، وقثم بن العبّاس[٤]. ٢١٢/ظ

وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة: قلت: اليومَ أُدْرِكُ ثأري ـ وكان أبوه قتل يوم أحد ـ، اليوم أقتل محمداً. قال: بادرت برسول الله لأقتله فأقبل شيء حتّى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك، وعلمت أنّه ممنوع منّي[٥].

= رسول الله ﷺ ولم يزل مع أبيه ملازماً لرسول الله ﷺ حتّى قبض. وتوفي جعفر في خلافة معاوية.

● الاستيعاب: ٢٤٥/١، تر: ٣٢٨.

(١) الفضل بن العباس: أبو عبدالله، وقيل أبو محمد القرشي الهاشمي، وأمه: لبانة الصغرى بنت الحارث أخت ميمونة أم المؤمنين. غزا مع رسول الله ﷺ حنيناً، وشهد معه حجّة الوداع، وشهد غسله ﷺ، وهو الذي كان يصب الماء على علي يومئذ. وكان الفضل أجمل الناس وجهاً لم يترك ولداً إلاّ أم كلثوم تزوّجها الحسن بن علي ثم فارقها، فتزوّجها أبو موسى الأشعري. توفي في سنة ١٣ أو ١٥ أو ١٨.

● الاستيعاب: ١٢٦٩/٣ ـ ١٢٧٠، تر: ٢٠٩٣.

(٢) ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي أبو أروى.

● هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: **«ألا إن كلّ دم ومأثرة كانت في الجاهلية فهو تحت قدمي، وإنّ أول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث»**، وذلك أنه قتل لربيعة ابنٌ يسمّى آدم في الجاهلية، فأبطل به الطلب في الإسلام. توفي ربيعة سنة ثلاث وعشرين في خلافة عمر.

● الاستيعاب: ٤٩٠/٢ ـ ٤٩١، تر: ٧٥٦.

(٣) ابن أمّ أيمن: أيمن بن عبيد الحبشي، وأمه أمّ أيمن مولاة رسول الله ﷺ، وأخو أسامة بن زيد لأمه استشهد يوم حنين، وهو الذي عناه العباس بن عبدالمطلب بقوله [من الطويل]:

وثامننا لاقى الحمام بسيفه ... بما مسّه في الله لا يتوجّع

● الاستيعاب: ١٢٨/١ ـ ١٢٩، تر: ١٣١.

(٤) قثم بن العباس بن عبدالمطلب... وكان قثم والياً لعلي على مكة، وكان آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ لأنه آخر من خرج من قبره ممّن نزل فيه استشهد بسمرقند زمن معاوية.

● الاستيعاب: ١٣٠٤/٣ ـ ١٣٠٥، تر: ١٢٦٦.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٤٢/٢ ـ ٤٤٤، وبينهما خلاف.

قال أبو الربيع والسّهيلي: وذكر ابن أبي خيثمة حديث شيبة هذا، قال: لما رأيت النبي ﷺ يوم حنين أعري، وذكرت أبي وعمّي قتلهما حمزة، فقلت: اليوم أدرك ثأري في محمد، فجئته عن يمينه فإذا أنا بالعبّاس قائماً عليه درع بيضاء، فقلت: عمّه لن يخذله، فجئته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث، فقلت: ابن عمّه لن يخذله، فجئته من خلفه فدنوت ودنوت، حتّى لم يبق إلا أن أسوّر سورة بالسيف، فرُفع إليّ شواظ من نار كأنّه البرق، فنكصت على عقبيَّ القهقرى، فالتفت إليّ رسول الله ﷺ. وتبسّم وعرف الذي بادرت، فقال: **«يا شيبةُ، ادنُه»** فدنوت، فوضع يده على صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي، فرفعت إليه بصري، فلهو أحبّ إليّ من سمعي وبصري، فقال لي: **«يا شيبة، قاتل الكفّار»**، فقاتلت معه ﷺ[1].

وفي رواية ـ على ما نقله عياض وغيره ـ قال: فلما دنوت منه ارتفع إليّ شواظ من النار أسرع من البرق، فولّيت هارباً، وأحسّ بي النبي ﷺ فدعاني، ووضع يده على صدري وهو أبغض الخلق إليّ، فما[2] رفعها إلاّ وهو أحبّ الخلق إليّ، وقال لي: **«ادنُ فقاتلْ»** فتقدمت أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي، ولو لقيت أبي في تلك السّاعة لأوقعت به[3].

قلت: وقد قدمنا حديث شيبة في باب عصمته ﷺ، وأعدناه هنا لأنه محلّه.

وروى مسلم في صحيحه عن العبّاس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب رسولَ الله ﷺ فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء[4]، فلما التقى المسلمون والكفّار ولّى المسلمون مدبرين، فطفق

---

(١) الروض الأنف: ٧/٢٠٧، بتصرف.
(٢) في الأصل: فلما رفعها.
(٣) الشفاء: ١/٤٩٩.
(٤) في صحيح مسلم: أهداها له فروة بن نفاة الجذامي. وفي الدرر: على بغلته الشّهباء واسمها دلدل.

رسول الله ﷺ يُرْكِضُ بغلته قِبَلَ الكفّار[1] وأنا آخِذٌ بلجام بغلته أكفّها، إرادة أن لا تسرع. وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«أي عبّاس، ناد أصحاب السّمرة»** فقال عباس ـ وكان رجلاً صيّتاً ـ: فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السّمرة؟ قال: فوالله! لكأنّ عَطْفَتَهم حين سمعوا صوتي عطفةُ البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيّك! يا لبيّك! قال: فاقتتلوا والكفّار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار!، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث[2] بن الخزرج[3]، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: **«هذا[4] حين حمي الوطيس»** قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حَصَيات فرمى بهنّ وجوه الكفّار، ثم قال: **«انهزموا، وربّ محمد»** قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال: فوالله! ما هو إلاّ أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدّهم كليلاً وأمرهم مدبراً.

وفي رواية: **«انهزموا وربّ الكعبة انهزموا وربّ الكعبة»**. وزاد في رواية[5]: **«حتّى هزمهم الله»**[6].

وروى البخاري ومسلم: أنّ رجلاً من قيس قال للبرّاء رضي الله عنه: يا أبا عمارة، أفررتم يوم حنين؟ قال: لا والله، ما ولّى رسول الله ﷺ. وفي رواية لكن رسول الله ﷺ لم يفرّ، ولكنّه انطلق أخفّاء من النّاس،

---

(١) في صحيح مسلم: قال عبّاس وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفّها.

(٢) بنو الحارث بن الخزرج بن عمرو بن النّبيت، بطن من الخزرج من القحطانية، منهم رافع بن خديج، والبراء بن عازب رضي الله عنهما.
- نهاية الأرب: ٥٥، رقم: ٦٤.

(٣) في صحيح مسلم: فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج! يا بني الحارث بن الخزرج!

(٤) في الدّرر: **«الآن حمي الوطيس»**.

(٥) في صحيح مسلم: وزاد في الحديث حتّى هزمهم الله.

(٦) ● أ ـ صحيح مسلم: ١٣٩٨/٣ ـ ١٣٩٩، رقم: ١٧٧٥، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين.
● ب ـ الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبدالبر: ١٦٥ ـ ١٦٩.

وحسّر إلى هذا الحيّ من هوازن وهم قوم رماة، فرموهم برشق من نبل كأنّها رجل من جراد، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول: **«أنا النبي لا كَذِب، أنا ابن عبدالمطلب، اللهم أنزل[1] نصرك»**. قال البرّاء: كنّا والله إذا احمرّ البأس نتّقي به ﷺ/ وأن الشجاع منّا الذي يحاذيه ﷺ[2]. ٢١٣/و

وروى مسلم من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: لمّا ولّى النّاس يوم حنين رجعت منهزماً، فمررت بالنبي ﷺ وهو على بغلته الشهباء، فقال ﷺ: **«لقد رأى ابن الأكوع فزعاً»**، فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل على البغلة، ثم قبض قبضة من تراب[3] الأرض، ثم استقبل بها وجوههم فقال: **«شاهت[4] الوجوه»** فما خلق الله منهم إنساناً إلاّ ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة فولّوا مدبرين، فهزمهم الله تعالى، فقسم[5] رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين[6].

قال ابن عطية: قال يعلى بن عطاء[7]: فحدّثني أبناء المنهزمين عن

---

(١) في صحيح مسلم: **«اللهم نزّل نصرك»**.

(٢) ● أ ـ صحيح البخاري: ١٩٤/٥ ـ ١٩٥، باب قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: ٢٥ ـ ٢٧].

● ب ـ صحيح مسلم: ١٤٠٠/٣ ـ ١٤٠١، رقم: ١٧٧٦، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين.

(٣) في صحيح مسلم: من تراب من الأرض.

(٤) شاهت الوجوه: قبحت.

(٥) في صحيح مسلم: وقسم ـ بالواو ـ.

(٦) صحيح مسلم: ١٤٠٢/٣، رقم: ١٧٧٦، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين.

(٧) يعلى بن عطاء الطائفي العامري، من موالي عبدالله بن عمرو بن العاص نزل واسط. حدّث عنه شعبة، وأبو عوانة، والثوري، وحماد بن سلمة، وآخرون. توفي سنة عشرين ومائة.

● سير أعلام النبلاء: ٤٥٢/٥ ـ تر: ٢٠١.

آبائهم قالوا: لم يبق منّا أحد إلاّ دخل عينيه من ذلك التّراب. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ الآية[1]. السّكينة: النّصر الذي سكنت إليه ومعه النفوس. والجنود: الملائكة والرعب الذي جعله الله في قلوب المشركين.

قال أبو حاجر يزيد بن عامر[2]: كأنّ في أجوافنا مثل ضربة الحجر في الطست من الرعب. ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾[3] أي: بالقتل والأسر.

قال ابن إسحاق: حدّثني [أبي إسحاق[4]][5] بن يسار: أنّه حدّث عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: رأيت قبل هزيمة القوم ـ والناس يقتتلون ـ مثل البجاد[6] الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي لم أشكّ أنها الملائكة، ولم تك إلاّ هزيمة القوم.

قال ابن إسحاق: فلما انهزمت هوازن استحرّ[7] القتل من ثقيف في بني مالك، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت راياتهم[8].

قال أبو الربيع: فلما انهزم المشركون تبعهم المسلمون يقتلونهم،

---

(١) التوبة: ٢٦.
(٢) يزيد بن عامر بن الأسود بن حبيب، أبو حاجز السوائي، حجازي، شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم.
● أ ـ الاستيعاب: ١٥٧٧/٣، تر: ٢٧٨٤.
● ب ـ أسد الغابة: ٧٢٢/٤، تر: ٥٥٦٩.
(٣) التوبة: ٢٦.
(٤) إسحاق بن يسار بن خيار، ويقال: ابن كوثان، المدني القرشي، مولى قيس بن مخزمة بن المطلب بن عبد مناف والد محمد بن إسحاق صاحب المغازي، يعد من المدنيين، وصفه ابن معين بأنّه ثقة.
● الجرح والتعديل: ٢٣٧/٢، تر: ٨٣٨.
(٥) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٦) البجاد: الكساء.
(٧) استحرّ القتال: اشتدّ.
(٨) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٤٩/٢، بينهما خلاف.

وغنّمهم الله سبحانه نساءهم، وذراريهم وأموالهم، وفرّ مالك بن عوف حتّى دخل حصن الطائف في ناس من أشراف قومه.

قال ابن إسحاق: ثم جمعت إلى رسول الله ﷺ سبايا حنين وأموالهم، وأمر بها إلى الجعرانة[1]، فحُبست فيها، وكان عدة سبي هوازن ستّة آلاف من الذراري والنساء، وأمّا الإبل والشاء فلا تُدْرى عدته من كثرته[2].

قال النيسابوري: قال الواقدي: وغنم رسول الله ﷺ ـ مع ما ذُكر ـ فضّةً كثيرة: أربعة آلاف أوقية، والأوقية أربعون درهماً، فجمعت الغنائم بين يدي رسول الله ﷺ، فجاءه أبو سفيان بن حرب وبين يديه الفضة، فقال[3]: يا رسول الله، إنّك أصبحت أكثر قريش مالاً، فأعطني من هذا المال، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: **«يا بلال، زن لأبي سفيان أربعين أوقية، وأعطه مائة من الإبل»**. قال أبو سفيان: وابني يزيد[4] فأعطه يا رسول الله، فقال

---

(١) الجعرانة: مكان بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزله النبي ﷺ ومنه أحرم بالعمرة.
- مراصد الاطلاع: **٣٣٦/١**.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: **٤٥٩/٢**، بينهما خلاف.

(٣) هنا تنتهي نسخة السيد الفاضل عبدالعزيز محجوبي، الساكن بتمنطيط، مدينة أدرار المحروسة، والتي رمزنا لها بحرف (د) باقتراح من السيد الأستاذ الدكتور محمد حسين الأعرجي الأستاذ بجامعة الجزائر ـ معهد اللغة والأدب العربي، والمشرف على هذه الرسالة. وقد كنت رمزت لها بحرف (أ) باعتبار أول حرف من «أدرار» فأشار سيادته بأن هذا الحرف (أ) قد يختلط بغيره، فعدلت إلى رأيه السديد.
وتشتمل هذه النسخة على ثلاث مائة وإحدى وسبعين لوحة، في كل لوحة أربعة وعشرون سطراً، مكتوبة بخط مغربي جميل، مزّينة العناوين والأبواب والفصول.
وبما أنّ النسخة ناقصة مبتورة في الأخير، لم يعرف كاتبها، ولا تاريخ نسخها، ويبدو أنّ ناسخها متوسط المعرفة، وإن كان خطّه جميلاً واضحاً بيّناً.
وكان الذي تفضّل بتصوير المخطوط، والسعي للحصول عليه من مالكه هو الأستاذ الكريم، ذو الخلق العظيم، السيد محمد بودواية، مدير المعهد الوطني العالي للشريعة، بمدينة أدرار، جزاه الله عنّا وعن العلم خير الجزاء.

(٤) يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كان أفضل بني=

نبي الله ﷺ: **«زنوا ليزيد أربعين أوقية، وأعطوه مائة من الإبل»** ففعل رسول الله ﷺ ذلك بهم ليستألفهم ويرسّخ الإيمان في قلوبهم وقلوب أتباعهم.

فقال أبو سفيان: والله إنّك لكريم، فداك أبي وأمّي، لقد حاربتك فنعم المحارَب، ولقد سالمتك فنعم المسالَم أنت، جزاك الله خيراً.

قال السّهيلي: وممّا لم يذكره ابن إسحاق يوم حنين: أنّ خالد بن الوليد يومئذ أُثقل بالجراحة[1]، فأتاه النبي ﷺ يقول: **«من يدُلّني على رحل خالد؟»** حتّى دُلَّ عليه، فوجده قد أسند إلى مؤخرة رحله، فنفث على جرحه فبرأ. ذكره الكشّي[2].

وممّا قيل من الشعر هنا ما نقله ابن إسحاق وغيره عن عبّاس بن مرداس [الطويل]:

تقطّع باقي وصل أمّ مؤمّل ... بعاقبة واستبدلت نيّة خلفا

فإن تتبع الكفّار أمّ مؤمل ... فقد زوّدت قلبي على نأيها شغفا

/٢١٤ظ وسوف ينبّيها الخبير بأنّنا ... أتينا[3] ولم نطلب سوى ربّنا خلفا/

وأنّا مع الهادي النبي محمد ... وفينا ولم يستوفها معشر ألفا

بفتيان صدق من سليم[4] أعزّة ... أطاعوا فما يعصون من أمره حرفا

= أبيه، وكان يقال له يزيد الخير، أسلم يوم الفتح، وشهد مع رسول الله ﷺ غزوة حنين، واستعمله وأوصاه وخرج يشيّعه راجلاً، تولّى على فلسطين وناحيتها في خلافة عمر. توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ، ثمان عشرة.

● الاستيعاب: ٤/١٥٧٥ ـ ١٥٧٦، تر: ٢٧٧٢.

(١) في الروض الأنف: بالجراحات.

(٢) الكشّي: أبو عمرو محمد بن عمر بن عبدالعزيز فقيه إمامي، نسبته إلى «كش» من بلاد ما وراء النهر، اشتهر بكتابه «معرفة أخبار الرجال»، توفي بسمرقند سنة أربعين وثلاث مائة.

● الأعلام: ٧/٢٠١.

(٣) في (ر): أبينا.

(٤) بنو سليم: قبيلة عظيمة من قيس عيلان، والنسبة إليهم سُلمى، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة وهناك بطنان آخران.

● نهاية الأرب: ٢٧١، رقم: ١٠٥١.

بـنـا عَـزَّ ديـنُ الله غـيـر تـنـحـلّ   وزدنا على الحيّ الذي معه ضعفا
بـمـكـة إذ جـئـنـا كـأنّ لـواءنـا   عُقاب أرادت بعد تحليقها خطفا
غداة وطئنا المشركين ولم نجد   لأمـر رسـول الله عـدلاً ولا صـرفـا
ببيض تطير الهام من مستقرّها   وتقطف أعناق الكماة بها قطفا[1]
فكائن تركنا من قتيل ملحّب[2]   وأرملة تدعو على بعلها لهفا
رضا الله ننوي لا رضا الناس نبتغي   ولله ما يبدو جميعاً وما يخفا[3]

قال السّهيلي: قوله «وفينا ولم يستوفها معشر ألفاً» أي: وفينا ألفاً ولم يستوفها غيرنا من القبائل[4]، أي: لم يستوف هذه العدة غيرنا.

وقال عباس بن مرداس أيضاً [الطويل]:

حبيّبة ألوت بها غربة النّوى[5]   لِبينٍ فهل ماضٍ من العيش راجعُ
فإن تبتغي الكفار غير ملومة[6]   فـإنّـي وزيـر لـلـنّـبـي وتـابـعُ
دعانا إليه[7] خير وفد علمتهم   خزيمة والمرّار منهم وواسعُ
فجئنا بألف من سليم عليهِمُ   لَبُوسٌ لهم من نسج داود رائعُ[8]
نـبـايـعـه بـالأخـشـبـيـن وإنّـمـا   يـد الله بـيـن الأخـشـبـيـن نـبـايـعُ
فجسنا مع المهديّ مكة عنوة   بأسيافنا والنّقع كابٍ وساطعُ[9]

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام ورد هذا البيت هكذا:
ببيض نطير الهام عن مستقرها   ونقطف أعناق الكماة بها قطفا
(٢) ملحّب: مقطع اللحم.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٦٤/٢ ـ ٤٦٦، وبينهما خلاف.
(٤) الروض الأنف: ٢٢٣/٧.
(٥) في (ر): خبية ألوت بها غربة القوى.
(٦) في (ر): ملية.
(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: دعانا إليهم خير.
(٨) في (ر): داود رافع، وهذا البيت ذكر قبل البيت الذي قبله.
(٩) جسنا: وطئنا، المهدي: الرسول ﷺ، كاب: مرتفع.

عدنية والخيل يُخشى[1] متونها حميمٌ[2] وآنٍ من دم الجوف ناقعُ[3]
ويومَ حنين حين سارت هوازن إلينا وضاقت بالنفوس الأضالعُ
صبرنا مع الضّحّاك[4] لا يستفزّنا قراع الأعادي منهم والوقائعُ
أمام رسول الله يخفق فوقنا لواء كخذوف[5] السّحابة لامعُ
عشية ضحّاك بن سفيان معتصٍ بسيف رسول الله والموت كانعُ[6]
نذود أخانا عن أخينا ولو نرى مصالاً[7] لَكُنّا الأقربين نتابعُ
ولكنّ دين الله دينَ محمدٍ رضينا به فيه الهدى والشرائعُ
أقام به بعد الضّلالة أمرنا وليس لأمر حمّه[8] الله دافع[9]

قال السّهيلي: قوله:

«دعانا إليه خير وفد علمتهمُ خزيمة والمرّار منهم وواسع»

هؤلاء وفد بني سليم، وفدوا على النبي ﷺ فأسلموا، ثم دعوا قومهم

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: والخيل يغشى متونها.
(٢) الحميم ـ هنا ـ: العرق: ماء حارّ.
(٣) وآنٍ: ماء حارّ، ناقع: كثير. وفي القرآن الكريم: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٤].
(٤) أبو سعيد الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب الكلبي، ولاه رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وبعثه أميراً في سرية، وإلى ذلك يشير عباس بن مرداس بقوله:
إن الذين وفوا بما عاهدتهم جيش بعثت عليهم الضّحاك
وكان الضحاك سياف رسول الله ﷺ، ويقوم على رأسه متوشّحاً سيفه، روى عنه سعيد بن المسيب والحسن البصري، وغيرهما.
● الاستيعاب: ٧٤٢/٢ ـ ٧٤٣، تر: ١٢٥٠.
(٥) خذروف السّحابة: طرفها ـ والمراد سرعة تحرّك هذا اللواء واضطرابه.
(٦) معتص: ضارب، يقال: اعتصوا بالسيوف إذا ضاربوا بها. كانع: دان، يقال: كنع من الموت إذا دنا.
(٧) مصالاً: تطاولاً.
(٨) حمّه الله: قدّره الله.
(٩) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٦٣/٢ ـ ٤٦٤.

إلى الإسلام فأسلموا، فذكر فيهم المرّار السّلمي [وواسعاً السلمي][1] وخزيمة[2] وهو خزيمة بن جزي، وكان الدّارقطني يقول فيه: جزي، بكسر الجيم[3].

وقال عباس بن مرداس أيضاً [الطويل]:

نصرنا رسول الله من غضب له ... بألف كميّ لا تعدّ حواسره[4]

حملنا له في عامل الرمح راية ... يذود بها في حومة الموت ناصره

ونحن خَضَبْنا هادماً فهو لونُها ... غداةَ حنينٍ يومَ صفوانَ شاجِره[5]

وكنّا على الإسلام ميمنة له ... وكان لنا عقد اللّواء وشاهره/ ٢١٥/و

وكنّا له دون الجنود بطانة ... يشاورنا في أمرنا[6] ونشاوره

دعانا فسمّانا الشّعار[7] مقدماً ... وكنّا له عوناً على من يُناكِره

جزى الله خيراً من نبيٍّ محمداً ... وأيّده بالنّصر والله ناصره[8]

وقال عبّاس بن مرداس أيضاً [الطويل]:

من مُبْلِغ[9] الأقوام أنّ محمداً ... رسول الإلّه راشدٌ حيثُ يمّما

---

(١) في (ر) ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) خزيمة بن جزي السلمى ـ له صحبة ـ روى عنه أخوه حبان بن جزي، وفي أسد الغابة، خزيمة بن جزي بن شهاب العبدي من عبد القيس، يعدّ في أهل البصرة.
- أ ـ الاستيعاب: ٤٤٩/٢، تر: ٦٦٩.
- ب ـ أسد الغابة: ٦١٢، تر: ١٤٤٩.

(٣) الروض الأنف: ٢١٩/٧ ـ ٢٢٠.

(٤) حواسره: جموعه الذين لا دروع عليهم.

(٥) شاجره: مخالطه بالرمح، يقال: شجرته بالرمح إذا طعنته به، وشجرت الرماح إذا دخل بعضها في بعض.

(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: يشاورنا في أمره ونشاوره.

(٧) الشعار: ما ولي جسد الإنسان من الثياب، واستعاره هنا لبطانته وخاصته.

(٨) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٦٨/٢ ـ ٤٦٩.

(٩) في (ر): من يبلّغ.

دعا ربّه واستنصر الله وحده ... وأصبح[1] قد وفّى إليه وأنعما
سرينا وواعدنا قديداً محمداً ... يؤُمُّ بنا أمراً من الله محكما
تماروا بنا في الفجر حتّى تبيّنوا ... مع الفجر فتيانا وغاباً[2] مقوّما
على الخيل مشدوداً علينا دروعنا ... ورجلاً كدفّاع الآتي[3] عرمرما
فإنّ سَرَاة الحيّ إن كنت سائلاً ... سُليماً[4] وفيهم منهم من تَسلّما[5]
وجند من الأنصار لا يخذلونه ... أطاعوا فما يَعْصُونه ما تكلّما
فإن تك[6] قد أمّرت في الحيّ خالداً ... وقدّمته فإنّه قد تقدّما
بجندٍ هداه الله أنت أميره ... تصيب به في الحقّ من كان ظالما[7]
حلفت يميناً برّة لمحمد ... فأكملتها ألفاً من الخيل مُلْجما
وقال نبي المؤمنين[8] تقدّموا ... وحبّ[9] إلينا أن تكون المقدّما
أطعناك حتّى أسلم النّاس كلهم ... وحتّى صبحنا الجمع أهل يلملما[10]
يضلّ الحصان الأبلق[11] الورد وسطه ... ولا يطمئن الشيخ حتّى يسوّما[12]

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: فأصبح.
(٢) الغاب: ـ هنا ـ الرماح.
(٣) الآتي: السيل يأتي من بلد إلى بلد. والعرمرم: الكثير الشديد.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: سليم.
(٥) تسلّم: انتسب إلى سليم ـ كما تقول: تقيّس إذا انتسب إلى قيس.
(٦) في الأصل: فإن تكن قد أمرت في القوم خالداً.
(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: من كان أظلما.
(٨) في الأصل: وقال نبي المؤمنين قد تقدّموا.
(٩) في (ر): وأحبب إلينا أن تكون المقدما.
(١٠) يلملم: جبل على مرحلتين من مكة، وهو ميقات أهل اليمن للإحرام، ويقال: ألملم، وفيه مسجد معاذ بن جبل.
● مراصد الاطلاع: ١٤٨٢/٣.
(١١) الأبلق: الذي فيه بياض مع سواد. والورد: المشرب حمرة. واجتماع هذه الألوان في الحصان مما يزيده ظهوراً، وهو مع ذلك يغيب في غمرة هذا المكان وزحمته.
(١٢) يسوّم: يعلّم نفسه أو حصانه بعلامة يعرف بها.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٤٦٩/٢ ـ ٤٧٠، وبينهما خلاف.

باب في غزوة الطائف

قال ابن إسحاق: ولما قدم فَلُّ[1] ثقيف الطائف، أغلقوا عليهم أبواب مدينتهم، ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف، فمرّ بحصن مالك بن عوف فهدمه، ثم مضى ﷺ حتّى نزل قريباً من الطائف فضرب به عسكره، فكانت النّبل تنالهم، ثم نقل عسكره عند مسجده ﷺ الذي بالطائف اليوم، فحاصرهم بضعاً[2] وعشرين ليلة، ومعه امرأتان من نسائه أحدهما أمّ سلمة، رضي الله عنهما[3]، فضرب لهما قبّتين، ثم صلّى بينهما، ثم أقام، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلّى رسول الله ﷺ عمرُو بن أمية مسجداً، وكانت في ذلك المسجد سارية مما[4] يذكرون لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدّهر إلا سُمع له نقيض[5].

قلت: وهذه آية من آياته ﷺ، في ظهور هذا الأمر العجيب في مصلاه، وعساه أن يكون ذلك شبيهاً بحنين الجذع حين فارقه ﷺ، على ما قدمنا في الكتاب.

قال النيسابوري: لما همّ النبي ﷺ بقطع نخيل أهل الطائف، جاء عيينة ـ يعني ابن حصن ـ فقال: يا رسول الله، ائذن لي أكلّمهم، لعل الله أن يهديهم، فأذن له النبي ﷺ، فانطلق حتى دخل عليهم الحصن فقال: بأبي أنتم، تمسّكوا بمكانكم، والله لنحن أذل من العبيد، وأقسم بالله لئن حدث به حدث لتملكنّ[6] العرب عزّاً ومنعة، فتمسّكوا بحصنكم، وإياكم

---

(١) الفلّ: الجماعة المنهزمة من الجيش.
(٢) في الأصل: بضع وعشرين.
(٣) في (د) و(ر): رضي الله عنها.
(٤) في (ر): فيما يذكرون.
(٥) النقيض: الصوت.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٤٧٨/٢ ـ ٤٨٣، بينهما خلاف.
(٦) في الأصل: لتكلمن.

أن تعطوا بأيديكم، ولا يتكابرنّ عليكم قطع هذا الشجر، ثم رجع عيينة إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «**ماذا قلت لهم يا/ عيينة؟**» [قال][1]: أمرتهم بالإسلام ودعوتهم إليه، وحذّرتهم من النار ودللتهم على الجنّة، فقال له النبي ﷺ: «**كذبت، بل قلت لهم كذا وكذا**» فقص عليه رسول الله ﷺ حديثه، فقال: صدقت يا رسول الله، أتوب إلى الله وإليك من ذلك.

٢١٦/ظ

وروى البخاري عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منه[2] شيئاً، قال: «**إنا قافلون إن شاء الله**» فثقل عليهم. قالوا[3]: نذهب ولا نفتح؟ فقال: «**اغدوا على القتال**» فغدوا فأصابهم جراح، فقال: «**إنّا قافلون غداً إن شاء الله**»، فأعجبهم، فضحك النبي ﷺ[4].

وذكر ابن إسحاق حديثاً: أنّه ﷺ لم يؤذن له في ثقيف، فارتحل عنهم، ثم إنّ وفد هوازن أتوا رسول الله ﷺ وقد أسلموا، فسألوا النبي ﷺ أن يمنّ عليهم ويتعطّف[5]، فخيّرهم بين أموالهم وذراريهم، فاختاروا[6] ذراريهم، فردّ عليهم نساءهم وأولادهم، وقسم الأموال على المجاهدين. ثم سألهم ﷺ عن مالك بن عوف: «**ما فعل؟**» فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف، فقال لهم ﷺ: «**أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل**» فأخبروا مالكاً بذلك، فخرج إليه من الطائف. وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أنّ رسول الله ﷺ قال له ما قال فيحبسوه، فأمر براحلته فهُيّئت

---

(١) في (ر): ما بين الحاصرتين ساقط. وفي الأصل: قال: قلت لهم... وأمرتهم.

(٢) في صحيح البخاري: فلم ينل منهم شيئاً.

(٣) في صحيح البخاري: وقالوا: نذهب ولا نفتحه، وقال: مرة نقفل، فقال...

(٤) صحيح البخاري: ١٩٨/٥، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان قاله موسى بن عقبة.

(٥) في الأصل: يتعط ـ بسقوط الفاء ـ.

(٦) في الأصل: فاختار ـ بسقوط واو الجماعة ـ.

بمكان، وأمر بفرس له فأتي به الطائف، فخرج ليلاً، فجلس على فرسه فركضه حتّى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس، فركبها فلحق برسول الله ﷺ، فردّ عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم وحسن إسلامه.

فقال مالك بن عوف حين أسلم [الكامل]:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ... في الناس كلّهم بمثل محمّد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتُذي ... ومتى تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عرّدت[1] أنيابها ... بالسّمهريّ وضرب كل مهنّد
فكأنّه ليث على أشباله ... وسط الهباءة[2] حاذر في مرصد

فاستعمله النبي ﷺ على من أسلم من قومه. وتلك القبائل: ثمالة[3] وسلِمَة[4] وفهم[5]، فكان يقاتل بهم[6] ثقيفاً، لا يخرج لهم سرح[7] إلاّ أغار عليه، حتّى ضيّق عليهم ولانوا[8] للإسلام[9].

---

(١) في (ر): عوّدت. وفي الأصل، و(ر): الكثيبة.
عرّدت أنيابها: قويت واشتدت، والسمهري: الرمح.
(٢) الهباءة: الغبار يثور عند اشتداد الحرب.
الخادر: الأسد في عرينه، وهو حينئذ أشد ما يكون بأساً لخوفه على أشباله.
(٣) بنو ثمالة: بطن من شنوءة من الأزد، من القحطانية.
● نهاية الأرب: ١٨٦، تر: ٦٦٨.
(٤) بنو سلمة: بطن من كندة، من القحطانية، وهم عدة بطون من العدنانية والقحطانية.
● نهاية الأرب: ٢٧٠، تر: ١٠٤٦.
(٥) بنو فهم: بطن من شنوءة من الأزد من القحطانية، وهم عدة بطون من القحطانية والعدنانية.
● نهاية الأرب: ٣٥٣، تر: ١٤٤٦.
(٦) في (ر): يقابل بهم.
(٧) في الأصل، و(ر): صرح ـ بالصاد ـ.
(٨) في (ر): ولانوا بالفرار. وفي الأصل: ولاثوا بالفرار للإسلام.
(٩) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٤٨٤ ـ ٤٩١، بينهما خلاف.

تأمّل أيّها العاقل هذه المنن منطوية في صور المحن، عجب من قوم يساقون إلى الجنّة بالسّلاسل.

اللهم مُنَّ علينا بخير الدارين بلا محنة بفضلك، كما يليق بفضلك، والزيادة مِن فضلك كما يليق بفضلك، في عافية بلا محنة. وصلّى الله على محمد[1] [خاتم النّبيين وعلى آله وصحابته أجمعين والحمد لله ربّ العالمين][2].



(١) في (ر): على سيدنا محمد.
(٢) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.



باب في غزوة تبوك وما اشتملت عليه من عظيم الآيات وواضح البراهين والكرامات

قال ابن إسحاق وغيره من العلماء: كل يحدث عن غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدّث ما لا يحدّث بعض: أنّ رسول الله ﷺ أمر أصحابه رضي الله عنهم بالتهيُّؤ لغزو الروم، وذلك في زمان عسرة وشدّة، من: الحرّ، وطيب الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم، وكان رسول الله ﷺ قلّما يخرج في غزوة إلاّ ورّى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنّه بيّنها للناس، لبعد الشّقة وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له[(١)].

قال البخاري في حديث كعب بن مالك: لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزاة[(٢)] إلاّ ورّى بغيرها، حتّى كان في تلك الغزاة[(٣)]، غزاها رسول الله /ﷺ في حرّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً[(٤)]، وعدوّاً كثيراً، فجلّى للمسلمين أمرهم[(٥)]، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، ـ والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ. يريد ديواناً[(٦)]. ٢١٧/و

وذكر النيسابوري عن أشياخنا: أنّ زيد بن ثابت[(٧)] رضي الله عنه قيل

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٥١٦/٢، بينهما خلاف.
(٢) في صحيح البخاري: غزوة.
(٣) في صحيح البخاري: تلك العزوة.
(٤) في صحيح البخاري: ومفازاً وعدواً كثيراً.
(٥) في صحيح البخاري: ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم.
(٦) في صحيح البخاري: يريد الديوان.
● صحيح البخاري: ٤/٦، باب غزوة تبوك.
(٧) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد البخاري الأنصاري، ولد ثلاث كنى: أبو سعيد، وأبو عبدالرحمٰن، وأبو خارجة، شهد أحداً وما بعدها، كان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وغيره، وأمره بتعلم السريانية فتعلمها في بضعة عشر يوماً، وكان أحد الفقهاء، واستخلفه عمر ثلاث مرات على المدينة توفي في خلافة معاوية.
● الاستيعاب: ٥٣٧/٢ ـ ٥٤٠، تر: ٨٤٠.

له: كم كنتم في غزوة تبوك؟ قال: ثلاثين ألفاً[(١)]، لقد كان الناس يرحلون عند ميل الشمس كما ترحلون والساقة مقيمون[(٢)] حتّى يرحل آخر العسكر، فسألت بعض من كان على الساقة فقال: ما كان[(٣)] يرحل آخرهم إلاّ مساء ثم نرحل على أثرهم، فلا ننتهي إلى العسكر إلا مصبحين، من كثرة الناس.

قال الواقدي: قالوا: إنّ الناس كانوا مع رسول الله ﷺ ثلاثين ألفاً، ومن الخيل عشرة آلاف فارس.

قال ابن إسحاق: وقد كان قوم من المنافقين قال بعضهم لبعض - يعني [بسرٍ][(٤)] -: ألا تنفروا في الحرّ، زهادة في الجهاد وشكّاً في الحق وإرجافاً برسول الله ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[(٥)].

ثم إنّ رسول الله ﷺ جدّ في سفره، وتخلّف عنه عبدالله بن أبي بنُ سلول[(٦)] رأس المنافقين فيمن تخلف من المنافقين، ثم إنّ أبا خيثمة رضي الله عنه تجهّز ولحق بالنبي ﷺ، حتّى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل تبوك قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله ﷺ: «**كن أبا خيثمة**» فقالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة. وهذه من آياته ﷺ.

---

(١) في (ر): ثلاثون ألفاً.

(٢) في (ر): يقيمون.

(٣) في الأصل: مالك يرحل.

(٤) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٥) التوبة: ٨١، ٨٢.

(٦) أبو الحباب عبدالله بن أبي بن سلول بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه من خزاعة، رأس المنافقين بالمدينة، توفي بالمدينة في سنة تسع، وتقدم النبي ﷺ فصلّى عليه، فنزلت الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤].
● الأعلام: ١٨٨/٤.

وقد كان رسول الله ﷺ حين مرّ بالحِجْر[١] ـ حجر ثمود ـ نزلها، واستقى الناس من بيرها، فقال ﷺ: **«لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضؤوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فأعلفوه الإبل، ولا يَخرُجنّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له»** ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ، إلاّ أنّ رجلين من بني ساعدة[٢] خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعير له، فأمّا الذي ذهب لحاجته فإنّه خنق على مذهبه[٣]، وأمّا الذي ذهب في طلب بعيره فإنّه احتملته الريح حتّى طرحته بجبل طيّء، فأُخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: **«ألم أنهكم[٤] أن لا يخرج منكمِ أحد إلا ومعه صاحب له؟»** ثم دعا للذي أصيب على مذهبه فشفي، وأما الآخر الذي وقع في جبل طيّء فإنّ طيّئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة[٥].

وقد خرّج البخاري ومسلم هذا الحديث عن أبي حميد السّاعدي[٦] رضي الله عنه. وفيه: فقال رسول الله ﷺ: **«أمّا إنّها ستهبّ الليلة ريح شديدة فلا يقومنّ أحد، ومن كان معه بعير فليعقله»** فعقلناها، وهبّت ريح شديدة، فقام رجل فألقته بجبل طيء... الحديث[٧].

---

(١) الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى، بين المدينة والشام، كانت مساكن ثمود، وهي بيوت منحوتة في الجبال.
● مراصد الاطلاع: ١/٣٨١.

(٢) بنو ساعدة: بطن من الخزرج من القحطانية، وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج.
● نهاية الأرب: ٢٢٥، رقم: ٩٩٣.

(٣) على مذهبه: المذهب هنا مكان قضاء الحاجة البشرية ـ التغوّط ـ.

(٤) في الأصل: ألم أنهاكم.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٥١٧ ـ ٥٢٢، بينهما خلاف.

(٦) أبو حميد السّاعدي الأنصاري، اختلف في اسمه. فقيل: المنذر بن سعد بن المنذر، وقيل: عبدالرحمٰن بن سعد وقيل غير ذلك، روى عنه جابر بن عبدالله من الصحابة، وعروة بن الزبير وغيرهما، توفي في آخر خلافة معاوية.
● الاستيعاب: ٤/١٦٣٣، تر: ٢٩٢١.

(٧) ● أ ـ صحيح البخاري: ٢/١٥٥، باب خرص التمر.
● ب ـ صحيح مسلم: ٤/١٧٨٥ ـ ١٧٨٦، رقم: ١٣٩٢، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ.
● ج ـ صحيح ابن حبان: ٧/١٥ ـ ١٦، رقم: ٤٤٨٦، ذكر الإباحة للإمام إعطاء أهل الشرك الهدايا إذا طمع في إسلامهم.

وفي رواية: فقام رجل فحملته الريح حتّى ألقته بجبل طيّء. ولما مرّ رسول الله ﷺ بالحِجْر سجّى ثوبه على وجهه واستحثّ راحلته ثم قال: «**لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون، لئلاً يصيبكم ما أصابهم**»[1]. فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتّى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء.

قال ابن إسحاق: وحدّث محمود بن لبيد[2] عن رجال من قومه: أنّ رجلاً من المنافقين معروفاً نفاقُه كان يسير مع النبي ﷺ حيث سار، فلما كان من أمر الماء بالحجر ما كان ودعا رسول الله ﷺ حين دعا فأرسل الله عزَّ وجلَّ السّحابة فأمطرت، حتّى ارتوى الناس، قالوا: فأقبلنا عليه نقول: ويحك! هل بعد هذا شيء؟ قال: «**سحابة مارّة**»[3].

قلت: وهذا كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ /ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[4]. ٢١٨/ظ

قال ابن إسحاق: ثم إنّ رسول الله ﷺ سار، حتّى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته، فخرج بعض أصحابه فطلبها وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه يقال له عمارة بن حزم[5]، وكان عقبياً بدرياً، وكان

---

(١) ● أ ـ صحيح البخاري: ٩/٦، نزول النبي ﷺ الحجر.
● صحيح البخاري: ١٠١/٦، سورة الحجر.
● ب ـ صحيح مسلم: ٢٢٨٥/٤ ـ ٢٢٨٦، رقم: ١٣٩٢، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين.

(٢) محمود بن لبيد بن رافع بن امرىء القيس بن زيد الأنصاري الأشهلي، ولد على عهد رسول الله ﷺ، وحدّث عنه بأحاديث، وكان أحد العلماء، توفي سنة ستّ وتسعين.
● الاستيعاب: ١٣٧٨/٣ ـ ١٣٧٩، تر: ٢٣٤٧.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٢٢/٢.

(٤) الأنعام: ١١١.

(٥) عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان الخزرجي الأنصاري، كان في السبعين الذين بايعوا الرسول ﷺ ليلة العقبة، شهد بدراً، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكانت معه راية بني مالك بن النجار في غزوة الفتح، خرج مع خالد بن الوليد لقتال أهل الرّدة فقتل باليمامة شهيداً.
● الاستيعاب: ١١٤١/٣، تر: ١٨٦٦.

في رحله زيد بن لصيت القينقاعيّ، وكان منافقاً، فقال زيد بن لصيت وهو في رحل عمارة وعمارةُ عند رسول الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنّه نبي، ويخبركم عن خبر السماء؟ وهو لا يدري أين ناقته!! فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده: «**إنّ رجلاً قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، وإنّي والله ما أعلم إلا ما علّمني الله، وقد دلّني الله عليها، وهي في هذا الوادي، من شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتّى تأتوني بها**» فذهبوا فجاؤوا بها، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال: واللَّهِ لَعَجَبٌ من شيء حَدَّثَناه رسول الله ﷺ آنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عزَّ وجلَّ عنه كذا وكذا ـ للذي قال زيد بن لُصَيتٍ ـ، فقال رجل ممّن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيدٌ واللَّهِ قال هذه المقال قبل أن تأتي، فأقبل عمارة على زيد يجأ[1] في عنقه ويقول: يا لعباد الله، إنّ في رحلي لداهية وما أشعر، أخرج أيْ عدوَّ الله من رحلي ولا تصحبني. فزعم بعض الناس أنّ زيداً تاب بعد ذلك، وقال بعضهم: لم يزل متّهماً بشرّ حتّى هلك.

ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً، فجعل يتخلّف عنه الرجل فيقولون: تخلّف فلان يا رسول الله، فيقول: «**دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك على غير ذلك فقد أراحكم الله منه**» حتّى قيل له: يا رسول الله، تخلّف أبو ذر وأبطأ به بعيره، فقال: «**دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه**» وتلوّم[2] أبو ذر على بعيره، فلمّا أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتّبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله ﷺ: «**[كن أبا ذر]**»، فلما تأمّله القوم قالوا: يا رسول الله،

---

(١) يجأ في عنقه: يطعنه فيه.

(٢) تلوّم: تمكّث وتمهّل.

أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ:][1] **«رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده»**.

قال ابن إسحاق عن شيوخه عن عبدالله بن مسعود قال: لما خرج أبو ذر إلى الربذة[2] وحضرته منيته ولم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه، فأوصاهما أن اغسلاني وكفّناني ثم ضعاني على قارعة الطريق، فأوّل ركب يمرّ بكما فقولا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ، فأعينونا على دفنه، فلما مات فعلا به ذلك ثم وضعاه على قارعة الطريق، وأقبل عبدالله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمّار، فلم يَرُعْهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق قد كادت الإبل تطؤها، وقام إليهم الغلام فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ، فأعينونا على دفنه. قال: فاستهلّ عبدالله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله ﷺ، تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك. ثم نزل هو وأصحابه فواروه، ثم حدّثهم عبدالله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك.

قال ابن إسحاق: وقد كان رهط من المنافقين، منهم وديعة بن ثابت[3] ومخشّن بن حميّر[4]، وقال ابن هشام: مخشيّ، يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً؟ والله لكأنّا بكم غداً مقرّنين[5] في

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) الربذة: من قرى الشام على ثلاثة أميال، منها قرية ذات عرق على طريق الحجاز، خرّبها القرامطة سنة تسع عشرة وثلاث مائة، وبها قبر أبي ذرّ رضي الله عنه.
- مراصد الاطلاع: ٦٠١/٢.

(٣) وديعة بن ثابت، من بني أمية بن زيد رهط أبي لبابة بن عبد المنذر.
- كتاب المغازي: ١٠٠٣/٣.

(٤) مخشّن بن حميّر الأشجعي حليف لبني سلمة، كان من المنافقين، فتاب وحسنت توبته، وسمي عبدالرحمٰن، فسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر.
- الاستيعاب: ١٣٨١/٣، تر: ٢٣٥٠.

(٥) في (ر): مقرضين.

الحبال ـ إرجافاً وترهيباً للمؤمنين ـ، فقال مخشّن بن حمّير: والله لوددت أنّي أقاضى على أن يضرب كل رجل منّا مائة جلدة وأنّا ننفلت[1] أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه. وقال رسول الله /ﷺ ـ فيما بلغني ـ لعمّار بن ياسر: «**أدرِكِ القومَ فإنّهم قد احترقوا، فسلهم عمّا قالوا، فإن أنكروا فقل: بل قلتم كذا وكذا**». ٢١٩/و

فانطلق إليهم عمّار فقال ذلك لهم؛ وأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على ناقته، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها[2]: يا رسول الله، إنّما كنّا نخوض ونلعب، فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾[3] وقال مخشن بن حمير: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي، فكان الذي عفي عنه في هذه الآية مخشن بن حمير، فتسمى عبدالرحمٰن، وسأل الله أن يُقتل شهيداً لا يُعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر.

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحنّة بن رؤبة[4] صاحب أيلة، فصالح رسولَ الله ﷺ وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء[5] وأذرح[6] فأعطوه الجزية، وكتب لهم كتاباً فهو عندهم، فكتب ليُحنّة بن رؤبة:

«**بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله**

---

(١) في (ر): ننقلب أن ينزل.

(٢) الحقب: حبل يشد على ظهر البعير، سوى الحزام الذي يشدّ فيه الرحل.

(٣) التوبة: ٦٥.

(٤) يحنّة بن رؤبة، صاحب أيلة، جاء إلى النبي ﷺ، وعليه صليب من ذهب وهو معقود الناصية، مطأطىء الرأس، فأومأ إليه النبي ﷺ: ارفع رأسك، وصالحه، وكساه برداً من برود اليمن، وأمر له بمنزل عند بلال.
● كتاب المغازي: ١٠٣١/٣.

(٥) الجرباء: موضع من أعمال عمّان بالبلقاء بأرض الشام، قرب جبال السراة من ناحية الحجاز.
● مراصد الاطلاع: ٣٢٢/١.

(٦) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال السراة، ويقال لها «السراة» من نواحي البلقاء، وعمان.
● مراصد الاطلاع: ٤٧/١.

ليحنّة بن رؤبة وأهل أيلة، سفنهم[1] وسيّارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنّه طيّبة لمن أخذه من الناس، وإنّه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، من برّ أو بحر. [ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر]»[2].

ثم إنّ رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد، فبعثه إلى أكيدر دومة، هو أكيدر بن عبدالملك، رجل من كندة[3] كان مالكاً عليها، وكان نصرانياً.

فقال نبي الله ﷺ لخالد: «**إنّك ستجده يصيد البقر**». فخرج خالد، حتّى إذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له ومعه امرأته، فباتت البقر تحكّ بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله! قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بفرسه فأُسرج له، فركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ له يقال له حسّان[4]، فركب وخرجوا معه بمطاردهم[5]، فلما خرجوا تلقّتهم خيل رسول الله ﷺ، فأخذوه وقتلوا أخاه، وقد كان عليه قباء من ديباج مُخوَّص[6] بالذّهب، فاستلبه خالد فبعثه إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رأيت قباء أكيدر حين قُدم به على رسول الله ﷺ،

---

(١) في الأصل: سبقهم وسيارتهم.
(٢) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٣) كندة: مخلاف باليمن، وكندة، قبيلة من كهلان، وكندة: أبوهم واسمه ثور، وإنما سمي كندة لأنه كند أباه، أي كفر نعمته، وكان لهم ملك بالحجاز واليمن.
- أ ـ مراصد الاطلاع: ١١٨١/٣.
- ب ـ نهاية الأرب: ٣٦٦، تر: ١٤٩٩.

(٤) حسان بن عبدالملك قتله خالد بن الوليد في دومة الجندل على عشرة أميال عن المدينة في سنة تسع.
- كتاب المغازي: ١٠٢٦/٣.

(٥) المطارد: جمع مطرد، وهو آلة الطرد، رمح قصير يطعن به الوحش في الطّراد.
(٦) مخوّص: منسوج.

فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه، فقال رسول الله ﷺ: **«أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده، لمناديل سعد بن معاذ في الجنّة أحسن من هذا»**.

ثم إنّ خالد بن الوليد قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ، فحقن دمه وصالحه على الجزية ثم خلّى سبيله، فرجع إلى قريته؛ فقال رجل من طيّء يقال له بجير بن بجرة[1] ـ يذكر قول رسول الله ﷺ لخالد: **«إنّك ستجده يصيد البقر»** ـ: وما صنعت البقر تلك الليلة؟

ثم استخرجته لتصديق قول رسول الله ﷺ [من الوافر]:

تبارك سائق البقرات إنّني ... رأيت الله يهدي كل هادي[2]

فمن يك حائراً عن ذي تبوك ... فإنّا قد أُمرنا بالجهاد

فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة، ولم يجاوزها، ثم انصرف رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة، وكان في الطريق ماء يخرج من وشل[3] ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة، بواد يقال له وادي المشقق، فقال رسول الله ﷺ: **«من سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يسقينّ منه شيئاً حتّى نأتيه»** قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه، فلما أتاه رسول الله /ﷺ [وقف عليه][4] فلم ير فيه شيئاً، فقال: **«من سبقنا إلى هذا؟»** فقيل له: يا رسول الله، فلان وفلان؛ فقال: **«أولم أنههم أن يستقوا منه شيئاً[5]»**، حتّى

٢٢٠/ظ

---

(١) بجير بن بجرة الطائي، قال له النبي ﷺ: **«لا يفضض الله فاك»** لما أنشده بيتين، فأتت عليه تسعون سنة وما تحركت له سن ولا ضرس، وله في قتال أهل الردة أشعار وآثار.
- أ ـ الاستيعاب: ١٤٨/١، تر: ١٦٤.
- ب ـ أسد الغابة: ١٩٦/١، تر: ١٦٣.

(٢) في (ر): إنّي.. رأيت الله يهدي كل هاد.

(٣) الوشل: حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً.

(٤) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٥) في (ر): أن يستقوا منه شيء.

آتيه؟» ثم لعنهم رسول الله ﷺ ودعا عليهم. ثم نزل رسول الله ﷺ فوضع يده تحت الوشل فجعل يصبّ في يده ثم نضحه به ومسحه بيده، ودعا بما شاء الله أن يدعو به، فانخرق من الماء ـ كما يقول من سمعه ـ ما إنّ له حسّاً كحسّ الصواعق، فشُرب الناس واستقوا حاجتهم منه، فقال رسول الله ﷺ: **«لئن بقيتم»** أو **«من بقي منكم ليسمعنّ بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه»**[1].

قال السّهيلي: وقوله «فلان وفلان» يعني الذين سبقوا إلى الماء.

قال الواقدي: سبقه[2] إليه أربعة من المنافقين: معتّب بن قشير[3]، والحارث بن يزيد الطّائي[4] ووديعة بن ثابت، وزيد بن لصيت[5].

قال ابن مسعود: قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك. قال: فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، فاتّبعتها أنظر إليها فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبدالله ذو البجادين[6] المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرته وأبو بكر وعمر يدلّيانه ويقول ﷺ: **«دلّيا إليّ أخاكما»**، فدلّياه إليه، فلما هيّأه لشقه قال: **«اللهم إنّي قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه»**. قال: يقول عبدالله بن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٥٢٢ ـ ٥٢٧، بينهما خلاف.

(٢) في الروض الأنف: سبقه إليها.

(٣) معتّب بن قشير بن مليل بن زبد بن العطاف، من المنافقين، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ في غزوة أحد، فكان الجواب: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].
● كتاب المغازي: ١/١٥٩.

(٤) الحارث بن يزيد الطائي حليف بني عمرو بن عوف، من المنافقين الأربعة الذين سبقوا إلى واد تبوك.
● كتاب المغازي: ١/١٠٣٩.

(٥) الروض الأنف: ٧/٣٥٨.

(٦) ذو البجادين: عبدالله بن عبد نهم المزني، عم عبدالله بن مغفل.
● الاستيعاب: ٣/١٠٠٣، تر: ١٦٩٢.

مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة. وإنّما سُميّ ذا البجادين[1] لأنّه كان ينازع إلى الإسلام فيمنعه قومه من ذلك ويضيّقون عليه، حتّى تركوه في بجاد ليس عليه غيره. والبجاد: الكساء الغليظ الجافي، والبجاد أيضاً: المسح. فهرب منهم إلى رسول الله ﷺ، فلما كان قريباً منه شقّ بجاده باثنين فاتّزر بواحد واشتمل بالآخر ثم أتى رسول الله ﷺ، فقيل له: ذو البجادين[2].

قال ابن إسحاق وغيره: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتّى نزل بذي أوان[3] ـ بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ـ.

وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه ﷺ وهو يتجهّز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله، إنّا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة، والليلة المطيرة الشاتية، وإنّا نحبّ أن تأتينا فتصلّي لنا فيه؛ فقال: «**إنّي على جناح سفر وحال شغل**» أو كما قال ﷺ: «**ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلّينا لكم فيه**». فلمّا رجع رسول الله ﷺ من تبوك ونزل بذي أوان نزل عليه القرآن في شأن مسجد الضرار، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدّخشم[4] أخا بني سالم، ومعن بن عدي[5] أو أخاه عاصم بن عدي[6] فقال: «**انطلقا**

---

(١) في الأصل: ذلك البجادين، وفي (ر): ذو البجادين.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٢٧/٢ ـ ٥٢٨، وبينهما خلاف.

(٣) ذو أوان: موضع قريب من المدينة يقال له ذو أوان أو ذات أوان.
- مراصد الاطلاع: ١٢٨/١.

(٤) مالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن غنم بن عوف، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وهو الذي أسر سهيل بن عمرو يوم بدر.
- الاستيعاب: ١٣٥٠/٣ ـ ١٣٥١، تر: ٢٢٦٤.

(٥) معن بن عدي بن الجد بن عجلان البلوي، أبو عدي، شهد العقبة وبدراً، وسائر المشاهد مع النبي ﷺ، قتل شهيداً في قتال مسيلمة يوم اليمامة.
- الاستيعاب: ١٤٤١/٤ ـ ١٤٤٢، تر: ٢٤٧١.

(٦) عاصم بن عدي بن الجد، أبو عبدالله، شهد بدراً، وأحداً، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، توفي سنة خمس وأربعين وقد بلغ قريباً من عشرين ومائة.
- الاستيعاب: ٧٨١/٢ ـ ٧٨٢، تر: ١٣٠٩.

إلى هذا المسجد الظالم [أهله][1] **فاهدماه وأحرقاه»** فخرجا سريعين حتّى أتيا بني سالم، وهم رهط مالك بن الدّخشم، فقال مالك لمعن: أنظرني حتّى أخرج إليك بنار من أهلي، فدخل إلى أهله فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً، ثم خرجا يشتدان حتّى دخلاه وفيه أهله، فحرّقاه وهدّماه، وتفرقوا عنه، ونزل فيه من القرآن: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾[2]، وهو أبو عامر الفاسق، كانوا يرجون قدومه بجيش من الشام يحارب المسلمين، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً، منهم ثعلبة[3] بن حاطب، ومعتّب بن قشير ونبتل[4] بن الحارث، ووديعة بن ثابت وغيرهم[5].

قال ابن عطية: والبنيان الذي أسس على شفا جرف هو مسجد الضرار بإجماع.

وقوله: ﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ قال ابن عطية: الظاهر منه أنّه خارج مخرج المثل. وقيل: بل ذلك حقيقة، وأنّ ذلك المسجد بعينه انهار في نار جهنّم. قاله قتادة وابن/ جريج. وانهار معناه تهدّم. ٢٢١/و

وروي عن جابر بن عبدالله وغيره أنّه قال: رأيت الدّخان يخرج منه على عهد رسول الله ﷺ.

وروي في بعض الكتب: أنّ رسول الله ﷺ رآه حين انهار بلغ الأرض السّابعة، ففزع لذلك ﷺ.

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) التوبة: ١٠٧.

(٣) ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف، توفي في خلافة عمر، وقيل في خلافة عثمان.

● الاستيعاب: ٢٠٩/١ ـ ٢١٠، تر: ٢٧٠.

(٤) نبتل بن الحارث بن قيس بن زيد بن عوف الأنصاري الأوسي، قال ابن إسحاق فيه نزلت الآية: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ الآية [التوبة: ٦١].

● الإصابة: ٥٤٩/٣، تر: ٨٦٧٥.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: ٥٢٩/٢ ـ ٥٣٠، بينهما خلاف.

وأسند الطبري عن خلف بن ياسين(١) أنه قال: رأيت مسجد المنافقين الذي ذكر الله في القرآن، فرأيت فيه مكاناً يخرج منه الدّخان، وذلك في زمن أبي جعفر المنصور(٢).

وروي شبيه بهذا أو نحوه عن ابن جريج(٣)، أسنده الطبري.

قال ابن العربي في «أحكامه» في قوله تعالى: ﴿فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ﴾(٤) مع قوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩﴾(٥): إشارة إلى أن النار تحت، كما أنّ الجنة فوق(٦).

قلت: والآثار بهذا المعنى كثيرة، وقد نبّهنا على كثير من هذا المعنى في كتابنا «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» وفي «رياض الصّالحين» و«الأنوار المضيئة» و«الروضة»، فحصّلها واعمل بها [تفز](٧) بخير الدّارين، بفضل الله ورحمته. والله المستعان وعليه التّكلان.



(١) في (ر): خلف بن بدسين.
(٢) أبو جعفر المنصور: عبدالله بن محمد بن علي بن العباس، ثاني خلفاء بني العباس وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب. ولد عام خمسة وتسعين، كان بعيداً عن اللهو والعبث، عارفاً بالفقه والأدب، وهو باني بغداد، أمّه بربرية اسمها «سلامة» توفي وهو محرم بالحج، ودفن بالجحون، وذلك في عام ثمانية وخمسين ومائة.
● الأعلام: ٤/٢٥٩.
(٣) في الأصل: من ابن جريج.
(٤) التوبة: ١٠٩.
(٥) القارعة: ٩.
(٦) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي: ٢/١٠٠٦.
(٧) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

باب في عدد غزوات النبي ﷺ وبعوثه وما أظهر الله سبحانه فيها من آياته وشرف نبيه عليه السلام

قال ابن إسحاق: وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعاً وعشرين غزوة[1]: غزوة ودّان[2]، وهي غزوة الأبواء، ثم غزوة بواط من ناحية رضوى، ثم غزوة العشيرة[3] من بطن ينبع، ثم غزوة بدر الأولى يطلب كرز بن جابر[4]، ثم غزوة بدر[5] التي قتل الله فيها صناديد قريش، ثم غزوة بني سليم حتّى بلغ الكدر[6]، ثم غزوة السّويق يطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غطفان، وهي غزوة ذي أمر، ثم غزوة بحران[7] معدن بالحجاز، ثم غزوة أحد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل، ثم غزوة بدر الأخيرة، ثم غزوة دومة[8] الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان من

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: منها غزوة ودان.

(٢) ودان: قرية تقع بين مكة والمدينة، بينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال، قريب من الجحفة.
- مراصد الاطلاع: ٣/١٤٢٩.

(٣) العشيرة: موضع بين مكة والمدينة من ناحية ينبع، وقيل: حصن صغير بين ينبع والمروة.
- مراصد الاطلاع: ٢/٩٤٣.

(٤) كرز بن جابر بن حيل القرشي الفهري، أسلم وحسن إسلامه، قتله المشركون يوم الفتح.
- الاستيعاب: ٣/١٣١٠ ـ ١٣١١، تر: ٢١٨٥.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: بدر الكبرى.

(٦) الكدر: ماء لبني سليم وبينهما وبين المدينة ثمانية برد.
- مراصد الاطلاع: ٣/١١٥٢.

(٧) بحران: موضع بناحية الفرع. وهو أعظم أعراض المدينة.
- مراصد الاطلاع: ٣/١٠٢٨.

(٨) دومة الجندل: حصن على سبعة مراحل من دمشق من المدينة، وقيل هي من أعمال المدينة.
- مراصد الاطلاع: ٢/٥٤٢.

هذيل، ثم غزوة ذي قرد[1]، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالاً[2]، ثم غزوة خيبر، ثم عمرة القضاء، ثم غزوة الفتح، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك[3].

قال أبو الربيع الكلاعي: وكانت تبوك آخر غزوة غزاها ﷺ.

قال ابن عطية: وكانت سورة براءة من آخر ما أنزل الله وتسمى سورة التوبة ـ قاله حذيفة وغيره ـ، وتسمّى الفاضحة ـ قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: ما زال ينزل ﴿وَمِنْهُمْ﴾ حتّى ظنّ أنّه لا يبقى أحد ـ.

قلت: ويشهد لما ذكره ابن عباس قوله تعالى في آخر السورة: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[4].

قال ابن عطية: المعنى: وإذا ما أنزلت سورة فيها فضيحة أسرار المنافقين نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد، أي: هل معكم من ينقل عنكم؟ هل يراكم من أحد حين تديرون أموركم؟ ثم انصرفوا، أي: عن طريق الاهتداء، وذلك أنهم وقت كشف أسرارهم والإعلام بمغيبات أمورهم، يقع لهم لا محالة تعجّب ونظر، وذلك الوقت هو مظنة الاهتداء لو سبقت لهم السّعادة.

قال ابن إسحاق: وقاتل ﷺ[5] في تسع غزوات:

في بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف.

وكانت بعوثه وسراياه ﷺ ثمان وثلاثين، من بين بعث وسرية: غزوة

---

(١) ذو قرد: ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر.
● مراصد الاطلاع: ١٠٧٦/٣.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: فصدّه المشركون.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٠٨/٢ ـ ٦٠٩.

(٤) التوبة: ١٢٧.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: قاتل منها في تسع غزوات.

عبيدة بن الحارث[1] أسفل ثنية المرة[2] ثم غزوة حمزة بن عبدالمطلب ساحل البحر من ناحية العيص[3] ـ وبعض الناس يقدم غزوة حمزة/ قبل غزوة عبيدة ـ، وغزوة سعد بن أبي وقّاص الخرّار[4]، وغزوة عبدالله بن جحش نخلة[5]، وغزوة زيد بن حارثة القردة[6]، وغزوة محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف، وغزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرّجيع، وغزوة المنذر بن عمرو ببئر معونة، وغزوة أبي عبيدة ابن الجراح ذا القصّة[7] من طريق العراق[8]، وغزوة عمر بن الخطاب تُرَبة[9] من أرض بني عامر، وغزوة علي بن أبي طالب اليمن، وغزوة غالب بن عبدالله الكلبي، الكديد[10] فأصاب بني الملوّح.

٢٢٢/ظ

---

(١) عبيدة بن الحارث: أبو الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي، أسلم قديماً، شهد بدراً، وكان أسنّ المسلمين آنذاك، وقطعت رجله يومئذ، فمات بالصفراء على ليلة من بدر.
- الاستيعاب: ٣/١٠٢٠ ـ ١٠٢١، تر: ١٧٤٨.

(٢) ثنية المرة: بفتح الميم وتخفيف الراء ـ اسم مكان فيه ماء بالحجاز ـ وقد سلك هذه الثنية دليل الرسول ﷺ يوم هاجر إلى المدينة.
- مراصد الاطلاع: ١/٣٠١.

(٣) العيص: عرض من أعراض المدينة على ساحل البحر.
- مراصد الاطلاع: ٢/٩٧٥.

(٤) الخرّار: علم لموضع قرب الجحفة، وقيل: موضع بخيبر.
- مراصد الاطلاع: ١/٤٥٥.

(٥) في (ر)؛ وغزوة عبدالله بن جحش بنخلة.

(٦) قردة ـ بالتحريك ـ ماء أسفل مياه الثلبوت بنجد.
- معجم البلدان: ٤/٣٢٢.

(٧) ذو القصّة: موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، وهو طريق الرّبذة.
- مراصد الاطلاع: ٣/١١٠٢.

(٨) في الأصل: من طويل العراق.

(٩) تُرَبة: بالضم فالفتح ـ واد بقرب مكة على يومين منها، حوله جبال السراة.
- مراصد الاطلاع: ١/٢٥٧.

(١٠) الكديد: موضع بالحجاز على اثنين وأربعين ميلاً من مكة ـ بين عسفان وأمج ويوم الكديد من أيام العرب.
- مراصد الاطلاع: ٣/١١٥٢.

وكان من حديثهم: أن رسول الله ﷺ بعث غالب بن عبدالله الكلبي في سرية، وأمره أن يشنّ الغارة على بني الملوّح وهم بالكديد. قال جندب[1] بن مكيث الجهني ـ وكان في تلك السرية ـ: فسرنا إليهم حتّى أتينا الكديد عند غروب الشمس، فكَمِنّا في ناحية الوادي، وأمهلناهم، حتّى إذا كان وجه السحر شننا عليهم الغارة. قال: فقتلنا واستقنا النّعم، وخرج صريخ القوم، فجاءنا دهم[2] لا قبل لنا به، ومضينا بالنّعم. قال: وأدركنا القوم، حتّى إذا قربوا منا وما بيننا وبينهم إلاّ وادي قديد، فأرسل الله عزّ وجلّ الوادي بالسّيل من حيث شاء تبارك وتعالى، من غير سحابة نراها ولا مطر، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة، ولا يقدر على أن يجاوزوه. قال: فوقفوا ينظرون إلينا وإنّا لنسوق نعمهم ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا ونحن نحدوها سراعاً، حتّى فقناهم فلم يقدروا على طلبنا. قال: فقدمنا بها على رسول الله ﷺ[3].

قلت: وهذه من عظيم آياته وباهر معجزاته صلّى الله عليه وعلى آله.

وغزوة علي رضي الله عنه بني عبدالله بن سعد من أهل فدك[4].

وغزوة أبي العوجاء[5] السّلمي أرض بني سليم، وغزوة عكاشة بن

---

(١) جندب بن مكيث الجهني، أخو رافع، يعد من أهل المدينة، وله ولأخيه صحبة ورواية.
- الاستيعاب: ٢٥٧/١، تر: ٣٤١.

(٢) الدهم: الجماعة الكثيرة.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٠٨/٢ ـ ٦١١، وبينهما خلاف.

(٤) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، فيها عين فوّارة ونخل أفاءها الله على رسوله صلحاً وهي التي قالت فاطمة: نحلنيها رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: أريد لذلك شهوداً.
- مراصد الاطلاع: ١٠٢٠/٣.

(٥) أبو العوجاء السلمي، وفي كتاب المغازي للواقدي بن أبي العوجاء، وذكر السرية وأنه لم ينج منهم إلا هو.
- أ ـ أسد الغابة: ٢٣٤/٥، تر: ٦١٣٤.
- ب ـ كتاب المغازي: ٧٤١/٢.

محصن الضمرة، وغزوة أبي سلمة بن عبدالأسد[١] قطناء ـ ماء من مياه بني أسد من ناحية نجد ـ، وغزوة محمد بن مسلمة القرطاء من هوازن، وغزوة بشير بن سعد بن مرّة بفدك، وغزوته أيضاً ناحية خيبر، وغزوة زيد بن حارثة الجموم من أرض بني سليم، وغزوته أيضاً جذام من أرض خشين، ويقال: من أرض حسمى[٢]، وغزوته أيضاً الطرف[٣] من ناحية نخل من طريق العراق، وغزوته أيضاً وادي القرى لقي به بني فزارة، فأصيب بها ناس من أصحابه، وارتثّ[٤] زيد من بين القتلى، فلما قدم زيد آلى أن لا يمسّ رأسه غسل من جنابة حتّى يغزو بني فزارة، فلما برىء من جراحه بعثه النبي ﷺ إلى بني فزارة في جيش فقتلهم بوادي القرى وسبا منهم سبايا فيهنّ أمّ قرفة[٥]، وكانت في بيت شرف من قومها؛ كانت العرب تقول: لو كنت أعزّ من أمّ قرفة ما زدت.

وغزوة عبدالله بن رواحة خيبر مرّتين، إحداهما التي أصاب فيها اليسير بن رزام ـ ويقال ابن رازم ـ.

وكان من حديث اليسير: أنّه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله ﷺ، فبعث إليه رسول الله ﷺ عبدالله بن رواحة في نفر من

---

(١) أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي، واسمه عبدالله بن عبد الأسد ممن هاجر بامرأته إلى الحبشة، وشهد بدراً، وجرح يوم أحد فمات من جرحه، وتزوج الرسول ﷺ امرأته أمّ سلمة.
● الاستيعاب: ١٦٨٢/٤، تر: ٣٠١٣.

(٢) حِسْمى بالكسر ثم السكون ـ جبال وأرض لجذام، وحسمى أيضاً: أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان.
● مراصد الاطلاع: ٤٠٣/١.

(٣) الطرف: ماء على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة.
● مراصد الاطلاع: ٨٨٥/٢.

(٤) ارتثّ: حُمل من المعركة رثيثاً أي جريحاً وبه رمق.

(٥) أم قرفة: فاطمة بنت ربيعة بن بدر، كانت عجوزة كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر، أخذت أسيرة هي وابنتها وعبدالله بن مسعدة، فأمر زيد أمير الغزوة بقتلها فقتلت.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٦١٧/٢.

أصحابه، منهم عبدالله بن أنيس[1] حليف بني سلمة، فلما قدموا عليه كلّموه وقرّبوا له: إنّك إن قدمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك، فلم يزالوا به حتّى إذا خرج معهم في نفر من يهود فحمله عبدالله بن أنيس على بعيره، حتّى إذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال ندم اليسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله ﷺ، ففطن له عبدالله بن أنيس وهو يريد السّيف، فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله، وضربه اليسير بمخرش[2] في يده فأمّه[3]، ومال كلّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ إلى صاحبه من يهود فقتله إلا رجلاً واحداً أفلت على رجليه، فلما قدم عبدالله بن أنيس على رسول الله ﷺ تفل على شجّته، فلم تَقِحْ ولم تؤذه. وهذه من جملة آياته وعظيم بركاته ﷺ.

وغزوة عبدالله بن عتيك[4] خيبر فأصاب بها/ أبا رافع بن أبي الحقيق. ٢٢٣/و

وغزوة عبدالله بن أنيس خالد بن سفيان[5]:

بعثه رسول الله ﷺ وهو بنخلة أو بعرنة يجمع لرسول الله ﷺ النّاس ليغزوه، فقتله. قال عبدالله بن أنيس: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «**إنّه قد بلغني أنّ ابن سفيان الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني وهو بنخلة أو بعرنّة**[6]**، فأته فاقتله**» قلت: يا رسول الله، انعته[7] لي حتّى أعرفه، فقال: «**إنّك إذا**

---

(١) عبدالله بن أنيس بن أسعد أبو يحيى الجهني ثم الأنصاري، كان عقيبياً، شهد أحداً وما بعدها، وهو أحد الذين كسروا آلهة بني سلمة. توفي سنة أربع وخمسين.
● الاستيعاب: ٨٦٩/٣ ـ ٨٧٠، تر: ١٤٧٧.

(٢) المخرش والخراش: المحجن، وهو عصا معقوفة يجذب البعير ونحوه.

(٣) أمّه: جرحه في رأسه.

(٤) عبدالله بن عتيك: من بني عمرو بن عوف بن مالك الأوسي الأنصاري، شهد بدراً، وأحداً. قتل يوم اليمامة شهيداً.
● الاستيعاب: ٩٤٦/٣ ـ ٩٤٧، تر: ١٦٠٥.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي.

(٦) عرنّة: بضمتين وتشديد النون: روضة بواد من أودية المدينة.
● مراصد الاطلاع: ٩٣٤/٢.

(٧) في الأصل: انعته حتى أعرفه.

رأيته ذكّرك[1] الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنّك إذا رأيته وجدت له قشعريرة».

قال: فخرجت متوشحاً سيفي، حتّى دفعت إليه وهو في ظعن يرتاد لهنّ منزلاً، وكان وقت العصر، فلما رأيته وجدت له ما قال لي رسول الله ﷺ من القشعريرة، فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصلاة، فصلّيت وأنا أمشي نحوه أُومىء برأسي إيماء، فلما انتهيت [إليه][2] قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك، فقال: أجل، أنا في ذلك أسعى. قال: فمشيت معه شيئاً حتّى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف فقتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه منكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني قال: «**أفلح الوجه**» قلت: قد قتلته يا رسول الله، قال: «**صدقت**». ثم قام بي فأدخلني بيته فأعطاني عصا فقال: «**أمسك هذه العصا عندك يا عبدالله بن أنيس**». قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصى؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها عندي. قالوا: أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله لم ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «**آية بيني وبينك يوم القيامة؟ إنّ أقل الناس المتخصّرون[3] يومئذ**». قال: فقرنها عبدالله أنيس بسيفه فلم تزل عنده حتّى مات، ثم أمر بها فضمّت في أكفانه ثم دفنا جميعاً.

وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة مؤتةَ من أرض الشام[4].

---

(١) في (ر): أذكرك.
(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من السيرة النبوية لابن هشام.
(٣) المتخصّرون: المتّكئون على المخاصر، والمخصر: العصى.
(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: فأصيبوا جميعاً.

وغزوة كعب بن عمير[1] الغفاري ذات أطلاح[2] من أرض الشام[3]، وغزوة عيينة بن حصن[4] بني العنبر من بني تميم، وغزوة غالب بن عبدالله الكلبي أرض بني مرّة[5]، وغزوة عمرو بن العاصي ذات السلاسل:

وسميت تلك الغزوة بذات السلاسل لنزولهم بماء بأرض جذام يقال[6] له: السّلسل. وكان من حديث عمرو بن العاصي أنّ النبي ﷺ بعثه يستنفر العرب إلى الشام، وذلك أنّ أمّ العاصي بن وائل كانت امرأة من بليّ فبعثه النبي ﷺ إليهم يستألفهم لذلك، فسار حتّى إذا كان بالماء المذكور خاف، فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمدّه، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين. قال ابن إسحاق: أخبرني يزيد بن أبي حبيب: أنّه حدّث عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاصي إلى ذات السلاسل، فصحبت أبا بكر وعمر، فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها وهم لا يقدرون على أن يعضوها[7]، فقلت: أتعطوني منها عشيراً[8] على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، فأخذت الشفرة فجزّأتها مكاني وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابي فاطّبخناه فأكلناه، فقال لي أبو بكر وعمر: أنّى لك هذا

---

(١) كعب بن عمير الغفاري من كبار الصحابة، بعثه رسول الله ﷺ عدّة مرات أميراً على السرايا.
- الاستيعاب: ١٣٢٣/٣، تر: ٢٢٠٣.

(٢) ذات أطلاح: موضع يقع وراء ذات القرى.
- مراصد الاطلاع: ٩٢/١.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: أصيب بها هو وأصحابه جميعاً.

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بني العنبر.

(٥) بنو مرّة: عدّة بطون من القحطانية والعدنانية، وبنو مرّة الذين غزاهم غالب بن عبدالمطلب الليثي، هم بنو مرّة الذين يسكنون بفدك، وفدك بينها وبين خيبر يومان، فهم بطن من بني ذبيان من العدنانية.
- نهاية الأرب: ٣٧٤، رقم: ١٥٤٦.

(٦) في الأصل: يقال لها: السلسل.

(٧) يعضّوها: يقسموها.

(٨) العشير ـ هنا ـ: النصيب، لأن الجزور كانت تقسم على عشرة أجزاء فكل جزء منها عشير.

اللحم يا عوف؟ قال: فأخبرتهما خبره، فقالا: والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيآن[1] ما في بطونهما من ذلك. قال: فلمّا قفل الناس من ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله ﷺ/ فجئته وهو يصلي في بيته. ٢٢٤/ظ قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، قال: «**أعوف بن مالك؟**» قال: قلت: نعم بأبي أنت وأمّي، قال: «**أصاحب الجزور؟**» ولم يزدني رسول الله ﷺ على ذلك.

وغزوة ابن أبي حدرد وأصحابه بطن إضم[2] ـ وكانت قبل الفتح ـ:

قال ابن أبي حدرد: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعيّ، ومحكّم بن جثّامة، فخرجنا حتّى إذا كنّا ببطن إضم مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على بعير له، معه متيّع له ووطب[3] من لبن. قال: فلما مرّ بنا سلّم علينا بتحية الإسلام، فأمسكنا عنه وحمل عليه محلّم بن جثّامة فقتله، وأخذ بعيره ومتيّعه. قال: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر، فنزل فينا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾[4]... قال ابن هشام: قرأ أبو عمرو بن العلاء[5]: ﴿وَلَا

---

(١) في الأصل: ينفيفان.

(٢) بطن إضم: البطن: الموضع الغامض من الوادي، وإضم: واد لأشجع وجهينة.
● مراصد الاطلاع: ١/٩٠ و٢٠٤.

(٣) الوطب: سقاء اللبن، وهو جلد الجذع.

(٤) النساء: ٩٤.

(٥) أبو عمرو بن العلاء بن عمّار بن العريان التميمي ثم المازني البصري، ولد سنة سبعين. قال الأصمعي: قال لي أبو عمرو: كن على حذر من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العاقل إن أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته، وليس من الأدب أن تجيب من لا يسألك، أو تسأل من لا يجيبك. أو تحدّث من لا ينصت لك. توفي عام سبعة وخمسين ومائة.
● سير أعلام النبلاء: ٦/٤٠٧ ـ ٤١٠، تر: ١٦٧.

تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾... لهذا الحديث.

قال ابن إسحاق: وحدّثني[1] محمد بن جعفر بن الزّبير قال: سمعت زياد بن خميرة[2] بن سعد السّلمي يحدّث [عن][3] عروة بن الزبير عن أبيه عن جدّه ـ وكان[4] شهد حنيناً مع رسول الله ﷺ ـ قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ الظهر ثم عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها وهو بحنين، فقام إليه الأقرع[5] بن حابس، وعيينة بن حصن، يختصمان في عامر بن الأضبط الأشجعي، عيينة يطلب بدم عامر، وهو يومئذ رئيس غطفان، والأقرع بن حابس يدفع عن محلّم بن جثّامة لمكانه من خندق[6]، فتداولا الخصومة عند رسول الله ﷺ ونحن نسمع، فسمعنا عيينة بن حصن وهو يقول: والله يا رسول الله، لا أدعه حتّى أذيق نساءه من الحرقة ما أذاق نسائي، ورسول الله ﷺ يقول: «**بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا**»، وهو يأبى عليه، ثم قبلوا الدّيّة، ثم قالوا: أين صاحبكم يستغفر له رسول الله ﷺ. قال: فقام رجل آدم ضرب طويل عليه حلّة له قد كان تهيّأ للقتل فيها، حتّى جلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال له: «**ما اسمك؟**» قال: أنا محلّم بن جثّامة، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم لا تغفر لمحلّم بن جثّامة**» ثلاثاً، فقام وهو يتلقّى دمعه بفضل ردائه.

---

(١) في (ر): فحدّثني.

(٢) زياد بن خميرة بن سعد السلمي، ويقال: زياد بن سعد بن خميرة. حجازي.
● الجرح والتعديل: ٣/٥٣٥ ـ ٥٣٦، رقم: ٢٤١٦.

(٣) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: وكان شهد حنيناً.

(٥) الأقرع بن حابس بن عثمان بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الدارمي، أحد المؤلفة قلوبهم، شهد فتح مكة، وحنيناً، والطائف.
● الاستيعاب: ١/١٠٣، تر: ٦٩.

(٦) خندق: بطن من مضر من العدنانية، وهم بنو إلياس بن مضر، وخندق اسم امرأته، عرف بنوه بها واسمها ليلى بنت حلوان بن عمران.
● نهاية الأرب: ٢٣١، رقم: ٨٥٠.

قال الحسن [البصري][1]: فوالله ما مكث محلم بن جثامة إلاّ سبع حتّى مات فلفظته ـ والذي نفس الحسن بيده ـ الأرض، ثم عادوا له فلفظته الأرض، فلما غُلِبَ قومُه عمدوا إلى صُدّين فسطحوه بينهما، ثم رضمو عليه بالحجارة حتّى واروه. قال: فبلغ رسول الله ﷺ شأنه، فقال: «**والله إنّ الأرض لتطابق على من هو شرّ منه، ولكن الله أراد أن يعظكم في جرم م بينكم ممّا أراكم منه**».

وغزوة ابن أبي حدرد أيضاً الغابة[2]: وكان من حديثها فيما بلغني عمّن لا أتّهم عن أبي حدرد قال: تزوجت امرأة من قومي وأصدقتها مائتي درهم. قال: فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي، فقال: «**وكم أصدقت؟**» فقلت: مائتي درهم يا رسول الله، قال: «**سبحان الله! لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم، والله ما عندي ما أعينك به**». قال: فلبثت أياماً، وأقبل رجل من بني جشم يقال له رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة في بطن عظيم من بني جشم حتّى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيساً[3] على حرب النبي ﷺ، وكان ذا اسم في جشم وشرف. قال: فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين معي من المسلمين فقال: «**اخرجوا إلى هذ الرجل حتّى تأتوا منه بخبر وعلم**». قال: وقدّم لنا شارفاً[4] عجفاء فحمل عليها أحدنا، فوالله ما قامت به ضعفاً حتّى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتّى/ استقلت وما كادت، ثم قال: «**تبلّغوا عليها واعتقبوها**». قال: فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف، حتّى إذا جئنا [قريباً من الحاضر عشيشية مع غروب الشمس، كمنت في ناحية، وأمرت صاحبيّ][5] فكَمِنَا في ناحية

٢٢٥/و

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) الغابة: قرية بالبحرين.

● مراصد الاطلاع: ٢/٩٨٠.

(٣) بنو قيس: بطن من آل عامر بن صعصعة، من العدنانية، منازلهم بالبحرين وهم عد بطون ـ والبطن أصغر من القبيلة ـ.

● نهاية الأرب: ٣٦١، رقم: ١٤٧٣.

(٤) الشارف: الناقة المسنة، والعجفاء: المهزولة.

(٥) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

أخرى من حاضر القوم، وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كبّرت وشدّدت في ناحية العسكر فكبّرا وشدّا معي، فوالله إنّا لكذلك[1] ننتظر غرّة القوم أو أن نصيب منهم شيئاً، وقد غشينا الليل حتّى ذهبت فحمة العشاء، وقد كان لهم راع قد سرّح في ذلك البلد، فأبطأ عليهم حتّى تخوّفوا عليه. قال: فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس فأخذ سيفه فجعله في عنقه، ثم قال: والله لأتبعنّ أثر راعينا هذا، ولقد أصابه شرّ؛ فقال له نفر ممّن معه: والله لا تذهب أنت، نحن نكفيك، قال: والله لا يذهب إلاّ أنا، قالوا: فنحن معك، قال: والله لا يتبعني أحد منكم. قال: وخرج حتّى يمرّ بي. قال: فلمّا أمكنني نفحته بسهم فوضعته في فؤاده. قال: فوالله ما تكلّم ووثبت إليه فاحتززت رأسه. قال: وشددت في ناحية العسكر وكبّرت، وشدّ صاحباي وكبّرا. قال: فوالله ما كان إلاّ النجا ممّن فيه عندك عندك[2]، بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خفّ من أموالهم. قال: واستقنا إبلاً عظيمة، وغنماً كثيرة، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ. قال: وجئت[3] برأسه أحمله معي. قال: فأعانني رسول الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيراً في صداقي. قال: فجمعت إليّ أهلي[4].

قلت: وهذا الحديث مشتمل على آيات متعددة لمتأمّله، وأيُّ آيةٍ أعظم من ثلاثة رجال يهزمون عسكراً ويغنمون أمواله؟ وما ذاك إلاّ ببركته ﷺ، أنْ شجّع الله أولئك النفر الثلاثة وجعل الرعب في قلوب العدد الكثير من الكفرة حتّى ولوا مدبرين.

ومن آياته ﷺ أن مكنّه الله تعالى من قتل عدوّه ورئيس المشركين.

ومنها قضاء دين هذا الصحابي ببركة النبي ﷺ واهتمامه به.

وغزوة عبدالرحمٰن بن عوف: أمره النبي ﷺ أن يتجهّز لسرية بعثه

---

(١) في (ر): فوالله: إنّا لذلك.

(٢) عندك عندك: كلمتان يراد بهما الإغراء.

(٣) في الأصل: جئنا برأسه.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٦١٢/٢ ـ ٦٣١، وبينهما خلاف.

عليها، فأصبح وقد اعتمّ بعمامة سوداء، فأدناه النبي ﷺ ثم نقضها ثم عمّه وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك، ثم قال: «**هكذا يا ابن عوف فاعتمّ، فإنّه أحسن وأعرف**».

قال ابن هشام: فخرج إلى دومة الجندل.

قال ابن إسحاق: وأقبل فتى من الأنصار فسلّم على رسول الله ﷺ ثم جلس فقال: يا رسول الله، أيّ المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خلقاً**» قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم ذكراً للموت وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به، أولئك هم الأكياس**». ثم سكت الفتى، وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا نزلن بكم، وأعوذ بالله أن تدركوهنّ: إنّه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتّى يعلنوا بها إلاّ ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلاّ أخذوا بالسّنين**[1] **وشدّة المؤونة وجور السّلطان، ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلاّ مُنعوا القطر من السّماء، فلولا البهائم ما مطروا وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلاّ سَلَّط عليهم عدوّاً من غيرهم فأخذ بعض ما كان في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا**[2] **فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**».

وكبعث[3] أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: بعثه النبي ﷺ في سريّة إلى سيف البحر[4] وزوّدهم ﷺ جراباً من تمر فجعل يقوّتهم إيّاه حتّى صار إلى أن يعده له عدًّا.

قال عبادة بن الصامت: ثم نفذ التمر حتّى كان يعطي كلّ رجل منهم كل يوم تمرة. فقسمها يوماً بيننا. قال: فنقصت تمرة/ عن رجل فوجد ٢٢٦/ظ

(١) السّنون: الجدب والقحط.

(٢) تجبّروا: تعاظموا على أن يحكموا بما أنزل الله.

(٣) في الأصل و(د): وبعث أبي عبيدة.

(٤) سيف البحر: جانبه وساحله.

فقدها ذلك اليوم، فلما جهدنا الجوع أخرج الله عزَّ وجلَّ لنا دابّة[١] فأصبنا من لحمها وودكها وأقمنا عليها عشرين ليلة حتّى سمنّا، وأخذ أميرنا ضلعاً من أضلاعها فوضعها على طريقه، ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل[٢] عليه أجسم رجل منّا فجلس عليه. قال: فخرج من تحتها وما مسّت رأسه.

قال: فلمّا قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها وسألناه عمّا صنعنا في ذلك من أكلنا إياها[٣]، فقال: «**رزق رزقكموه الله سبحانه**».

قال ابن هشام: وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضّمري بعد مقتل خبيب وأصحابه إلى مكّة، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب[٤]، فلم يتيسّر له ذلك [وقدّر الله سبحانه بإسلام أبي سفيان.

وسرية زيد بن حارثة إلى مدين، وغزوة سالم بن عمير[٥] لقتل[٦] أبي عفك[٧]، كان قد نجم نفاقه، فقتله.

وغزوة عمير بن عديّ[٨] عصماء بنت مروان:

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: أخرج الله عزَّ وجلَّ لنا دابة من البحر.

(٢) في (ر): يحمل عليه أجسم.

(٣) في (ر): من أكلنا إياه.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٦٣٢ ـ ٦٣٣، وبينهما خلاف.

(٥) سالم بن عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية، شهد بدراً، وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهو أحد البكائين، توفي في خلافة معاوية.
● الاستيعاب: ٢/٥٦٧، تر: ٨٨٠.

(٦) في الأصل: وعزوة سالم بن عمير أبا عفك.

(٧) أبو عفك: رجل من بني عمرو بن عوف، أظهر نفاقه بعدما قتل الرسول ﷺ الحارث بن سويد بن صامت فقال رسول الله ﷺ: «**من لي بهذا الخبيث؟**»، فخرج سالم بن عمير فقتله.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٦٣٥ ـ ٦٣٦.

(٨) عمير بن عدي الخطمي: إمام بني خطمة وقارئهم الأعمى، قديم الإسلام، صحيح النية، أوّل من أسلم من قبيلته، قتل عصماء بنت مروان في السنة الثانية من الهجرة بأمر من رسول الله ﷺ.
● الاستيعاب: ٣/١٢١٧ ـ ١٢١٨، تر: ١٩٨٧.

لما قتل أبو عفك نافقت وحرّضت على مخالفة النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: **«ألا أجد لي من ابنة مروان؟»** فسرى عليها عمير بن عديّ فقتلها، وفيها قال النبي ﷺ: **«لا تنتطح فيها عنزان»**[1].

والسرية التي أسرت ثمامة[2] بن أثال[3].

وبعث علقمة[4] بن مجزّز[5]، وبعث كرز بن جابر خلف العرقيّين[6] الذين قتلوا الراعي واستاقوا اللّقاح، فلحقهم كرز فأتى بهم النبي ﷺ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم.

وغزوة علي رضي الله عنه اليمن غزاها مرّتين. وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في جند آخر إلى اليمن في هذا الوجه، وقال لخالد وعلي: إذا التقيتما فالأمير عليّ.

---

(١) المراد بهذا الحديث: أنّ شأن هذه المرأة المنافقة هيّن، لا يكون فيه طلب ثأر ولا اختلاف.

(٢) في الأصل: ثمالة بن أثال.

(٣) ثمامة بن أثال الحنفي، سيد أهل اليمامة، أخذ أسيراً، فقال له رسول الله ﷺ: **«ما عندك يا ثمامة؟»** فقال: إن تقتل تقتل ذا دم. وإن تمنن تمنن على شاكر، وإن ترد المال تعط ما شئت، فغدا عليه يوماً فقال مثل ذلك، ثم أمر النبي ﷺ بإطلاقه، فخرج حتّى أتى البقيع فتطهّر، ثم جاء وشهد شهادة الحق وارتد أهل اليمامة إلا ثمامة.
● الاستيعاب: **٢١٣/١ ـ ٢١٦، تر: ٢٧٨.**

(٤) علقمة بن محرز بن الأعور بن جعدة بن معاذ الكناني المدلجي ـ أحد عمال رسول الله ﷺ على الجيش، بعثه عمر في جيش إلى الحبشة فهلكوا كلهم.
● أسد الغابة: **٥٨٤/٣، تر: ٣٧٧٤.**

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: رجع هو وأصحابه ولم يلق كيداً.

(٦) هكذا وردت الكلمة في الأصل: العرقيين، ولعله العراقيين، أما ابن هشام فيشرح الموضوع ويوضّحه بقوله: إنّ نفراً من قيس كبّة من بجيلة قدموا على رسول الله ﷺ يشكون له حاجتهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«لو خرجتم إلى اللّقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها»**، فخرجوا إليها، فلما صحّوا وشبعوا عدوا على راعي رسول الله ﷺ، فذبحوه وغرزوا الشّوك في عينيه، واستاقوا الإبل إبل الصدقة، فبعث الرسول ﷺ في آثارهم كرز بن جابر فلحقهم فأتى بهم...
● السيرة النبوية لابن هشام: **٦٤١/٢.**

وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد في مرضه الذي توفي منه ﷺ، بعثه إلى الشام وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء[1] والدّاروم[2] من أرض فلسطين، فتجهّز، وأوعب مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون.

وقال ابن هشام: وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ[3].

قال النيسابوري: روى موسى[4] بن عقبة عن ابن شهاب. قال: سرية أسامة بن زيد آخر سرية بعثها رسول الله ﷺ. فتأخّر أسامة حتّى حضر موت النبي ﷺ، وتقدم أبو بكر للخلافة فكان أول ما اشتغل به تجهيز أسامة، امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ.

قال النيسابوري: فركب أسامة من الجرف[5] في أصحابه، وهم ثلاثة آلاف فيهم ألف فارس، فسار أبو بكر رضي الله عنه إلى جنب أسامة ساعة، ثم قال له: استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يوصيك، فانفذ لأمر رسول الله ﷺ، فحرك أسامة سريعاً فوطىء بلاداً هادفة.

روى المنذر[6] بن الجهم عن بريدة بن الحصيب قال: قلت لأسامة:

---

(١) البلقاء: كورة من أعمال دمشق، بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمّان، وفيها قرى كثيرة، ومزارع واسعة.
● مراصد الاطلاع: ٢١٩/١.

(٢) الدّاروم: قلعة تقع في غزّة للقاصد إلى مصر، بينها وبين البحر مقدار فرسخ.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٣٥/٢ ـ ٦٤٢، وبينهما خلاف.

(٤) في الأصل: روى مسلم بن عقبة عن شهاب، لما عدت إلى حياة مسلم وشهاب، وجدتهما لم يشتغلا بالمغازي والسّير، وإنما شغلهما القيادة والولاية والحرب، وتبيّن لي أنّ الناسخ كتب مسلم بن عقبة عن شهاب بدل موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزّهري، فهما المعروفان بالرّواية والاشتغال بالمغازي والسير.

(٥) الجرف: ـ بالضم، ثم السكون ـ موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.
● مراصد الاطلاع: ٣٢٦/١.

(٦) المنذر بن الجهم: في الجرح والتعديل: منذر بن جهم الأسلمي، روى عن عمر بن خلدة وغيره، وروى عنه موسى بن عبيدة وغيره.
● الجرح والتعديل: ٢٤٣/٨ ـ ٢٤٤، تر: ١١٠٣.

يا أبا محمد إنّي شهدت رسول الله ﷺ يوصي أباك أن يدعوهم إلى الإسلام، فإن أطاعوا خيّرهم إن أحبّوا أن يقيموا في دارهم فيكونوا كأعراب المسلمين ولا شيء لهم في الفيء ولا في الغنيمة إلاّ أن يجاهدوا مع المسلمين، وإن تحوّلوا إلى دار المسلمين كان لهم ما للمهاجرين.

فقال أسامة: هذه وصيّة رسول الله ﷺ لأبي، ولكن رسول الله ﷺ أمرني - وهو آخر عهده إليّ - أن أسرع السّير وأسبق الأخبار وأشنّ الغارة عليهم بغير دعاء فأحرق وأخرّب، فقال بريدة: سمعاً وطاعة لأمر رسول الله ﷺ[1]، فلما انتهى أسامة إلى إيلياء[2] فنظر إليها منظر العين عبّأ أصحابه وقال: اجعلوها غارة، ولا تمعنوا[3] في الطلب، ولا تفترقوا واجتمعوا، وأخفوا الصوت، واذكروا الله في أنفسكم، وجرّدوا سيوفكم وضعوها/ فيمن أشرف لكم. ثم دفع عليهم الغارة، فما نبح كلب ولا تحرّك أحد ولا شعر إلا بالقوم قد شنوا عليهم الغارة، فقتل من أشرف منهم، وسبي من قدر عليه، وأطلق في طوائفها النار، فحرق منازلهم وجدوثهم ونخلهم فصارت أعاصير، وأقبل الخيل[4] في عرصاتهم، ولم يمعنوا في الطلب، فأصابوا من قرب منهم، وأقاموا يومهم ذلك في تعبئة ما أصابوا من الغنائم.

٢٢٧/و

وكان أسامة خرج على فرس أبيه الذي قُتل عليها أبوه يوم مؤتة. وقُتل قاتل أبيه في الغارة، خبّره بعض من سُبي. وقسّم الغنائم، فلما أمسوا أمر الناس بالرحيل، ومضى الدليل أمامه، فدأبوا ليلتهم حتّى أصبحوا بأرض بعيدة، ثم طرق البلاد حتّى انتهى إلى وادي القرى في تسع ليال، وما أصيب أحد من المسلمين، فبلغ ذلك هرقل وهو بحمص، فدعا بطارقته وقال: هذا الذي حذّرتكم فأبيتم أن تقبلوه منّي، قد صارت العرب

(١) أورد هذا النص: الواقدي في كتاب المغازي: ١١٢٢/٣ ـ ١١٢٣.

(٢) في الأصل: فلما انتهى أسامة إيلياء.

(٣) في الأصل: ولا تمنعوا في الطلب.

(٤) في الأصل: وأقبل الحبل في عرصاتهم ولم يمنعوا في الطلب.

تأتي من مسيرة شهر فتُغِير عليكم، ثم تخرج من ساعتها، لم تُجرح، ولم تَكْلَمْ.

ثم بعد ذلك جهّز أبو بكر رضي الله عنه الجيوش إلى أهل الردة حتّى رجعوا إلى الإسلام، ثم تفرّغ لغزو الشام والعراق، ثم كمّل عليه عمر رضي الله عنه، وعن جميع الصحابة أجمعين، [رحمهم الله تعالى ونفعنا ببركتهم][1] وجعلنا ممّن اقتدى بهم، واهتدى بهديهم، رضي الله عنهم. وصلّى الله على محمد[2] خاتم النّبيئين وإمام المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

قال أبو الربيع الكلاعي: فهذه مغازي رسول الله ﷺ وبعوثه وسراياه التي أعزّ الله بها الدّين، ودوّخ بها الكافرين، وشدّ أزره فيها بمن اختاره لصحبته ونصرته من الأنصار والمهاجرين رضي الله عنهم أجمعين.

وتلك أيام الله سبحانه التي يجب بها التّذكر والتّذكير، ويتأكّد شكر الله سبحانه على ما يسّرته منها[3] المقادير، وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم أنبيائه، وصفوة أوليائه، وعلى آله وصحبه وجملة أنصاره، صلاة ندخرها ليوم لقائه.



---

(١) في (ر) ما بين الحاصرتين ناقص، لوحتان كاملتان، من قوله: وقدر الله سبحانه بإسلام أبي سفيان.

(٢) في (ر): وصلّى الله على سيدنا.

(٣) في الأصل: ما تيسّر منها المقادير.

باب ذكر الوفود على رسول الله ﷺ على وجه الاختصار وما في أثناء ذلك من آيات الله البينات الكبار

قال أبو الربيع وغيره: لم تزل الوفود تفد على النبي ﷺ منذ أظهر الله دينه وقهر أعداءه، ولكن انبعاث جماهيرهم إلى ذلك إنما كان بعد فتح مكّة، ومعظمه في سنة تسع، ولذلك كانت تسمى سنة الوفود. وذلك أن العرب كانت تتربص بالإسلام، ما يكون من قريش فيه، إذ هم الذين كانوا نصبوا لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، وكانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم. وصريح[1] ولد إسماعيل، ولا ينكر لهم ذلك ولا ينازعون فيه، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة ودانت له قريش ودوّخها الإسلام، عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحربه ولا عداوته ﷺ، فدخلوا في دين الله أفواجاً، يضربون إليه في كل وجه.



(١) في (ر): وضريح.

باب في ذكر إسلام ثقيف

قال ابن إسحاق وغيره: لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة مرجعَه من تبوك، وفد عليه وفد ثقيف فأسلموا، وسألوه ﷺ أن يدع لهم الطاغية ـ وهي اللاّت ـ ثلاث سنين، فأبى، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى، حتّى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم، فأبى أن يدعها شيئاً، وإنّما سألوه ذلك ليسلموا من سفهائهم، أو ليأخذوا ما يُهدى إليها في قول، أو للأمرين معاً. فلما/ رجعوا إلى بلادهم بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة[1] لهدم الطاغية، فلما قدموا الطائف علاها المغيرة يضربها بالمعول، وخرج نساء ثقيف حُسَّراً يبكين عليها ويقلن: ٢٢٨/ظ

لتبكين دفّاع.. أسلمها الرّضّاغ[2].. لم يحسنوا المصاغ[3].

قال السّهيلي: وذكر بعض من ألّف في السيرة أنّ المغيرة قال لأبي سفيان: ألا أضحكك من ثقيف؟ فقال: بلى، فأخذ المعول وضرب به اللاّت ضربة ثم صاح وخرّ لوجهه[4]، فارتجّت الطائف بالصّياح سروراً بأنّ اللاّت قد صرعت المغيرة، وأقبلوا يقولون له[5]: كيف رأيت يا مغيرة؟ دونكها إن استطعت؟ ألم تعلم أنّها تهلك من عاداها[6]؟ فقام المغيرة يضحك منهم ويقول لهم: يا خبثاء، والله ما قصدت إلاّ الهزء بكم، ثم أقبل على هدمها حتّى استأصلها، وأقبلت عجائز ثقيف يبكين[7] حولها ويقلن ما تقدم[8].

---

(١) في الأصل: المغيرة بن سعية.
(٢) الرّضاع: اللئام.
(٣) المصاع: المضاربة بالسيوف.
● السيرة النبوية لابن هشام: ٥٣٧/٢ ـ ٥٤١، وبينهما خلاف.
(٤) في الروض الأنف: وخرّ على وجهه.
(٥) في الروض الأنف: يقولون: كيف رأيتها؟
(٦) في الروض الأنف: ويْحكم! ألا ترون ما تصنع؟ فقام.
(٧) في الروض الأنف: تبكي حولها.
(٨) الروض الأنف: ٣٧٢/٧.

باب في ذكر إسلام عدي بن حاتم

قال ابن إسحاق وغيره: كان من حديث عديّ بن حاتم ـ فيما بلغني ـ أنّه قال: كنت في الجاهلية لا أحد أشدّ كراهية لرسول الله ﷺ منّي حين سمعت به، وكنت أمرءاً شريفاً، وكنت نصرانياً، وكنت أسير في قومي بالمرباع[١] فكنت أظن في نفسي أنّي على دين، وكنت ملكاً[٢] في قومي لما كان يُصنع بي، فلما سمعت برسول الله ﷺ، كرهته. قال: فجاءني غلامي يوماً فقال لي: إنّي رأيت رايات فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد، فقلت له: قرّب إليّ أجمالي، فقرّبها، فاحتملتُ بأهلي وولدي ثم قلت: ألحق بأهل ديني من النصارى بالشّام، وخلّفتُ بنتاً لحاتم في الحاضر، فلما قدمت الشام أقمت بها وتخالفني خيل رسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت، فقُدم بها على رسول الله ﷺ، فجُعلت في حضيرة بباب المسجد كانت للسّبايا تُحبسُ فيها، فمرّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه ـ وكانت امرأة جزلة ـ فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد، فامنن عليّ مَنّ الله عليك، قال: **«ومن وافدك؟»** قالت: عديّ بن حاتم، قال: **«الفارّ من الله ورسوله؟»** قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتّى إذا كان من الغد مرّ بي، فقلت له مثل ذلك وقال لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتّى إذا كان بعد الغد مرّ بي وقد يئست، فأشار إليّ رجل[٣] خلفه: أنْ قومي. قالت: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليّ منّ الله عليك؟ فقال ﷺ: **«قدَ فعلت، فلا تعجلي بخروج حتّى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتّى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني»**. فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن كلميه، فقيل لي: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأقمت حتّى قدم ركب من قومي، فكساني النبي ﷺ

---

(١) في (ر): المرفاع.

● المرباع: أخذ الربع من الغنائم.

(٢) في الأصل: وكنت مالكاً في قومي.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: فأشار إليّ رجل من خلفه: أن قومي فكلّميه.

وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتّى قدمت الشام.

قال عديّ: فقلت لها: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن مالكاً فلن تذل في عزّ اليمن وأنت أنت. قال: قلت: والله إنّ هذا للرأي، فخرجت حتّى أقدمت[1] على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده فسلّمت عليه، فقال: «**من الرجل؟**» فقلت: عديّ بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ، فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنّه لعامد بي إليه إذ لقيتْه[2] ضعيفة كبيرة/ فاستوقفته، فوقف لها طويلاً. قال: فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك؟ قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتّى إذا دخل في بيته[3] تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقدمها إليّ فقال: «**اجلس على هذه**». قال: فقلت: بل أنت فاجلس عليها، [قال: «**بل أنت**» فجلست عليه][4] وجلس ﷺ بالأرض. قال: فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: «**إيه يا عدي بن حاتم؟ ألم تك ركوسياً[5]؟**» قال: قلت: بلى، قال: «**أم لم تك تسير في قومك بالمرباع؟**» قال: قلت: بلى. قال: «**فإنّ ذلك لم يكن يحلّ لك في دينك**» قال: قلت: أجل والله. قال: فعرفت أنّه ﷺ نبي مرسل، يعلم ما يجهل ثم قال: «**لعلّك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فالله ليوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتّى لا يوجد من يأخذه، ولعلّك إنّما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية[6] على**

٢٢٩/و

---

(١) في الأصل و(ر): حتى أقدم.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: إذ لقيته امرأة ضعيفة.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: حتّى إذا دخل بي بيته.

(٤) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٥) الركوسية: قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين.
- المعجم الوسيط: مادة ركس.

(٦) القادسية: قرية قرب الكوفة، عندها كانت المعركة العظمى بين المسلمين وفارس، قتل فيها أهل فارس وفتحت بلادهم على المسلمين.
- مراصد الاطلاع: ١٠٥٤/٣.

بعيرها حتّى تزور هذا البيت لا تخاف إلاّ الله، ولعلّك إنّما يمنعك من دخول فيه أنّك ترى الملك والسّلطان في غيرهم، وايمُ الله يوشكنّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل[1] قد فتحت عليهم» قال: فأسلمت. فكان عديّ يقول: مضت اثنتان وبقيت الثالثة، ووالله لتكوننّ. قد رأيت قصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف إلا الله حتّى تحجّ هذا البيت. وايمُ الله لتكوننّ الثالثة، ليفيضنّ المال حتّى لا يوجد من يأخذه[2].

قال السّهيلي: حديث إسلام عدي بن حاتم صحيح عجيب خرّجه الترمذي[3].

قلت: وفي «مختصر العين»: الركوسية: قوم لهم دين.



(١) بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحلّة، بالجمهورية العراقية.
● مراصد الاطلاع: ١/١٤٥.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٥٧٨ ـ ٥٨١، بينهما خلاف في أول النصر.

(٣) الروض الأنف: ٧/٤٥٠.

باب في ذكر وفد صداء[1]

نقل أبو الربيع عن الواقدي من حديث زياد بن الحارث الصّدائي[2]: أنه قدم على النبي ﷺ فوجده قد جهز جيشاً لناحية صداء. قال: فقلت: يا رسول الله، اردد الجيش وأنا لك بقومي، فردّ الجيش وقدم وفد قومي عليه، فقال لي: «يا أخا صُداء، إنّك لمطاع في قومك» قال: قلت: بل منٌّ من الله عزَّ وجلَّ ومن رسوله.

وكان زياد هذا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره. قال: فسار رسول الله ﷺ ليلاً وسرنا معه، وكنت رجلاً قوياً. قال: فجعل أصحابه يتفرقون عنه، ولزمت أنا غرزه، فلما كان في السحر قال: **«أذّن يا أخا صداء»**، فأذّنت على راحلتي، ثم سرنا حتّى نزلنا، فذهب لحاجته، ثم رجع فقال: **«يا أخا صداء، هل معك ماء؟»** قلت: معي شيء في أداوتي، قال: **«هاته»** فجئته به، فقال: **«صُبَّ»** فصببت ما في الأداوة في القعب، وجعل أصحابه يتلاحقوه، ثم وضع كفّه على الإناء فرأيت بين كل إصبعين من أصابعه عيناً تفور، ثم قال: **«يا أخا صداء، لولا أني أستحيي من ربّي عزَّ وجلَّ لسقينا واستقينا ثم توضأنا»**. وقال: **«أذّن في أصحابي: من كانت له حاجة بالوضوء فليرد»**. قال: فوردوا من آخرهم، حتّى جاء بلال يقيم فقال الرسول ﷺ: **«إنّ أخا صداء قد أذّن[3]، ومن أذّن فهو يقيم»** فأقمت، ثم تقدّم رسول الله ﷺ فصلّى بنا. قال: فقلت: يا رسول الله، إنّ لنا بيراً

---

(١) صداء ـ بالضم والمدّ ـ: مخلاف باليمن.

- مراصد الاطلاع: ٢/٨٣٥.

(٢) زيادة بن الحارث الصّدائي حليف لبني الحارث بن كعب، بايع النبي ﷺ، وأذّن بين يديه، يعدّ في المصريين وأهل المغرب.

- أ ـ الإصابة في تمييز الصحابة: ١/٥٥٧.
- ب ـ الاستيعاب: ٢/٥٣٠ ـ ٥٣١.

(٣) في (ر): إن أخا صداء أذّن ـ بحذف: قد.

إذا كان الشتاء كفانا ماؤها، وإذا كان الصيف قلّ علينا، فتفرّقنا على المياه والإسلام اليوم فينا قليل، ونحن نخاف، فادع الله عزًّ وجلًّ لنا في بيرنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ناولني سبع حصيات**»، فناولته، فعركهن بيده ثم دفعهنّ إليّ وقال: «**إذا انتهيت إليها فألق فيها حصاة حصاة وسمّ الله**». قال: ففعلت، فما أدركنا لها قعراً حتّى الساعة.



باب في وفد غسّان

قال أبو/ الربيع: ذكر الواقدي عن وفد غسّان أنّهم قالوا: قدمنا على رسول الله ﷺ في رمضان سنة عشر ونحن ثلاثة نفر، فلما كنّا برأس الثنية لقينا رجل على فرس متنكّباً قوساً، فحيّانا بتحية الإسلام، فرددنا عليه تحيتنا[1]، فقال: من أنتم؟ قلنا: رهط من غسّان، قدمنا على محمد نسمع كلامه ونرتاد لقومنا، قال: فانزلوا حيث ينزل الوفد، قلنا: وأين ينزل الوفد؟ قال: دار رملة بنت الحارث، ثم ائتوا رسول الله ﷺ فكلّموه، قلنا: ونقدر عليه كما أردنا؟ قال: فتبسّم ثم قال: إي لعمري، إنّه ليطوف بالأسواق، يمشي وحده. وكنّا قوماً نسمع كلام النصارى وصفتهم رسول الله ﷺ أنّه يمشي وحده ولا شرطة معه، ويرعب منه من يراه، فقلنا للرجل: من أنت لك الجنّة؟ قال: أنا أبو بكر بن أبي قحافة، فقلنا: أنت فيما تزعم النّصارى تقوم بهذا الأمر بعده، فقال أبو بكر: الأمر إلى الله عزّ وجلّ. ثم قال: كيف تخدعون عن الإسلام وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته، وأنه آخر الأنبياء؟ قلنا: هو ذاك، فمضى ومضينا نسأل عن دار رملة بنت الحارث حتّى انتهينا إليها، فنصادف وفوداً من العرب كلهم مصدّق بالنبي ﷺ، فقلنا فيما بيننا: أترانا شرّ من نرى من العرب؟ ثم خرجنا حتّى نلقى رسول الله ﷺ عند باب المسجد واقفاً، فنظر إلينا وقال: «**أنتم الغسانيون؟**» قلنا: نعم، قال: «**قدمتم مرتادين لقومكم، فما انتفعتم بعلم من كان معكم من أهل الكتاب**». ثم أسلموا وجازاهم النبي ﷺ بجوائز، وانصرفوا راجعين إلى قومهم.

وذكر السّهيلي: إنّ بنت الحارث اسمها: كيسة، وأنها كانت امرأة لمسيلمة[2]

---

(١) في (ر): فرددنا عليه بتحيتنا.

(٢) أبو ثمامة مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الكذّاب، جاء مع وفد أبي حنيفة إلى المدينة، فأعلنوا إسلامهم، وأعطاهم النبي ﷺ جوائز، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد=

الكذّاب قبل، فلذلك أنزل ﷺ الوفود بدارها[1].



= عدوّ الله وتنبّأ. وقال: إنّي أشركت مع رسول الله ﷺ في الرسالة، وعرف برحمان اليمامة. هاجمه خالد بن الوليد بجيش قوي فقضى عليه، وذلك في سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر.

● الأعلام: ١٢٥/٨.

(١) الروض الأنف: ٤٤٥/٧.

باب في ذكر وفد سلامان[1]

قال النّيسابوري وأبو الربيع: قال محمد بن عمر الواقدي: حدّثني محمد بن يحيى[2] بن سهل قال: وجدت في كتاب[3] الآباء أنّ حبيب[4] بن عمرو السّلاماني كان يحدّث قال: قدمنا وفد سلامان على النبي ﷺ ونحن سبع نفر، فانتهينا إلى باب المسجد، فصادفنا رسول الله ﷺ خارجاً من المسجد إلى جنازة دعي إليها، فلمّا رأيناه قلنا: السلام عليك يا رسول الله، قال: «**وعليكم السلام، من أنتم؟**» قلنا: نحن قوم من سلامان قدمنا عليك لنبايعك على الناس، ونحن على من وراءنا من قومنا، فالتفت إلى ثوبان غلامه فقال: «**أنزِلْ هؤلاء الوفد حيث ينزل الوفود**» فخرج بنا ثوبان حتّى انتهى بنا إلى دار واسعة فيها نخل، وفيها وفود العرب، فإذا هي دار رملة بنت الحارث النجارية، فلما سمعنا آذان الظهر خرجنا إلى الصلاة، فقمنا على باب رسول الله ﷺ حتّى خرج إلى المسجد فصلّى بنا وهو يتصفّحنا، فدخل بيته فلم يلبث أن خرج، فجلس في المسجد بين المنبر وبين بيته، وجلس إليه أصحابه عن يمينه وعن شماله، فرأيت رجلاً هو أقرب القوم منه يكثر ما يتلفت إليه ويحدّثه،

---

(١) في الأصل: سلمان.
بنو سلامان: بطن من طيّء من القحطانية، وهم بنو سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيّ، وهناك بطن آخر من قضاعة من القحطانية.
- نهاية الأرب: ١٩٢، تر: ١٠٤١.

(٢) محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة الأنصاري الحارثي الأوسي يكنى أبا عبدالله.
- الجرح والتعديل: ٨/١١٣، تر: ٥٥٠.

(٣) في الطبقات الكبرى لابن سعد، قال: وجدت في كتب أبي.

(٤) حبيب بن عمرو السّلاماني من قضاعة، قدم في شوال سنة عشر يرأس وفد سلامان على رسول الله ﷺ، وهم سبعة أشخاص.
- أ ـ أسد الغابة: ١/٤٤٥، تر: ١٠٥٧.
- ب ـ الاستيعاب: ١/٣٢٤، تر: ٤٨٠.
- جـ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢/٦٧.

فسألت[1] عنه فقيل: أبو بكر بن أبي قحافة. وجئنا فجلسنا تجاه وجهه، وجعل الوفد يسألونه عن شرائع الإسلام.

قال حبيب: فلم يكد سائلهم يقطع حتّى خشيت أن يقوم رسول الله ﷺ فقلت: إنّا نريد ما تريد، فتبسّم رسول الله ﷺ إلى السائل، وأسكت السائل، فقلت: أيْ رسول الله، ما أفضل الأعمال؟ قال: «**الصلاة في وقتها**» قلت: يا رسول الله، هل لي أجر الحوض ألوطه لإبلي فترده همل الإبل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم، في كل كبد حرّاء أجر**» قلت: يا رسول الله، إنّ لنا رقية نرقي بها من العين/ أخذتها على آبائي فما ترى فيها؟ قال: «**اعرِضْها عليّ**» قال: فعرضتها عليه، وهي: «بسم الله، أعيذك بالله من شر ما رأيتَ ورآك، وشر ما اعتريتَ واعتراك، والله ربّي شفاك، أُعيذك بالله من شرّ ملقح ومخيل»، فأذن له رسول الله ﷺ ودعا فيها بالبركة، فكان حبيب إذا أراد أن ينشر بها على إنسان أو مال من عين تصيبه، يأخذ إناء نظيفاً فيجعل فيه ماءً، ثم يأخذ تراباً ثم يجعله في ذلك الإناء ثم يرقي بهذه الرقية:

٢٣١/و

(بسم الله، أعيذك بالله من شر ما رأيت ورآك، وشر ما اعتريت واعتراك، والله ربّي شفاك. وأعيذك بالله من شرّ ملقح ومخيل، عبس عابس، بتراب يابس، بعين حادس[2] نافس ولا حول ولا قوة إلا بالله) ثم يغسل به الإنسان، أو يرش على الماشية أو يصبّ لها في حوضها فتشرب منه. قال: ثم جاءه بلال فأقام الصلاة، فقام رسول الله ﷺ فصلّى بالناس العصر، فكانت في القيام أخفّ من صلاة الظهر، ثم دخل بيته، فلم ينشب أن خرج فجلس في مجلسه الأول وجلس معه أصحابه، وجئنا فجلسنا، فلما رآني قال: «**يا أخا سلامان**» قلت: لبيك، قال: «**كيف البلاد عندكم؟**» قلت: أيْ رسول الله مجذبة، وما لنا خير من البلاد، فادع الله أن يسقينا في بلادنا فنقرّ في أوطاننا ولا نسير إلى بلاد غيرنا، فإنّ النجع يفرق الجميع

(١) في الأصل: فسألته عنه.
(٢) في (ر): حاسد.

ويشتّت الدّيار، فقال رسول الله ﷺ بيديه: **«اللهم اسقهم الغيث في دارهم»** فقلت: يا نبي الله، ارفع يديك فإنّه أكثر وأطيب، فتبسّم رسول الله ﷺ ورفع يديه حتّى رأيت بياض إبطيه، ثم قام وقمنا عنه. فأقمنا ثلاثاً في ضيافته تجري علينا، ثم جئنا فودّعنا رسول الله ﷺ، وأمر[1] لنا بجوائز، فأعطانا خمسة أواق لكل رجل منّا، ويعتذر إلينا بلال فقال: ليس عندنا اليوم مال، فقلنا: ما أكثر هذا وأطيبه، ثم رحلنا إلى بلادنا فوجدناها قد مطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله ﷺ في تلك السّاعة. وكان مقدمهم على رسول الله ﷺ في شوال سنة عشر.

قلت: وبركاته ﷺ ظاهرة في حياته وبعد مماته.

فقد روى أبو داود عن أبي الجوزاء[2] قال: قحط أهل المدينة شديداً، فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: انظروا إلى قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوة[3] إلى السماء، حتّى لا يكون بينه وبين السّماء سقف، ففعلوا فمطروا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتّى تفتقت من الشحم، فسميّ عام الفتق.

ذكره البغوي في مصابيحه[4].

---

(١) في (ر): وأمرنا.

(٢) أبو الجوزاء: أوس بن عبدالله الربعي البصري، من كبار العلماء، وأحد العبّاد الذين قاموا على الحجّاج، حدّث عن عائشة، وابن عبّاس، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وروى عنه أبو الأشهب العطارديّ، وعمرو بن مالك النكري، وبديل بن ميسرة، وجماعة.

- سير أعلام النبلاء: ٣٧١/٤، تر: ١٥٠.

(٣) في مصابيح السنة وسنن الدارمي: كوى.

(٤) ● أ ـ مصابيح السنة: ١٢٨/٤، حديث رقم: ٤٦٥٧، باب الكرامات، كتاب الفضائل والشمائل.

● ب ـ سنن الدارمي: ٥٦/١، حديث رقم: ٩٢، باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته وفيه: حدّثنا أبو الجوزاء أوس بن عبدالله.

[باب][1] وفد بني حنيفة[2]

قال النيسابوري، وابن إسحاق: واللفظ للنيسابوري: [روى][1] الضّحاك[3] بن عثمان عن يزيد بن رومان [قال: قدم][1] وفد بني حنيفة على رسول الله ﷺ، فقدم بضعة عشر رجلاً نزلوا في دار رملة بنت الحارث، وكانت داراً واسعة، عليها جدار، وفيها آبار يتوضّأ منها، ويشرب منها، فنزلوا فيها، فأخبر النبي ﷺ أنّ وفد بني حنيفة قد قدموا، فأرسل رسول الله ﷺ بضيافة تجري[4] عليهم، فكانوا يأتون بغداء وعشاء، مرّة خبزاً ولحماً، ومرّة خبزاً ولبناً، ومرّة خبزاً وسمناً، ومرة تمراً ينثر لهم[5]، فجاؤوا رسول الله ﷺ في المسجد، فسلّموا على رسول الله ﷺ وأسلموا، وخلّفوا مسيلمة الكذّاب في رحالهم يحفظها، فلما أرادوا الرّجوع إلى بلادهم أمر لهم النبي ﷺ بجوائز، فأمر لهم بخمس أواق لكل رجل منهم، فقالوا: يا رسول الله إنّا خلّفنا/ صاحباً لنا في رحالنا ينظرها، وفي ركابنا يحفظها، فأمر له رسول الله ﷺ مثل ما أمر لأصحابه وقال ﷺ: «**ليس بشرّكم مكاناً**» أي: لحفظه رحالكم وركابكم، وذلك الذي أراد ﷺ، فقال مسيلمة: اسمعوا ما يقول محمد، عرف أنّ الأمر لي من بعده، فقال القوم: ائته فسلّمْ، فقال:

٢٣٢/ظ

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) بنو حنيفة: حيّ من بكر بن وائل، من العدنانية، وهم بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وكانت منازلهم اليمامة، وكان يسكنها منهم: هوذة بن علي، ومسيلمة الكذاب.
- نهاية الأرب: **٢٢٣**، رقم: **٨١٩**.

(٣) الضحاك بن عثمان بن الضحاك بن عثمان بن عبدالله الأسدي الحزامي المدني القرشي: علامة قريش بأخبار العرب، وأيامها، وأشعارها، كان من كبار أصحاب الإمام مالك بن أنس، ولما ولّى هارون الرشيد عبدالله بن مصعب اليمن، استخلف عليها الضحاك، فأقام فيها سنة، وتوفي بمكة في إيابه من اليمن سنة ثمانين ومائة.
- الأعلام: **٣/٣٠٩**.

(٤) في (ر): تجري عليهم.

(٥) في (ر): ينشر لهم.

لا أفعل إلاّ أن يجعل لي الأمر من بعده، فبلغ رسول الله ﷺ ذلك فجاءه ﷺ وهو معتمد على ثابت[1] بن قيس، وقال: «**ما مقالةٌ بلغتني عنك؟**» وأخبره بالذي قال، فسكت مسيلمة ونكس رأسه، فقال له رسول الله ﷺ: «**لئن أقبلت ليغفرنّ الله لك، ولئن أدبرت ليقطعنّ الله دابرك...**» الحديث. فكان الأمر كما ذكر ﷺ: عقره الله، وقطع دابره على يد خالد، والصحابة رضي الله عنهم.

وزاد ابن إسحاق: فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدوّ الله وتنبّأ وتكذّب لهم، وقال لهم: إني قد أُشرِكت في الأمر معه، ثم جعل يسجع لهم السجعات ويقول لهم فيما يقول: مظاهات للقرآن: (لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشي) وأحل لهم الخمر والزنا، ووضع عنهم الصلاة، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي[2].

قلت: وقد أخبر الله سبحانه أنه لا يأتي أحد من الثقلين بمثل هذا القرآن، فقال جلّ من قائل: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[3] أي: معيناً. فكان كما أخبر سبحانه.

قال عياض: ومن تعاطى ذلك من سخفائهم ـ كمسيلمة ـ كشف عواره لجميعهم[4].

قلت: وممّا كتب في التّواريخ من كلام مسيلمة الكذّاب، ممّا تمجّه

---

(١) ثابت بن قيس: ثابت بن قيس بن الخطيم بن عمرو بن يزيد بن سواد بن ظفر الأنصاري الظفري، وظفر اسمه كعب بن الخزرج من الصحابة.
- شهد ثابت مع علي، صفين، والجمل، والنهروان، وله ثلاثة أولاد قتلوا يوم الحرّة، توفي في خلافة معاوية.
- الاستيعاب: ٢٠٦/١، تر: ٢٦١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٧٦/٢ ـ ٥٧٧، وبينهما خلاف.

(٣) الإسراء: ٨٨.

(٤) الشفاء: ٣٦٤/١، وفيه: كشف عواره جميعهم.

العقول وتنفر[1] منه الطباع: ما ذكره صاحب روضات الإيمان.. فمنها قوله:

(يا ضفدع نغي ما تنغين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين).

ومنها قوله: (والمبذّرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذّرايات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، فالثاردات ثرداً، فاللاقمات لقماً).

ومنها قوله: (تفكّروا نعمة الله عليكم، واشكروها أن جعل لكم الشمس سراجاً، وجعل لكم في الأرض أنهاراً ودجاجاً، وكباشاً ونعاجاً، وفضّة وزجاجاً، وذهباً وديباجاً، وأخرج لكم من الأرض رمّاناً وعنباً، وريحاناً ورطباً، وتمراً وأباً).

ومنها قوله: (لقد منّ الله على الحبلى، إذ أخرج منها نسمة تسعى، ما بين فرث[2] وحشى، فمنهم من يموت ويدرس في الثّرى، ومنهم من يعيش ويبقى إلى أجل ومنتهى، والله يعلم السر وأخفى، ولا تخفى عليه الآخرة والأولى).

ومنها قوله: (والشمس وضحاها، في ضوئها ومنجلاها، والليل إذا غدّاها، يطلبها ليغشاها، فأدركها حتّى أتاها، فأطفأ نورها ومحاها).

فهذه نبذ من كلام مسيلمة الذي كشف الله فيه عواره، وصيّره ضحكة ومثلة تناقلت الأمّة أخباره.

قال السّهيلي في «الروض الأنف»: كان مسيلمة الكذّاب صاحب

---

(١) في (ر): وتفرّ منه.

(٢) في (ر): فرش.

نيروجات يقال: إنّه أول من أدخل البيضة في القارورة، وأول من وصل جناح الطائر المقصوص، وكانت آياته منكوسة، تفل في بير قوم ـ سألوه ذلك تبرّكاً بزعمهم ـ فملح ماؤها.

ومسح رأس صبي فقزع قزعاً فاحشاً، ودعا لرجل في ابنين له بالبركة، فرجع إلى منزله فوجد أحدهما قد سقط في البير والآخر قد أكله الذيب، ومسح[(١)] عيني رجل يستشفي بمسحه فابيضّت عيناه.

وذكر عن الزّهري: أنّ مسيلمة كان تسمّى بالرحمن قبل مولد عبدالله أبي النبي ﷺ، وقتل يوم اليمامة، وهو ابن مائة وخمسين سنة[(٢)].

ولمّا أسلم ثمامة بن أثال الحنفي، حَسُنَ إسلامه ونفع الله به الإسلام كثيراً، وقام بعد وفاة/ رسول الله ﷺ مقاماً حميداً حين ارتدّت اليمامة مع مسيلمة الكذاب، وذلك أنّه قام فيهم خطيباً وقال: يا بني حنيفة، أين غربت[(٣)] قلوبكم؟ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾[(٤)]. ٢٣٣/و

يا بني حنيفة، أين هذا من (يا ضفدع تغنّي كما تغنّين لا الشراب تكدرين، ولا الماء تمنعين) ممّا كان يهذي به مسيلمة؟ فأطاعه منهم ثلاثة آلاف وانحازوا إلى المسلمين، ففتّ ذلك في أعضاد [بني][(٥)] حنيفة. انتهى كلام السّهيلي رحمه الله تعالى[(٦)].

---

(١) في الروض الأنف: ومسح على عيني رجل استشفى بمسحه.
(٢) الروض الأنف: ٧/٤٤٣ ـ ٤٤٤، بينهما خلاف.
(٣) في (ر): أين عزُبت قلوبكم.
(٤) غافر: ١ ـ ٣.
(٥) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٦) انظر حديث إسلام ثمامة بن أثال في سنن أبي داود: ٢/٥٧، رقم: ٢٦٧٩، باب الجهاد.

قلت[1]: [ومن مستحسن الكلام هنا ما حكاه يحيى[2] بن أكثم قال: كان لأمير المؤمنين المأمون[3] مجلس نظر، فدخل في جملة الناس رجل يهودي فتكلم فأحسن الكلام، فلما انقضى المجلس قال له المأمون: أسلم أفعل بك كذا وأصنع لك كذا، فأبى وقال: ديني ودين آبائي، وانصرف، فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً فتكلم في الفقه فأحسن، فلما انقضى المجلس دعاه المأمون: فقال له: ألست بصاحبنا في وقت كذا؟ قال: بلى، قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، فكتبت من التّوراة ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة، فاشتُرِيَتْ منّي، وكتبت من الإنجيل ثلاث نسخ وزدت في نسخه ونقصت وأدخلتها البيعة، فاشتُريت، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت وعرضتها للبيع، فتصفّحوها ورموها، لما رأوا من الزيادة والنقصان، فعلمت أنّ هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي.

قال يحيى بن أكثم: فحججت، فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الحديث، فقال: مصداق هذا في كتاب الله عزَّ وجلَّ، قلت: في أيّ موضع؟ قال: في قوله تعالى في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[4] فجعل حفظه إليهم فضيّعوه، وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[5] فحفظه سبحانه علينا فلم يضع.

قلت: وقد ذكرنا في المرائي التي جمعناها في فضل تفسيرنا للقرآن ما يوجب زيادة الإيمان والتأمّل في عجائب أسرار القرآن].

---

(١) في (ر): ومن مستحسن الكلام إلى عجائب أسرار القرآن نهاية الباب. . . ساقط.

(٢) أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي المروزي ثم البغدادي، ولد في خلافة المهدي، وتوفي بالرّبذة منصرفه من الحج يوم الجمعة سنة ٢٤٢.
- سير أعلام النبلاء: ٥/١٢، تر: ١.

(٣) المأمون: عبدالله المأمون بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٧٠، في اليوم الذي ولي الخليفة فيه أبوه وكانت أمّه أم ولد فارسية تدعى «مراجل» وتولّى الخلافة سنة ١٩٨، وتوفي بالقرب من مدينة طوس بآسيا الصغرى، مجاهداً، سنة ٢١٨.
- في التاريخ العباسي والأندلسي: ١٠١، للدكتور أحمد مختار العبادي.

(٤) المائدة: ٤٤.

(٥) الحجر: ٩.

باب في ذكر وفد بهراء

قال أبو الربيع والنيسابوري: روى الواقدي بسند[ه][1] عن كريمة[2] بنت المقداد قالت: سمعت أمّي ضباعة[3] بنت الزبير بن عبدالمطلب تقول: قدم وفد بهراء من اليمن وهم ثلاثة عشر رجلاً فأقبلوا يقودون رواحلهم حتّى انتهوا إلى باب المقداد، فخرج إليهم المقداد فرحب بهم وأنزلهم، وجاءهم بجفنة من حيس، قد كنّا هيأناها قبل أن يحلّوا بنا، فحملها أبو معبد المقداد ـ وكان كريماً على الطعام ـ فأكلوا منها حتّى نهلوا، ورُدّت إلينا القصعة وفيها أكل، فجمعنا تلك الأكل في قصعة صغيرة، ثم بعثنا بها إلى رسول الله ﷺ مع سدرة[4] مولاتي، فوجدْته[5] في بيت أمّ سلمة، فقال رسول الله ﷺ: «**ضباعة أرسلت بهذا؟**» قالت سدرة: نعم يا رسول الله، قال: «**ضعي**». ثم قال ﷺ: «**ما فعل ضيف أبي معبد؟**» قلت: عندنا، فأصاب منها رسول الله ﷺ أكلاً هو ومن معه في البيت حتّى نهلوا، وأكلت معهم سدرة، ثم قال ﷺ: «**اذهبي بما بقي إلى ضيفكم**». قالت سدرة: فرجعت بما بقي في القصعة إلى

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) كريمة بنت المقداد بن الأسود الكندية: راوية من راويات الحديث، روت عن أمّها ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب عن النبي ﷺ. وروى عنها زوجها عبدالله بن وهب بن زمعة، وابنتها قريبة بنت عبدالله بن وهب، وروى لها أبو داود وابن ماجه. وذكرها ابن حبان في الثقات.
- أعلام النساء، لعمر كحالة: ٢٤٤/٤.

(٣) ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب بن هاشم، صحابية، تزوّجها المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة، المعروف بالمقداد بن الأسود لتبنّيه له، فولدت له عبدالله وكريمة. فقتل عبدالله يوم الجمل مع عائشة. روى عنها الأعرج، وعروة بن الزبير.
- الاستيعاب: ١٨٧٤/٤، تر: ٤٠١٧.

(٤) سدرة: مولاة ضباعة بنت الزبير لها ذكر في المغازي للواقدي في وفد نجران.
- الإصابة: ٣٢٥/٤، تر: ٥٣٠.

(٥) في الأصل: فوجدتها.

مولاتي، قالت: فأكل منها الضيف ما أقاموا، فردّدها عليهم وما تغيض، حتّى جعل الضيف يقولون: يا أبا معبد، إنّك لتنهلنا من أحبّ الطعّام إلينا، وما كنّا نقدر على مثل هذا إلاّ في الحين، وقد ذُكر لنا أنّ بلادكم قليلة الطعام/ إنّما[1] هو العُلَقُ ونحوه، ونحن عندك في الشّبع، فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله ﷺ: أنّه أكل منها أكلاً وردها، فهذه بركة أصابع رسول الله ﷺ، فجعل القوم يقولون: نشهد أنّه رسول الله، فازدادوا يقيناً، وذلك الذي أراد رسول الله ﷺ. وتعلّموا الفرائض، وأقاموا أياماً، ثم جاؤوا رسول الله ﷺ فودّعوه، وأمر لهم بجوائز، وانصرفوا إلى أهلهم[2].

٢٣٤/ظ



---

(١) في (ر): إنّها.

(٢) في (ر): أهليهم.

باب في ذكر وفد بني مرّة

قال أبو الربيع: وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني مرة ثلاثة عشر رجلاً، رأسهم الحارث[1] بن عوف، وذلك منصرَف رسول الله ﷺ من تبوك، جاؤوه وهو في المسجد، فقال الحارث بن عوف: يا رسول الله، إنّا قومك وعشيرتك، نحن قوم من لؤي بن غالب، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال للحارث: **«أين تركت أهلك؟»** قال: بسلاح[2] وما والاها، قال: **«فكيف البلاد؟»** قال: والله إنّا لمستنون وما في المال مخ، فادع الله لنا، فقال رسول الله ﷺ: **«اللّهم اسقهم الغيث»** فأقاموا أياماً، ثم أرادوا الانصراف إلى بلادهم فجاؤوا رسول الله ﷺ مودّعين له، فأمر بلالاً أن يجيزهم، فأجازهم بعشر[3] أواقي، عشر أواقي فضة، وفضّل الحارث بن عوف فأعطاه اثنتي عشرة أوقية، ورجعوا إلى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة، فسألوا: متى أُمطرتم؟ فإذا هو ذلك اليوم الذي دعا رسول الله ﷺ فيه، فقدم عليه قادم منهم بعد وهو يتجهّز لحجّة الوداع، فقال: يا رسول الله، رجعنا إلى بلادنا فوجدناها مطيرة في ذلك اليوم الذي دعوت لنا فيه، ثم في كل خمس عشرة مطرة جوداً، ولقد رأيت الإبل تأكل وهي بروك، وإنّ غنمنا ما توارى من أبياتنا فترجع فتقيل في أهلها.

فقال رسول الله ﷺ: **«الحمد لله الذي هو صنع ذلك»**.

---

(١) في (ر): الحرث: الحارث بن عوف المري، قدم على رسول الله ﷺ، فأسلم، وبعث معه رجلاً من الأنصار إلى قومه ليسلموا على يديه، ويعلّمهم الإسلام، فقتل الأنصاري، ولم يستطع الحارث أن يدافع عنه، فجعل الحارث يعتذر، وبعث القاتل إبلاً في دية الأنصاري، فقبلها رسول الله ﷺ، ودفعها إلى ورثته، ويبدو أن الحارث رجع مرة ثانية معه وفد يرأسه.

- الاستيعاب: ٢٩٦/١، تر: ٤٢٢.

(٢) سلاح: ـ على وزن قطام ـ موضع أسفل من خيبر.

- مراصد الاطلاع: ٧٢٤/٢.

(٣) في (ر): بعشرة أواقي.

باب في ذكر وفد الأزد[1]

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبدالله[2] فأسلم فحسن إسلامه، في وفد من الأزد، فأمّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن، فخرج صرد بن عبدالله يسير بأمر رسول الله ﷺ حتّى نزل بجرش، وهي يومئذ مدينة مغلقة وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد ضوت إليها خثعم، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم، فحاصرهم فيها قريباً من شهر، وامتنعوا فيها منه، ثم إنّه رجع عنهم قافلاً، حتّى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر ظن أهل جرش إنّما ولّى عنهم منهزماً فخرجوا في طلبه، حتّى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً. وقد كان أهل جرش بعثو منهم رجلين إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد العصر إذ قال رسول الله ﷺ: «**بأيّ بلاد الله شكر؟**» فقام الجرشيان فقالا[3]: يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر، وكذلك يسميه أهل جرش، فقال: «**إنه ليس بكشر، ولكنه شكر**» قالا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: «**إنّ بدن الله لتنحر عنده الآن**»، فجلس الرجلان إلى أبي بكر، وإلى عثمان، رضي الله عنهما فقال لهما: ويحكما؛ إنّ رسول الله ﷺ الآن لينعى لكما قومكما، فقوما إلى رسول/ الله ﷺ فسلاه أن ٢٣٥/و

(١) الأزد: بنو الأزد: بفتح الهمزة وسكون الزّاي وبالدّال المهملة ويقال فيهم: الأسد، وبالزّاي أفصح، وهم حيّ من كهلان، من القحطانية، والأزد من أعظم الأحياء وأكثرها بطوناً، وأمدّها فروعاً، وهم بنو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان.

● نهاية الأرب: ٩٢.

(٢) صرد بن عبدالله الأزدي أسلم سنة عشر من الهجرة، وجعله رسول الله ﷺ أميراً على قومه.

● الاستيعاب: ٧٣٧/٢، تر: ١٢٣٨.

(٣) في الأصل: فقالوا.

يدعو الله أن يرفع عن قومكما، فقاما إليه فسألاه ذلك، فقال: «**اللهم ارفع عنهم**»، فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبدالله، في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال في الساعة التي ذكر فيها ما ذكر، فخرج وفد جرش حتّى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا، فقال في تلك الغزاة رجل من الأزد [من البسيط]:

يا غزوة ما غزونا غير خائبة ... فيها البغال وفيها الخيل والحمر

حتّى أتينا حميراً[1] في مصانعها ... وجمع خثعم قد ساغت[2] لها النّذر

إذا وضعت غليلاً كنت أحمله ... فما أبالي أدانوا بعد أم كفر[وا][3]



(١) في الأصل: حمراً.

(٢) ساغت: سهلت وفي السيرة النبوية لابن هشام: شاغت: ومعناها: ذاعت وانتشرت.

(٣) في الأصل: أم كفر ـ بدون واو الجماعة.

● السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٥٨٧ ـ ٥٨٨، بينهما خلاف.

باب في ذكر وفد غامد[1]

قال أبو الربيع الكلاعي وأبو سعيد النيسابوري: حدّث محمد بن عمر الواقدي المدني بإسناده قال: قدم وفد غامد على رسول الله ﷺ سنة عشر، وهم عشرة، فنزلوا في بقيع الغرقد، وهو يومئذ أثل وطرفاء وغرقد، ثم انطلقوا إلى رسول الله ﷺ وخلفوا عند رحلهم أحدثهم سنّاً، فنام عنه، فجاء سارق فسرق عيبة[2] لأحدهم فيها أثواب له، وانتهى القوم إلى رسول الله ﷺ فسلّموا عليه وأقرّوا له بالإسلام، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام وقال لهم: «**من خلّفتم في رحالكم؟**» قالوا: أحدثنا يا رسول الله، قال: «**فإنّه قد نام عن متاعكم حتّى أتى آت فأخذ عيبة أحدكم**» فقال أحد القوم: يا رسول الله، ما لأحد من القوم عيبة غيري؟ قال رسول الله ﷺ: «**فقد أخذت وردّت إلى موضعها**»، فخرج القوم سراعاً حتّى أتوا رحلهم فوجدوا صاحبهم، فسألوه عما أخبرهم رسول الله ﷺ فقال: «**فرغت من نومي وأنا أفقد العيبة، فقمت في طلبها فإذا رجل قد كان قاعداً، فلما رآني ثار يعدو منّي، فانتهيت إلى حيث كان فإذا أثر حفر وإذا هو قد غيّب العيبة، فاستخرجتها**» فقالوا: نشهد أنه رسول الله، فإنّه قد أخبرنا بأخذها، وأنّها قد رُدّت، فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه، وجاء الغلام الذي خلّفوا فأسلم، وأمر النبي ﷺ أبيّ بن كعب فعلّمهم قرآناً، وأجازهم ﷺ كما كان يجيز الوفود وانصرفوا. [وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النبين][3].

---

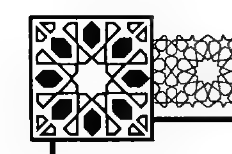
(١) وفد غامد: بنو غامد: بطن من الأزد، من القحطانية، وهم بنو غامد ـ واسمه عمرو ـ ابن عبدالله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد.

● جمهرة أنساب العرب، لابن حزم: ٣٧٧.

(٢) العيبة: وعاء من أدم ونحوه يكون فيه المتاع جمع عيب وعياب.

● المعجم الوسيط، مادة: عاب.

(٣) في (ر) ما بين الحاصرتين غير وارد.



كتاب رسول الله ﷺ إلى الملوك يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى الإسلام

قد قدّمنا الكلام في إرساله ﷺ الرسل، وبقي بعض الكلام لم نذكره وهذا محل ذكره ـ إن شاء الله ـ.

قال ابن هشام: وقد كان رسول الله ﷺ بعث إلى الملوك رسلاً من أصحابه، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام.

حدّثني من أثق به عن أبي بكر الهذلي[1] قال: بلغني أنّ رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم، بعد عمرته التي صدّ عنها يوم الحديبية، فقال: **«أيّها الناس، إنّ الله بعثني رحمة وكافة»** وفي حديث ابن إسحاق: **«إنّ الله بعثني رحمة وكافة، فأدّوا عنّي رحمكم الله ولا تختلفوا عليّ كما اختلفت الحواريون على عيسى بن مريم»**.

فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال: **«دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأمّا/ من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلم، وأمّا من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل، فشكا ذلك عيسى إلى الله عزَّ وجلَّ، فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمّة التي بعث إليها»**. ٢٣٦/ظ

فبعث رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه، فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الرّوم، وبعث عبدالله بن حذافة السّهمي إلى كسرى ملك

---

(١) أبو بكر الهذلي: اسمه: سلميّ بن عبدالله بن سلميّ، من بني صبح بن كاهل، ديارهم حوالي مكة، ولهم عدد وعدة ومنعة، وأبو بكر فقيه.
● جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ١٩٨.

فارس؛ وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النّجاشي ملك الحبشة؛ وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية، وبعث عمرو بن العاصي السّهمي إلى جيفر وعياذ[1] ابني الجلند[2] الأزديين ملكي عمان[3]؛ وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال، وهوذة بن علي الحنيفيين، ملكي اليمامة؛ وبعث العلاء بن الحضرمي[4] إلى المنذر[5] بن ساوى العبدي، ملك البحرين؛ وبعث شجاعاً الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني، ملك تخوم الشام. ويقال: بعثه إلى جبلة بن الأيهم الغسّاني.

وبعث المهاجر بن[6] أبي أمية المخزومي ....

---

(١) جيفر وعياذ ابنا الجلندي اليمانيين، كان جيفر رئيس أهل عمان هو وأخوه عيد، وفي الإصابة ذكره عبيداً، وأخرى عباداً، وقال فيهما: إنهما أميرا عمان أسلما على يد عمرو بن العاص، ولم يقدما على النبي ﷺ، ولم يرياه، كان إسلامهما بعد خيبر.

- أ ـ الاستيعاب: ٢٧٥/١، تر: ٣٦٤.
- ب ـ الإصابة: ٢٦٤/١، تر: ١٣٠٨.

(٢) في (ر): الجلندة وفي الاستيعاب والإصابة: الجلندي ـ بضم الجيم ـ.

(٣) عمان: ـ بضم أوله وتخفيف ثانيه ـ اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن في شرقي هجر، تشتمل على عدة بلدان، يضرب بحرّها المثل، وأهلها إباضية.

- مراصد الاطلاع: ٩٥٩/٢.

(٤) العلاء بن الحضرمي:
قيل: اسمه عبدالله بن عماد، وقيل: عبدالله بن عمار بن عميرة أو عبيدة بن مالك من حضرموت، حليف بني أمية، ولاه رسول الله ﷺ البحرين وبقي فيها إلى وفاته في خلافة عمر سنة ١٤، وكان مجاب الدعوة، وأنه خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها، وذلك مشهور عنه.

- الاستيعاب: ١٠٨٥/٣، تر: ١٨٤١.

(٥) المنذر بن ساوى العبدي قدم على رسول الله ﷺ من البحرين في وفد إياس بن عبد القيس حين أسلموا.

- الاستيعاب: ١٤٤٨/٤، تر: ٢٤٨٦.

(٦) المهاجر بن أمية بن المغيرة القرشي المخزومي أخو أمّ سلمة زوج النبي ﷺ وكان اسمه الوليد فكرهه ﷺ، وقال لأمّ سلمة هو المهاجر، واستعمله على صدقات كندة، والصدف، ثم ولاه أبو بكر اليمن.

- الاستيعاب: ١٤٥٢/٤، تر: ٢٥٠٢.

إلى الحارث[1] بن عبد كلال الحميري، ملك اليمن[2].

---

(١) الحارث بن عبد كلال، كتب إليه النبي ﷺ كتاباً، يعد في أهل اليمن، وليست له صحبة، وإنما كان موجوداً في حياة الرسول ﷺ، قال ابن الأثير: فلا أدري لأتي معنى يذكرون هذا وأمثاله مثل الأحنف، ومروان، وغيرهما. وليست لهم صحبة، ولا رؤية.

● أسد الغابة: ٦٢٢/١، تر: ٩٢٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٠٦/٢ ـ ٦٠٧، بينهما خلاف.

باب [في][1] ذكر بقية الكلام في بعث النبي عليه السلام إلى قيصر

وقد قدّمنا حديث هرقل، عظيم الروم حسب ما ورد في الصحيحين، والآن نذكر ما رواه الواقدي وغيره.

قال أبو الربيع الكلاعي: ذكر الواقدي، عن محمد بن كعب القرظي أنّ دحية لقي قيصر، بحمص لما بعثه إليه رسول الله ﷺ، وقيصر ماش من قسطنطينية إلى إيلياء في نذر كان عليه: إن ظهرت الروم على فارس أن يمشي حافياً من قسطنطينية، فقال لدحية قومُه لما بلغ قيصر: إذا رأيته فاسجد له، ثم لا ترفع رأسك أبداً حتى يأذن لك، فقال دحية: لا أفعل هذا أبداً ولا أسجد لغير الله عزَّ وجلَّ، قالوا: إذن لا يأخذ كتابك ولا يكتب جوابك، فقال: وإن لم يأخذه، يعني لا يسجد له وإن لم يأخذه[2]، فقال له رجل منهم: أنا أدلّك على أمر يأخذ فيه كتابك ولا يكلفك فيه السجود، قال دحية: وما هو؟ قال: إن له على كل عقبة منبراً يجلس عليه، فضع صحيفتك وجاه المنبر، فإنّ أحداً لا يحرّكها حتّى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها فيأتيه، قال: أما هذا فسأفعل. فعمد إلى منبر من تلك المنابر التي يستريح عليها قيصر فألقى الصّحيفة وجاهه، ثم تنحّى فجلس [قريباً، فجاء قيصر فجلس][3] على المنبر، ثم نظر الصحيفة فدعا بها، فإذا عنوانها كتاب العرب، فدعا التّرجمان الذي يقرأ بالعربية فإذا هو: «من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم». فغضب أخ لقيصر يقال [له][1] يناق، فضرب في صدر التّرجمان ضربة شديدة ونزع الصحيفة منه، فقال قيصر: ما شأنك أخذت الصحيفة؟ فقال: ننظر في كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك وسمّاك قيصر صاحب الرّوم، وما ذكر لك مالكاً، فقال له قيصر: إنّك والله ما علمتُ،

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.
(٢) هكذا وردت الجملة مكررة مرّتين.
(٣) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.

أحمق صغيراً، مجنون كبيراً، أتريد أن تخرق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه؟ فلعمري لئن كان رسولَ الله ـ كما يقول ـ لَنفسُه أحقُّ أن يبدأ بها، وإن كان سمّاني صاحب الرّوم لقد صدق، ما أنا الرّوم، لقد صدق، ما أنا إلا صاحبهم، وما أملكهم، ولكن الله عزَّ وجلَّ سخّرهم لي، ولو شاء سلّطهم عليّ كما سلّط فارس على كسرى فقتلوه. ثم فتح الصحيفة فإذا فيها: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد:** ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾»[١].

في آيات من كتاب الله يدعوه إلى الله ويزهّده في ملكه ويرغّبه/ فيما رغّبه الله فيه من الآخرة ويحذّره بطش الله وبأسه. ٢٣٧/و

وذكر السّهيلي وأبو الربيع: أنّ دحية لما قدم على قيصر قال له: يا قيصر، أرسلني إليك من هو خير منك، والذي أرسله خير منه ومنك، فاسمع بذلّ ثم أجب بنصح، فإنّك إن لم تتذلّل[٢]، لم تفهم، وإن لم تنصح لم تُنصف، قال: هات، قال: هلم تعلم أكان المسيح يصلي؟ قال: نعم، قال: فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له، وأدعوك إلى من دبّر خلق السّموات والأرض والمسيح في بطن أمّه، وأدعوك إلى هذا النبي الأمّي الذي بشّر به موسى، وبشّر به عيسى ابن مريم بعده، وعندك من ذلك أثرة[٣] من علم يُكتفى به من العيان، ويشفي من الخبر، فإن أجبت كانت لك الدنيا والآخرة، وإلاّ ذهبت عنك الآخرة وشوركت في الدنيا، واعلم أنّ لك ربّاً يقصم الجبابرة، ويغيّر النّعم.

فأخذ قيصر الكتاب فوضعه على عينيه ورأسه وقبّله، ثم قال: أما والله ما تركت كتاباً إلاّ قرأته، ولا عالماً إلاّ سألته، فما رأيت إلاّ خيراً، فأمهلني

---

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) في الروض الأنف: لم تذلل.

(٣) في الروض الأنف: أثارة من علم تكفي من العيان وتشفي من الخبر فإن أجبت.

حتّى أنظر من كان المسيح يصلي له، فإني أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غداً ما هو أحسن منه فأرجع عنه، فيضرّني ذلك ولا ينفعني، أقِمْ حتّى أنظر. فلم يلبث أن أتاه وفاة رسول الله ﷺ[1].

قلت: واختلاف هذه الروايات يدل على أنّ الكَتْبَ تكرّر، فمنه ما كان بعد الحديبية، ومنه ما كان في غزوة تبوك، وهي آخر الغزوات. وأما حديث أبي سفيان فكان أيّام الهدنة بعد الحديبية.

قال السّهيلي: ولم يذكر ابن إسحاق في غزوة تبوك ما كان من أمر هرقل، فإنّ رسول[2] الله ﷺ كتب إليه من تبوك مع دحية بن خليفة، ونصّه مذكور مشهور[3].

وذكر أبو الربيع: أنّ قيصر قال: يا معشر الروم، هلمّ إلى أن نجيب هذا الرجل إلى ما دعانا إليه ونسأله الشام أن لا توطأ علينا أبداً، فإنّه لم يكتب نبي من الأنبياء قط إلى ملك من الملوك يدعوه إلى الله فيجيبه إلى ما دعاه إليه ثم يسأله عندها مسألة إلاّ أعطاه مسألته ما كانت، فأطيعوني فلنجبه ونسأله أن لا توطأ الشام، قالوا: لا نطاوعك في هذا أبداً، تكتب إليه تسأله ملكك الذي تحت رجليك؟!! هو هنالك لا يملك من ذلك شيئاً.

وفي هذا الحديث أنّ قيصر قال لقومه: يا معشر الروم، ألستم تعلمون أن بين عيسى وبين الساعة نبياً بشّركم به عيسى ابن مريم، ترجون أن يجعله الله فيكم؟ قالوا: بلى، قال: فإنّ الله قد جعله في غيركم، في أقل منكم عدداً، وأضيق منكم بلداً، وهي رحمة الله عزَّ وجلَّ يضعها حيث يشاء.

قال أبو الربيع والسّهيلي: ويروى أنّ قيصر لما انتهى مع قومه إلى ما ذكر، ويئس من إجابتهم، كتب مع دحية جواب كتاب النبي ﷺ يقول فيه: إني مسلم، ولكنّي مغلوب. وأرسل إليه بهدية[4].

---

(١) الروض الأنف: ٥١٦/٧ ـ ٥١٧.
(٢) الروض الأنف: النبي ﷺ.
(٣) الروض الأنف: ٣٦٣/٧.
(٤) في (ر): هدية.

فلما قرأ رسول[1] الله ﷺ كتابه قال: **«كذب عدوّ الله، ليس مسلماً، بل هو على نصرانيته»**. وقبل هديته وقسمها بين المسلمين[2].

ذكر بقية حديث كسرى

قال السّهيلي وأبو الربيع: ذكر أبو رفاعة[3] وثيمة بن موسى بن الفرات قال: لمّا قدم[4] عبدالله بن حذافة على كسرى قال له[5]: يا معشر الفرس، إنّكم عشتم بأحلامكم لعدة أيامكم، بغير نبي ولا كتاب، ولا تملك من الأرض إلاّ ما في يديك، وما لا تملك منها أكثر، وقد ملك[6] الأرض قبلك ملوك أهل دنيا وأهل آخرة، فأخذ أهل الآخرة بحظهم من الدنيا وضيّع أهل الدنيا حظّهم من الآخرة، واختلفوا[7] في سعي الدنيا، واستووا في عدل الآخرة، وقد صغّر هذا الأمر عندك أنّا أتيناك به، وقد ـ والله ـ جاءك من حيث خفت، وما تصغيرك/ إيّاه بالذي يرفعه[8] عنك، ولا تكذيبك بالذي يخرجك منه، وفي وقعة ذي قار[9] على ذلك دليل. ٢٣٨/ظ

---

(١) في الروض الأنف: النبي ﷺ.

(٢) الروض الأنف: ٧/٣٦٤.

(٣) أبو رفاعة وثيمة: أبو يزيد وثيمة بن موسى بن الفرات الوشّاء، الفارسي، خرج من بلده إلى البصرة، ثم سافر إلى مصر، وارتحل منها إلى الأندلس تاجراً، وكان يتّجر في الوشي، له كتاب في أخبار الرّدّة، وذكر فيه القبائل التي ارتدّت بعد وفاة النبي ﷺ والسّرايا التي سيّرها إليهم أبو بكر رضي الله عنه. ثمّ إنّ وثيمة عاد من الأندلس إلى مصر، فتوفي بها يوم الإثنين لعشر خلون من جمادي الأخيرة سنة [٢٣٧].
- أ ـ وفيات الأعيان: ٦/١٢، تر: ٧٦٩.
- ب ـ الأعلام: ٩/١٢٤.

(٤) في الروض الأنف: قال: قدم ـ بحذف لمّا ـ.

(٥) في الروض الأنف: قال: يا معشر... بحذف له.

(٦) في الروض الأنف: وقد ملك قبلك ـ بحذف الأرض ـ.

(٧) في الروض الأنف: فاختلفوا ـ بالفاء ـ.

(٨) في الروض الأنف: يدفعه عنك.

(٩) ذو قار: ماء لبكر بن وائل، قريب من الكوفة، بينها وبين واسط، وفيه كانت الوقعة المشهورة بين العرب من بكر بن وائل والفرس، قال أبو تمام [من الطويل]: =

فأخذ الكتاب فمزّقه، ثم قال: لي ملك هنيّ لا أخشى أن أغلب عليه، ولا أشارك فيه، وقد ملك فرعون بني إسرائيل ولستم بخير منهم، فما يمنعني أن أملككم وأنا خير منه[1]؟ وأمّا وقعة ذي قار فهي بوقعة الشام. ثم انصرف[2] عبدالله عنه.

وقد قدّمنا أنّ النّبي ﷺ لما بلغه تمزيق كسرى للكتاب دعا عليهم أن يمزقوا كلّ ممزق، فأجاب الله سبحانه دعاءه فقتل كسرى، ثم بعذ ذلك دوّخهم الإسلام ببركة سيدنا محمد ﷺ.

قال السّهيلي: وإنّما خصّ رسول[3] الله ﷺ عبدالله بن حذافة بإرساله إلى كسرى لأنه كان يتردد عليهم كثيراً ويختلف إلى بلادهم، وكذلك سليط بن عمرو كان يختلف إلى اليمامة[4].

قلت: وكذا سائر الرّسل خصّ كلّ واحد منهم بموضع كان يتردّد إليه.



= إذا افتخرت يوماً تميم بقومها ... وزادت على ما وطّدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

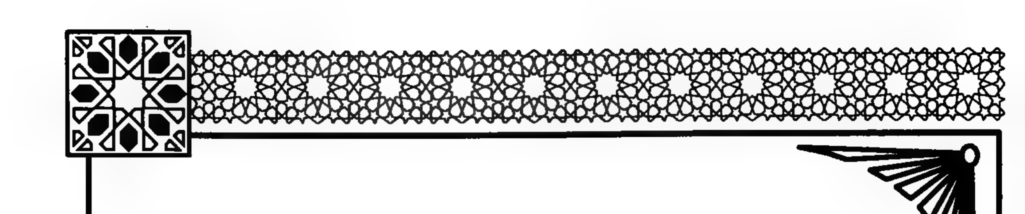
● مراصد الاطلاع: ١٠٥٥/٣.

(١) في الروض الأنف: فأمّا هذا الملك فقد علمنا أنّه يعير إلى الكلاب، وأنتم أولئك تشبع بطونكم وتأبى عيونكم فأما.

(٢) في الروض الأنف: فانصرف عنه عبدالله.

(٣) في الروض الأنف: خصّ النبي ﷺ.

(٤) الروض الأنف: ٥٨٩/٦ ـ ٥٩٠.



كتاب النبي ﷺ إلى هوذة بن علي مع سليط بن عمرو[1] العامري وما كان من خبره معه

قال أبو الربيع: ولمّا بعث رسول الله ﷺ رسله إلى الملوك يدعوهم إلى الله سبحانه، بعث سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة والمتوّج بها.

وذكر الواقدي أنّ رسول الله ﷺ كتب إلى هوذة مع سليط حين بعثه إليه: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي: سلام على من اتبع الهدى، واعلم أنّ ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فاسلِمْ تَسْلَمْ وأجعل لك ما تحت يديك**».

فلمّا قدم سليط بكتاب النبي ﷺ مختوماً: أنزله وحباه، واقتُرىء عليه الكتاب فردّ ردّاً دون ردّ[2]، وكتب إلى النبي ﷺ ما أحسن ما تدعو إليه وأَجَلّه، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، اجعل إليّ بعض الأمر اتّبعك.

وأجاز سليطاً بجائزة، وكساه أثواباً من ثياب هجر، فقدم بذلكم كله على النبي ﷺ فأخبره، وقرأ النبي ﷺ كتابه وقال: «**لو سألني**

---

(١) في الأصل: عمر.

(٢) هكذا وردت الجملة في الأصل وفي (ر): فرد رداً رداً دون ردّ.

سباية[1] **من الأرض ما فعلت باد وباد ما في يديه»**. فلما انصرف النبي ﷺ من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأنّ هوذة مات، فقال النبي ﷺ: **«أما إنّ اليمامة سيخرج بها كذّاب يتنبأ، يُقتل بعدي»** فقال قائل: يا رسول الله فمن يقتله؟ فقال له رسول الله ﷺ: **«أنت وأصحابك»**. فكان من أمر مسيلمة وتكذّبه ما كان.

وظهر المسلمون عليه فقتلوه، وكان ذلك القائل من قتله، وُفّقَ ما قاله الصّادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه.

قال السّهيلي وأبو الربيع: قال: وثيمة بن موسى[2]: ولمّا قدم سليط بن عمرو[3] على هوذة ـ وكان كسرى قد توّجه ـ قال[4] له: يا هوذة [إنّه][5] قد سوّدتك[6] أعظم حائلة وأرواح في النار، وإنّما السيد من متّع بالإيمان ثم زوّد التقوى، إنّ قوماً[7] سعدوا برأيك فلا تشقين به[8]، وإنّي آمرك بخيرِ مأمورٍ به، وأنهاك عن شر مَنْهِيٍّ عنه، آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان، فإنّ في عبادة الله الجنّة، وفي عبادة الشيطان النّار، فإن قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما خفت، وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء، وهو[9] المطلع.

فقال هوذة: يا سليط، سوّدني من لو سوّدك شرفت به، وقد كان لي رأي أختبر به الأمور فقدته[10]، فموضعه في قلبي هواء، فاجعل لي فسحة

---

(١) في (ر): سفاية.
(٢) في الروض الأنف: قال وثيمة: لمّا قدم سليط.
(٣) في الروض الأنف: بن عمرو العامري على هوذة.
(٤) في الروض الأنف: قال: يا هوذة.
(٥) ما بين الحاصرتين سقط بـ (ر).
(٦) في الروض الأنف: إنّك مسوّدتك أعظم حائلة.
(٧) في الروض الأنف: وإنّ قوماً سعدوا.
(٨) في الروض الأنف: فلا تشق به.
(٩) في الروض الأنف: وهول المطلع.
(١٠) في (ر) والروض الأنف: ففقدته.

يرجع إليّ رأيي فأجيبك به إن شاء الله[1].

قال أبو الربيع: وذكر الواقدي، بإسناد له عن عبدالله بن مالك[2] أنّه قال: قدمت اليمامة في خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه فجلست في مجلس [بحجر][3] فقال رجل في المجلس/: إنّي لعند ذي التاج الحنفي ـ يعني هوذة ـ يوماً إذ جاءه حاجبه فاستأذن لأركون دمشق، وهو عظيم من عظماء النّصارى، فقال: ائذن له، فدخل، فرحّب به وتحدّثا، فقال له الأركون: ما أطيب بلاد الملك وأبرأها من الأوجاع! قال ذو التاج: هي أصحّ بلاد العرب وهي ريف بلادهم، فقال له الأركون: وما قرب محمد منكم؟ قال ذو التّاج: هو بيثرب، وقد جاءني كتابه يدعوني إلى الإسلام فلم أجبه، قال الأركون: لم لم تجبه؟ قال: ظننت بديني وأنا ملك قومي، إن اتّبعته لم أملك، قال: بلى والله لئن اتّبعته ليملّكنّك، وإنّ الخيرة لك في اتباعه، وإنّه النّبي العربي الذي بشّر به عيسى ابن مريم، وإنّه لمكتوب عندنا في الإنجيل «محمد رسول الله».

٢٣٩/و

قال ذو التاج: قد قرأت في الإنجيل ما تذكر. ثم قال لأركون: ما لك لا تتّبعه؟ قال: الحسد له، والظّن بالخمر وشربها، قال: فما[4] فعل هرقل؟ قال: هو على دينه ويظهر لرسله أنّه معه، وقد شاور أهل مملكته. فأبوا أشدّ الإباء، فظنّ بملكه أن يفارقه.

فقال ذو التاج: فما أراني إلاّ متّبعه وداخلاً في دينه، فأنا في بيت لعرب، وهو معزّي على ما تحت يدي.

---

(١) الروض الأنف: ٦/٥٩٠ ـ ٥٩١.
(٢) عبدالله بن مالك بن بحينة ـ على وزن جهينة ـ الأزدي، كنيته أبو حمد، حليف لبني المطلب، وبُحينة من أزد شنوءة يسكن ببطن رئم، على بعد مسيرة يوم من المدينة، روى عنه الأعرج، وحفص بن عاصم، وابنه علي. توفي في آخر خلافة معاوية.
● الاستيعاب: ٣/٩٨٢، تر: ١٦٤٦.
(٣) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٤) في الأصل: فلما فعل.

فقال له البطريق: هو فاعل فاتّبعه. فدعا رسولاً وكتب معه كتاباً وسمّى هدايا، فجاءه قومه فقالوا: أتتّبع محمداً وتترك دينك؟ لا تملكنّ علينا أبداً، فرفض الكتاب. قال: فأقام الأركون عنده في حباء وكرامة، ثم وصله ووجّه راجعاً إلى الشام. قال الرجل: فتبعته حين خرج فقلت له: أحق ما أخبرت به ذا التّاج؟ قال: نعم والله، فاتّبعته ورجعت إلى أهلي، فتكلّفت الشخوص إلى النبي ﷺ، فقدمت عليه مسلماً وأخبرته بكل ما كان، فالحمد لله الذي هداني.

ولم يسمّ في حديث الواقدي هذا الرجل، إلاّ أنّ فيه أنّه كان من طيّء من بني نبهان[1]. وقد تقدّم حديث عامر بن سلمة من بني حنيفة، وأنّه رأى رسول الله ﷺ ثلاثة أعوام، ولاء في الموسم، يعرض نفسه على القبائل، وقول هوذة له: [أما][2] إنّه سيظهر على ما هاهنا، ثم إنّ عامراً أسلم آخر حياة النبي ﷺ ومات هوذة كافراً على نصرانيته، والعياذ بالله.

قلت: وهذا من شؤم الرّكون إلى الدنيا والحرص عليها، حين عرفوا الحقّ فخالفه خوفاً على ملكهم أن يُسلبوه، نعوذ بالله من اتّباع الضّلال ومن شماتة الشيطان.



(١) بنو نبهان: بطن من بني سماك، من لخم، من القحطانية.
● نهاية الأرب: ٣٨٢، تر: ١٥٩٢.

(٢) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

[باب][1] في ذكر بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى

قال السّهيلي وأبو الربيع الكلاعي: وقدم العلاء بن الحضرمي على المنذر بن ساوى فقال له: يا منذر، إنّك عظيم العقل في الدنيا، فلا تصغرنّ عن الآخرة. إن هذه المجوسية شرّ دين، ليس فيها تكرّم العرب، ولا علم أهل الكتاب. ينكحون ما يُستحى من نكاحه، ويأكلون ما يُتكرّم عن أكله، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة، ولست بعديم عقل ولا رأي، فانظر: هل ينبغي لمن لا يُكذِّب أن[2] تصدّقه؟ ولمن لا يُخوِّن أن تأتمنه[3]؟ ولمن لا يخلف أن تثق به[4]؟ فإن كان هذا هكذا، فهو النبي الأمّي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه أمر به، أو ليته زاد في عفوه، أو نقص من عقابه، إن كل ذلك منه على أمنية أهل العقل، وفكر أهل البصر. فقال المنذر: قد نظرت في هذا[5] الذي في يدي فوجدته للدّنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فوجدته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دينٍ فيه أمنية الحياة وراحة الممات[6]؟!! ولقد عجبت أمس ممّن يقبله، وعجبت اليوم ممّن يردّه، وإنّ من إعظام من جاء به أن يعظّم رسوله، وسأنظر[7].

قال أبو الربيع: وذكر ابن إسحاق والواقدي وسيف[8] والطّبري

---

1) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
2) في الروض الأنف: أن لا تصدّقه.
3) في الروض الأنف: أن لا تأمنه.
4) في الروض الأنف: أن لا تثق به.
5) في الروض الأنف: في هذا الأمر الذي في يدي.
6) في الروض الأنف: وراحة الموت.
7) الروض الأنف: ٥١٩/٧ ـ ٥٢٠.
8) سيف: هو سيف بن عمر الأسدي التميمي، من أصحاب السير، أصله من الكوفة،=

وغيرهم: أنّ المنذر لما وصله العلاء برسالة رسول الله ﷺ وكتابه. أسلم وحسن إسلامه[1]. وزاد الواقدي/: أنّ النبي ﷺ استقدم العلاء بن الحضرمي فاستخلفه العلاء مكانه على عمله.

٢٤٠/ظ



= واشتهر ببغداد التي توفي بها سنة مائتين [٢٠٠] وله عدة مؤلفات منها: الفتوح الكبير، والجمل، والرِّدَّة.

● الأعلام: ٢٢٠/٣.

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٧٦/٢.

باب في ذكر قصة الكذاب الأسود العنسي

قال السّهيلي: وأمّا الأسود[1] بن كعب العنسي، وعنس[2] من مذحج[3]، فاتبعته قبائل من مذحج واليمن على أمره، وغلب على صنعاء، وكان يقال له: ذو الحمار[4]، ويلقب: عيهلة، وكان يدّعي في كذبه[5]: أنّ سحيقاً وشريقاً يأتيانه بالوحي - في زعمه[6] -، ويقول: هما ملكان يتكلمان على لساني... في خدع كثيرة يزخرف بها، قتله فيروز[7] الدّيلمي وقيس بن مكشوح[8] وذاذويْ[9] رجل من الأبناء[10] رضي الله عنهم[11]، دخلوا عليه

(١) في الروض الأنف: وأمّا مسعود بن كعب.

(٢) بنو عنس - بسكون النون -: بطن من كهلان، من القحطانية، وهم بنو عنس بن مالك بن أدد بن زيد وإليهم ينسب الأسود العنسي.
- نهاية الأرب: ٣٤١، تر: ١٣٨١.

(٣) مذحج: - على وزن مسجد - واسمه مالك، قبيلة من كهلان. قال الجوهري: مذحج بن يخامر بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان.
- نهاية الأرب: ٣٧٢، تر: ١٥٣٦.

(٤) في الروض الأنف: ذو الخمار.

(٥) في الروض الأنف: وكان يدّعي أنّ سحيقاً.

(٦) في الروض الأنف: كلمة في زعمه ساقطة.

(٧) فيروز الديلمي: أبو عبدالله أو أبو عبدالرحمٰن، ويقال له الحميري، وهو من أبناء فارس، قتل الأسود العنسي الكذّاب سنة ١١، وتوفي في خلافة عثمان.
- الاستيعاب: ١٢٦٤/٣، تر: ٢٠٨٥.

(٨) أبو شدّاد قيس بن المكشوح، واختلف في اسم المكشوح، قيل: هبيرة، وقيل: عبد يغوث، صحابي شهد مع النعمان بن مقرن فتح نهاوند، وقتل بصفين مع عليّ، وهو صاحب راية بجيلة.
- الاستيعاب: ١٢٩٩/٣، تر: ٢١٥٥.

(٩) ذا دويه - آخره هاء - كما في الاستيعاب، والروض الأنف، أحد الثلاثة الذين دخلوا على الأسود بصنعاء فقتلوه.
- الاستيعاب: ٤٦١/٢، تر: ٦٩٨.

(١٠) في (ر): الأنباء.

(١١) في الروض الأنف: بلا ترضية.

من سرب صنعته لهم امرأة كان قد غلب عليها من الأبناء، فوجدوه سكران لا يعقل من الخمر، فخبطوه بأسيافهم وهم يقولون: (ضلّ نبيّ مات وهو سكران... والنّاس تلقى جلّهم كالذّبّان... النّور والنّار لديهم سيّان) ذكره الدّولابي.

وزاد ابن إسحاق في رواية يونس[1]: أنّ امرأته سقته البنج في شرابه تلك الليلة، وهي التي احتفرت السّرب للدّخول عليه، وكان اغتصبها، لأنّها كانت من أجمل النساء، وكانت مسلمة صالحة، وكانت تحدّث أنّه لا يغتسل من جنابة[2]، واسمها: المرازُبة[3].

وقوله ﷺ[4] في مسيلمة والأسود: **«أُريت سوارين من ذهب فنفختهما فطارا[5]، فأوّلتهما كذّابين يخرجان»** قال البخاري[6]: وقال عبيدالله[7]: أحدهما العنسي ـ قتله فيروز باليمن ـ والآخر مسيلمة[8].

قال السّهيلي عن بعض أهل العلم بالتّعبير: تأويل نفخه لهما: أنّهما بريحه قتلا، لأنّهما لم يغزهما ﷺ بنفسه[9].

---

(١) في الروض الأنف: في رواية ابن يونس عنه.
(٢) في (ر) والروض الأنف: لا يغتسل من الجنابة.
(٣) في الروض الأنف: واسمها المرزبانة، وفي صورة قتله اختلاف.
(٤) في الروض الأنف: وقوله ﷺ: **«أوريت»**.
(٥) الروض الأنف: ٧/٤٤٥ ـ ٤٤٦. بتصرف.
(٦) في صحيح البخاري: فقال عبيدالله.
(٧) في (ر): عبدالله.
● أبو عبدالله عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي المدني الضرير أحد الفقهاء السبعة ومؤدب عمر بن عبدالعزيز. قال الزهري: كان عبيدالله من بحور العلم، وكان مع إمامته في الفقه والحديث شاعراً محسناً، توفي بالمدينة سنة ٩٨.
● تذكرة الحفّاظ: ١/٧٨، تر: ٧٥.
(٨) صحيح البخاري: ٥/٢١٧، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال.
(٩) الروض الأنف: ٧/٤٤٦ ـ ٤٤٧.

باب في ذكر إسلام فروة[1] بن عمرو الجذامي

قال ابن إسحاق: وبعث فروة بن عمرو بن النافرة[2] الجذامي ثم النفاشي[3] إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء.

قلت: وهي بغلته التي كان راكباً عليها ﷺ يوم حنين، قاله البخاري[4].

قال ابن إسحاق: وكان فروة عاملاً للرّوم على من يليهم من العرب، وكان منزله معان[5] وما حولها من أرض الشام[6].

قال أبو الربيع: وكان إسلامه تبرّعاً منه هداية من الله سبحانه له وتوفيقاً.

قال الواقدي: وقد كان رسول الله ﷺ كتب إلى هرقل وإلى الحارث بن

---

(١) فروة بن عمرو بن الناقدة الجذامي ثم النّفاشي، كان موضعه بعمّان من أرض فلسطين، وكان عاملاً للروم على فلسطين وما حولها، وعلى ما يليه من العرب، كتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ.
- الاستيعاب: ١٢٥٩/٣، تر: ٢٠٧٣.

(٢) في الاستيعاب: الناقدة بدل النافرة.

(٣) في الأصل: النّفاتي.

(٤) صحيح البخاري: ١٩٤/٥ ـ ١٩٥، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾.

(٥) معان ـ بضم أوله ـ وفي مراصد الاطلاع: ـ بالفتح ـ: حصن كبير من أرض فلسطين على خمسة أيام من دمشق في طريق مكة. وكان فروة بن عمرو الجذامي عاملاً للروم على معان. أسلم فلما بلغ الروم ذلك حبسوه ثم قتلوه وصلبوه ولما قُدّم لتضرب عنقه قال [من الكامل]:

بَلِّغْ سراةَ المسلمين بأنني ... سَلْمٌ لربي أعظمي ومقامي

- ١ ـ معجم ما استعجم: ١٢٤١/٢.
- ٢ ـ مراصد الاطلاع: ١٢٨٧/٣.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٩١/٢.

أبي شمر ولم يكتب إليه، فأسلم فروة وكتب إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، وبعث من عنده رسولاً ـ يقال له: مسعود[1] بن سعد ـ من قومه بالكتاب [فيه][2]:

«بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله النبي، إني مقر بالإسلام، مصدّق به، أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشّر به عيسى ابن مريم، والسلام عليك».

ثم بعث مع الرسول ببغلة بيضاء وفرس يقال له: «الضّرب»، وبعث بأثواب وقباء من سندس مخوص بالذهب، فقدم رسوله بذلك على النبي ﷺ.

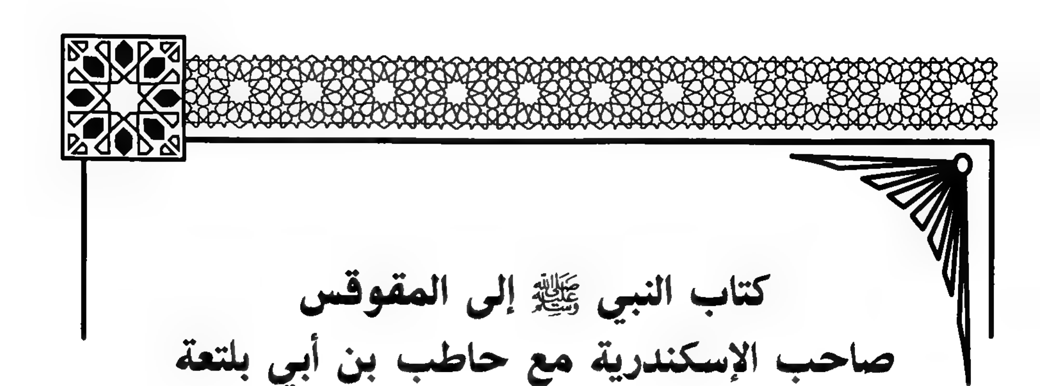
ولمّا بلغ قيصر إسلام فروة بن عمرو بعث إليه فحبسه، ولما طال حبسه أرسل إليه: أن ارجع إلى دينك، ونعيد إليك ملكك، فقال: لا أفارق دين محمد أبداً، أما إنّك تعرف أنّه رسول الله، بشّرك به عيسى ابن مريم، ولكنّك ظننت بملكك وأحببت بقاءه، فقال قيصر: صدق والإنجيل.

وذكر الواقدي أنّه مات في ذلك الحبس، فلّما مات صلبوه، رحمه الله تعالى.



(١) مسعود بن سعد الجذامي رسول فروة بن عمرو الجذامي إلى رسول الله ﷺ يعلمه بإسلامه، وأرسل إليه بهدية، فقرأ الرسول ﷺ الكتاب وقبل الهدية، وأجاز المبعوث بخمسمائة درهم، وهو مسعود بن سعد.
- الإصابة: ٣/٤١١، تر: ٧٩٤٨.

(٢) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.



كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس صاحب الإسكندرية مع حاطب بن أبي بلتعة

قد قدّمنا الكلام في شأن المقوقس، وأعدناه هنا على الكمال من طريق آخر.

قال أبو الربيع: ولمّا وجّه رسول الله ﷺ رسله إلى الملوك بعث حاطباً إلى المقوقس صاحب الإسكندرية بكتاب فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبدالله رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد: فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلِمْ تَسْلَمْ يؤتك الله أجرك مرّتين، فإن تولّيت [فإنّما][1] عليك/ إثم القبط ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ **إلى قوله**: [﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ][1] ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2]» وختم الكتاب. ٢٤١/و

فخرج حاطب حتّى قدم الإسكندرية، فانتهى إلى حاجبه فلم يلبث أن أوصل[3] إليه كتاب رسول الله ﷺ.

قال السّهيلي وأبو الربيع: فقال حاطب للمقوقس ـ واسمه جريج بن ميناء ـ: «إنّه قد كان قبلك[4] رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) آل عمران: ٦٤.
(٣) في (ر): أن وصل إليه.
(٤) في الروض الأنف: كان رجل قبلك يزعم.

الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يُعتبر بك»[1]، قال: هات، قال: «إنّ لك ديناً لن تدعه إلاّ لما هو خير منه، وهو الإسلام، الكافي بالله[2] فَقْدَ ما سِواه. إنّ هذا النبي ﷺ دعا الناس، فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له يهود، وأقربهم منه النّصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلاّ كبشارة عيسى بمحمد ﷺ، وما دعاؤنا إيّاك إلى القرآن إلاّ كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبيّ أدرك قوماً فهم من أمّته، فالحقّ عليهم أن يطيعوه، فأنت ممّن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكن نأمرك به».

فقال المقوقس: إنّي قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى إلاّ عن مرغوب عنه، ولم أجده بالسّاحر الضّال ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النّبوة، بإخراج الخبء[3] والإخبار بالنجوى. وسأنظر[4].

قال أبو الربيع: ثم أخذ المقوقس كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج، وختم عليه ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتباً يكتب بالعربية فكتب إلى النبي ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام. وقد أكرمتُ رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك». ولم يزد على هذا ولم يسلم.

وذكر الواقدي بإسناد له أن المقوقس أرسل إلى حاطب ليلة وليس

---

(١) في الروض الأنف: ولا يعتبر بك غيرك.
(٢) في الروض الأنف: الكافي به الله.
(٣) في (ر): الجزء.
(٤) الروض الأنف: ٥١٧/٧ ـ ٥١٨.

عنده أحد إلاّ ترجمان له يترجم بالعربية، فقال له: ألا تخبرني عن أمور أسألك عنها وتصدقني؟ فإنّي أعلم أنّ صاحبك قد تخيّرك من بين أصحابه حيث بعثك، فقال له حاطب: لا تسألني عن شيء إلاّ صدقتك. فسأله عمّاذا يدعو إليه ﷺ؟ ومن أتباعه؟ وهل يقاتل قومه؟ فأجابه حاطب عن ذلك كله، ثم سأله عن صفته، فوصفه حاطب ولم يستوف، فقال له: بقيت أشياء لم أرك تذكرها: في عينيه حمرة، قال: ما تفارقه، وبين كتفيه خاتم النّبوة، ويركب الحمار، ويلبس الشّملة، ويجتزي بالتمرات، والكسرة، ولا يبالي من لاقى من عمّ أو ابن عمّ. قال حاطب: فهذه صفته، قال: قد كنت أعلم أنه بقي نبي، وكنت أظن أنّ مخرجه ومنبته بالشام، وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله، فأراه[1] قد خرج في العرب في أرض جهد وبؤس، والقبط لا يطاوعونني في اتّباعه ولا أحبّ أن تعلم بمحاورتي إيّاك، وأنا أظن بملكي أن أفارقه، وسيظهر على البلاد، وينزل بساحتنا هذه أصحابُه من بعده، حتّى يظهروا على ما هاهنا، فارجع إلى صاحبك، فقد أمرت له بهديّة جاريتين أختين، وبغلة من مراكبي، وألف مثقال ذهب، وعشرين ثوباً، وغير ذلك، وأمرت لك بمائة دينار، وخمسة أثواب، فارحل من عندي ولا تسمع منك القبط حرفاً واحداً.

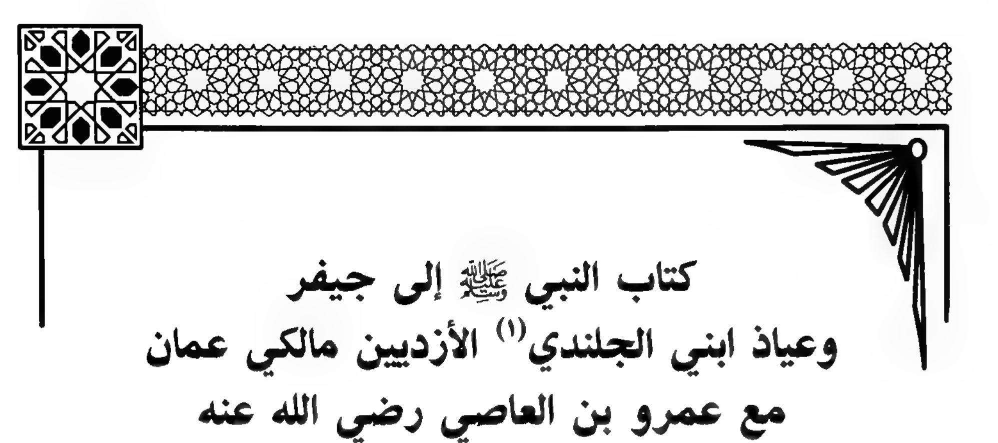
فرجعت من عنده، وقد كان لي مكرماً في الضيافة، وقلّة اللبث ببابه، ما أقمت عنده إلاّ خمسة أيام، وإنّ وفود العجم ببابه منذ شهر وأكثر.

قال حاطب: فذكرت قوله لرسول [الله][2] ﷺ [فقال][2]: «ظنّ الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه».



(١) في الأصل: فأره.

(٢) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.



كتاب النبي ﷺ إلى جيفر وعياذ ابني الجلندي[1] الأزديين مالكي عمان مع عمرو بن العاصي رضي الله عنه

٢٤٢/ظ قال أبو الربيع الكلاعي: ذكر الواقدي/ بإسناد له إلى عمرو بن العاصي رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ بعث نفراً سمّاهم إلى جهات مختلفة برسم الدّعاء إلى الإسلام. قال عمرو: فكنت أنا المبعوث إلى جيفر وعياذ ابني الجلندي، وكتب رسول الله ﷺ معي كتاباً. قال: وأخرج عمرو الكتاب فإذا صحيفة[2] أقلّ من الشّبر [فيها][3]:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبدالله إلى جيفر وعياذ ابني الجلندي، سلام على من اتّبع الهدى. أما بعد: فإنّي أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإنّي رسول الله إلى الناس كافةً لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين[4]، وإنّكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل وخيلي تحل ساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما».

---

(١) في (ر) والروض الأنف: الجلندي ـ بضم الجيم وفتح اللام وسكون النون وكسر الدّال ـ.

(٢) في (ر): صحيفته.

(٣) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) الآية ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠]

وكتب أبيّ بن كعب، وختم رسول الله ﷺ الكتاب. ثم خرجت حتّى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت إلى عياذ، وكان أحلم الرّجلين وأسهلهما خلقاً، فقلت: إنّي رسول رسول الله إليك وإلى أخيك، فقال: أخي المقدّم عليّ بالسّنّ والملك، وأنا أوصلك إليه حتّى يقرأ كتابك. ثم قال لي: وما تدعو إليه؟ قلت: أدعو إلى الله وحده لا شريك له، ونخلع ما عبد من دونه، ونشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، قال: يا عمرو، إنك ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك؟ فإنّ لنا فيه قدوة، قلت: مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ، وددت أنّه كان أسلم وصدّق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه حتّى هداني الله للإسلام. وأخبرته أنّ النّجاشي قد أسلم، قال: فكيف صنع قومه بملكه؟ قلت: أقروه [و][1] اتّبعوه، قال: والأساقفة والرّهبان بعده؟ قلت: نعم، قال: انظر يا عمرو ما تقول؟ إنّه ليس من خصلة في رجل أفضح له من كذب، قلت: ما كذبت، وما نستحله في ديننا.

ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النّجاشي، قلت: بلى، [قال][1] بأيّ شيء علمت ذلك؟ قلت: كان النّجاشي يخرج له خرجاً، فلمّا أسلم وصدّق بمحمد ﷺ قال: لا، والله لو سألتني درهماً واحداً ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله فقال له يناق أخوه: أندع عبدك لا يخرج لك خرجاً ويدين ديناً محدثاً؟ قال هرقل: رجل رغب في دين واختاره لنفسه، ما أصنع به؟ والله لولا الظّن بملكي لصنعت كما صنع. قال: انظر ما تقول يا عمرو؟ قلت: قد والله صدقتُكَ، قال عياذ: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟ قلت: يأمر بطاعة الله عزَّ وجلَّ، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبرّ وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنا وشرب الخمر، وينهى عن عبادة الحجر والوثن والصليب، فقال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه! لو كان أخي يتابعني لركبنا حتّى نؤمن بمحمد ونصدّق به، ولكن أخي أظنّ بملكه من أن يدعه ويصير ذَنَباً، قلت: إنّه إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردّها على فقيرهم، فقال: إنّ هذا لخلق حسن،

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط في الأصل.

وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال، حتّى انتهيت إلى الإبل فقال: يا عمرو، تؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه؟ فقلت: نعم، قال: والله ما أرى قومي في بُعْدِ دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا.

قال: فمكثت ببابه [أياماً][1] وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري، ثم إنّه دعاني يوماً، فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعيّ[2]، فقال: دعوه، فأرسلت فدنوت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه فقال: تكلّم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختوماً، ففضّ خاتمه فقرأه حتّى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته، إلاّ أني رأيت أخاه أرقّ منه. ثم قال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ فقلت: تبعوه إمّا راغب في الدّين وإمّا مقهور بالسّيف، قال: ومن معه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم، مع هدى الله إيّاهم أنّهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحداً بقي غيرك في هذه الحرجة[3] وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل، ويبيد خضراءك، فاسلِمْ تَسْلَمْ ويستعملْك على قومك/ ولا تدخلْ عليك الخيل والرجال. قال: دعني يومي هذا وارجع إليّ غداً، فرجعت إلى أخيه فقال: يا عمرو، إنّي لأرجو أن يسلم إن لم يظن بملكه. حتّى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي، فانصرفت إلى أخيه فأخبرته أني لم أصل إليه، فأوصلني إليه فقال: إنّي فكّرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملّكتُ رجلاً ما في يدي، وهو لا تبلغ خيله هاهنا، وإن بلغت خيله ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقى، قلت: فأنا خارج غداً، فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فقال: ما نحن فيمن قد ظهر عليه وكلُّ من أرسل إليه قد أجابه؟ فبعث إليّ وأجاب إلى الإسلام هو وأخوه

٢٤٣/و

(١) ما بين الحاصرتين ساقط في الأصل.
(٢) الضّبع: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها. وهما ضبعان.
● المعجم الوسيط: مادة ضبع.
(٣) في (ر): الحجرة، الحرجة: غيضة الشجر الملتفّة لا يقدر أحد أن ينفذ فيها.

جميعاً، وصدّقا النبي ﷺ، وخليا بيني وبين الصدقة. وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني.

قال السّهيلي وأبو الربيع الكلاعي: وفي حديث غير الواقدي: أنّ عمراً قال له فيما دار بينهما من الكلام: إنّك وإن كنت منّا بعيداً فإنّك من الله غير بعيد، إنّ الذي تفرّد بخلقك[1] أهل أن تُفرِده بعبادتك، وأن لا تشرك به من لم يشرَكه فيك، واعلم أنّه يميتك الذي أحياك، ويعيدك الذي بدأك، فانظر في هذا النبي الأمي الذي جاء بالدّنيا والآخرة، فإن كان يريد به أجراً فامنعه، أو يميل به هوى فدعه، ثم انظر فيما يجيء به: هل يشبه ما يجيء به النّاس؟ فإذا[2] كان لا يشبهه فاقبل ما قال، وخف ما وعد.

فقال[3] ابن الجلندي: إنّه والله لقد دلّني على هذا النبي الأمّي أنه لا يأمر بخير إلاّ كان أول آخذ[4] به، ولا ينهى عن شرّ إلاّ كان أول تارك [له][5]، وأنه يغلب فلا يبطر[6]، ويُغلب فلا يضجر، وأنّه يفي بالعهد، وينجز الموعود[7]، وأشهد[8] أنّه نبي[9]، وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النّبيئين، وإمام المرسلين، وقائد الغرّ المحجّلين، وعلى آله وصحابته المتحابين، ومن تلاهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم اختم بالسعادة آجالنا، واجعل إلى جنّتك مصيرنا ومآلنا، اللهم اجمعنا مع نبيك

---

(١) في (ر): بخلقه.
(٢) في الروض الأنف: فإن كان يشبهه فسله العيان، وتخيّر عليه في الخبر، وإن كان لا يشبهه فاقبل.
(٣) في الروض الأنف: قال الجلندي: إنه.
(٤) في الروض الأنف: أول من أخذ به.
(٥) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.
(٦) يبطر: بطر يبطر بطراً: غلا في المرح والزّهو، وبطر النّعمة: استخفها فكفرها، وفي التنزيل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨].
● المعجم الوسيط، مادة: بطر.
(٧) في (ر): وينجز بالوعد.
(٨) في الروض الأنف: وأنّه لا يزال يسرّ قد اطلع عليه يساوي فيه أهله، وأشهد.
(٩) الروض الأنف: ٥٢١/٧.

في حضائر قدسنا، وانفعنا بلطائف أنسك، اللهم يا من أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين، ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزّته مستعزين، اجمعنا مع نبيّك وصفوتك من خلقك في دار المقامة جنات النعيم، بلا محنة يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، وارزقنا العمل بطاعتك والشوق إلى لقائك، في دار أنعمت بها على أوليائك. وأنشدوا [من البسيط]:

أيقِظْ جفونَك إنّ القلب وَسْنانُ ... وصمِّم العزمَ إنّ العزم كسلانُ
وحِنَّ شوقاً إلى أخراك مبتدراً ... إن اللبيب إلى أخراه حنّانُ
واعمل لدار بها اللذات قاطبة ... راحٌ ورَوْحٌ وراحة وريحان
ظلّ وماء وأزهار مفتّقة ... عن الكمائم أشكال وألوانُ
قِيعانُ مسكٌ بها الأنهار جارية ... خمر وماء وماذيّ[1] وألبانُ
في جنّة من نظار راق منظرُها ... ترابها المسك والجدران عقيانُ
مرأىً أنيق وأكواس مشعشعة ... من الرّحيق وطاسات وولدانُ
بها المقاصير والخيمات عالية ... من اللآلىء فيها الحور سكّانُ
بيض نواعم أبكار منعّمة ... تحار فيهنّ ألباب وأذهانُ
يرفلن من سندس الفردوس في حلل ... من فوقها حلل من تحتها بانُ
نشأن وسط مقاصير مزخرفة ... لم يصبهنّ [بها][2] إنس ولا جانُ
يبسمن عن درر راقت لمبصرها ... كالسيف شيم ونصل السيف عريانُ
ريق زلال وأنفاس معطّرة ... ومنطق ساحر الألفاظ فتّانُ/
سوّرن من حلي دار الخلد أسورة ... فيهن درّ وياقوت ومرجانُ
في مثل ذاك فنافِسْ كلّ ذي ورع ... وجاهدِ النفس إنّ النفس شيطانُ
مهورهنّ صلاح دائم وتقى ... زهد وصبر وإخلاص وإيمانُ
جزاء كلّ على ما كان من عمل ... إنّ الجزاء على الإحسان إحسانُ

٢٤٤/ظ

(١) الماذيّ: العسل الأبيض الرقيق.
(٢) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

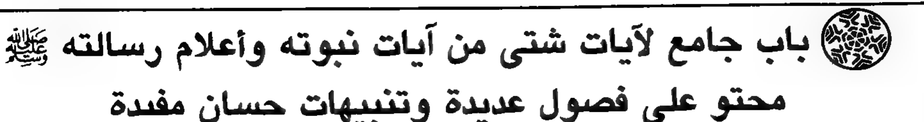
أذاك خير أم الدار التي خلقت دار الهوان فلا عزّ ولا شانُ
أفنت قروناً وأفنت بعدهم أمماً بادوا جميعاً وجفن الدّهر يقظانُ
أهون بدار غرور نفعها ضرر في صفوها كدر في الوفد حرمانُ
لا يربح المرء من آمالها أملاً إلا سيعقب ذلك الرّبح خسرانُ
ولا يريد براء[1] المال من طمع إلاّ يليه بدار الحقّ خسرانُ
لا يشبع المرء من خفض ومن أشرٍ إلا غداً وهو يوم الحشر جوعانُ
من كان يضحك في دنياه من فرح فسوف تبكيه في أخراه أحزانُ
أمانة وعهود ليس يحملها إلاّ جرىء على الخيرات معوانُ
لا تحسبنّ النّظم أقوالاً ملفّقة كلّ يصدّقه نصّ وقرآنُ
فاختر لنفسك ما تبتغيه من بدل وزن بعقلك إنّ العقل ميزانُ

انتهى من نظم الشيخ الوليّ المتبتل أبي بكر محمد[2] بن عبدالله بن قسوم.



(١) براء: جمع بارىء وبرىء من الدّين والعيب والتّهمة، خلص وخلا، ويقال عمل بريء خلا من الدّغل والغشّ.

(٢) أبو بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن قسوم اللخمي، من أهل إشبيلية ولد سنة [٥٥٣] زاهد، له شعر في الزهد والمراثي والحكم، له كتاب «محاسن الأبرار» في أخبار الصّالحين الإشبيليين. كفّ بصره في آخر عمره وتوفي سنة [٦٣٩].
● الأعلام: ١٠٩/٧.



فصل

في رؤية جماعة من الصحابة رضي الله عنهم للملائكة

فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشّعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منّا أحد، حتّى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفّه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام؟ قال رسول الله ﷺ: **«الإسلام أن تشهد أن لا إلـه إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله**(١)**، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»**.

قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدّقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيرِه وشرّه»**.

قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟

قال: **«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**.

قال: فأخبرني عن السّاعة؟

قال: **«ما المسؤول عنها بأعلم من السّائل؟»** قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: **«أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان»**.

قال: ثم انطلق، فلبث ملياً، ثم قال لي: **«يا عمر، أتدري من السائل؟»**

---

(١) في صحيح مسلم: ﷺ.

قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنّه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[1].

قلت: وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة هذا الحديث بمعنى حديث عمر رضي الله عنه، وفيه: قال: ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «**ردّوا عليّ الرجل؟**» فأخذوا ليردّوه فلم يروا شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا جبريل، جاء ليعلّم النّاس دينهم**»[2].

قال عياض: والأخبار[3] في محادثته ﷺ مع جبريل وإسرافيل وغيرهما من الملائكة، وما شاهده ﷺ من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء - أي[4]: وفي غيرها - مشهورة/، وقد رآهم بحضرته جماعة من الصحابة[5] رضي الله عنهم في مواطن مختلفة: ٢٤٥/و

فرأى أصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان.

ورأى ابنُ عباس وأسامةُ وغيرهما عنده جبريلَ في صورة دحية الكلبي[6].

ورأى سعد عن يمين[7] النبي ﷺ، وعن يساره جبريل وميكائيل عليهما السلام، في صورة رجلين عليهما ثياب بيض. ومثله عن غير واحد،

---

(١) صحيح مسلم: ٣٧/١ - ٣٨، رقم: ٨، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبرؤ ممّن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه.

(٢) ● أ - صحيح البخاري: ١٩/١ - ٢٠، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، وعلم السّاعة.
● ب - صحيح مسلم - واللفظ له - ٣٩/١، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

(٣) في الشفاء: والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم.

(٤) في الشفاء: ليلة الإسراء مشهور، وقد رآهم.

(٥) في الشفاء: جماعة من أصحابه في مواطن.

(٦) في الشفاء: الكلبي - غير وارد.

(٧) في الشفاء: ورأى سعد عن يمينه وعن يساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين.

وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر، وبعضهم[١] رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب. ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالاً بيضاً، على خيل بلق بين السماء والأرض، لا يقوم[٢] لها شيء.

وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين[٣]، وأرى النبي ﷺ لحمزة جبريل في الكعبة، فخرّ مغشياً عليه.

وذكر ابن سعد: أنّ مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد، أخذ الراية ملك على صورته، فكان النبي ﷺ يقول له: «**تقدم يا مصعب**» فقال له الملك: لست بمصعب، فعلم أنّه ملك[٤]. هذا كلام عياض.

وروى الترمذي، والنّسائي، والحاكم، في المستدرك على الصحيحين، من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: صلّيت مع النبي ﷺ العشاء، ثم انفتل وتبعته، فعرض له عارض وذهب، فاتّبعته، فسمع صوتي فقال: «**من هذا؟**» فقلت: حذيفة، فقال: «**أما رأيت العارض الذي عرض لي قبل؟**» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قبل هذه الليلة، استأذن ربّه أن يسلّم عليّ، وبشّرني أنّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[٥].

قلت: وروى البخاري في صحيحه عن أبي عثمان قال: أنبئت أنّ جبريل أتى النبي ﷺ وعنده أمّ سلمة، فجعل يتحدّث، فقال النبي ﷺ لأمّ سلمة: «**من هذا؟**» أو كما قال، قالت: هذا دحية، فلمّا قام قالت: والله ما

---

(١) في الأصل: وبعضها بدل وبعضهم.

(٢) في الشفاء: ما يقوم لها شيء.

(٣) في الشفاء: عمران بن حصين.

(٤) الشفاء: ٥١٢/١ ـ ٥١٣.

(٥) ● أ ـ صحيح الترمذي: ٦٦٠/٥ ـ ٦٦١، رقم: ٣٧٨١، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام.

● ب ـ عدت إلى سنن النّسائي فلم أجد الحديث فيه، ولعله موجود في السنن الكبير، وهو غير متوفّر لدينا.

● ج ـ المستدرك على الصحيحين: ٤٢٩/٣، رقم: ٥٦٣٠/١٢٢٨، كتاب معرفة الصّحابة، ذكر مناقب حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

حسبته[1] إلاّ إياه حتّى سمعت خطبة النبي ﷺ بخبر جبريل، أو كما قال.

قال عثمان: سمعت هذا من أسامة بن زيد. والآثار في هذا المعنى كثيرة.

وقد قدّمنا منها جملة صالحة مختارة، يلذّ سماعها ويروق معناها، معزوة لناقليها. وهذا هو الصّواب الذي لا شكّ فيه، أن يعزى الحديث والأثر لراويه وناقله، وبه يحصل الخروج من العهدة.

فصل

ومن هذا الباب ممّا هو معدود من معجزات القرآن: ما رواه البخاري، ومسلم، والتّرمذي، والنّسائي، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال:

كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه فرس[2] مربوط بشطنين[3]، فتغشّته سحابة، فجعلت تدنو[4] وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها[5]، فلمّا أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «**تلك السّكينة تنزلت[6] للقرآن**»[7].

---

(١) في الأصل: زيادة الهمزة في حسبته [أحسبته].

(٢) في صحيح البخاري: حصان.

(٣) بشطنين: تثنية شطن، وهو الحبل الطويل المضطرب. وإنّما ربطه بشطنين لقوته وشدّته.

(٤) في صحيح مسلم: تدور وتدنو.

(٥) في صحيح البخاري: منها ـ سقط.

(٦) في (ر): نزلت.

(٧) في صحيح البخاري: بالقران.

- أ ـ صحيح البخاري: ٦/٢٣٢، فضل الكهف.
- ب ـ صحيح مسلم: ١/٥٤٧ ـ ٥٤٨، رقم: ٧٩٥، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة للقرآن.
- ج ـ صحيح الترمذي: ٥/١٦١، رقم: ٢٨٨٥، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الكهف.
- د ـ سنن النّسائي: رجعت إلى السنن فلم أجد الحديث فيه ولعله موجود بالسنن الكبير، ولم أستطع الوصول إليه.

وفي رواية لمسلم، وغيره عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه: أنّ أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده[(١)]، إذ جالت[(٢)] فرسه، فقرأ ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أيضاً، فقال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى[(٣)]، فقمت إليها، فإذا مثل الظّلّة فوق رأسي فيها أمثال السّرج، عرجت في الجو حتّى ما أراها. قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، بينما أنا البارحة في جوف[(٤)] الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: **«اقرأ ابن حضير!»** قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: **«اقرأ ابن حضير!»** قال: فقرأت ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: **«اقرأ ابن حضير!»** قال: فانصرفت، وكان يحيى قريباً منها، خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلّة فيها أمثال السّرج عرجت في الجو حتّى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: **«تلك الملائكة كانت تسمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها النّاس ما تستتر منهم»**[(٥)].

ومن هذا المعنى ما حكاه ابن عطية: أنّ قوماً من الأنصار قالوا للنّبي ﷺ: ألم تر يا رسول الله ثابت بن قيس، لم تزل داره البارحة يزهر فيها وحولها أمثال المصابيح؟ فقال لهم: **«فلعلّه قرأ سورة البقرة»**. فسُئل ثابت بن قيس، فقال: نعم، قرأت سورة البقرة.

وفي هذا المعنى حديث أسيد بن حضير الصحيح في تنزّل الملائكة في الظّلّة.

٢٤٦/ظ وفي هذا المعنى من عجائب القرآن/ أخبار كثيرة يطول ذكرها، وأنّ أولياء الله ليشاهدون من عجائب معجزات القرآن أمراً عظيماً.

وما بينك وبين أن تقف على شيء ممّا أشرنا إلاّ الإقبال على المجاهدة، بكثرة الأذكار ومواصلة الأوراد، والوقوف مع آداب الشريعة

---

(١) المربد: الموضع الذي ييبس فيه ـ كالبيدر للحنطة ونحوها.
(٢) جالت فرسه: وثبت ـ والفرس يقع على الذكر والأنثى.
(٣) يحيى: ابن أسيد كان معه في المربد.
(٤) في صحيح مسلم: من جوف الليل بدل في جوف.
(٥) صحيح مسلم: ١/٥٤٨ ـ ٥٤٩، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة للقرآن.

ظاهراً وباطناً، ومراقبة الكريم الوهّاب على منهاج أوليائه العارفين.

وأنا أذكر لك الآن من خواصه مسألة واحدة تعلم بها معجزات القرآن، وأنّ كلّ ما ذكرناه لك لا شكّ [فيه](1)، وهو أنّك إذا أردت أن تقوم في ليلك لطاعة من الطاعات، وتريد أن تستيقظ في أيّ ساعة شئت من الساعات، فاقرأ عند نومك آخر سورة الكهف من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾(2) حتّى تختمها، فإنك تستيقظ في الوقت المعيّن بلا شكّ، والأحسن عندي أن تقرأ من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ﴾(3) إلى آخر السورة. ولتكن قراءتك عندما يغلب النّوم عليك، بحيث لا تتجدّد خواطر بعد القراءة، فإن تجدّدت لك خواطر بعد القراءة، فأَعِدِ القراءة، ونم عليها، فإنّك تستيقظ في الوقت الذي نويته قطعاً من غير شكّ [من الطويل]:

وهاك مقام العارفين شرحته	ويفهمه من بالتفات تأمّلا
فواصِلْ تَصِلْ وسَلْ تَنَلْ والتفِتْ تجِدْ	دليلاً إلى سُبُل الرّشاد موصّلا
وحقّق تر الأنوار في الكون قد بدت	وصدّق ترد من مشرب الصّدق منهلا
وجدّ فإنّ الأمر جدّ ولا تطع	هواك وكن مستسلماً متوكّلا
وسلّم لأرباب القلوب طريقهم	وجالس فقيراً في العبا قد تخلّلا
فإنّك لا تدري لإخفاء أمره	دعي فدنا إذ للسّعادة أهّلا
وحمل الأذى والصبر والشكر والرّضى	وترك الأذى كلّ لأهل الهدى حلا(4)
وخلّ(5) التّعالي للمعالي بيثرب	وزر مرسلاً بالحقّ للخلق مرسلا
بزورته ترجو الورود بحوضه	وتعطى ظهير الأمن في حضرة العلا
عليه سلام الله ما طاب ذكره	وفاح عبير الطيب مسكاً ومندلا

(1) ما بين الحاصرتين ساقط في الأصل.
(2) الكهف: ١٠٧ ـ ١١٠.
(3) الكهف: ١٠٢ ـ ١١٠.
(4) في (ر) هذا البيت ساقط.
(5) في الأصل: وخلّي.

فائدة عظيمة ينتفع بها ـ إن شاء الله تعالى ـ من طالع كتابي هذا.

وذلك أنّا روينا في صحيح مسلم، رحمه الله، عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إنّ في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلاّ أعطاه إياه، وذلك كلّ ليلة**» هذا لفظ مسلم[1].

فإذا أردت أن تعرف هذه الساعة، فاقرأ لها عند النّوم آخر سورة الكهف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ إلى آخرها[2]، فإنّك تستيقظ في ذلك الوقت، بفضل الله سبحانه وكرمه، ويتكرّر تيقظك مراراً، فمهما استيقظت فادع بما فيه مصلحتك في دنياك وآخرتك.

وهذا ممّا ألهمنيه مولاي الكريم الوهّاب، وقد علّمته فضلاء أصحابي، فكلّ منهم وجده على نحو ما ذكرت لك، ويتكرّر تيقّظهم، وأخبر أولو الفضل منهم بقضاء حاجته.

وهذه من معجزات القرآن، التي تزيد في الإيمان وينشرح بها صدر كل إنسان، ولم أكتبها حتى استخرت الله تعالى، وخفت من كشف أسرار الله تعالى فلم أقدم على كتبها[3] إلاّ بعد استخارته سبحانه، فشرح سبحانه صدري لذلك. وإياك ثم إياك، أن تدعو هنا بسوء على مسلم ولو كان ظالماً، بل تحيله على الله سبحانه، فهو كافيك، وإن خالفتني فالله حسيبك، وبين يديه أكون خصيمك. وادع لي، إذ منحتك هذه الفائدة الصحيحة المقطوع بها، وأشركني في دعائك، إذ[4] كنت سبباً في زيادة إيمانك، إذ[4] كنت سبباً في انتقالك من درجة علم اليقين إلى درجة عين اليقين/، فإنّك ترى من ليلتك هذه إن شاء الله ما ذكرت لك عياناً، وتدخل به في دائرة

٢٤٧/و

---

(١) صحيح مسلم: ٥٢١/١، رقم: ٧٥٧، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء.

(٢) الكهف: ١٠٧ ـ ١١٠.

(٣) في الأصل: على حكمها.

(٤) في (ر): إذا ـ بدل إذ ـ في الجملتين معاً.

أهل العرفان، لأنك صرت من أهل الذوق على الجملة وإن كانت درجاتهم متباينة بحسب المجاهدة، فكل ما تسمع به مما جاء عن النبي ﷺ، أو أخبر به أولياؤه، فهو حقّ وإن لم تطلع عليه لقصورك، وهذه الآية وحدها بحر أسرار لا ساحل له، فلنكتف[1] منها بما ذكرنا ولنصرف القول لما قصدنا.

فإذا عرفت هذا وعلمته[2] في إعجاز آية واحدة، فكذلك فقس عليها ما سواها، والله الموفق بفضله.

فصل

في رؤية جماعة من الصحابة رضي الله عنهم للجن وطاعتهم لرسول الله ﷺ

فمن ذلك ما قدمناه في هذا الكتاب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، فيما رواه التّرمذي[3] وغيره. وروينا في صحيح البخاري، ومسلم ـ واللفظ للبخاري ـ: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم[4] فقالوا[5]: ما لكم؟ قيل: حيل بيننا وبين خبر السّماء فأرسلت[6] علينا الشهب، قالوا[7]: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلاّ أمر حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، تنظرون[8] ما هذا الأمر الذي [حدث،

(١) في الأصل: فلنكتفي.
(٢) في الأصل: وعملته.
(٣) صحيح الترمذي: ٣٨٢/٥ ـ ٣٨٣، رقم: ٣٢٥٨، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب ٤٧، ومن سورة الأحقاف.
(٤) في صحيح البخاري: إلى قومهم ناقص.
(٥) في صحيح البخاري: فقالوا.
(٦) في صحيح البخاري: وأرسلت ـ بالواو ـ.
(٧) في صحيح البخاري: قال.
(٨) في صحيح البخاري: فانظروا.

فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون][1] ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توّجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلمّا سمعوا القرآن تسمّعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾[2]، وأنزل الله[3] على نبيّه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[4]، الآية[5].

قال عياض: وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: بينما[6] نحن جلوس مع النبي ﷺ، إذا أقبل شيخ بيده عصى، فسلّم على النبي ﷺ، فردّ عليه.

وقال: نغمة الجنّ[7]، من أنت؟ قال: أنا هامة بن الهيم بن لاقس بن إبليس. فذكر أنه لقي نوحاً فمَنْ[8] بعده في حديث طويل، وأنّ النبي ﷺ علّمه سوراً من القرآن.

وذكر الواقدي قَتْلَ خالد ـ عند هدمه العزّى ـ للسّوداء التي خرجت

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٢) الجن: ١، ٢.
(٣) في صحيح البخاري: وأنزل الله عزّ وجلّ.
(٤) الجن: ١.
(٥) ● أ ـ صحيح البخاري: ١٩٩/٦ ـ ٢٠٠، كتاب التفسير، قل أوحي إليّ.
● ب ـ صحيح مسلم: ٣٣١/١ ـ ٣٣٢، رقم: ٤٤٩، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح، والقراءة على الجنّ.
● ج ـ صحيح الترمذي: ٤٢٦/٥ ـ ٤٢٧، رقم: ٣٣٢٣، كتاب تفسير القرآن، باب ٧٠، ومن سورة الجنّ.
(٦) في الشفاء: بينا.
(٧) في (ر): نقمة الجن ـ بالقاف ـ.
(٨) في الشفاء: ومن بعده ـ بالواو ـ.

ناشرة شعرها عريانة، فجزله[1] بسيفه[2]، وأعلم النبي ﷺ بذلك[3] فقال: «تلك العزّى» هذا لفظ عياض[4].

وروى البخاري والنّسائي عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: وكّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني محتاج، وعليّ عيال، وبي حاجة شديدة. قال: فخلّيت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟**» قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته وخلّيت[5] سبيله، قال: «**أما إنّه قد كذبك، وسوف**[6] **يعود**» فعرفت أنّه سيعود، لقول رسول الله ﷺ إنّه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام... الحديث، وذكر فِعْلَه ذلك ثلاث مرات، إلاّ أنه قال: فأخذته ـ يعني في الثالثة ـ فقلت: لأرفعنّك، وهذه آخر ثلاث مرات تزعم[7] أنّك لا تعود، قال: دعني أعلّمْك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ حتّى تختم الآية[8]، فإنّه[9] لا يزال[10] عليك من الله حافظ، ولا يقربك[11] شيطان حتّى تصبح[12].

---

(١) في (ر): فجاز لها.
(٢) جزلها بسيفه: جعلها جزلين؛ أي قطعتين.
(٣) في الشفاء: وأعلم النبي ﷺ؛ فقال له.
(٤) الشفاء: ٥١٣/١ ـ ٥١٤.
(٥) في صحيح البخاري: فخلّيت ـ بالفاء ـ.
(٦) في صحيح البخاري: وسيعود ـ بالسين ـ.
(٧) في صحيح البخاري: أنّك تزعم لا تعود ثم تعود. قال.
(٨) البقرة: ٢٥٥.
(٩) في الأصل: فإنّها.
(١٠) في صحيح البخاري: «فإنه لن يزال» وفي رواية: «لم يزل».
(١١) في صحيح البخاري: «ولا يقربنّك شيطان».
(١٢) في صحيح البخاري: فخلّيت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله: زعم أنّه يعلّمني كلمات ينفعني الله بها فخلّيت سبيله، قال: «**ما هي؟**» قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من=

وكان[1] أحرص شيء على الخير، فقال النبي [ﷺ][2]: «**أما إنّه قد صدقك، وهو كذوب. تعلمُ من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟**» قلت: لا، قال: «**ذلك شيطان**»[3]. انتهى مختصراً.

وروى التّرمذي وغيره نحوه من حديث أبي أيّوب الأنصاري أنّه كان له طعام في سهوة له، فكانت الغول تجيء فتأخذه، فشكاها إلى النبي ﷺ. وفي بعض طرق أبي أيوب قال: أرسِلْني وأعلمك آية/ من كتاب الله لا تضعها على مال ولا ولد فيقربه شيطان أبداً، قلت: وما هي؟ قال: لا أستطيع أن أتكلم بها، آية الكرسي[4].

٢٤٨/ظ

والسهوة قيل: هو بيت صغير شبه المخدع.

وذكر ابن القطان وأبو علي سعيد بن عثمان المعروف بابن السكن، عن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، نحو حديث أبي هريرة وأبي أيوب. وفيه: أنّه قال له: إذا قرأ أحد خاتمة البقرة في بيت، فإنّه لا يدخله الشيطان في تلك الليلة. وهذا باب واسع جدّاً.

فصل

ومن دلائل النبوة تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله تعالى

حدّث بسنده عن كثير[5] بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه: أنّ

= أولها حتّى تتم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتّى تصبح.

(١) في (ر) والبخاري: وكانوا بدل وكان.

(٢) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.

(٣) ● أ ـ صحيح البخاري: ١٣٢/٣ ـ ١٣٣، كتاب الوكالة، باب إذا وكّل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجاز الموكل فهو جائز فإن أقرضه إلى أجل مسمّى جاز.
● ب ـ و١٤٩/٤، مختصر، باب صفة إبليس وجنوده.

(٤) صحيح الترمذي: ١٥٨/٥ ـ ١٥٩، رقم: ٢٨٨٠، كتاب فضائل القرآن، باب ٣ في ما جاء في فضل سورة البقرة، وآية الكرسي.

(٥) كثير بن عبدالله بن مالك هبيرة بن صخر بن نهشل المعروف بابن الغزيرة النّهشلي،

رسول الله ﷺ كان في المسجد، فسمع كلاماً من زاوية، وإذا هو بقائل يقول: اللهم أعني على ما[1] ينجيني ممّا خوّفتني، فقال رسول الله ﷺ حين سمع ذلك: **«ألا تضم إليها أختها؟»** فقال الرجل[2]: اللهم أرزقني شوق الصّادقين إلى ما شوّقتهم إليه، فقال رسول الله ﷺ لأنس بن مالك ـ وكان معه ـ: **«اذهب يا أنس إليه[3] فقل له: يقول لك رسول الله ﷺ: استغفر لي»** فجاءه أنس فبلّغه، فقال[4] الرجل: يا أنس، أنت رسول رسول الله ﷺ إليّ؟ فقال: كما أنت، فرجع واستثبته، فقال رسول الله ﷺ: **«قل له: نعم»** فقال: نعم، فقال له: اذهب فقل[5] لرسول الله ﷺ: فضلك[6] على الأنبياء بمثل ما فضل به رمضان على الشهور، وفضل أمّتك على الأمم[7]، بمثل ما فضل يوم الجمعة على سائر الأيام.

فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر عليه السّلام[8].

فصل

في تعظيم العلي الأعلى لقدر نبينا محمد ﷺ قولاً وفعلاً

قال عياض رحمه الله تعالى: لا خفاء على من مارس شيئاً من العلم

= والغزيرة أمّه وكانت سبيّة من تغلب، أدرك كثير الجاهلية والإسلام، وقال الشّعر فيهما. وعاش إلى إمرة الحجاج توفي نحو ٧٠.
● الإصابة: ٣١١/٣، تر: ٧٤٨٣.

(١) في (ر): من.
(٢) في الدلائل: فقال: اللهم... بحذف الرجل.
(٣) في الدلائل: إليه ـ ساقطة.
(٤) في الدلائل: فقال له الرجل.
(٥) في الدلائل: فقل له.
(٦) في الدلائل: فضّلك الله.
(٧) في الدلائل: مثل ما فضّل يوم.
(٨) دلائل النبوة: ٤٢٣/٥ ـ ٤٢٤، باب ما روي في سماعه كلام الخضر عليه السلام، وإسناده ضعيف.

أو خصّ بأدنى لمحة من فهم، بتعظيم الله تعالى قدر نبيه[1] محمد ﷺ، وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط بزمام[2]، وتنويهه من عظيم قدره بما تكلّ عنه الألسنة والأقلام.

فمنها ما صرّح به تعالى في كتابه، ونبّه به على جليل نصابه، وأثنى عليه من أخلاقه وآدابه، وحضّ العباد على التزامه، وتقلّد إيجابه؛ فكان جلّ جلاله هو الذي تفضّل وأولى ثم طهّر وزكّى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى؛ فله الفضل[3] عوداً وبدءاً، والحمد أولى وأخرى.

ومنها ما أبرزه للعيان[4] من خلقه على أتمّ وجوه الكمال والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة، وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البيّنة، التي شاهدها من عاصره ورآها من أدركه، وعلمها علم يقين من جاء بعده، حتّى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا، وفاضت أنواره علينا، صلّى الله عليه[5] وعلى آله ما همع غيث ولمع بارق وأضاءت كواكب المعارف، في المغارب والمشارق.

روينا عن أبي عيسى التّرمذي، بسنده عن أنس رضي الله عنه: أنّ النبي ﷺ أتي بالبراق ليلة أسري به ملجماً ومسرجاً، فاستصعب عليه، فقال له جبريل[6] عليه السلام: أبمحمّد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه[7]؟ فارفض عرقاً[8].

---

(١) في الشفاء: نبينا عليه الصلاة والسلام.

(٢) في الشفاء: لزمام.

(٣) في الشفاء: بدءاً وعوداً.

(٤) في الأصل و(ر): العيان.

(٥) في الأصل و(ر): ﷺ كثيراً.

● الشفاء: ١/١٣ ـ ١٤، القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي قولاً وفعلاً.

(٦) في صحيح التّرمذي: فقال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا؟

(٧) في صحيح الترمذي: قال: فارفض.

(٨) صحيح التّرمذي: ٥/٣٠١، رقم: ٣١٣١، كتاب تفسير القرآن، باب ١٨، ومن سورة بني إسرائيل.

فصل

في ثناء الله تعالى عليه وإظهار عظيم قدره لديه

اعلم أنّ في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى، وعدّ محاسنه وتعظيم أمره وتنويه قدره ﷺ، اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه.

ومن ذلك ما جاء مجيء المدح والثّناء، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ الآية[1].

وقرأ بعضهم: (مِنْ أنفَسِكم) بفتح الفاء، وهذه نهاية المدح، ثم وصفه بعدُ بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد كثيرة، من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم، ورأفته ورحمته بمؤمنيهم.

ومثله في الآية الأخرى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[2] الآية.

وجعل سبحانه، طاعته طاعته[3] فقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[4].

ونحو هذا من الآي، ممّا يكثر تعداده، فقد تقدّم في هذا الكتاب ذكره/ وإيراده. ٢٤٩/و

فصل

فيما ورد في خطابه سبحانه إياه مورد الملاطفة والمبرّة

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[5].

---

(١) التوبة: ١٢٨.
(٢) آل عمران: ١٦٤.
(٣) في (ر): طاعته طاعة الله.
(٤) النساء: ٨٠.
(٥) التوبة: ٤٣.

قال أبو محمد مكي[1]: هذا افتتاح كلام، بمنزلة: أصلحك الله، و: أعزّك الله.

وحكى السّمرقندي عن بعضهم: أنّ معناه: عافاك الله، يا سليم القلب، لم أذنت لهم؟

قال عياض: وفي هذا من عظيم منزلته عند ربّه ما لا يخفى على ذي لبّ، ومن إكرامه إياه وبرّه به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب.

قال عياض رحمه الله تعالى: يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه، أن يتأدب بآداب القرآن، في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته، فهو عنصر المعارف الحقيقية[2] وروضات[3] الآداب الدينية والدنيوية.

وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من ربّ الأرباب، المنعم على الكلّ، المستغني عن الجميع، ويستشير ما فيها من الفوائد، وكيف ابتدأ سبحانه بالإكرام قبل العتب، وآنس بالعفو قبل ذكر الذّنب، إن كان ثمّ ذنب.

ومثله قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ الآية[4].

---

(١) أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد مختار القيسي، القيرواني ثم القربى، وحموش عندنا بالمغرب الإسلامي تعني محمداً، يقال ذلك تحبباً، ولد أبو محمد بالقيروان سنة ٣٥٥، وأخذ عن علماء بلده منهم أبو زيد صاحب الرسالة المشهورة باسمه، ثم ارتحل مرتين: مرة إلى مصر وعمره ١٣ سنة وأخرى إلى مكة وجاور هناك ثلاثة أعوام، ودخل الأندلس سنة ٣٩٣، وعلّم بجامع قرطبة، وخطب، له ثمانون مصنفاً، كان خيّراً مشهوراً بإجابة الدعوة، توفي سنة ٤٣٧.

● سير أعلام النبلاء: ٥١٩/١٧، تر: ٣٩٥.

(٢) في الأصل: الحقيقة.

(٣) في الشفاء: وروضة الأداب.

(٤) الأنعام: ٣٣.

قال علي رضي الله عنه: قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنّا لا نكذّبك، ولكن نكذّب بما جئت به، فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾[1].

وروي أنّ النبي ﷺ لما كذّبه قومه حزن، فجاءه جبريل فقال: ما يحزنك؟ فقال: «كذبني قومي» فقال: إنّهم يعلمون أنّك صادق، فأنزل الله[2] سبحانه الآية. ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ، من تسليته تعالى له[3]، واللطافة في القول بأن قرّره عنده أنّه صادق عندهم، وأنهم غير مكذبين له، بل هم معترفون بصدقه قولاً واعتقاداً، وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين. فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب.

ثم جعل الذّمّ لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين، فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ ٱلظَّالِمِينَ بِئَايَاتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[4]، فحاشاه من الوصم، وطوّقهم بتكذيب الآيات حقيقة الظلم... ثم عزّاه وآنسه بقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ﴾[5] الآية.

ومن الآيات الجامعة لأنواع الكرامات قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾[6] الآية.

قال أبو الفضل: قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾[7] هذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة، في الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾[8].

---

(١) في الشفاء: قال.
(٢) في الشفاء: فأنزل الله تعالى.
(٣) في الشفاء: له ﷺ وإلطافه في القول.
(٤) الأنعام: ٣٣.
(٥) الأنعام: ٣٤.
(٦) الضحى: ١ ـ ٣.
(٧) الضحى: ٥.
(٨) النجم: ١ ـ ١٨.

قال عياض: وتضمنت هذه الآيات من فضيلته[1] وشرفه ما يقف دونه العدّ... ولمّا كان ما كاشفه ﷺ[2] من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت، لا تحيط به العبارات ولا تستقلّ بحمل أدناه الإشارات، رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية الدّالة على التعظيم، فقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾[3]، وهذا النوع من الكلام يسميه أهل النقد والبلاغة: بالوحي والإشارة، وهو عندهم أبلغ أنواع الإيجاز.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾[4] انحصرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى، وتاهت الأحكام في تعيين تلك الآيات الكبرى.

وقال تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ الآيات[5]، أقسم تعالى ـ بعظيم قسمه ـ على تنزيه المصطفى ممّا رمته به الكفرة من الجنون، ثم أعلمه[6] بما له عنده من نعيم دائم وأجر غير ممنون، ثم أثنى عليه بما منحه من هباته، وأكّد ذلك تتميماً[7] للتمجيد بحر في التأكيد، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[8]. وهذه نهاية المبرة في المخاطبة، وإعلاء درجات الآداب في المحاورة.

قال الواسطي[9]: أثنى عليه بحسن قبوله، لما أسداه إليه من نعمه،

---

(١) في (ر): من فضله وكذلك في الشفاء.
(٢) في (ر): عليه الصلاة والسلام.
(٣) النجم: ١٠.
(٤) النجم: ١٨.
(٥) القلم: ١، ٢.
(٦) في الأصل: ثم أعلم بما له عنده.
(٧) في الأصل: تنميماً للتمجيد.
(٨) القلم: ٤.
● الشفاء ١/٤٧ ـ ٥٤، بينهما خلاف.
(٩) الواسطي: أبو بكر محمد موسى، فرغاني الأصل، من أهل واسط، صحب الجنيد، والنّوري. كان عالماً كبيراً، قالوا: لم يتكلم أحد مثله في أصول التّصوف. دخل خراسان، وأقام بمرو فمات بها سنة ٣٣١هـ ـ ٦٤٢م.
● أ ـ الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبدالكريم القشيري: ٤٣٩ ـ ٤٤٠، تر: ٨١.
● ب ـ الأعلام للزركلي: ٧/٣٣٩.

وفضّله بذلك على غيره، لأنه جبله على تلك[1] الخلق، فسبحان اللطيف الكريم، المحسن الجواد الحميد، الذي يسّر للخير وهدى إليه، ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه/، سبحانه ما أغمر نوالَه، وأوسع إفضالَه! ثم سلاّه تعالى[2] بما وعد من عقابهم، وتوعّدهم بقوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾[3]، الثلاث الآيات، ثم عطف بعد مدحه على ذمّ عدوّه، وذكر سوء خلقه وعدّ معايبه، متولّياً ذلك بفضله، ومنتصراً لنبيّه عليه أفضل صلواته، فكان انتصار الله له أتمّ من نصرته لنفسه، وردّه تعالى على عدوّه أبلغ من ردّه وأثبت في ديوان مجده[4].

٢٥٠/ظ

فصل

فيما ورد من الله سبحانه في حق نبيه عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة والإكرام

قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾[5].

قال عياض: نزلت الآية فيما كان النبي ﷺ يتكلّفه، من السّهر والتّعب وقيام الليل[6].

ومثل هذا من نمط عظيم الشفقة والمبرّة: قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾[7] أي قاتل نفسك لذلك.

ونحوه قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾[8].

---

(١) في الشفاء: على ذلك الخلق.
(٢) في (ر): والشفاء: ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به.
(٣) القلم: ٥.
(٤) الشفاء: ١/٥٤ ـ ٥٥، بينهما خلاف.
(٥) طه: ١، ٢.
(٦) الشفاء: ١/٤١.
(٧) الكهف: ٦.
(٨) الشعراء: ٣.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ إلى آخر السورة[١].

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾[٢].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[٣].

سلاّه الله تعالى بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى يطول ذكرها، ولها محلّ استوفينا فيه ذكرها في تفسير «الجواهر الحسان» فانظره ترى الدرر. وبالله التوفيق[٤].

وجاء في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[٥].

[قال عياض: قال أهل التفسير: أراد بقوله: ورفع بعضهم درجات][٦] نبينا محمداً ﷺ، لأنه بُعث إلى الأحمر والأسود[٧]، وظهرت على يديه عظيم المعجزات، وليس أحد من الأنبياء أعطي[٨] فضيلة[٩] وكرامة إلاّ قد أُعطي[١٠] نبينا محمد ﷺ مثلها[١١].

---

(١) الحجر: ٩٤ ـ ٩٩.

(٢) الذاريات: ٥٤.

(٣) الطور: ٤٨.

(٤) الجواهر الحسان، للثعالبي: ٣/٢٤٩، تح: أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٥) البقرة: ٢٥٣.

(٦) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.

(٧) في الشفاء: وأحلت له الغنائم وظهرت.

(٨) في (ر): عظم بدل أعطى.

(٩) في الشفاء: فضيلة أو كرامة.

(١٠) في الشفاء: أعطي محمد ﷺ.

(١١) الشفاء: ١/٦٢.

فصل

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقاً وخلقاً وقرانه جميع الفضائل الدينية[1] والدنيوية فيها نسقاً

قال أبو الفضل: اعلم أيها المحبّ لهذا النبي الكريم، الباحث عن قدره العظيم، أنّ فصال الجلال والكمال في البشر نوعان: ضروريّ اقتضته الجِبِلّة، ومكتسب ديني، وهو ما يُحمد فاعله ويقرّبه إلى الله تعالى.

فأمّا الضروري المحض: فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، مثل ما كان في جبلّته، من: كمال خلقته، وجمال صوته، وقوّة عقله، وصحّة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزّة قومه، وحرم أرضه[2]. ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه، من: غذائه، ونومه، وملبسه، ومسكنه، ومنكحه، وماله، وجاهه. وقد تلحق هذه الخصال الأخيرة بالأخروية، إذا قصد بها التّقوى، ومعونة البدن على سلوك طريقها.

وأمّا المتكسبة الأخروية: فسائر الأخلاق العلّية والآداب الشرعية، من: الدّين، والعلم، والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والصّمت، والتّؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن الآداب، والمعاشرة، وأخواتها، وهي التي جماعها حسن الخلق....

وقد تكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد لها وجه الله تعالى والدار الآخرة، ولكنها كلّها محاسن وفضائل، باتّفاق أصحاب العقول السليمة. وإذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه، ووجدنا الواحد منّا يشرف بواحدة أو اثنتين، فما ظنّك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كلّ هذه الخصال ﷺ إلى

(١) في (ر): الديانة.

(٢) في (ر): وكرام أرضه.

ما لا يأخذه عدّ ولا يعبّر عنه بمقال، ولا ينال بكسب ولا حيلة، إلاّ بتخصيص الكبير المتعال، من: فضيلة النبوة، والرسالة، والخلّة، والمحبة، والاصطفاء، والإسراء، والرؤية، والقرب، والدّنو/، والوحي، والشفاعة، والوسيلة، والفضيلة، والدرجة الرّفيعة، والمقام المحمود، والبراق، والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء، والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم، ولواء الحمد، والبشارة، والنّذارة، والمكانة عند ذي العرش، والطّاعة.

٢٥١/و

ثمّ والأمانة، والهداية، ورحمة العالمين، وإعطاء الرّضى والسؤال، والكوثر، وسماع القول، وإتمام النّعمة، والعفو عما تقدم وتأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، وعزّة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب، والحكمة، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، وتزكية الأمة، والدّعاء إلى الله تعالى، وصلاة الله والملائكة، والحكم بين الناس بما أراه الله، ووضع الإصر والأغلال عنهم، والقسم باسمه، وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات، والعجم، وإحياء الموتى، وإسماع الصّمّ، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، وانشقاق القمر، وردّ الشمس، وقلب الأعيان، والنصر بالرعب، والاطّلاع على الغيب، وظلّ الغمام، وتسبيح الحصى، وإبراء الآلام، والعصمة من الناس... إلى ما لا يحويه محتفل، ولا يحيط به إلاّ مانحه ذلك ومفضّله، لا إله غيره، إلى ما أعدّ له في دار[1] الآخرة، من الكرامة، ودرجات القدس[2]، ومراتب السعادة والحسنى والزيّادة، التي تقف دونها العقول، ويحار دون أدانيها الوهم.

قال أبو الفضل: فإن قلت ـ أكرمك الله ـ: لا خفاء على القطع بالجملة أنه ﷺ أعلى الناس قدراً، وأعظمهم محلاً، وأكملهم محاسناً وفضلاً. وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهباً جميلاً شوّقني إلى أن أقف عليها من أوصافه ﷺ مفصّلة تفصيلاً.

---

(١) في (ر): في الدار الآخرة.

(٢) في (ر): درجات القدوس.

فاعلم نوّر الله قلبي وقلبك، وضاعف في هذا النبي الكريم حبّي وحبّك، أنّك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة، وفي جبلّة الخلقة[١]، وجدته ﷺ حائزاً لجميعها، محيطاً بشتات محاسنها، دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك، بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع.

أما الصورة وجمالها، وتناسب أعضائه عليه الصلاة والسّلام في حسنها، فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك، من حديث علي، وأنس، وأبي هريرة، والبراء بن عازب، وعائشة، وابن أبي هالة[٢]، وأبي جحيفة[٣]، وجابر بن سمرة، وابن عبّاس، ومعرّض بن معيقيب، وأبي الطّفي، والعدّاء بن خالد[٤]، وخزيم بن فاتك، وحكيم بن حزام، وأم معبد، وغيرهم رضي الله عنهم[٥].

قلت: وقد قدّمنا وصف أمّ معبد له ﷺ، فأغنى عن إعادته.

وروى مسلم في صحيحه عن البراء رضي الله عنه قال: ما رأيت من ذي لمّة[٦] في حلّة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ[٧].

وروى مسلم عن جابر بن سمرة، رضي الله عنهما[٨] وقال له رجل: كان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف. قال: لا بل مثل الشمس والقمر[٩].

---

(١) في الأصل: الخلق وحدته.
(٢) هالة بن أبي هالة التميمي، أخو هند بن أبي هالة الأسيدي التميمي. واسم أبي هالة: هند بن النباش بن زرارة. له صحبة. دخل على النبي ﷺ وهو نائم فاستيقظ فضمّه إلى صدره وقال: هالة هالة هالة.
● الاستيعاب: ١٥٤٧/٤، تر: ٢٧٠١.
(٣) أبو جحيفة ـ بالتصغير ـ.
(٤) العداء بن خالد بن هوذة بن ربيعة البصري، أسلم بعد الفتح وحنين، فحسن إسلامه.
● الاستيعاب: ١٢٣٧/٣، تر: ٢٠٢٤.
(٥) الشفاء: ٧٧/١ ـ ٨٢، بينهما خلاف.
(٦) في صحيح مسلم: من ذي لمّة أحسن في حلة حمراء من.
(٧) صحيح مسلم: ١٨١٨/٤، رقم: ٢٣٣٧، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ وكأنه كأن أحسن الناس وجهاً.
(٨) في (ر): رضي الله عنه.
(٩) صحيح مسلم: ١٨٢٣/٤، كتاب الفضائل، باب شيبه ﷺ.

قال ابن القطان: وقال بعض ناعيته ﷺ: كان إذا طلع جبينه من بين الشَّعَر، أو طلع في أفق الصبح، أو طلع بوجهه على الناس، يرى جبينه كأنّه ضوء السّراج المتوقّد تلألؤاً، كما قال فيه ﷺ حسّان بن ثابت رضي الله عنه [من الطويل]:

متى يَبْدُ في الداجي البهيم جبينه يَلُحُ مثل مصباح الدّجى المتوقّد[1]

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: كان النبي ﷺ يخصف نعلاً له، فجعل لا ينحدر من عرقه شيء إلاّ تولّد في عيني نوراً، فقلت: والله لو رآك أبو كبير[2] الهذلي لعلم أنّك أحق بشعره من غيرك، فقال ﷺ: «**وما قال أبو كبير؟**» قالت: قال [من الطويل]:

ومبرّأً من كل غير حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرّة وجهه برقت كبرق العارض المتهلّل

٢٥٢/ظ فقال ﷺ/: «**جزاك الله يا عائشة خيراً**».

وروى الترمذي عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنّه قال: ما رأيت[3] أحسن[4] من رسول الله ﷺ[5]، كأنّ الشمس تجري من وجهه، وإذا ضحك يتلألأ في الجدر.

وذكره عياض ولم يعزه.

---

(١) ديوان حسان بن ثابت: ٦٠.

(٢) أبو كبير الهذلي: عامر بن الحليس، من بني سهل بن هذيل، شاعر، فحل من شعراء الحماسة، قيل: إنّه أدرك الإسلام، واختلف في إسلامه، وفي الأنوار ما يشير إلى أنه لم ير الرسول ﷺ.
- الإصابة: ١٦٧/٤، تر: ٩٧٧.
- الأعلام: ١٧/٤.

(٣) في صحيح الترمذي: ما رأيت شيئاً أحسن منه.

(٤) في (ر): ما رأيت من أحسن من رسول الله ﷺ.

(٥) صحيح الترمذي: ٦٠٤/٥، رقم: ٣٦٤٨، كتاب المناقب، باب ١٢، في صفة النبي ﷺ.

قال عياض: وفي حديث ابن أبي هالة، رضي الله عنه: يتلألأ وجهه تلألُؤَ القمر ليلة البدر(١)، كأنّ عنقه(٢) جيد دمية في صفاء الفضّة، يمشي هوناً، دريع المشية، إذا مشى كأنّما ينحطّ من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض، أطول من نظره إلى السّماء، جلّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسّلام.

وكان ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يتكلّم بجوامع الكلم، فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير، ليس بالجافي ولا المهين، يعظّم النّعمة وإن دقّت، لا يذمّ شيئاً، لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا(٣) تُعُرِّض للحق بشيء حتّى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه [كلّها](٤)، وإذا تعجّب قَلَبها، وإذا تحدّث(٥) اتّصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضّ طرفه، جلّ ضحك التبسّم(٦) ويفتر عن مثل حبّ الغمام.

وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه له: من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبّه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده [مثله](٤)(٧).

والأحاديث في بسط صفته ﷺ مشهورة، قد قدّمنا ـ بحمد الله ـ من ذلك ما فيه كفاية لمن أُهّل للعرفان، وملىء قلبه بالإيمان، وإنّما نذيّل الآن بنكت مفيدة تفيد اليقين، يكون فيها قدوة للمتّقين، وأسوة للعالمين السّالكين سبيل سيدي المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وعلى جميع النّبيين.

---

(١) الشفاء: ٨٥/١.
(٢) في (ر): عنوقه.
(٣) في الأصل: إذ بدل إذا.
(٤) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٥) في (ر): وإذا حدّث اتّصل بها.
(٦) في (ر): التّبسم.
(٧) صحيح التّرمذي: ٥٩٩/٥، رقم: ٣٦٣٨، كتاب المناقب، باب ٨، ما جاء في صفة النبي ﷺ.

قال عياض: وأمّا نظافة جسمه وطيب رائحته[1] ﷺ، فكان قد خصّه الله عزَّ وجلَّ من ذلك بخصائص لم توجد في غيره[2].

فقد روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: ما شممت عنبراً قطّ ولا مسكاً ولا شيئاً أطيبَ من ريح رسول الله ﷺ[3].

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه: أن النّبي ﷺ مسح خدّه. قال: فوجدت ليده برداً وريحاً، كأنّما أخرجها من جؤنة[4] عطّار[5]. قال غيره[6]: مسّها بطيب أو لم يمسّها، يصافح المصافح فيظلّ يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصّبي فيعرف من بين الصبيان بريحها.

وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله عنه، قال: لم يكن النبي ﷺ يمرّ في طريق فيتبعه أحد إلاّ عرف أنّه سلكه، من طيبه ﷺ[7].

ذكر إسحاق[8] بن راهويه: أن تلك كانت رائحته بلا طيب ﷺ[9].

وأمّا فصاحة اللسان، وبلاغة القول، فقد كان النبي ﷺ من ذلك

---

(١) في الشفاء: وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد.
(٢) الشفاء: ٨٥/١.
(٣) صحيح مسلم: ١٨١٤/٤ ـ ١٨١٥، رقم: ٢٣٣٠، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ، ولين مسه، والتّبرك بمسحه.
(٤) الجؤنة والجونة: السّفط الذي فيه متاع العطار.
(٥) صحيح مسلم: ١٨١٤/٤، رقم: ٢٣٢٩، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ.
(٦) في الأصل: قال غيرها.
(٧) تاريخ البخاري: ٣٩٩/١ ـ ٤٠٠، تر: ١٢٧٣، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.
(٨) إسحاق بن راهويه: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم التميمي الحنظلي المروزي، شيخ أهل المشرق، يعرف بابن راهويه، ولد سنة ١٦٦، سمع الكثير، وأخذ عنه الجمع الغفير. كان يقول: كأني أنظر إلى مائة ألف حديث في كتبي، وثلاثين ألفاً أسردها، كان ثقة، مأموناً، إماماً. توفي ليلة نصف شعبان سنة ٢٣٨.
● تذكرة الحفاظ: ٤٣٣/١، تر: ٤٤٠.
(٩) الشفاء: ٨٦/١ ـ ٨٧، بينهما خلاف.

بالمحلّ الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة[1] لفظ، وجزالة قول، وصحّة معاني، وقلّة تكلّف، أُتي ﷺ جوامع الكلم، وخُصّ ببدائع الحكم، وعِلْم ألسنة العرب، يخاطب كلّ أمّة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها، حتّى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير ما موطن عن شرح كلامه، ومن تأمّل حديثه وتعبيره[2] علم ذلك وتحقّقه، وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل نجد والحجاز ككلامه مع ذي المشعار[3] الهمدانيّ[4]، وطهفة النّهدي[5] وقطن[6] بن حارثة العلمي، والأشعث[7] بن قيس، ووائل بن حجر[8]

---

(١) في الأصل: قطاعة لفظ، وذلك تصحيف من فصاحة، أو نصاعة.

(٢) في الأصل و(د): وسيره والإصلاح من (ر).

(٣) في الأصل: مع ذي المشائر الهمداني.

(٤) ذو المشعار الهمداني: أبو ثور مالك بن نمط بن قيس الهمداني، قدم مع جماعة على رسول الله ﷺ بعد رجوعه من تبوك، وأمّره على من أسلم من قومه، وأمره بقتال ثقيف، فكان لا يخرج لهم سرج إلاّ أغار عليه.
- الإصابة: ٣٥٦/٣، تر: ٧٦٩٤.

(٥) طهفة النّهدي ـ بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح ثالثه ـ.
- طهفة بن زهير النهدي، وفد على النبي ﷺ في سنة تسع حين وفد أكثر العرب، فكلمه بكلام فصيح، وأجابه رسول الله ﷺ بمثله.
- الاستيعاب: ٧٧٤/٢، تر: ١٢٩٣.

(٦) قطن بن حارثة العلمي الكلبي: من بني عليم بن جناب بن كلب بن وبرة، قدم على رسول الله ﷺ وسأله الدعاء له ولقومه في غيث السماء.
- الاستيعاب: ١٣٠٦/٣، تر: ١٢٦٩.

(٧) أبو محمد الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية الكندي ـ قدم على رسول الله ﷺ في وفد كندة في ستين راكباً، كان مطاعاً في قومه، ارتد عن الإسلام بعد النبي ﷺ، وأخذ أسيراً في خلافة أبي بكر، وقال: استبقني لحربك وزوجني أختك، ففعل أبو بكر، وشارك في فتح القادسية، والمدائن توفي سنة ٤٢.
- الاستيعاب: ١٣٣/١، تر: ١٣٥.

(٨) وائل بن حجر الكندي: أبو هنيدة الحضرمي، وفد على رسول الله ﷺ، فرحّب به وأدناه من نفسه، وبسط له رداءه واستعمله على أقيال من حضرموت. توفي في خلافة معاوية.
- الاستيعاب: ١٥٦٢/٤، تر: ٢٧٣٦.

الكندي، وغيرهم من أقيال حضرموت وملوك اليمن[1]، على ما علم في السّير.

فأمّا كلامه المعتاد، وفصاحته المعلومة، وجوامع كلمه، وحكمه المأثورة، فقد ألّف النّاس فيها الدواوين، وجمعت من ألفاظها ومعانيها الكتب؛ ومنها ما لا يوازى فصاحة، ولا يبارى بلاغة، كقوله ﷺ/ : **«المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»**. ٢٥٣/و

وقوله: **«الناس كأسنان المشط»**، و: **«المرء مع من أحبّ»**، و: **«لا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له»**، و: **«الناس معادن»**، و: **«ما هلك امرؤ عرف قدره»**، و: **«المستشار مؤتمن، وهو بالخيار ما لم يتكلم»**، و: **«رحم الله عبداً قال خيراً فغنم، أو سكت عن شرّ فسلم»**.

وقوله ﷺ: **«أسلم تسلم، واسلم يؤتك الله أجرك مرّتين»**، و: **«إنّ أحبّكم إليّ وأقربكم منّي مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الموطّؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون»**.

وقوله ﷺ: **«لعلّه كان يتكلم بما لا يعنيه، ويبخل بما لا يغنيه»**.

وقوله: **«ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً»**. ونهيه ﷺ عن: **«قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة [المال]**[2]**، ومنع، وهات، وعقوق الأمّهات، ووأد البنات»**.

وقوله: **«اتّق الله حيث كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»**، و: **«خير الأمور أوسطها»**.

وقوله: **«أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً مّا»**.

وقوله ﷺ: **«الظلم ظلمات يوم القيامة»**.

وقوله: **«السّعيد من وعظ بغيره، والشقيّ من شقي في بطن أمّه»**.

---

(١) الشفاء: ١/٩٥ ـ ٩٧، بينهما خلاف.

(٢) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

وقوله في بعض دعائه: «**اللّهم إنّي أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلمّ بها شعثي، وتصلح بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكّي بها عملي، وتلهمني بها رشدي، وتردّ بها ألفتي، وتعصمني بها من كل سوء**».

«**اللّهم، إنّي أسألك الفوز في القضاء، ونُزُلَ**[١] **الشهداء، وعيش السّعداء، والنّصر على الأعداء**».

إلى ما روته الكافّة، عن الكافة، في مقاماته، ومحاضراته، وخطبه، وأدعيته، ومخاطباته، ممّا لا خلاف أنّه نزل من ذلك مرتبة[٢] لا يقاسَ بها غيره، وحاز فيها لا يقدر قدره.

وقد قال ﷺ: «**بيد أنّي من قريش، ونشأت في بني سعد**». فجمع له ﷺ بذلك قوة عارضة البادية وخزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التّأييد الإلّهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشريّ[٣].

وأمّا الحلم، والاحتمال، والعفو مع القدرة، والصبر على ما يكره، وبين هذه الألقاب فرق:

فإنّ الحلم حالة توقّر وثبات عند الأسباب المحرّكات، والاحتمال: حبس النّفس عند الآلام والمؤذيات، ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة. وهذا كله ممّا أدّب الله به نبيّه ﷺ. وقد جاء أنّ جبريل عليه السلام قال له: يا محمد، إنّ الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك.

ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله ﷺ، وجاءه زيد بن سعية[٤] قبل

---

(١) في (ر): وأنزل.

(٢) في الأصل: مرقبة.

(٣) الشفاء: ١/١٠١ ـ ١٠٦ بينهما خلاف.

(٤) زيد بن سعية: ـ بضم السين ـ ويقال سعنة ـ بالنون وهو الأكثر ـ. =

إسلامه يتقاضاه ديناً عليه، فجبذ ثوبه عن منكبه، وأخذ بمجامع ثيابه، وأغلظ له، ثم قال: إنكم يا بني عبدالمطلب مطل، فانتهره عمر، وشدّد له في القول، والنبي ﷺ يتبسّم، فقال رسول الله ﷺ: **«أنا وهو كنّا إلى غير هذا منك أحوج، تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التّقاضي»**. ثم قال ﷺ: **«لقد بقي من أجله ثلاث»**. وأمر عمر يقضيه ماله ويزيد عشرين صاعاً، لما روّعه، فكان سبب إسلامه. وذلك أنّه كان يقول: ما بقي من علامات النّبوءة شيء إلاّ وقد عرفتها في محمد إلاّ اثنتين لم أخبرهما: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدّة الجهل إلاّ حلماً. فاختبره بهذه فوجده كما وُصف.

والأخبار عن حلمه ﷺ وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن نأتي بها.

وأمّا الجود والكرم والسّخاء والسّماحة، فمعانيها متقاربة، وكان ﷺ لا يوازى فيْ هذه الأخلاق الكريمة ولا يمارى، بهذا وصفه كلّ من عرفه ﷺ[1].

روينا في صحيح البخاري ومسلم عن ابن المنكدر[2]، قال: سمعت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، يقول: ما سئل النبيّ ﷺ شيئاً فقال: لا/[3]. ٢٥٤/ظ

وعن أنس وسهل بن سعد مثله.

= كان من أحبار اليهود، أسلم وشهد مع النبي ﷺ مشاهد كثيرة، روى عنه عبدالله بن سلام. وكان هذا الأخير يقول: قال زيد بن سعية: ما من علامات النبوة شيء إلاّ وقد عرفته في وجه محمد ﷺ. توفي في غزوة تبوك مقبلاً إلى المدينة.

● الاستيعاب: ٥٥٣/٢، تر: ٨٤٩.

(١) الشفاء: ١٣٥/١ ـ ١٤٤، بينهما خلاف.

(٢) ابن المنكدر: أبو بكر وقيل أبو عبدالله محمد بن عبدالله التيمي القرشي المدني، قال: كابدت نفسي أربعين سنة حتّى استقامت وقال: نعم العون على تقوى الله الغني. ولد سنة بضع وثلاثين، وتوفي ١٣٠.

● سير أعلام النبلاء: ٣٥٣/٥ ـ ٣٦١، تر: ١٦٣.

(٣) ● أ ـ صحيح البخاري: ١٦/٨ ـ واللفظ له ـ باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل.

● ب ـ صحيح مسلم: ١٨٠٥/٤، رقم: ٢٣١١، كتاب الفضائل ـ باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه.

وفي صحيحي البخاري، ومسلم، عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: كان النبي[1] ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود[2] ما يكون في شهر رمضان، لأنّ جبريل[3]، كان يلقاه كلّ ليلة[4] في شهر رمضان، حتّى ينسلخ، يعرض[5] عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان[6] أجود بالخير من الريح المرسلة[7].

وعن أنس رضي الله عنه: أنّ رجلاً سأله فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى بلده وقال: أسلموا، فإنّ محمداً يعطي عطاء من لا يخشى فاقة[8]. رواه مسلم[9].

وقال أنس: إن كان الرجل لَيُسْلِمُ ما يريد إلاّ الدّنيا، فما يسلم حتّى يكون الإسلام أحبّ إليه من الدنيا وما عليها. رواه مسلم[10].

وأعطى غير واحد مائة الإبل، وأعطى صفوان مائة، ثم مائة، ثم مائة. رواه مسلم. وفيه: أنّ صفوان قال: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ [ما أعطاني وإنّه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتّى إنّه لأحب الناس إليّ[11] ﷺ][12].

---

(١) في صحيح مسلم: رسول الله ﷺ ـ وكذا في رواية للبخاري.
(٢) في صحيح مسلم: وكان أجود ما يكون ـ وكذا في رواية للبخاري.
(٣) في صحيح مسلم: إن جبريل عليه السلام.
(٤) في صحيح مسلم: في كلّ سنة في رمضان.
(٥) في صحيح مسلم: فيعرض عليه القرآن ـ بالفاء ـ.
(٦) في صحيح مسلم: كان رسول الله ﷺ أجود.
(٧) ● أ ـ صحيح البخاري: ١٣٧/٤، باب ذكر الملائكة، و١٦/٨، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل.
● ب ـ صحيح مسلم، (واللفظ له) ١٨٠٣/٤، رقم: ٢٣٠٨، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة.
(٨) في صحيح مسلم: عطاء لا يخشى الفاقة.
(٩) صحيح مسلم: ١٨٠٦/٤، كتاب الفضائل، رقم: ٢٣١١، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط، فقال: لا. وكثرة عطائه.
(١٠) صحيح مسلم: ١٨٠٦/٤، رقم: ٢٣١٣.
(١١) صحيح مسلم: ١٨٠٦/٤، رقم: ٢٣١٣، باب ما سئل.
(١٢) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.

قال أبو الفضل: وهذه كانت خلقه ﷺ قبل أن يبعث. وقد قالت له خديجة: إنّك لتصل الرّحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم.

وردّ على هوازن سباياها، وكانت ستّة آلاف.

قال أبو الفضل: والأخبار بجوده [وكرمه](1) ﷺ كثيرة(2).

فصل

قال عياض: وأمّا الشجاعة والنجدة، فكان ﷺ منهما بالمكان الذي لا يُجهل، قد حضر المواقف الصعبة، وفرّ الكماة والأبطال عنه غير مرّة وهو ﷺ ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلاّ وقد أحصيت له فرّة، وحفظت عنه جولة سواه ﷺ(3).

وقد تقدّم ذكر ذلك في غزوة حنين وغيرها. ففي حنين ولّى عنه الناس مدبرين وهو مقبل إلى العدوّ ويقول: «**أنا النّبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب**».

قال تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾(4) الآية.

وفي أحد: لمّا فرّ النّاس جعل يدعوهم إليه ﷺ يقول: «**إليّ إليّ أيّها النّاس**».

فقال تعالى في ذلك: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾(5).

قال ابن عمر رضي الله عنهما: ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ.

---

(1) ما بين الحاصرتين سقط في (ر).
(2) الشفاء: ١/١٤٥ ـ ١٤٧، بينهما خلاف.
(3) الشفاء: ١/١٤٧ ـ ١٤٨، بينهما خلاف.
(4) التوبة: ٢٥، ٢٦.
(5) آل عمران: ١٥٣.

وعن أنس، رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود لناس، وأشجع النّاس... الحديث[1].

وهذا باب متّسع، معلوم في السّير، فلا نطيل بنقل الآثار فيه، فإنّها كثر من أن تحصى.

فصل

وأما الحياء والإغضاء

فالحياء: رقّة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقّع كراهته، أو ما كون تركه خيراً من فعله.

والإغضاء: التغافل عمّا يكره الإنسان بطبيعته.

وكان النّبي ﷺ أشدّ الناس حياءً، وأكثرهم عن العورات إغضاء.

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾[2] لآية.

وروى البخاري في صحيحه ومسلم، عن أبي سعيد الخدري ضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أشدّ حياء من العذراء في خدرها، كان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه[3].

وكان ﷺ لطيف البشرة، رقيق الظاهر، لا يشافه أحداً بما يكرهه، تياء وكرم نفس.

وأمّا حُسْن عشرته، وأدبه، وبسط خلقه ﷺ مع أصناف الخلق، حيث انتشرت به الأخبار الصّحيحة:

---

(1) الشفاء: ١/١٥٠ ـ ١٥١، بينهما خلاف.

(2) الأحزاب: ٥٣.

(3) ● أ ـ صحيح البخاري: ٤/٢٣٠، باب صفة النبي ﷺ.

● ب ـ صحيح مسلم: ٤/١٨٠٩ ـ ١٨١٠، رقم: ٢٣٢٠ ـ واللفظ له ـ كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ.

قال عليّ رضي الله عنه: في وصفه ﷺ: كان أوسع النّاس صدراً وأصدق الناس لهجةً، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة.

ووصفه ابن أبي هالة، رضي الله عنه، فقال: كان ﷺ يُؤلّفهم ولا ينفّرهم، ويكرم كريم كلّ قوم ويولّيه عليهم، ويحذر النّاس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بِشْره ولا خُلُقه، ويتفقّد أصحابه، ويعطي كلّ جلسائه نصيبه، لا يحسبه جليسه أنّ أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتّى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يردّه إلاّ بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء، وكان دائم البشر، سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بغضّ ولا غليظ ولا صخّاب/ ولا فحاش ولا عيّاب ولا مدّاح، يتغافل عمّا لا يشتهي، ولا ييأس منهم.

٢٥٥/و

قال عياض: وروي أنّه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفّف صلاته، وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد إلى صلاته[١].

قلت: وفي الحديث الصحيح أنه ﷺ كان إذا سمع بكاء الصّبي خفّف في الصلاة خشية أن تفتتن أمّه.

فصل

قال عياض: وأمّا تواضعه - ﷺ على علوّ منصبه ورفعة رتبته - فكان أشدّ الناس تواضعاً.

روى أبو داود، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ على عصى، فقمنا له[٢]، فقال: «**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظّم بعضها بعضاً**»[٣]، وقال: «**إنّما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد**»، وكان يركب الحمار، ويردف خلفه، ويعود المساكين

(١) الشفاء: ١٥٢/١ ـ ١٥٨، بينهما خلاف.
(٢) في سنن أبي داود: فقُمنا إليه بدل له.
(٣) سنن أبي داود: ٣٥٨/٤، رقم: ٥٢٣٠، باب قيام الرجل للرجل، كتاب الأدب.

يجالس الفقراء. ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم، حيث ما انتهى به المجلس جلس.

قال أنس رضي الله عنه: كان ﷺ يركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف[1].

قال: وكان يُدعى إلى خبز الشّعير، والإهالة[2] السّنخة[3] فيجيب.

قال: وحجّ على رحل رثّ وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم، فقال: **«اللهم اجعله حجّاً لا رياء فيه ولا سمعة»**.

هذا وقد فتحت عليه الأرض، وأهدى في حجّة ذلك، مائة بدنة.

وعن عائشة وأبي سعيد[4] والحسن وغيرهم، في صفته، وبعضهم يزيد على بعض: أنه كان ﷺ في بيته في مهنة أهله، يفلي [ثوبه][5]، ويحلب شاته، ويرقع [ثوبه][5]، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويقمّ[6] بيته، [ويعقل بعيره][5]، ويعلف ناضحه[7]، ويأكل مع الخادم ويعجن معها، ويحمل بضاعته من السوق.

ودخل عليه رجل فأصابته هيبة[8]، ورعدة، فقال له: «هوّنْ عليك[9]، لست بملك، إنّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت السّوق مع النبي ﷺ، فاشترى سراويل وقال للوزّان: **«زن وأرجِحْ»** وذكر القصّة. قال: فوثب إلى يد النبي ﷺ يقبّلها، فجذب يده وقال: **«هذا تفعله الأعاجم بملوكها، ولست**

---

(١) إكاف: ـ بكسر الهمزة وضمّها وبالواو بدلها ـ البرذعة ـ وقيل: ما تشدّ فوق البرذعة من ورائها.
(٢) الإهالة: ـ بكسر الهمزة وتخفيف الهاء ـ كلّ ما يؤدم من الأدهان.
(٣) السّنخة: المتغيّر الرائحة ـ يقال: سنخ وزنخ.
(٤) في الشفاء: وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم.
(٥) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.
(٦) يقمّ بيته: يكنسه.
(٧) الناضح: الجمل الذي يستقى عليه الماء.
(٨) في الشفاء: فأصابته من هيبته رعدة.
(٩) في الشفاء: **«هوّن عليك فإنّي لست بملك»**.

بملك، إنّما أنا رجل منكم» ثم أخذ السراويل، فذهبت لأحمله فقال: «صاحب الشيء أحقّ بشيئه أن يحمله»[1].

فانظر يا أخي ـ أنار الله بصيرتك وطهّر من دنس العيوب سريرتك ـ هذه الأخلاق المرضية، والأنوار النبوية، واحمل نفسك على متابعتها والتمسك بسنّته، أماتنا الله وإيّاك على ملته، وحشرنا وإيّاك في زمرته، وجعلنا وإيّاك ممّن سعد بسعادته.

فصل

قال عياض: وأمّا عدله ﷺ وأمانته وعفّته وصدق لهجته: فكان ﷺ آمَنَ الناس، وأعدلَ النّاس، وأعفَّ الناس، وأصدقَهم لهجة منذ كان، اعترف بذلك محادّوه وعداه[2].

قال ابن عطية رحمه الله تعالى: وروي عن عثمان[3] بن مظعون أنّه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ الآية[4] قرأتها على أبي طالب[5]، فعجب وقال: يا آل[6] غالب، اتّبعوه تفلحوا، فوالله إنّ الله أرسله ليأمر بمكارم الأخلاق.

---

(١) الشفاء: ١٦٨/١ ـ ١٧٢، بينهما خلاف.

(٢) الشفاء: ١٧٢/١.

(٣) أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة القرشي الجمحي، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً. أول من مات بالمدينة من المهاجرين. ـ قبّله الرسول ﷺ بين عينيه بعد غسله، وعلّم على قبره بحجر ـ وكان يزوره.
● الاستيعاب: ١٠٥٣/٣، تر: ١٧٧٩.

(٤) النحل: ٩٠.

(٥) أبو طالب: عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم، والد علي، وعم النبي ﷺ وكافله ومربيه وناصره، سافر معه إلى الشام في صباه، كان من الخطباء العقلاء الأباة. توفي بمكة في السنة الثالثة قبل الهجرة سنة ٦٢٠م.
● الأعلام للزركلي: ٢٥٦/٤.

(٦) آل غالب: بنو غالب: بطن من قريش من العدنانية، وهم بنو غالب بن فهر.
● نهاية الأرب: ٣٤٦، تر: ١٤١٦.

قال عياض: وكان ﷺ، يسمّى قبل نبوته [الأمين][1].

وروى أبو عيسى الترمذي، عن عليّ رضي الله عنه، أنّ أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنّا لا نكذبك ولكن نكذّب بما جئت به، فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ الآية[2].

وروى غيره: لا نكذّبك، وما أنت فينا بمكذّب.

وقيل: إنّ الأخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال له: يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا، فأخبرني عن محمد، أصادق أم كاذب؟

فقال أبو جهل: والله إنّ محمداً لصادق، وما كذب محمد قط.

وسأل هرقل عنه أبا سفيان فقال: هل كنتم تتّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا[3]. والآثار في هذا المعنى كثيرة.

٢٥٦/ظ

وأمّا وقاره ﷺ وصمته وتوأدته ومروءته/ وحسن هديه: فقد روى أبو داود، عن خارجة[4] بن زيد رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أوقر الناس في مجلسه، لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه[5].

وذكر عياض حديثاً متّصلاً بحديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال:

---

(١) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) الأنعام: ٣٣.

(٣) الشفاء: ١٧٢/١ ـ ١٧٣، بينهما خلاف.

(٤) خارجة بن يزيد بن أبي زهير بن مالك الخزرجي الأنصاري ـ شهد العقبة، وبدراً، وقتل يوم أحد شهيداً، كانت ابنته تحت أبي بكر. وكان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين أبي بكر حين آخى بين المهاجرين والأنصار.
● الاستيعاب: ٤١٧/٢، تر: ٥٩٠.

(٥) عدت إلى سنن أبي داود فلم أجد فيه الحديث، وقد أورده القاضي عياض في شفائه وعلق عليه أحمد بن محمد الشميني [ت: ٨٧٢] في حاشيته على الشفا المسماة: «مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء» بقوله: وهذا الحديث في مراسيل أبي داود.
● الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٣٧/١، مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

وكان ﷺ كثير السّكوت، لا يتكلم في غير حاجة. يُعرض عمّن تكلّم بغير جميل، وكان ضحكه[١] تبسّماً، وكلامه فصلاً، لا فضول فيه ولا تقصير.

وكان ضحك أصحابه عنده التّبسّم، توقيراً له واقتداءً به.

مجلسه مجلس حلم وحياء وخير[٢]، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تُؤْبَن فيه الحُرَمُ[٣]، إذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنّما على رؤوسهم الطير.

قال ابن[٤] أبي هالة رضي الله عنه: كان سكوته ﷺ على أربع: على [الحلم][٥]، والحذر، والتّقدير، والتّفكير.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ يحدّث حديثاً لو عدّه العادّ أحصاه[٦].

وكان ﷺ يحبّ الطّيب والرائحة الحسنة، ويستعملها كثيراً ويحضّ عليها[٧]. ويقول: «**حُبّب إليّ من دنياكم: النّساء، والطّيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة**».

ومن مروءته ﷺ نهيه عن النّفخ في الطعام والشّراب، والأمر بالأكل ممّا يلي، والأمر بالسّواك، وإنقاء البراجم[٨]، واستعمال خصال الفطرة[٩].

---

(١) في (ر): ما كان ضحكه تبسّماً.
(٢) في الشفاء: وخير وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات.
(٣) في (ر): الحرام وفي الصحاح: فلان يؤمن بكذا أي يذكر بقبيح. ولا تؤمن فيه الحرم: أي لا يذكر بسوء.
(٤) في (ر): قال أبي هالة ـ بحذف ابن ـ.
(٥) ما بين الحاصرتين سقط في (ر).
(٦) سنن أبي داود: ٢/٣٢٠، رقم: ٣٦٥٤، باب في سرد الحديث ـ كتاب العلم. وفيه: إن كان رسول الله ﷺ ليحدث الحديث لو شاء العادّ أن يحصيه أحصاه.
(٧) في الشفاء: ويحضّ عليهما.
(٨) البراجم: جمع برجمة ـ بضمّ الباء ـ وهي مفاصل الأصابع التي بين الأشاجع.
- في الشفاء: إنقاء البراجم والرواجب.
- الرواجب: رؤوس السّلاميات من ظهر الكف إذا قبض القابض كفّه نشزت وارتفعت.
(٩) الشفاء: ١٧٦ ـ ١٧٧.

فصل

وأما[1] زهده في الدنيا
فمعلوم ضرورة لمن عني بمطالعة الآثار

قال عياض: وحسبك من تقلّله منها، وإعراضه عنها[2] وعن زهرتها وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحاتها، إلى أن توفيّ ﷺ، ودرعه مرهونة عند يهوديّ في نفقة عياله، وهو يدعو ويقول: «**اللهم اجعل رزق آل محمّد قوتاً**».

وقد روى مسلم في صحيحه، عن عائشة، رضي الله عنها، قالتَ: ما شبع رسول الله ثلاثة أيام تباعاً[3]، حتّى مضى لسبيله[4].

وفي رواية أخرى: من خبز شعير يومين متواليين[5]، ولو شاء لأعطاه الله ما لا يخطر ببال.

وفي رواية أخرى: ما شبع[6] رسول الله ﷺ، من خبز برّ[7] حتّى لقي الله تعالى.

وفي الصّحيح عن عائشة رضي الله عنها: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة، ولا بعيراً.

وفي الصّحيح[8] عن عمرو بن الحارث[9]: ما ترك رسول الله ﷺ

= وخصال الفطرة خمس فيما رواه الشيخان، وهي الختان، والاستحداد، وقصّ الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط.

(١) في (ر): وما زهده في الدنيا... بحذف للهمزة من وأمّا.
(٢) في الشفاء: وإعراضه عن زهرتها.
(٣) في صحيح مسلم: تباعاً من خبز برّ حتى مضى.
(٤) صحيح مسلم: ٢٢٨١/٤، رقم: ٢٩٧٠ .كتاب الزّهد والرقائق.
(٥) صحيح مسلم: يومين متتابعين.
● صحيح مسلم: ٢٢٨٢/٤، رقم: ٢٩٧٠ .كتاب الزهد والرقائق.
(٦) صحيح مسلم: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز بر فوق ثلاث.
(٧) صحيح مسلم: ٢٢٨٢/٤، رقم: ٢٩٧٠ .كتاب الزهد والرقائق.
(٨) في الشفاء: وفي حديث عمرو.
(٩) في الأصل: عمر بن الحارث.

إلاّ سلاحه، وبغلته، وأرضاً جعلها صدقة[١].

قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد مات ﷺ وما في بيته[٢] شيء يأكله ذو كبد، إلاّ شطر شعير في رفّ لي[٣]. وقال لي: «**إنّي عُرض عليّ أن تجعل[٤] لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا ربّ، أجوع يوماً وأشبع يوماً، فأمّا اليوم الذي أجوع فيه فأتضرّع إليك وأدعوك، وأمّا اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك**».

وفي حديث آخر: أنّ جبريل عليه السلام نزل عليه فقال: إنه الله يقرئك السلام ويقول لك: أتحبّ أن أجعل لك هذه الجبال ذهباً وتكون معك حيث ما كنت؟ فأطرق ساعة ثمّ قال: «**يا جبريل، إنّ الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، قد يجمعها من لا عقل له**» فقال له جبريل: ثبّتك الله يا محمّد بالقول الثّابت.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: [إن كنّا][٥] ـ آلَ محمد ـ لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً، إن هو إلاّ التمر والماء[٦].

وعن عبدالرحمٰن بن عوف رضي الله عنه: هلك رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير.

وعن عائشة، وأبي أمامة، وابن عبّاس نحوه. قال ابن عبّاس: كان ﷺ يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاوياً[٧]، لا يجدون عشاء[٨].

---

(١) صحيح البخاري: ١٨/٦، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.
(٢) في (ر): وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد... وفي صحيح البخاري: وما في رفّي من شيء.
(٣) صحيح البخاري: ١١٩/٨، باب فضل الفقر.
(٤) في الشفاء: أن يجعل لي بطحاء مكة.
(٥) في (ر) ما بين الحاصرتين ساقط.
(٦) صحيح مسلم: ٢٢٨٢/٤، رقم: ٢٩٧٢ .كتاب الزهد والرقائق.
(٧) في (ر): طويا.
(٨) صحيح البخاري: ١١٩/٩، باب فضل الفقر.

وعن أنس: ما أكل رسول الله ﷺ على خوان، ولا في سكرجة[(١)]، ولا خبز له مرقّق، ولا رأى شاة سمط[(٢)] قط[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إنّما كان فراشه ﷺ الذي ينام عليه أدمًا حشوه ليف[(٤)].

وعن حفصة[(٥)] رضي الله عنها قالت: كان فراش رسول الله ﷺ في بيتي مسحاً، نثنيه ثنيتين فينام عليه، فثنيناه ليلة بأربع، فلما أصبح قال: **«ما فرشتمولي الليلة؟»** فذكرنا ذلك له، فقال: **«ردّوه/ بحاله، فإنّ وطأته منعتني الليلة صلاتي»**. وكان ينام أحياناً على سرير مزمول[(٦)] بشريط حتّى تؤثر في جنبه.

٢٥٧/و

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يمتل[(٧)] جوف النبي ﷺ شبعاً قط، ولم يبثّ شكوى إلى أحد، وكانت الفاقة أحبّ إليه من الغنى، وإن كان ليظلّ جائعاً يلتوي طول ليلته من الجوع، فلا يمنعه صيام يومه، ولو شاء سأل ربّه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها.

---

(١) السّكرجة: ـ بضم السين والكاف والرّاء وقيل: بفتح الراء ـ: قصاع صغار يؤكل فيها.

(٢) في (ر): سميطاً.
السمط: قال في الصحاح: سمطت الجدي أسمطه: إذا نظفته من الشعر بالماء الحار لتشويه فهو سميط ومسمّط. مادة: سمط.

(٣) صحيح البخاري: ١٢١/٨، باب كيف كان عيش النبي ﷺ.

(٤) صحيح البخاري: ١٢١/٨، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا.

(٥) أم المؤمنين حفصة بنت عمر، وشقيقة عبدالله، وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب. كانت حفصة من المهاجرات. وكانت تحت خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي، فلما مات عنها تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، وتوفيت في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين.
● الاستيعاب: ١٨١١/٤، تر: ٣٢٩٧.

(٦) المزمول: قال في الصحاح: زمل سريره وأزمله إذا أزمل شريطاً أو غيره فجعله ظهراً له. مادة: زمل.
والشريط: حبل يفتل من خوص.

(٧) في الشفاء: لم يمتلىء.

ولقد كنت أبكي له رحمة ممّا أرى به، وأمسح بيدي على بطنه ممّا به من الجوع، وأقول: نفسي لك الفداء، لو تبلّغت من الدنيا بما يقوتك، فيقول: **«يا عائشة: ما لي وللدنيا؟ إخواني من أولي العزم من الرّسل صبروا على ما هو أشدّ من هذا، فمضوا على حالهم، فقدموا على ربّهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم، فأجدني أستحيي إن ترفّهت في معيشتي أن يقصّر فيّ غداً دونهم. وما من شيء هو أحبّ إليّ من اللّحوق بإخواني وأخلائي»**. قالت: فما أقام بعدُ إلاّ شهراً حتّى توفي، صلوات الله عليه وسلامه[1].

قال أبو الفضل عياض: فانظر سيرته ﷺ وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد، وفُتح عليه في حياته ﷺ بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب، وما داني[2] ذلك من الشام والعراق، وجلبت إليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلاّ بعضه، وهادته جماعة من ملوك الأقاليم، فما استأثر بشيء منه ولا أمسك درهماً منه، بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوّى به المسلمين.

وقال: **«ما يسرّني أن لي أحداً ذهباً يبيت عندي منه دينار، إلاّ دينار أرصده لديني»**. فأتته دنانير مرّة فقسمها، وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه، فلم يأخذه نوم حتّى قام وقسمها، وقال: **«الآن استرحت»**.

ومات ﷺ ودرعه مرهونة في نفقة عياله، واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه، وزهد فيما سواه، فكان ﷺ يلبس ما وجده، فيلبس في الغالب الشّملة والكساء الخشن[3] والبرد الغليظ، ويقسم على من حضره أقبية الدّيباج المخوضة[4] بالذّهب، ويرفع لمن لم يحضر. إذ المباهات[5] في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف،

---

(١) الشفاء: ١/١٧٩ ـ ١٨٤، بينهما خلاف.

(٢) في (ر): وما دنا بدل وما داني.

(٣) في (ر): الخضر غليظ.

(٤) في (ر): الخوّصة.

(٥) في (ر): المهابات.

والجلالة، وهي من سمات النّساء، والمحمود منها نقاوة الثوب، والتوسّط في جنسه، وكونه لبس مثله، غير مسقط لمروءة جنسه، مما لا يؤدي[1] الشهرة [في الطرفين][2].

ومن ملك الأرض وجبي إليه ما فيها، فترك ذلك زهداً وتنزيهاً، فهو حائز للفضل ومالك للفخرِ ومعرق في المدح، بإضرابه عن الدنيا وزهده فيما فيها وبذله في مظانه.

قلت: وكيف لا يكون زاهداً في الفاني، والجليل جلّ جلاله يقول في محكم كتابه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية[3]. وفي الآية الأخرى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ الآية[4].

وقال: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ الآية[5] إلى غير ذلك من الآي.

قلت: وقد قدّمنا كثيراً من الآثار في هذه الفصول الأخيرة، غير معزوة لناقليها، ثقة بأبي الفضل عياض رحمه الله، لمعرفته بعلم الحديث، ولأنّ معظمها في الصحيحين وفي الأمهات المشهورة معروفة، فلم نتكلف عزوها لذلك.

وروينا في جامع أبي عيسى التّرمذي، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثّر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك فراشاً[6]؟ فقال: «**ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلاّ كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**». وفي الباب عن ابن عمر

---

(١) في (ر): لا يؤدي الشهرة.

(٢) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) طه: ١٣١.

(٤) الحجر: ٨٨.

(٥) القصص: ٨٣.

(٦) في صحيح الترمذي: لو اتخذنا لك وطاء.

وابن عباس، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[1]. والأحاديث في زهده ﷺ وحضّه على الزهد في الدنيا كثيرة جدّاً.

فصل

٢٥٨/ظ قال أبو الفضل: وأمّا خوفه ﷺ من ربّه وطاعته له وشدة عبادته/، فعلى قدر علمه بربّه[2].

روى البخاري عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً»**[3].

زاد في روايتنا عن أبي عيسى التّرمذي، من رواية أبي ذرّ: **«إنّي لأرى[4] ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت[5] السّماء وحقّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلاّ وملك واضع جبهته ساجداً لله. والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذّذتم بالنّساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصّعدات تجأرون إلى الله. لوددت أنّي كنت شجرة تعضد»**.

قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح[6].

وفي الباب عن عائشة، وابن عباس، وأنس، قال التّرمذي: ويُروى من غير هذا الوجه أنّ أبا ذرّ قال: لوددت أنّي كنت شجرة تعضد[7].

---

(١) صحيح الترمذي: ٥٨٨/٤ ـ ٥٨٩، رقم: ٢٣٧٧، كتاب الزهد، باب ٤٤.

(٢) الشفاء: ١٨٤/١.

(٣) صحيح البخاري: ١٦٢/٨، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ.

(٤) في صحيح التّرمذي: إنّي أرى ما لا ترون.

(٥) أطّ، يئطّ أطيطاً وأطّاً: صوت. يقال: أطت الإبل: أنّت من تعب أو ثقل حمل أو حنين.
● المعجم الوسيط: مادة: أطّ.

(٦) صحيح الترمذي: ٥٥٦/٤، رقم: ٢٣١٢، كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ: **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً»**.

(٧) صحيح الترمذي: ٥٥٦/٤، رقم: ٢٣١٢، كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ: **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً»**.

قال عياض: وهو أصح أنّه من قول أبي ذرّ. وفي حديث المغيرة، رضي الله عنه ﷺ: حتّى انتفخت قدماه.

وفي رواية: كان ﷺ يصلّي حتّى ترم[1] قدماه[2]، فقيل له: أتكلّف هذا وقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: **«أفلا أكون عبداً شكوراً»**[3]. ونحوه عن أبي سلمة، وأبي هريرة، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان عمل رسول الله ﷺ ديمة. وأيّكم يطيق ما كان يطيق؟ وقالت: كان يصوم حتّى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم. ونحوه عن ابن عباس، وأم سلمة، وأنس، وقال: كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلاّ رأيته مصلياً، ولا نائماً إلاّ رأيته نائماً[4].

وقال عوف بن مالك، رضي الله عنه: كنت مع رسول الله ﷺ ليلة، فاستاك ثم توضّأ ثم قام يصلّي، فقمت معه، فبدأ فاستفتح البقرة، فلا يمرّ بآية رحمة إلاّ وقف فسأل، ولا يمرّ بآية عذاب إلاّ وقف فتعوّذ، ثم ركع فمكث بقدر قيامه، يقول: **«سبحان ذي الجبروت والملكوت[5] والعظمة»**. ثم سجد، وقال مثل ذلك، ثم قام فقرأ آل عمران، ثم سورة[6] سورة، يفعل مثل ذلك.

قلت: وهذا الحديث رواه أبو داود، والنّسائي، والتّرمذي، في الشمائل[7].

---

(١) في (ر): تورّم قدمه. وفي صحيح البخاري: حتّى ترمّ أو تنتفخ قدماه.
(٢) صحيح البخاري: ١٢٤/٨، باب الرجاء مع الخوف.
(٣) صحيح البخاري: ٦٣/٢، باب قيام النبي ﷺ حتّى ترم قدماه.
(٤) صحيح البخاري: ٥٠/٣، باب صوم شعبان.
(٥) في سنن النسائي: **«سبحان ذي الجبروت والكبرياء والعظمة»**، وفي رواية: **«سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»**.
(٦) في سنن النسائي: ثم سورة، ثم سورة.
(٧) ● أ ـ سنن أبي داود: ٢٣١/١، رقم: ٨٧٣، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده.
● ب ـ سنن النّسائي: ٥٧٢/١ ـ ٥٧٣، رقم: ١١٣١، كتاب التطبيق، باب الدعاء في السجود. =

وعن حذيفة رضي الله عنه، مثله. قال: صلّيت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلّي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ، ثم رجع فجعل يقول: «**سبحان ربي العظيم**»، وكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: «**سمع الله لمن حمده**»، ثم قام طويلاً، قريباً ممّا ركع، ثم سجد فقال: «**سبحان ربي الأعلى**»، فكان سجوده قريباً من قيامه.

قال: وفي حديث جرير من الزيادة: «**سمع الله لمن حمده، ربّنا لكَ الحمد**». رواه مسلم واللفظ له، وأبو داود، والتّرمذي، والنّسائي، وابن ماجة[1].

وعن عليّ رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة قال: «﴿وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2]، ﴿إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[3] **اللهم أنت الملك، لا إله إلاّ أنت، أنت ربّي وأنا عبدك،**

= ● ج ـ الشمائل النبوية للترمذي: ١٦٥، رقم: ٢٦٧، باب ما جاء في صوم رسول الله ﷺ، اختصره وحققه، محمد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية عمان ـ مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة الثانية.

(١) ● أ ـ صحيح مسلم: ٥٣٦/١ ـ ٥٣٧، رقم: ٧٧٢ .كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل.
● ب ـ سنن أبي داود: ٢٣١/١، رقم: ٨٧٤ ـ كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده.
● ج ـ صحيح التّرمذي: ٤٨/٢، رقم: ٢٦٢، أبواب الصلاة، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود.
● د ـ سنن النّسائي: ٢٥٠/٢، رقم: ١٦٦٣، كتاب قيام الليل، باب تسوية القيام والركوع بعد الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين في صلاة الليل.
● هـ ـ سنن ابن ماجة: ٤٢٩/١، رقم: ١٣٥١، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل.

(٢) الأنعام: ٧٩، والآية تبتدىء: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾.

(٣) الأنعام: ١٦٢، ١٦٣. والآية بدايتها: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى﴾.

ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً، إنّه لا يغفر الذّنوب إلاّ أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلاّ أنت، واصرف عنّي سيئها، لا يصرف عنّي سيئها إلاّ أنت، لبيك، وسعديك، والخير كلّه في يديك، والشرّ ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك».

وإذا ركع قال: «**اللهم لك ركعت، وبك أمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري، ومخّي وعظمي**[1] **وعصبي**»، وإذا رفع قال: «**اللهم ربنا لك [الحمد]**[2] **ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت**[3] **بعد**». وإذا سجد قال: «**اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت. سجد وجهي للذي خلقه وصوّره وشقّ سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين**». ثم يكون من آخر ما يقول بين التّشهد/ والتّسليم: «**اللهم اغفر لي ما قدمت، وما أخّرت، و[ما]**[2] **أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به منّي، أنت المقدّم، وأنت المؤخر، لا إله إلاّ أنت**»، رواه مسلم، واللفظ له، وأبو داود، والنّسائي[4]. ٢٥٩/و

قال عياض: وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة[5].

وروى مسلم، عن عبدالله بن الشّخير، رضي الله عنه، قال: أتيت النبي ﷺ وهو يصلّي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل[6].

---

(١) في (ر): وعظامي.

(٢) في (ر) ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) في صحيح مسلم: «**وملء ما شئت من شيء بعد**».

(٤) ● أ ـ صحيح مسلم: ٥٣٥/١ ـ ٥٣٦، رقم: ٧٧١ .كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

● ب ـ سنن أبي داود: ٢٢٣/١، رقم: ٨٤٦، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع.

● ج ـ سنن النسائي: ٥٦٩/١ ـ ٥٧٠، رقم: ١١٢٥، كتاب التطبيق، باب الدعاء في السجود: ٦٧.

(٥) في (ر): ليلته.

(٦) عدت إلى صحيح مسلم فلم أجد هذا الحديث.

قلت: ولفظ أبي داود عن عبدالله بن الشخّير، رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ يصلّي وفي صدره أزيز كأزيز الرّحا من البكاء[1].

قال ابن عطية: ومنه أزيز القدر، وهو غليانه.

قال ابن أبي هالة: كان النبي ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة.

قال أبو الفضل: وعن عليّ، رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ عن سنّته فقال: «**المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحبّ أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنسي**[2]**، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزّهد حرفتي، واليقين قوتي، والصّدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرّة عيني**[3] **في الصلاة**».

وفي حديث آخر: «**وثمرة فؤادي في ذكره، وغمّي لأجل أمتي، وشوقي إلى ربّي**».

فصل

قال أبو الفضل عياض رحمه الله تعالى: اعلم وفّقني الله وإياك، أنّ صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم، من كمال الخلق، وحسن الصورة، وشرف النّسب، وحسن الخلق، وجميع المحاسن، هي هذه الصفات، لأنها صفات الكمال، ولكن فضّل الله[4] بعضهم [على بعض][5].

وفي ذلك آثار [كثيرة][6] مذكورة في المطولات.

---

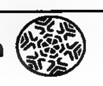
(١) سنن أبي داود: ٢٣٨/١، رقم: ٩٠٤، كتاب الصلاة، باب البكاء في الصلاة.
(٢) في (ر) وكذا في الشفاء: «**وذكر الله أنيسي**».
(٣) الشفاء: ١٨٧/١ ـ ١٨٨، بينهما خلاف.
(٤) في (ر): فضل بعضهم على بعض.
(٥) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٦) في (ر) ما بين الحاصرتين ساقط.

وحكى الترمذي، عن قتادة، ورواه الدارقطني، من حديث قتادة، عن أنس، رضي الله عنه، قال: ما بعث الله نبياً إلاّ حسن الوجه، حسن الصوت، وكان نبيّنا ﷺ أحسنهم وجهاً، وأحسنهم صوتاً[1]. [صلّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين][2].



(١) ● أ ـ الشفاء: ١/١٨٨ ـ ١٩٠، بينهما خلاف.
● ب ـ مختصر الشمائل المحمدية: ١٦٨، رقم: ٢٧٤.

(٢) في (ر) ما بين الحاصرتين ساقط.

 باب في فرض الإيمان به ﷺ، ووجوب طاعته وما روي عن السلف من محبتهم له وتعظيمهم لأمره ﷺ [وشرف][1]

وإذا تقرّر ما قدمناه، من آياته، وباهر معجزاته، وثبوت نبوءته، وصحة رسالته ﷺ، وجب الإيمان به، والتّصديق بما جاء به، وإذا وجب الإيمان به، وجبت طاعته في جميع ما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2].

وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ: «**إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[3].

وفي حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**كلّ[4] أمتي يدخلون الجنّة إلاّ من أبى**». قالوا[5]: ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني فقد[6] دخل الجنّة، ومن عصاني فقد أبى**»[7].

وفي الحديث[8] الآخر عنه ﷺ، قال[9]: «**مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم إنّي رأيت الجيش بعينيّ، وإنّي أنا النّذير العريان، فالنجا النجا. فأطاعته[10] طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على**

---

(١) في (ر) ما بين الحاصرتين ساقط.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) صحيح البخاري: ١١٧/٩، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

(٤) في (ر): كان أمتي.

(٥) في صحيح البخاري: قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟

(٦) في صحيح البخاري: «**من أطاعني دخل الجنّة**».

(٧) صحيح البخاري: ١١٤/٩، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

(٨) في (ر): وفي حديث آخر.

(٩) في صحيح البخاري: «**إنّما مثلي ومثل ما بعثني الله به**».

(١٠) في صحيح البخاري: «**فأطاعه طائفة**».

مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم[(١)]، فذلك مثل من أطاعني واتّبع[(٢)] ما جئت به، ومثل من عصاني وكذّب بما جئت به من الحق»[(٣)].

قال عياض رحمه الله تعالى: وروي عنه ﷺ أنه قال: «**[القرآن][(٤)] صعب مستصعب على من كرهه، وهو الحكم، فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه، جاء مع القرآن، ومن تهاون بالقرآن وحديثي، خسر الدنيا والآخرة. أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا أمري ويتّبعوا سنّتي، فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن. قال الله تعالى:** ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾» الآية[(٥)].

وقال عليه [الصلاة][(٧)] والسّلام: «**من اقتدى بي فهو منّي، ومن رغب عن سنّتي فليس مني**».

وقال ﷺ: «**إنّ الله يدخل العبد الجنّة بالسّنة يتمسّك بها**»[(٦)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**المتمسك بسنّتي عند فساد أمّتي له أجر مائة شهيد**».

وقال أبيّ بن كعب رضي الله عنه: عليكم/ بالسبيل والسنّة فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنّة، وذكر[(٧)] الله تعالى ففاضت عيناه من خشية ربّه، فيعذبه الله أبداً، وما على الأرض من عبد على السبيل والسّنة ذكر الله في نفسه فاقشعرّ جلده من خشية الله تعالى، إلاّ كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها، فهي كذلك إذا أصابتها ريح شديدة فتحاتّ عنها ٢٦٠/ظ

---

(١) في (ر): وأحاجهم.
(٢) في صحيح البخاري: فاتّبع ما جئت به.
(٣) في صحيح البخاري: ٩/١١٥، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.
(٤) في الأصل ما بين الحاصرتين ناقص.
(٥) الحشر: ٧.
(٦) الشفاء: ٢/٥٥١ ـ ٥٥٣، بينهما خلاف.
(٧) في الشفاء: ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه.

ورقُها، إلاّ حطّ الله عنه خطاياه كما تحاتّ عن الشجرة ورقها، وإنّ اقتصاداً في سبيل وسنّة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنّة.

وحكي عن أحمد بن حنبل قال: كنت يوماً مع جماعة تجردّوا ودخلوا الماء، فاستعملت الحديث: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلاّ بمئزر**» ولم أتجرّد، فرأيت تلك الليلة قائلاً يقول لي: يا أحمد أبشر، فإنّ الله قد غفر لك باستعمالك السّنة، وجعلك إماماً يقتدى بك، قلت: من أنت؟ قال: جبريل[1].

قلت: ولا تزال [بركاته، وآياته ﷺ، تظهر لمتّبع سنّته، فضلاً من الله سبحانه ورحمة بأوليائه][2] المتّبعين لكتابه وسنّة نبيّه ﷺ.

فقد روى أبو داود، عن سعيد بن عبدالعزيز[3]، قال: لما كان أيام الحرة، لم يؤذَّنْ في مسجد النبي ﷺ ثلاثاً ولم يقم، ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة من قبر النبي صلى الله [عليه وسلم][4].

وروي أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من أهلي ومالي، وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك، وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعتَ مع النبيين، وإن دخلتُها لا أراك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ

---

(١) الشفاء: ٢/٥٥٣ ـ ٥٥٩ بينهما خلاف.

(٢) في (ر) ما بين الحاصرتين ساقط.

(٣) سعيد بن عبدالعزيز: أبو محمد التنوخي الدمشقي، ولد سنة تسعين [٩٠] وأخذ عن علماء كبار كعطاء، والزهري، ونافع، وقتادة، وحدث عند ابن المبارك، وابن مهدي، وعبدالرزاق، وآخرون. توفي سنة ١٦٧.
● تذكرة الحفاظ: ١/٢١٩، ترجمة: ٢٠٥.

(٤) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
● عدت إلى سنن أبي داود فلم أجد الحديث فيه، ووجدته في سنن الدارمي ١/٥٦ ـ ٥٧، رقم: ٩٣. باب ما أكرم الله تعالى نبيه بعد موته.

أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا . . ﴾[1].

فدعا به فقرأها عليه[2].

فصل

فيما روي عن السلف [الصالح][3] والأئمة من محبتهم للنبي ﷺ

روى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ النّبي ﷺ قال: «**من**[4] **أشدّ أمّتي لي حبّاً**[5] **من يكونون**[6] **بعدي، يودّ أحدهم لو رآني بأهله وماله**»[7] ومثله عن أبي ذرّ.

قال عياض: وعن عبدة[8] بنت خالد بن معدان قالت: ما كان خالد يأوي إلى فراش إلاّ وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه، من المهاجرين والأنصار، يسمّيهم ويقول: هم أَصْلي وفصلي، وإليهم يحنّ قلبي، طال شوقي إليهم، فعجّلْ ربّي قبضي إليك. حتّى يغلبه النّوم.

---

(١) النساء: ٦٩.

(٢) الشفاء: ٥٦٦/٢.

(٣) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٤) في (ر): قال: «**أشد أمتي حباً لي يكونون بعدي**».

(٥) في الأصل: حبانا لي.

(٦) في صحيح مسلم: «**من أشدّ أمتي لي حباً أناس يكونون بعدي**».

(٧) صحيح مسلم: ٢١٧٨/٤، رقم: ٢٨٣٢ .كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فيمن يودّ رؤية النبي ﷺ بأهله وماله.

(٨) في أعلام النّساء: عبيدة بنت خالد بن صفوان، روت عن أبيها، وروى عنها أهل الشام.

- أ ـ أعلام النّساء في عالمي العرب والإسلام: ٢٤٢/٣، لعمر ضا كحالة.
- ب ـ في الشفاء: ٥٦٧/٢ ـ ٥٦٨.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالواحد[1] بن أبي عون، عن إسماعيل[2] بن محمد بن أبي[3] وقّاص قال: مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار[4] وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تحبّين. قالت: أرونيه حتّى أنظر إليه[5]، فأشير لها إليه، حتّى إذا رأته قالت: كلّ مصيبة بعدك جلل[6]! تريد صغيرة.

قال ابن هشام: الجلل[7] من القليل والكثير، وهو هنا من القليل[8].

قال عياض: وعن زيد بن أسلم[9] قال: خرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرس[10]، فرأى مصباحاً في بيت، وإذا عجوز تنفش صوفاً وتقول [من الرجز]:

على محمد صلاة الأبرار ... صلّى عليه الطيبون الأخيار

---

(١) عبدالواحد بن أبي عون مولى الأزد مدني، صدوق، يخطىء، توفي سنة ٤٤.
● تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ٣٧١/١، رقم: ٤٣٦٨، دار الفكر، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري، أبو محمد ـ من صغار التابعين ـ إمام ثبت، حجة، من فقهاء المدينة. توفي سنة ١٣٤.
● سير أعلام النبلاء: ١٢٨/٦، تر: ٤٠.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: محمد بن سعد بن أبي وقاص.

(٤) بنو دينار: بطن من النجار، من الخزرج، من القحطانية، وهم بنو دينار بن النجار.
● نهاية الأرب: ٢٣٦، ترجمة: ٨٧٣.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام: قال: فأشير لها إليه.

(٦) في (ر): جليل.

(٧) في السيرة النبوية لابن هشام: الجلل يكون من القليل ومن الكثير.

(٨) السيرة النبوية لابن هشام: ٩٩/٢.

(٩) زيد بن أسلم أبو عبدالله العمري المدني. روى عن مولاه عبدالله بن عمر، وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وغيرهم، وروى عنه مالك بن أنس، والسفيانان. وخلق سواهم. توفي سنة ١٣٦.
● تذكرة الحفّاظ: ١٣٢/١، تر: ١١٨.

(١٠) في الشفاء: يحرس النّاس فرأى.

قد كنت قوّاماً بكاء[1] بالأسحار   يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي ﷺ، فجلس عمر يبكي. وفي الحكاية طول.

ويروى أنّ امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: اكشفي لي[2] قبر النبي ﷺ، فكشفته لها، فبكت حتّى ماتت[3].

فصل

في علامات محبته ﷺ

قال عياض: اعلم أنّ من أحبّ شيئاً آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبّه، وكان مدّعياً[4].

قلت: وكذلك من ادّعى حبّ الله تعالى ولم يطعه كان مدعياً، كما قيل [من الكامل]:

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه   هذا محال في القياس بديع
لو كان حبّك صادقاً لأطعته   إنّ المحبّ للمحبّ مطيع

قال عياض: فالصّادق/ في حبّ النّبي ﷺ من تظهر علامات ذلك عليه، وأولها: الاقتداء به، واستعمال سنّته، واتّباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتّأدّب بآدابه، في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه. ٢٦١/و

وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[5].

---

(١) في الأصل: بكّا.
(٢) في الأصل: و(ر): اكشف لي قبر النبي ﷺ.
(٣) الشفاء: ٢/٥٦٩ ـ ٥٧٠، بينهما خلاف.
(٤) الشفاء: ٢/٥٧١.
(٥) آل عمران: ٣١.

وإيثار ما شرعه وحضّ عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(١).

وإسخاط العباد في رضا الله تعالى(٢).

روينا في كتاب الترمذي، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال لي النبي ﷺ: **«يا بني، إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غشّ لأحد فافعل»**. ثم قال لي: **«يا بني، وذلك من سنّتي، ومن أحيى سنّتي فقد أحبّني، ومن أحبّني كان معي في الجنّة»**(٣).

فمن اتّصف بهذه الصفات فهو كامل المحبّة لله ورسوله، ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبّة، ولا يخرج عن اسمها، ودليله قوله عليه [الصلاة](٤) والسّلام للّذي حدّه في الخمر فلعنه بعضهم وقال: ما أكثر ما يؤتى به!! فقال ﷺ: **«لا تلعنه، فإنه يحبّ الله ورسوله»**(٥).

ومن علامات محبّته ﷺ كثرة ذكره له، فمن أحبّ شيئاً أكثر من ذكره.

ومنها كثرة شوقه إلى لقائه، فكل حبيب يحبّ لقاء حبيبه.

وفي حديث الأشعريّين عند قدومهم المدينة: أنهم كانوا يرتجزون:

غـداً نـلـقـى الأحـبـة.. مـحـمـداً وصـحـبـه(٦)

---

(١) الحشر: ٩.
(٢) الشفاء: ٥٧١/٢.
(٣) صحيح الترمذي: ٤٦/٥، رقم: ٢٦٧٨، كتاب العلم، باب ١٦، ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع.
(٤) في الأصل ما بين الحاصرتين غير وارد.
(٥) هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه: ١٩٧/٨، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود. باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج عن الملة.
(٦) الشفاء: ٥٧٢/٢ ـ ٥٧٣.

ولما احتضر بلال رضي الله عنه، نادته امرأته: واحزناه، فقال هو: واطرباه، غداً نلقى الأحبّة.. محمداً وحزبه[1].

ومثله قال عمّار قبل قتله [من الطويل]:

سرى البرق من أعلام طيبة بارقاً فذكّر قلباً لا يزال مشوّقا
تذّكرت أرضاً في ثراها محمد ففاضت دموع العين تنهل سبقا
ذكرت حبيباً كان في القلب ساكناً فأورثني ذكر الحبيب تشوّقا[2]

ومن علامات محبّته مع كثرة ذكره: تعظيمه[3] له وتوقيره عند ذكره وإظهار الخشوع والانكماش عند سماع اسمه.

قال إسحاق[4] التجيبي: كان أصحاب النبي ﷺ بعده لا يذكرونه إلاّ خشعوا واقشعرّت جلودهم وبكوا، وكذلك كثير من التابعين، منهم من يفعل ذلك محبّة وشوقاً إليه، ومنهم من يفعله تهيّباً وتوقيراً.

ومنها محبّته لمن هو بسببه، من آل بيته وصحابته، وعداوة من عاداهم، وبغض من أبغضهم.

ومنها حبّه للقرآن، والتّخلّق به. وقد قالت عائشة رضي الله عنها في الحديث الصحيح: كان ﷺ خلقه القرآن.

وحبّه القرآن: تلاوته[5]، وتفهمه، والعمل به. ويحبّ سنّته، ويقف عند حدودها.

---

(١) الشفاء: ٥٦٩/٢.
(٢) في (ر): كتب هذا البيت الثالث مرّتين.
(٣) في الأصل: تعظيماً له وتوقير عند ذكره.
(٤) إسحاق التجيبي: أبو نعيم إسحاق بن الفرات فقيه الديار المصرية في زمانه. تتلمذ على الإمام مالك بن أنس قال الإمام الشافعي: ما رأيت أحداً أعلم باختلاف العلماء من إسحاق بن الفرات. ولد إسحاق سنة ١٣٥، وتوفي سنة ٢٠٤.
● سير أعلام النبلاء: ٥٠٣/٩، تر: ١٩١.
(٥) في الأصل: وتلاوته.

قال سهل[1] بن عبدالله: علامة حبّ الله حبّ القرآن، وعلامة حبّ الله وحبّ القرآن حبّ النبي ﷺ، وعلامة حبّ النبي ﷺ حبّ السّنة، وعلامة حبّ السّنة حبّ الآخرة، وعلامة حبّ الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا ألاّ يدّخر[2] منها إلاّ زاداً أو بلغة إلى الآخرة.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يسأل أحد عن نفسه إلاّ القرآن، فإن كان يحبّ القرآن فهو يحبّ الله ورسوله.

ومن علامات حبّه للنّبي ﷺ: شفقته على أمّته، ونصحه لهم، وسعيه في مصالحهم، ورفع المضارّ عنهم، كما كان ﷺ بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً.

ومن علامات تمام محبّته: زهد مدّعيها في الدّنيا، وإيثاره الفقر واتصافه به.

وقد قال ﷺ لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه: إنّ الفقر إلى من يحبّني منكم أسرع من السّيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله.

وروى التّرمذي عن عبدالله بن مغفّل[3] رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، والله إنّي لأحبّك، فقال: «**انظر ماذا تقول؟**» قال: والله إنّي لأحبّك، ثلاث مرات، قال: «**إن كنت تحبّني فأعدّ للفقر تجفافاً**[4]**، فإنّ**

---

(١) سهل بن عبدالله بن يونس التستري، أبو محمد، أحد الأئمة الصوفية، ولد سنة ٢٠٠ وتوفي ٢٨٣، وتُستر، بلدة من كور الأهواز من خوزستان، وبها قبر البراء بن عازب الصّحابي المعروف.
- وفيات الأعيان: ٤٢٩/٢، تر: ٢٨١.

(٢) في (ر): إلاّ زاداً وبلغة، وكذا في الشفاء.

(٣) أبو سعيد، وقيل أبو عبدالرحمٰن أو أبو زياد، عبدالله بن مغفل بن عبد غنم المزني، كان من الأصحاب الذين بايعوا تحت الشجرة. وكان يرفع أغصان الشجرة، عن وجه رسول الله ﷺ وهو يخطب، توفي بالبصرة سنة ستين.
- الاستيعاب: ٩٩٦/٣، تر: ١٦٦٧.

(٤) التّجفاف: ـ بكسر التّاء ـ ما يلبسه المحارب كالدرع. وشيء يجلّل به الفرس من سلاح وآلة يقيانه الجراح في الحرب.
- المعجم الوسيط: مادة: جفّ.

ويروى جلباباً وهو الإزار، والمعنى: رفض الدنيا والزهد فيها والصبر على الفقر.

الفقر أسرع إلى من يحبّني من السيل إلى منتهاه»[١].

وحكى الإمام [أبو القاسم القشيري[٢]، رحمه الله تعالى: أنّ عمرو بن الليث[٣] ـ أحد الملوك بخراسان ـ المعروف بالصّفار][٤] رئي في النّوم/ فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، فقيل: بماذا؟ قال: صعدت ذروة جبل فأشرفت على جنودي، فأعجبتني كثرتهم، فتمنّيت أنّي حضرت رسول الله ﷺ فأعنته ونصرته، فشكر الله لي ذلك وغفر لي.

٢٦٢/ظ

فصل

قال عياض رحمه الله تعالى: واعلم أنّ حرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيرَه وتعظيمَه لازم كما كان في حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه وسنّته، وسماع اسمه وسيرته ومعاملات أهله وعشيرته، وتعظيم أهل بيته وصحابته[٥].

قال مالك: حجّ أيوب[٦] السّختياني حجّتين، فكنت أرمقه[٧]، فلا

---

(١) ● أ ـ الشفاء: ٥٧٣/٢ ـ ٥٧٧، بينهما خلاف.
● ب ـ صحيح الترمذي: ٥٧٦/٤ ـ ٥٧٧، رقم: ٢٣٥٠، كتاب الزهد، باب ٣٦، ما جاء في فضل الفقر.

(٢) أبو القاسم القشيري: عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة النيسابوري القشيري نسبة إلى قشير بن كعب بن عامر بن صعصعة، كان شيخ خراسان في عصره، زهداً وعلماً. كان السلطان ألب أرسلان يكرمه ولد سنة ٣٧٦، وتوفي سنة ٤٦٥.
● لبّ اللباب في تحرير الأنساب، للسيوطي: ١٨١/٢، تر: ٣٢١٨.

(٣) عمرو بن الليث بن الصفار ثاني أمراء الدولة الصفارية، وأحد الشجعان الدهاة، تولّى الحكم بعد أخيه يعقوب بن الليث مؤسس الدولة الصفارية بخراسان وأصبهان وسجستان والسند وكرمان، توفي سنة ٢٨٩.
● وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤٢١/٦، ترك ٣٥١.

(٤) في الأصل ما بين الحاصرتين مخروم.

(٥) الشفاء: ٥٩٥/٢.

(٦) أيوب السختياني: أبو بكر بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، الإمام الحافظ، الثقة، حجّ أربعين حجّة، وكان يقوم الليل كله، توفي في الطاعون سنة ١٣١، وله ٦٣ سنة من العمر.
● تذكرة الحفاظ: ١٣٠/١، تر: ١١٩.

(٧) في الشفاء: أرمقه ولا أسمع منه.

أسمع منه غير أنّه إذا ذُكر النّبي ﷺ بكى حتّى أرحمه، فلّما رأيت منه ما رأيت وإجلالَه للنبي ﷺ كتبت عنه.

وقال مصعب[1] بن عبدالله، كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ عنده يتغير لونه وينحني، حتّى يصعب ذلك على جلسائه. فقيل له يوماً في ذلك فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليّ ما ترون. لقد كنت أرى محمد بن المنكدر، وكان سيد القرّاء، لا يكاد[2] تسأله عن حديث أبداً إلاّ يبكي حتّى ترحمه[3]، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد[4] وكان كثير الدّعابة والتّبسّم، فإذا ذكر عنده النّبي ﷺ اصفرّ، وما رأيته يحدّث عن رسول الله ﷺ إلاّ على طهارة، ولقد اختلفت إليه زماناً، فما كنت أراه إلاّ على ثلاث خصال: إمّا مصلياً، وإمّا صامتاً، وإمّا يقرأ القرآن، ولا يتكلم إلا فيما يعنيه، وكان من العلماء والعبّاد الذين يخشون الله عزَّ وجلَّ.

ولقد كان عبدالرحمٰن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فينظر إلى لونه كأنّه نزف منه الدّم، وقد جفّ لسانه في فمه، هيبة لرسول الله ﷺ.

ولقد كنت آتي عامر[5] بن عبدالله بن الزبير، فإذا ذكر عنده النّبي ﷺ بكى حتّى لا يبقى في عينيه دموع.

ولقد رأيت الزّهري، وكان من أهنأ النّاس وأقربهم[6]، فإذا ذكر

---

(١) مصعب بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير أبو عبدالله، ولد بالمدينة سنة ١٥٦، كان علامة بالأنساب، غزير المعرفة بالتاريخ، ثقة في الحديث، شاعراً، سكن بغداد وبها توفي سنة ٢٣٦، له كتاب نسب قريش.
● الأعلام للزركلي: ١٥٠/٨.

(٢) في الشفاء: لا نكاد نسأله.

(٣) في الشفاء: حتّى نرحمه.

(٤) في الشفاء: جعفر بن محمد الصادق.

(٥) عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوام، أبو الحارث الأسدي المدني، أحد العبّاد الربّانيّين، سمع أباه، وعمرو بن سليم، وغيرهما، وأخذ عنه ابن جريج، والإمام مالك، وغيرهما توفي سنة وعشرين ومائة.
● سير أعلام النّبلاء: ٥١٩/٥، تر: ٩٠.

(٦) في (ر): وكان من أهنا الناس، أقربهم.

عنده النبي ﷺ فكأنّه ما عرفك ولا عرفته.

ولقد كنت آتي صفوان[١] بن سليم، وكان من المتعبّدين المجتهدين، فإذا ذُكر النبي ﷺ بكى، فلا يزال يبكي حتّى يقوم الناس عنه ويتركونه[٢].

وكان ابن سيرين ربّما يضحك، فإذا ذكر عنده حديث النبي ﷺ خشع.

وكان عبدالرحمٰن بن مهدي[٣] إذا قرأ حديث النبي ﷺ أمرهم بالسكوت وقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[٤]، ويتأوّل أنّه يجب له ﷺ من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عن سماع قوله[٥]...

قال عبدالله بن المبارك[٦]: كنت عند مالك وهو يحدّثنا، فلدغته عقرب ست عشرة مرّة، وهو يتغيّر لونه ويصفرُّ ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ، فلمّا فرغ من المجلس وتفرّق عنه الناس قلت له: يا أبا عبدالله، لقد رأيت اليوم منك عجباً، قال: نعم، إنّما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ[٧].

---

(١) صفوان بن سليم، أبو عبدالله، وقيل أبو الحارث، الإمام الزهري، مولاهم المدني الفقيه، قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: ثقة من خيار عباد الله تعالى يستنزل بذكره القطر، توفي في صفر سنة ١٣٢.
- تذكرة الحفاظ: ١٣٤/١، تر: ١٢٠.

(٢) في (د): ويتركوه.

(٣) عبدالرحمٰن بن مهدي بن حسان، أبو سعيد البصري، مولى الأزد، مولده سنة ١٣٥، الإمام الحافظ قال: القواريري: أملى علي ابن مهدي عشرين ألف حديث حفظاً. توفي في جمادى الأخيرة سنة ١٩٨.
- تذكرة الحفاظ ٣٢٩/١، تر: ٣١٣.

(٤) الحجرات: ٢.

(٥) الشفاء: ٥٩٦/٢ ـ ٥٩٩.

(٦) عبدالله بن المبارك، أبو عبدالرحمٰن بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي المروزي الحافظ، أفنى حياته في الأسفار، حاجاً، مجاهداً، تاجراً، جمع بين الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، من سكان خراسان، وكانت ولادته سنة ١١٨، وتوفي بعد انصرافه من غزو الروم سنة ١٨١.
- الأعلام للزركلي: ٢٥٦/٤.

(٧) الشفاء: ٦٠٢/٢ ـ ٦٠٣.

قلت: وهذه كرامة لمالك رحمه الله تعالى، لاتّباعه السّنة وتوقيره لحديث رسول الله ﷺ، فرفع الله عنه أذى العقرب، لأنّ من لدغته عقرب ولو مرّة واحدة يقاسي من الآلام ما شاء الله، وربّما قتلته، فكيف بمن تكرّر لدغها وترادف سمّها ست عشرة مرّة؟ فذلك شيء ليس هو في طاقة الإنسان لولا العناية الرّبانية وبركة رسول الله ﷺ.

كما صنع الله بأبي مسلم[1] [الخولاني][2]. فقد ذكر ابن القطّان وغيره أنّ الأسود الكذّاب العنسي كان باليمن فادّعى النّبوة، وبعث إلى أبي مسلم الخولاني رضي الله عنه فقال له: أتشهد أني رسول؟ قال: لا أسمع، قال: فتشهد أنّ محمداً رسول الله؟ قال: نعم، فأمر بنار فأُججت، ثم أمر بأبي مسلم فألقي فيها، فلم تضرّه، فقيل للعنسي: إن لم تنف هذا أفسد عليك من تبعك، فأمره بالرّحيل، فقدم أبو مسلم الخولاني المدينة وقد قُبض النبي ﷺ واستُخلِف أبو بكر رضي الله عنه، فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد ثم دخل المسجد [فقام يصلي إلى سارية من سواريه، فبصر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقام إليه فقال:][3] ممّن الرجل؟/ فقال: من أهل اليمن، قال: ما فعل الذي حرقه الكذّاب بالنّار؟ قال: ذاك عبد الله، قال: نشدتك بالله، أأنت هو؟ قال: اللهم نعم. ٢٦٣/و

فاعتنقه عمر رضي الله عنه ثم بكى، ثم ذهب به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر رضي الله عنه وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى أراني في أمّة محمد ﷺ من صنع به كما صنع بإبراهيم خليل الرحمٰن عليه السلام.

قلت: وقد روى هذا الحديث قاسم بن أصبغ[4] هكذا.

---

(١) أبو مسلم الخولاني، الفقيه الزاهد، ريحانة الشام، كان يقال له، حكيم هذه الأمة، له مناقب، وكرامات، روى عن عمر، ومعاذ، وغيرهما. وحدّث عنه أبو إدريس الخولاني، وعطاء، وطائفة. توفي قريباً من ٦٢.

● تذكرة الحفاظ: ٤٩/١، تر: ٢٥.

(٢) في الأصل ما بين الحاصرتين مخروم.

(٣) في الأصل ما بين الحاصرتين مخروم.

(٤) قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح أبو محمد محدّث الأندلس، =

وهذه وإن كانت كرامة لأبي مسلم، فهي معجزة للنبي ﷺ.

قال علماؤنا: كلّ كرامة لوليّ فهي معجزة للنّبي ﷺ، لأنّه إنّما حصلت له الكرامة باتّباعه للنّبي ﷺ.

ونظير هذه: ما رواه أبو داود، عن معاوية[1] بن حرمل، قال: وقعت في أيّام عمر رضي الله عنه نار بالحرّة، فأرسل إليها تميماً[2] الداريّ رضي الله عنه، فجعل يحوشها بردائه.

وفي رواية: يحوشها بيده، حتّى أدخلها في الغار الذي خرجت منه واقتحم على أثرها، وخرج ولم يضرّه شيء[3].

= الأموي، مولاهم القرطبي، سمع بالأندلس، ومكة، وبغداد، والكوفة، وصنّف سنناً على منوال سنن أستاذه أبي داود، وله مسند الإمام مالك، وكتاب الصحيح على منوال صحيح مسلم، وكتاب المنتقى في الآثار، توفي بقرطبة في جمادى الأولى سنة ٣٤٠.

● تذكرة الحفاظ: ٨٥٣/٢، تر: ٨٣١.

(١) معاوية بن حرمل: ذكره أبو حاتم الرّازي في كتابه الجرح والتعديل، باسمه واسم أبيه، ومعاوية بن حرمل وقال إنه روى عن... وروى عنه... وترك فراغاً، ولم يزد عن ذلك شيئاً.

● الجرح والتعديل: ٣٨٠/٨، تر: ١٧٤٤.

(٢) أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة، ينسب إلى الدار، وهو بطن من لخم، كان نصرانياً، وأسلم سنة تسع من الهجرة، كان يسكن المدينة ثم انتقل إلى الشام، فنزل بيت المقدس، روى له البخاري ثمانية عشر حديثاً. توفي بفلسطين سنة أربعين ٤٠.

● أ ـ الاستيعاب: ١٩٣/١، تر: ٢٣٥.

● ب ـ الأعلام: ٧١/٢.

(٣) عدت إلى سنن أبي داود فلم أجد هذا الأثر فيه.

● وقد أورد تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب السبكي في كتابه الطبقات هذا الأثر قال فيه: «منها قصة النار الخارجة من الجبل» كانت تخرج من كهف في جبل فتحرق ما أصابت، فخرجت في زمن عمر، فأمر أبا موسى الأشعري، أو تميماً الداري أن يدخلها الكهف، فجعل يحبسها بردائه حتى أدخلها الكهف، فلم تخرج بعد.

● طبقات الشافعية الكبرى: ٣٢٦/٢.

فصل

قال أبو الفضل عياض رحمه الله تعالى: ومن توقيره[1] ﷺ: توقير أصحابه، وبرّهم، ومعرفة حقّهم، والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والإمساك عمّا شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار بعض المؤرخين وجَهَلَة الرّواة وضُلاّل الشّيعة المبتدعين القادحة في أحد منهم، وأن يُلتمس لهم أحسن التأويلات[2]، ولا يُذكر أحد منهم بسوء، بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويُسكت عمّا وراء ذلك، كما قال ﷺ: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**».

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾[3] إلى آخر السورة.

وقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[5].

وقال سبحانه في حقهم: ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾[6]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

---

(١) في الشفاء: ومن توقيره وبرّه ﷺ.

(٢) في الشفاء: ويخرج لهم أصوب المخارج إذ هم أهل لذلك، ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمض عليه أمر بل.

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) التوبة: ١٠٠.

(٥) الفتح: ١٨.

(٦) الأحزاب: ٢٣. والآية تبدىء: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ﴾.

● الشفاء: ٢/٦١١ ـ ٦١٣.

قال أبو الفضل عياض: ومن إعظامه ﷺ وإكباره إعظام جميع أسبابه، وإكرام مشاهده وأمكنته، من مكّة والمدينة ومعاهده وما لمسه ﷺ [أو][1] عرف به.

وحدّثت أنّ أبا الفضل[2] الجوهري لما ورد المدينة زائراً وقرب من[3] بيوتها، ترجّل ومشى باكياً منشداً [من الطويل]:

ولمّا رأينا رسم من لم يدع لنا فؤاداً لعرفان الرّسول ولا لبّا
نزلنا على الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلمّ به ركبا[4]

وقلت متمّاً لهذين البيتين [من الطويل]:

وتهنا بأكناف الخيام تواجداً نقلّبها طوراً ونرشفها حبّا
ونبكي سروراً والفؤاد بحبّها تقطع والأكباد أورى بها لهبا
أقدّم رجلاً بعد رجل مهابة وأسحب خدّي في مواطنها سحبا
وأسكب دمعي في مناهل حبّها وأرسل حبّاً في مناكبها النّخبا
وأدعو دعاء الواله البائس الذي براه الهوى حتّى يرى شخصه شحبا[5]
وبعد صلاة الله تترى على الذي بدا نوره فأطفأ[6] الشمس والشهبا

وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول ﷺ أنشأ يقول مستهلاً [من الكامل]:

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.
(٢) أبو الفضل الجوهري: حاتم بن الليث البغدادي الجوهري ـ حافظ، ثقة، توفي سنة ٢٦٢.
● سير أعلام النبلاء: ٥١٩/١٢ ـ ٥٢٠، تر: ١٩٥.
(٣) في الأصل و(ر): وقرب بيوتها.
(٤) الشفاء: ٦١٩/٢ ـ ٦٢١، بينهما خلاف.
(٥) في الأصل: سحباً.
(٦) في (ر): فأطفأها، والوزن لا يستقيم وكذا المعنى.

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري[1] قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطي لنا بلغن محمداً فظهورهنّ على الرّجال حرام
قرّبتنا[2] من خير من وطىء الثّرى فلها علينا حرمة وذمام/ ٢٦٤/ظ

وحكي عن بعض المشائخ أنّه حجّ ماشياً، فقيل له في ذلك، فقال: العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكباً؟ لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي.

قال أبو الفضل رحمه الله تعالى: وجدير لمواطن عمّرت بالوحي والتّنزيل، وتردّدها[3] جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والرّوح، وضجّت عرصاتها بالتّقديس والتّسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيّد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنّة رسوله ما انتشر، مدارس آيات، ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضل[4] والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقف سيّد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيئين، حيث انفجرت النّبوة، وأين فاض عبابها، ومواطن طويت[5] فيها الرّسالة، وأوّل أرض مسّ جلد المصطفى ترابها، أن تعظّم عرصاتها، وتُنَسَّمُ[6] نفحاتها، وتقبّل ربوعها وجدرانها، ثم أنشد أبو الفضل [من الكامل]:

يا دار خير المرسلين ومن به هدي الأنام وخصّ بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة وتشوّق متوقّد الجمرات
وعليّ عهد إن ملأت محاجري من تكلم الجدرات[7] والعرصات

(١) في الشفاء: فلاح لناظر.
(٢) في الشفاء: قرّبتنا وفي (ر): قريبتنا.
(٣) في الشفاء: وتردّد بها.
(٤) في الشفاء: الفضائل و.
(٥) في الشفاء: ومواطن مهبط الرسالة.
(٦) في الشفاء: وتنسّم نفحاتها.
(٧) في الشفاء: الجدران.

لأعفّرنّ مصون شيبي بينها | من كثرة التّقبيل والرّشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها | أبداً ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي | لقطين تلك الدّار والجدرات[1]
أذكى[2] من المسك المفتّق نفحة[3] | تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصّه بزواكي الصلوات | ونوامي التّسليم والبركات[4]

وذكر النّووي[5] في الحلية، والباجي[6] في سنن الصالحين، عن العتبي[7] قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: السلام

---

(١) في الشفاء: والحجرات.
● في (ر): هذا البيت سقط.
(٢) في الشفاء: أزكى.
(٣) في الأصل: نفحته ـ والوزن لا يستقيم.
(٤) الشفاء: ٢/٦٢١ ـ ٦٢٤، بينهما خلاف.
(٥) النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف محيي الدين، علم الأولياء، وشيخ الإسلام، وصاحب التصانيف المفيدة، ولد سنة ٦٣١، أخذ عن علماء الشام، والمدينة المنورة، حتّى أصبح علامة في الفقه والحديث، له: تهذيب الأسماء واللغات، والمنهاج في شرح مسلم، وحلية الأبرار يعرف بالأذكار النووية، والأربعون حديثاً. توفي في رجب سنة ٦٧٦.
● تذكرة الحفّاظ: ٢/١٤٧٠، تر: ١١٦٢.
(٦) أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الأندلسي الباجي، نسبة إلى باجة، مدينة بقرب إشبيلية، ولد سنة ٤٠٣، رحل إلى المشرق سنة ٤٢٦، رحل إلى المشرق سنة ٤٢٦، وجاور بمكة ثلاثة أعوام، ثم ذهب إلى بغداد، فبقي بها ثلاث سنوات، ومدّة إقامته بالمشرق ثلاثة عشر عاماً. من مصنفاته: المنتقى في الفقه، وكتاب المعاني في شرح الموطأ في عشرين جزءاً، منقطع النظير توفي في رجب سنة ٤٧٤.
● أ ـ وفيات الأعيان: ٢/٤٠٨، تر: ٢٧٥.
● ب ـ تذكرة الحفاظ: ١/١١٧٨، تر: ١٠٢٧.
(٧) العتبي: أبو عبدالرحمٰن محمد بن عبيدالله بن عمرو بن معاوية القرشي الأموي، كان أديباً، شاعراً، مجيداً فاضلاً. له عدّة مؤلفات منها كتاب الخيل، وكتاب أشعار الأعاريب، وأشعار النّساء اللاتي أحببن ثم أبغضن. توفى سنة ٢٢٨.
● أ ـ وفيات الأعيان: ٤/٣٩٨، تر: ٦٦٣.
● ب ـ سير أعلام النبلاء: ١١/٩٦، تر: ٢٩.

عليك يا رسول الله، سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[١]، وقد جئتك مستعفياً من ذنوبي، مستغفراً إلى ربّي. ثم أنشأ يقول [من الطويل]:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم[٢]

ثم انصرف. فحملتني عيناي، فرأيت النبي ﷺ في النّوم. فقال لي: يا عتبي، الحق الأعرابي فبشّره أنّ الله تعالى قد غفر له.

هذا لفظ النووي. وعند الباجي: وقد جئتك مستغفراً من ذنوبي، مستشفعاً بك إلى ربّي.



(١) النساء: ٦٤.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ، لمحيي الدين النووي: ٣٠٨، تحقيق: أحمد راتب حموش، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣م.

باب[1] في ذكر مرض النبي ﷺ ووفاته وما أظهر الله سبحانه من كراماته، وباهر آياته وقوله الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ الآية[2]

روى البخاري عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: صلّى رسول الله ﷺ على قتلى أحد[3] صلاتَه على الميت بعد ثمان سنين، كالمودّع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: «**إنّي بين يديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإنّ موعدكم الحوض، وإنّي لأنظر إليه من مقامي هذا، وإنّي لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكن[4] أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها**». قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ[5].

قال ابن إسحاق: وكان أول ما ابتدىء[6] رسول الله ﷺ من المرض ـ فيما ذكر لي ـ أنّه خرج إلى بقيع الغرقد من جوف الليل فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلمّا أصبح ابتدىء بوجعه[7] من يومه ذلك.

وروى ابن إسحاق، بسنده عن أبي مويهبة[8] مولى رسول الله ﷺ، قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف/ الليل، فقال: «**يا أبا مويهبة، إنّي قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معي**» فانطلقت معه، فلمّا وقف بين أظهرهم قال: «**السلام عليكم يا أهل القبور...**»[9] الحديث.

٢٦٥/و

---

(١) في (ر): فصل في ذكر.

(٢) الزّمر: ٣٠.

(٣) في صحيح البخاري: صلّى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمان سنين.

(٤) في صحيح البخاري و(ر): «**ولكنّي أخشى عليكم الدّنيا**».

(٥) صحيح البخاري: ١٢٠/٥، باب غزوة أحد.

(٦) في السيرة النبوية لابن هشام: فكان أول ما ابتدىء به من ذلك ـ فيما ذكر لي ـ.

(٧) في الأصل: بوجهه.

(٨) أبو مويهبة: مولى رسول الله ﷺ. اشتراه فأعتقه. شهد غزوة المريسيع، وكان ممّن يقود جمل عائشة أمّ المؤمنين، روى عنه عبدالله بن عمرو بن العاص. وعبيد بن جبير.
● الاستيعاب: ١٧٦٤/٤، تر: ٣١٩٦.

(٩) في السيرة النبوية لابن هشام: «**يا أهل المقابر**».

وفيه: قال: ثم أقبل عليّ فقال: «**يا أبا مويهبة، إنّي قد أتيت مفاتح خزائن[1] الدنيا، والخلد فيها، ثم الجنّة، فخيّرت بين ذلك وبين لقاء ربّي والجنّة**» قال: فقلت: بأبي أنت وأمّي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثمّ الجنّة. قال: «**لا والله يا أبا مويهبة، ولقد اخترت لقاء ربّي والجنّة**» ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبضه الله[2] عزَّ وجلَّ فيه[3].

وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «**عبد خيّره الله[4] بأن يؤتيه الله من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده**»، فبكى أبو بكر[5] رضي الله عنه وقال: فديناك بآبائنا وأمّهاتنا. فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا[6].

وروى البخاري ومسلم ـ واللفظ لمسلم ـ عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: كنّ أزواج النبي ﷺ عنده، ولم[7] يغادر منهنّ واحدة، فأقبلت فاطمة رضي الله عنها[8] تمشي، ما تخطىء مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، فلمّا رآها رحّب بها فقال: «**مرحباً بابنتي**»، ثم أجلسها عن يمينه[9] وعن شماله، ثم سارّها فبكت بكاءً شديداً، فلما رأى جزعها سارّها الثانية

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام و(ر): «**مفاتيح خزائن الدنيا**».
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: قبضه الله فيه.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٤٢/٢.
(٤) في صحيح مسلم: «**خير الله أن يأتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده**».
(٥) في صحيح مسلم: فبكى أبو بكر فقال.
(٦) في صحيح مسلم: وكان أبو بكر أعلمنا به.
● أ ـ صحيح البخاري: ٢، ٤/٥، باب قول النبي ﷺ: «**سدّوا الأبواب إلاّ باب أبي بكر**».
● ب ـ صحيح مسلم ـ واللفظ له ـ ١٨٥٤/٤، رقم: ٢٣٨٢ .كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب فضائل أبي بكر الصدّيق.
(٧) في صحيح مسلم: لم يغادر منهن واحدة.
(٨) في صحيح مسلم: بدون ترضية.
(٩) في صحيح مسلم: عن يمينه أو عن شماله.

فضحكت، فقلت لها: خصّك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرّ[1] ثم أنت تبكين؟ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سرّه. قالت: فلمّا توفيّ رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحقّ لما حدّثتِني ما قال لك رسول الله ﷺ، فقالت: أمّا الآن فنعم. أمّا حين سارّني في المرّة الأولى، فأخبرني أنّ جبريل كان يعارضه القرآن في كلّ سنة مرّة، وأنّه عارضه العام[2] مرّتين: **«وإنّي لا أرى[3] الأجل إلاّ قد اقترب، فاتّقي الله واصبري، فإنّه نعم السّلف أنا لك»**. قالت: فبكيت بكائي الذي رأيتِ، فلمّا رأى جزعي سارّني الثانية فقال لي[4]: **«يا فاطمة، أما ترضين[5] أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيّدة نساء هذه الأمّة؟»**.

فقالت: فضحكت ضحكي الذي رأيتِ[6].

وفي طريق [آخر][7]: فقالت: فسارّني فأخبرني بموته فبكيت، ثم سارّني فأخبرني أنّي[8] أوّل من يتبعه من أهله فضحكت[9].

قال ابن القطان وغيره: ثم ماتت بعده رضي الله عنها، ولم تبق بعده إلاّ يسيراً. قيل: خمسة وسبعون يوماً، ـ وقيل: أكثر من ذلك، وأكثر ما قيل: ثمانية أشهر.

---

(١) في صحيح مسلم: بالسّرائر.
(٢) في صحيح مسلم: عارضه الآن مرتين.
(٣) في الأصل: **«وإنّي لأرى»**.
(٤) في صحيح مسلم: فقال: **«يا فاطمة»**.
(٥) في صحيح مسلم: **«أما ترضي»**.
(٦) ● أ ـ صحيح البخاري: ٢٦/٥، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام.
● ب ـ صحيح مسلم: ١٩٠٤/٤ ـ ١٩٠٥، رقم: ٢٤٤٩ .كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام.
(٧) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٨) في الأصل: أنّه أول.
(٩) صحيح البخاري: ٢٤٨/٤، باب علامات النبوة في الإسلام، ولفظه قريب من لفظ مسلم.

وفي صحيح مسلم، عن أبي موسى[1] الأشعري، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: إنّ الله عزَّ وجلَّ إذا أراد رحمة أمّة من عباده قبض نبّيها قبلها، فجعله فرطاً[2]، وسلفاً بين يديها، وإذا أراد هلكة أمّة عذّبها ونبّيها حيّ، فأهلكها وهو ينظر، فأقرّ عينه بهلكتها حين كذّبوه وعصوا أمره[3].

وروى مسلم من حديث عائشة، رضي الله عنها، في مرض رسول الله ﷺ قالت: ثقل رسول الله ﷺ فقال: **«أصلّى الناس؟»** فقلنا: لا وهم ينتظرونك يا رسول الله، قال: **«ضعوا لي ماء في المخضب»** ففعلنا، فاغتسل ثم ذهب، لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: **«أصلّى النّاس؟»** قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: **«ضعوا لي ماء في المخضب»** ففعلنا، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: **«أصلّى النّاس؟»** فقلنا: لا، وهم ينتظرونك[4]. والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الأخيرة. قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه[5] أن يصلي بالنّاس[6].

---

(١) أبو موسى الأشعري: عبدالله بن قيس بن سليم، قدم مكة فحالف سعيد بن العاص بن أمية، ثم أسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة، ولاّه عمر بن الخطاب البصرة سنة عشرين، ثم تولّى ولاية الكوفة، ولم يزل بها حتى قتل عثمان، وبعد التحكيم التحق بمكة وبقي بها إلى وفاته سنة ٤٢، وقيل غير ذلك.
● الاستيعاب: ١٧٦٢/٤، تر: ٣١٩٣.

(٢) في صحيح مسلم: فجعله لها فرطاً.
والفرط: الذي يتقدم الواردين فيهيىء لهم الأرسان والدلاء، ويمدر الحياض، ويستسقي لهم، ومنه قيل للطفل الميت: اللهم اجعله لنا فرطاً، أي أجراً يتقدّمنا حتّى نرد عليه. والمراد أنّه شفيع يتقدّمنا.
وأمّا الفُرُط ـ بضم الفاء والراء ـ فمجاوزة الحدّ ـ قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

(٣) صحيح مسلم: ١٧٩١/٤ ـ ١٧٩٢، رقم: ٢٢٨٨ .كتاب الفضائل، باب إذا أراد الله رحمة أمّة قبض نبيها قبلها.

(٤) في صحيح مسلم: يا رسول الله والناس عكوف.

(٥) في صحيح مسلم: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلّي بالناس.

(٦) صحيح مسلم: ٣١١/١ ـ ٣١٢، رقم: ٤١٨ .كتاب الفضائل، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما.

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه/ أنّ المسلمين بينا[1] هم في صلاة الفجر[2] يوم الإثنين وأبو بكر يصلّي بهم[3] الفجر، لم يفاجئهم إلاّ رسول الله ﷺ قد كشف سجف[4] حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسّم فضحك[5]، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصّفّ، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة. قال أنس[6]: وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم، فرحاً برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أنْ أتِمّوا صلاتكم. ثم دخل الحجرة وأرخى السّتر[7].

٢٦٦/ظ

ورواه مسلم عن أنس رضي الله عنه: [أنّ أبا بكر رضي الله عنه][8] كان يصلّي لهم في وجع رسول الله ﷺ الذي توفي فيه، حتّى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة، كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة، فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسّم رسول الله ﷺ ضاحكاً.

قال: فبهتنا ونحن في الصلاة، مِن فرحٍ بخروج رسول الله ﷺ، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصّفّ، وظنّ أنّ رسول الله ﷺ خارج للصلاة، فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده أنْ أتمّوا صلاتكم. قال: ثم دخل رسول الله ﷺ فأرخى السّتر. قال: فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك[9].

وروى البخاري: أنّ عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ

---

(١) في (ر): بينما هم.
(٢) في صحيح البخاري: من يوم الإثنين.
(٣) في صحيح البخاري: وأبو بكر يصلي لهم الفجر.
(٤) في صحيح البخاري: قد كشف ستر حجرة عائشة.
(٥) في صحيح البخاري: ثم تبسم يضحك.
(٦) في صحيح البخاري: فقال أنس.
(٧) في صحيح البخاري: ٦/١٥، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].
(٨) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(٩) صحيح مسلم: ٣١٥/١، رقم: ٤١٩ .كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما.

يقول[1] وهو صحيح: «**إنّه لم يقبض نبيّ قط حتّى يرى مقعده من الجنّة ثم يخيّر**»[2].

وفي رواية: «**حتّى يخيّر بين الدنيا والآخرة**». قالت: فلمّا اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي[3]، غُشِي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: «**اللهم في الرفيق الأعلى**» فقلت: إذن لا تجاورنا[4]، فعرفت أنّه حديثه الذي كان يحدّثنا. وهو صحيح[5].

وفي رواية: فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: «**لا إله إلاّ الله، إنّ للموت سكرات**» ثم نصب يديه[6] فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**» حتّى قُبِض ومالت يده[7].

وفي رواية ابن إسحاق قالت: كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول: «**بل الرفيق الأعلى من الجنة**». قالت: فقلت: إذاً والله لا يختارنا[8]. قالت: وقبض رسول الله ﷺ.

وروى أبو داود عن أنس رضي الله عنه، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة لعب الحبش بحرابهم فرحاً لقدومه ﷺ[9]، وقال: ما رأيت يوماً كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وما رأيت يوماً كان

---

(1) في صحيح البخاري: وهو صحيح يقول: إنه.
(2) في صحيح البخاري: ثم يحيا أو يخيّر.
(3) في صحيح البخاري: ورأسه على فخذ عائشة، غشي عليه.
● في الأصل: ورأسه على فخذه.
(4) في صحيح البخاري: إذا لا يجاورنا، وفي رواية: لا يختارنا.
(5) صحيح البخاري: ١٢/٦، باب مرض النبي ﷺ ووفاته: ١٨/٦ ـ ١٩، باب آخر ما تكلّم النبي ﷺ.
(6) في (ر): ثم نصب يده فجعل يقول: وكذا في صحيح البخاري.
(7) صحيح البخاري: ١٦/٦، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.
(8) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٥١/٢ ـ ٦٥٢.
(9) سنن أبي داود: ٢٨١/٢، رقم: ٤٩٢٣، كتاب الأدب، باب في النهي عن الغناء. ونص الحديث فيه: لما قدم النبي ﷺ المدينة لعبت الحبشة لقدومه فرحاً بذلك، لعبوا بحرابهم.

أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ[1].

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كلّ شيء، فلمّا كان[2] في اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ أظلم منها كلّ شيء، وما نفضنا[3] أيدينا عن التراب وإنّا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا[4].

ورواه ابن أبي شيبة فقال: ما رأيت يوماً... إلى آخره[5].

قال ابن القطان: وقال الحارث[6] بن عبدالله الجهني: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن، ولو أوقن[7] أنّه يموت ما فارقته، فانطلقت فأتاني حبر من الأحبار [فقال][8]: إنّ محمداً قد مات، قلت: متى؟ قال: اليوم. فلو أنّ عندي سلاحاً[9] لقاتلته. فلم ألبث إلاّ يسيراً حتّى وافاني كتاب أبي بكر رضي الله عنه يذكر: أنّ رسول الله ﷺ قد مات، وبايع النّاس لي خليفة من

---

(١) لم أجد هذا الحديث في أبي داود.

(٢) في صحيح الترمذي: فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم.

(٣) في صحيح الترمذي: ولما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي، وإنّا لفي دفنه.

(٤) صحيح الترمذي: ٥/٥٨٨ ـ ٥٨٩، رقم: ٣٦١٨، كتاب المناقب، باب ١ في فضل النبي ﷺ.

(٥) المصنف في الأحاديث والآثار، للحافظ عبدالله بن محمد بن أبي شيبة: ٧/٤٤٧، رقم: ١٧٤، كتاب الفضائل، باب ما أعطى الله تعالى محمداً ﷺ، رتب أصوله وعلق عليه: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٦) الحارث بن عبدالله الجهني، وقيل البجلي، يعد في أهل الكوفة، روى حديثه عمرو النصيبي عن زيد بن رفيع، عن معبد الجهني قال: بعثني الضحاك بن قيس إلى الحارث بن عبدالله الجهني بعشرين ألف درهم، وقال له: إنّ أمير المؤمنين أمرنا أن ننفق عليك فاستعن بهذه.

- أ ـ الإصابة: ١/٢٨٢، تر: ١٤٣١.
- ب ـ أسد الغابة: ١/٦١٩، تر: ٩١١.

(٧) في الأصل: أقن.

(٨) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

(٩) في (ر): سلاحي.

بعده، فبايع مَنْ قِبَلَك، فقلت: إنّ رجلاً أخبرني بهذا من يومه لخليق أن يكون عنده علم، فأرسلت إليه فقلت: إنّ ما قلت كان حقاً، فقال: ما كنت لأكذب، فقلت: من أين علمت ذلك؟ قال: إنّه نبيّ نجده في الكتب، وإنّه يموت يوم كذا وكذا، فقلت: وكيف نكون بعده؟ فقال: تدور رحاكم إلى خمس وثلاثين سنة. فدارت كما قال ما زادت يوماً.

وذكر الحكاية ابن فتحون وقال: ذكرها الواقدي والبغوي.

وذكر السّهيلي، وابن القطان، والكلاعي: أنّ أبا ذؤيب الهذلي[1] رضي الله عنه قال: بلغنا أنّ رسول الله ﷺ [عليل، فاستشعرت حزناً][2] وبتّ بأطول ليلة، لا ينجاب ديجورها، ولا يطلع نورها، فظللت أقاسي/ ٢٦٧/و طولها، حتّى إذا كان قرب السّحر أغفيت، فهتف بي هاتف وهو يقول [من الكامل]:

خطب أجلّ أناخ بالإسلام ... بين النخيل ومعقد الآطام
قُبض النبي محمد فعيوننا ... تذري الدّموع عليه بالتّسجام

قال أبو ذؤيب: فوثبت من نومي فزعاً[3]، فعلمت أنّ النبي ﷺ قد قبض، فركبت ناقتي وسرت حتّى قدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء [كضجيج الحجيج][2]، إذا أهلّوا بالإحرام، فقلت: مه؟ فقالوا: قُبض

---

(١) أبو ذؤيب الهذلي: قيل اسمه: خويلد بن خالد بن محرّث بن زبيد، أسلم على عهد رسول الله ﷺ، ولم يره، كان شاعراً، وقد بكى النبي ﷺ بقصيدة أوردها له أبو عمر يوسف بن عبدالبر في الاستيعاب، وغزا أبو ذؤيب مع عبدالله بن الزبير إفريقيا ومدحه. قال الأصمعي: أبرع بيت قالته العرب بيت أبي ذؤيب:
والنفس راغبة إذا رغّبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع
توفي في خلافة عثمان بطريق مكة، وقيل توفي بأرض الروم غازياً مجاهداً.
● الاستيعاب: ١٦٨٤/٤، تر: ٢٩٤٢.

(٢) في الأصل ما بين الحاصرتين مخروم.

(٣) أورد السّهيلي في الروض الأنف هنا عشرة أسطر فيها الحديث على الزجر والنظر في النجوم.

رسول الله ﷺ، فجئت المسجد فوجدته خالياً، فأتيت رسول الله ﷺ فوجدت[1] بابه مرتجًا، وقيل لي: هو مسجّى قد خلا به أهله، فقلت: أين الناس؟ فقيل: في[2] سقيفة بني ساعدة[3]، ساروا[4] إلى الأنصار، فجئت إلى السقيفة فوجدت[5] أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجرّاح وسالماً مولى أبي حذيفة[6] وجماعة من قريش، ورأيت الأنصار وفيهم سعد بن عبادة، وفيهم شعراؤهم[7]: حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وملأ منهم، فأويت إلى قريش.

وتكلّمت الأنصار، فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب.

وتكلّم أبو بكر رضي الله عنه، فللّه درّه من رجل، لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخطاب، والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلاّ انقاد له ومال إليه.

---

(١) في الروض الأنف: فأصبت بابه مرتجاً، وقيل: هو مسجّى قد خلا به.
(٢) في الأصل: فقيل لي سقيفة بني ساعدة.
(٣) سقيفة بني ساعدة بالمدينة المنورة، وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها، فيها بويع أبو بكر خليفة.
● مراصد الاطلاع: ٧٢١/٢.
(٤) في الروض الأنف: صاروا إلى الأنصار.
(٥) في الروض الأنف: فأصبت أبا بكر.
(٦) في الروض الأنف: «مولى أبي حذيفة» ناقص.
أبو عبدالله سالم بن معقل مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. كان من أهل فارس، ومن فضلاء الموالي، وخيار الصحابة، وكبارهم، معدوداً من المهاجرين القرّاء، قال فيه النبي ﷺ وفي ثلاثة من الأصحاب: **«خذوا القرآن من أربعة: من ابن أمّ عبد ومن عبدالله بن مسعود ومن أبيّ بن كعب، ومن سالم مولى أبي حذيفة، ومن معاذ بن جبل»**. شهد سالم بدراً، وقتل يوم اليمامة شهيداً هو ومولاه أبو حذيفة، فوجد رأس أحدهما عند رجل الآخر وذلك سنة ١٢.
● الاستيعاب: ٥٦٧/٢، تر: ٨٨١.
(٧) في الأصل: وفيهم شعراءهم.

وتكلّم عمر رضي الله عنه بعده، بدون[1] كلامه، ومدّ يده فبايعه، ورجع أبو بكر ورجعت معه[2].

وشهدت الصلاة على النبي ﷺ وشهدت دفنه[3]، صلوات الله وسلامه عليه.

قال أبو الربيع والسّهيلي: لمّا توفي رسول الله ﷺ وارتفعت الرّنّة عليه وسجّته الملائكة، دهش الناس فطاشت عقولهم واختلطوا، فمنهم من خُبِلَ، ومنهم من أُصمت، ومنهم من أُقعد.

فكان عمر رضي الله عنه ممّن يصيح ويقول: والله ما مات نبي الله، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى.

وكان عثمان بن عفّان رضي الله عنه ممّن أُخرس، حتّى جعل يُذهب به ويجاء ولا يستطيع كلاماً.

وكان ممّن أُقعد عليّ رضي الله عنه.

قال السّهيلي: وأمّا عبدالله بن أنيس رضي الله عنه فأضني حتّى مات كمداً.

وبلغ[4] الخبر أبا بكر رضي الله عنه وكان[5] بالسّنح، فجاء وعيناه تهملان، وزفراته تتردّد في صدره، وغصصه ترتفع كقطع الجرّة[6]، وهو[7]

---

(١) في الروض الأنف: بعده دون كلامه.

(٢) في الروض الأنف: قال أبو ذؤيب: فشهدت الصلاة على محمد ﷺ.

(٣) الروض الأنف: ٧/٥٩١ ـ ٥٩٣.

(٤) في (ر): وبلغ الخبر أبو بكر.

(٥) في الروض الأنف: وهو بالسّنح.

● السّنح: ـ بسكون النون وضمها ـ إحدى محال المدينة، كان بها منزل أبي بكر، وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة.

● مراصد الاطلاع: ٢/٧٤٥.

(٦) في (ر): كقطع الحرّة.

(٧) في الروض الأنف: وهو في ذلك رضوان الله عليه.

رضوان الله عليه في ذلك جلد العقل والمقالة، فأقبل حتى دخل على رسول الله ﷺ، فأكبّ عليه، وكشف وجهه، ومسحه، وقبّل جبينه، وجعل يبكي ويقول: بأبي أنت وأمّي، طبت حيّاً وميّتاً، وانقطع بموتك ما لم ينقطع بموت[1] أحد من الأنبياء، فعَظُمْتَ عن الصّفة، وجللت عن البكاء، ولو أنّ موتك كان اختياراً لجُدنا لموتك بالنّفوس. ولولا أنّك نهيت عن البكاء لأنفذنا عليك ماء الشؤون، فأمّا ما لا نستطيع نفيه عنّا فكَمَدٌ وإدْنا[فٌ][2] يتحالفان لا يبرحان. اللهم فأبلغه[3] عنّا، اذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن من بالك، فلولا ما خلّفت من السكينة لم نقم بما[4] خلّفت من الوحشة، اللهم أبلغ نبيك عنّا واحفظه فينا.

ثم خرج إلى النّاس وهم في عظيم غمراتهم، وشديد سكراتهم، فقام فيهم بخطبة جُلُّها الصلاة على النبي ﷺ، وقال فيها: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه، وأشهد أنّ الكتاب كما أنزل[5]، وأنّ الدين كما شرع، وأنّ الحديث كما حدّث، وأنّ القول كما قال، وأنّ الله هو الحق المبين... في كلام طويل.

ثم قال: أيّها الناس، من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت[6]، وأنّ الله قد تقدم إليكم[7] في أمره[8] فقال سبحانه [وتعالى]: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[9].

---

(١) في الروض الأنف: لموت أحد.
(٢) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.
(٣) في الروض الأنف: اللهم أبلغه عنّا.
(٤) في الروض الأنف: لما خلّفت.
(٥) في الروض الأنف: كما نزل.
(٦) في الروض الأنف: فإنّ الله حيّ لم يمت.
(٧) في الروض الأنف: قد تقدّم لكم في أمره.
(٨) الروض الأنف: ٧/٥٨٥ ـ ٥٨٦.
(٩) آل عمران: ١٤٤.

[قال ابن عطية: رحمه الله تعالى: كان علي رضي الله عنه يقول: أبو بكر أمير الشّاكرين][1] إشارة إلى صدع أبي بكر رضي الله عنه بهذه الآية يوم موت النبي ﷺ، وثبوته في ذلك الموطن، وثبوته في أمر الرّدّة وسائر المواطن التي ظهر فيها شكره/ وشكر الناس بسببه. ٢٦٨/ظ

قال السّهيلي، وغيره: قالت عائشة رضي الله عنها، توفي رسول الله ﷺ فلو نزل بالجبال الصّمّ ما نزل [بأبي][2] لهاضها. ارتدّت العرب واشرأبّ النفاق، فما اختلفوا في نقطة إلاّ طار أبي بحظّها وغنائها[3].

قال السّهيلي: في ثبات أبي بكر رضي الله عنه كلّمه عمر وأبو عبيدة وسالم مولى حذيفة، وكان أشد شيء عليه[4] أن يخالف رأيه رأي سالم، فكلّموه أن يدع للعرب زكاة ذلك العام تألّفاً لهم حتّى يتمكّن له الأمر[5]، فقال: والله لأن أخّر من السماء إلى الأرض فتخطّفني الطير أحبّ[6] إليّ أنّ أمالئكم على هذا الرأي. وقال لهم: والله لو أفردت من جميعكم لقاتلتهم وحدي حتّى تنفرد سالفتي، ولو منعوني عقالاً ممّا فرض[7] الله عليهم لجاهدتهم عليه، أَوَفي شكّ أنتم؟ إنّ وعد الله حقّ، وإنّ وعده[8] لصدق، وليُظهرنّ الله هذا الدّين ولو كره المشركون.

ثم خرج وحده إلى ذي القصّة[9] حتّى اتّبعوه، وسمع الصّوت بين

(١) ما بين الحاصرتين سقط في الأصل.
(٢) في الأصل: ما نزل بي.
(٣) الروض الأنف: ٥٨٨/٧.
(٤) في الأصل: وكانْ أشد شيئاً عليه.
(٥) في الروض الأنف: فقد كان رسول الله ﷺ يتألّفهم. وكّله عمر أن يلي مكان أسامة من هو أسنّ منه وأجلد، فأخذ بحلية عمر، وقال له: يا ابن الخطاب: أتأمرني أن أكون أوّل حالٍّ عقداً عقده رسول الله ﷺ؟ والله...
(٦) في الروض الأنف و(ر): من أن أمالئكم.
(٧) في الروض الأنف و(ر): جملة مما فرض الله عليهم ساقطة.
(٨) في الروض الأنف و(ر): وإنّ قوله لصدق.
(٩) ذو القصة: مكان بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً.
● مراصد الاطلاع: ١١٠٣/٣.

يديه في كل قبيلة: ألا إنّ الخليفة قد توجّه إليكم، الهرب الهرب، فاتّصل[١] الصوت من يومه بلاد حمير[٢]، وكذلك في كلّ[٣] أحواله رضي الله عنه، كان يلوح الفرق في التّأله بينه وبين غيره[٤].

قلت: ولنكتف الآن بحديث البخاري في هذا المعنى لصحته.

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسّنح، تعني[٥] بالعالية، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله، ما كان يقع في نفسي إلاّ ذاك، وليبعثنّه الله فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبّله، وقال[٦]: بأبي أنت وأمّي، طبت حيّاً وميّتاً، والذي نفسي بيده، لا يذيقك الله الموتتين أبداً. ثم خرج فقال: أيّها الحالف، على رِسْلك، فلمّا تكلّم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله[٧] وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً[٨] فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[٩]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ الآية[١٠]، فنشج النّاس يبكون[١١].

واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منّا أمير المؤمنين ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو

---

(١) في الروض الأنف: حتّى اتّصل الصوت.

(٢) حمير: بنو حمير قبيلة من بني سبأ، من القحطانية، ومن حمير كانت ملوك اليمن التبابعة.
● نهاية الأرب: ٢٢٢، تر: ٨٤١.

(٣) في الروض الأنف: وكذلك في أكثر أحواله.

(٤) في الروض الأنف: بينه وبين عمر رضي الله عنهما.

(٥) في صحيح البخاري: قال إسماعيل: يعني بالعالية.

(٦) في صحيح البخاري: فقبّله. قال.

(٧) في صحيح البخاري: فحمد الله أكبر عليه.

(٨) في صحيح البخاري: محمداً ﷺ.

(٩) الزمر: ٣٠.

(١٠) آل عمران: ١٤٤.

(١١) في صحيح البخاري، قال: واجتمعت الأنصار.

عبيدة بن الجرّاح، فذهب عمر يتكلّم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلاّ أني قد هيّأت كلاماً[(١)] أعجبني خشيت[(٢)] أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلّم أبو بكر رحمه الله[(٣)] فتكلّم أبلغ النّاس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

فقال حباب بن المنذر[(٤)]: والله لا نفعل، منّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً وأعرفهم[(٥)] [أحساباً][(٦)]، يعني قريشاً[(٧)]، فبايِعوا عمر أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيّدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسول الله ﷺ. فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه النّاس... الحديث[(٨)].

قال ابن إسحاق: وحدّثني الزّهري، قال: حدثني أنس بن مالك قال: لمّا بويع أبو بكر رضي الله عنه[(٩)] في السّقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر رضي الله عنه[(٩)] على المنبر، فقام عمر فتكلّم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل[(١٠)]، ثم قال: أيها الناس، إنّي قد[(١١)] كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت، وما[(١٢)] وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهده إليّ رسول الله [ﷺ][(١٣)]، ولكني قد كنت أرى أنّ رسول الله ﷺ

(١) في صحيح البخاري: كلاماً قد أعجبني.
(٢) في (ر): كلاماً أعجبني لعله أظن أن لا يبلغه أبو بكر.
(٣) في صحيح البخاري: جملة «رحمه الله» ناقصة.
(٤) في صحيح البخاري: فقال حباب بن المنذر: لا، والله.
(٥) في صحيح البخاري: وأعربهم أحساباً.
(٦) في (ر) ما بين الحاصرتين ساقط.
(٧) في صحيح البخاري جملة «يعني قريشاً» ناقصة.
(٨) في صحيح البخاري: ٨/٥، باب حدثني الحميدي ومحمد بن عبدالله قالا.
(٩) في السيرة النبوية لابن هشام: بدون ترضية.
(١٠) في السيرة النبوية لابن هشام: بما هو أهله.
(١١) في السيرة النبوية لابن هشام: «قد» ساقطة.
(١٢) في السيرة النبوية لابن هشام: ما كانت مما وجدتها.
(١٣) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

سيدبّرنا أمرنا؛ يقول: يكون في آخرنا؛ وإنّ الله قد أبقى فيكم كتابه الذي[1] هدى الله به رسوله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه[2]، وإنّ الله قد جمع أمركم على خيركم: صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر رضي الله عنه[3] بيعة عامة بعد بيعة السقيفة، ثم تكلم[4] أبو بكر رضي الله عنه[3]، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال: «أما بعد أيّها الناس، فإني قد ولّيت عليكم ولست/ بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، القوي[5] فيكم ضعيف عندي حتّى آخذ الحقّ منه إن شاء الله، والضّعيف فيكم قوي عندي حتّى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلاّ ضربهم الله بالذّل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلاّ عمّهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله»[6]. ٢٦٩/و

قال ابن إسحاق: فلمّا بويع أبو بكر رضي الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء[7].

وروى أبو داود، وابن إسحاق، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: لما أرادوا غسل النبي ﷺ[8] قالوا: والله لا ندري، أنجرّد رسول الله ﷺ من

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ، وفي (ر) أهدى الله رسوله.

(٢) في السيرة النبوية لابن هشام: لما كان هداه له.

(٣) في السيرة النبوية لابن هشام بدون ترضية.

(٤) في السيرة النبوية لابن هشام: فتكلّم أبو بكر.

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام وفي (ر): الضعيف فيكم قويّ عندي حتى أريح عليه حقه ـ إن شاء الله ـ والقوي فيكم ضعيف عندي حتّى آخذ الحقّ منه إن شاء الله.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٦٦٠ ـ ٦٦١.

(٧) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٦٦٢.

(٨) في السيرة النبوية لابن هشام: اختلفوا فيه فقالوا: والله ما ندري.

ثيابه كما نجرّد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النّوم حتّى ما منهم رجل إلاّ ذقنه[1] في صدره، ثم كلّمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أنِ اغسلوا النبي ﷺ[2] وعليه ثيابه[3]، فقاموا وغسّلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص[4] ويدلكونه بالقميص.

قال ابن إسحاق: ويدلكونه والقميص دون أيديهم[5].

قال السّهيلي: وذلك من كراماته ﷺ وآيات نبوءته، فقد كانت له ﷺ كرامات، ومعجزات في حياته، وقبل مولده، وبعد موته.

ومنها ما رواه أبو عمر[6] في التمهيد[7] من طرق صحاح: أن أهل بيته سمعوا وهو مسجّى بينهم قائلاً يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يا أهل البيت، إنّ في الله عوضاً من كلّ تالف، وخلفاً من كلّ هالك، وعزاء من كل مصيبة، فاصبروا واحتسبوا، والله مع الصابرين، وهو حسبنا ونعم الوكيل. فقالوا: وكانوا يرون[8] أنّه الخضر عليه السلام.

قال: ومن ذلك أيضاً: أنّ الفضل بن عبّاس كان يغسّله هو وعليّ [بن أبي طالب][9] رضي الله عنهما، فجعل الفضل وهو يصبّ الماء يقول: أرحني أرحني، فإنّي أجد شيئاً يتنزّل[10] على ظهري[11].

---

(١) في الأصل: إلاّ ذوقنه، وفي (ر): إلا وذقنوه.
(٢) في السيرة النبوية لابن هشام بدون تصلية.
(٣) في السيرة النبوية لابن هشام: قالت: فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسّلوه وعليه قميصه.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٦٢/٢.
(٥) في الروض: ومن آيات نبوته بعد الموت، فقد كان له عليه السلام كرامات.
(٦) في الروض الأنف: أبو عمر رحمه الله في التمهيد.
(٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ١٦٢/٢، حديث ٨، و٣٩٤/٢٤ ـ ٤٠٢، حديث ٤٩ من البلاغات.
(٨) في (ر): وكانوا يرونه الخضر عليه السلام.
(٩) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.
(١٠) في (ر): ينزل على ظهري.
(١١) الروض الأنف: ٥٨١/٧ ـ ٥٨٢.

وروى يونس[1] في السّيرة: أنّ أمّ سلمة قالت: وضعت يدي على صدر رسول الله ﷺ وهو ميّت، فمرّت عليّ جُمَعٌ لا آكل ولا أتوضأ إلاّ وجدت ريح المسك من يدي.

وفي روايته أيضاً: أنّ علياً رضي الله عنه[2] نودي وهو يغسّله: أنِ أرفعْ طرفك إلى السماء.

وفيها أيضاً: أنّ علياً والفضل لما[3] انتهيا في الغسل إلى أسفله سمعوا منادياً يقول: لا تكشفوا عورة نبيكم عليه السلام[4].

قال أبو الربيع: ويُروى عن علي رضي الله عنه أنّه قال: لقد سمعنا همهمة ولم نر شخصاً، فسمعنا هاتفاً يقول: ادخلوا رحمكم الله فصلُّوا على نبيّكم.

قال السّهيلي: ذكر ابن إسحاق وغيره: أن المسلمين صلّوا على النبي[5] ﷺ أفذاذاً لا يؤمّهم أحد، كلّما جاءت طائفة صلّت عليه. وهذا خصوص به ﷺ، ولا يكون هذا الفعل إلاّ عن توقيف.

وكذلك روي أنّه أوصي بذلك ﷺ، في حديث طويل أسنده الطبري، ذكر فيه أنّه ﷺ حين جمع أهله في بيت عائشة رضي الله عنها، أنهم قالوا: فمن يُصلي عليك يا رسول الله؟

فقال[6]: **«مهلاً غفر الله لكم، وجزاكم عن نبيكم خيراً»**، فبكينا وبكى[7] ﷺ، فقال: **«إذا غسّلتموني وكفّنتموني، فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري، ثم أُخرجوا عنّي ساعة، فإنّ أوّل من يصلّي عليّ**

---

(١) في الروض الأنف: يونس بن بكير.
(٢) في الروض الأنف: بلا ترضية.
(٣) في الروض الأنف: حين بدل لما.
(٤) الروض الأنف: ٧/٥٨٢.
(٥) الروض الأنف: صلّوا عليه أفذاذاً.
(٦) في الروض الأنف: قال: فهلاً غفر الله لكم.
(٧) في الروض الأنف: وبكى النبي ﷺ.

جليسي وخليلي جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع جنده[١]**، ثم الملائكة بأجمعها، ثم ادخلوا عليّ فوجاً**[٢] **فوجاً فصلوا عليّ وسلّموا تسليماً، ولا تؤذني بتزكية ولا ضجّة ولا رنّة، وليبدأ بالصلاة عليّ رجال بيتي، ثم نساؤهم، وأنتم بعد. اقرئوا أنفسكم السّلام مني، ومن غاب من أصحابي فأقرئوه مني السلام**[٣]**، [فإنّني أشهدكم أني قد سلّمت**[٤] **على من تابعني على ديني/ من اليوم إلى يوم القيامة]»** قلنا[٥]: فمن يدخلك قبرك يا نبي الله؟ قال: «**أهلي أهلي مع ملائكة كثيرة، يرونكم من حيث لا ترونهم**»[٦].

٢٧٠/ظ

وقد رواه العزفي[٧] عن عياض رحمه الله تعالى.

قال عبدالرحمٰن بن محمد، لطف الله به: قد انتهى ما انتخبناه من جمع آيات سيدنا محمد ﷺ، ومعجزاته.

ووافق الفراغ منه في أواخر جمادى الأولى من عام أربعة وأربعين وثمان مائة.

وقد أكثر النّاس في مراثي سيدنا محمد ﷺ، ولم يبلغ بالإطناب في مدح ولا رثاء كنه محاسنه عليه أفضل الصلاة والسّلام، صلاة تتصل

---

(١) في الروض الأنف: «**مع جنوده**».
(٢) في الروض الأنف: «**فوجاً بعد فوج**» وفي (ر): «**ثم ادخلوا عليّ أفواجاً**».
(٣) في الروض الأنف: «**ومن تابعكم بعدي على ديني فأقرئوه مني السّلام**».
(٤) في الأصل و(ر) ما بين الحاصرتين مخروم، وقد اعتمدنا على الروض الأنف.
(٥) في الروض الأنف: قلت: فمن يدخلك قبرك يا رسول الله؟ قال: «**أهلي مع ملائكة كثير**».
(٦) ● أ ـ الروض الأنف: ٧/٥٨٩ ـ ٥٩٠.
● ب ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري: ٢/٩٦.
(٧) العزفي: عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن أحمد العزفي اللّخمي ـ من سلالة النعمان بن المنذر من بني لخم. أصله من سبتة وولد سنة ٦٨٥ وتوفي بفاس سنة ٧١٧هـ. له كتاب «الإشادة بذكر المشتهرين من المتأخرين بالإفادة».
● الأعلام للزركلي: ٤/٨٦.

على الدوام، ومدّ الليالي والأيّام[١]، فجزاه الله عنّا أفضل ما جزى نبياً عن أمّته، ولا خالف بنا عن ملّته [بجوده وكرمه، لا ربّ غيره، ولا معبود سواه][٢].

ومن أحسن المراثي ما أنشده أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب رضي الله عنه فقال[٣] [من الوافر]:

أرقت فبات ليلي لا يزول	وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما[٤]	أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا [وجلّت	عشية قيل قد قبض الرّسول
وأضحت أرضنا ممّا عراها	تكاد بها جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتّنزيل فينا][٥]	يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحقّ ما سالت عليه	نفوس النّاس أو كربت تسيل
نبيّ كان يجلو الشّكّ عنّا	بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً	علينا والرّسول لنا دليل
أفاطم[٦] إن جزعت فذاك عذر	وإن لم تجزعي ذاك السّبيل
فقبر أبيك سيّد كلّ قبر	وفيه سيّد النّاس الرّسول[٧]

ولمّا[٨] دفن ﷺ ورجع المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم إلى

---

(١) في (ر): ماذ الليالي.
(٢) في (ر): ما بين الحاصرتين ساقط.
(٣) في الأصل: كتب الناسخ: فقال: «مرتين».
(٤) في (ر): فينا بدل فيما.
(٥) في الأصل: ما بين الحاصرتين ساقط.
(٦) في الأصل و(ر): أفاطمة، والوزن لا يستقيم.
(٧) ● أ ـ الروض الأنف: ٥٩٣/٧ ـ ٥٩٤.
● ب ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري: ٤٥٢/٢.
(٨) في الروض الأنف: ولما توفي رسول الله ﷺ ودفن، ورجع.

رحالهم، ورجعت فاطمة رضي الله عنها إلى بيتها واجتمع إليها نساؤها، فقالت رضي الله عنها [من الكامل]:

اغبرّ[1] آفاق السّماء وكوّرت ... شمس النّهار وأظلم العصران
فالأرض[2] بعد النّبي كئيبة ... أسفاً عليه كثيرة الرّجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضر وكلّ يمان
وليبكه الطّود المعظّم قدره[3] ... والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرّسل المبارك ضوؤه[4] ... صلّى عليك منزّل الفرقان[5][6]

اللهم كما أنعمت علينا بإتمام الأنوار في آيات النبي المختار، مُنَّ علينا بالممات على الإسلام، والنّجاة من النّار، وارزقنا بفضلك عيشة الأبرار، وأجب لنا برحمتك جزيل المبار، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[7].

وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النّبيين، وإمام المرسلين، وقائد الغرّ المحجّلين، صلاة ندخر أنوارها ليوم الدّين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. [ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم][8].

وكان الفراغ منه عند الزّوال في يوم الأحد أوائل شهر شعبان عام سبعة وتسعين بعد تسعمائة.

ناسخه عبدالرحمٰن بن حمّو بن عبدالرحمٰن بن محمد بن علي بن

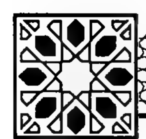
---

(١) في (ر): أعزاه بدل اغبر.
(٢) في (ر): في الأرض، عوض فالأرض.
(٣) في عيون الأثر: جوه بدل قدره. وكذا في الروض الأنف.
(٤) في الأصل و(ر): ضوءه.
(٥) في الروض الأنف: القرآن، وفيه زيادة هذا الأخير:
نفسي فداؤك ما لرأسك مائلاً ... ما وسّدوك وسادة الوسنان
(٦) الروض الأنف: ٥٩٧/٧.
(٧) البقرة: ٢٠١.
(٨) في الأصل ما بين الحاصرتين ساقط.

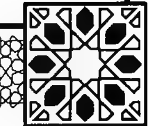
بوعلي بن محمد بن يحيى لطف الله به اللطف الجميل ـ وخار له في المقام والرّحيل، عرفنا الله خيره وخير ما بعده، ووقانا شرّه وشرّ ما بعده بمنّه وجوده وكرمه.

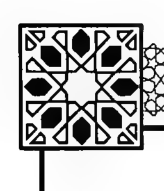
سألتك يا من طالع هذا الكتاب ونظر فيه أن تدعو لي بالرحمة والمغفرة واللطف في الدارين. وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.



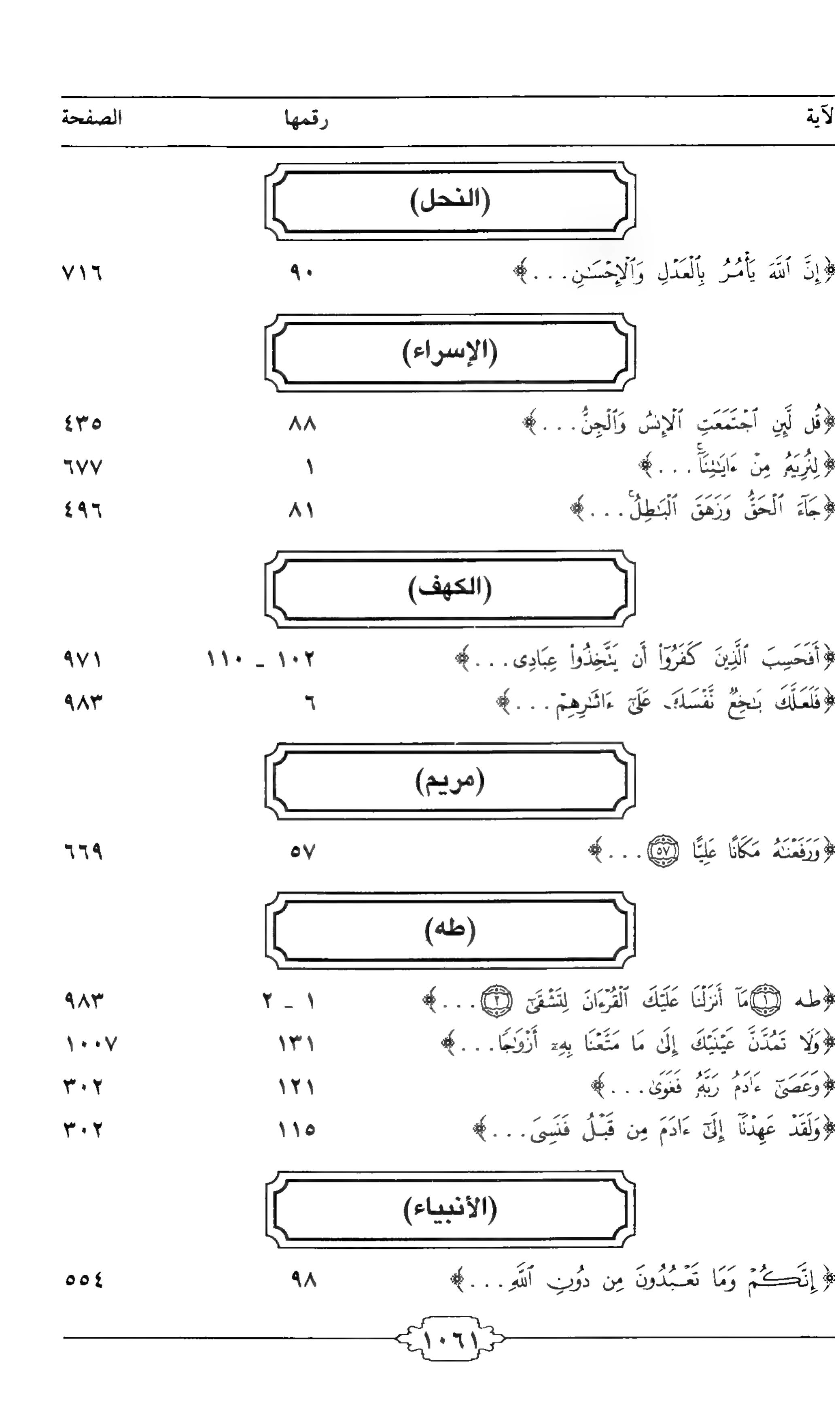


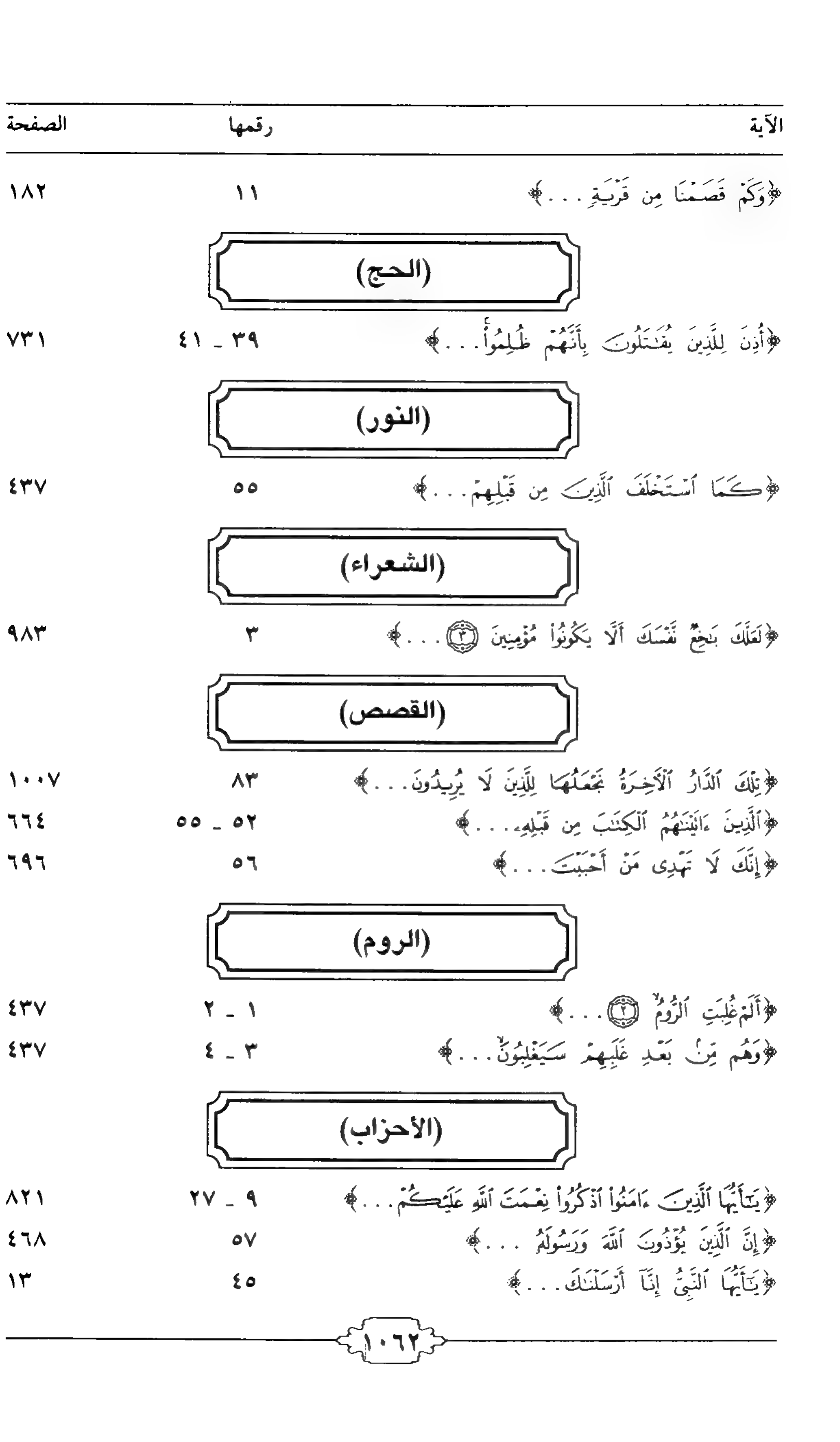
فهرس الفهارس






فهرس الآيات





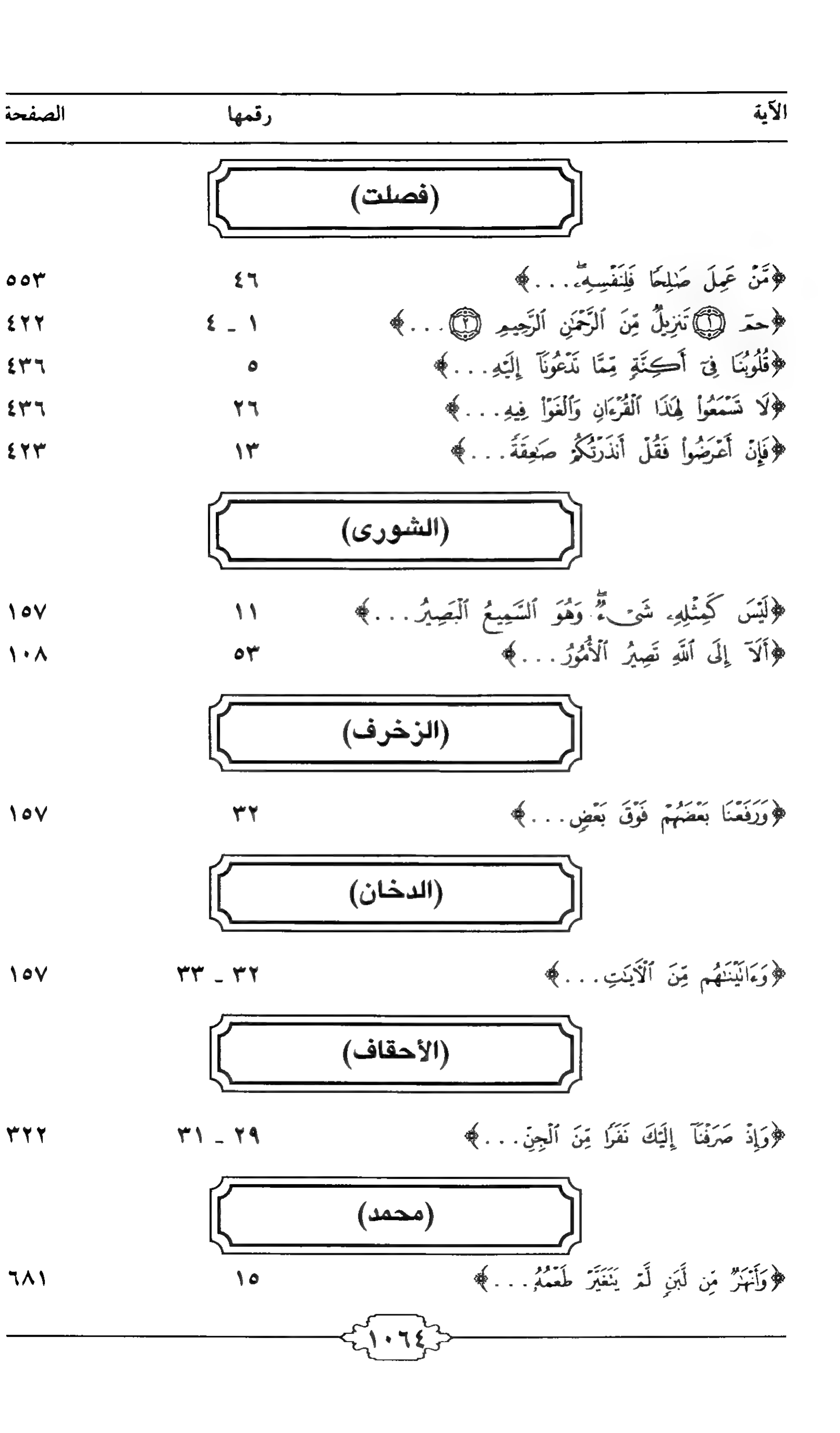
(سبأ)

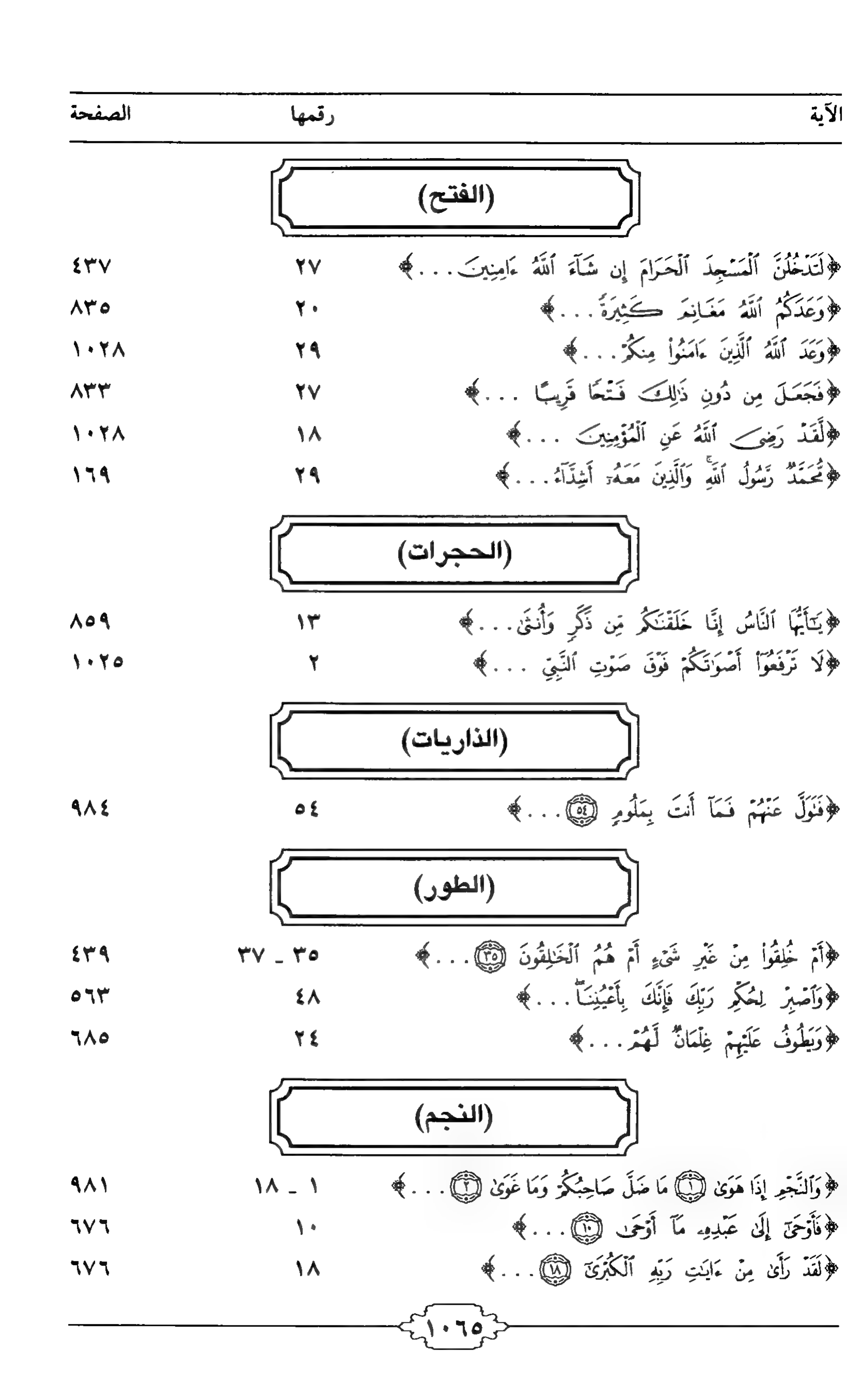
(يس)

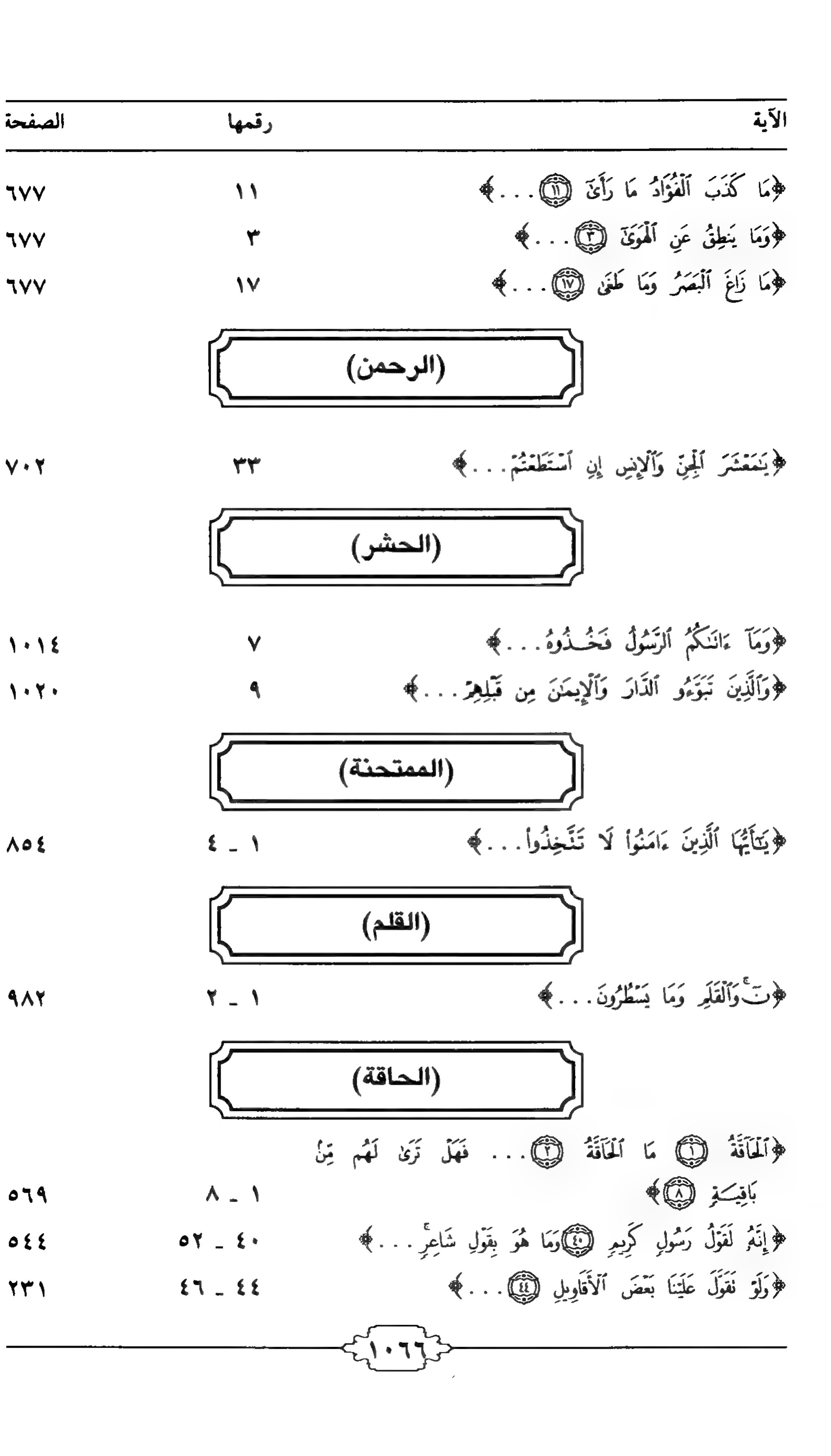
(الصافات)

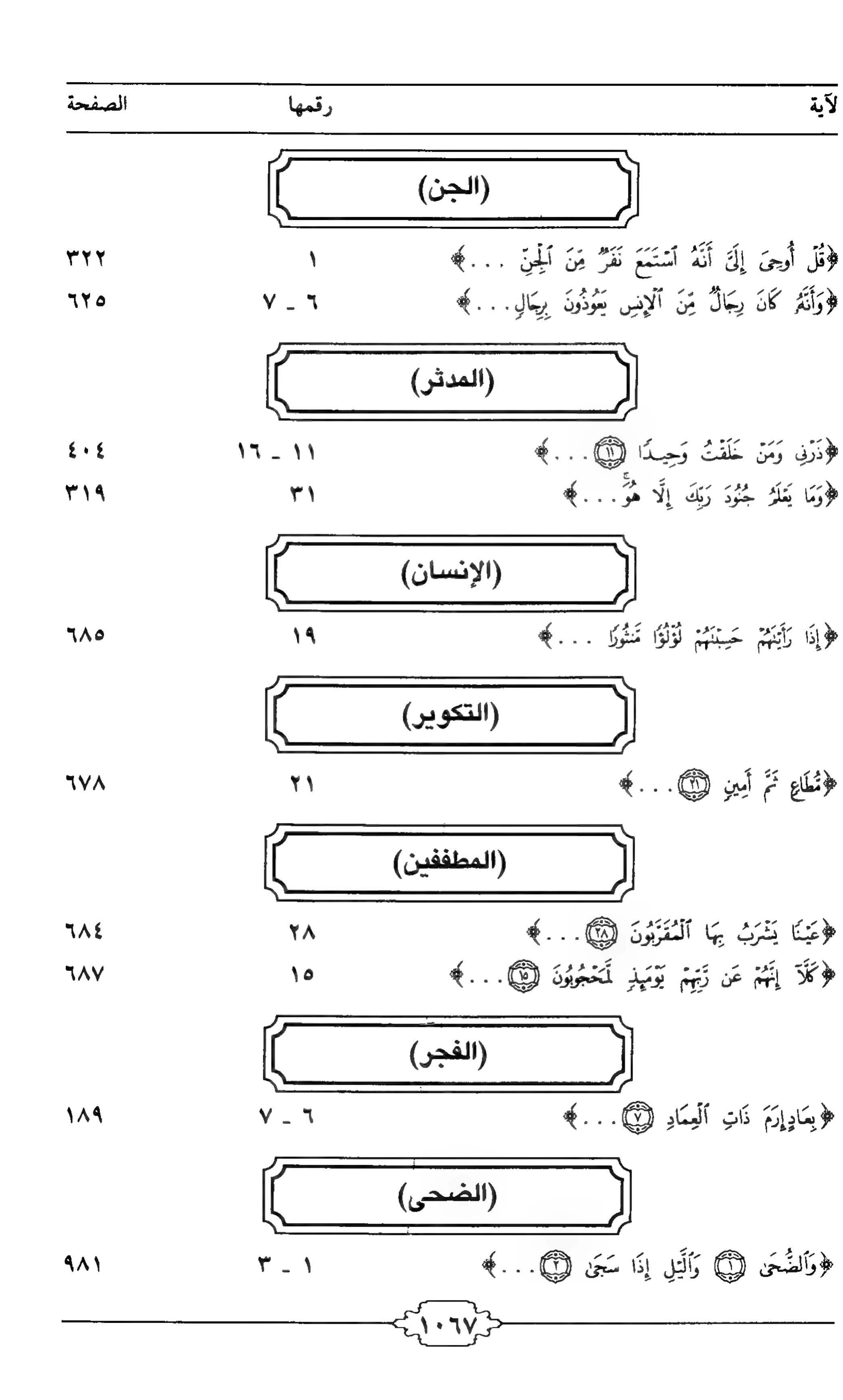
(الزمر)

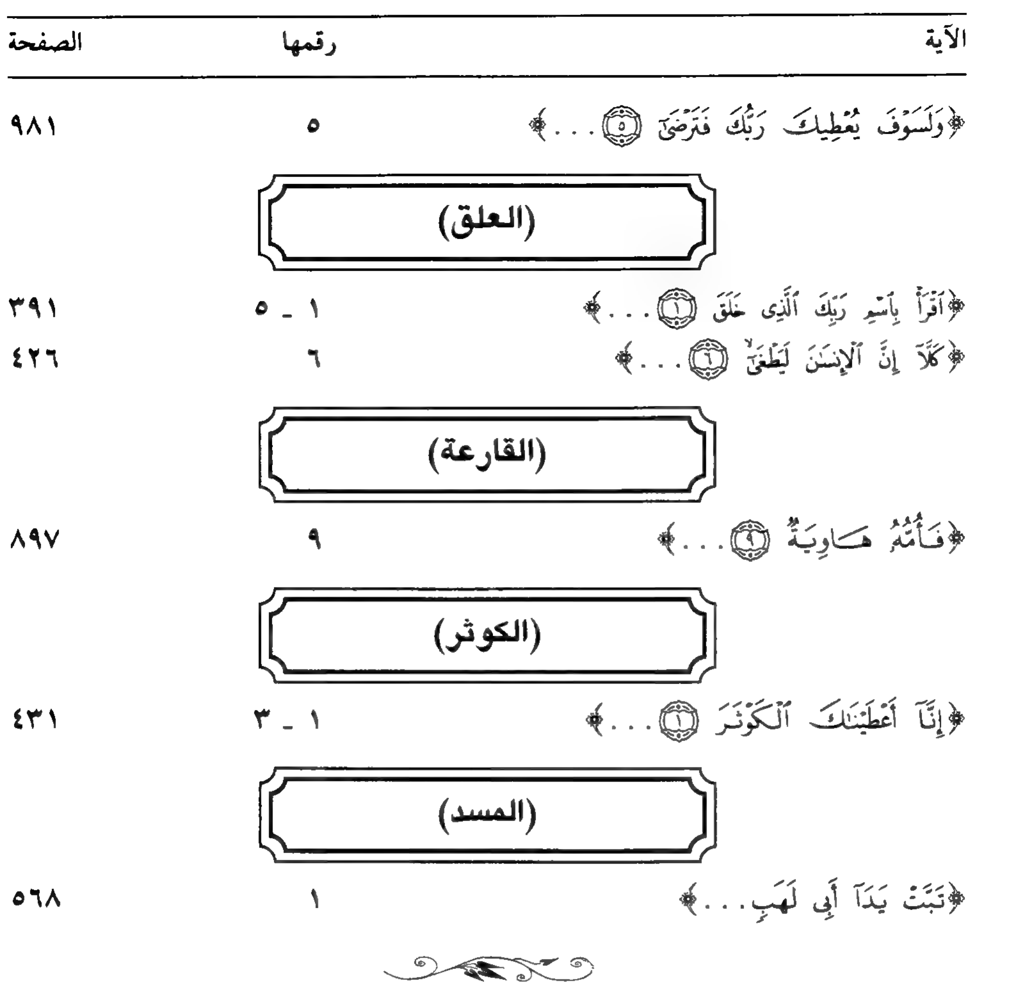
(غافر)

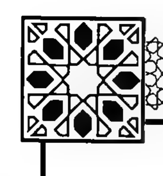













فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة

(الهمزة)

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة
«أشدّ أمتي لي حباً...»	١٠١٧
«اشرب...»	٤٥٠
«أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله...»	٤٧٩
«اطلبوا فضلة من ماء...»	٤٩٣
«اضرب وجوهها، فإنها سترجع إلى ربّها...»	٨٤٢
«اعط هذا حقه...»	٥٧٣
«اغدوا على القتال...»	٨٨٢
«أفرأيت إن صرعتك...»	٦٦١
«أفضالة؟...»	٥٧٧
«افعلوا...»	٤٧٨
«أفلا أكون عبداً شكوراً...»	١٠٠٩
«أفلح وجهك، اللهم بارك له في شعره وبشره...»	٥٢٤
«اقرأ ابن حضير!...»	٩٧٠
«ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد...»	٨٨٧
«أما بعد: فإني أريد أن أبعث...»	٦٠٩
«أما إنه صدقك وهو كذوب...»	٩٧٦
«أما إنّها ستهب الليلة ريح شديدة...»	٨٨٧
«أمّا ما أضمرت فسيفك الحاسم... لو أنكم فتشتم عنه...»	٥٥١
«أما والله لأستغفرنّ لك ما لما أُنهَ عنك...»	٦٩٦
«أنت أهيب... أنت الذي... أفتذكر الأزمة... في الظهيرة...»	٦٢٢
«أنتم الغسّانيون...»	٩٢٣
«أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء...»	٧٢٩
«أولى النّاس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة...»	١٦٨
«أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب...»	٨٧٣
«انطلقا إلى هذا المسجد...»	٨٩٥
«انطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخ...»	٥٦١
«انظر ماذا تقول؟...»	١٠٢٢

الحديث	الصفحة
«إن ابنك إبراهيم قد مات...»	٥١٨
«إنّ ابني هذا سيد... يسبقه عضو منه إلى الجنة...»	٥٤٥
«إنّ الأرض لا تقبله...»	٥٦٠
«إنّ الفقر إلى من يحبني منكم...»	١٠٢٣
«إنّ الله قد جعل لكم إخواناً وداراً...»	٧٣١
«إن دعوت هذا العنق من النخلة... هذه الشجرة...»	٤٨٦
«انظر هل ترى شيئاً؟...»	٤٨٥
«إن شئت أريك إلى الحائط...»	٤٩٢
«إنّ الله ورسوله يصدّقانكم ويعذرانكم...»	٨٥٨
«إنّ في الليل لساعة...»	٩٧٢
«إنّك تجده يصيد البقر...»	٥٤٦
«إنّ معه الآن زوجتيه من الحور العين...»	٨٤٢
«إنّه اشتكى كثرة العمل وقلة العلف...»	٥٠٣
«إنّ هذا اخترط سيفي... من شاء فليخذلني...»	٥٦٤
«انهزموا ورب الكعبة...»	٨٧٢
«إنّها استأذنت أن تسلّم عليّ...»	٤٨٥
«إنّه لم يقبض نبي قط...»	١٠٠٨
«إنّ له حملة غيركم...»	٨٢٤
«إن هذا بكى لما فقد من الذكر...»	٤٩١
«إنّي عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهباً...»	١٠٠٤
«إنّي بين يديكم فرط...»	١٠٣٣
«إنّي على جناح سفر...»	٨٩٥
«إنّي لأرى ما ترون...»	١٠٠٨
«أدرك القوم فإنهم قد احترقوا...»	٨٩١
«أشربتم شرابكم الليلة...»	٤٥٦
«اشهدوا...»	٤٤٠
«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله...»	٩٦٦

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(س)

(ش)

(ظ)

(ص)

الحديث	الصفحة

(ض)

(ع)

(ف)

(ق)

(م)

الحديث	الصفحة

(ن)

الحديث	الصفحة

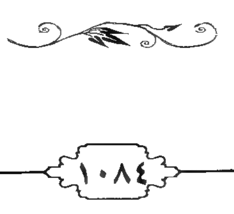
(هـ)

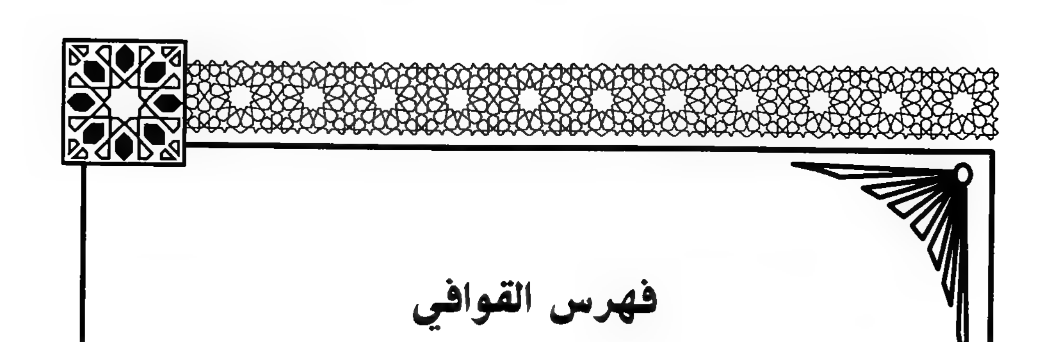
(و)

الحديث	الصفحة

(ي)

الحديث	الصفحة





فهرس القوافي

الحديث		الصفحة
ألا أبلغا عنّي على ذات بيننا	لؤيًا وخصّا من لؤيّ بني كعب	٦٤٧
فيا أخوينا عبد شمس ونوفلاً	فدى لكما لا تبعثوا بيننا حربا	٧٩٠
قد علمتْ خيبر أنّي مرحب	شاكي السّلاح بطل مجرّبُ	٨٣٩
وقد أنشأ الله السّحاب بنصرنا	ركام سحاب الهيدب المتراكب	٨٦٣
ولمّا رأينا رسم من لم يدع لنا	فؤاداً لعرفان الرّسول ولا لبّا	١٠٢٩
وتهنا بأكناف الخيام تواجداً	نقلّبها طوراً ونرشفها حبّا	١٠٢٩

(ت)

خليليّ منّا بالوقوف هنيهة	أخصّكما منّي بأجزل منحة	٢٣٦
هذا رسول الله ذو الخيرات	بيثرب يدعو إلى النجاة	٣٥٢
أرْشِدْني أرشدني هُدِيتا	لا جعت ما عشت ولا عريتا	٣٥٢
أعيذه بالكعبة المستورة	ودعوات ابن أبي محذورة	٣٥٦
كم قد تحططت القلوص بين الدجا	في مهمة قفر من الفلوات	٣٦٢
لولا جرير هلكت بجيلة	نعم الفتى وبئست القبيلة	٥٥١
أنا الذي سمّتني أمي حيدرة	كليث غابات كريه المنظرة	٨٣٩
يا دار خير المرسلين ومن به	هدي الأنام وخصّ بالآيات	١٠٣٠

(ث)

أين تولي يا لهث	إعن بقولي واكترث	٦٢٣

(ج)

لججت وكنت في الذّكرى ألوجا	لهمّ طالها بعث النّشيجا	٣١٦
إليك رسول الله خبّت مطيتي	تجوب الفيافي من عمان إلى العرج	٣٣٥

(ح)

(د)

(ر)

(س)

(ع)

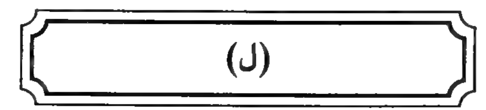
البيت		الصفحة

(ض)

(ف)

(ق)

(ك)



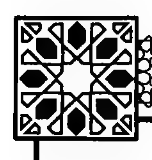
(ل)

البيت		الصفحة
عـذ مـخـلـصـاً بـالله الـجـلال	مـنـزّل الـحـرام والـحـلال	٣٥٢
يـا أيـهـا الـهـاتـف مـا تـقـول؟	أرشـد عـنـدك أم تـضـلـيـل؟	٣٥٢
خـيـر الـبـريـة أتـقـاهـا وأفـضـلـهـا	بـعـد الـنـبـي وأوفـاهـا بـمـا حـمـلا	٣٩٧
ولـمـا رأيـت الـقـوم لا ودّ فـيـهـم	وقد قطعوا كل العرى والوسائل	٤٠٥
أتـيـنـاك والـعـذراء تـذري دمـوعـهـا	وقد شغلت أمّ الصبيّ عن الطفل	٤١٢
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه	ثـمـال الـيـتـامـى عـصـمـة لـلأرامـل	٤٠٨
إذا مـات الـفـرزدق فـارجـمـوه	كـمـا تـرمـون قـبـر أبـي رغـال	٥٥٦
ربّ يـوم يـعـيـي الألـدّ الـمـداري	شـره حـاضـر يـروع الـرجـالا	٦٢٢
يـقـول أبـو قـيـس وأصـبـح غـاديـاً	ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا	٧٤٥
ألا لـيـت شـعـري هـل أبـيـتـنّ لـيـلـة	بـفـخّ وحـولـي إذخـر وجـلـيـل	٧٥٢
تـلـك الـمـكـار لا قـعـبـان مـن لـبـن	شـيـبـا بـمـاء فـعـاد بـعـد أبـوالا	٧٩٣
وهـاك مـقـام الـعـارفـيـن شـرحـتـه	ويـفـهـمـه مـن بـالـتـفـات تـأمّـلا	٩٧١
ومـبـرّأ مـن كـل غـيـر حـيـضـة	وفـسـاد مـرضـعـة وداء مـغـيـل	٩٨٨
أرقـت فـبـات لـيـلـي لا يـزول	ولـيـل أخـي الـمـصـيـبـة فـيـه طـول	١٠٥١

(م)

البيت		الصفحة
شـهـدت عـلـى أحـمـد أنـه	نـبـي مـن الله بـاري الـنّـسـم	١٩٤
وكـسـرى إذ تـقـسّـمـه بـنـوه	بـأسـيـاف كـمـا اقـتـسـم الـلّـحـام	١٩٩
تـمـخّـضـت الـمـنـون لـه بـيـوم	أنـى ولـكـل حـامـلـة تـمـام	٢٠٠
ألـم تـرنـي مـن بـعـد هـمّ هـمـمـتـه	بـفـرقـة خـيـر الـوالـديـن كـرام	٣٠٥
يـا أيـهـا الـنـاس ذوو الأجـسـام	ومـسـنـد الـحـكـم إلـى الأصـنـام	٣٣٣
هـل تـسـمـعـين الـقـول يـا عـوّام	أو قـد صـمـمـت فـنـبـا الـكـلام	٣٤٣
ألا أيّـهـا الـركـب الـمـعـرّس بـلـغـوا	إذا مـا وقـفـتـم بـالـحـطـيـم وزمـزمـا	٣٥٠
سأبلغ عنك القول من قد وصفته	وأودعـه سـمـعـي صـحـيـحـاً مـسـلّـمـا	٣٥٠
ألا أيـهـا الـرّكـب الـمـعـرّس بـلّـغـن	أخاك جواب الشعر لقيت مغنما	٣٥٠

(ن)





فهرس الأعلام

(الهمزة)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

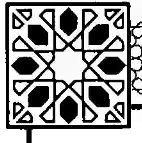
(ن)

(هـ)

(و)

(ي)






فهرس الأماكن والبلدان

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

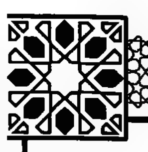
(ز)

(س)

(هـ)

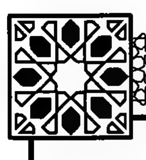
(و)

(ي)



فهرس الكتب الواردة في الأنوار







فهرس المصادر والمراجع

أ ـ المصادر

١ ـ **القرآن الكريم**: برواية ورش أبي سعيد عثمان بن سعيد المصري (ت: ١٩٧هـ)، عن الإمام نافع بن عبدالرحمٰن أبي نعيم المدني (ت: ١٦٩هـ)، طبع: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م)، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر.

٢ ـ **الكتاب المقدس**: كتاب العهد القديم والعهد الجديد، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، ساحة النجمة، المطبعة الأمريكية، بيروت (١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م).

٣ ـ **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**: (١ ـ ٢) جزءان، ابن أبي الضياف أبو العباس أحمد (ت: ١٢٩١هـ ـ ١٨٧٤م)، الشركة التونسية للنشر، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة: الثانية (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م).

٤ ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة**: (١ ـ ٤) أربعة مجلدات، ابن الخطيب أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد، لسان الدين (ت: ٧٧٦هـ ـ ١٣٧٤م)، تحقيق: محمد عبدالله عنان، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الشركة الوطنية للطباعة والنشر، (م١)، الطبعة: الثانية (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م)، (م٢)، الطبعة: الأولى (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م)، (م٣)، الطبعة: الأولى (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م)، (م٤)، الطبعة: الأولى (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م).

٥ ـ **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان**: (١ ـ ١٠) عشرة أجزاء، ابن حبان أبو حاتم بن حبان بن معاذ بن معد التميمي البستي (ت: ٣٥٤هـ ـ ٩٦٤م)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تقديم: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٦ ـ **أحكام القرآن**: (١ ـ ٤) أربعة أجزاء، ابن العربي أبو بكر محمد بن عبدالله (ت: ٥٤٣هـ ـ ١١٤٨م)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة: الأولى (ج١، ٢): (١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م)، (ج٣، ٤): (١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م).

٧ ـ **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**: الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: ٤٥٠هـ ـ ١٠٥٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

٨ ـ **إحياء علوم الدين**: (١ ـ ٥) خمسة مجلدات، الغزالي أبو حامد محمد بن محمد حجة الإسلام (ت: ٥٠٥هـ ـ ١١١١م)، دار المعرفة للطباعة، والنشر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

٩ ـ **أخبار مكة**: ابن الأزرق أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد (ت: ٢٥٠هـ ـ ٨٦٥م)، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م).

١٠ ـ **الأدب المفرد**: البخاري أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ ـ ٨٧٠م)، خرّج أحاديثه ووضع حواشيه: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

١١ ـ **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار**: النووي الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف محي الدين (ت: ٦٧٦هـ ـ ٧٢٧م)، تحقيق: أحمد راتب حموش، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣م).

١٢ ـ **أسباب النزول**: الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ ـ ١٠٧٦م)، تحقيق: السيد الجميلي، مطبوعات ميموني للنشر والتوزيع، الجزائر، بلا تاريخ.

١٣ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: (١ ـ ٤) أربعة أقسام، ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ ـ ٦٠م)، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة (١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م).
١٤ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: (١ ـ ٧) سبعة أجزاء، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، عز الدين (ت: ٦٣٠هـ ـ ١٢٣٣م)، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوّض، الشيخ علول أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).
١٥ ـ **أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد**: ابن حزم، أبو علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ ـ ١٠٦٤م)، تحقيق: السيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).
١٦ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: (١ ـ ٤) أربعة أجزاء، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني شهاب ال دين (ت: ٨٥٢هـ ـ ١٤٤٩م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م).
١٧ ـ **الإعلام بوفيات الأعلام**: الذهبي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين (ت: ٧٤٨هـ ـ ١٣٤٨م)، تحقيق: رياض عبدالحميد مراد وعبدالجبار زكّار، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).
١٨ ـ **أعلام النبوة**: الماوردي أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي (ت: ٤٥٠هـ ـ ١٠٥٨م)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).
١٩ ـ **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**: (١ ـ ٧) سبعة أجزاء، ابن ماكولا أبو النصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر (ت: ٤٧٥هـ ـ ١٠٣٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).
٢٠ ـ **الأمالي**: (١ ـ ٢) جزءان، القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون البغدادي (ت: ٣٥٦هـ ـ ٩٦٧م)، المكتبة التجارية الكبرى لمصطفى محمد، مصر، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة: الثالثة (١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م).

٢١ ـ **إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون الشهيرة بالسيرة الحلبية**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، الحلبي أبو الفرج علي بن أبي إبراهيم بن أحمد، نور الدين (ت: ١٠٤٤هـ ـ ١٦٣٥م)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

٢٢ ـ **البداية والنهاية**: (١ ـ ١٥) خمسة عشر جزءاً في تسعة مجلدات، والأخير خاص بالفهارس، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، عماد الدين (ت: ٧٧٤هـ ـ ١٣٧٣م)، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، لبنان (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م)، أعدّ الفهرس العام: المركز اللبناني للفهرسة العلمية، برعاية: الدكتور عبدالله أنيس الطباع، وبإشراف مديره العام: عبدالفتاح محمد الحلو.

٢٣ ـ **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**: ابن مريم أبو عبدالله محمد بن أحمد التلمساني (ت: ١٠١٤هـ ـ ١٦٠٥م)، مطابع ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بلا تاريخ.

٢٤ ـ **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**: الضبي أبو جعفر أحدم بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت: ٥٩٩هـ ـ ١٢٠٣م)، دار الكاتب العربي، مطابع سجل العرب، القاهرة (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م).

٢٥ ـ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: (١ ـ ٢) جزءان، السيوطي عبدالرحمٰن بن أبي بكر بن محمد، جلال الدين (ت: ٩١١هـ ـ ١٥٠٥م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي وشركاه، القاهرة، الطبعة: الأولى (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م).

٢٦ ـ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**: (١ ـ ٥) خمسة أجزاء، ابن عذاري المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً عام ٧١٢هـ ـ ١٣١٢م)، حقق الأجزاء: (١، ٢، ٣): ج.س.كولان وإليفي بروفنسال، وحقق الجزء: (٤): إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م)، وهناك جزء خاص بالموحدين عني بنشره أمير وسي هويسي مراندة مع مساهمة أحمد بن تاويت ومحمد إبراهيم الكتاني، دار كريماديس للطباعة، تطوان (١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م).

٢٧ ـ **تاريخ الأمم والملوك**: (١ ـ ١٣) ثلاثة عشر جزءاً في ستة مجلدات، الأخير خاص بالفهارس، الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت: ٣١٠هـ ـ ٩٢٣م)، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٢٨ ـ **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**: الزركشي أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن لؤلؤ (ت: ٩٣٢هـ ـ ١٥٢٦م)، تحقيق: محمد ماغور، الناشر: المكتبة العتيقة، تونس (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م).

٢٩ ـ **تاريخ الصحابة الذين روى عنهم الأخبار**: ابن حبان أبو حاتم التميمي البستي (ت: ٣٥٤هـ ـ ٩٦٥م)، تحقيق: بوران الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٣٠ ـ **تحفة الأديب في الردّ على أهل الصليب**: الميورقي عبدالله بن عبدالله الترجمان (كان حياً أواخر القرن الثامن الهجري)، نشر الكتاب وترجمه إلى الإسبانية: ميقال دي بالثة (١٩٧١م).

٣١ ـ **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**: ابن ميمون محمد بن ميمون الجزائري، تقديم وتحقيق: الدكتور محمد بن عبدالكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزاء، الطبعة: الأولى (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م).

٣٢ ـ **تذكرة الحفاظ**: (١ ـ ٤) أربعة أجزاء في مجلدين، الذهبي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين (ت: ٧٤٨هـ ـ ١٣٤٨م)، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، عن السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية.

٣٣ ـ **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**: (١ ـ ٢) جزءان، القرطبي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري (ت: ٦٧١هـ ـ ١٢٧٣م)، تحقيق: الدكتور السيد الجميلي، الناشر: دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع، دار مدبولي، القاهرة، الطبعة: الأولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

٣٤ ـ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت: ٥٤٤هـ ـ ١١٤٩م)، تحقيق: أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا.

٣٥ ـ **تقريب التهذيب**: (١ ـ ٤) أربعة أجزاء، ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني، شهاب الدين (ت: ٨٥٢هـ ـ ١٤٤٩م)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).

٣٦ ـ **التكملة لكتاب الصلة:** (١ ـ ٢) جزءان، ابن الأبار أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت: ٦٥٨هـ ـ ١٢٦٠م)، نشر وعناية: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي بمصر، والمثنى ببغداد، مطبعة السعادة بمصر (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م).

٣٧ ـ **تهذيب الأسماء واللغات:** (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، الإمام النووي أبو زكريا يحيى بن شرف، محي الدين (ت: ٦٧٦هـ ـ ١٢٧٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطباعة المنيرية، بلا تاريخ.

٣٨ ـ **تهذيب مستمر الأوهام على ذوي المعرفة وأولي الأفهام:** ابن ماكولا أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر (ت: ٤٧٥هـ ـ ١٠٣٣م)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

٣٩ ـ **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:** (١ ـ ٢٦) ستة وعشرون جزءاً، والجزءان الأخيران للفهارس، ابن عبدالبر أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ ـ ١٠٧١م)، تحقيق: نخبة من خيرة علماء المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، الطبعة: الثانية (١٤٠٢هـ ـ ٨٢م) إلى (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٤٠ ـ **تنويل الحوالك شرح موطأ الإمام مالك:** (١ ـ ٢) جزءان في مجلد واحد، وفي آخره كتاب: «إسعاف المبطأ برجال الموطأ»، السيوطي عبدالرحمٰن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ ـ ١٥٠٥م)، مطبعة الاستقامة، القاهرة (١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م).

٤١ ـ **الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي:** (١ ـ ٥) خمسة أجزاء، الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي اليوغي (ت: ٢٩٧هـ ـ ٨٩٢م)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر (١ ـ ٢)، ومحمد فؤاد عبدالباقي (٣)، ومحمد عطوة عوض (٤ ـ ٥)، دار عمران، بيروت، لبنان.

٤٢ ـ **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير:** (١ ـ ٢) جزءان في مجلد واحد، الحافظ جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

٤٣ ـ **الجامع لأحكام القرآن**: (١ ـ ١٦) ستة عشر جزءاً في ثمانية مجلدات، القرطبي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري (ت: ٦٧١هـ ـ ١٢٧٣م)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الطبعة: الثالثة (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م)، عن طبعة دار الكتب المصرية.

٤٤ ـ **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**: الحميدي أبو عبدالله محمد بن أبي نصر محمد بن فتوح الميورقي (ت: ٤٨٨هـ ـ ١٠٩٥م)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م).

٤٥ ـ **جمهرة أنساب العرب**: ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد الظاهري الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف بمصر (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٢م).

٤٦ ـ **جوامع السيرة النبوية**: ابن حزم محمد علي بن أحمد الظاهري الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

٤٧ ـ **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**: (١ ـ ٤) أربع أجزاء، عناية الشيخ: محمد السعيد بن كري، المطبعة الثعالبية بالجزائر بدايةً من سنة (١٣٢٣هـ ـ ١٣٢٧هـ).

٤٨ ـ **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**: (١ ـ ٥) خمسة أجزاء، الثعالبي أبو زيد عبدالرحمٰن، تحقيق: الدكتور عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب (١٩٨٤م)، الجزائر.

٤٩ ـ **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، الثعالبي أبو زيد عبدالرحمٰن بن محمد بن مخلوف (ت: ٨٧٥هـ ـ ١٤٧٠م)، تحقيق: أبو محمد الغماري الإدريس الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

٥٠ ـ **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، الشيخ عبدالرحمٰن بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

٥١ ـ **تفسير الثعالبي المسمى: الجواهر الحسان في تفسير القرآن**: (١ ـ ٥) خمسة أجزاء، للإمام عبدالرحمٰن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٥٢ ـ **حاشية على مختصر ابن أبي جمرة للبخاري**: الشنواني محمد بن علي بن منصور الشافعي (ت: ١٢٣٣هـ ـ ١٨١٧م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٥م).

٥٣ ـ **حدائق الأنوار، ومطالع الأسرار في سيرة النبيّ المختار ﷺ وعلى آله المصطفى الأخيار**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، ابن الربيع عبدالرحمٰن بن علي بن محمد الشيباني، وجيه الدين الزبيدي الشافعي (٩٤٤هـ ـ ١٥٣٧م)، تحقيق: عبدالله إبراهيم الأنصاري، المكتبة الملكية السعودية، الطبعة: الثانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٥٤ ـ **الحُلل السّندسية في أخبار التونسية**: (١ ـ ٤) أربعة أقسام ـ الجزء الأول، السّراج الوزير أبو عبدالله محمد بن محمد الأندلسي (ت: ١١٤٩هـ ـ ١٧٣٦م)، الدار التونسية للنشر (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م).

٥٥ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ ـ ١٠٣٨م)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م).

٥٦ ـ **دُرّة الحجال في أسماء الرجال ـ ذيل وفيات الأعيان**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، ابن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت: ١٠٢٥هـ ـ ١٦١٦م)، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: المكتبة العتيقة بتونس، دار الثقافة بالقاهرة، (ج١)، دار النصر للطباعة، الطبعة: الأولى (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م)، (ج٢)، مطبعة السّنة المحمدية، الطبعة: الأولى (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م)، (ج٣)، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م).

٥٧ ـ **الدُّرة في اختصار المغازي والسير**: ابن عبدالبر أبو عمر يوسف بن عبدالله حافظ المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

٥٨ ـ **الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: (١ ـ ٥) خمسة أجزاء، ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكتاني، شهاب الدين، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م).

٥٩ ـ **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**: (١ ـ ٧) سبعة أجزاء، البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي (ت: ٤٥٨هـ ـ ١٠٦٦م)، تحقيق: عبدالمعطي قلعه جي، دار الكتب العلمي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٦٠ - **الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**: (١ - ٢) جزءان، ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، برهان الدين اليعمري (ت: ٧٩٩هـ - ١٣٩٨م)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

٦١ - **ديوان حسان بن ثابت**: أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري (ت: ٥٤هـ - ٦٧٤م)، دار صادر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

٦٢ - **ديوان الصيّب والجهام، والماضي والكهام**: ابن الخطيب أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني، لسان الدين (ت: ٧٧٦هـ - ١٣٧٤م)، دراسة وتحقيق: محمد الشريف بن محمد الطيب قامر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة: الأولى (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).

٦٣ - **ذيل تذكرة الحُفاظ الذهبي**: ابن حمزة أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي، شمس الدين (ت: ٧٦٥هـ - ١٣٦٤م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

٦٤ - **ذيل طبقات الحفاظ**: السيوطي عبدالرحمٰن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الحضري، جلال الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٦٥ - **رحلة ابن حمدوش الجزائري**: ابن حمدوش عبدالرزاق (ت: أواخر القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي)، تقديم وتحقيق: الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (١٤٠٤هـ).

٦٦ - **الرسالة القشيرية**: القشيري أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن النيسابوري، زمن الإسلام (ت: ٤٦٥هـ - ١٠٧٢م)، تحقيق: معروف زريق، وعلي عبدالله الحميد أبو الخير، دار الخير، بيروت، الطبعة: الثامنة (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

٦٧ - **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**: (١ - ٤) أربعة أجزاء، السهيلي أبو القاسم عبدالرحمٰن بن عبدالله بن أحمد الخثعمي (ت: ٥٨١هـ - ١١٨٥م)، قدم له وعلق عليه وضبطه: طه عبدالرؤوف سعد، دار الفكر، بيروت، لبنان (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

٦٨ - **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**: (١ - ٧) سبعة أجزاء، السهيلي، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل (ت: ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م)، دار النصر للطباعة والنشر بالقاهرة، الطبعة: الأولى (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).

٦٩ ـ **زاد الميعاد في هدى خير العباد**: (١ ـ ٥) خمسة أجزاء، ابن قيم الجوزية أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، شمس الدين الزرعي الدمشقي (ت: ٧٥١هـ ـ ١٣٥٠)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مكتبة المنار الإسلامية، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٧٠ ـ **سنن أبي داود**: (١ ـ ٤) أربعة أجزاء في مجلدين، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ ـ ٨٨٩م)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء السنة النبوية، دار الفكر.

٧١ ـ **سنن الدارقطني**: (١ ـ ٤) أربعة أجزاء في مجلدين، الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الشافعي البغدادي (ت: ٣٨٥هـ ـ ٩٩٥م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م).

٧٢ ـ **سنن الدارمي**: (١ ـ ٢) جزءان، الدارمي أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمٰن بن الفضل بن بهرام التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥ ـ ٨٦٩م)، عناية: محمد أحمد دهمان، نشر: دار إحياء السنّة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٧٣ ـ **سنن ابن ماجه**: (١ ـ ٢) جزءان، ابن ماجه أبو عبدالله محمد بن يزيد الربعي القزويني (ت: ٢٧٥هـ ـ ٨٨٩م)، تحقيق: محمود فؤاد عبدالباقي (ت: ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م)، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٧٤ ـ **سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي**: (١ ـ ٩) تسعة أجزاء، النسائي أبو عبدالرحمن بن علي (ت: ٣٠٣هـ ـ ٩١٥م)، حققه ورقمه ووضع فهارسه: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة: الثانية (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٧٥ ـ **سيرة ابن إسحاق المسمّاة بكتاب المبتدأ أو المبعث والمغازي**: ابن إسحاق محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني (ت: ١٥١هـ ـ ٧٦٨م)، تحقيق: محمد حميد الله، دار الخانجي للنشر والتوزيع، الرياض (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

٧٦ ـ **السيرة النبوية والخلفاء الراشدون**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، الذهبي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين (٧٤٨هـ ـ ١٣٤٨م)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

٧٧ ـ **السيرة النبوية لابن كثير: (١ ـ ٤)** أربعة أجزاء، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، عماد الدين الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ ـ ١٣٧٣م)، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م).

٧٨ ـ **السيرة النبوية لابن هشام: (١ ـ ٤)** أربعة أجزاء في مجلدين، ابن هشام أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ ـ ٨٢٨م)، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م).

٧٩ ـ **سيرة أعلام النبلاء: (١ ـ ٢٥)** خمسة وعشرون جزءاً، الأخيران للفهارس، الإمام الذهبي أبو عبدالله محمد، شمس الدين، تحقيق: جماعة من العلماء المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٨٠ ـ **شرح الشيخ أحمد زروق على متن رسالة ابن أبي زيد القيراوني: (١ ـ ٢)** جزءان، زروق أحمد بن محمد البرنسي الفاسي (ت: ٨٩٩هـ ـ ١٤٩٣م)، دار الفكر، بيروت، لبنان (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

٨١ ـ **شذرات الذهبي في أخبار من ذهب: (١ ـ ٨)** ثمانية أجزاء، ابن العماد أبو الفلاح عبدالحيّ بن أحمد بن محمد الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ ـ ١٦٧٩م)، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

٨٢ ـ **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: (١ ـ ٢)** جزءان، القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

٨٣ ـ **صحيح البخاري: (١ ـ ٩)** تسعة أجزاء في ثلاثة مجلدات، البخاري أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦هـ ـ ٨٧٠م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، نسخة مصورة على النسخة السلطانية، السلطان عبدالحميد خان الثاني (١٣١٣هـ ـ ١٨٩٥م).

٨٤ ـ **صحيح ابن خزيمة: (١ ـ ٥)** خمسة أجزاء، ابن خزيمة أبو بكر محمد بن إسحاق السلمي النيسابوري (ت: ٣١١هـ ـ ٩٢٤م)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، دار الثقافة، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م).

٨٥ ـ **صحيح مسلم**: (١ ـ ٥) خمسة أجزاء، الأخير خاص بالفهارس، مسلم أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ ـ ٨٧٥)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٨٦ ـ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**: (١ ـ ١٢) اثنا عشر جزءاً في أربعة مجلدات، السخاوي محمد بن عبدالرحمٰن بن محمد، شمس الدين (ت: ٩٠٢هـ ـ ١٤٩٧م)، مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة (١٣٥٤هـ).

٨٧ ـ **طبقات الحفاظ**: السيوطي عبدالرحمٰن بن أبي بكر جلال الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٨٨ ـ **طبقات الشافعية الكبرى**: (١ ـ ٦) ستة أجزاء، السبكي، أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي، تاج الدين (ت: ٧٧١هـ ـ ١٣٧٠م)، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الأولى (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م).

٨٩ ـ **طبقات علماء إفريقيا وتونس**: أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت: ٣٣٣هـ ـ ٩٤٤م)، تقديم وتحقيق: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة: الثانية (١٩٨٥م).

٩٠ ـ **الطبقات الكبرى**: (١ ـ ٨) ثمانية أجزاء، الزهري أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع كاتب الواقدي (ت: ٢٣٠هـ ـ ٨٤٥م)، دار الفكر العربي بالقاهرة (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م).

٩١ ـ **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**: (١ ـ ١٤) أربعة عشر جزءاً في سبعة مجلدات، ابن العربي أبو بكر محمد بن عبدالله (ت: ٥٤٣هـ ـ ١١٤٨م)، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان.

٩٢ ـ **العبر في خبر من غبر**: (١ ـ ٤) أربعة مجلدات، الذهبي أبو عبدالله محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

٩٣ ـ **علوم الحديث**: ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمٰن النصري، تقي الدين الشهرورزي (ت: ٦٤٣هـ ـ ١٢٤٦م)، تحقيق: نور الدين عنتر، المطبعة العلمية، بيروت، لبنان (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

٩٤ ـ **عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**: الغبريني أبو العباس أحمد بن عبدالله بن محمد (ت: ٧١٤هـ ـ ١٣١٥م)، تحقيق: عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م).

٩٥ ـ **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**: (١ ـ ٢) جزءان، اليعمري أبو الفتح محمد بن حمد بن أحمد بن سيد الناس (ت: ٧٣٤هـ ـ ١٣٣٤م)، تحقيق: محمد العيد الخطراوي ومحي الدين ستر، مكتبة دار التراث ودار ابن كثير، الطبعة: الأولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

٩٦ ـ **غريب الحديث**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، الخطابي أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم البيتي (ت: ٣٣٨هـ ـ ٩٨٨م)، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، دار الفكر بدمشق (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

٩٧ ـ **الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية**: ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت: ٨١٠هـ ـ ١٤٠٧م)، تقديم وتعليق: الشيخ محمد الشاذلي النيفر، وعبدالمجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس (١٩٦٨م).

٩٨ ـ **فتوح البلدان**: البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت: ٢٧٩هـ ـ ٨٩٢م)، مراجعة وتعليق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م).

٩٩ ـ **الفهرست**: ابن النديم أبو الفتح محمد بن إسحاق (ت: ٣٨٥هـ ـ ١٠٤٧م)، تحقيق: الدكتور مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م).

١٠٠ ـ **فوات الوفيات**: (١ ـ ٢) جزءان، الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمٰن، صلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ ـ ١٣٩٣م)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة بمصر (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٣م).

١٠١ ـ **فيض العُباب، وإفاضة الآداب في الحركة السعدية إلى قسنطينة والزاب**: النميري ابن الحاج (ت: ٧٧٤هـ ـ ١٣٧٣م)، دراسة وإعداد: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٣١١هـ ـ ١٩٩٠م).

١٠٢ ـ **الكامل في التاريخ**: (١ ـ ١٣) ثلاثة عشر مجلداً، الأخير للفهارس، ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري، عز الدين (ت: ٦٣٠هـ ـ ١٢٣٣م)، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م).

١٠٣ ـ **كتاب التاريخ الكبير**: (١ ـ ٩) تسعة مجلدات، الأخير للفهارس، البخاري أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت: ٢٥٦هـ ـ ٨٦٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

١٠٤ ـ **كتاب تهذيب التهذيب**: (١ ـ ١٠) عشرة أجزاء، ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي شهاب الدين، ضبط ومراجعة: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

١٠٥ ـ **كتاب الجرح والتعديل**: (١ ـ ٩) تسعة أجزاء، الرازي أبو محمد عبدالرحمٰن بن محمد بن أبي حاتم التميمي الحنظلي (ت: ٣٢٧هـ ـ ٩٣٨م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م).

١٠٦ ـ **كتاب الحيوان**: (١ ـ ٧) سبعة أجزاء، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت: ٢٥٥هـ ـ ٨٨٩م)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي (١٣٨٨هـ ـ ١٩٩٢م).

١٠٧ ـ **كتاب الصلة**: (١ ـ ٢) قسمان، ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود (ت: ٥٧٨هـ ـ ١١٨٣م)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب بالقاهرة (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م).

١٠٨ ـ **كتاب صلة الصلة**: (٣ ـ ٤ ـ ٥) ثلاثة أقسام، ابن الزبير أبو جعفر أحمد بن إبراهيم العاصمي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ ـ ١٣٠٨م)، عبدالسلام الهراس، والشيخ سعيد أعرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية (١٤١١هـ ـ ١٩٩٣م).

١٠٩ ـ **كتاب السنن الصغرى**: (١ ـ ٢) جزءان، البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت: ٤٥٨هـ ـ ١٠٦٦م)، حققه وخرّج أحاديثه: عبدالسلام الشافعي وأحمد قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٨٥م).

١١٠ ـ **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**: (١ ـ ٧) سبعة مجلدات، ابن خلدون أبو زيد عبدالرحمٰن بن محمد الحضرمي، ولي الدين (ت: ٨٠٨هـ ـ ١٤٠٦م)، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الثالثة (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م).

١١١ ـ **كتاب الكنى والأسماء**: الدولابي أبو بشر محمد بن أحمد بن سعد بن مسلم (ت: ٣١٠هـ ـ ٩٢٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١١٢ ـ **كتاب المغازي**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، الواقدي أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد السهمي (ت: ٢٠٧هـ ـ ٨٢٣م)، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

١١٣ ـ **كتاب الوافي بالوفيات**: (١ ـ ٤) أربعة أجزاء، الصفدي خليل بن أيبك بن عبدالله، صلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ ـ ١٣٦٣م)، عناية: هاموت ريتر، الطبعة: الثانية (١٣١٩هـ ـ ١٩٦١م).

١١٤ ـ **كتاب الوفيات**: ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت: ٨١٠هـ ـ ١٤٠٧م)، تحقيق: عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الأولى (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م).

١١٥ ـ **لب الباب في تحرير الأنساب**: (١ ـ ٢) جزءان، السيوطي عبدالرحمٰن بن أبي بكر، جلال الدين، تحقيق: محمد أحمد عبدالعزيز وأشرف أحمد عبدالعزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

١١٦ ـ **لحظ الألحاظ بذي طبقات الحفاظ**: للذهبي أبو فهد أبو الفضل محمد بن محمد، تقي الدين المكي (ت: ٨٧١هـ ـ ١٤٦٦م)، دار إحياء التراث العربي.

١١٧ ـ **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**: ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت نحو: ١١١٠هـ ـ ٦٨م)، دار المسيرة، بيروت، لبنان، مؤسسة سعيدان، تونس، الطبعة: الثالثة (١٩٩٣م).

١١٨ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: (١ ـ ١٦) ستة عشر جزءاً، ابن عطية أبو محمد عبدالحق بن غالب القاضي الغرناطي الأندلسي (ت: ٥٤٦هـ ـ ١١٥٢م)، تحقيق: المجالس العلمية بالمملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطامع فضالة بالمحمدية، المغرب (١٣٧٥ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٧٥ ـ ١٩٩١م).

١١٩ ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**: (١ ـ ٤) أربعة أجزاء، اليافعي أبو محمد عبد الدين أسعد بن علي اليمني المكي، عفيف الدين(ت: ٧٦٨هـ ـ ١٣٦٧م)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م).

١٢٠ ـ **المستدرك على الصحيحين**: (١ ـ ٥) خمسة أجزاء، الخامس للفهارس، الحاكم النيسبوري أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهراني (ت: ٤٠٥هـ ـ ١٠١٤م)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطاء، دار الكتب العليمة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).

١٢١ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: (١ ـ ٦) ستة أجزاء، ابن حنبل أبو عبدالله أحمد بن محمد الشيباني (ت: ٢٤١هـ ـ ٨٥٥م)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفكر، الطبعة: الثانية (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).

١٢٢ ـ **مسند أبي عوانة**: (١ ـ ٢) مجلدان، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري ثم الإسفراييني (ت: ٣١٦هـ ـ ٩٢٩م)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٢٣ ـ **مشاهير علماء الأمصار**: ابن حبان أبو حاتم بن حبان بن معاذ التميمي البستي (ت: ٣٥٤هـ ـ ٩٦٥م)، تعليق: مجدي بن منصور بن سيد الشوري، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

١٢٤ ـ **مصابيح السنة**: (١ ـ ٤) أربعة أجزاء، البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفرّاء، الملقب بمحي السنة (ت: ٥١٠هـ ـ ١١١٧م)، تحقيق: يوسف عبدالرحمٰن المرعشلي، ومحمد سليم إبراهيم سمارة، وجمال حمدي الذهبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٢٥ ـ **المصنف**: (١ ـ ١٢) اثنا عشر مجلداً، الأخير للفهارس، الصنعاني أبو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري (ت: ٢١١هـ ـ ٨٢٧م)، تحقيق وتخريج وتعليق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، نشر: المجلس العلمي الهندي، بيروت، لبنان (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م).

١٢٦ ـ **المعارف**: ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت: **٢٧٦هـ ـ ٨٨٩م**)، تحقيق: ثروة عكاشة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (**١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م**).

١٢٧ ـ **معالم السنن وهو شرح سنن الإمام أبي داود**: (**١ ـ ٤**) أربعة مجلدات، الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت: **٣٣٨هـ ـ ٣٣٨ ـ ٩٨٨م**)، منشورات المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية (**١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م**).

١٢٨ ـ **مجمع الأمثال**: (**١ ـ ٢**) جزءان، الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت: **٥١٨هـ ـ ١١٢٤م**)، قدم له وعلّق عليه: نعيم حسني زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (**١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م**).

١٢٩ ـ **معجم الشعراء**: المرزباني أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى (ت: **٣٨٤ ـ ٩٩٤م**)، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهر- (**١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م**).

١٣٠ ـ **المعجم الصغير**: (**١ ـ ٢**) جزءان في مجلد واحد، الطرباني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي (ت: **٣٦٠هـ ـ ٩٦١م**)، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٣١ ـ **المعلم بفوائد مسلم**: (**١ ـ ٣**) ثلاثة أجزاء، المازري أبو عبدالله محمد بن علي بن عمر التميمي (ت: **٥٣٦هـ ـ ١١٤١م**)، تحقيق وتقديم: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، دار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، ليبيا، المطبعة العربية، توس (**١٩٨٨م**).

١٣٢ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: (**١ ـ ٤**) أربعة أقسام، الحافظ الذهبي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين، تحقيق: على محمد البجاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣٣ ـ **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الشهيرة بالرحلة الورثيلانية**: الورثيلاني الحسين بن محمد السعيد (ت: **١١٩٣هـ ـ ١٧٧٩م**)، مطبعة بييرفونتانة الشرقية (**١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م**).

١٣٤ ـ **نظم العقيان في أعيان الأعيان**: السيوطي عبدالرحمٰن بن أبي بكر بن محمد، جلال الدين، حرّره: فليب حتّي، المطبعة السورية الأمريكية في نيويورك لصاحبها سلوم مكرزل (١٩٢٧م).

١٣٥ ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**: (١ ـ ٨) ثمانية أجزاء، الأخير للفهارس، المقري أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى التلمساني (ت: ١٠٤١هـ ـ ١٦٣١م)، تحقيق: الدكتور الحسان عباس، دار صادر، بيروت (١٣٨٨هـ ـ ١٩٩٨م).

١٣٦ ـ **نَكْتُ الهيمان في نُكَت العميان**: الصفدي خليل بن أيبك بن عبدالله، صلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ ـ ١٣٦٣م)، المطبعة الإجمالية بمصر (١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م).

١٣٧ ـ **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**: القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي الفزاري (ت: ٨٢١هـ ـ ١٤١٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٣٨ ـ **نيل الابتهاج بتطريز الديباج على هامش الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**: التنبكتي أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن عمر التكروري (ت: ١٠٣٦هـ ـ ١٦٢٧م)، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة: الأولى (١٣٢٩هـ ـ ١٩٠٥م).

١٣٩ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: (١ ـ ٨) ثمانية مجلدات، الأخير للفهارس، ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، شمس الدين (ت: ٦٨١هـ ـ ١٢٨٢م)، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان (١٣٨٨هـ ـ ٦٨م)، وطبع مجلد الفهارس بدار صادر، بيروت، لبنان (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م).

١٤٠ ـ **يتيمة الدهر في محاسن العسر**: (١ ـ ٤) أربعة أجزاء في مجلدين، الثعالبي أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (ت: ٤٢٩هـ ـ ١٠٣٨م)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بالقاهرة، الطبعة: الثانية (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م).

ب ـ المراجع

١٤١ ـ **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**: (١ ـ ٢) جزءان، الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزاء، الطبعة: الثانية (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

١٤٢ ـ **في آداب العراق القديم**: طه باقر، دار الحرية للطباعة، بغداد (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م).
١٤٣ ـ **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء؛ حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة: السابعة (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م).
١٤٤ ـ **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، الأستاذ أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة: الثانية ـ منقحة (١٤٠١هـ ـ ١٩٨٥م).
١٤٥ ـ **تاريخ الجزائر العام**: (١ ـ ٢) جزءان، فضيلة الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد الجيلالي، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، طبعة: ثانية ـ جديدة ومنقحة ومزيدة (١٣٨٤هـ ـ ١٩٩٥م).
١٤٦ ـ **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، الشيخ مبارك بن محمد الهيلالي الميلي (ت: ١٣٦٤هـ ـ ٤٥م)، مكتبة النهضة الجزائرية، مطابع بدران وشركاه، بيروت، لبنان.
١٤٧ ـ **في التاريخ العباسي والأندلسي**: الأستاذ أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣م).
١٤٨ ـ **تاريخ العرب قبل الإسلام**: (١ ـ ٨) ثمانية أجزاء، الأستاذ علي جواد طه، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، شركة الرابطة للطبع والنشر المحدودة، بغداد (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م).
١٤٩ ـ **تحقيق النصوص ونشرها**: الأستاذ عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م).
١٥٠ ـ **تعريف الخلف برجال السلف**: (١ ـ ٢) جزءان، الشيخ أبو القاسم محمد الحفناوي (ت: ١٣٦٠هـ ـ ٤١م)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة: الثانية (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).
١٥١ ـ **جواهر السيرة النبوية**: قرني طلبة بدوي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، القاهرة، الطبعة: الثانية (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م).
١٥٢ ـ **حياة الصحابة**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق: الشيخ ناصف العباس ومحمد علي دولة، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الثانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١٥٣ ـ **خاتم النّبيين ﷺ**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، فضيلة الشيخ أبو زهرة محمد بن أحمد(ت: ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م)، ملتزم الطبع: دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى (ج١) (١٣٩٢هـ ـ ٧٢م)، (ج٢ ـ ٣): ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م).

١٥٤ ـ **الرحيق المختوم**: بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، صفي الرحمن الماكفوري، دار لبنان، طبعة ثانية مصصحة ومنقحة، بلا تاريخ.

١٥٥ ـ **سيرة الرسول ﷺ ـ صور مقتبسة من القرآن الكريم**: (١ ـ ٢) جزاءن، محمد عزة دروزة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة: الثانية (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م).

١٥٦ ـ **السيرة النبوية**: أبو الحسن علي الحسني الندوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بلا تاريخ.

١٥٧ ـ **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**: (١ ـ ٢) في مجلد واحد، للشيخ محمد بن مخلوف (ت: ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، طبعة جديدة بالأوفسيت عن الطبعة الأولى سنة (١٣٤٩هـ ـ ١٩٣٠م)، المطبعة السلفية ومكتبها.

١٥٨ ـ **عبدالرحمٰن الثعالبي والتصوّف**: الأستاذ الدكتور عبدالرزاق قسوم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بلا تاريخ.

١٥٩ ـ **فقه السيرة النبوية**: منير محمد غضبان، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى (١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م).

١٦٠ ـ **قصص القرآن**: جاد المولى محمد بن أحمد (ت: ١٣٩٣هـ ـ ١٩٤٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).

١٦١ ـ **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**: الأستاذ محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت، الطبعة: الخامسة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

١٦٢ ـ **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**: للشيخ محمد الخضري بك (ت: ١٣٤٥هـ ـ ٢٧م)، دار الفكر، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، بلا تاريخ.

١٦٣ ـ **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**: (١ ـ ٢) جزءان، إسماعيل باشا البابانى البغدادي، الطبعة: ١٣٣٩هـ ـ ١٩٢٠م)، أعاد طبعه: المكتبة الإسلامية، والجعفري تبريزي، طهران، الطبعة: الثالثة (١٣٨٧هـ ـ ١٩٤٧م).

ج ـ المعاجم والموسوعات

١٦٤ ـ **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**: (١ ـ ١٢) اثنا عشر جزءاً، خير الدين الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ ـ ٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة (١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م).

١٦٥ ـ **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**: (١ ـ ٥) خمسة أجزاء، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م).

١٦٦ ـ **دائرة المعارف الإسلامية**: (١ ـ ١٥) خمسة عشر مجلداً، نقلها إلى العربية الأساتذة: محمد ثابت الفندي، محمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبدالحميد يونس (١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م).

١٦٧ ـ **دائرة معارف القرن العشرين**: (١ ـ ١٠) عشرة مجلدات، محمد فريد وجدي (ت: ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة (١٩٧١م).

١٦٨ ـ **فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، للشيخ عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني (توفي في بداية الستينات وتسعمائة وألف)، مراجعة: الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية (١٤٠٢هـ ـ ٨٢م)، وطبع الجزء الثالث ـ الفهرس ـ (١٤٩٦هـ ـ ١٩٨٦م).

١٦٩ ـ **القاموس المحيط**: (١ ـ ٤) أربعة أجزاء، الفيروزآبادي أبو طاهر محمد بن يعقوب، محي الدين الشيرازي (ت: ٨١٧هـ ـ ١٤١٥م)، دار الفكر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

١٧٠ ـ **لسان العرب**: (١ ـ ١٥) خمسة عشر مجلداً، ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين (ت: ٧١١هـ ـ ١٣١١م)، طبعة صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م) إلى (١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م).

١٧١ ـ **مختار الصحاح**: الرازي محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، زين الدين (ت: ٦٦٦هـ ـ ١٢٦٧م)، عني بترتيبه: محمود خاطر، طبعة دار المعارف، بمصر، القاهرة (١٩٧٦م).

١٧٢ ـ **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**: (١ ـ ٣) ثلاثة أجزاء، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق بن شامل القطيعي البغدادي الحنبلي (ت: ٧٣٩هـ ـ ١٣٣٨م)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الأولى (١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م).

١٧٣ ـ **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر**: للأستاذ عادل نويهض، مؤسسة نويهض للثقافة والتأليف والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١٧٤ ـ **معجم البلدان**: (١ ـ ٥) خمسة مجلدات، ياقوت الحموي أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ ـ ١٢٢٩م)، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر، بيروت (١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م).

١٧٥ ـ **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**: (١ ـ ٢) جزاءن، البكري أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد الوزير الفقيه الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ ـ ١٠٩٤م)، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة: الأولى (١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م).

١٧٦ ـ **معجم المؤلفين**: (١ ـ ٤) أربعة أجزاء، عمر رضا كحالة، عناية وجمع وإخراج: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

١٧٧ ـ **معجم مشاهير المغاربة**: إعداد: فرقة البحث العلمي، جامعة الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر (١٩٢٠٠٠م).

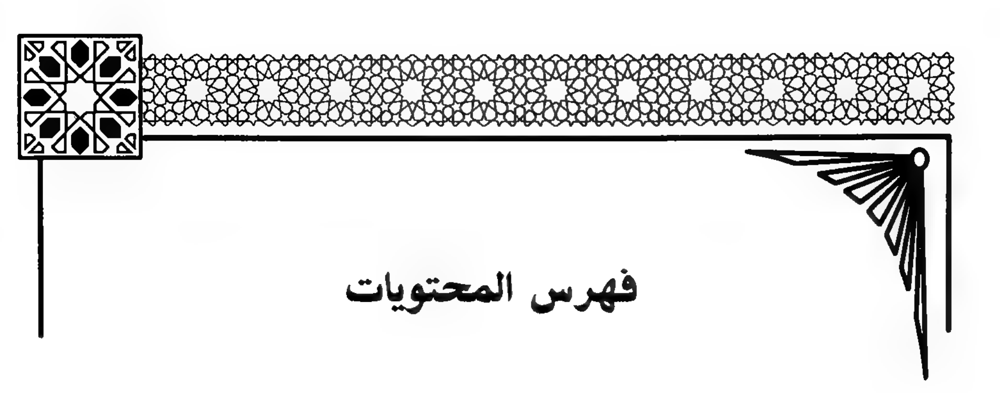
١٧٨ ـ **المعجم الوسيط**: (١ ـ ٢) جزءان، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مطابع دار المطابع بمصر، الطبعة: الثانية (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م).

١٧٩ ـ **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**: المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، تونس.

١٨٠ ـ **المنجد**: لويس معلوف (ت: ١٣٥٥هـ ـ ٤٦م)، المطبعة الكاثوليكية، للآباء اليسوعيين، بيروت، الطبعة: الحادية عشرة (١٩٤٩م).

١٨١ ـ **الموسوعة العربية الميسرة**: بإشراف: محمد شفيق غربال، دار القلم، ومؤسسة فرانكلين، القاهرة، الطبعة: الأولى (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م).





فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة

قسم الدراسة

البيت	الصفحة

قسم التحقيق

البيت	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

